مجمع الأحباب

وتذكرة أولي الألباب

تأليف

الشيخ الإمام العالم الورع

الشريف محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي

رحمه الله تعالى

(٧١٧ - ٧٧٦هـ)

عُنِيَ بِهِ

محمد ابراهيم الخضر | محمد زكريا قاسم المقداد

محمد مصطفى الخطيب | عبد الله عبد السلام حميدان

الجزء الأول

دار المنهاج

دار المنهاج

لبنان ـ بيروت ـ فاكس: ٧٨٦٢٣٠

الطّبعة الثّانية

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٨م

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص. ب 22943 ـ جدة 21416

IS... 7

E-mail: info@alminhaj.com

مجمع الأحباب

وتذكرة أولي الألباب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

يحوي هذا السِّفْر الأثريّ .. سِيَر الصَّفوة مِن الجيل المثاليّ ، ومَنْ ترسَّم خطاهم .

فهو دستورٌ وَضّاء ، تجلَّتْ فيه حقائقُ التّنزيل ، وازْدان بحقائق المعْرفة ومحاسِنِ أولئك العظام الّذين هُدوا إلى الكَلِم الطّيّب ، ونَسَجوا روائع الحِكَم .. ممّا يَهْدي إلى النّهْج القويم .

وما مِن مُخلصٍ نَهَل مِنْ مَعينه .. إلّا وبَرقَتْ أساريرُ الإيمانِ في أعماقه ، وسَرَتْ روحُ التّوفيقِ في أوصاله .. وكأنّما خُلِق خَلْقاً جديدًا .

الموزعون المعتمدون

المملكة العربية السعودية :

دار المنهاج للنشر والتوزيع – جدة
هاتف : 6311710 – فاكس : 6320392
مكتبة دار كنوز المعرفة – جدة
هاتف : 6510421 – فاكس : 6516593
مكتبة الشنقيطي – جدة
هاتف : 6893638
مكتبة المأمون – جدة
هاتف : 6446614
مكتبة الأسدي – مكة المكرمة
هاتف : 5570506
مكتبة نزار الباز – مكة المكرمة
هاتف : 5749022
مكتبة المصيف – الطائف
هاتف : 7368840 – 7330248
مكتبة الزمان – المدينة المنورة
هاتف : 8366666
مكتبة العبيكان – الرياض
هاتف : 4650071 – 4654424
مكتبة الرشد – الرياض
هاتف : 4593451
مكتبة جرير – الرياض
هاتف : 4626000
وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
دار التدمرية – الرياض
هاتف : 4924706
دار أطلس – الرياض
هاتف : 4266104
مكتبة المتنبي – الدمام
هاتف : 8413000

الإمارات العربية المتحدة :

مكتبة دبي للتوزيع – دبي
هاتف : 2211949 – 2224005 – فاكس : 2225137
دار الفقيه – أبو ظبي
هاتف : 6678920 – فاكس : 6678921
مكتبة الجامعة – أبو ظبي
هاتف : 6272795 – 6272726

دولة الكويت :

دار البيان – الكويت
هاتف : 2616490 – فاكس : 2616490
دار الضياء للنشر والتوزيع – تلفاكس : 2658180

دولة قطر :

مكتبة الأقصى – الدوحة
هاتف : 4437409 – 4316895

مملكة البحرين :

مكتبة الفاروق – المنامة
هاتف : 17272204 – 17273464 – فاكس : 17256936

جمهورية مصر العربية :

دار السلام – القاهرة
هاتف : 2741578 – فاكس : 2741750

الجمهورية العربية السورية :

دار السنابل – دمشق
هاتف : 2242753 – فاكس : 2237960

الجمهورية اليمنية :

مكتبة تريم الحديثة – تريم (حضرموت)
هاتف : 417130 – فاكس : 418130
مكتبة الإرشاد – صنعاء
هاتف : 271677

الجمهورية اللبنانية :

الدار العربية للعلوم – بيروت
هاتف : 785108 – 785107 – فاكس : 786230

جمهورية أندونيسيا :

دار العلوم الإسلامية – سورابايا
هاتف : 60304660 006231

الجمهورية التركية :

مكتبة الإرشاد – إستنبول
هاتف : 0212 6381633 – 0212 6381634
فاكس : 0212 6381700

الإهداء

إلى من خُدِعوا ببريق الدُّنيا الزائف ..

إلى الَّذين مالُوا عن الطَّريق .. فتفرَّقت بهم السُّبل ..

إلى المتعطِّشين إلى سِيَر الصَّفوة مِن السَّلف الصَّالح ..

إلى إخوان الحبيب .. الَّذين اشتاق إليهم ..

إلى الغُرباء .. وطُوبى للغُرباء ..

إلى من أرادوا الزَّاد الوافر .. والذِّكر العاطر .. والنُّور السَّافر .. والسَّناء الباهر ..

إليهم جميعًا نُهدي

مجمع الأحباب

وتذكرة أُولي الألباب

للتَّزوُّد والاقتباس والتَّأسِّي والتَّسلِّي والتَّواسِي

والتَّواصِي بالحقِّ والتَّواصِي بالصَّبر

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

الناشر

بين يدي الكتاب

بقلم
الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

الحمد لله الذي أجرىٰ في عباده الصالحين أسرار الاصطفاء في العالمين ، واستخلص منهم صفوة الصفوة ، الذين اختارهم لقربه ، حين أنسوا بذكره ، فهم الذين وصفهم الله في كتابه باسم الرجال بقوله : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ .

والصلاة والسلام علىٰ صفوة الأنجاب ، ومجمع الأحباب ، سيدنا محمد وآله وصحبه الأطياب .

أما بعد :

فإليك ـ أيها الموفَّق ـ كنوزاً تشع بعزيز الفوائد ، وجميل العوائد ، مكنونة في « **مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب** » . . الذي هو ملتقى الأرواح العلوية ، ومعقل الأنفس الزكية ، ومصباح السالكين في الطريق للوصول إلىٰ ربّ العالمين .

إنه كتاب أضاءت صحائفه بسِيَر كوكبةٍ من أئمة الزهد وأقطاب الورع ، الذين طاروا إلىٰ كل مقامٍ محمود ، وامتزجت أنفاسهم العطرة بذاك المنهج الأسمىٰ ، الذي يَهَبُ آله النعيم السرمديَّ في الأُخرىٰ ، ويسبغ عليهم حلل العزة في الأُولىٰ ، وهما مطلب السعداء .

وحين صفت السرائر ، وتأدبت الجوارح . . دارت مع النواهي والأوامر ، وهرولت إلىٰ مقام الأنس ، متقربة إلى المولىٰ ـ تقدست أسماؤه ـ بكل محبوب لديه ، فأشرقت بالرضىٰ ، ونعمت بالقبول ، وفازت بالمحبة ، وذلك غاية ما يسعىٰ إليه الصادقون .

فكان هـٰؤلاء الصفوة متأهلين لتوارد ذلك الفيض الرباني علىٰ قلوبهم ، المتمثل في الحديث القدسي الذي جاء فيه : « فإذا أحببته . . كنت سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ورجلَه التي يمشي بها ، ولئن سألني . . لأعطينه ، ولئن استعاذني . . لأعيذنه » أخرجه البخاري في « صحيحه » .

والكتاب أشرق نوره بجُمَل من حِكَم أولاء الأبرار ، وعبارات ترشد إلى البر والهداية ، لو كتبت بماء الذهب . . لكان ذلك قليلاً في جانب مكانتها ، وقوة أسرها للأفئدة .

وقد طُرِّزت صحائف هٰذا السفر بأخبار وقصص وحكايات هادفة ، ولكل من هٰذه الأنواع مناخه الروحي ، ومشربه السلوكي ، وتكاد كل قصةٍ أن تكون كاشفة عن حال أناس ؛ إذ هي مطابقة تماماً لأحوال فئةٍ في عصرنا ، كأنما قصدتهم بتلك الأحداث دون سواهم ، ومن هٰذا التطابق يبدو التفاعل جلياً ، والتأثير بيناً ، فيلتمع في رُوع الناظر فيها الإشعاع السلوكي الذي يعنِق به إلىٰ مراقي الفلاح ، ويندفع ميالاً إلى التقمص بتلك الشخصية من خلال الاقتفاء النيّر .

وإن من يقرأ هٰذا الكتاب . . فسيمرُّ بأخبار غريبة ، وأقاصيص عجيبة ، نسج خيوطها رجال ألزموا أنفسهم بأشياء عظيمة ، وما وصلوا إلىٰ مرتبة المراقبة إلا بتلك المكابدات ، وجهاد الأنفس ، والصدق مع الله تعالىٰ ، والإخلاص في طاعته ، والتجرد عن كل المعوقات التي تثقل الأرواح عن السبح في آفاق المعالي .

ولما كان النَّقَّاد هو الحاكم البصير ؛ فلا يعرف الجوهرَ النفيسَ إلا الجوهريُّ ، وكان الواسطي واسطة العِقد في المتأخرين ، وهو فارسٌ في ميدان السلوك . . استطاع أن يَسبُر أحوال القوم ، وأن يقيم الأدلة الساطعة علىٰ مشكل الأحوال ، وأن يُنزل كل حالةٍ علىٰ نوع معينٍ ، ويتميز بذلك الأسلوب العلمي البيِّن ، الذي لا يفتقر إلىٰ مزيد إيضاح ، ولا يؤتىٰ من إخلال ، بل كل كلامه زُبَدٌ مستخلصة ، فلا حشو ولا تطويل ، ويذكر الدليل ، ويشير إلى التعليل .

ورغم أنه لم تسعفنا المصادر التاريخية بوافر ترجمته ، بل كانت شحيحة مقتضبة . . إلا أنَّا نستطيع استجلاء مكانته العلمية من هٰذا السفر المبارك ، واستنكاه عبير علمه من أزاهير معارفه .

ولئن سبقنا القوم علىٰ خيل دهم ونحن علىٰ حُمُر معقّرة[1] . . فعزاؤنا أنا ندين الله تعالىٰ بحبهم ، ونتقرب إلى المولىٰ بولائهم ، وقد صحّ أنَّ : « المرء مع من أحب »[2] .

إلا أن هٰذه المحبة الصريحة تقتضي أن ننطلق في مَهْيَعهم ، ونتقفّىٰ سبيلهم ، ونجتهد

---

(١) معقّرة : أي مجرّحة ، من (عقره) إذا جرحه ، فهو عقير ، وهم عقرىٰ : كجريح وجرحىٰ .

(٢) أخرجه البخاري (٥٨١٦) ، ومسلم (٢٦٤٠) .

كما اجتهدوا ، ونستبق إلىٰ مراتب الأخيار ، ونعزم علىٰ لَيِّ عنق الشهوة ؛ فلا نركن إلى الملاذ . . .

فكلّ من سار على الدرب وصل

ولٰكن الذنوب جراحات ، ورب جرح وقع في مقتل ، فهل نخرج بالعزم من هٰذا الفِناء الضيق إلىٰ ذلك الفِناء الرحب ، الذي فيه ما لا عين رأت ؟

ألا بَلَّـغَ الله الحمىٰ مـن يـريـده وبَلَّغَ أكناف الحمىٰ من يريدها

وإنما يبلغ الحمىٰ من وطَّن العزم على المكاره ، وأتعب نفسه اليوم روماً لراحتها غداً ، والطريق محفوف بالمشاق ، فهو طريق : (تعب فيه آدم ، وناح لأجله نوح ، ورُمي في النار الخليل ، وأُضجِع للذبح إسماعيل ، وبيعَ يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين ، ونُشر بالمنشار زكريا ، وذُبح السيد الحصور يحيىٰ ، وقاسى الضرّ أيوب ، وزاد على المقدار بكاء داوود ، وسار مع الوحش عيسىٰ ، وعالج الفقر وأنواع الأذىٰ محمد صلى الله عليه وسلم)[1] .

فلا نجاة إلا بالمجاهدة ، ولا قرب إلا بالمكابدة .

ثم إن الناظر في هٰذا السفر الجليل ، والمتتبع لسير هٰؤلاء الأعلام الموفقين . . سوف يشعر حقيقة بالفجوة الهائلة المعترضة بيننا وبينهم ، فيما يتراءىٰ لنا نتيجة تكبلنا بسلاسل الشهوات ، وإغراقنا في المتع والملذات ، مما تسبب في تضاؤل القوى الروحية التي تغلب جيوش النوازع الدنيا .

ومن العوامل المثبطة من إذكاء الجذوة الإيمانية . . تلك التغيرات الجذرية ، والتناقص المطَّرد في المعارف الإسلامية ، نتيجة للترهل الثقافي المادي ، الذي استحوذ علىٰ حيز كبير من فكر المسلم ، إضافة إلىٰ عوارض اجتماعية ، وإفرازات حضارية لم تكن ماثلة قبلُ على الساحة الإسلامية ، وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام إذ يقول : « **لا يأتي عليكم زمان . . إلا والذي بعده شرٌّ منه ، حتىٰ تلقَوا ربكم** »[2] .

بل إن المجتهد في السَّيْر علىٰ نهج القوم في العصر الحاضر ، المشحون بالعوائق . . سيصطدم بعقبات وعقبات ، وربما لفحه هجير المعارضات ؛ وإذا به غريب بين مواطِنين ،

---

(١) « الفوائد » لابن القيم (ص ٦٧) .

(٢) رواه البخاري (٦٦٥٧) في (الفتن) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً .

وشاذ بين متفقين ، ولذا كان من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قوله : « **إن الإِسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ . . فطوبىٰ للغرباء** »[1] .

هٰذا وإن المتشبع بأخبار القوم حينما تتكشف له تلك المجاهدات الروحية لهٰؤلاء . . يدرك أنهم لم يصلوا إلىٰ أعلى المقامات إلا بعد أن كابدوا المشاق ، وقام عراك عنيف بينهم وبين نوازع النفس الدنية ، حتىٰ أماتوا هٰذه الميولات في داخلهم ، وتغلّبوا على النفس الأمارة ، وكبحوا جماحها بلجام التقوىٰ ، وطوّعوها إلىٰ وجهة الأبرار ، وأشبعوها بغذاء الأخيار ، فكان هٰذا الصنف ممن عناهم التنزيل الحكيم في قوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ .

(١)

ولا مراء أن هٰذا المَجْمع العلمي المفعَم بسِيَر أقطاب الزهد والورع وآثارهم . . يحمل في طياته العلاج الناجع لداء القسوة والعُجب والكبر وغيرها من الأدواء ؛ لأن رجال هٰذا المَجْمع هم أطباء القلوب ، بما آتاهم الله من العلم والحكمة ؛ لأن هُداهم وهبهم هدىً آخر فيضياً ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ ، فلذلك كانوا مصابيح الهدىٰ ، وأئمة السلوك .

وإذا كان قد دخل الناسُ النّار من ثلاثة أبواب كما يقول ابن القيم[2] وهي :

- **باب شبهة** : أورثت شكاً في دين الله .
- **باب شهوة** : أورثت تقديم الهوىٰ علىٰ طاعته ومرضاته .
- **باب غضب** : أورث العدوان علىٰ خلقه .

فإن التأسي بهٰؤلاء ، والنهل من سيرهم ومجاهداتهم ، والجري في ميدان استقامتهم . . يجعل المتأسي بتوفيق الله تعالىٰ ميّالاً عن هٰذه الأبواب ، حائداً عن طرق الردىٰ .

وقد يستغرب بعضُ أهل هٰذا العصر شيئاً مما ورد في هٰذا الكتاب من أخبار وسِيَر أصحاب القرون المتقدمة ؛ من زهد في الدنيا ومتاعها ، وزخرفها وزينتها ، إلىٰ غاية وإلىٰ حد لا يصل إليه التصور ، وللجواب عن ذلك . . فإننا نعكس الأمر .

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » (١٤٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) « الفوائد » (ص ٨٩) .

بمعنىٰ : لو قدَّرنا مشاهدة أصحاب العصور المتقدمة لأهل هٰذا العصر ، وما هم عليه من تفانٍ على الدنيا ، ومن تفنن وتبصر في استجلابها ، والتمتع بها ، ومن الانكباب على الشهوات والملذات ، وصرف الأوقات والأعمار في ذلك . . لحكموا علينا بالجنون ! !

فهم رضوان الله عليهم زهدوا في الفاني ، ونحن بكل أسف زهدنا في الباقي ، وشتان بين الفريقين ، **وعند الصباح يَحمَد القوم السُّرىٰ** .

وقد جلَّىٰ لنا ذلك الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ بقوله : (لو كانت الدنيا ذهباً يفنىٰ ، والآخرة خزفاً يبقىٰ . . لاخترنا خزفاً يبقىٰ علىٰ ذهب يفنىٰ) فكيف إذا كان بالعكس ؟ ! !

ثم لِمَ يستعظم الإنسان أن يكون له خصلة من خصال التشبه بهٰؤلاء الرجال ، وما المانع أن يكون حتىٰ مثلهم ولو في بعض الخصال ؟ ! كما قال الشاعر :

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

بل إن تنوع أحوالهم وطبقاتهم وسلوكهم . . يعطي فرصة لكل أحد أن يأخذ في التشبه مع ما يتناسب وحاله ، فكما قيل : من فاته العلم . . لم يفته المحراب ، ومن فاته المحراب . . لم تفته الآداب . . . وهٰكذا .

ثم إن اهتمام رجال هٰذا المجمع بأمور أخرىٰ تماماً تصب في ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالىٰ ، فهم حريصون علىٰ ألاَّ تفوتهم لمحةٌ ولا يمرَّ عليهم نفسٌ إلا ويؤجرون عليه ، لذا فإنهم كانوا يكرهون فضول الكلام ، ويحبون التحقق بترك ما لا يَعنيهم ، مع همم عالية في الخير وأعمال البر ، وكان من مقاصدهم : التقليل من العادات التي قصمت الظهور ، والتبري من الكلفة ، فبذا وغيره . . صفت أوقاتهم ، واستنارت بصائرهم ، وطاب زمانهم ، رضوان الله عليهم .

وتراجم هٰذا الكتاب موسعة ، وتكاد أن تكون بعض التراجم كتباً مستقلة ، فترجمة الإمام أحمد بن حنبل استغرقت (٤٢) صفحة ، وترجمة الإمام الشافعي (٥٠) صفحة ، وترجمة الإمام الثوري (٥٦) صفحة ، وترجمة الإمام إبراهيم بن أدهم (٣٦) صفحة ، وغيرهم . . وغيرهم . .

هٰذه الشخصيات الخالدة الواردة في هٰذا الكتاب . . هي من آثار الشيوخ الصادقين ، والوعاظ المحتسبين ، والزهاد المباركين ، والعلماء العاملين ، والمجاهدين المخبتين ،

ظهرت في المجتمع فأنتجت هـٰذه الصور الطيبة ، لشيوخ وشباب ، ونساء وفتيات ، من جيل السلف ، رضي الله عنهم .

ونحن نطمع في فضل الله أن يكون ظهور هـٰذا الكتاب سبباً في استنساخ هـٰذه الشخصيات العظيمة في عصورنا هـٰذه ، وما ذلك على الله بعزيز .

وكم كان المؤلف موفقاً حينما ختم كتابه بترجمة السلطان العادل نور الدين محمود والسلطان صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنهما ، وكأنه أراد إظهار وتجلية قول المعصوم صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صنفان من أمتي إذا صلحا . . صلح الناس : العلماء والأمراء »[1] ، وفي هـٰذا أعظم البيان والتوضيح لمعنىٰ صلاح الراعي والرعية .

إن هـٰذا الكتاب يحوي أخبار الشطر الأكبر من الألف الأول من الهجرة ، وإن كان قد ظهر ويظهر في الأمة فيما بعد عصر المؤلف صور مباركة مستمدة من ذلك المعين ، إلا أنها أقل من الزمان الأول ؛ فلقد ظهر علماء أكابر من أمثال ابن حجر ، والإمام السيوطي ، والإمام زكريا الأنصاري ، والسيد مرتضى الزبيدي ، ومن الأئمة : السلطان محمد الفاتح ، وغيرهم وغيرهم . . . إلىٰ عصرنا الحاضر ، **وكم في الزوايا من الخبايا** .

ولذلك فلا يجوز لأحد أن يطعن فيهم ؛ لأنهم هم من أوصل الدين إلينا ، ومن يطعن فيهم . . فإنما يطعن في أصلهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « يحمل هـٰذا العلم من كل خَلَفٍ عدولُه »[2] . .

وقد حذر صلى الله عليه وسلم مِن لعنِ آخرِ هـٰذه الأمة أوّلَها[3] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ .

ومؤلف الكتاب ـ رضي الله عنه ـ من رجال الأُمة ، وهو يتكلم بلسان أولي التحقيق والعناية ، وذلك يدل علىٰ وصوله إلىٰ رتبة عالية ، رضي الله عنه .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٦٩) ، والديلمي في « الفردوس » (٢/ ٢٠٤) .
(٢) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (١٠/ ٢٠٩) .
(٣) أخرج الإمام الترمذي (٢٢١٠) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة . . حل بها البلاء » ، قيل : وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : « . . . ولعن آخر هـٰذه الأمة أولها . . فليرتقبوا ثَمَّ ذلك ريحاً حمراء ، أو خسفاً ومسخاً » .

(٢)

ودونك زبدة « الحلية » مخضَلَّة الربىٰ ، دانية الجنىٰ ، مواعظها باسقة ، وحكمها متناسقة ، درها يتيم ، ونسيمها عليل ، رياضها آهل بثمرات الاعتبار ، ومنهلها عذب مبارك ، فطوبىٰ لمن ورده وبلَّ الصدىٰ ، وقطع عنه العلائق وفاز بالرضىٰ .

منـــزلٌ طيـــبٌ ومـــاءٌ معيـــنٌ وثـــرىٰ أرضهـــا يفـــوح عبيـــرا

وسَعداً لمن تأسّىٰ بأولـٰئك ، واستجاشت مشاعره رغبةً إلىٰ ما هنالك ، وتشرَّب جوهره من رحيق حبّهم ، فاقتفىٰ مسلكهم ، وتفكر في جواهر كلمهم وعزيز حِكَمهم ؛ فإن ذلك أدعىٰ إلىٰ حسن الاقتداء ، والانخراط في سلك الأصفياء .

فتشبهـوا إن لـم تكـونـوا مثلهـم إن التشبـــه بـــالكـــرام فـــلاح

(٣)

إن « حلية الأولياء » كتابٌ من غرر التراث ، وسِفر ينضح بالأصالة الدينية ، ويبرز مآثر الاستقامة ؛ فهو سفر بل أسفار جامعة لتراجم أعيان أولي الفضل ، من علماء هـٰذه الأمة وصلحائها ، وأقطاب العصور وزهادها .

فقد نظم سلكُه مآثر القوم ، وصدحت حمائم رياضه بجميل المحاسن ، فجلَّىٰ لنا بأسانيد الثقات سِيراً عطرة ، وجمع من حكمهم درراً كانت قبلُ منتثرةً ، وقيّد فيه من كراماتهم ما يؤذن بمكانة هـٰؤلاء الأعلام النبلاء ، والأئمة الأتقياء الأصفياء .

(٤)

بيد أن نفَسَ الإمام الحافظ أبي نعيم كان طويلاً ، وأحاديث « حليته » شغلت حيّزاً كبيراً ، حتىٰ أصبح أشبه بالمسند ؛ لأنه إمام حافظ ، وضابط متقِن ، ولذلك استقىٰ من معين النبوة مئات الأحاديث ، وأسندها بأزمَّتها وخُطُمها ، وربما امتد حفظه إلىٰ تبيان علل خفية ، وغوامض إسنادية ، اكتنفت تلك الأحاديث ، وهو عِلْم لا يفقه كنهه العامة ، ولا يهشُّ إلىٰ خفاياه إلا الخاصة ، وجمهرة الناس يظنون ـ بل يعتقدون ـ أنهم عن ذلك في غنية .

ومن جهل شيئاً . . عاداه

وعلىٰ كل . . فقد أضحىٰ هـٰذا الكتاب علىٰ غرر المحاسن مشتملاً ، وعلىٰ عزيز الفوائد

عاقداً ، فهو غزير العلم ، بطين المحتوىٰ ، متناسق المباني .

لٰكن العامة ـ وهم الكثرة الكاثرة ـ أحجمت عن ارتياد مغانيه ، وتقاصرت أفهامهم عن اجتلاء جُلّ معانيه ، وكلّت الهمم عن الإحاطة بمعالمه ، حتى انحسر زواره ، واقتصر علىٰ أولي الاختصاص ؛ إذ أصبح مرجعاً مهماً لأولـٰئك المحدِّثين ، الذين ينقِّبون عن الرواة ، ويمحصون الأسانيد ، ويُعْنَون بالمتابعات والشواهد ، فكادت ضخامته تحجبه عن الجمهرة ، إلا أن الحال كما قيل :

وإذا الحبيب أتىٰ بذنبٍ واحدٍ ... جاءت محاسنهُ بألف شفيع

(٥)

ثم قيّض الله تعالىٰ لهـٰذا المرجع الأثري ، ذي النَّفَس الصوفي ، الإمامَ الحنبلي ، الواعظ البارع ، والمحدث الناقد ، أبا الفرج عبد الرحمـٰن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) فاختصره وحبّره ، وحذف منه أسانيده ومكرَّرَه ، ثم أوفىٰ عليه من المواعظ الحسان ، وعيون الأخبار والبيان ، ما طرز به حواشيه ، وذَهَّب به نواحيه ، فازداد حسناً علىٰ حسنه ، وملاحة علىٰ جماله ، لا سيما وأبو الفرج فارس الميدان في مخاطبة القلوب المستوحشة ، وامتلاك أزمَّة الفصاحة ؛ فقد كانت عظاته تنشقّ منها الأفئدة لقوة تأثيرها ، وتهمي العيون من عظيم وقعها ، وهو صاحب القلم السيّال ، والسحر الحلال ، فكان كتابه بحق : « صفة الصفوة » ، فهو يكتنز علوماً جمة ، تروي العطشان ، وتشبع النَّهِم القَرِم حتىٰ يؤوب جذلان .

(٦)

ومع التماع هـٰذه المحاسن من ثنايا هـٰذا الكتاب . . غير أنه كان بحاجة ملحَّة إلىٰ من يستخلص زبده ، ويصطفي لبابه ، ويختار من مواعظه ورقائقه ، وينتقي من أزاهير حكمه ما كان أعظم وقعاً في النفوس ، وألصق بسير المعاصرين ، وأنفذ إلىٰ قلوبهم .

علاوة علىٰ أن هناك مواطن محصورة كانت بحاجة إلىٰ تحرير ، ومسائل معدودة لابد من إعادة النظر فيها ، وإضافات تبدو جوهرية يتطلب المقام إيرادها ، وفي طي ذلك نفائس مستجادات ، وفوائد مهمات نافعات ، بل وإحياء لعيون من الأخبار كان ابن الجوزي آثر حذفها ، ووأدها في دهليز الاختصار .

لذلك كلّه : قيض الله تعالىٰ لهـٰذه الغاية السامية ، والأهداف العلية الإمام الشريف محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي رحمه الله تعالىٰ (٧١٧ـ ٧٧٦هـ) ، ويبرز منهج المؤلف جليّاً في قوله : (ولما رأيت أن كلاً من الكتابين بمفرده لا يشفي السقام ، ولا يُظفَر منه بالمرام . . أحببت أن أجمع كتاباً يكون لمحاسنهما حاوياً ، ولما سوىٰ ذلك طاوياً ، وأحذف الأسانيد والحكايات المتكررة ، وجميع ما يجب حذفه ، هـٰذا مع ما أضم إليه من النفائس المستجادات ، والفوائد المهمات النافعات ، وزيادة تراجم أئمة) اهـ[١]

وها هو الكتاب منقحاً محرراً ، مهذباً محبّراً ، وهو يتطاول علىٰ أضرابه ؛ لتوافر ثلاثة من الأئمة علىٰ إنجابه ، فصار لسان الحال يترنم مومئاً إلىٰ « مجمع الأحباب » :

وحِسَانُ العلم لما أن بدت ... أقبلت نحوي وقالتْ لي إلَيْ
فتعاميْتُ كأن لم أرها ... عندما أبصرتُ مقصودي لديْ

وأخيراً : فهـٰذا كتاب « **مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب** » يتهادىٰ في حلله القشيبة ، وطبعته المحققة الأنيقة ، ولا سيما ذلك الجهد المشكور ، المتمثل في تخريج الأحاديث النبوية ، بالدِّلالة عليها في مصادرها المتنوعة ، إضافة إلىٰ شرح الغريب ، ورد النصوص إلىٰ أُصولها .

لذا فإن دار **المنهاج** التي عنيت بذلك كله ، واضطلعت بإنجازه . . لا تزال وفيّةً بما قطعته علىٰ نفسها من بذل ما في الوسع لإبراز هـٰذه الجواهر القيمة ، التي تعد بحقٍّ من عيون التراث الإسلامي ، ونشرها في الآفاق ؛ لينتفع بها العام والخاص ، لذا كان من الأدب الشرعي أن أشيد بجهود هـٰؤلاء القائمين علىٰ هـٰذه الدار ، وأحيي فيهم تلك العزائم المتوالية ، التي أسدت إلىٰ طلاب المعرفة هـٰذا السفر العزيز ، مضافاً إلىٰ سجلهم المضيء .

كما أخص بالثناء العطر أخانا الموفق : **الشيخ عمر سالم باجخيف** ، الذي لم يأل جهداً في التنقيب عن مخطوطات التراث ، وتصيّدها من شتى الأقطار ، تدفعه إلىٰ ذلك همة عالية ، ورغبة صادقة في انتزاع تلك الكنوز الأثرية من بطون مراكز المخطوطات ، ثم نشرها بعد خدمتها ، فجزاه المولىٰ سبحانه خير ما يجزي الصالحين .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) انظر مقدمة المؤلف .

الكلام على الترجمة ونشأتها ، وأهم مدارسها وأنواعها

تعريف الترجمة لغةً واصطلاحاً

أمّا لغة . . فهي كما يقول ابن منظور ـ رحمه الله ـ في « لسان العرب » في مادة (ت ، ر ، ج ، م) : الترجمة : نقل كلام من لغة لأخرىٰ ، وتبيينه وتوضيحه ، والتُّرجمان هو : المفسِّر للسان .

وأمَّا اصطلاحاً . . فهي إيراد حياة الغير ممَّن نريد الوقوف عليها بتفصيل مفيد ، نأخذ منها ما نحكم به له أو عليه من خلالها[1] .

المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي :

مما لا شك فيه : أن لكل معنىً اصطلاحي ارتباطاً بمعناه اللغوي لا ينفك عنه ، وهنا المعنى العام لمادة (ترجم) : الإيضاح والبيان ، وبما أن صاحب الترجمة يكون غامضاً وغير معروف : فإذا ما تمت الترجمة له . . غدا شخصاً معروفاً ، وكذلك عملية النقل تنقله من كونه مجهولاً إلىٰ كونه معروفاً . . تسمىٰ ترجمةً .

أسباب نشأة التراجم وأهميتها

نشأت كتابة التراجم مع ظهور الكتابة ؛ لأنها كانت موازية للتاريخ في النشأة ، وتنوعت أسباب كتابتها من أُمة لأخرىٰ :

فقد كان الإغريق يدوِّنونها لأغراض ودوافع سياسية ، أو خلقية ، أو نفعية كما في كتب : « الأخلاق » و« السياسة » لأرسطو .

وقد يكون المترجِم مدفوعاً بعوامل شخصية ، أو صلات مِن القرابة ، كما فعل (تاسيتس) مع حَمِيْه القائد الروماني (أجريكولا) في القرن الأول الميلادي فكتب : « حياة أجريكولا » .

---

(١) انظر كتاب « كتب تراجم الرجال بين الجرح والتعديل » لصالح اللحيدان .

واستمر الحال علىٰ ذلك حقبة من الزمن تمتد حتىٰ العصور الوسطىٰ ، في تلك العصور عقمت أوربة عن رجل يترجم لرجالاتها ، بينما كان التاريخ الإسلامي متربعاً علىٰ عرشه وفي أزهىٰ حلله .

وقد أخذت التراجم بالظهور منذ القرن الثاني للهجرة الشريفة ، وتُعَدُّ السيرة النبوية الشريفة أوسع ما أُلِّف في التراجم الإسلامية ، وأقدمها ظهوراً ، وأولاها باهتمام المؤرخين والكُتَّاب ؛ فقد كانت المحور الذي تدور حوله حياة الإسلام ونشأته واتساعه .

ثم نشأ تدوين الحديث ، وعلىٰ إثره نشأ الاهتمام برواة الحديث ، مما أدىٰ إلىٰ ظهور كتب في نقد الرجال ، فوضعوا كتباً في الجرح والتعديل .

وهٰكذا خدمت هٰذه الكتب موضوع التراجم ، ونبهت الأذهان إلىٰ أن توضع تراجم أخرىٰ لطبقات من الرجال تتفق في لون واحد من العلم أو الفن أو الصناعة ؛ كطبقات الصحابة ، وطبقات الفقهاء والمحدِّثين . . . إلخ .

وتتجلى الدواعي لتدوين التراجم وأهميتها في النواحي التالية :

ـ حاجة طالب العلم إلىٰ مراجع في التراجم ، يعرف مِن خلالها مَنْ تتردد أسماؤهم ويسأل عنها .

ـ النزاع بين الفِرَق الذي ربما كان سببه الجهل بسيرة إنسانٍ معيَّن ، مما حدا بكل فرقة إلىٰ تدوين تراجم رجالاتها .

ـ حاجة المربين إلى القدوة الحسنة ، المتمثلة في السلف الصالح ، ولا شيء يؤثّر في نفوس الناشئة ويساعد علىٰ تربيتهم مثل الحديث عن الذين آثروا في حياتهم سلوك سبيل الحكمة ، وكانوا في تصرفاتهم مُثُلاً صادقة في الإيمان بالله ، وحب الخير ، وعلو الهمة ، وشجاعة القلب ، وطهارة النفس ، وبذل الأرواح والأموال في سبيل الحق ؛ لأَن في ذكر المربي والمعلم سِيَرَ هٰؤلاء الرجالات الأبطال . . تجسيداً عملياً للقيم والمبادىء ، وهو أفضل عامل مساعد علىٰ إصلاح الناشئة والمجتمع .

ـ دفع ظلم عن مظلوم ، أو إيضاح لحقيقة ما ؛ حيث تقوم بعض كتب السِّيَر غير الموَثَّقة بذكر بعض الأخبار التي تشوِّه صور بعض العظماء ، وتحط من قدرهم العلي ، كما وقع في بعض الكتب التي تحط من قدر ذلك الإنسان العظيم ، الذي كان يغزو عاماً ويحج عاماً ؛

هارون الرشيد ، فرمته هـٰذه الكتب بالافتراءات العظيمة ، وروت عنه أنه كان وكان. . . مما لا يليق بمقامه ، ولا حتىٰ بمقام مسلمٍ عاميٍّ .

فلا بد في مثل هـٰذا الحال من كتب صحيحة النقول في التراجم ؛ لترفع الظلم ، وتمحو الظلام ، فترفع اللثام عن هـٰؤلاء البدور الأعلام .

ومن فوائد قراءة كتب التراجم : تثبيت الإيمان في قلوبنا ، واتعاظنا بسير مَنْ قبلنا كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وفي الختام : فقد أوجز الإمام الرباني ، محيي الدين النواوي ـ عليه سحائب الرحمة ـ هـٰذه المعاني السامية ؛ حيث قال في أواخر خطبة كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » [١/١٠] :
(اعلم : أن لمعرفة أسماء الرجال ، وأحوالهم ، وأقوالهم ، ومراتبهم. . فوائد كثيرة :

منها : معرفة مناقبهم وأحوالهم ، فيتأدب بآدابهم ، ويقتبس المحاسن من آثارهم .

ومنها : معرفة مراتبهم وأعصارهم ، فينزلونهم منازلهم ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم) .

ومنها : أنهم أئمتنا وأسلافنا ، وكالوالدين لنا ، وأجدىٰ علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا ، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا ، فقبيح بنا أن نجهلهم ، وأن نهمل معرفتهم. . .) اهـ

وقال بعضهم : إن النظر في حكايات المواهب والكرامات ، ومعارف العلوم الإلـٰهيات. . تثير الهمم إلىٰ طلب المراتب العاليات ، وترفعها عن حضيض مقاعد قواعد الخوالف ، إلىٰ أوج أفلاك فوائد من سبق من القرون السوالف .

اللهم ؛ انفعنا بما نسمع وبما نقرأ ، واجعله حجة لنا ، ولا تجعله حجة علينا ، يا رب العالمين .

مدارس التراجم وبعض كتبها

لم تكن كتب التراجم مقصورةً علىٰ رجال الحديث فحسب ، بل لا تكاد تجد طائفة تُنسب إلىٰ علم أو فن أو كان لها في التاريخ الإسلامي أثر. . إلا ولها من كتب التراجم نصيب ، ومن هنا تعددت مدارس التراجم ، والتي سنذكر بعضها :

مدرسة التراجم العامة الجامعة :

هي المدرسة التي تجمع طائفة من الكتب فيها تراجم لطائفة من الرجال يختلفون صناعة وطبقة وعصراً ومكاناً ، ولٰكنهم يتحدون في صفة واحدة تجمعهم ، وهي صفة الجدارة والاستحقاق ؛ بأن يُترجَم لهم وتدوَّن سيرهم .

وتتميز هٰذه المدرسة بأنها تجمع الرجال من كل زمان ومكان ، مرتَّبين إما علىٰ سني الوفاة ، وإما حسب الأسماء .

ومثال علىٰ هٰذه المدرسة : كتاب « وفيات الأعيان » ، للمؤرخ الشهيد أحمد بن خَلِّكان ، المتوفىٰ سنة (٦٨١هـ) ، وكتاب « قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر » ، للمؤرخ العلامة الفقيه الأديب الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة السَّيْبَاني الحضْرمي ثم العَدَني ، المولود بـ (عدن) سنة (٨٧٠ هـ) ، والمتوفىٰ بها سنة (٩٤٧ هـ) ، وهو في ثلاثة مجلدات ضخام لا يزال مخطوطاً .

مدرسة التراجم حسب العصور :

هي المدرسة التي تجمع طائفة من الكتب فيها تراجم لطائفة من العلماء عاشوا في قرن واحد ، أو حقبة زمنية معينة .

ومثال علىٰ هٰذه المدرسة : كتاب « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة » ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، المتوفىٰ سنة (٨٥٢هـ) ، وكتاب « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » ، للحافظ السخاوي ، المتوفىٰ سنة (٩٠٢هـ) ، وكذلك كتاب « النور السافر عن أخبار القرن العاشر » للعلامة السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس العلوي الحضرمي التريمي ، ثم الحيدر أبادي ، ولد بـ (تريم) سنة (٩٧٨ هـ) ، وتوفي بـ (حيدر آباد) بالهند سنة (١٠٨٣ هـ) ، وهو مطبوع .

ومنها : « السناء الباهر تذييل النور السافر » ، للعلامة المؤرخ السيد محمد بن أبي بكر الشِّلِّي العلوي التريمي ، المولود بـ (تريم) سنة (١٠٣٠ هـ) ، والمتوفىٰ بـ(مكة المكرمة) سنة (١٠٩٤ هـ) ، وهو مخطوط ، وله كتاب آخر يسمَّىٰ « الجواهر والدرر في أعيان القرن الحادي عشر » مخطوط أيضاً ، وسيطبع قريباً محققاً بإذن الله .

مدرسة التراجم سنةً سنةً :

هي المدرسة التي تجمع طائفة من الكتب فيها تراجم لطائفة من العلماء ، مرتبة على التسلسل الزمني للسنين ، يذكر فيها المؤرخ الرجال حسب وفيات كل سنة .

ومن هٰذه المدرسة : كتاب « شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب » لابن العماد ، المتوفىٰ سنة (١٠٨٩هـ) .

مدرسة التراجم من خلال كتب التاريخ العام :

هي مدرسة تاريخية تجمع في ثناياها تراجم لطائفة من العلماء ، كَتَبها أصحابها وهم يؤرخون تاريخاً سياسياً عاماً للدول الإسلامية .

من أمثلتها : « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ، المتوفىٰ سنة (٦٣٠هـ) ، وكتاب « العدة المفيدة في تاريخ حضرموت » للشيخ سالم بن محمد بن حميد الكندي ، المتوفىٰ سنة (١٣١٦ هـ) تقريباً ، و« الشامل في تاريخ حضرموت » للعلامة علوي بن طاهر الحداد ، المتوفىٰ سنة (١٣٨٢ هـ) .

وكتاب « بضائع التابوت » للعلامة عبد الرحمٰن بن عبيد الله السقاف ، المتوفىٰ سنة (١٣٧٥ هـ) .

مدرسة كل من أدخل في كتبه تراجمَ :

هي مدرسة ظهرت لما تداخلت كتب التراجم مع غيرها ، وأُدخلت في كتب الشروح اللغوية والنحوية والأدبية ؛ لما بينهما من تناسب .

مثالها : ما فعله ابن نباتة المتوفىٰ سنة (٧٦٨هـ) في شرحه لرسالة ابن زيدون المسمىٰ « سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » ، وكما فعل البغدادي المتوفىٰ سنة (١٠٩٣هـ) في كتابه « خزانة الأدب وغاية الأرب » .

مدرسة التراجم حسب الطبقات :

الطبقة لغة : الجيل من الناس ، واصطلاحاً : مجموعة من الناس الذين عاشوا في عهد معين ، وتختلف بين مؤرخ وآخر .

فالطبقة عند ابن سعد تساوي عشرين سنة تقريباً ، وقد تزيد أو تنقص عند غيره ممن ترجم حسب الطبقات ، وقد يراد بالطبقة الناس الذين اشتركوا في فن معين ، وعاشوا في عصرٍ واحد .

والمقصود من هٰذه المدرسة : أن المؤلف يقسِّم الناس الذين يريد أن يترجم لهم إلىٰ طبقات ، وبعد ذلك هو مخير بين أن يترجم كل طبقة حسب الاسم أو الفضل أو العلم أو غير ذلك .

وتنقسم هٰذه المدرسة إلىٰ عدة أنواع ، منها :

أ ـ مدرسة طبقات الصحابة :

من هٰذه المدرسة كتاب : « الطبقات الكبرىٰ » لابن سعد ، المتوفىٰ سنة (٢٣٠هـ) ، وضمَّن فيه مع الصحابة التابعين أيضاً .

ب ـ مدرسة طبقات الفقهاء :

ويشمل هٰذا النوع جميع ما كتب في طبقات الفقهاء ، على اختلاف مذاهبهم .

ومن هٰذا النوع : « طبقات الشافعية الكبرىٰ » لابن السبكي ، المتوفىٰ سنة (٧٧١هـ) ، و« الجواهر المُضيّة في طبقات الحنفية » لعبد القادر ابن أبي الوفاء ، المتوفىٰ سنة (٧٧٥هـ) ، و« طبقات الحنابلة » لأبي يعلى الفراء ، المتوفىٰ سنة (٥٢٦هـ) ، و« ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك » للقاضي عياض ، المتوفىٰ سنة (٥٤٤هـ) ، و« ذيل طبقات الإسنوي » للعلامة الفقيه الطيِّب بن عبد الله بامخرمة ، المتوفىٰ سنة (٩٤٧ هـ) .

ج ـ مدرسة طبقات المفسرين :

لعل أقدم ما كتب تحت عنوان مستقل هو كتاب « طبقات المفسرين » للإمام السيوطي ، المتوفىٰ سنة (٩١١هـ) .

د ـ مدرسة طبقات القراء :

ومن أقدم الكتب التي تنتمي لهٰذه المدرسة : « طبقات القراء » لأبي عمرو عثمان الداني ، المتوفىٰ سنة (٤٤٤هـ) .

هـ ـ مدرسة طبقات المحدِّثين :

من ذلك : كتاب « الكمال » للشيخ أبي محمد عبد الغني المقدسي ، المتوفىٰ سنة (٦٠٠ هـ) .

و ـ مدرسة طبقات الحفاظ :

لعل أقدم ما ألف في هٰذا هو : « طبقات الحفاظ » للإمام الذهبي ، المتوفىٰ سنة (٧٤٨هـ) .

ز ـ مدرسة طبقات النحاة واللغويين :

والكتاب الغاية في هٰذه المدرسة هو : « بغية الوعاة في تراجم اللغويين والنحاة » ، للإمام السيوطي ، المتوفىٰ سنة (٩١١هـ) .

ح ـ مدرسة طبقات الصوفية :

لقد لقيت طبقات الصوفية اهتماماً كبيراً لدىٰ علماء المسلمين :

فمنها : كتاب « طبقات النساك » لأبي سعيد ابن الأعرابي ، المتوفىٰ سنة (٣٤١هـ) ، وكتاب « أخبار الصوفية والزهاد » لأبي بكر محمد بن داوود بن سليمان النيسابوري ، المتوفىٰ سنة (٣٤٢هـ) ، وكتاب « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمـٰن السُّلَمي ، المتوفىٰ سنة (٤١٢هـ) ، وكتاب « طبقات الأولياء » لأبي حفص عمر بن أحمد المصري المشهور بـ (ابن الملقن) المتوفىٰ سنة (٨٠٤هـ) .

والكتاب الغاية في هٰذه المدرسة : « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » ، وقد اشتهر باسم : « الطبقات الكبرىٰ » للإمام عبد الوهاب الشعراني ، المتوفىٰ سنة (٩٧٣هـ) .

ط ـ مدرسة طبقات الشعراء :

ومن هٰذه المدرسة : كتاب ابن سلام الجمحي ، المتوفىٰ سنة (٢٣٢هـ) ، المسمىٰ : « طبقات الشعراء » .

ي ـ مدرسة تراجم الأسر والعوائل العلمية :

ومن هٰذه المدرسة : كتاب « إنباء البرية بأبناء الأسرة الطبرية » للعلامة السيد عبد القادر الطبري المكي ، المتوفىٰ سنة (١٠٤٨هـ) ، وكتاب « المشرع الروي في مناقب السَّادة بني علوي » للسيِّد المؤرخ محمد ابن أبي بكر الشلّي باعلوي الحسيني ـ تقدم ذكره ـ مطبوع ، وكتاب « البنان المشير في تراجم أعيان آل باكثير » للعلامة الشيخ محمد بن محمد باكثير الكندي الحضرمي ، المتوفىٰ سنة (١٣٥٥ هـ) .

ك ـ مدرسة تراجم الشخصيات المفردة :

نهج بعض المؤلفين منهجاً يتتبعون فيه شخصية واحدة ، فيرصدون أقوالها وأفعالها ومروياتها ، فجعلوا ترجمة تلك الشخصية في كتاب مستقل ، وقد ظهر من هـٰذه الكتب الكثير ، منها : كتاب « سيرة عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ، لابن الجوزي ، ومعظم كتب مناقب الشيوخ تدخل تحت هـٰذه المدرسة .

وهناك مدارس أخرىٰ عدلنا عنها خوفاً من الإطالة .

* * *

ترجمة المؤلّف

اسمه ونسبه الشريف(١) :

هو الإمام العالم الفاضل ، العلامة المتقن ، الحجة المتفنن ، المحدث الثقة ، الزاهد الورع ، الشيخ الأوحد ، السيد الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم. . . بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام ، الحسيني نسباً ، الواسطي نسبةً ، الشافعي مذهباً .

ولادته ونشأته :

ولد ـ رحمه الله ـ في مدينة واسط سنة (٧١٧هـ) ، ثم اشتغل بطلب العلم في بلده ، ثم قدم مصر فسمع بها الحديث ، وبرع في الفقه والأصول ، ثم انتقل إلىٰ دمشق ، فنزل الشامية الجوَّانية(٢) ، واشتغل بالتدريس ، فدرس بالصارمية(٣) ، وأعاد بالشامية البرَّانية(٤) .

---

(١) اتفقت كتب التراجم علىٰ إيراد نفس الكلام عنه مع اختلاف يسير ، وأحياناً تكون بحرفيتها ، فممن ترجم له :
- ابن قاضي شهبة في « طبقات الشافعية » (٣/ ١١٩) .
- عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي في « الدارس في تاريخ المدارس » (١/ ٢٤٨) .
- ابن حجر العسقلاني في « الدرر الكامنة » (٥/ ١٦٠) ، وفي « إنباء الغمر بأبناء العمر » (١/ ١٢٨) .
- محمد بن علي بن أحمد الداوودي في « طبقات المفسرين » (٢/ ١٢٥ـ١٢٦) .
- حاجي خليفة في « كشف الظنون » (٢/ ١٥٩٦ و١٨٣٦) .
- ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (٣/ ٢٠٦ و٣٤٤) .
- عبد الله بن مصطفى المراغي في « الفتح المبين في طبقات الأصوليين » (٢/ ١٩٦) .
- خير الدين الزركلي في « الأعلام » (٦/ ٨٧) .
- عادل نويهض في « معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر » (٢/ ٥١٦) .
- عمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين » (٣/ ٢٢٣) .

(٢) المدرسة الشامية الجوانية : تقع في دمشق ، جنوبي البيمارستان النوري ، أمرت ببنائها الخاتون الكبرىٰ ستّ الشام صاحبة المدرسة الشامية البرَّانيَّة ، وقد أمرت بوقفها مدرسة للشافعية ، علماً أنها كانت داراً لها .

(٣) المدرسة الصارمية : تقع في دمشق ، في أواسط منطقة (الحريقة) ، أنشأها صارم الدين جوهر بن عبد الله .

(٤) المدرسة الشامية البرَّانيَّة : تقع في دمشق في محلة (العونية) في العقيبة الكبرىٰ ، أمرت بإنشائها الخاتون=

شيوخه :

أغفلت كتب التراجم ذكر مشايخه وتلامذته ، مع أنه أكثر في طلب العلم ، وارتحل في سبيل ذلك ، فأثَّر وتأثر بغيره .

ويمكن أن نتعرف علىٰ بعض مشايخه من خلال إشارته إليهم في هٰذا الكتاب ، ومن خلال ما كتبه في ترجمة الإمام النواوي في كتابه « المطالب العلية في طبقات الشافعية »[1] ، فمنهم :

الحافظ المِزِّي (٦٥٤ـ٧٤٢هـ) :

جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمٰن بن يوسف المِزي ، القضاعي ، الدمشقي ، محدث الديار الشامية في عصره ، ولد بظاهر حلب ، ونشأ بالمِزَّة ـ من ضواحي دمشق ـ وتوفي في دمشق .

مهر في اللغة ، ثم في الحديث ومعرفة رجاله ، لم تر العيون مثله ، وصنف كتباً ، منها : « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » ، و« تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » .

كان حجة ، كثير العلم ، حسن الأخلاق ، صادق اللهجة ، متواضعاً ، حليماً ، مقتصداً في ملبسه ومأكله ، كثير المشي في مصالحه .

وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه « المطالب العلية في طبقات الشافعية » عند ترجمته للإمام النواوي : أنه سمع « الأربعين » للإمام النواوي على الشيخ جمال الدين المِزي تلميذ النواوي .

ابن النقيب (٦٦١ـ ٧٤٥ هـ) :

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم ، قاضٍ شافعي ، مفسِّر ، دمشقي ، مولده ووفاته بدمشق .

ولي الحكم في حمص وطرابلس ، ثم بحلب ، ثم رجع إلىٰ دمشق فولي الشامية وحدَّث .

= الكبرىٰ ست الشام رحمها الله تعالىٰ ، وكانت أكبر مدرسة للشافعية .

(١) « المطالب العلية في مناقب الشافعية » مخطوط (الورقة ١٩١ـ١٩٢) .

وأثنىٰ عليه السبكي ثناءً حسناً فقال عنه : (شيخنا ، قاضي القضاة ، شمس الدين ابن النقيب. . .) إلىٰ أن قال : (وصاحَبَ النواوي ، وأعظم بتلك الصحبة رتبة عليَّة ، وله الديانة والعفَّة ، والورع الذي طرد به الشيطان وأرغم أنفه ، وكان من أساطين المذهب ، وجمرة نار ذكاء ، إلا أنه لا يلتهب) .

وكان يقول عن نفسه : إنه ما يموت إلا ليلة الجمعة ، فكان كذلك ، ووافق (١٢) ذي القعدة سنة (٧٤٥ هـ) بالمدرسة الشامية ، ودفن بقاسيون .

من كتبه : « التأليف في التفسير » .

الفَزَاري (٦٦٠ـ٧٢٩هـ) :

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمـٰن بن إبراهيم بن سباع الفزاري ، ابن الفركاح ، من كبار الشافعية ، مصري الأصل من أهل دمشق ، من بيت علم ، عُرض عليه قضاء قضاة الشام. . فأبىٰ ، كان منقطعاً للتدريس والعبادة ، وتوفي في دمشق .

من كتبه : « تعليق على التنبيه » ، ولعله الكتاب الذي ينقل منه المؤلف رحمه الله عندما يقول : قال شيخنا ، ولا سيما أنه مذكور في فهرس المصادر التي وجدت علىٰ إحدى النسخ ، ومنها : « باعث النفوس إلىٰ زيارة القدس المحروس » ، وغيرها كثير .

كتبه :

برع المؤلف ـ رحمه الله ـ في علوم كثيرة ، فكان ذلك سبباً في تعدد مصنفاته وتنوعها ، فمن تصانيفه :

ـ مختصر « حلية الأولياء » لأبي نُعيم ، سماه : « **مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب** » ، وهو هـٰذا الكتاب ، وسيأتي الكلام عنه مفصلاً فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

ـ جمع تفسيراً كبيراً سماه : « تفسير القرآن » ، عني فيه بالكشف عن حقائق القرآن ومراميه ، وبلاغته وفصاحة مبانيه .

ـ « المطالب العلية في مناقب الشافعية » ، وهو من مخطوطات مكتبة فيض الله في إستنبول برقم (٥٢٥) .

ـ شرح مختصر ابن الحاجب المسمىٰ « منتهى السؤل والأمل في عِلْمَي الأصول والجدل »

في ثلاثة مجلدات ، نقل فيه كلام الأصفهاني ، ونقل من شرح القاضي تاج الدين السبكي فوائد ، وصرح بنقلها عنه[1] .

- « الرد على التناقض للإسنوي » ، قال الحافظ شهاب الدين ابن حجي السعدي : سمعته يعرض بعضه على القاضي بهاء الدين أبي البقاء السبكي قبل سفره إلىٰ مصر ، ويقرأ عليه فيه .

- « شفاء السقام في زيارة خير الأنام »[1] .

- « إشراق الصباح في حياة الأرواح » ، وقد ذكره في مقدمة كتابنا هـٰذا يتحدث فيه عن المحبة وشروطها وحقيقتها . . . إلخ .

- « الجوهر الفريد » ، ويتحدث فيه عن المقامات والأحوال ، ذكره كذلك في كتابنا هـٰذا مرتين في ترجمة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله .

مكانته العلمية وصلاحه وزهده :

إن للإمام محمد بن الحسن الواسطي رحمه الله تعالىٰ مكانةً عظيمةً تشهد بعلمه الغزير وصلاحه العظيم وزهده .

فأما علمه الغزير : فتراه واضحاً جلياً في كتابه « المجمع » الذي بين أيدينا ، فانظر حيث شئت في الكتاب . . تر التحقيقات العلمية الكثيرة .

وقد عاصر رحمه الله تعالىٰ كبار أهل العلم رفقةً وشيوخاً .

فعلىٰ سبيل المثال : دراسته على الشيخ الإمام الحافظ أوحد عصره جمال الدين المزي الذي كان من تلامذته أيضاً :

- الإمام الحافظ الذهبي (ت : ٧٤٨ هـ) .
- والإمام تقي الدين السبكي (ت : ٧٥٦ هـ) .
- والإمام شمس الدين ابن عبد الهادي (ت : ٧٤٤ هـ) .

وغيرهم من كبار الأئمة والحفاظ رحمهم الله تعالىٰ .

---

(١) « تاريخ الأدب العربي » لبروكلمان (٦/ ١٢٣ـ١٢٤) .

وعلى الرغم من جلالة معاصرية. . فقد ارتقىٰ كرسيّ التدريس في مدرسة الصارمية بدمشق ، وأعاد[1] في المدرسة الشامية البرّانيّة التي كان لها شهرة عالية في دمشق وخارجها ، فقد كانت أكبر جامعةٍ للشافعية ، مثلما كانت النورية للحنفية ، والعمرية للحنابلة ، وكان يجري عند افتتاحها وإغلاقها حفلات رسمية كبيرة يحضرها العلماء والأمراء الكبار .

ومما يشهد بسعة علمه أيضاً تآليفه الكثيرة التي أشرنا إلىٰ بعضها آنفاً ، فقد برع في شتى العلوم من فقه ومنطق ولغة ، وخاصة التفسير الذي لا يخوض غماره إلاَّ كلُّ نحرير .

وأما صلاحه وزهده : فهو أكثر ما يكون في كتابنا « المجمع » ، تدلك عليه تلك العبارات النورانية التي ترقىٰ بروحك إلىٰ مقامٍ تنفطر منه الجبال ، وتنخلع له القلوب ، تلك العبارات التي تتقاطر صدقاً وإخلاصاً ، ولعلَّ هٰذا الصلاح الشديد والزهد الكبير كان السبب الرئيس في قلة المراجع التي تتحدث عنه رغم جلالة قدره وسعة علمه ؛ لأنه آثر الانعزال والانجماع عن الناس على الشهرة والظهور .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

وفاته :

توفي ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول ، سنة ست وسبعين وسبع مئة (٧٧٦هـ) ، ودفن في دمشق عند مسجد القدم .

رحمه الله رحمة الأبرار

* * *

---

(١) المعيد : مرتبة تأتي في المقام الثاني ضمن مراتب التدريس بعد المدرس ، والمعيد بالأصل : هو الذي يعيد للطلبة ما ألقاه المدرس بعد انصرافه ؛ ليفهموه ويحسنوه .

عصر المؤلف

الحالة السياسية والاجتماعية في القرن الثامن الهجري :

جاء هـٰذا القرن ودولة المماليك البحرية[1] تتولىٰ شؤون الديار المصرية والشامية ، ثم زالت هـٰذه الدولة سنة (٧٨٤هـ) ، وقامت علىٰ أنقاضها دولة المماليك الثانية التي تسمىٰ : (البرجية) أو (الشراكسة)[2] ، وقد فوجئت مصر والشام في أثناء ذلك القرن باضطرابات وحروب ذهب ضحيتها دماء غزيرة .

ولم تكن الحالة في الشرق وبلاد المغرب والأندلس بأحسن منها في مصر ؛ فقد كان التتار يطمعون في امتلاك مصر والشرق ويتطلعون إلىٰ ذلك ، ويبذلون كل ما في وسعهم من جهد لتحقيق آمالهم ، وكانت الحرب سجالاً بينهم وبين المسلمين .

كما أن المسلمين فقدوا الفردوس الإسلامي وهو الأندلس ، وكان ملوكها يستغيثون بملوك المغرب فكانوا يغيثونهم من حين لآخر ، وكان آخر هـٰذه الإغاثات سنة (٧٤٠هـ) ، فتجمعت عليه جيوش قشتالة البرية وملك البرتغال البحرية وحاصروا جيوش المسلمين ، وكانت وقعة هُزم فيها المسلمون ، وتلا ذلك شقاق بين ملوك المغرب الأقصىٰ ، وثورات داخلية .

وأبسط دليل علىٰ تلك الثورات والنزاعات الداخلية . . أنك ترىٰ في مدة تملك المماليك البحرية والتي كانت بين سنة (٦٤٨هـ) و(٧٩٢هـ) : استلام أكثر من ثلاثين أميراً ، قُتل منهم عشرة أمراء ، وخُلع منهم اثنا عشر أميراً ، وحصلت فتن بينهم وبين بني حفص ملوك تونس ، وأصيب كثير من العلماء الأحرار الذين لا يصانعون ولا يدارون .

ولا شك أن للاضطراب السياسي آثاراً سلبية على الوضع الاجتماعي ؛ إذ العلاقة وطيدة

---

(١) البحرية : جماعة من المماليك ، كانوا يبيتون بهدف الحراسة ، أول من رتبهم وسمّاهم : نجم الدين أيوب .

(٢) البرجية أو الشراكسة : وهي التي حكمت مصر وامتد نفوذها فيما بعد إلى الشّام والحجاز في الفترة ما بين (٧٨٤ـ ٩٢٣ هـ / ١٣٨٢ـ ١٥١٧ م) وسبب هـٰذه التسمية : أنَّ هـٰؤلاء المماليك استقدموا علىٰ هيئة عبيدٍ من بلاد الكركيز والقبجاق ، واستخدموهم في حماية القلاع والحصون ، فكانت إقامتهم في أبراجها .

بينهما ، فكانت الأسواق والمتاجر تزيَّن عند كل مناسبة من تنصيب أمير جديد ، أو ولادة زوجته ، أو ختان ولده ، وما شابه ذلك من المناسبات التي يُفرض على الناس الاحتفال فيها ، مع ما يرافق ذلك من إنفاق الأموال في غير طائل ، وشغل الناس بأشياء تافهة ، وكثرة الجبايات ، ومع ذلك . . كان تطور الصناعات وتعددها ملحوظاً في ذلك العصر خاصة ، وقد أصبحت دمشق والقاهرة حاضرتي العالم الإسلامي آنذاك .

الحالة العلمية :

كانت بلاد الشام ومصر في القرنين السابع والثامن كنفاً للعلماء ، وخاصة بعد سقوط بغداد ـ عاصمة الخلافة ـ بيد التتار سنة (٦٥٦هـ) ، والتي كانت تزخر بالعلماء من كل أصقاع الأرض ، والذين توجهوا بعد ذلك إلىٰ دمشق والقاهرة ، وخاصة بعد أن وجدوا التشجيع من الأمراء والسلاطين ، وازداد عدد المدارس التي ابتدأ بناءها نور الدين الشهيد ، واستمرت في العهد المملوكي .

وأصبحت دمشق أعظم جامعة إسلامية عربية ، حوت العلوم الدينية والدنيوية ، فلم تكن دون القاهرة بأزهرها ، وبغداد بمدرستها النظامية ؛ فقد ظهر الكثير من العلماء والشعراء والأدباء والأطباء والمهندسين .

ونبغ أفراد في هـٰذا العصر ، ولاسيما في الفلك والتاريخ والجغرافية والحديث والشعر والأدب والطب والهندسة .

* * *

الكلام عن « مجمع الأحباب »

الحديث عن كتاب « مجمع الأحباب » يبدأ من كتاب « حلية الأولياء » للحافظ أبي نُعيم ؛ فكتاب « المجمع » استُمِدت روحه ونُسجت خيوطه من كتاب « الحلية » ، لذا فلابد لنا أن نعرِّج أولاً إلىٰ كتاب « حلية الأولياء » ، ونتعرف عليه وعلىٰ مؤلفه ؛ حتىٰ تتكون لنا المعرفة اللازمة قبل الشروع في المقصود .

الحافظ أبو نعيم[1]

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني ، كان فارسياً ، وكان جده الأعلىٰ مهران مولىٰ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب .

وبلده إصبهان[2] قال فيها ياقوت : (وقد خرج من إصبهان العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن ، وعلى الخصوص علو الإسناد ؛ فإن أعمار أهلها تطول ، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث ، وبها من الحفاظ خلق لا يُحصَون) اهـ

ولد في رجب سنة (٣٣٦هـ) ، وتوفي في (٢٠) محرم سنة (٤٣٠هـ) ، عن أربع وتسعين سنة .

قال فيه الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » : (هو الإمام الحافظ ، الثقة العلامة ، شيخ الإسلام ، صدوق ، عالم بهٰذا الفن) اهـ

وقال عنه ابن خلكان : (الحافظ المشهور ، صاحب كتاب « حلية الأولياء » ، كان من الأعلام المحدِّثين ، وأكابر الحفاظ الثقات ، أخذ من الأفاضل ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به) .

---

(١) استقيت المعلومات عن الحافظ أبي نعيم وكتابه « الحلية » من كتاب : « أبو نعيم حياته وكتابه الحلية » للأستاذ محمد لطفي الصباغ ، دار الاعتصام (١٣٩٨هـ) الطبعة الثانية .

(٢) إصبهان : بكسر الهمزة وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء ، ويقال بالفاء أيضاً : (أصفهان) .

وقال الخطيب البغدادي فيه : (لم أر أحداً أُطلِق عليه اسم الحافظ غير رجلين ، هما : أبو نعيم الإصبهاني ، وأبو حازم البدوي الأعرج) .

وهٰذا ثناء كبير من الخطيب البغدادي على اثنين من شيوخه ، أحدهما أبو نعيم ، خصهما بأنه لم ير أحداً أُطلِق عليه اسم الحافظ غيرهما .

وقد أتيحت للحافظ أبي نعيم في حياته شهرة نادرة المثال ، وأهم أسباب ذلك :

- طول عمره ؛ فلقد عمَّر أربعاً وتسعين سنة ، وكان متمتعاً بقواه العقلية ، ونشاطه العلمي .

- عُلُوُّ أسانيده ، وتفرده بالرواية عن أقوام متقدمين ، وكان الفضل في ذلك بعد الله لأبيه ؛ فقد استجاز له أبوه عن طائفة من شيوخ العصر ، حتىٰ تفرد في آخر عمره في الدنيا بالرواية عنهم ، حتىٰ قال الذهبي عن ذلك : (وتهيأ له من لقاء الكبار ما لم يقع لحافظ) ، وقال الذهبي في موضع آخر : (كما تفرد بالسماع من خلق) .

وهٰذا التفرد بالرواية . . مكَّنه من إلحاق الصغار بالكبار ، والأحفاد بالأجداد .

- كثرة مؤلفاته ، وجمعه في شخصيته لجوانب متعددة ؛ فهو محدث كبير ، وصوفي شهير ، ومشارك في العلوم الأخرىٰ ، فقد وصفوه بالعلم ، والحفظ ، والفقه ، كما وصفوه بحيويته وسعة اتصالاته ، وكثرة تلامذته ، ومشايخه .

* * *

كتاب « حلية الأولياء »

كتاب « الحلية » كتاب نافع وممتع في آن واحد ، ويسد فراغاً في المكتبة الإسلامية ، ويكاد يتفرد في ذلك .

ولمعرفة منهج الكتاب . . فإن « حلية الأولياء » كتاب في تراجم الزهاد ، والعباد ، والصالحين ، وقد بنى المؤلف كتابه علىٰ أساس الترتيب الزمني بوجه عام ، وإن لم يكن قد التزم ذلك الترتيب باطراد . .

بدأ المؤلف بالعشرة المبشرين بالجنة ، ثم أورد زهاد الصحابة ، ثم أهل الصُّفَّة ، ثم التابعين ، وتابعيهم ، ثم من يليهم إلىٰ عصره ، ولـٰكنه لم يذكر أعلامه كلهم مرتبين علىٰ درجات الفضل ، ولا على المواليد ، ولا على الوفيات ، ولا على البلدان ، وخصوصاً في أواخر الكتاب ، فلا يكاد الباحث يهتدي إلىٰ موضع الرجل الذي يريد إلا بعَناء ، وقد علل ذلك بأنه لا يريد أن يستفاد من هـٰذا الترتيب تقديم فرد علىٰ فرد .

خصائص كتاب « حلية الأولياء » :

لكتاب « الحلية » محاسن كثيرة ، نذكر منها :

ـ في هـٰذا الكتاب يرى الإنسان مُثُلاً عليا فاضلة ، يعِزُّ وجودها في دنيا الواقع ، وهـٰذه الخاصية من أهم خصائص هـٰذا الكتاب ؛ ذلك لأن الإنسان ـ عموماً والخَيِّر المتدين بخاصة ـ يحب أن يعيش ولو لمدة يسيرة في مستوىً رفيع سامٍ مع الذرىٰ والقمم ، وإن لم يتيسر له ذلك . . فهو حريص علىٰ أن يقرأ أخبارهم ، ويصغي إلىٰ كلماتهم .

إنه يريد أن يحيا في فِكرِه ، وبينه وبين نفسه مع أخبار هـٰؤلاء الناس الأفاضل ، الذين يَحْيَون الحياة المستقيمة النظيفة ، ما دام لا يستطيع أن يراهم في عالم الواقع ، وكلما فسد الزمان ، وقل الصالحون . . ازداد تعلق الطيبين بأخبار هـٰؤلاء وتتبع أحوالهم .

ومن هنا كان هـٰذا الكتاب محل إعجاب كثير من الناس ، حتىٰ أضحىٰ كثير مما فيه غذاءً للأرواح نافعاً .

ـ لعل هٰذا الكتاب أوسع كتاب في ذكر أسماء النساك والعباد ، وقد ذكر المؤلف أكبر عدد منهم من عصر الصحابة حتىٰ عصر تأليفه .

ـ وأيضاً هو من أغنى الكتب المليئة بالحِكَم المختارة النافعة ، والكلمات المؤثرة الرائعة ، وأقوال العلماء والوعاظ ، وأرباب القلوب .

ـ وفيه أيضاً مجموعة قيمة من الأدعية الجميلة ، والمناجاة الإلٰهية التي صيغت بلغة راقية ، وأسلوب محكم ، وكذلك فيه مجموعة كبيرة من المقطعات من الشعر الإلٰهي .

ـ وفيه حكايات مشوقة تأخذ بالألباب ، وقد تكون هٰذه الخصيصة من أهم العوامل التي أكسبت الكتاب شهرة فائقة ، وجعلت الناس يتعلقون به .

ـ وفي هٰذا الكتاب أحاديث كثيرة ، تفرد بها المؤلف ، وربما لا يجدها الباحث في غيره ، وكذلك في الكتاب تحقيقات حديثية جيدة تتصل بعلل الحديث .

بهٰذه الخصائص وغيرها كان الكتاب ذا أهمية ، وقد تبوأ مكانة كبيرة في حياة مؤلفه ، وعبر العصور التي تلت ، حتىٰ قال ابن ناصر الدين : (ولما صُنِف كتاب « الحلية ».. حملوه إلىٰ نيسابور ، فبيع بأربع مئة دينار) .

وحتىٰ قال الحافظ السِّلَفي فيه : (لم يُصنَّف مثل كتابه « حلية الأولياء ») .

ويا لها من شهادة من الحافظ السلفي رحم الله الجميع !

الكتب المؤلفة حوله :

ألفت كتب عدة حول هٰذا الكتاب ؛ لأهميته وشهرته ، وحيوية موضوعه ، وثناء الناس عليه واشتغالهم به ، وسنذكر في هٰذا ما تسمح به الفرصة :

ـ « صفة الصفوة » لابن الجوزي :

بدأ فيه بذكر فضل الأولياء والصالحين ، ثم أردفه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرح أحواله وآدابه وما يتعلق به ، ثم بذكر المشهورين من الصحابة ، ثم المصطفيات من الصحابيات ، ثم التابعين ومَن بعدهم علىٰ طبقاتهم في بلدانهم ، وقد طبع هٰذا الكتاب طبعات متعددة .

ـ « مختصر صفة الصفوة » تأليف الإمام الشعراني ، المتوفىٰ سنة (٩٧٣هـ) ، وقد طبع في مصر في مطابع المنار ، بعناية السيد رشيد رضا .

ـ « النديم والخلوة ، والمن والسلوىٰ ، والروضة والقهوة ، المنتخب من صفة الصفوة » تأليف علي الخراط ، المتوفىٰ سنة (٧٣٩هـ) ، ذكر بروكلمان أن منه نسخة خطية في (داماد إبراهيم) في تركيا بخط المؤلف .

ـ « تقريب البغية في ترتيب أحاديث الحلية » ، تأليف الحافظ نور الدين الهيثمي ، المتوفىٰ سنة (٨٠٧هـ) ، رتب أحاديثها على الأبواب ، ذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في دار الكتب بالقاهرة .

ـ « البغية في ترتيب أحاديث الحلية » تأليف عبد العزيز بن محمد بن الصديق ، والمؤلف معاصر ، والكتاب مطبوع ، نشرته مكتبة الخانجي بمصر .

ـ « أحاسن المحاسن » اختصره من « صفة الصفوة » تأليف إبراهيم بن أحمد الرقي الحنبلي ، المتوفىٰ سنة (٧٠٣هـ) ، ذكره بروكلمان وحدد أماكن وجود مخطوطاته : في برلين ، والإسكندرية ، وليبسك ، وبروسه .

ـ « نظم رجال حلية الأولياء » تأليف محمد بن جابر ، ألفه سنة (٧٩٣هـ) ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة خطية في القاهرة .

وأخيراً : فقد طُبع كتاب « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » للحافظ أبي نعيم في القاهرة بمطبعة السعادة بمصر سنة (١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م) ، وقد قوبلت علىٰ عدة نسخ خطية ، وقد أشرف علىٰ طباعتها أهل العلم ، وعليها تعليقات طيبة نافعة ، وشرح للكلمات الغامضة ، وتصحيح التصحيفات والأغلاط بالرجوع إلى المصادر ، وقد صورت هـٰذه الطبعة في بيروت ، ونشرها دار الكتاب العربي في لبنان في عشرة مجلدات .

ولعل في هـٰذه العجالة ما يبين ويوضح العمل الجليل الذي قام به الإمام الواسطي رحمه الله تعالىٰ ؛ حيث إنه ذكر « حلية » أبي نعيم ومدحها ، ثم استطال الكتاب بالأسانيد والتكرار ، واستقل اختصار ابن الجوزي فقال :

(أحببت أن أجمع كتاباً يكون لمحاسنه حاوياً ، ولما سوىٰ ذلك طاوياً ، وأحذف الأسانيد والحكايات المتكررة ، مع زيادة تراجم أئمة. . .) .

* * *

مضمون « مجمع الأحباب »

ترجم الإمام الواسطي ـ رحمه الله ـ لأربعةٍ وخمسين صحابياً من الرجال ، ولزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعشر صحابيات من غير زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ترجم للفقهاء السبعة ، وعدد كبير من التابعين مِن بعدهم ، وكان النصيب الأكبر في هـٰذا الكتاب لتراجم طوائف من جماهير النساك والعلماء والعُبَّاد من الرجال ، وألحقها بعدد من النساء المصطفيات ، فبلغ عدد تراجم الكتاب بذلك (٣١٠) ترجمة .

ثم أضاف جملة من العُبَّاد الذين عُرِف حالهم وخفيت أسماؤهم من الرجال والنساء ، ثم ترجم للعادل نور الدين الشهيد ولدولته النورية ، وكذلك للسلطان صلاح الدين الأيوبي ودولته الصلاحية ، ثم ختم الكتاب بذكر مقامين :

الأول : في قصص بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم سيدنا آدم ، وسيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام

الثاني : في سعة رحمة الله .

رحمنا الله وإياه ووالدينا وإخواننا والمسلمين ، والقارئين لهـٰذا الكتاب ، آمين .

منهج الواسطي ـ رحمه الله ـ في كتابه :

ـ يبدأ ـ رحمه الله ـ بذكر اسم المترجَم له بقوله : ومنهم الإمام ، وإذا كان مشهوراً بكنية أو بلقب. . يذكرهما ؛ كقوله : أبو عبد الرحمـٰن مثلاً ، أو أمير المؤمنين في الحديث ، وربما ينسبه إلىٰ بلده ؛ كقوله : النيسابوري مثلاً .

ـ وبعد ذكر الاسم يشرع في بيان أحواله ومناقبه ، وربما قدم ولادته ومنشأه عليهما أولاً ، وإن قيل في المترجَم : له كلام كثير يحسن ذِكرُه . . ذكر منه الإمام الواسطي ـ رحمه الله ـ ما يناسب هـٰذا الكتاب ، مما تعهد به من بيان أحوال أهل الإيمان وجليل أوصافهم .

ـ التزم الإمام الواسطي ـ رحمه الله ـ في التراجم الأولىٰ بأن يختم الترجمة بخلاصة تبين أهم ما جاء في الترجمة من مناقبه الجليلة .

ـكان الإمام الواسطي ـ رحمه الله ـ يظهر شخصيته العلمية في التعليق علىٰ بعض الأخبار ، إما بالتعليل أو بالقبول أو بالرد حسب ما تقتضيه قواعد العلوم الشرعية ، ويبتدىء ذلك بقوله : قال مؤلفه محمد بن الحسن عفا الله عنهما .

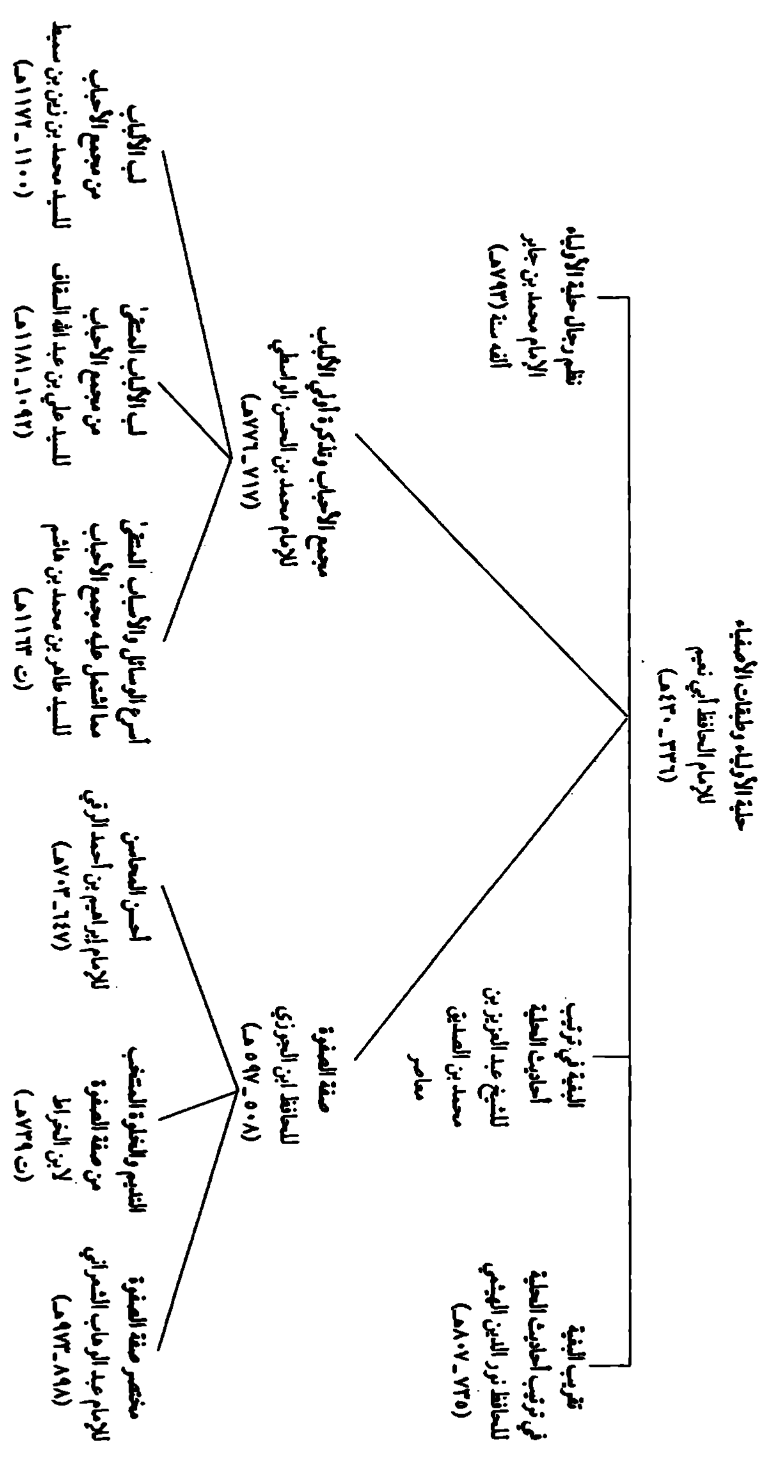
ـ استخدم المؤلف ـ رحمه الله ـ منهجاً أصولياً في بعض الأحيان لتعليل الأخبار ، كما فعل في ترجمته للسيدة فاطمة رضي الله عنها في بحث الأفضلية .

ـ التزم المؤلف ـ رحمه الله ـ غالباً بما أشار إليه في مقدمته بقوله : وكل ما أذكره في كتابي هـٰذا أضيفه إلىٰ قائله ، أقول في أوله : (قال فلان) ، وفي آخره : (انتهىٰ) .

ـ أما بالنسبة للأحاديث . . فقد يذكر الحديث جامعاً بين روايتيه ، أو يقول : رُوِّينا في « الصحيحين » ويكون اللفظ لأحدهما ، فإذا جاء بالحديث مرةً واحتاج إليه أخرىٰ . . اكتفىٰ بذكر أول الحديث .

ـ قد يذكر كامل الأخبار في الترجمة الواحدة من كتاب واحد ، وقد يأتي بالأخبار من كتب عدة ، ويضعها في ترجمة واحدة .

* * *



مخطط توضيحي لكتاب « حلية الأولياء »

علماء حضرموت وعنايتهم بكتاب « مجمع الأحباب »

بقلم/ محمد أبو بكر باذيب

في مطلع القرن الثاني عشر الهجري كانت بلدان حضرموت ـ وبالأخص مدينة تريم ـ تشهد حركة علمية ودَعَوية ، ونشاطاً ملموساً في طلب العلم ، وكان المحرِّك الأكبر لتلك الحركة ، والمشعِل لجذوتها . . هو سيدنا إمام الدعوة والإرشاد ، مجدد الإسلام في القرن الثاني عشر الهجري ، العلامة الداعي إلى الله عبد الله بن علوي الحداد ، الحسيني ، المتوفىٰ بتريم سنة (١١٣٢هـ) .

لا نقول إن حضرموت عَدِمت العلماء أو الدعاة قبل هٰذا الإمام ، ولٰكنا نقول : إن نقلة نوعية حصلت بعد تربع هٰذا السيد الجليل علىٰ منصة الدعوة ، وإرشاد العباد في وادي حضرموت ؛ إذ التفَّ حوله كوكبة نيرة من أهل القلوب الحية ، والنفوس المطمئنة ، وطفقوا يقرؤون في أمات الكتب عند شيخهم المذكور ، وراحوا ينقبون عن كنوز التراث ، وعيون المصنفات في شتى الفنون ، ولا يتسع المقام لبسط الكلام في هٰذا الجانب .

وقد كان لكتاب « مجمع الأحباب » للعلامة الواسطي الحسيني . . شأن جليل عند الإمام الحداد ، وكذلك عند تلامذته .

ولوصول هٰذا الكتاب إلىٰ حضرموت ، وشهرته وتداوله بين أهل العلم . . قصة لطيفة طريفة ، أوردها تلميذه المخلص الودود ، سيدي الإمام محمد بن زين بن سميط الحسيني (ت١١٧٢هـ) في مقدمة اختصاره له ـ الآتي ذكره لاحقاً ـ قال رحمه الله :

وكان التقاطي وجمعي لذلك من نسخة سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به ، وليس الموجود في جهة حضرموت حال الكتابة(١) غير النسخة المذكورة .

ثم ذكر من عناية الإمام الحداد به : أنه لا يكاد يعيره أحداً دون سائر كتبه ، وكان يُقرأ

(١) وذلك سنة (١١٤٠هـ) .

عليه غالباً في شهر رمضان كلَّ سنةٍ ، وكان يُعْجَبُ به عند قراءته عليه كما رأينا ذلك ، وكانت النسخة التي صارت إليه في ثلاثة أسفار .

قصة وصول المجمع إلىٰ (تريم) :

قال الحبيب محمد بن زين بن سميط رحمه الله :

(وكان سبب صيرورة هٰذه النسخة إليه : أن بعض السادة جاء بسِفْرٍ من ذلك من اليمن ، فعرضه علىٰ سيدنا أحمد بن زين الحبشي ، فأشار عليه أن يهديه لسيدنا الأكبر عبد الله بن علوي الحداد ، وأن ذلك يعجبه جداً ، ولو أعطاه ذلك . . لكان أعظم من الدنيا بحذافيرها ، فحصلت لذلك نية ، فأهداه ، فاغتبط به كما ذكرناه ، وبقي يسأل عن بقية الكتاب المذكور ، ويفحص عنه أشد الفحص ، ويوصي من سافر إلى اليمن أن يبحث عنه ، فسار من سبقت له السعادة من السادة إلىٰ صنعاء ، وعزم على التفتيش والفحص عن هٰذا الكتاب ؛ لِما رأىٰ من سيدنا عبد الله وسؤاله وبحثه عنه ، وتعويله عليه ، فأتمّ الله له نيته بأن وجده ، فكملت تلك النسخة بعينها ـ تماماً ـ للسِّفر الذي سبق إليه هدية من قبل .

وكان سيدنا الإمام أحمد بن زين الحبشي يعد ذلك من كرامات سيدي ؛ حيث ظفر بالنسخة تلك بعينها) انتهىٰ كلام الإمام ابن سميط بتصرف[1] .

ومما تقدم من النصوص المنقولة عن بعض كبار علماء ومؤرخي ذلك الزمان . . يتضح لنا سبب ذلك الاهتمام بكتاب « المجمع » ، حتىٰ تداعىٰ ثلاثة من أجلة العلماء على اختصاره وتهذيبه ؛ لما رأوا فيه من أخبار صادقة ، وحكايات نافعة عن السلف الصالح .

وسوف نعرض في هٰذه السطور لأبرز وأهم الأعمال الكتابية التي وضعت علىٰ كتاب « مجمع الأحباب » ، وهو جانب مضيء وهام من التاريخ العلمي لعلماء الحضارمة .

فأول وأجلّ من اهتم بكتاب « المجمع » من تلامذة الإمام الحدّاد : هو تلميذه وخليفته ، السيد الإمام الجليل أحمد بن زين الحبشي العلوي المتوفىٰ ببلدته المسماة (خلع راشد) ، والتي عرفت فيما بعد باسم : (حوطة أحمد بن زين) سنة (١١٤٤هـ) .

فهو الذي أشار على السيد محمد بن زين بن سميط ـ الآتي ذكره ـ أن يختصر الكتاب ، إبّان وجود السيد محمد بتريم في سنة (١١٤٠هـ) ، فامتثل أمره ، واغتنم إشارته ، وقام بذلك العمل المبرور .

---

(١) مقدمة « لب اللباب » لابن سميط (ص ٢ـ٣) (مخطوط) .

قال ابن سميط : (ولما جمعت ما جمعت . . عرضته جميعه علىٰ سيدي وقدوتي أحمد بن زين الحبشي ، فاستحسنه كثيراً ، وأمرّه جميعه علىٰ خاطره إلىٰ آخره ، وقرّره ، ونقل منه في « سفينته » نحو سبعين ورقة ، وذلك هو المأمول والمرغوب ، كما قال الشاعر المجيد :

يكون أجاجاً دونكم ، فإذا دنىٰ ... إليكم تلقّىٰ طيبكم فيطيب) اهـ[(١)]

فقوله : (إنه نقل في « سفينته » منه « ٧٠ » ورقة) . . دليل على اعتنائه به واهتمامه ، فلم يكن إرشاده ابن سميط أن يختصره مجرد إشارة ، ولـٰكن كأنه أراد أن يعينه في الاختصار ؛ لينقل عنه في « سفينته » العظيمة المشار إليها ، وكأنه لم يرد أن يخبر تلميذه ابن سميط بما نواه ، حتىٰ أتم عمله ذلك ، فلما أنجز المختصر . . أخذه منه ، ونقل عنه .

فلذا نلمس شدة فرح الإمام ابن سميط بما فعله شيخه معه ؛ إذ إنه نقل عنه ، فما أسعد التلميذ والمريد عندما يجد تشجيعاً من شيخه ، وحفزاً لهمته ، وتطييباً لخاطره ، ولا غرو ؛ فإن أولـٰئك الأئمة لم يصلوا إلىٰ ما وصلوا إليه . . إلا بمثل هـٰذه الأخلاق ، والنفسيات العالية ، والهمم الراقية رضي الله عنهم .

و« السفينة » المشار إليها : عبارة عن كشكول أو مجموع يجمع فيه العالم ما يقف عليه من شوارد المسائل ، وغرر الفوائد .

و« سفينة الإمام أحمد بن زين » هـٰذه تقع في (٢٠) مجلداً ، كما سمعنا من شيوخنا ، وكما ذُكِرَت في « مناقبه » لتلميذه ابن سميط ، وقد تفرقت عبر السنين المتطاولة ، إلا أن الحق سبحانه قيض بعض النابهين من أحفاد هـٰذا الإمام ، فجمع منها ما يقرب من (١٢) مجلداً[(٢)] .

الثاني من المعتنين بـ« المجمع » : السيد العلامة المهاب ، الصادع بالحق طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي[(٣)] ، المولود بتريم ، والمتوفىٰ بها سنة (١١٦٣هـ) .

---

(١) « مختصر ابن سميط » (ص ٤) (مخطوط) .

(٢) وهو : أخونا السيد الفاضل ، المجد في طلب العلم والتفقه في الدين ، السيد عبد الرحمـٰن بن طـٰه بن عبد القادر بن سالم بن طـٰه بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ـ وفقه الله تعالىٰ ـ معيد بكلية الشريعة بجامعة الأحقاف بتريم حضرموت .

(٣) ترجمته في « حاشية شمس الظهيرة » (٢/ ٥٨٧) ، و« الفرائد الجوهرية » للسيد عمر بن علوي الكاف (٣/ ٧٩٧) .

وصفه مترجموه بأنه : كان عالماً عاملاً ، ولياً فاضلاً ، ورعاً زاهداً ، من الدعاة إلى الله سراً وجهراً ، وكان ينصح الولاة والحكام ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وجرت له مع السلطان عمر بن جعفر الكثيري[1] مراسلات ومكاتبات ، تضمنت النصح له ، وتحذيره من عواقب الظلم الوخيمة . . . وانتهت ببعد المترجم عنه ، وهجره له لمَّا لم يستجب للنصح .

وقد أورد أحد أحفاده وهو السيد العلامة الأستاذ محمد بن هاشم ، المتوفىٰ سنة (١٣٨٧هـ) بعضاً من رسائله السياسية تلك في كتابه « تاريخ الدولة الكثيرية »[2] .

ووقفت علىٰ « منظومة » له في الفلك ، وهي دليل علىٰ تفننه وتوسعه في العلوم الشرعية والكونية .

اختصر العلامة الإمام طاهر بن هاشم « مجمع الأحباب » في كتاب سماه : « أسرع الوسائل والأسباب إلىٰ درك ترياق الألباب المنتقىٰ مما اشتمل عليه مجمع الأحباب » ، وهو في ستة أجزاء ، توجد منه نسخة بمكتبة جامع تريم ، برقم من (١٩٨٣) إلىٰ (١٩٨٨) كتبت سنة (١٢٥٩ هـ) .

منهج العلامة ابن هاشم في « مختصره » :

ذكر أنه اختصر « المجمع » إلىٰ نحو نصفه ، ولم يترك أحداً من المترجمين ، بل شملهم بالترجمة كلهم .

ثم قال : (ولما تقارب الزمان ، ودنا ظهور أشراط الساعة العظام . . عنّ لي أن أختم الكتاب بذكر أشراط الساعة ، وذكر الموت وأهواله ، وذكر الساعة وما بعدها . . .) إلخ .

ومصادره في الخاتمة هـٰذه :

ـ « الإشاعة لأشراط الساعة » للعلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي ، وهو مطبوع[3] .

ـ « القول المختصر في علامات المهدي المنتظر » للإمام الشيخ ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) ، مطبوع .

---

(١) ينظر « تاريخ الدولة الكثيرية » للسيد محمد بن هاشم (ص/ ٩٦ـ١٠٥) .

(٢) (ص/ ١٠٤ـ١٠٥) .

(٣) وهو من منشورات دار المنهاج ، بتحقيق الأستاذ حسين محمد علي شكري .

ـ « إحياء علوم الدين » لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، مطبوع مشهور .

ـ « شرح الصدور في شرح أحوال الموتىٰ والقبور » ، للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، مطبوع .

وكتب أخرىٰ .

وتميز مختصر ابن هاشم بإيراده جزءاً من مقدمة الواسطي ، في حين أن ابن سميط والسقاف الآتي ذكرهما . . بدءا مباشرة بالتراجم ، دون ذكر أو اختصار للمقدمة .

وثالث المعتنين بـ« المجمع » : السيد الشريف ، القدوة الزاهد ، الصالح الحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن عقيل السقاف ، المولود بسيون سنة (١٠٩٢هـ) ، والمتوفىٰ بها سنة (١١٨١هـ) .

كان عالماً جليلاً ، صالحاً زاهداً ، صادعاً بالحق ، مرشداً للطريق القويم ، أُفردت سيرته بالتأليف من قبل سبطه العلامة الفقيه ، الإمام عمر بن سقاف السقاف ، المتوفىٰ سنة (١٢١٦هـ) .

وصف مختصر السقاف :

يقع مختصر الحبيب علي بن عبد الله في مجلدين ، واسمه : « لب اللباب المنتقىٰ من مجمع الأحباب » ، وهو في ثلث حجم الأصل .

توجد منه نسخة أَشهَرَها بالتصوير بعض ذريته ، وهو السيد حسن بن سالم بن حسن بن عبد القادر بن سقاف بن أحمد بن علي بن عبد الله السقاف ، كتبت هـٰذه النسخة سنة : (١٢٦٠هـ) بقلم سعيد بن حميد بن عبد هود بن علي بن عمر بن سالم :

المجلد الأول : يقع في (٤٩٣) صفحة ، يبدأ من ترجمة سيدنا الصديق رضي الله عنه وينتهي بترجمة الثوري .

المجلد الثاني : يقع في (٦٠٧) صفحات ، يبدأ بترجمة الإمام الشافعي إلىٰ نهاية الكتاب .

وفي آخر الكتاب مقابلة في فاتحة جماد الآخرة (١٢٦٠هـ) .

قال الحبيب السقاف في مقدمة مختصره :

(. . . فاستخرت الله في التقاط أنموذج من جواهره النفيسة ، ودرره العسيسة ، ما راق

وشاق ، وفاق على الترياق ، فصار مختصراً وجيزاً في نحو ثلث أصله العزيز . . . وذكرت جميع من فيه إلا القليل ، وإلا العباد المجهولة أسماؤهم ، وسميته : « لب اللباب المنتقىٰ من مجمع الأحباب » اهـ[1]

وجاء في مناقبه المسماة : « موارد الألطاف ومحاسن الأوصاف » لسبطه العلامة القاضي عمر بن سقاف في (الباب الرابع) :

(وقرىء عليه كتاب « مجمع الأحباب » ، للشيخ محمد بن الحسن ، وهو كتاب جليل حافل ، في ثلاثة جلود ، في مناقب عباد الله الصالحين . . فاختصره ، وانتقىٰ منه غرره ، وجواهره ودرره ، في كتاب مجلد ضخم ، أو مجلدين لطيفين كنسخته الشريفة ، سماه : « لب اللباب المنتقىٰ من مجمع الأحباب » ، جمع الله له ما في تلك المجلدات في مجلد :

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

فكان كتاباً عظيماً ، جامعاً نافعاً ، لم يصنف مثله ، ولم يوجد شكله ، وتبين علىٰ أمثاله فضله ، فيتعين علىٰ طالب الآخرة تحصيله ونقله ، ويجعله جليسه ونعم الجليس ، ويكون أنيسه وحبذاك أنيس ، جمع مناقبهم وأقوالهم ، وأفعالهم وأحوالهم ، وكثيراً ما يجري علىٰ لسانه عند قراءته وقراءة غيره من المناقب : عند ذكر الصالحين . . تتنزل الرحمة) اهـ[2]

ورابع المعتنين بـ « المجمع » : السيد الإمام ، الزاهد ، الداعي إلى الله محمد بن زين بن علوي بن سميط باعلويّ الحسيني ، المولود بتريم سنة (١١٠٠هـ) ، والمتوفىٰ بشبام سنة (١١٧٢هـ) .

كان من خواص إمام الدعوة الحبيب عبد الله الحداد ، وصنف في ترجمته وأحواله وسيرته مصنفات عظيمة ، وله مؤلفات أخرىٰ ، أفرده بالترجمة بعض علماء شبام ، وهو الشيخ الصالح معروف بن محمد باجمال ، بكتاب سمّاه : « مجمع البحرين » في مجلد كبير ، مخطوط .

اختصر الإمام ابن سميط كتاب « مجمع الأحباب » ، وكنا قدمنا أول هـٰذه الكلمة بعضاً من مقدمته لمناسبته ثمة .

---

(١) مقدمة « لب اللباب » للسقاف (ص/ ١ـ٢) .
(٢) « موارد الألطاف » للإمام عمر بن سقاف (ص/ ١٠١) (مخطوط) .

وكان بدؤه في مختصره المسمىٰ « لب اللباب من مجمع الأحباب » بمدينة تريم سنة : (١١٤٠هـ) ، بعد أن أشار عليه شيخه الإمام أحمد بن زين الحبشي بذلك ، فاختصره من النسخة الفريدة ، التي كانت في حوزة شيخهما الإمام الحداد .

قال ابن سميط في مقدمة مختصره :

(وكان التقاطي لهـٰذا المختصر منه في نحو ربعه ، وذلك بحسب ما فهمت ، وما ألهمني سيدي وشيخي أحمد بن زين في الالتقاط ونبهني عليه ، جل ذلك فيما يتعلق بالسَّيْر والطريق التي مضت عليه السلف الصالحون ، والمناقب المنعشة للهمة ، المنبهة للقلوب الغافلة ، والمرققة للقلوب القاسية .

وحذفت ما كان فيه من القصص الطويلة المملة ، وكذا كلام المصنف في شيء من المقالات ، سيّما ما كان منه طويلاً .

وما نقلت منه إلا ما كان منشطاً ومنعشاً للهمّة في الاقتداء ، وما يحصل به التأثر للقلوب ، بحسب ما وجدت أنا من التأثر بذلك ، والله أعلم بوجوده لغيري ، ولعل الناس يختلفون ، و﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ . . .) إلخ[١] .

ثم قال : (وما زدت علىٰ ما ذكر صاحب « المجمع » إلا ما كان في ترجمة مولانا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وفاطمة والحسين ، وزين العابدين ، والباقر ، والصادق ، وموسى الكاظم ، وغيرهم من أهل البيت المعظم المطهر ، وتلك الزيادة بالخصوص من كتاب « الفصول المهمة » لابن الصباغ المالكي[٢] رحمه الله) اهـ[٣]

وصف مختصر ابن سميط :

وقفت علىٰ نسخة ـ لعلها وحيدة فريدة ـ من هـٰذا الكتاب ، تقع في (٤٠٢) صفحة من القطع المتوسط ، ناقصة من آخرها ، انتهت أثناء ترجمة سفيان الثوري ، وهو الجزء الأول ، ولم أجد أثراً للجزء الثاني .

---

(١) مقدمة « لب اللباب » (ص/ ٣ـ٤) (مخطوط) .

(٢) هو : علي بن محمد بن أحمد ، ابن الصباغ ، ولد بمكة سنة (٧٨٤هـ) ، وبها توفي سنة (٨٥٥هـ) ، فقيه مالكي ، أصله من (سفاقس) ، من شيوخ السخاوي . « الأعلام » (٥/ ٨) و« الضوء اللامع » (٥/ ٢٨٣) .

(٣) مقدمة « لب اللباب » (ص/ ٥) (مخطوط) .

وعلى النسخة تملكات لبعض حفدة المصنف : الحبيب حسن بن أحمد بن زين بن محمد بن زين بن سميط المتوفىٰ بشبام سنة (١٣٢٠هـ) ، ثم لابنه : الحبيب محمد بن حسن المتوفىٰ بشبام سنة (١٣٨٧هـ) ، ثم لابنه : الحبيب علي بن محمد المتوفىٰ بسيون سنة (١٤١٠هـ) .

وهي محفوظة لدىٰ أبناء الحبيب علي بن سميط بسيون ، ولعل هناك نسخة أخرىٰ بشبام لم أقف عليها بعد .

وقد ذكر الشيخ معروف بن محمد باجمال الشبامي[١] في « مجمع البحرين » هٰذا الكتاب ضمن مؤلفات الإمام محمد بن زين ، عندما سردها فقال :

(ومنها : الكتاب العظيم القدر المسمّىٰ : « لب اللباب خلاصة مجمع الأحباب ».. في سير السلف ، ومحاسن طرائقهم ، ودرر ألفاظهم ، من سير الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من عباد الله الصالحين ، مما ينعش في طريق الآخرة ، ويرغب في المقامات الفاخرة ، وهو كتاب ضخم ، ينيف علىٰ أربعين كراسة) اهـ[٢]

* * *

وبهٰذا نكون قد أتينا علىٰ ذكر ما أردناه من التعريف بحال كتاب « مجمع الأحباب » ، وعناية السلف الصالح ـ من علماء حضرموت وصالحيها ، وكبار الدعاة إلى الله بها ـ بهٰذا الكتاب المبارك .

وقد يسّر الله بفضله الحصول علىٰ نصوص نفيسة من كتب نادرة في التعريف بكل كتاب ، فلِله الحمد والمنة والشكر .

وأحب أن أذكر هنا أمرين :

الأول : تفاوت عمل كل واحد من هٰؤلاء المختصرين فيما كتبه ، فابن هاشم اختصر إلى النصف ، والسقاف إلى الثلث ، وابن سميط إلى الربع ، وهٰذا تناسب عجيب .

كما أن الإمام الحبشي انتقىٰ من مختصر ابن سميط (٧٠) ورقة في « سفينته » .

---

(١) هو الشيخ معروف بن محمد باجمال ، من أهل شبام ، توفي بها سنة (١٢٨٦هـ) ، له هٰذا الكتاب وكتب أخرىٰ ، منها : « أربعون حديثاً في الفضائل » ، وله رسالة عن « أحوال أهل حضرموت » ، وكلها عندي بحمد الله ، وهو والد الشاعر الشبامي الشهير عبد الله بن معروف ، المتوفىٰ بشبام سنة (١٢٩٢هـ) .

(٢) « مجمع البحرين » (ورقة ٥٩/ب ـ ٦٠/أ) (مخطوط) .

الثاني : أن الحق سبحانه وتعالىٰ أعان ويسر لنا الكشف عن مختصر الإمام ابن سميط رحمه الله ، الذي كان مغموراً في بحار النسيان والإهمال ، ولم يكن معروفاً ولا مذكوراً إلا عند خاصة الخاصة .

ويسر المولىٰ بمنه وكرمه لنا أن نظهر الفرق بين مختصر السقاف ، ومختصر ابن سميط ، اللذين يحملان نفس الاسم ، وفي هـٰذا من الإشكال والإيهام ما لا يخفىٰ ، فالحمد لله علىٰ هـٰذا التوفيق .

وأخيراً : لعل السبب الرئيس في عقد هـٰذا الموضوع . . هو الإشارة إلىٰ أن الاهتمام الكبير من الإمام الحداد بهـٰذا الكتاب جعل هـٰذا الكتاب في دائرة الضوء ، حتىٰ حصلت هـٰذه الفرصة المباركة لطباعة هـٰذا الكتاب ، وإلا . . لربما كان قابعاً في رفوف المكتبات الخطية مع الكثير من كنوزنا التراثية العظيمة ، التي خلفها لنا الأجداد ، والتي تحتاج إلىٰ بحث وتنقيب ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة ولا بلاغ إلا بالله .

وأسأل الله الكريم بمنه وكرمه . . أن يتقبل ما كتبناه ودوناه في هـٰذه السطور ، ويجعل ذلك في ميزان الحسنات ، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، وصلى الله وسلم علىٰ خير خلقه ، سيدنا وحبيبنا ، وشفيعنا وقرة أعيننا رسول الله محمد بن عبد الله ، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * *

دراسة عن بعض الكتب
التي نهل المؤلف مادته منها

ـ « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » لأبي نعيم الأصفهاني ـ رحمه الله ـ المتوفىٰ سنة (٤٣٠هـ) ، وقد تقدم الكلام عنه سابقاً .

ـ « صفة الصفوة » لابن الجوزي ـ رحمه الله ـ المتوفىٰ سنة (٥٩٧هـ) .

الهدف من تأليفه :

جاء كتاب ابن الجوزي هـٰذا تلبية لمن شكا من طول كتاب « الحلية » وكثرة أسانيده ، وقد وضح ذلك بقوله في « الصفوة » (١/ ١٣) : (أما بعد : فإنك أيها الطالب الصادق ، والمريد المحقق ، لما نظرتَ في كتاب « حلية الأولياء » لأبي نُعيم الأصفهاني . . أعجبك ذكر الصالحين والأخيار ، ورأيته دواء لأدواء النفس ، إلا أنك شكوت من إطالته بالأحاديث المسندة التي لا تليق به ، وبكلام عن بعض المذكورين كثير ، قليل الفائدة ، وسألتني أن أختصره لك وأنتقي محاسنه ، فقد أعجبني منك أنك أصبت في نظرك ، إلا أنه لم يكشف لك كل الأمر ، وأنا أكشفه لك ، فأقول : اعلم : أن كتاب « الحلية » قد حوىٰ من الأحاديث والحكايات جملة حسنة ، إلا أنه تكدر بأشياء ، فالأشياء التي تكدر بها عشرة)[1] .

وبعد أن ذكرها . . قال : (وقد حداني ـ أيها المريد ـ في طلب أخبار الصالحين وأحوالهم : أن أجمع لك كتاباً يغنيك عنه ، ويحصل لك المقصود منه ، ويزيد عليه بذكر جماعة لم يذكرهم ، وأخبار لم ينقلها ، وجماعة ولدوا بعد وفاته ، وينقص عنه بترك جماعة قد ذكرهم لم ينقل عنهم كبير شيء ، وحكايات قد ذكرها ، فبعضها لا ينبغي التشاغل به ، وبعضها لا يليق بالكتاب) .

منهجه :

بيَّنَ أبو الفرج منهجه في كتابه فقال : فصل في بيان ترتيب كتابنا :

أنا أبتدىء بتوفيق الله ـ سبحانَه ـ ومعونتِهِ :

(١) الأشياء العشرة سيأتي ذكرها في مقدمة الكتاب .

فأذكر باباً في فضل الأولياء والصالحين ، ثم أردفه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشرح أحواله وآدابه ، وما يتعلق به ، ثم أذكر المشتَهَرين من أصحابه بالعلم ، المقترن بالزهد والتعبد ، وآتي بهم علىٰ طبقاتهم في الفضل ، ثم أذكر المصطفيات من الصحابيات علىٰ ذلك القانون ، ثم أذكر التابعين ومَن بعدهم علىٰ طبقاتهم في بلدانهم .

وقد طفت الأرض بفكري شرقاً وغرباً ، واستخرجت كل من يصلح ذكره في هـٰذا الكتاب من جميع البقاع ، ورُبَّ بلدة عظيمة لم أر فيها من يصلح لكتابنا .

وقد حصرت أهل كل بلدة فيها وترتيبهم علىٰ طبقاتهم :

أبدأ بمن يُعرف اسمه من الرجال ، ثم أذكر بعد ذلك من لم يعرف اسمه ، فإذا انتهىٰ . . ذكرت عابدات ذلك البلد علىٰ ذلك القانون ، وربما كان في أهل البلد من عقلاء المجانين من يصلح ذكره من الرجال والنساء . . فأذكره .

وإنما ضبطت هـٰذا الترتيب تسهيلاً للطلب على الطالب .

ولما لم يكن بد من مركز يكون كنقطة للدائرة . . رأيت أن مركزنا ـ وهو بغداد ـ أَولىٰ من غيره ، إلا أنه لَمَّا لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفهما . . بدأتُ بالمدينة ؛ لأنها دار الهجرة ، ثم ثنيت بمكة ، ثم ذكرت الطائف لقربها من مكة ، ثم اليمن ، وعدت إلىٰ مركزنا بغداد ، فذكرت المصطفين منها ، ثم انحدرت إلى المدائن ، ونزلت إلىٰ واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم إلى الأُبُلَّة ، ثم عَبَّادان ، ثم تُستَر ، ثم شيراز ، ثم كرمان ، ثم أَرَّجان ، ثم سِجستان ، ثم دَيبُل ، ثم البحرين ، ثم اليمامة ، ثم الدِّينَور ، ثم همذان ، ثم قزوين ، ثم أصبَهان ، ثم الرَّي ، ثم دامغان ، ثم بِسطام ، ثم نَيسابور ، ثم طُوس ، ثم هَراة ، ثم مرو ، ثم بلْخ ، ثم تِرمذ ، ثم بُخارىٰ ، ثم فرغانة ، ثم نخشَب .

ثم ذكرت عُبَّاد المشرق المجهولين البلاد والأسماء .

فلما انتهىٰ ذكر أهل المشرق . . عدنا إلىٰ مركزنا ، وارتقينا منه إلى المغرب ، وقد ذكرنا أهل عَكْبرا ، ثم الموصل ، ثم البرقة ، ثم طبقات أهل الشام ، ثم المقدسيين ، ثم أهل جبلة ، ثم أهل العواصم والثغور ، ثم من لم يُعرَف بلده من عُبَّاد أهل الشام ، ثم عسقلان ، ثم مصر ، ثم الاسكندرية ، ثم المغرب ، ثم عُبَّاد الجبال ، ثم عباد الجزائر[١] ، ثم عُبَّاد السواحل ، ثم أهل البوادي والفلوات .

---

(١) أي : الجُزُر .

ثم من لم نعرف له مستقراً من العُبَّاد وإنما لُقي في طريق ، فمنهم من لُقي في طريق مكة ، ومنهم من لقي بعرفة ، ومنهم من لقي في الطواف ، ومنهم من لقي في غزاة ، ومنهم من لقي في طريق سفر أوطريق سياحة .

ثم ذكرت من لم يُعرَف له اسم ولا مكان من العُبَّاد .

ثم ذكرت طرفاً من أخبار بُنيَّات صغار تكلمن بكلام العابدات الكبار .

ثم ذكرت طرفاً من أخبار عُبَّاد الجِن ، فختمت بذلك الكتاب ، والله الموفق بجوده ولطفه .

ـ « **إحياء علوم الدين** » للإمام محمد بن محمد الغزالي ، المتوفىٰ سنة (٥٠٥هـ) .

إن كتاب « الإحياء » من أهم كتب طالِب الوصول إلى الله ؛ فهو المَعين العذب ، والبحر الرائق ، حوىٰ من الكنوز والدقائق ما يشتهيه كل إنسان . . فهو مورد كل ظمآن ، ومنهل كل عطشان ، وأنيس كل حيران .

وقد كتب حوله الكثير من العلماء ، أذكر من هـٰؤلاء علىٰ سبيل المثال لا الحصر : سيدي العلاَّمة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس رحمه الله تعالىٰ ، في رسالة سماها : « تعريف الأحياء بفضائل الإحياء » ، قال رحمه الله :

(اعلم : أن فضائل « الإحياء » لا تحصىٰ ، جمع الناس مناقبه فقصُروا وما قصَّروا ، وغاب عنهم أكثر مما أبصروا ، غاص مؤلفه رضي الله عنه في بحار الحقائق ، واستخرج جواهر المعاني ، ثم لم يرض إلا بكبارها ، وجال في بساتين العلوم فاجتنىٰ ثمارها بعد أن اقتطف من أزهارها ، وسما إلىٰ سماء المعاني فلم يصطفِ من كواكبها إلا السَّيارة ، وجُلِيت عليه عرائس أسرار المعاني فلم تَرُقْ في عينه منهن إلا بادية النضارة ، جمع رضي الله عنه فأوعىٰ ، وسعىٰ في إحياء علوم الدين فشكر الله له ذلك المسعىٰ .

فلله دره من عالم محقق مُجيد ، وإمام جامع لشتات الفضائل محرر فريد ، لقد أبدع فيما أودع كتابه من الفوائد الشوارد ، وقد أغرب فيما أعرب فيه من الأمثلة والشواهد ، وقد أجاد فيما أفاد فيه وأملىٰ ، بيد أنه في العلوم صاحب القدح المعلَّىٰ ؛ إذ كان رضي الله عنه من أسرار العلوم بمحل لا يدرك ، وأين مثله وأصلُه أصلُه ، وفضله فضله ؟!

هيهات لا يأتي الزمان بمثله ... إن الزمان بمثله لشحيح

وما عسيت أن أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ، ونظم أشتات الفضائل ، وأخذ برقاب المحامد ، واستولىٰ علىٰ غايات المناقب . . .

ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله : أن الفقيه العلامة قطب اليمن إسماعيل بن محمد الحضرمي ، ثم اليمني ، سئل عن تصانيف الغزالي ، فقال من جملة جوابه : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ، ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ، ومحمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين) .

سبب تأليفه :

إنّ خير من يبين لنا ذلك . . المؤلِّف نفسه ؛ إذ إن أهل مكة أدرىٰ بشعابها ، فقد قال رحمه الله :

(فأما علم طريق الآخرة ، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه : فقهاً وحكمة وعلماً وضياءً ونوراً وهداية ورشداً . . فقد أصبح من بين الخلق مطوياً ، وصار نسياً منسياً ، ولما كان هـٰذا ثَلْماً في الدين ملماً ، وخطباً مدلهماً . . رأيت الاشتغال بتحرير هـٰذا الكتاب مهماً ؛ إحياءً لعلوم الدين ، وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين ، وإيضاحاً للعلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين) .

فكتابه هـٰذا جاء تلبية لحاجة ملحّةٍ ؛ فهو نور يستنير به مَن وقع في غياهب الظلام ، يكشف به كذب الكاذبين ، وزيف المدعين[١] .

مضمونه :

لكلِّ مؤلَّف من اسمه حظٌّ ونصيب ، ويختلف هـٰذا النصيب من مؤلَّف لآخر ، لكنَّ مضمون « إحياء علوم الدين » جاء مطابقاً لعنوانه ؛ فحوىٰ علوم الدِّين[٢] كلَّها ؛ من فقه ، وحديث ، وأخلاق .

---

(١) كتب كل إمام في عصره وزمنه ، فياليت شعري ؛ من لعصرنا وزمننا ؟! واليومَ رِدَّةٌ ولا أبا بكر لها ، فلنا الله .

(٢) نذكر في هـٰذا المقام كلمة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأذهر في وقته حين قال :

(إذا ذكرت أسماء العلماء . . اتجه الفكر إلىٰ ما امتازوا به من فروع العلم ، وشعب المعرفة ، فإذا ذكر ابن سينا أو الفارابي . . خطر بالبال فيلسوفان عظيمان من فلاسفة الإسلام ، وإذا ذكر البخاري ومسلم وأحمد . . خطر بالبال رجالٌ لهم أقدارهم في الحفظ ، والصدق ، والأمانة ، والدقة ، ومعرفة الرجال . . .

أما إذا ذكر الغزالي . . فقد تشعبت النواحي ، ولم يخطر بالبال رجل واحد ، بل خطر بالبال رجال متعددون ، =

وقد أوجز مؤلفه رحمه الله مضمون الكتاب بقوله : (وقد أسسته علىٰ أربعة أرباع ، وهي : ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجيات ، وصدّرت الجملة بكتاب العلم ؛ لأنه غاية المهم ؛ لأكشف أولاً عن العلم الذي تعبَّد اللهُ علىٰ لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعيانَ بطلبه . . وأُميِّز فيه العلم النافع من الضار . . . وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب) .

ـ « **لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب** » لعزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي الشافعي ، المتوفىٰ سنة (٤٩٤هـ) .

موضوعه :

وهٰذا الكتاب كما قال مؤلفه : أبواب مشتملة علىٰ صفات المحبة والمحبين ، موشحة ببعض حكايات الأوائل منهم والمتأخرين :

أولها : باب في أحوال المحبين ، وصفات أسرار ضمائر المُتَيَّمين .

ثانيها : باب في فصول المحبة ومعانيها ، وأقوال المحققين واختلافهم فيها .

وثالثها : باب في ذكر الأخبار ، في أحوال المحبين حال الاختيار والاضطرار .

ورابعها : باب في معنى المحبة عند الأصوليين ، وحدودها علىٰ ألسنة المحققين .

وخامسها : باب في اشتقاق المحبة عند العرب العرباء ، وعلىٰ أصول اللغويين والأدباء .

وسادسها : باب في أسامي المحبة وصفاتها ، واختلاف أصحابها في طبقاتها .

وسابعها : باب في حقيقة المحبة عند الواجدين ، بعبارات العاملين المدققين .

وثامنها : باب في شروط المحبة وأركانها ، وأدلتها من كتاب الله وبرهانها .

وتاسعها : باب في اختلاف المحبة وأساسها ، وبيان أزمانها في سائر أجناسها .

= لكل واحد قدرته وقيمته . . . يخطر بالبال الغزالي الأصولي الحاذق الماهر ، والغزالي الفقيه الحر ، والغزالي المتكلم ، إمام السنة وحامي حماها ، والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكونات القلوب ، والغزالي الفيلسوف ، أو الذي ناهض الفلسفة وكشف عما فيها ، إنه يخطر بالبالِ رجلٌ هو دائرة معارف عصره ، رجل متعطش إلىٰ معرفة كل شيء ، نهم إلىٰ فروع المعرفة) .

وعاشرها : باب في الاعتذار إلىٰ ذوي الألباب ، من التقصير الواقع من تصنيف هٰذا الكتاب .

ثم فصَّلت كل باب ، علىٰ فصول من منازل الألباب ، على اختلاف أحوال الأحباب ، وسميتها : « لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب » ، وتجنبت ذكر أشعار وحكايات ، أودعتها في كتابي الموسوم بـ « سلوة العشاق وروضة المشتاق » .

وهٰذا الكتاب ما زال مخطوطاً لم يطبع .

ـ « **الرسالة القشيرية** » للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ـ رحمه الله ـ المتوفىٰ سنة (٤٦٥هـ) .

سبب تأليفه :

يعد كتاب « الرسالة القشيرية » من أهم الكتب في ميدان طلاَّب الحقائق ، والسبب في ذلك : الإخلاص الكبير الذي امتاز به مؤلفه رحمه الله .

والكتاب هٰذا وضعه مؤلفه لغرض نبيل، وهدف سام شريف ، وهو أنه رأىٰ أن المحققين من هٰذه الطائفة ـ أهل الحقيقة ـ قد انقرض أكثرهم ، ولم يبق في زمانه ذاك إلا أَثَرهم ، كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرىٰ نساء الحي غيرَ نسائها

فلذلك وضع كتابه هٰذا ، مبيناً زيف الزائفين ، وكذب المدعين ، فوضع الموازين الدقيقة التي يُعرَف بها الصوفي من غيره من الدجالين ، وكان ذلك سنة (٤٣٧ هـ) .

منهجه :

وأما عن منهجه في هٰذا الكتاب . . فهو على النحو التالي :

ـ ذكر معتقدات هٰذه الفرقة من الأكابر .

ـ ذكر وترجم لثلاثة وثمانين عَلَماً من مشايخ هٰذه الطريقة .

ـ ذكر باباً في ذكر ألفاظ تدور بين هٰذه الطائفة ؛ كالحال والمقام والوقت وما إلىٰ ذلك .

ـ ذكر أبواباً في شرح المقامات التي هي مدارج أرباب السلوك .

ـ ثم ذكر بعدها أبواباً في تفصيل الأحوال ، بدأ هٰذه الأبواب بباب التوبة ، وختمها بباب الوصية للمريدين .

وهـٰذا الباب الذي ختم فيه المؤلِّف كتابه هام جداً لكل عالم وطالب علم ، يتضمن فصولاً مفيدة : ذكر فيها ما يجب على الطالب من الأدب في حضرة شيخه ، مع عدم اعتقاده العصمة فيه ، وكذلك ذكر فصلاً أمر فيه بالابتعاد عن صحبة الأحداث ، وعد هـٰذا من أكبر الآفات .

ـ ثم ختم هـٰذه الفصول بنصيحة للمريد بالابتعاد عن أبناء الدنيا .

جعلنا الله وإياه وكل من قرأ في هـٰذا الكتاب من أبناء الآخرة ، آمين .

ـ « **تهذيب الأسماء واللغات** » للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النواوي ـ رحمه الله ـ المتوفىٰ سنة (٦٧٦هـ) .

إن كتاب « تهذيب الأسماء واللغات » من أهم مراجع الفقيه والمتفقه ؛ لأنه شرح فيه الألفاظ التي تعتري الطالب في درسه ، والمدرس في مجلسه ، بل ليست فائدته قاصرة على الكتب الفقهية ؛ إذ لغوياته تحتوي عليها كتب الفقه والحديث وغيرها ، فهو معجم لغوي ، وشرح جملي للألفاظ الغريبة في الكتب .

والكلام علىٰ هـٰذا الكتاب يطول ، بيد أنا نقتصر في الحديث عنه على النواحي التالية :

سبب تأليفه :

أوضحه الإمام بقوله : (أما بعد : فإن لغة العرب لما كانت بالمحل الأعلىٰ ، والمقام الأسنىٰ ، وبها يعرف كتاب رب العالمين ، وسُنَّة خير الأولين والآخِرين . . أردت أن أسلك بعض طرق أهلها ؛ لعلِّي أن أنال بعض فضلها ، وأُؤَدي بعض ما ذكرته من فروض الكفاية ، وأساعد في معرفة اللغة من له رغبة من أهل العناية) .

مضمونه :

جمع الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ في كتابه هـٰذا الألفاظ الموجودة في بعض كتب الشافعية وهي : « مختصر المزني » و« المهذب » و« التنبيه » و« الوسيط » و« الوجيز » و« الروضة » .

وضم إليها جملاً ممَّا يحتاج إليه ، ممَّا ليس فيها ؛ ليعم الانتفاع به اللغاتَ العربية والعجمية والمعربة ، والاصطلاحات الشرعية والألفاظ الفقهية .

ثم جمع إلى اللغات ما في هـٰذه الكتب من أسماء الرجال والنساء والملائكة وغيرهم ، ممن لهم ذكر في هـٰذه الكتب ، مسلماً كان أو كافراً ، برّاً أو فاجراً .

منهجه :

قسم الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ كتابه هـٰذا إلىٰ قسمين :

ـ **الأسماء** : وقسم هـٰذا القسم إلىٰ ضربين : **الضرب الأول** : الذكور ، **والضرب الثاني** : الإناث .

فبدأ تراجمه بترجمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب الذي يترجم لرجاله ، ثم المحمدِّين بعد ذلك ، ثم يأخذ في الترتيب حسب حروف المعجم من الهمزة إلى الياء .

ـ **اللغات** : رتبها علىٰ حروف المعجم دون نظر إلى الزوائد ، وربما ذكر بعض الزوائد في باب علىٰ لفظه .

والكتاب مع نفعه هـٰذا ورواجه ذاك . . لم يُكتب للنووي إتمامه ، بل ما عندنا منه جملة ورقات قبل إتمامه ، كما أفاد ذلك ابن العطار والذهبي(١) .

ـ « **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** » لشهاب الدين عبد الرحمـٰن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ، المعروف بأبي شامة ، المتوفىٰ سنة (٦٦٥هـ) .

إن كتاب « الروضتين » كتاب تاريخ وسِيَر ، ولـٰكنه ليس ككتب التاريخ والسير ، والسبب في ذلك : أن مؤلفه يجسد لك الأحداث وكأنك تراها ، ويصف لك ذلك فكأنك حاضر ومشاهد .

واستشهد لذلك بقوله : (كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته ، فقيل لـه : ألا تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟!) .

سبب تأليفه :

سيأتي ذكره عند الكلام علىٰ تلك الدولتين ، عند ترجمة نور الدين الشهيد رحمه الله .

موضوعه :

ذكر جميع ما حصل في عهد السلطانين العادلين نور الدين وصلاح الدين ، وهـٰذا جليٌّ وواضح من العنوان .

---

(١) انظر « الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه » للدكتور أحمد عبد العزيز الحداد .

منهجه :

- بدأ المؤلف - رحمه الله - كتابه بترجمة للسلطان نور الدين ، وذِكْرِ شيء من أخباره وشجاعته ، وزهده وعدله .

- ثم بذكر أخبار دولته ، مرتبة علىٰ حوادث السنين .

- ثم بذكر ترجمة للسلطان صلاح الدين - رضي الله عنه - ودولته ، مرتباً ذلك على السنوات أيضاً .

الغاية من تأليفه :

قال المؤلف - رحمه الله - :

(ومر بي فيه[1] من الملوك المتأخرين : ترجمةُ الملك العادل نور الدين ؛ فأطربني ما رأيتُ من آثاره ، وسمعت من أخباره ، مع تأخُّر زمانه ، وتغيّر خِلاَّنه .

ثم وقفتُ بعد ذلك في غير هٰذا الكتاب علىٰ سيرة سَيِّد الملوك بعده ، الملكِ الناصر صلاح الدين ، فوجدتُهما في المتأخّرين كالعُمَرَيْن - رضي الله عنهما - في المتقدِّمين ؛ فإنَّ كل ثانٍ من الفريقين حذا حَذْوَ من تَقدَّمه في العَدْل والجهاد ، واجتهد في إعزاز دين الله أيّ اجتهاد ، وهما مَلِكا بلدتنا ، وسُلْطانا خُطَّتنا ، خَصَّنا الله تعالىٰ بهما ، فوجَبَ علينا القيامُ بذكر فَضْلِهما ، فعزمتُ علىٰ إفراد ذكر دولتيهما بتصنيف ، يتضمن التقريظ لهما والتعريف ؛ فلعلَّه يقف عليه من الملوك مَنْ يسلك في ولايته ذلك السلوك ، فلا أُبعِد أنهما حُجَّةٌ من الله على الملوك المتأخرين ، وذكرىٰ منه سبحانه ؛ فإنَّ الذكرىٰ تنفع المؤمنين ؛ فإنهم قد يستبعدون من أنفسهم طريقة الخلفاء الراشدين ، ومن حذا حَذْوَهُمْ من الأئمة السَّابقين ، ويقولون : نحن في الزمن الأخير ، وما لأولـٰئك من نظير ، فكان فيما قَدَّر الله سبحانه من سيرة هـٰذين المَلِكين إلزام الحُجَّة عليهم بمن هو في عصرهم ، من بعض ملوك دهرهم ، فلن يَعْجِزَ عن التشبُّه بهما أحد ، إنْ وفَّقَ الله تعالى الكريمُ وسدَّد) .

* * *

(١) الضمير عائد في كلمة (فيه) إلىٰ كتاب « تاريخ دمشق » لابن عساكر .

وَصفُ ٱلنُّسَخِ الخَطِّيَّةِ

اعتمدنا في إخراج هٰذا الكتاب علىٰ عدة مخطوطات ، نذكر فيما يلي وصفاً عنها :

ـ النسخة الكاملة والمعتمدة أصلاً : نسخة معهد إحياء المخطوطات العربية ، مصورة من حيدر آباد برقم (٣٩٢٥) ، بعنوان : « مجمع الأحباب وتذكرة الألباب » .

تقع في مجلد واحد ، وعليها تملكات لم نتبيّنها .

عدد أوراقها (٧١١) ورقة ، وسطورها حوالي (٣١) سطراً ، وعدد كلمات السطر الواحد (١٨) كلمة .

خطها نسخي معتاد ، متأثرة بالرطوبة والحموضة ، علىٰ هامشها بعض التعليقات .

كان الفراغ من نسخها (٧) رجب سنة (١٠٩٩ هـ) .

* * *

بعد ذلك انقسمت المخطوطات إلىٰ قسمين :

الأول : من أول الكتاب إلىٰ أول ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه .

والثاني : من أول ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه إلىٰ آخر الكتاب .

أما نسخ القسم الأول . . فهي :

ـ نسخة معهد إحياء المخطوطات العربية ، مصورة من بلغاريا ، وهي المعتمدة أصلاً في هٰذا القسم ، بعنوان : « مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب » .

تقع في مجلد واحد ، وعليها تملُّك لم نستطع الوقوف عليه .

عدد صفحاتها (٥٣٢) ، وسطورها (٢٣) سطراً ، يتراوح عدد كلمات السطر ما بين (١٦ـ١٨) كلمة .

خطها نسخي جميل مشكَّل ، كُتبت أسماء المترجَمين بخط مغاير ، وعليها تعليقات .

كان الفراغ من نسخها مستهل شوال سنة (٧٦٥ هـ) بدمشق المحروسة .

تبدأ هـٰذه النسخة بأول الكتاب ، وتنتهي عند أول ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه .

ـ نسخة المكتبة السليمانية بإستنبول برقم (٢٨١) ، بعنوان : « مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب » .

تقع في مجلد واحد ، وعليها تملُّك باسم حسن الطوافي الكتبي .

عدد أوراقها (٣١٢) ورقة ، وسطورها (٢٧) سطراً ، وعدد كلمات السطر الواحد (١٧) كلمة .

وفي أولها فهرس لتراجم الكتاب ، وهـٰذه النسخة من كتب الشيخ علي الدقاق .

خطها نسخي معتاد ، لم نستطع الوقوف علىٰ تاريخ نسخها .

تبدأ هـٰذه النسخة بأول الكتاب ، وتنتهي عند أول ترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه .

ـ نسخة مكتبة بايزيد عمومي بإستنبول برقم (٧٥٨) ، وهي للاستئناس فقط لكثرة التحريف والتصحيف الذي شابها ، بعنوان : « مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب » .

تقع في مجلد واحد .

عدد أوراقها (١٧٠) ورقة ، وسطورها (٢٥) سطراً ، وعدد كلمات السطر (١٠) كلمات تقريباً .

خطها نسخي مستعجل ، كتبت أسماء المتَرجَمين بخط مغاير وثخين .

كان الفراغ من نسخها (١١٧٦ هـ) .

تبدأ هـٰذه النسخة بأول الكتاب ، وتنتهي عند ترجمة المرأة الدينارية .

وأما نسخ القسم الثاني . . فهي :

ـ نسخة مكتبة دار الكتب القومية بمصر برقم (١٢٤٥ تاريخ) ، بعنوان : « مجمع الأخبار في مناقب الأخيار » .

وهي من أنفس النسخ ، والمعتمدة أصلاً في هـٰذا القسم ؛ لأنها منقولة عن نسخة بخط المصنف .

تقع في مجلد واحد .

عدد أوراقها (٤١٢) ورقة ، وعدد سطورها (٢٥) سِطراً ، وعدد كلمات السطر (١٧) كلمة تقريباً :

خطها نسخي جميل ، وكُتِب اسم المترجَم بخط مغاير .

كان الفراغ من نسخها يوم السبت (١١) ربيع الآخر سنة (٧٦٩ هـ) .

تبدأ بترجمة الإمام الشافعي ، وتنتهي بانتهاء الكتاب .

ـ **نسخة المكتبة الأحمدية بحلب** ، وُسِمَت بعنوان : « كتاب تراجم أعيان الصوفية الأصفياء ومشاهير رجال كتاب حلية الأولياء » .

تقع في مجلد واحد ، وهي من تملك السيد محمد بن علي بن محمد عفا الله عنه .

عدد أوراقها (٣١٢) ورقة ، وسطورها (٢٧) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٧) كلمة .

خطها تقليدي مستعجل ، وفي أولها فهرس لتراجم الكتاب .

يعود تاريخ نسخها ليوم الأحد (١١) ربيع الآخر سنة (٧٧٠ هـ) ، علىٰ يد كاتبها محمد بن عثمان السلمي .

تبدأ هـٰذه النسخة بترجمة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وتنتهي مع انتهاء الكتاب .

ـ **نسخة مكتبة نور عثمانية بإستنبول برقم (١٢٠٤)** ، بعنوان : « مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب » .

تقع في مجلد واحد ، وعليها تملك باسم لطيف بن إبراهيم حنيف .

عدد أوراقها (٢٦٢) ورقة ، وسطورها (٢٧) سطراً ، وعدد كلمات السطر (١٦) كلمة .

خطي نسخي جيد ، وكتبت أسماء المترجَمين ورؤوس الفِقَر بخط مفرَّغ ولون مغاير .

كان الفراغ من نسخها يوم الثلاثاء (١٨) ربيع الأول (٨٤٣ هـ) ، علىٰ يد محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان بن محمد التكروري نسباً المالكي مذهباً .

تبدأ هـٰذه النسخة بترجمة الإمام البخاري ، وتنتهي بانتهاء الكتاب .

ـ نسخة مكتبة أحمد الثالث بإستنبول ، وهي نسخة أيضاً للاستئناس ؛ لما أصابها من التقديم والتأخير ، بعنوان : « مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب » .

تقع في مجلد واحد .

عدد أوراقها (٢٦٧) ورقة ، وعدد سطورها (٢١) سطراً ، وعدد كلمات السطر (١٤) كلمة تقريباً .

خطها معتاد ، كتبت أسماء المترجَم لهم بخط كبير ولون مغاير .

لم نتبين تاريخ واسم ناسخها .

تبدأ بترجمة الإمام الشافعي ، وتنتهي بانتهاء الكتاب .

* * *

كتاب : « أسرع الوسائل والأسباب إلىٰ درك ترياق الألباب ، المنتقىٰ مما اشتمل عليه مجمع الأحباب »

وهي نسخة منقولة عن نسخة المؤلف .

تقع هـٰذه النسخة في (٧) مجلدات .

عدد أوراق المجلدات : (١/١٨٨) ، (٢/٢١٠) ، (٣/١٩٤) ، (٤/٢٠٩) ، (٥/١٩٥) ، (٦/٢٠٨) ، (٧/١٦٦) .

وعدد سطور المجلدات (١٨) سطراً ، وعدد كلمات السطر (٧) كلمات تقريباً .

خطها نسخي جميل .

أوقفها السيد حسين بن عبد الرحمـٰن بن سهل علىٰ طلاب العلم بتريم حضرموت ونواحيها إلىٰ مسيلة آل شيخ سنة (١٢٧٥ هـ) .

فرغ المؤلف من تأليفها وجمعها وكتابتها لنفسه يوم الأحد (١٥) ربيع الأول سنة (١١٦٠ هـ) وهي بخط عبد الرحيم بن عبد الله بن عمر باعبده .

وكان الفراغ من كتابة هـٰذه النسخة الأربعاء (١٩) ربيع الأول (١٢٥٩ هـ) ، وهـٰذا الكتاب ما زال مخطوطاً لم يطبع .

* * *

مَنهجُ العَمَلِ فِي الكِتَابِ

ـ بعد نسخ النسخة المعتمدة أصلاً (نسخة حيدرآباد) . . قابلنا عليها النسخ الأُخرىٰ .

فما كان بين النسخ أدنىٰ خلاف . . أُثبِتَ ما في الأصل ، إلا أن يكون خطأً ظاهراً أو زيادات ليست في الأصل . . فأثبت ما في النسخ الأخرىٰ ، وإن كان يحمل معنىً آخر . . ذكرنا ذلك بالهامش وميزناه بـ : (جاء في نسخة) .

ـ ضبطنا النص ضبطاً ـ نسأله تعالىٰ أن يكون كما أراده المؤلف ـ وذلك بمعارضة الكتاب علىٰ معظم المصادر التي نهل منها المؤلف مادته ؛ كـ« حلية الأولياء » و« صفة الصفوة » ، و« تهذيب الأسماء واللغات » . . . وهٰكذا .

ـ خرجنا الآيات القرآنية .

ـ خرجنا الأحاديث النبوية .

ـ أضفنا ما كان مناسباً من العبارة ليستقيم المعنىٰ ، وميزناه بـ[] .

ـ وضحنا ما كان مبهماً بالشرح والتبيان .

ـ قمنا بإعداد كلمة عن فن الترجمة تأريخاً .

ـ ترجمنا للمؤلف ترجمة تناسب المقام .

ـ أثبتنا دراسة خاطفة عن عصر المؤلف والقيمة العلمية لكتابه .

ـ تحدثنا عن أهم المراجع التي استقى منها المؤلف مجمعه .

ـ أوردنا كلمة عن عناية علماء حضرموت بـ « مجمع الأحباب » .

ـ فهرسنا للكتاب تفصيلاً للوصول إلى غرر أبحاثه .

وكتبه

محمد زكريا قاسم المقداد

محمد ابراهيم الخضر

عبد الله عبد السلام حميدان

خاتمة

بقلم

محمد غسان نصوح عزقول الحسيني

المشرف على مكتب الدراسات والبحث العلمي بدار المنهاج

ومع الانتهاء من العمل الشاق الذي دام قرابة خمسة عشر شهراً في خدمة هٰذا الكتاب المبارك . . لا بد لي من التوقُّف علىٰ محطتين :

الأولىٰ : انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس . . لم يشكر الله » أتوجه بالشكر والامتنان والمحبة والعرفان إلىٰ كل الذين ساهموا في إنجاح هٰذا العمل ، بدءاً من إحضار النسخ الخطية ، مروراً بمرحلة النسخ ، فالمقابلة ، فالتصحيح ، فالتحقيق ، فالمراجعة والتقديم للكتاب .

وأخص بالذكر أعضاء اللجنة العلمية لمكتب الدراسات والبحث العلمي بدار المنهاج الذين ساعدوا في هذا العمل ، وأخص منهم الإخوة : داوود بخاري وصلاح الدين الحمصي ومحمد نور كنجو وموفق الشيخ ومحمد سعيد الأيوبي ومصطفى جاسم وياسر الشولي وأحمد المحمد وأحمد محمد بركات .

إليهم جميعاً أقول : جزاكم الله عنا كل خير .

وأما المحطة الثانية : فَتَحْتَ أضواء وفيوضات هٰذا الكتاب أقول :

مسكين ابن آدم ! !

خلقه الله فأحسن خلقه ، وأنعم عليه نعماً كثيرة لا تعد ولا تحصىٰ ، وأمده بالعافية ، ثم خيَّره بين رتبتين : إما أن يكون أشرف وأفضل من الملائكة ، وإما أن يكون أدنىٰ من الحيوانات .

وتبيان ذلك : أن الله سبحانه وتعالىٰ حينما خلق الإنسان جعله مؤلَّفاً من قسمين :

ـ قسم أرضي ، قِوامه على الطعام والشراب والنكاح . . .

ـ وقسم سماوي ، قِوامه علىٰ تغذية الروح .

وبعد ذلك رسم الله للإنسان طريقاً واضحاً ، ومنهجاً بيناً ، وكفل له إن سار عليه . . أن يجعله في رتبة فوق رتبة الملائكة ، وباهاهم به ؛ لأن فيه من الغرائز والشهوات ما يمنعه من العبادة ومع ذلك عَبَدَ اللهَ ، وخالف نفسه وهواه ، بينما الملائكة عبادتها جِبِلِّيَّة ، فطعامها الاستغفار ، وشرابها التسبيح .

ولا بد هنا من وقفة متأمِّلة عابرة ، أذكر فيها ما يحتاجه كل إنسان، وما يبحث عنه كل مخلوق.

إن كل واحد منَّا يبحث عن السعادة وعن الحياة الهنية الرخية ، فأين تكمن هٰذه السعادة ؟ وأين يمكن أن يلاقيها الإنسان ؟

قال تعالىٰ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

فالإنسان الذي يعمل في طاعة الله . . حيٌّ طيب .

بينما الإنسان المعرض عن الله ـ والعياذ بالله ـ تراه مهموماً ، مغموماً ، يبحث عن السعادة فلا يلاقيها .

مسكين ! ! غاب عنه أن الله تعالىٰ يقول : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۞ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ .

فيا أخي المؤمن ؛ إذا أردت أن تحيا الحياة الطيبة . . ما عليك إلا أن تقرأ هٰذا الكتاب ، وتأخذ من ترياقه ما يوهي دار البعد ، وتنهل من معينه حتى تفثأ غلّة الصد ؛ لأن فيه ماء الحياة التي يسعىٰ لها كل موفَّق .

ولا سيما أن ماء الحياة الذي فيه نابع من فيوضات الله علىٰ أولـٰئك الموفقين ، نابع من فيوضات الله الذي خلقهم وهو يعلم خفيات قلوبهم ، ووسوسات صدورهم .

فيا رب ، يا من مننت علينا بكل هٰذه النعم ، يا من يعلم ما في نفوسنا ، يا خالق

الإنسان ، يا مدبر الأكوان ، يا من يعلم أنين النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ؛ **اجعل هٰذا الكتاب سبباً لجمع الأحباب ، وتذكرةً لأولي الألباب .**

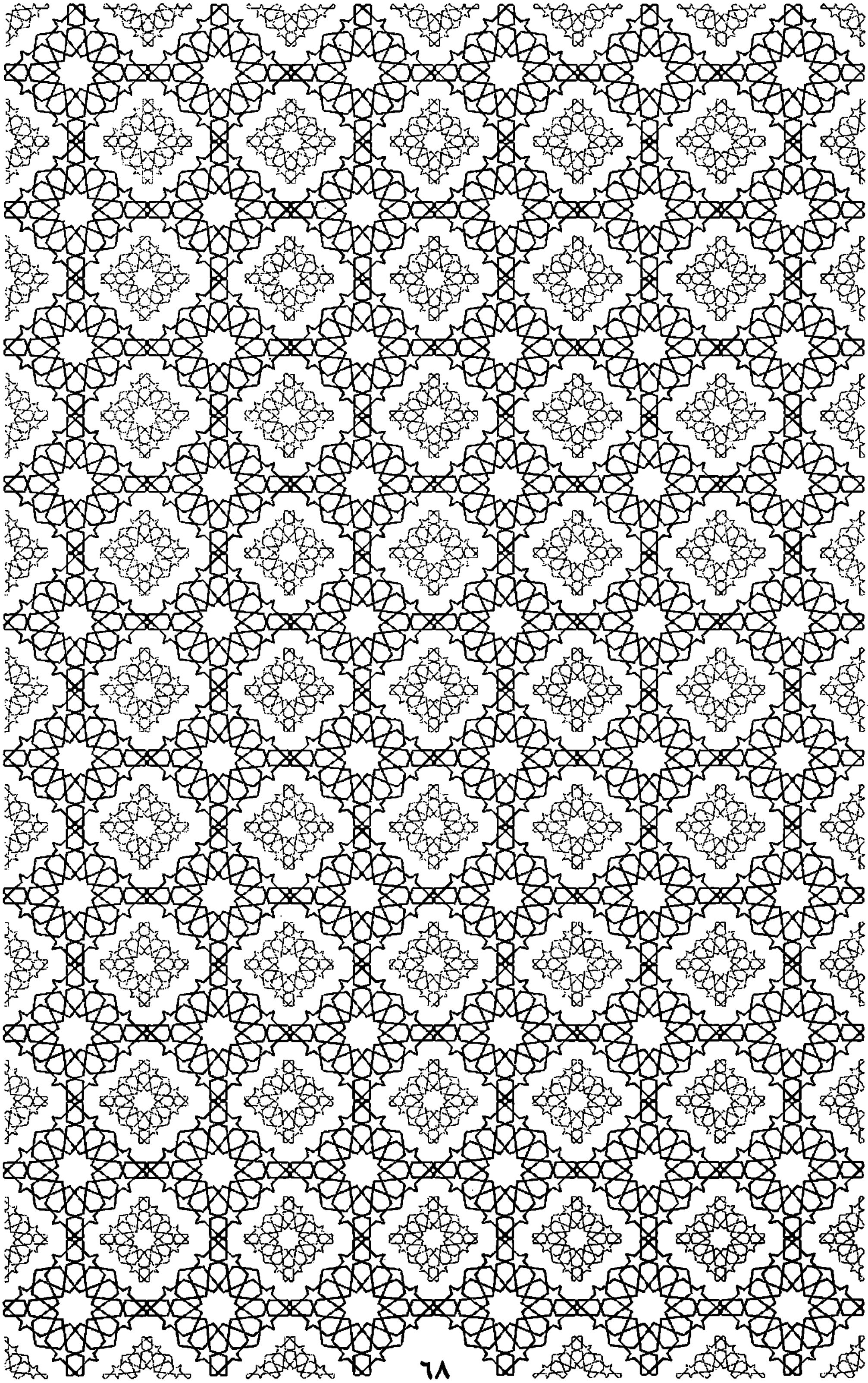
الطف بالمسلمين أجمعين ، وألف بين قلوبهم ، ولا تُرِنا في الإسلام سيفَين مختلفين ، واهْدِ شباب المسلمين ، واستر أعراضهم .

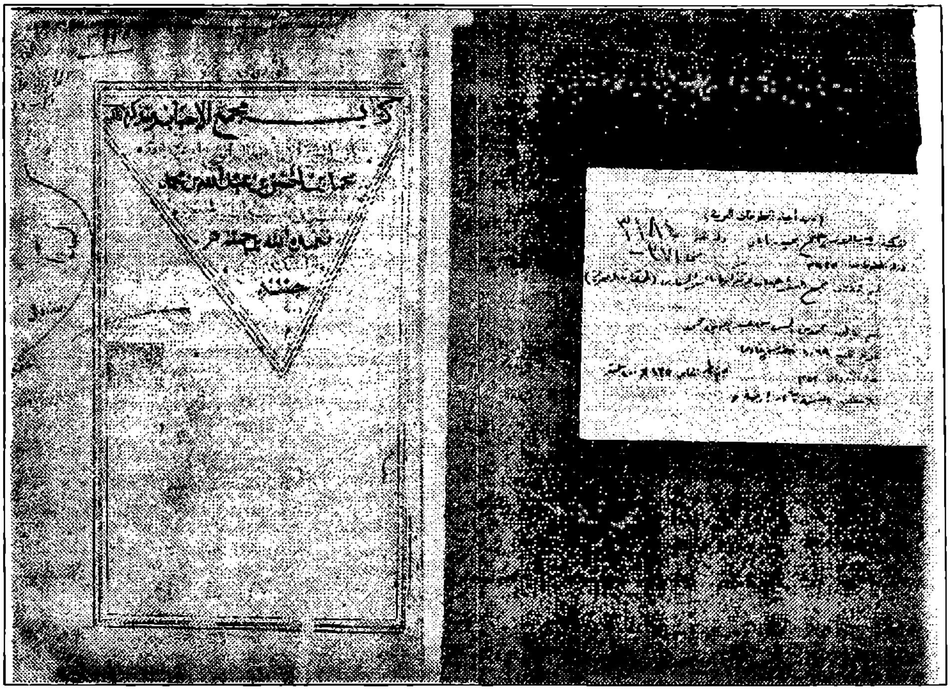
ولا تسلبنا الإيمان عند النزع ، ولا تعاملنا بعملنا ، واجعلنا من عبادك المؤمنين ، وأرنا قدرتك علىٰ أعدائك يا رب العالمين .

آمين آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين

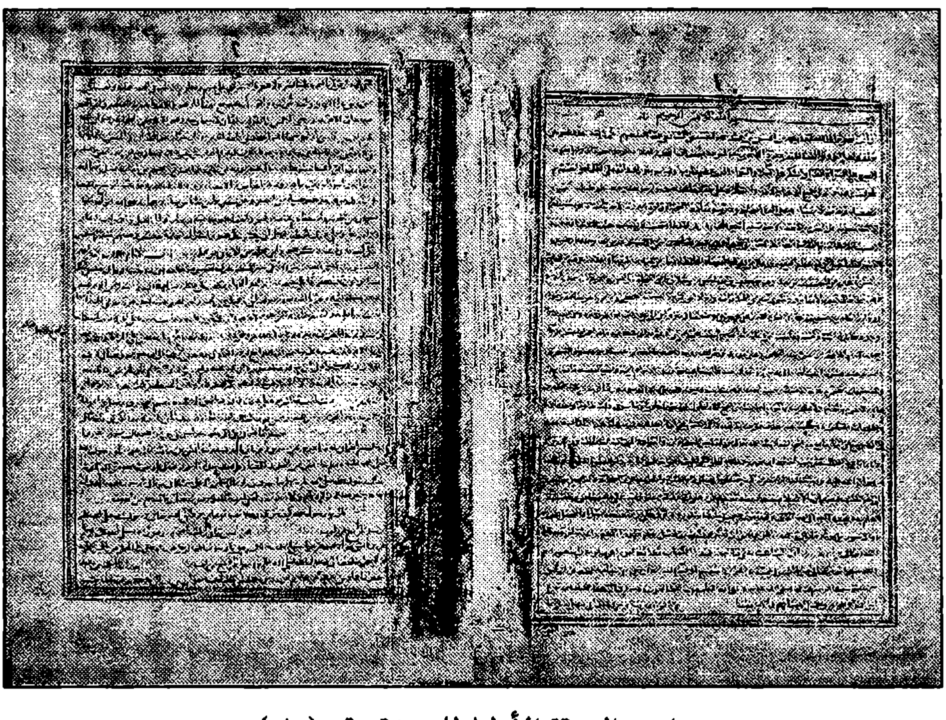
* * *

صُوَرُ المَخْطُوطَاتِ المُسْتَعَانِ بِهَا

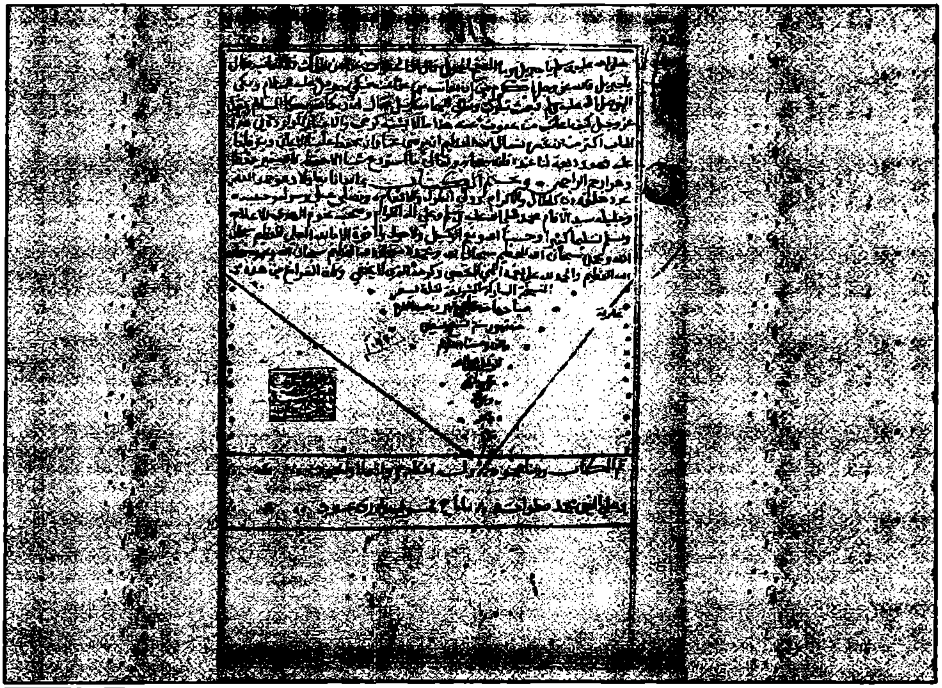




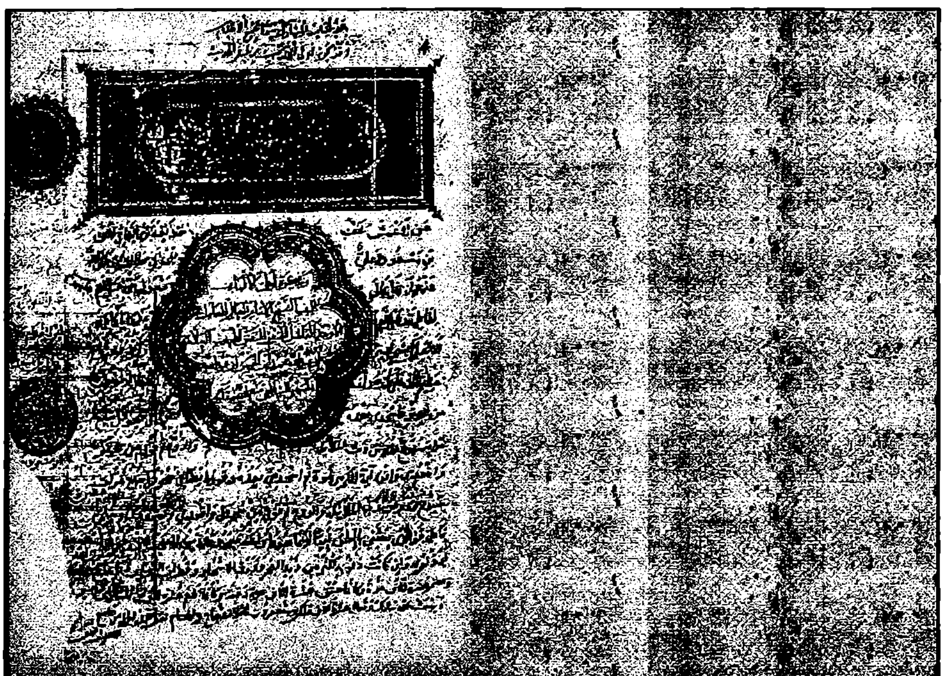
راموز ورقة العنوان للنسخة رقم (١)



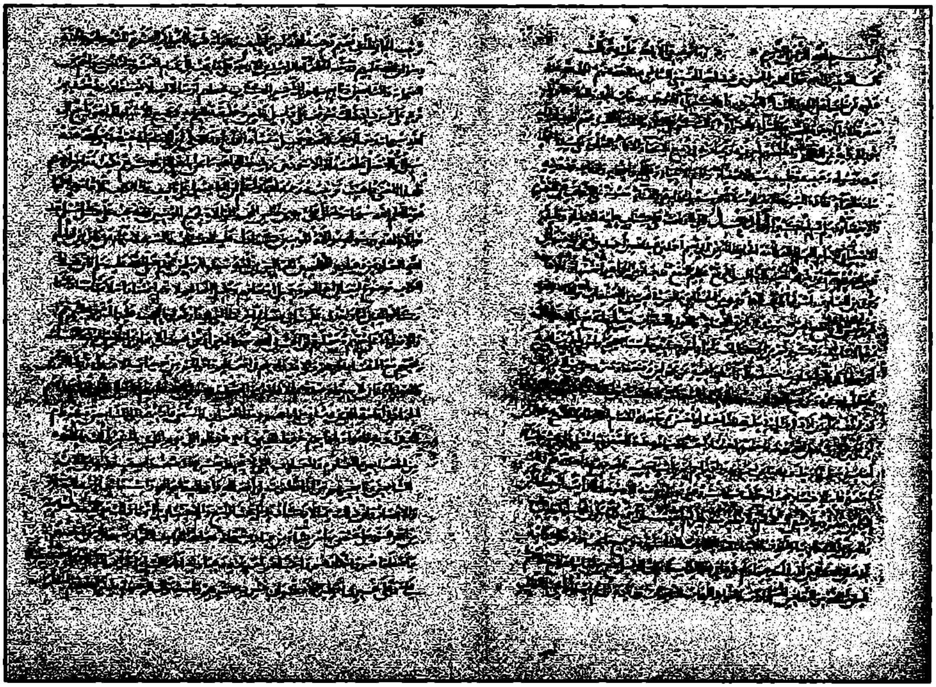
راموز الورقة الأولىٰ للنسخة رقم (١)



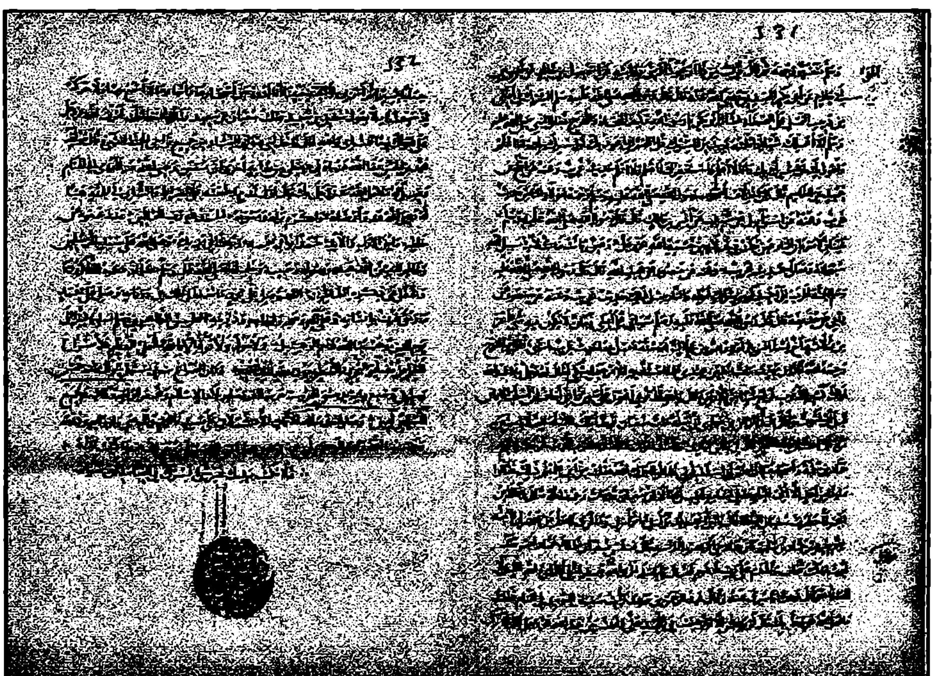
راموز ورقة الأخيرة للنسخة رقم (١)



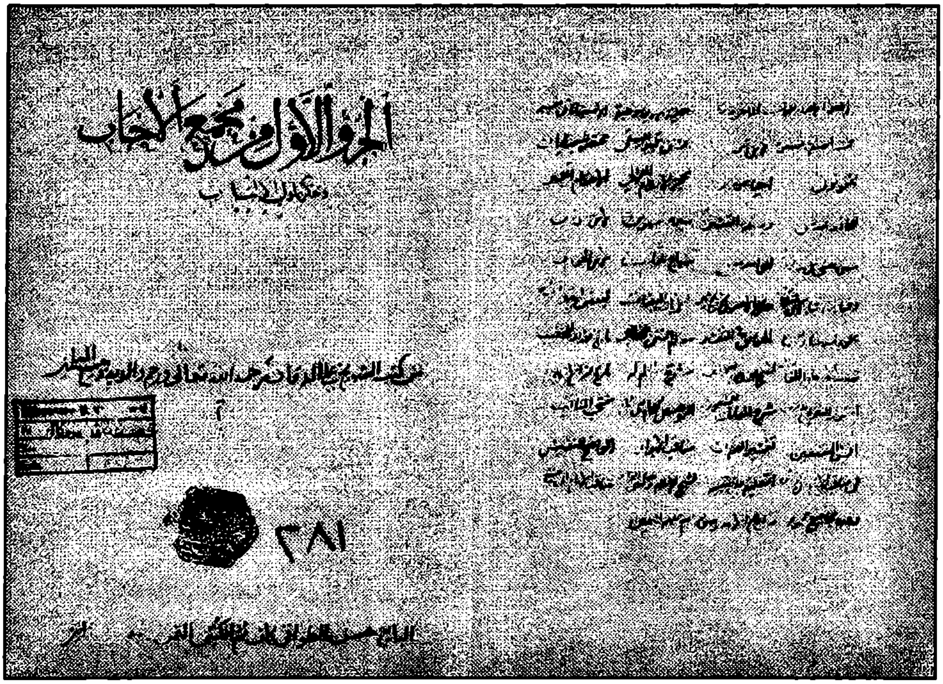
راموز ورقة العنوان للنسخة رقم (٢)



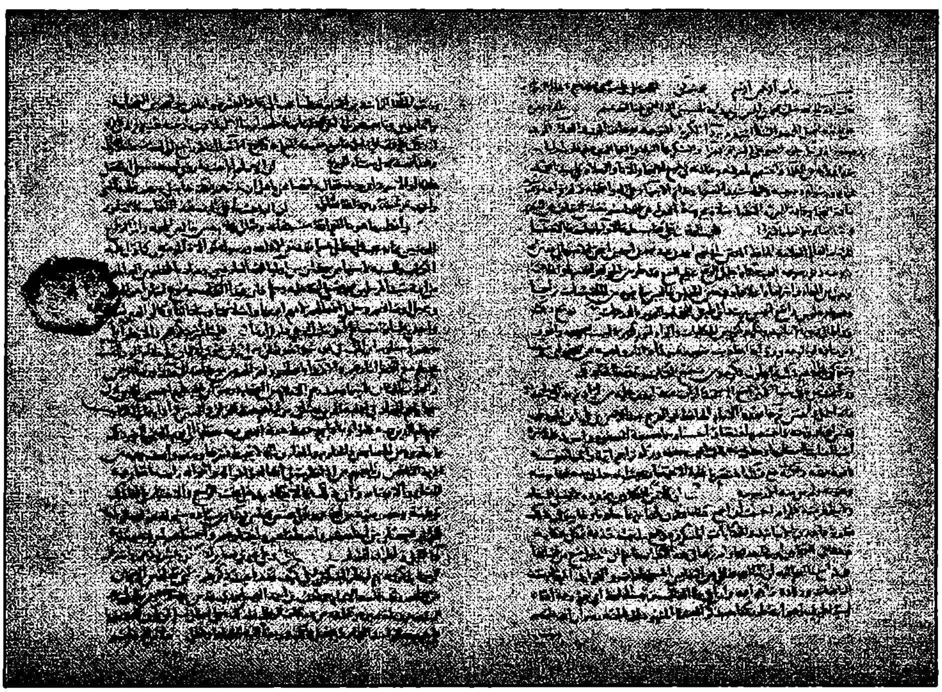
راموز الورقة الأولىٰ للنسخة رقم (٢)



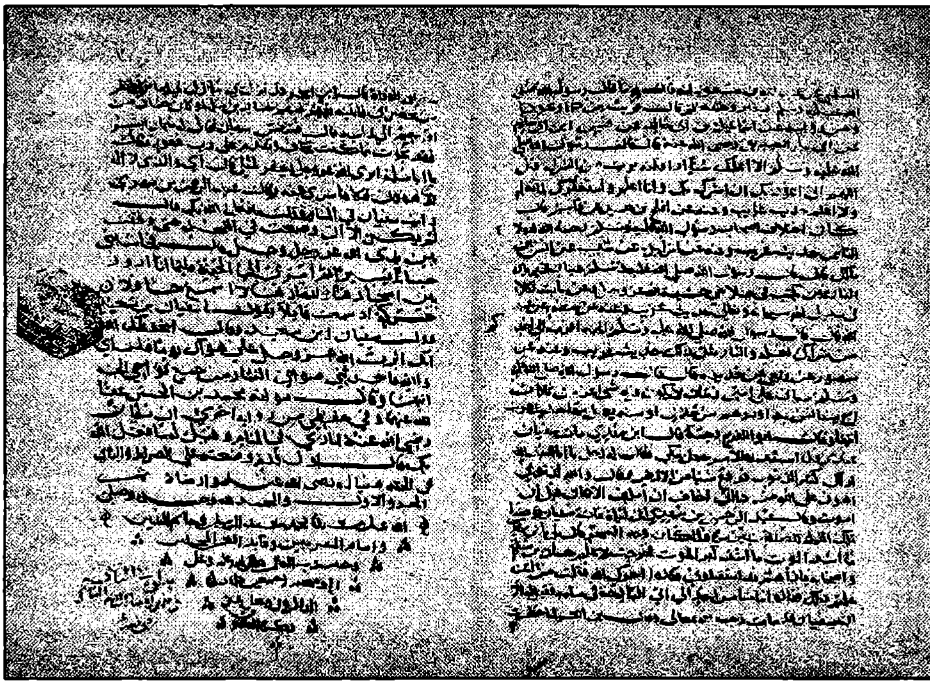
راموز الورقة الأخيرة للنسخة رقم (٢)



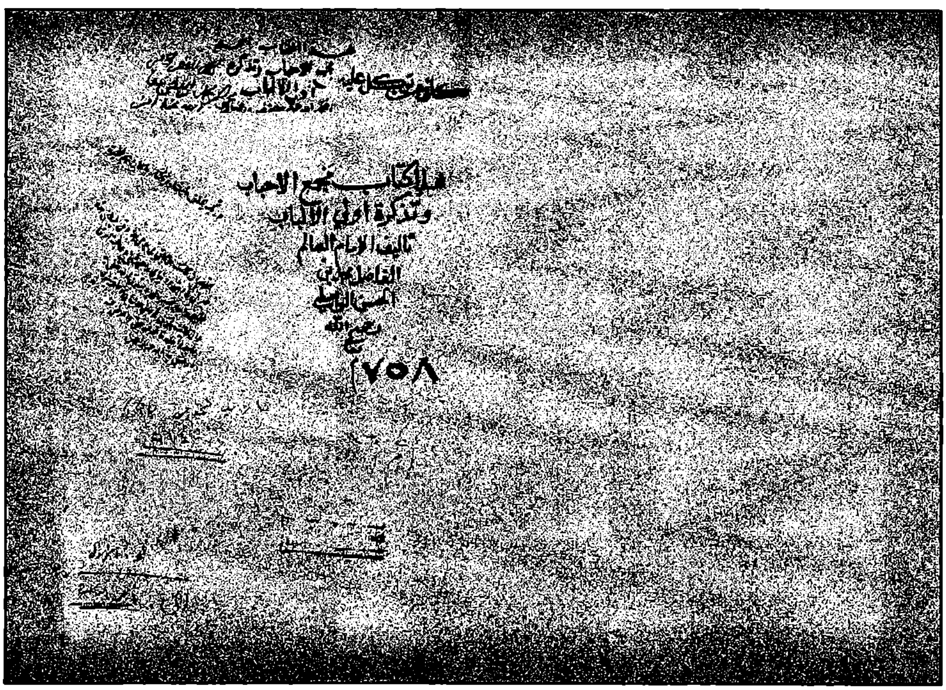
راموزِ ورقة العنوان للنسخة رقم (٣)



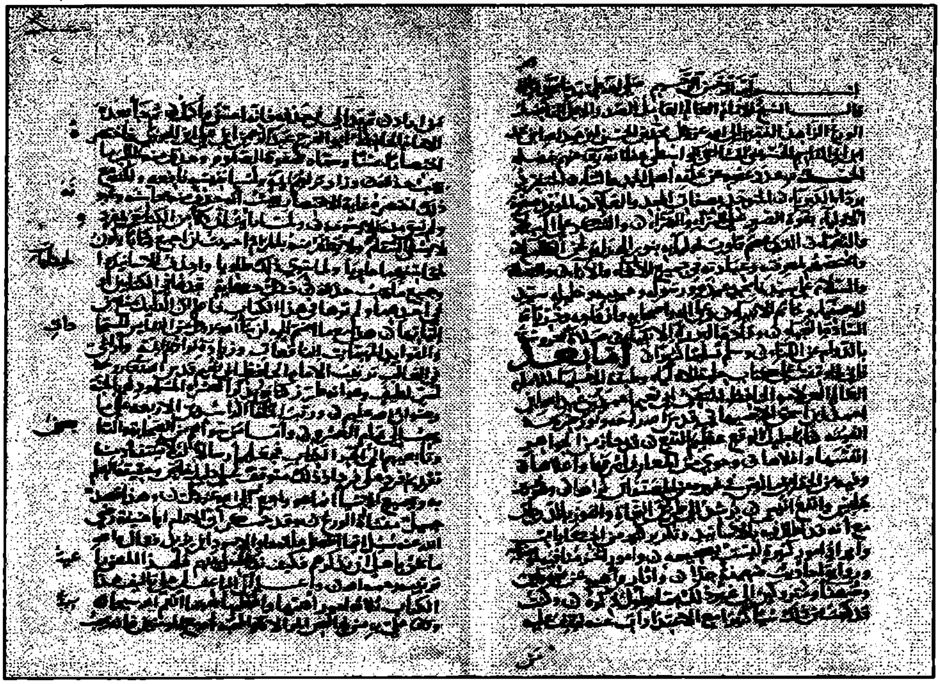
راموز الورقة الأولىٰ للنسخة رقم (٣)



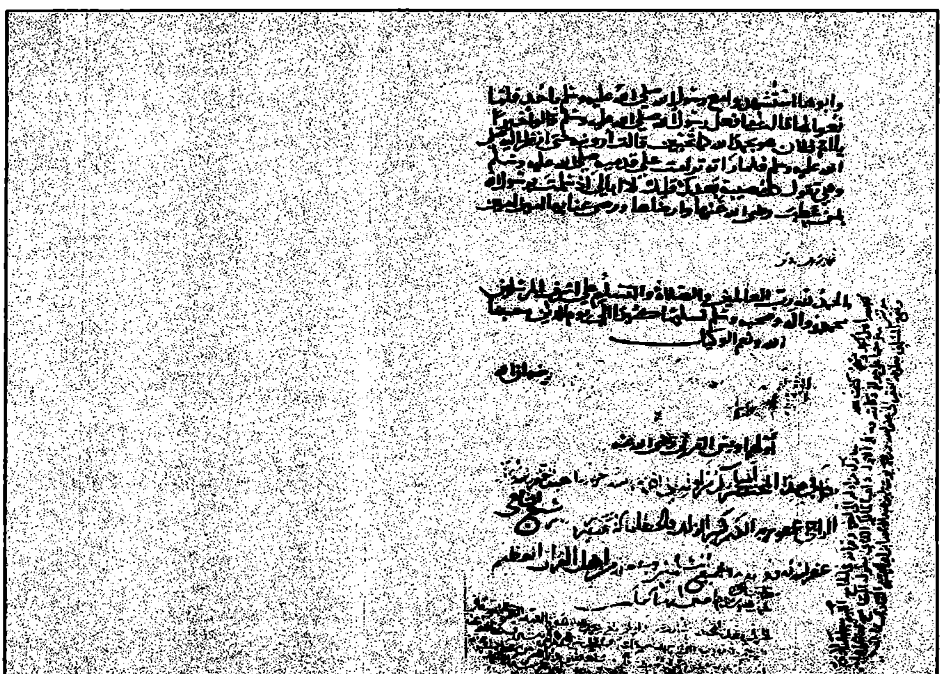
راموز الورقة الأخيرة للنسخة رقم (٣)



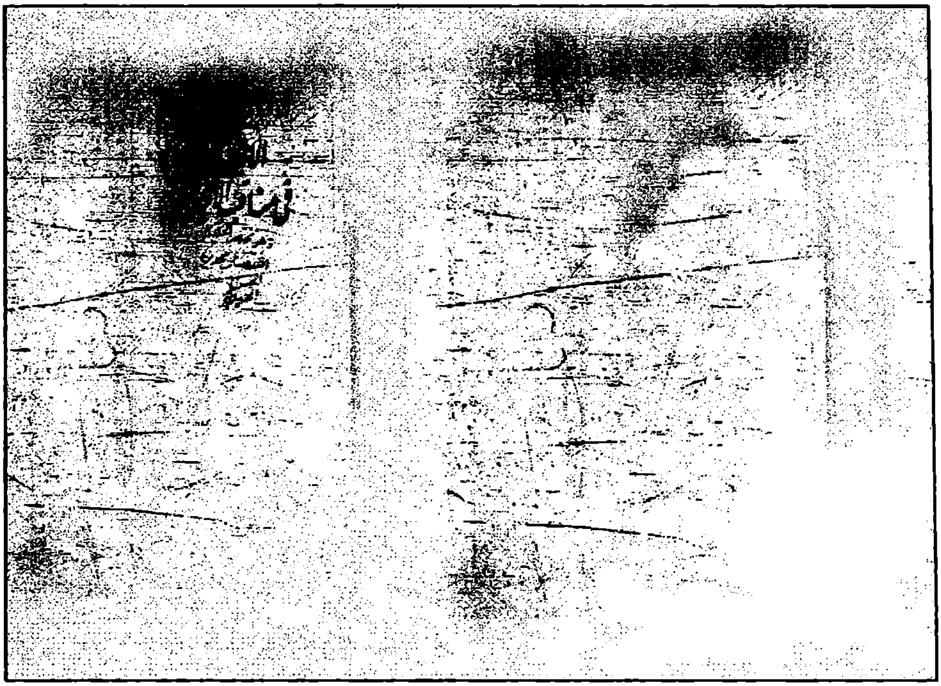
راموز ورقة العنوان للنسخة رقم (٤)



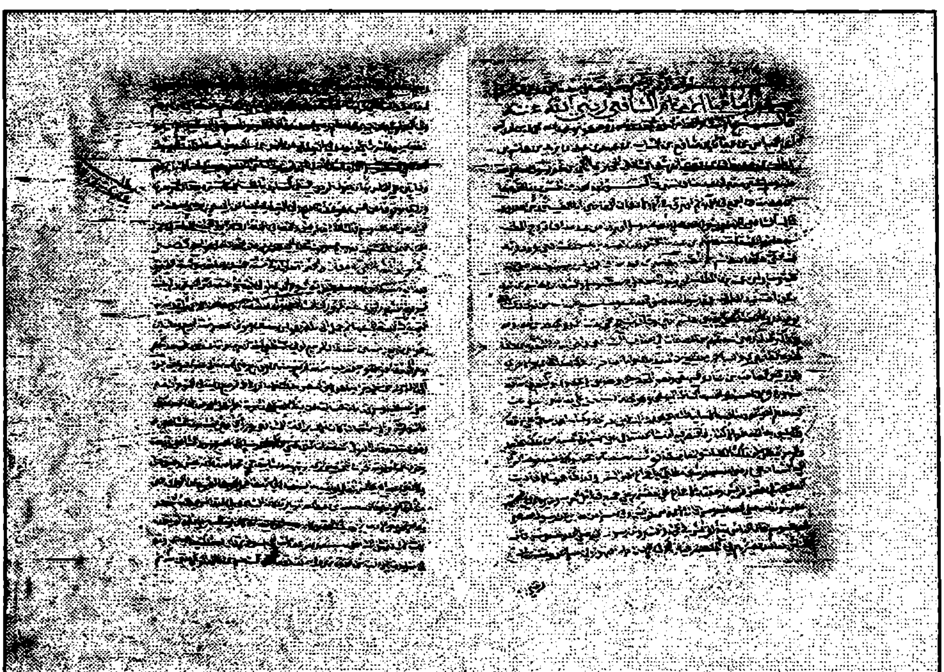
راموز الورقة الأولىٰ للنسخة رقم (٤)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة رقم (٤)



راموز ورقة العنوان للنسخة رقم (٥)



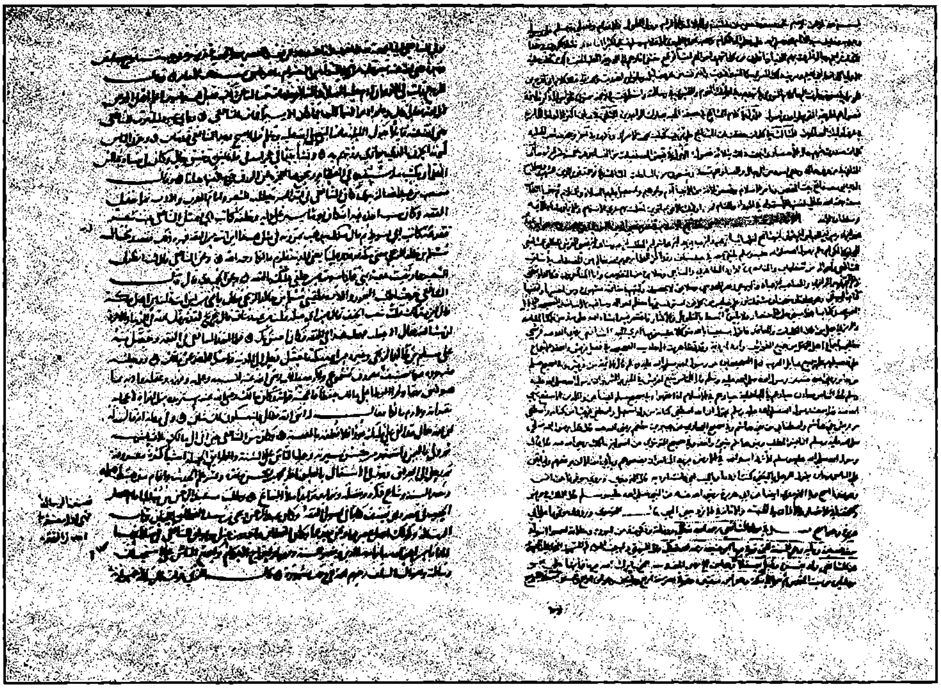
راموز الورقة الأولىٰ للنسخة رقم (٥)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة رقم (٥)



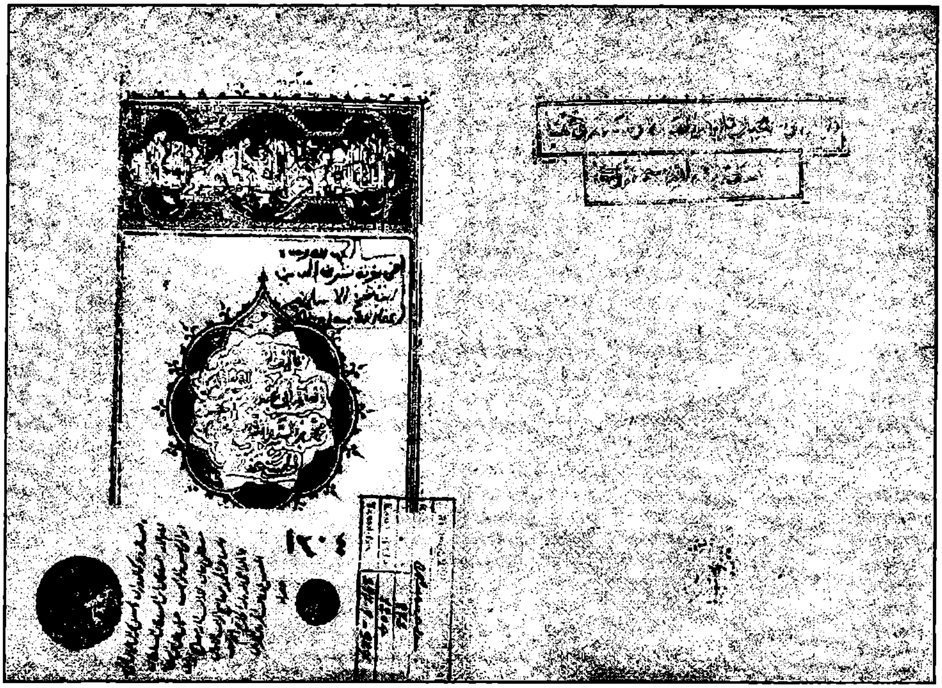
راموز ورقة العنوان للنسخة رقم (٦)



راموز الورقة الأولىٰ للنسخة رقم (٦)



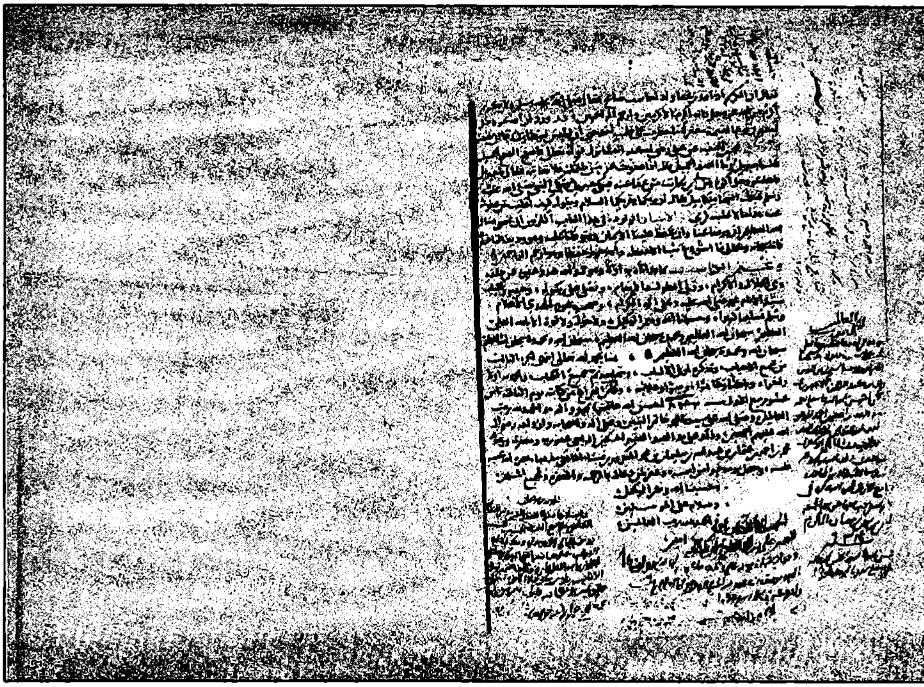
راموز الورقة الأخيرة للنسخة رقم (٦)



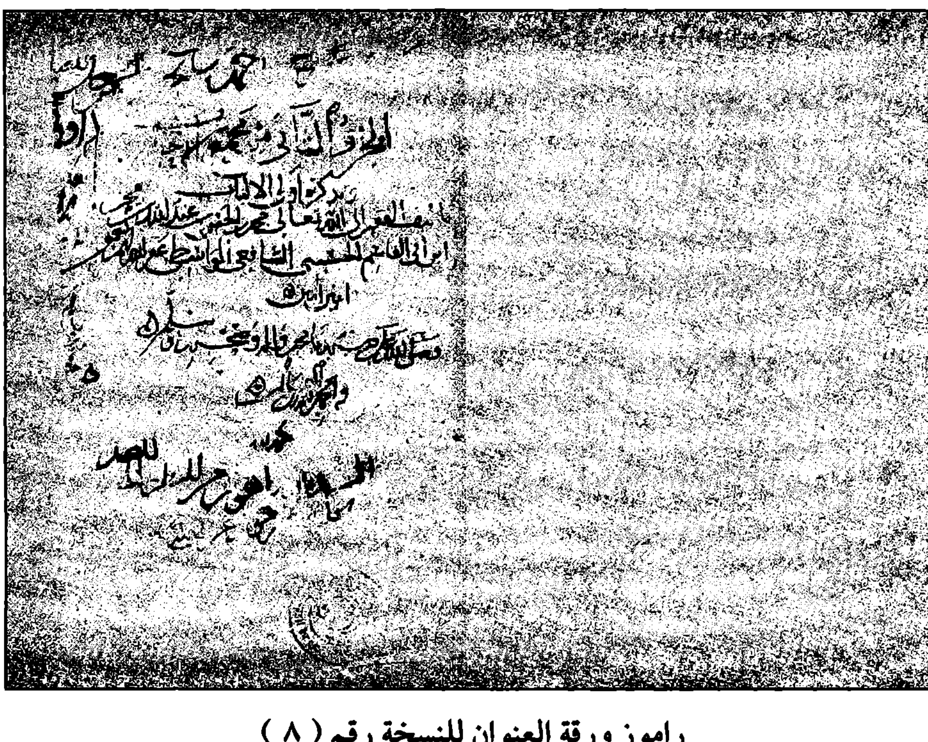
راموز ورقة العنوان للنسخة رقم (٧)



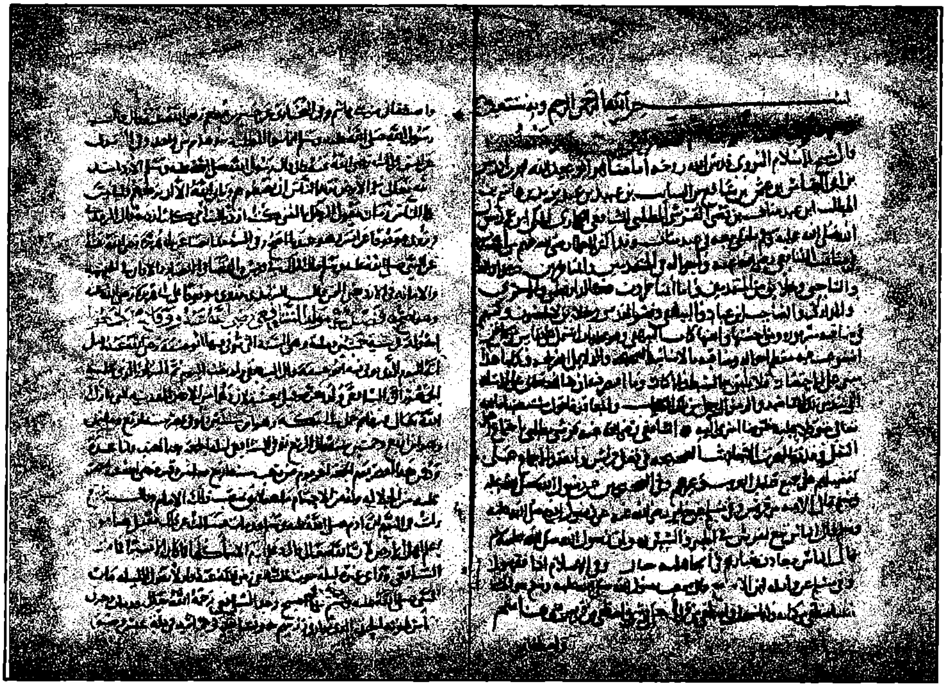
راموز الورقة الأولىٰ للنسخة رقم (٧)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة رقم (٧)



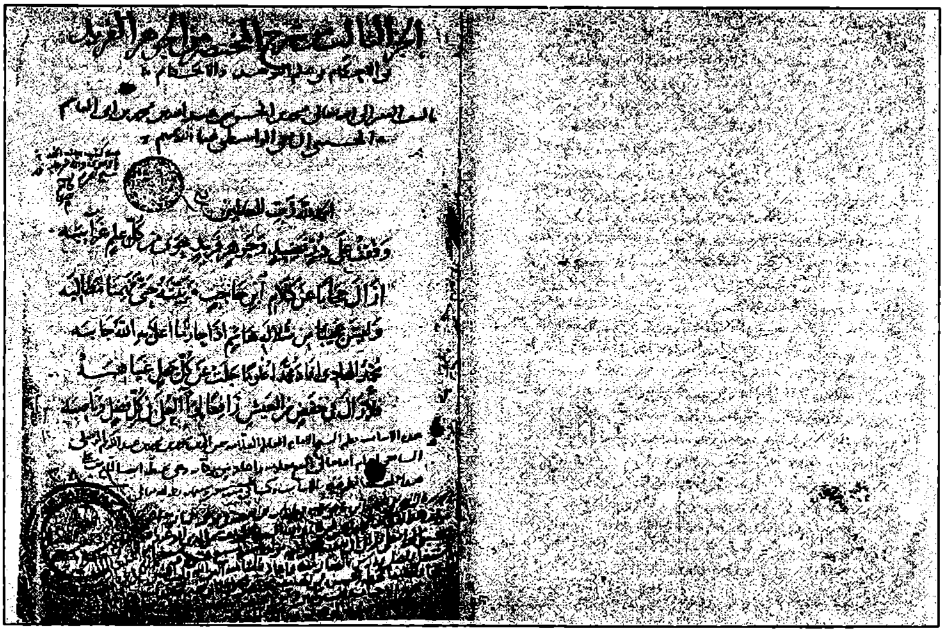
راموز ورقة العنوان للنسخة رقم (٨)



راموز الورقة الأولىٰ للنسخة رقم (٨)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة رقم (٨)

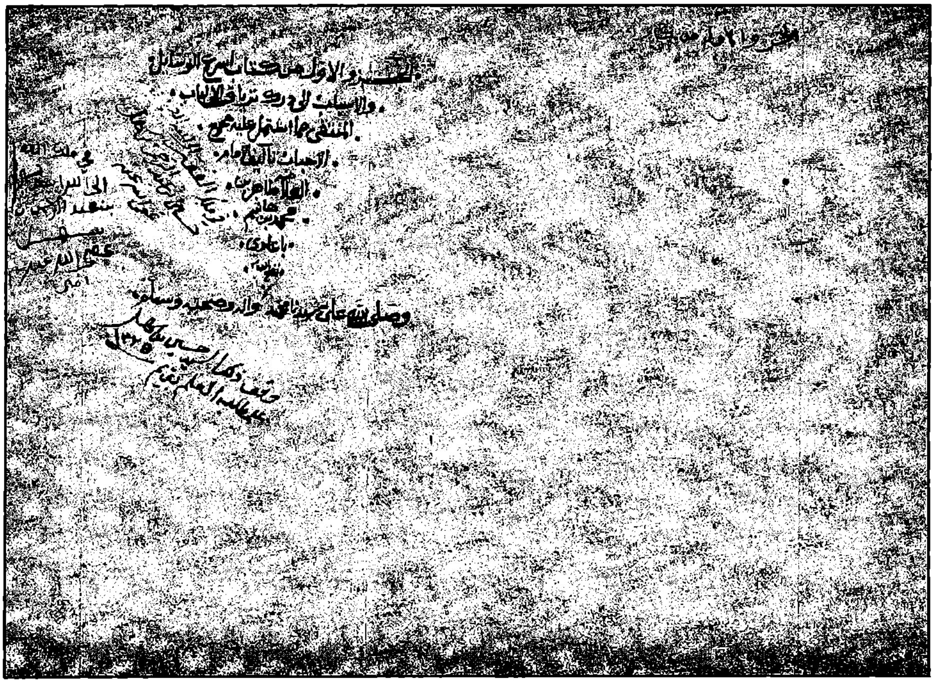
نموذج من خط المؤلف رحمه الله



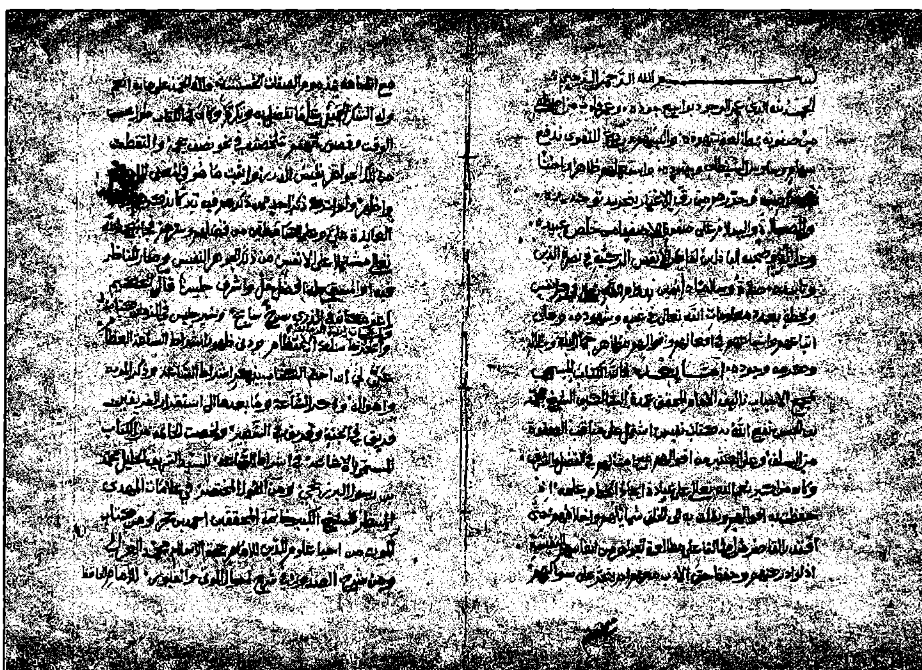
راموز ورقة العنوان لكتاب « مختصر ابن الحاجب » للإمام الواسطي



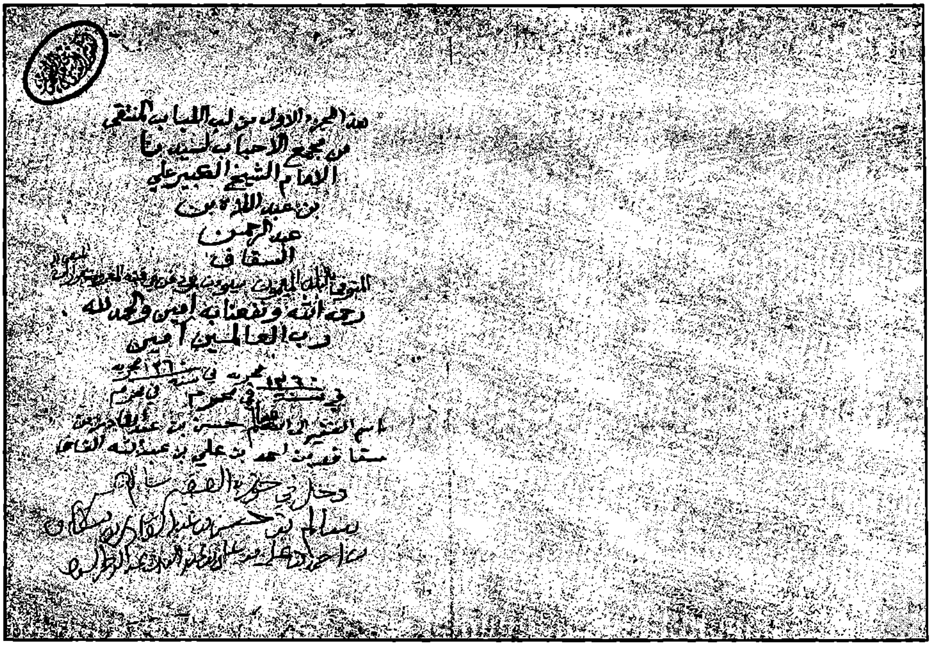
راموز الورقة الأولىٰ لكتاب « مختصر ابن الحاجب » للإمام الواسطي



راموز ورقة العنوان لكتاب « أسرع الوسائل » (ج ١)



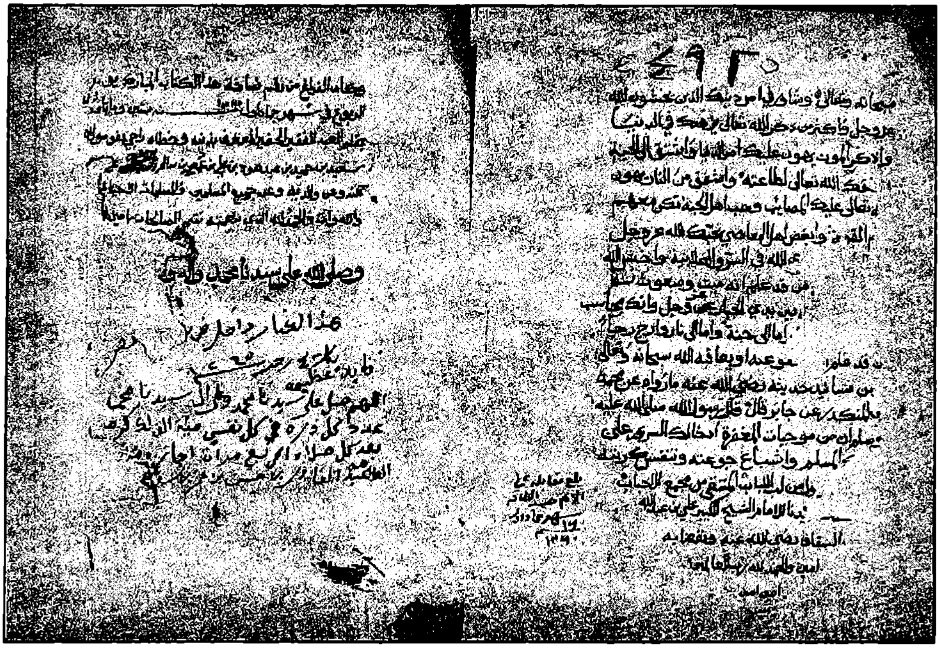
راموز الورقة الأولىٰ لكتاب « أسرع الوسائل » (ج ١)



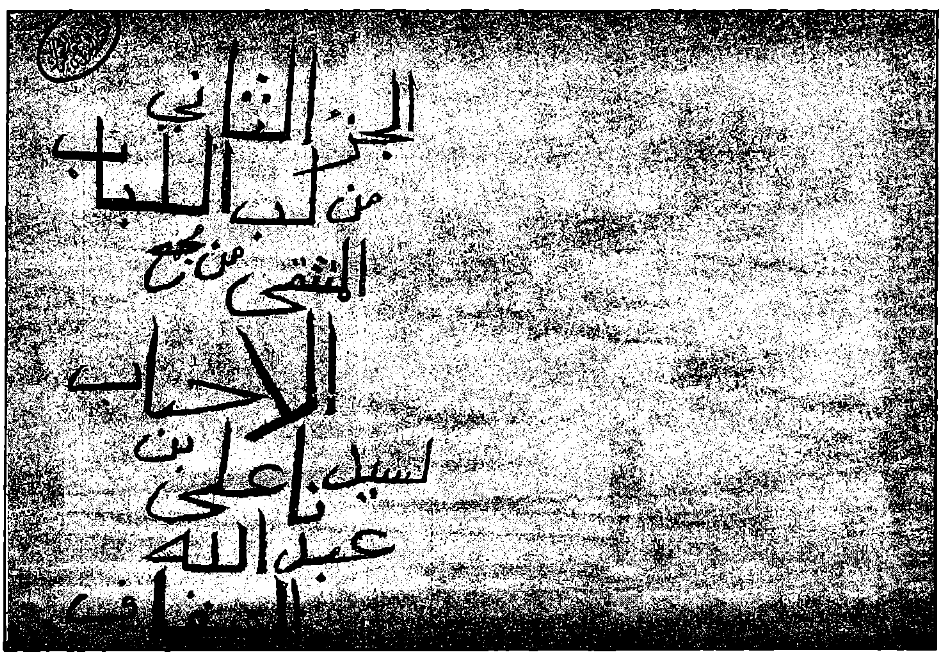
راموز ورقة العنوان لكتاب « لب اللباب » (ج ١) للسيد السقاف



راموز الورقة الأولىٰ لكتاب « لب اللباب » (ج ١) للسيد السقاف



راموز الورقة الأخيرة لكتاب « لب اللباب » (ج ١) للسيد السقاف



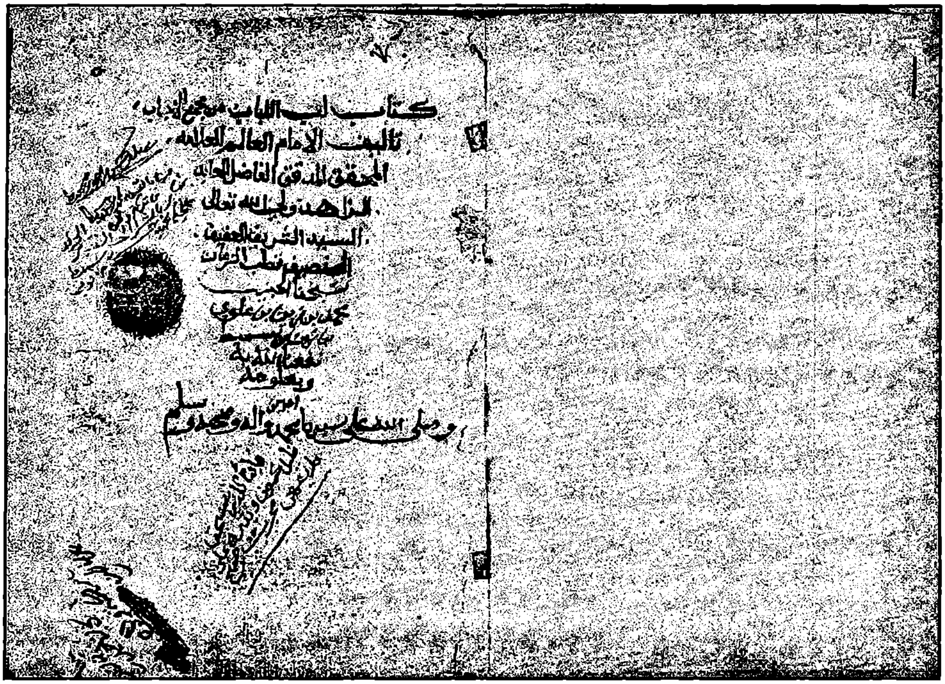
راموز ورقة العنوان لكتاب « لب اللباب » (ج ٢) للسيد السقاف



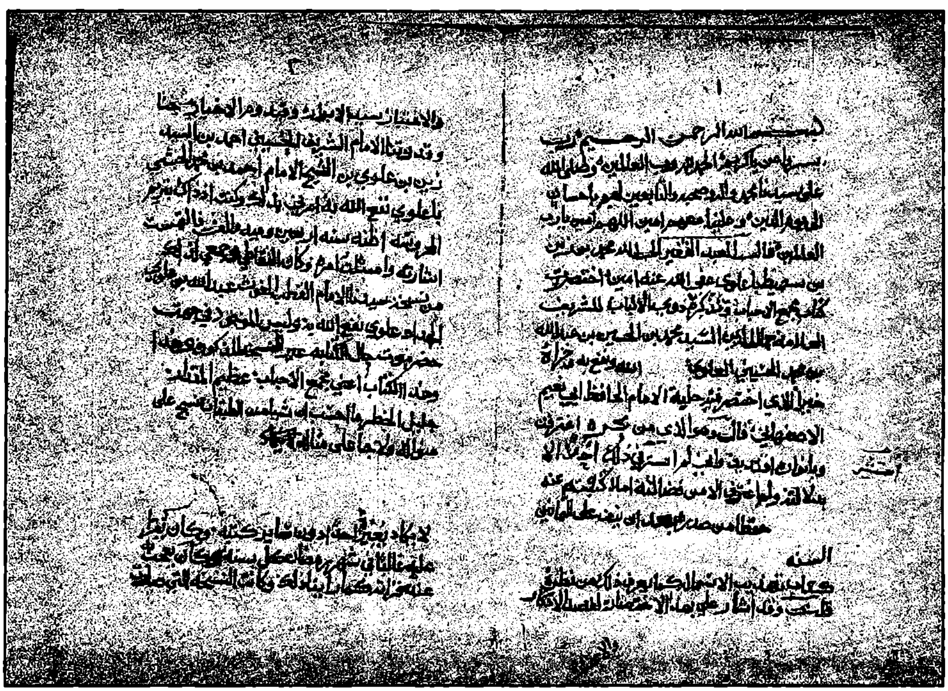
راموز الورقة الأولىٰ لكتاب « لب اللباب » (ج ٢) للسيد السقاف



راموز الورقة الأخيرة لكتاب « لب اللباب » (ج ٢) للسيد السقاف



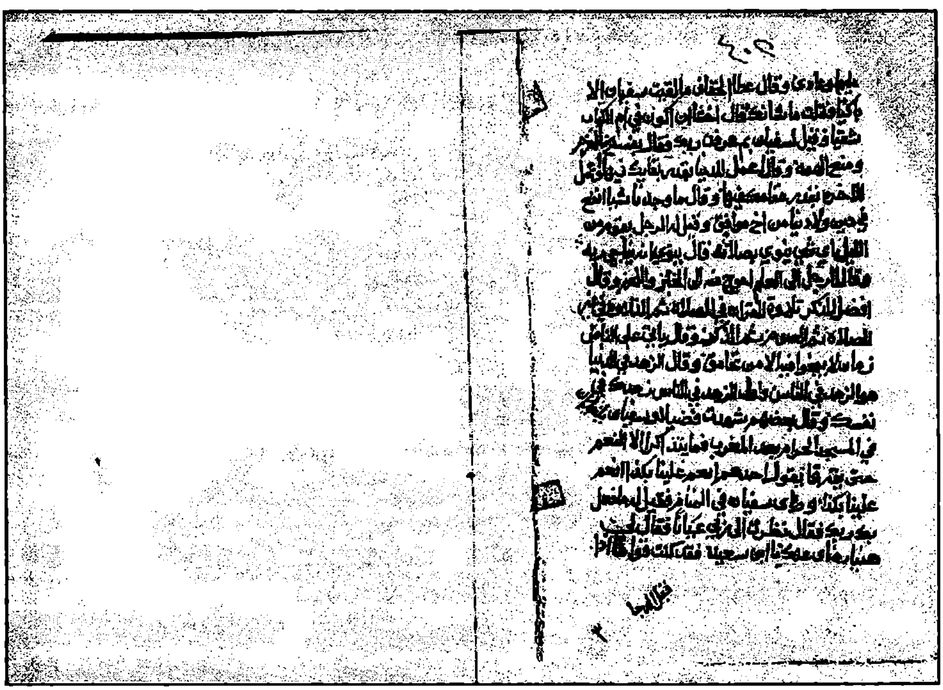
راموز ورقة العنوان لكتاب « لب اللباب » لابن سميط



راموز الورقة الأولىٰ لكتاب « لب اللباب » لابن سميط



راموز من الأوراق الأخيرة لكتاب « لب اللباب » لابن سميط



راموز من الأوراق الأخيرة لكتاب « لب اللباب » لابن سميط

مجمع الأحباب

وتذكرة أولي الألباب

تأليف

الشيخ الإمام العالم الورع

الشريف محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي

رحمه الله تعالى

(٧١٧ - ٧٧٦هـ)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَما تَوفيقيَ إلَّا باللهِ، عَلَيه توكَّلت

[مُقدّمة الكتاب]

قال الفقير إلى الله تعالىٰ محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الشافعي عفا الله عنهم :

الحمد لله عدد عفوه عن خلقه ، أهل الحمد والثناء ، المُتفرد برداء الكبرياء ، المتوحِّد بصفات المجد والعلاء ، المؤيد صفوةَ الأولياء بقوة الصبر على السَّراء والضراء ، والشكر على البلاء والنَّعماء ، الذي عصم قلوب أوليائه بنور الهداية عن الظلماء ، واختصهم لمعرفته وعبادته في جميع الأنحاء والآناء .

والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد عبده ورسوله وحبيبه وخليله سيد الأصفياء ، وخاتم الأنبياء ، وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه وذريته سادة النجباء ، وقادة البررة الأتقياء . . صلاةً محروسة بالدوام عن الفناء ، مصونة على التعاقب عن التصرم(١) والانقضاء ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإني لما وقفت علىٰ كتاب « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » للإمام العالم العلامة الحافظ المتقن : أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ ألفيته كتاباً جليل الوقع ، عظيم النفع ، قد حاز من الجواهر أنفسها وأغلاها ، وحوىٰ من المعارف أشرفها وأعلاها ، وفيه من الحقائق ما ليس في غيره من المصنفات تراها ، وهو خير جليس ، وأنفع أنيس ، يرشد إلىٰ طريق النجاة والفوز بالدرجات .

بيد أنه مع ذلك : قد أطال فيه بالأسانيد ، وتكرير كثير من الحكايات ، وإيرادِ أمور كثيرة ليست بصحيحة ، وأمور أُخر منافية لموضوعه ، وروايةِ أحاديث ضعيفة جداً ، وآثار واهية عن مجهولين وضعفاء ومتروكين . . . إلىٰ غير ذلك مما يطول ذكره .

ومن تتبع الكتابَ . . وجده طافحاً بذلك ، وكنت قد كتبت من ذلك شيئاً كثيراً مع

---

(١) التصرُّم : التقطع .

الاعتذارات عنه ؛ ليقف عليه من أراد ، ثم بدا لي في حذفه ؛ فإنه أجمل وأحسن .

ثم جاء بعده الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمـٰن بن علي ابن الجوزي ـ قدس الله روحه ـ فاختصره اختصاراً حسناً ، وسماه : « صفة الصفوة »[١] ، وانتقد عليه عشرة أشياء أصاب في معظمها[٢] ، وحذف منه غالب ما يجب حذفه ، وزاد تراجم أئمة ، وأشياء نفيسة نافعة مهمة ، ولـٰكنه مع ذلك اختصره غاية الاختصار ، بحيث إنه حذف منه محاسنه وعيونه ، ولم يبق منه إلا رسومه .

ولما رأيت أن كلاً من الكتابين بمفرده لا يشفي السقام ، ولا يظفر منه بالمرام . . أحببت أن أجمعَ كتاباً يكون لمحاسنهما حاوياً ، ولما سوىٰ ذلك طاوياً ، وأحذفَ الأسانيد والحكاياتِ المتكررة وجميعَ ما يجبُ حذفه .

فكلُّ حكاية تجدها في الكتابين أو في أحدهما ولم ترها في هـٰذا الكتاب . . **فاعلم أن الدليل مَنَع من إثباتها .**

هـٰذا مع ما أضم إليه ـ إن شاء الله ـ من النفائس المستجادات ، والفوائد المهمات النافعات ، وزيادة تراجم أئمة ، وأُراعي في الغالب ترتيب الحافظ أبي نعيم ـ قدس الله روحه ـ لسرٍّ لطيفٍ ، وهو أنه طرز كتابه بذكر العشرة المشهود لهم بالجنة رضوان الله عليهم ، ورتب الخلفاء الراشدين الأربعة علىٰ ما يجب إلىٰ تمام العشرة ، وأما من سواهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلىٰ آخر الكتاب . . فجعلهم أرسالاً ؛ لئلا يستفاد منه تقديم فرد علىٰ فرد ؛ إذ ذلك متوقف علىٰ دليل خاص ، وحقيقةُ العلمِ به وبجميع الأشياء إنما هو راجع إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، وهـٰذا قصد جميل منشؤه الورع .

وقد حكي : أن الإمام أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ سُئل : أيهما أفضل : علقمة [بن مرثد] أو الأسود بن يزيد ؟ فقال : والله ؛ ما نحن بأهل أن نذكرهم ، فكيف نفاضل بينهم ؟!

فلهـٰذا المعنىٰ راعيت ترتيبه رحمه الله تعالىٰ .

واعلم : أن الباعث لي علىٰ تأليف هـٰذا الكتاب ثلاثة أمور :

أهمها وأعظمها : هو ما أنعم الله سبحانه وتعالىٰ عليَّ به من خالص المحبة والموالاة

---

(١) في نسخة : « صفة الصفوة » ، وذكر بروكلمان الاسمين معاً .

(٢) ولابن الجوزي نقدٌ لكتاب « الحلية » فيما يتعلق بالأسانيد ، وفي أسلوب السجع الذي وسمه بالبارد ، ومن أراد الإحاطة بتفصيلات نقده . . فعليه بمراجعة « صفة الصفوة » (١/ ١٤ـ١٦) .

لجميع المؤمنين ؛ فإنه يجب علىٰ كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله . . موالاة المؤمنين ؛ كما دل عليه الكتاب والسنة ، لا سيما من كان من أولياء الله العالمين العارفين ، وعباده المخلَصين العاملين من أمة سيد المرسلين محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فإن هـٰذا الكتاب موضوع لبيان أحوالهم ، وجميل أوصافهم ، وجليل أفعالهم ؛ لأنهم أئمتنا وأسلافنا وساداتنا ، وكالوالدين لنا ، وأجدىٰ علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا ، فيجب علينا نشر ذِكرهم ، والانطواء علىٰ حبهم .

ومعلوم أن الحبَّ في الله سبحانه وتعالىٰ من أوثق عرى الإيمان ، وإخلاصَ الودِّ والتمسكَ بحبهم مع اقتفاء آثارهم والاقتداء بهم في أفعالهم وأقوالهم . . من موجبات الاهتداء ، ورضاء الرحمـٰن جلَّ جلاله ، والفوز بالجنان ، لا سيما وصدرهم الأعلام من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

الذين أول سجاياهم : الجهاد في إقامة الدين .

وثاني مزاياهم : حفظ القرآن والسنن ، وأداؤهما إلى التابعين .

فبهم قام الدين ، وبه قاموا ، وبأدائهم حفظ الدين ، وبه حُفظوا إلىٰ يوم الدين ، إلىٰ غير ذلك مما حازوه من الخصائص والعلوم والمعارف ، التي لا يحيط بعُشْرها وصفُ واصفٍ .

وفيه من الأئمة التابعين وتابعيهم من إذا نظرت في أقواله وأفعاله وأحواله . . رأيت ما تحار فيه البصائر والأبصار ، وإن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوسع والاختيار ، بل إنما ذلك موهبة وخصوصية من الله عز وجل يختص بها من يشاء من عباده ، سبحانه هو الله الواحد القهار .

فسبحان من أخلصهم واصطفاهم ، واختارهم واجتباهم لمعرفته وعبادته آناء الليل وأطراف النهار .

وواجبٌ عليَّ وعلىٰ غيري . . تعطيرُ الأكوانِ بنشر ذكرهم ، واستنزالُ الرحمةِ بذكر وصفهم ؛ لينظر المسكين مثلي كيف قدره عند ذكرهم ، وأين محله من الإيمان من محلهم ، وقد قال الإمام حمدون بن أحمد النَّيسابوري ـ قدس الله روحه ـ : من نظر في سِيَرِ السلف . . عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

فلذلك ينبغي لكل مسلم :

أن يكونَ قلبُه منطوياً علىٰ حبهم لله الواحد القهار ، ويجعلَ ذلكَ ذريعةً إليه سبحانه

وتعالىٰ ، وإخلاصَ الود لهم فيه وسيلةً ومقرِّباً إليه عز وجل ، ويجعلَ سيرتهم وأحوالهم نَصْبَ عينيه ، ويأخذَ في الجد والاجتهاد بما كانوا عليه ، ويغتنمَ ساعته التي هو فيها ، ويجهدَ ألاَّ تكون عليه ، ويحاسبَ نفسه على الحركات والسكنات ، والخطوات والخطرات ، ويداومَ علىٰ ذكر الله عز وجل في جميع الأوقات ؛ فقد ورد : أنه ما من ساعة تمضي على المرء لا يذكر الله سبحانه فيها . . إلا تقطعت نفسه عليه حسرات .

هٰذا مع لزوم التقوىٰ وصدق الالتجاء إلى الله عز وجل في أن يوفقَه لما وفقهم ، وأن يجمعَ بينه وبينهم في دار السلام ، فإنْ عجز عن ذلك . . فلا يفوته صدق المحبة ، ولا الإخلاص في موالاتهم ؛ فإن صدق المحبة لهم تلحقه بهم وإن لم يعمل أعمالَهم .

وقد دلت السنة الشريفة علىٰ ذلك ، وأفرد العلماء رحمهم الله لذلك باباً ، منهم : البخاري ، ومسلم ، وأبو داوود ، والترمذي ، والبزار ، وغيرهم .

وممن بوَّبَ لذلك أيضاً : الحافظ عبد الحق(١) ـ رحمه الله ـ في « أحكامه الكبرىٰ » فإنه قال :

بابٌ : المرء مع من أحب

مسلمٌ [٢٦٣٩] : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، وإسحاق بن إبراهيم ؛ قال إسحاق : أخبرنا ، وقال عثمان : حدثنا جريرٌ عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، حدثنا أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه قال : بينما أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجين من المسجد ؛ فلقينا رجل عند سدة المسجد ، فقال : يا رسول الله ؛ متى الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أعددتَ لها ؟! » قال : فكأن الرجل استكان ، ثم قال : يا رسول الله ؛ ما أعددت لها كثير صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدقةٍ ، ولٰكني أحب الله ورسوله ، قال : « **فأنت مع من أحببت** » .

وفي رواية أخرىٰ لمسلم [٢٦٤٠] : قال : يا رسول الله ؛ كيف ترىٰ رجلاً أحب قوماً ولمَّا يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المرء مع من أحب** » .

(١) هو عبد الحق بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي ، أبو محمد ، المعروف بابن الخرَّاط ، من علماء الأندلس ، كان فقيهاً ، حافظاً ، عالماً بالحديث وعلله ورجاله ، له كتب منها : « الأحكام الشرعية » ثلاثة كتب (كبرىٰ ، وصغرىٰ ، ووسطىٰ) ، وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ في تونس بالقرب من جامع الزيتونة عام (٥٨١هـ) . انظر « الأعلام » (٣/ ٢٨١) .

وفي رواية أبي داوود [٥١٢٧] عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه قال : رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحوا بشيء لم أرهم فرحوا بشيء أشد منه ، قال رجل : يا رسول الله ؛ الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به ولا يعمل بمثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المرء مع من أحب** » .

وفي رواية الترمذي [٣٥٣٥] : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش قال : أتيت صفوان بن عسال . . . فذكر الحديث .

وفيه [٣٥٣٦] : عن صفوان قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، فناداه رجل كان في آخر القوم بصوت جَهْوَري جلفٍ جافٍ[١] ، فقال : يا محمد ، يا محمَّد ؛ فقال له القوم : مه ؛ إنك نُهيت عن هٰذا ، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من صوته : « هاؤم » ، فقال : الرجل يحب القوم ولمَّا يلحق بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **المرء مع من أحب** » قال : وهٰذا حديث صحيح .

وفي طريق أخرىٰ له [٣٥٣٥] صححها أيضاً : « **المرء مع من أحب يوم القيامة** » .

زاد في رواية أخرىٰ [٢٣٨٦] : « **وله ما اكتسب** » وقال : هٰذا حديث حسن غريب .

البزار : حدثنا محمد بن إسحاق البغدادي ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا همام بن يحيىٰ قال : سمعت إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال : حدثني شيبة الخُضْري : أنه شهد عروة يحدث عمر بن عبد العزيز ، عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لا يجعل الله رجلاً له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ، وسهام الإسلام : الصوم والصلاة والصدقة ، ولا يتولى الله رجلاً فيوليه يوم القيامة غيره ، ولا يحب رجل قوماً . . إلا جاء يوم القيامة معهم** » .

قال : « **والرابعة : لا يستر الله علىٰ عبد في الدنيا . . إلا ستر الله عليه في الآخرة** »[٢] انتهىٰ ما رواه الحافظ عبد الحق رحمه الله .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : لا يخفىٰ وجه الدلالة من هٰذه الأحاديث الصحيحة الصريحة علىٰ أن من أحب قوماً . . جاء معهم ، وإنما الشأن في الحب ، والغموضُ في تحقيق معناه ؛ فإنه عزيز جداً ، فلذلك لا تحصل المحبة لكل أحد ، وأين

---

(١) جهوري : شديد عالٍ .

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم (١/ ١٩) ، وأحمد (١/ ١٦٠) ، والطبراني في « الكبير » (٨/ ٢٦٣) .

الناس وهيهات ؛ فالمحبة يدعيها كل أحد ، فما أسهل الدعوىٰ وما أعز المعنىٰ ، ولو ذكرت لك شروط المحبة وما به تتحقق. . لعرفت أني وإياك عنها بمعزلٍ .

واعلم : أن حقيقة المحبة وشروطها أذكره ـ إن سهَّلَ الله سبحانه وتعالىٰ ـ في تصنيف سمّيته : « **إشراق الصباح في حياة الأرواح** » ، وأُبين فيه شروط المحبة ـ في باب المحبة منه ـ أحسن بيان إن شاء الله تعالىٰ[1] .

ثم اعلم : أن هـٰذه المحبة إذا حصلت. . ترتب عليها آثارها من كون المحب مع المحبوب في دار واحدة ، ولا يلزم أن تكون منزلتهما وأجرهما سواء ، ويا لها من نعمة ما أسبغها! ومن سعادة ما أعظمها! ومن تجارة ما أربحها! إذ قد أسعد الله عز وجل هـٰذه الأمة بأن جعل مُقتَصِدها إذا صدق في الحب. . كان مع سابقها ، وإذا كان الصحابة رضوان الله عليهم قد فرحوا بذلك فرحاً لم يفرحوا بعد الإسلام بمثله. . فما ظنك بالذين جاؤوا من بعدهم ، لا سيما في زماننا هـٰذا ؟!

وثانيها : أن هـٰذا الكتاب موضوع لحياة القلوب وصلاحها ، ونجاةِ النفوس وفلاحها ، وللنظر في سيرة من سلف من أئمة الدنيا وأعلامها ؛ لأن أخبار الأخيار. . دواء القلوب ، وجلاء الألباب .

وكل ذلك باعث لي ولغيري إلى التنبه من رقدة الغفلة ، والتجافي عن دار الغرور والمهلة ؛ فإن الناظر كلما نظر في سيرهم وأحوالهم ، وما كانوا عليه من زهدهم في الدنيا ، حتىٰ طلاق بعضهم لها ، بل بعضهم لم تخطر له علىٰ بال. . يوجب له ذلك سلوك سبيلهم ، والاجتهاد في متابعة طريقهم ، فهي ـ والله ـ طريق النجاة ، والفوز بالدرجات ، وبها تنال السعادة الأبدية ، والنعم السرمدية ، التي لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ولمثله كان يدأب العارفون .

وأعظم من ذلك وأكبر : رضوان الله عزَّ وجلَّ ، والنظر إلىٰ وجهه الكريم .

فاجتهد أيها المسكين ـ وكلنا ذلك المسكين ـ في فكاك رقبتك .

واعلم : أن حياتك أمامك ، فتدارك فوات حظك من الله عز وجل قبل أن لا يمكن

---

(١) ولخص المؤلف ـ رحمه الله ـ كلاماً في المحبة من الكتاب المذكور ، وسيأتي ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ في ترجمة سمنون المحب رضي الله عنهم أجمعين .

التدارك ، واندم وتحسَّر علىٰ ما ضيعت من العمر ، وابكِ بعد الدموع دماً علىٰ تقصيرك وتخلفك عن واجب حق الله تعالىٰ .

واعلم : أنك لو قمت عمرَ الدنيا في طاعة الله عز وجل علىٰ جفون عينيك . . ما أديت شكر ما يجب عليك .

وإني لأقول هـٰذا وما أعلم ـ والله العظيم ـ أن أحداً من المؤمنين أحوجُ إلىٰ هـٰذا مني ، ولا أشد تضييعاً ولا أكثر تقصيراً ، وأود ـ والله العظيم ـ أن لو كان عمري الذي مضىٰ كله كفافاً لا علي ولا لي ، وأن يحصل لي عمل واحد يرضاه الله عز وجل ويقبله ، ولست ـ والله ـ راضياً عن نفسي ولا طرفة عين ، وأين الرضا ؟! وكيف الرضا ؟!

هيهات!! هيهات!!

يا حسرتا علىٰ ما فرطتُّ في جنب الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ويحك!! اعرف فاقة نفسك ، وذلتها ، وحقارتها ، وقف بين يديه سبحانه وتعالىٰ ، وتضرَّع ، واصدق في الالتجاء إليه ؛ لعله سبحانه وتعالىٰ يُصلح قلبك ، فيوفِّقك لمرضاته .

ثم اذكر موقفاً يكون فيه دعوى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : « اللهم ؛ سلِّم سلِّم »(١) .

واذكر ناراً وقودها الناس والحجارة .

وقد روي : أن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام اجتاز في بعض سياحته ، فرأىٰ حجراً صغيراً ينبع منه ماء كثير ، فوقف عنده ، وتعجب من كثرة ذلك الماء ، فسأل اللهَ عزَّ وجلَّ أن يكلمه ذلك الحجر ؛ ليسأله عن ذلك ، فقال الحجر : يا روح الله ؛ منذ سمعت قوله تعالىٰ : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ فأنا أبكي خوفاً من تلك النار ، فسأل عيسىٰ عليه الصلاة والسلام من الله عز وجل أن يجير ذلك الحجر من النار ، فأجاره الله سبحانه ، فأعلمه عيسىٰ عليه الصلاة والسلام بذلك ، ثم أتىٰ عليه بعد حين ، فوجده باكياً كما كان ، فقال له عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : ما هـٰذا البكاء وقد أجرت من النار ؟! فقال : يا روح الله ؛ ذاك بكاء الخوف ، وهـٰذا بكاء السرور والشكر لله عز وجل .

وكفىٰ بهـٰذا موعظة وحسرة أن الحجارة أعقل من الإنسان .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٧٣) .

وقد دل علىٰ ذلك آيات ، أصرح ما فيها : قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ومنها : قوله تعالىٰ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

ومنها : قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

واذكر يوماً ترجف فيه الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيباً مهيلاً[1] ، ويوم يفرُّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، ويوم يَسألُ الصادقين عن صدقهم ؛ عيسى ابنَ مريم عليه الصلاة والسلام وأمثالَه .

فبالله.. انظر لنفسك كيف يكون الحال إذ ذاك ، إذا كان الصادقون يسألهم عن صدقهم ؟!

واذكر : أنَّ بين أيدينا أهوالاً أفزعت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

وثالثها : هو ما أرجوه من جزيل الثواب ، وأدخره عدة ليوم الحساب ؛ لعل الله عز وجل أن ينظر إلي نظر رحمة ، فيعاملني بما هو أهله ؛ فإنه أهل التقوىٰ ، وأهل المغفرة ، ووليُّ الخيرات في الدنيا والآخرة ، التي عرفناها برسوله الصادق الأمين محمد سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين .

وقد قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ .

واللهَ أسأل أن يحشرني في زمرتهم ، وأن يفيض علي من عرفانهم وبركتهم ، وأن ينفع بهـٰذا الكتاب ، ولا يجعله حجة عليَّ في يوم الحساب ؛ إنه قريب مجيب .

ثم اعلم : أنَّه لا سبيل إلى الإحاطة بأسماء أولياء الله العارفين ، ولا إلى استقصاء جميع أوصافهم علىٰ سبيل التفصيل .

وقد دلَّ على المقام الأول[2] : ما رُوِّيناه في « الصحيحين » وغيرهما :

---

(١) كثيباً مهيلاً : مصبوباً سائلاً لا يتماسك .

(٢) أراد المؤلف ـ والله أعلم ـ بالمقام الأول : عدم الإحاطة بأسماء الأولياء .

قال الحافظ عبد الحق رحمه الله في « الأحكام الكبرىٰ » : باب : ذكر كم يدخل الجنة بغير حساب .

مسلم [٢١٦] : حدثني حرملة ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا يونس ، عن ابن شهاب ، حدثني سعيد بن المسيب : أن أبا هريرة رضي الله عنه حدَّثه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون أَلفاً ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : فقام عُكَّاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرةً[1] عليه ، فقال : يا رسول الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ؛ اجعله منهم » ، ثم قام رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ؛ ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبقك بها عُكَّاشة » .

وفي رواية أخرىٰ لمسلم [٢١٩] : عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيدخُلنَّ الجنة من أمتي سبعون ألفاً ـ أو سبع مئة ألف ؛ لا يدري أبو حازم أيهما قال ـ متماسكون ، آخذ بعضهم بعضاً ، لا يدخل أولهم حتىٰ يدخل آخرهم ، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدر » .

وفي رواية البزار : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ، مع كلِّ واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً » .

وفي رواية الترمذي [٢٤٣٧] : عن أبي أُمامة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وعدني ربي أن يدخل الجنَّة من أمتي سبعين ألفاً ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألفٍ سبعون ألفاً ، وثلاث حثيات من حثياته » . اهـ[2]

وأما الدليل على المقام الثاني[3] : فهو مما يكاد يُعرف بالضرورة ، فلا يحتاج إلىٰ إقامة دليل عليه .

ولذلك ـ والله أعلم ـ اقتصر الحافظ أبو نعيم وغيره من الأئمة المتقدمين والمتأخرين ـ رحمهم الله ـ علىٰ جمعٍ من الأئمة الأعلام ، وعلىٰ نبذة يسيرة من أحوال أئمة الإسلام .

---

(١) النمرة : شِمْلةٌ ـ كساء يتغطَّىٰ به ويُتَلفَّف فيه ـ فيها خطوط بيض وسود ، كأنها أخذت من جلد النمر .

(٢) حثيات : كناية عن المبالغة في الكثرة ، وإلا . . فلا كفٌّ ثمَّ ولا حَثْيَ ، جل الله عن ذلك وعز .

(٣) وهو استقصاء أوصاف الأولياء العارفين بالله علىٰ سبيل التفصيل .

وأيضاً : فإن المقصود الأعظم.. إنما هو معرفة طريقهم ؛ ليحصل سلوك سبيلهم ، ومعلوم أن هـٰذا المقصود يحصل بأُنموذج لطيف ، بل ربما كان الاختصار أدعىٰ إلىٰ قَبول السامع ، وأكثر تطرية له ونشاطاً[1] ، فإن الإطالة قد تورث الملل والسآمة .

وأيضاً : فإن الإنسان إذا صرف عمره في تحصيل الموعظة.. فمتىٰ يعمل بها ؟!

وما أحسن ما حكي عن الإمام أبي حنيفة! فإنه قال لداوود الطائي ـ رحمهما الله ـ : أما الأداة.. فقد أحكمناها ، فقال له داوود : فما الذي بقي ؟ قال : العمل بها .

فوقعت هـٰذه الكلمة من قلب داوود كل موقع ، وأثَّرت جميل الآثار ،

ويقال : إنها كانت سبب زهده وعزوفه عن الدنيا وانقطاعه إلى الله سبحانه وتعالىٰ .

ثم إن كتابي هـٰذا يحتاج إلىٰ أمور :

منها : استيفاء تراجم الأئمة بأحسن من هـٰذا وأشبع ، وهـٰذا منع منه ضيق الوقت ، وقد ذكرنا أن الاستقصاء غير ممكن ، فلم يبق إلا ذِكر ما يحصل به المقصود .

ومنها : زيادة تراجم أئمة آخرين ، وهـٰذا لو حاولناه.. لأوردنا منه مجلدات ، ولحصل الملل والسآمة .

ومنها : أنك قد تجد في الكتابين المذكورين[2] أسماء جماعة من الأئمة ليسوا في كتابنا هـٰذا.. فاعلم : أن السبب في حذفهم : أن الحافظ أبا نعيم ـ قدس الله روحه ـ اقتصر في تراجمهم كل الاقتصار ، فلم يبق ما يذكر ، أو أنه ذكر في تراجمهم ما لا يلائم موضوع الكتاب ، فلا يستحق أن يودع بطون الأوراق .

وكل ما أذكره في كتابي هـٰذا أضيفه إلىٰ قائله ؛ أقول في أوله : قال فلان ، وفي آخره : انتهىٰ .

وقد جعلت في أول كل مجلد فهرسة أسماء الأئمة المذكورين فيه ، فليحافظ علىٰ كتابة الفهرسة ؛ ليسهل منها الكشف إن شاء الله تعالىٰ .

وختمت الكتاب بفصول ثلاثة :

الأول : في بعض المصطفيات من النساء .

---

(١) **تطريةً** : من الطرو ، وهي : حدوث الجديد ؛ فالقارىء لهـٰذا الكتاب يجده بحلة جديدة فلا يمله .

(٢) أي : « حلية الأولياء » و« صفة الصفوة » .

والثاني : فيمن عرف حاله وخفي اسمه من الرجال والنساء .

والثالث : في ترجمة نور الدين الشهيد ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ فإنه خاتمة ملوك العدل ، وبه يختم الكتاب إن شاء الله[1] .

وسميته :

« مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب »

واستمدادي فيه وفي جميع أموري من الله الكريم الوهاب ، وأسأله التوفيق لحسن النيات ، والإخلاصَ في أنواع الطاعات ، وأن يغفر لي ما ظلمت به نفسي جميع المخالفات ، وأن يحفظ علي الإيمان ويتوفاني عليه ، وأن يغفر لي ، ولوالديَّ وأهلي ومشايخي وأحبابنا ، وسائر المسلمين والمسلمات ، وأن يجود علينا أجمعين برضاه ومحبته ودوام طاعته ، وأن يجعلَنا من الناظرين إليه في أعلى الدرجات ، وأساله الرضىٰ بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ونعيماً لا يبيد ، وقرة عين لا تنقطع ، وأن يجعل خير أيامي يوم لقائه ، ويحشرني في زمرة أوليائه ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، حسبي الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأقدِّم قبل الأسماء مسائل مهمة يُحتاج إليها في هـٰذا الفن ؛ ليكون الناظر فيه علىٰ بصيرة من بعض أحوالهم إن شاء الله تعالىٰ .

المسألة الأولىٰ : في تعريف الصحابي والتابعي ، وبيان بعض فضلهم علىٰ سبيل الإجمال ، فأقول ـ وبالله التوفيق ـ :

قال شيخ شيخنا شيخ الإسلام في عصره العالم الرباني محيي الدين النووي ـ قدس الله روحه ـ في « تهذيب الأسماء واللغات » [١/١٤ـ١٦] :

أما الصحابي . . ففيه مذهبان[2] :

---

(١) وقد أضاف المصنف ـ رحمه الله ـ بعد تأليف الكتاب بعشر سنين ترجمة صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ فكانت هي خاتمة كتابه ؛ كما أشار إلىٰ ذلك في مقدمة الدولة الصلاحية وخاتمتها .

(٢) لم يقيِّد التعريف في المذهبين بقيد (ومات على الإسلام) وهـٰذا مما يُشْعر بدخول من ارتد ـ والعياذ بالله ـ من الصحابة في تعريف الصحابي ، وهو ليس كذلك ، من أمثال عبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة ؛ فإنه أسلم معها ، وهاجر إلى الحبشة ، فتنصر ومات علىٰ نصرانيته ، وكعبد الله بن خطل ، وربيعة بن أمية ، وهـٰذا ما رجحه الحافظ ابن حجر في كتابه « الإصابة » (١/ ١٠) بعد أن عقد فصلاً للتعريف بالصحابي فقال : (وأصح ما وقفت عليه من ذلك : أن الصحابي : من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ، ومات على الإسلام) . =

أصحّهما ـ وهو مذهب البخاري وسائر المحدثين وجماعات من الفقهاء وغيرهم ـ : أنه كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يجالسه ولم يخالطه .

والثاني ـ وهو مذهب أكثر أهل الأصول ـ : أنه يشترط مجالسته ، وهٰذا مقتضى العرف ، وهٰكذا قاله القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره .

وأمّا التابعي . . ففيه أيضاً مذهبان :

أحدهما : أنه الذي رأىٰ صحابياً .

والثاني : أنه الذي جالس صحابياً .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

اختلفوا في المراد بالسابقين الأولين ؟ فقال سعيد بن المسيب وآخرون : من صلىٰ إلى القبلتين .

وقال الشعبي : هم أهل بيعة الرضوان .

وقال محمد بن كعب القرظي وعطاء : هم أهل بدر .

قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

وفي « الصحيحين » : عن عمران بن الحصين رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » [خ ٢٥٠٨ـ م ٢٥٣٥] .

وفي « الصحاح » : قوله صلى الله عليه وسلم : « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً . . ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » أي : نصفه : [خ ٣٤٧٠] :

والأحاديث في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على الإطلاق كثيرة مشهورة في « الصحيحين » وغيرهما .

وأما فضائلهم على الخصوص لطائفة ولأشخاص . . فأكثر من أن تحصر .

وأعظمهم : العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثم أهل بدر ، وأحد ، والعقبتين الأولىٰ والثانية ، وأهل بيعة الرضوان تحت الشجرة .

قال الله تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .

قال الإمام أبو منصور البغدادي[1] ـ قدس الله روحه ـ : أصحابنا مجمعون علىٰ أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ، ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان بالحديبية .

وأجمع أهل السنة علىٰ أن أفضلهم على الإطلاق أبو بكر ، ثم عمر ، وقدم جمهورهم عثمان علىٰ علي رضوان الله عليهم ، ولهٰذا اختارته الصحابة وقدمته ، وهم أعلم وأعرف بالمراتب وغيرها رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين .

وأولهم إسلاماً : خديجة وأبو بكر رضي الله عنهما ، هٰذا هو الصحيح ، واختلفوا أيهما أسبق .

وآخرهم وفاةً : أبو الطفيل عامر بن واثلة ، توفي سنة مئة من الهجرة باتفاق العلماء ، واتفقوا علىٰ أنه آخر الصحابة وفاةً .

وأما التابعون : فواحِدهم تابع وتابعي ، وقد ذكرنا حقيقتهم وفضلهم .

وأما مراتبهم : فقال الحاكم أبو عبد الله الحافظ النيسابوري ـ قدس الله روحه ـ : هم خمس عشرة طبقة ؛ أوَّلُهم : الذين أدركوا العشرة من الصحابة منهم قيس بن أبي حازم ، سمع من العشرة ، وروىٰ عنهم ، ولم يشاركه في هٰذا أحد ، وقيل : إنه لم يسمع من عبد الرحمٰن بن عوف ، ويليهم الذين ولدوا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولاد الصحابة . . . ثم ذكر طبقاتهم .

---

(١) أبو منصور البغدادي : عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الإسفراييني ، عالم متفنن ، من أئمة الأصول ، ولد ونشأ في بغداد ، ورحل إلىٰ خراسان ، فاستقر في نيسابور ، له تصانيف كثيرة منها : « الفَرق بين الفِرَق » ، وكانت وفاته (٤٢٩هـ) . انظر « الأعلام » (٤/ ٤٨) .

وفي « صحيح مسلم »[1] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في أويس القَرَني : « هو خير التابعين » .

وقال أحمد ابن حنبل رحمه الله : أفضل التابعين : سعيد بن المسيب ، قيل له : فعلقمة والأسود ؟ فقال : سعيد بن المسيب وعلقمة والأسود .

وعنه : لا أعلم مثل أبي عثمان النهدي وقيس ابن أبي حازم .

وعنه : أفضلهم : قيس وأبو عثمان وعلقمة ومسروق . لعله أراد أفضلهم في ظاهر علوم الشرع ، وإلا . . فلا شك أن أويساً خير التابعين رحمه الله . انتهىٰ .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : رُوِّينا عن الإمام الحافظ أبي عمرو بن الصلاح قدس الله روحه [في « مقدمته » ١٨١ـ١٨٢] قال :

أعجبني ما وجدته عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف الزاهد الشيرازي في كتاب له ؛ قال : اختلف الناس في أفضل التابعين :

فأهل المدينة يقولون : أفضل التابعين : ابن المسيب ، وأهل الكوفة : أويس ، وأهل البصرة : الحسن البصري .

وبلغنا عن أحمد ابن حنبل قال : ليس أحد أكثر في الفتوىٰ من الحسن وعطاء . يعني التابعين .

وقال أيضاً : كان عطاء مفتي مكة ، والحسن مفتي البصرة ، فهـٰذان أَكْثَرَ الناسُ عنهم رَأْيَهم .

وبلغنا عن أبي بكر بن أبي داوود قال : سيدتا التابعين من النساء : حفصة بنت سيرين ، وعمرة بنت عبد الرحمـٰن ، وثالثتهما ـ وليست كهُما ـ : أم الدرداء ، والله أعلم . انتهىٰ .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ [في « التهذيب » ١/١٦ـ١٧] : من فضلاء التابعين : الفقهاء السبعة فقهاء المدينة[2] ، وفي السابع ـ وهو سليمان بن يسار ـ ثلاثة أقوال :

---

(١) مسلم (٢٥٤٢) بنحوه .

(٢) الفقهاء السبعة : سعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، وخارجة بن زيد ، وأبو سلمة بن عبد الرحمـٰن ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وسليمان بن يسار .

وقيل فيهم :

ألا كـل مـن لا يقتـدي بـأئمـة ... فقسمته ضيزىٰ عن الحق خارجة =

هل هو أبو سلمة بن عبد الرحمـٰن بن عوف ؟

أو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؟

أو أبو بكر بن عبد الرحمـٰن بن الحارث بن هشام ؟

وأما تابعو التابعين ومن بعدهم . . فلهم فضل في الجملة ، ولـٰكن لا يلحقون ـ من حيث الجملة ـ بمن قبلهم ؛ لحديث أنس رضي الله عنه في « صحيح البخاري » [٦٠٧٠] أيضاً ، عن مِرداس الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يذهب الصالحون الأول فالأول ، ويبقىٰ حثالة كحثالة التمر والشعير ، لا يبالهم الله بالةً » .

يقال : لا أبالي زيداً بالاً ولا بالةً ؛ أي : لا أكترث به ، ولا أهتم له .

ومع هـٰذا فلهم فضائل ظاهرة ، وفي حفظ العلم آثار باهرة ؛ ففي « الصحيحين » [خ ٦٨٨١ـ م ١٩٢٠] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم خذلان من خذلهم » ، وجملة العلماء أو جمهورهم علىٰ أنهم حملة العلم ، وقد دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « نضر الله امرءاً سمع مقالتي ، فوعاها ، فأداها كما سمعها »(١) ، وجعلهم عدولاً ، فأمرهم بالتبليغ عنه فقال صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب »(٢) .

وفي الحديث الآخر : « يحمل هـٰذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه : تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »(٣) .

وهـٰذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة العلم ، وحفظه ، وعدالة ناقليه ، وأن الله سبحانه وتعالىٰ يوفق في كل عصر خلفاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف وما بعده ، فلا يضيَّع ، وهـٰذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر ، وهـٰكذا وقع ولله الحمد ، وهـٰذا من أعلام النبوة ، ولا يضر مع هـٰذا كون بعض الفسّاق يعرف شيئاً من العلم ؛ فإن الحديث إنما هو إخبارٌ بأن العدول يحملونه ، وليس فيه أن غيرهم لا يعرف شيئاً منه ، والله أعلم . انتهىٰ .

= فخـذهـم : عبيـد الله ، عـروة قـاسـم سعيد ، أبو بكر ، سليمان ، خارجه

وقد عقد الواسطي ـ رحمه الله ـ فصلاً في التعريف بهم ، سيأتي إن شاء الله تعالىٰ .

(١) أخرجه بنحوه ابن حبان في « الإحسان » (٦٦) .

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥) ، ومسلم (١٦٧٩) .

(٣) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ١٤٠) ، وعزاه للبزار .

المسألة الثانية : في تعريف الولي الخاص[1] :

قد ثبت من غير ما طريق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن أولياء الله سبحانه وتعالىٰ . . قال : « الذين إذا رُؤوا . . ذُكِرَ الله » رواه البزار رحمه الله تعالىٰ في « مسنده » .

ورواه أيضاً الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله من طريقين ، ولفظه في أحدهما [٦/١] : عن أبي منصور مولى الأنصار : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالىٰ : إن أوليائي من عبادي ، وأحبائي من خلقي : الذين يُذكرون بذكري وأُذكر بذكرهم » انتهىٰ .

وليس لقائل أن يقول : لِمَ لا عرَّفْتَ الأولياء بقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ لأنا نقول : إن الآية الكريمة لم ترد في هـٰذا علىٰ سبيل التعريف لهم ، بخلاف ما ذكرنا من الحديث ؛ فإنه ورد علىٰ سبيل التعريف لهم ، فهو نص في المقصود .

وأيضاً فإنا نقول : الآية الكريمة ليست نصاً صريحاً في وصفهم ؛ لأن قوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ يجوز أن يكون مبتدأ خبره ما بعده ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ ، وإذا كان كذلك . . فلا يتم التعريف المذكور .

وأما قوله تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ . . فليس فيه دِلالة علىٰ هـٰذا ؛ فإن المراد به : الولاية العامة بالنصرة والإعانة ، والصحابة رضوان الله عليهم فهموا ذلك وهم القدوة في كل علم ، ولكونهم فهموا أن المراد بالولاية العموم من النصر والإعانة . . سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الولي الخاص ، فأجابهم رسول الله بما ذكرناه .

---

(١) عرف القشيري الولي في « الرسالة » (ص٢٠١) بقوله : الولي له معنيان :
أحدهما : فعيل بمعنىٰ مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه وتعالىٰ أمره ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، فلا يكله إلىٰ نفسه لحظة ، بل يتولى الحق سبحانه رعايته .
والثاني : فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذي يتولىٰ عبادة الله تعالىٰ وطاعته ، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان .
ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً . اهـ

المسألة الثالثة : [في دوام الولاية][1] :

اعلم : أن هٰذه الأمة ـ زادها الله شرفاً ـ لا تزال الولاية ثابتة فيها إلىٰ يوم القيامة .

والدليل علىٰ ذلك : أنه قد ثبت من غير ما طريق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال في أمتي أربعون علىٰ قلب إبراهيم الخليل » أخرجه الطبراني في « معجمه » [« الكبير » ١٠/١٨١] ، وهو نصٌّ في ثبوت الولاية في هٰذه الأمة إلىٰ يوم القيامة ، ونص أيضاً في قولهم : فلان علىٰ مشرب فلان .

ومعنىٰ كونهم علىٰ قلب إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : أنهم يسيرون كسيرته ، ويتابعون طريقته مع الله سبحانه وتعالىٰ ، ثم مع عباده .

وخُصَّ القلب بالذكر ؛ لأنه قانون الصلاح والفساد ، كما ثبت في الحديث المشهور من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما : « ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت . . صلح الجسد كلُّه ، وإذا فسدت . . فسد الجسد كلُّه ، ألا وهي القلب »[2] .

المسألة الرابعة : [في الكلام عن عبارات الأولياء الموهمة] :

قد يجد الناظر في كتب القوم ما ظاهره يخالف ظاهر الشَّرع ، ولا شك أن الأمر في ذلك علىٰ قسمين :

أحدهما : أن يوجد ذلك في كلام من هو مجمع علىٰ ولايته ؛ كأبي يزيد البسطامي رحمه الله ، فهٰذا يجب تأويله وحمله علىٰ محمل صحيح ، وسبب وروده عنه ـ والعلم عند الله تعالىٰ ـ أحد أمرين :

ـ إما استغراقه وغيبته عن نفسه وحسه ، فيبدو ذلك منه حال الاستغراق والغيبة . . فيُسامَح .

ـ وإما اعتماداً علىٰ لطف الله سبحانه وتعالىٰ ؛ كما قال سيدنا الكليم موسىٰ عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ ولا يصح ذلك عن غيره عليه الصلاة والسلام .

---

(١) قال الإمام الفخر الرازي في « تفسيره » (١٦/ ٢٢٠ـ٢٢١) لقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ : إنه تعالىٰ أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين ، ومتىٰ وجب الكون مع الصادقين . . فلا بد من وجود الصادقين في كل وقت ، وما لا يتم الواجب إلا به . . فهو واجب ، فدلت هٰذه الآية علىٰ وجود الصادقين .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) .

الثاني : أن يوجد ذلك في كلام من ليس مجمَعاً علىٰ ولايته ، فهـٰذا يعرض عنه وعن قوله ، وهـٰكذا نفعل في هـٰذا الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

وسبب ذلك : أن الأقوال لا تدل على الولاية في نقير ولا قطمير[1] ؛ فإن الفلاسفة والملاحدة قد تكلموا بأرقّ تصوفٍ وأحسنه ؛ كابن سينا وغيره ، فلا يعرج علىٰ كلام أحد حتىٰ تثبت ولايته عند من له قدم راسخ في العلم والولاية .

وقد قال شيخ الإسلام شهاب الدين السهروردي ـ قدس الله روحه ـ : إن بعضهم يتكلم بالطامات عن قوة نفس وذكاء قريحة .

وقد قال لابن حمويه وقد دخل عليه بكراس في كمه صنَّفه في علم الحروف ، وكان الشيخ في سُبْحَة الضحىٰ وسلم عن ركعتين : هاتان الركعتان خير مما في كمك[2] .

فدلَّ علىٰ أنه لا اعتبار بالكلام ، وأن الاعتماد في أمر الولاية إنما هو على العمل علىٰ وجه السنة الشريفة ، علىٰ شارعها أفضل الصلاة والسلام ، مع أنها عناية محضة ربانية ، ولـٰكن الكلام إنما يرد على الأسباب .

وهـٰذا حين أشرع في مقصود الكتاب مستعيناً بالله الكريم الوهاب ، مطرزاً الكتاب بذِكر العشرة المشهود لهم بالجنة ، ثم جمع من أعلام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

* * *

---

(١) النقير : هو النكتة في النواة ، كأن ذلك الموضع نقر منها ، القطمير : القشرة الشفافة التي في ظهر النواة ، والمراد من ذلك كله : نفي أدنىٰ قيمة عن الشيء الموصوف بهـٰذه الأوصاف .

(٢) سُبْحة الضحىٰ : نافلة الضحىٰ ، وإنما خُصَّت النافلة بالسبحة ؛ لأن التسبيحات في الفرائض نوافل ، فقيل لصلاة النافلة : سُبحة ؛ لأنها نافلة كالتسبيحات والأذكار في أنها غير واجبة .

العشرة المشهود لهم بالجنة

رضوان الله عليهم أجمعين

أبو بكر الصديق
رضي الله عنه

قال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ـ : اسمه : عبد الله بن أبي قحافة ، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب ، القرشي ، التيمي .

يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب .

وأم أبي بكر رضي الله عنهما : أم الخير سلمىٰ بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

أسلم أبواه ، وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال العلماء : ولا يُعرف أربعة متناسلون بعضهم من بعض صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . إلا آل أبي بكرٍ رضي الله عنهم ، وهم : **عبد الله ابن أسماء**[1] **بنت الصديق أبي بكر بن أبي قحافة** ، فهـٰؤلاء الأربعة صحابة متناسلون .

واسم أبي بكر الصديق : (عبد الله) على الصحيح المشهور ، وقيل : اسمه عتيق ، والصواب الذي عليه كافة العلماء : أن عتيقاً لقب له ؛ لعتقه من النار ، وقيل : لحُسن وجهه وجماله ، قاله الليث بن سعد وجماعة .

وقال مصعب بن الزبير وغيره : إنما قيل له عتيق ؛ لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به .

وأجمعت الأمة علىٰ تسميته صِدِّيقاً ، وسبب تسميته بذلك : أنه بادر إلىٰ تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولازم الصدق ، فلم تقع منه هناة ما ، ولا وقفة في حال من الأحوال .

وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة :

---

(١) هو عبد الله بن الزبير رضي الله تعالىٰ عنهما .

منها : قضية يوم ليلة الإسراء ، وثباته ، وجوابه للكفار في ذلك .

زاد في « بهجة الأسرار » : قال أبو العباس بن عطاء رحمه الله : قال الأئمة رحمهم الله : والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عُرج به إلى السماء . . كُشف له عن الملكوت والمملكة ، فرآها مشاهدةً وعِياناً ، وكُشف لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في سره ، فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما رأىٰ وعاين . . قال له أبو بكر رضي الله عنه : صدقت يا رسول الله ، فوافق ما شهده أبو بكر رضي الله عنه في سره ما شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم عياناً ، ولهٰذا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج : « إن قومي لا يصدقوني » فقال له : يصدقك أبو بكر ؛ لعلمه بأنه قد كوشف بذلك في سره رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : ومنها : هجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك عياله وأطفاله ، وملازمته في الغار وسائر الطريق .

ثم : كلامه يوم بدر ، ويوم الحديبية ، حين اشتد علىٰ غيره الأمر في تأخر دخول مكة .

ثم : بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عبداً خيّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله »[1] .

ثم : ثباته في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطبته الناس وتسكينهم .

ثم : قيامه في قضية البيعة بمصلحة المسلمين .

ثم : اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى الشام ، وتصميمه في ذلك .

ثم : قيامه في قتال أهل الردة ، ومناظرته للصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم حتىٰ حجهم بالدلائل ، وشرح الله صدورهم لِما شرح له صدره من الحق ؛ وهو قتال أهل الردة .

ثم : تجهيزه الجيوش إلى الشام لفتوحه ، وإمدادهم بالأمداد .

ثم : خَتَمَ ذلك بمهم هو من أحسن مناقبه وأجل فضائله : وهو استخلافه على المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتفرسه فيه ، ووصيته له ، واستيداعه الله عزَّ وجلَّ الأمة ، فخلفه الله عز وجل فيهم أحسن الخلافة ، فظهر بعمر ـ الذي هو حسنةٌ من حسناته ، وواحدة

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩١) .

من فعلاته ـ تمهيد الإسلام ، وإعزاز الدين ، وتصديق وعد الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ .

وكم للصديق رضي الله عنه من موقف وأثر ، ومن يحصي مناقبه أو يحيط بفضائله غيرُ الله عز وجل ؟! ولـٰكن لا بد من التذكير بنُبَذٍ يسيرةٍ ؛ تبركاً للكتاب بها ، ولعله يقف عليها من قد يخفىٰ عليه بعضها .

روي للصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة حديث واثنان وأربعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ ستة ، وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بحديث .

وسبب قلة رواياته رضي الله عنه ـ مع تقدم صحبته وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم ـ : أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث ، واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها .

روىٰ عنه عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمـٰن ابن عوف ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وابن عمر ، وابن عباس ، وابن عمرو بن العاصي ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وأبو هريرة ، وعقبة بن الحارث ، وابنته عائشة ، وطارق بن شهاب ، وجماعةٌ من أعيانِ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وروىٰ عنه جماعات من التابعين ، منهم : قيس بن أبي حازم ، وأبو عبد الله الصُّنابِحِيُّ ، وخلائق .

وهو أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم في أحد الأقوال ، وهو مذهب ابن عباس ، وعمرو بن عبسة ، وحسان بن ثابت الصحابيين ؛ وهو مذهب إبراهيم النخعي ، وغيره .

وقيل : أولهم علي ، وقيل : خديجة ، وادعى الثعلبي الإجماع فيه ، وأن الخلاف إنما هو فيمن هو أولهم بعدها .

وأسلم علىٰ يده خلائق من الصحابة ، منهم خمسة من العشرة ؛ وهم : عثمان ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمـٰن ، وسعد بن أبي وقاص .

وأعتق سبعةً كانوا يعذَّبون في الله ، منهم : بلال ، وعمار[1] .

---

(١) وبقيتهم : زنيرة وهي جارية من بني عامر ، وأم عبيس ، وجارية من بني عمرو بن مؤمِّل ، والنهدية وابنتها .

وكان رضي الله عنه من رؤساء قريش في الجاهلية ، وأهل مشاورتهم ، ومحبَّباً فيهم ، ومُؤَالفاً لهم ، فلما جاء الإسلام . . آثره علىٰ ما سواه ، ودخل فيه أكمل دخول .

ولم يزل مترقِّياً في معارفه متزايداً في محاسنه حتىٰ توفي رضي الله عنه .

وصحب النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم إلىٰ أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفارقه في حضر ولا سفر .

وثبت في « الصحيح » [خ ٣٦٩٢] : عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لم أعقل أبويَّ إلا وهما يدينان الدِّين ، ولم يمرَّ علينا يوم إلا ويأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرةً وعشياً ، ولما ابتلي المسلمون . . خرج أبو بكر مهاجراً نحو الحبشة . . .) وذكرَتِ الحديث ، ورجوع أبي بكر من الطريق إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، إلىٰ أن قالت : فبينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة[١] . . قال قائل لأبي بكر : هـٰذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فدىً له أبي وأمي ، ما جاء به في هـٰذه الساعة إلا أمر ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : « أخرجِ مَن عندَكَ » ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، قال : « فإني قد أُذن لي في الخروج » ، فقال أبو بكر : الصحابةَ ـ أي : أسألك الصحبة ـ بأبي أنت يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » ، قال أبو بكر : فخذ ـ بأبي أنت يا رسول الله ـ إحدىٰ راحلتيَّ هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بالثمن » .

قالت عائشة : (فجهزناهما أحثَّ الجهاز[٢] ، وصنعنا لهما سفرة في جِراب[٣] ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها[٤] ، فربطت به علىٰ فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاق ـ وفي رواية : ذات النطاقين ـ قالت : ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله ابن أبي بكر وهو غلام شاب ثَقِفٌ[٥] . . .) ثم ذكرت تمام الحديث في خروجهما إلى المدينة ، ولحاق

---

(١) **نحر الظهيرة** : هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع .

(٢) **أحث** : أسرع ، **والجِهَاز** : ما يحتاجه المسافر من متاع .

(٣) **الجِراب** : وعاء الزاد .

(٤) **النطاق** : ما يشد به الإنسان وسطه .

(٥) **ثَقِفٌ** : ذو فطنة وذكاء ، عارف بما يحتاج إليه .

سراقة بن مالك بهما ، وارتطام فرسه في جَلَدٍ من الأرض[1] .

وهاجر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك عياله وأولاده وماله ؛ رغبةً في طاعة الله سبحانه وتعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فأقام معه في الغار ثلاثة أيام ، وخبرُ الغار مشهور .

قال الله تعالىٰ : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/ ١٨١ـ١٨٣] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : اِعلم : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه له خصائص كثيرة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

منها : أنه لم يرد في القرآن الكريم اسم الصحبة لغيره ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ ، والمراد به : أبو بكر بالاتفاق ؛ فقد ورد النص القاطع علىٰ ثبوت صحبته ، حتىٰ قال بعض العلماء : **من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه . . كفر** ؛ لتكذيبه نص القرآن .

ومنها : قوله تعالىٰ : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، فكان رضي الله عنه له في هٰذه المعية والتسلية مزيد اختصاص لم يشاركه فيه صحابي .

فإن قلت : هٰذا التشريف حصل لجميع الصحابة ؛ لقوله عز وجل ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ .

قلت : لا شك أن معية أبي بكر رضي الله عنه أخص ، وعلىٰ تقدير التساوي . . فامتيازه بأمرين ، وهما : المعية والتسلية ، فحصل الاختصاص .

ومنها : قوله تعالىٰ : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ فيه إشارة إلىٰ شيئين .

أحدهما : أنه ثانيه من بعده في الإمرة .

والثاني : أن اسمه لم يفارق اسمه ، فإنه كان يقال له : يا صاحب رسول الله ، وبعده يا خليفة رسول الله ، حتىٰ توفي ، فقيل لمَن بعده ـ وهو عمر ـ : أمير المؤمنين ، وانقطعت خصيصة ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ .

ثم قال أيضاً مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : واستدل الإمام الشافعي ـ

---

(١) أي : أرض صُلبة .

رحمه الله ـ علىٰ صحة خلافته بنص كتاب الله عز وجل ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

وجه الدَلالة : أن القوم المطلوب قتالهم إما بنو حنيفة ، أو الروم .

فإن كان بنو حنيفة . . فالداعي إلىٰ قتالهم والمقاتل لهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو واجب الطاعة ؛ لتوعد الله عز وجل من لا يجيبه بالعذاب الأليم ، ووعده لمن أطاعه بالأجر العظيم .

وإن كان المراد الروم . . فالداعي إلىٰ قتالهم والمقاتل لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فهو واجب الطاعة ؛ لتوعد الله عز وجل من لا يجيبه بالعذاب الأليم ، ووعده لمن أطاعه بالأجر العظيم ، فهو مستخلف من جهته .

والآية صريحة الدلالة على التقديرين ؛ لأنه إن كان المرادَ بنو حنيفة . . فبالمطابقة في الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وباللزوم في أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وإن كان المرادَ الروم . . فبالمطابقة في عمر رضي الله عنه ، وباللزوم في أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وإن أُريد الفريقان . . فبالمطابقة فيهما جميعاً ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ومنها : أنه أول من أسلم من الرجال البالغين .

ومنها : تسميته صديقاً ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ .

ومنها : خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفاه فخراً قول المهاجرين والأنصار : يا خليفة رسول الله .

ومنها : إرسال السلام إليه مع جبريل عليه الصلاة والسلام من الحق جل جلاله ، وهٰذه الخَصلة لم يشاركه فيها غير خديجة رضي الله عنها .

ومنها : أن الله سبحانه وتعالىٰ قال له علىٰ لسان جبريل عليه الصلاة والسلام : هل أنت راض عني في فقرك[1] .

---

(١) ذكره الذهبي في « ميزان الاعتدال » (٥/١٢٨) .

ومنها : أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام في السماء تخللت بالعبا من أجله ؛ فإنه رضي الله عنه تخلل بالعبا[1] .

ومنها : أنه أنفق جميع ماله علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها : قضية الإسراء ، وثباته فيها ، وجوابه للكفار .

ومنها : ملازمته في الغار وسائر الطريق .

ومنها : كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتد علىٰ غيره الأمر في تأخر دخول مكة .

ومنها : تقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة مع مراجعته في ذلك .

ومنها : إشارة النبي صلى الله عليه وسلم في أن الأمر له من بعده صلى الله عليه وسلم في قوله للمرأة : « تجدين أبا بكر » ، ولا شك أن هٰذا كالصريح في استخلافه .

ومنها : الأمر بسد كل خوخة إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه[2] .

ومنها : السر الذي وقر في صدره ؛ لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ ، ولٰكن بسر وقر في صدره » ، لٰكن قال غير واحد من الحفاظ : إن هٰذا الحديث إنما هو من كلام أبي بكر بن عياش .

ومنها : أنه أول من أَفتىٰ بحضرةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وعبَّر الرؤيا .

ومنها : ثباته يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيامه ذلك القيام ، وتسكين قلوب الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن ، وهو رضي الله عنه لم يزل ساكن القلب مع الرحمٰن .

ومنها : قيامه بمصالح البيعة .

ومنها : قيامه في أمر الردة ، وتجهيز جيش أسامة .

ومنها : أنه ختم الأمر بمهم هو من أحسن مناقبه ، وهو استخلافه عمر رضي الله عنهما .

ومنها : أنه أفضل الأمة وأحبُّهم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الشافعي رحمه الله : أجمع الناس علىٰ خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

---

(١) **تخللت** : التفَّت ، وتخللِ الثوب : جمع بين طرفيه بخلال من عود أو حديد .

(٢) **الخوخة** : باب صغير وسطَ باب كبير نصب حاجزاً بين دارين .

واستخلف أبو بكرٍ عمرَ ، ثم جعل عمرُ الشورىٰ إلىٰ ستة أن يولوها واحداً ، فولَّوها عثمان .

قال الشافعي رحمه الله : وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر ، فولَّوه رقابهم .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت متخذاً خليلاً . . لاتخذت أبا بكر خليلاً . . . » الحديث ، إلىٰ غير ذلك مما لا ينحصر ، والله أعلم .

وقال الشيخ الإمام العلامة مُفتي واسط في عصره ، جمال الدين الواسطي ـ تغمده الله برحمته ـ في كتابه المسمىٰ بـ « الآيات البينات » : ذكر أهل العلم بالتفسير والأخبار : أن الله عز وجل لما أهبط آدم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض . . أهبط إليه تابوتاً فيه صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولاده ، وفيه بيوت بعدد الرسل منهم ، وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتةٍ حمراء ، وإذا هو قائم يصلي صلى الله عليه وسلم ، وعلىٰ يمينه الكهل المطيع ، مكتوب علىٰ جبينه : أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق .

وعن يساره الفاروق عمر ، مكتوب علىٰ جبينه : قرن من حديد ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومِن ورائه ذو النورين عثمان ، آخذ بحُجزته[1] ، مكتوب علىٰ جبينه : بار من البررة ، ومن بين يديه علي بن أبي طالب سيفه علىٰ عاتقه ، مكتوب علىٰ جبينه : هـٰذا أخوه وابن عمه ، المؤيد بالنصر من عند الله عزَّ وجلَّ ، وخؤولته ، وعمومته ، والخلفاء ، والنقباء ، والكتيبة الخضراء وهم : أنصار الله وأنصار رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين ، وكان من عود الشمشار مموَّهاً بالذهب[2] ، وكان عنده إلىٰ أن مات عليه الصلاة والسلام .

ثم توارثه أولاده حتىٰ بلغ إلىٰ إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ثم كان عند إسماعيل عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه أكبر أولاده .

ثم كان عند قيدار ، فنازعه فيه ولد إسحاق عليه الصلاة والسلام ، فامتنع عن تسليمه .

ثم حمل إلىٰ يعقوب عليه الصلاة والسلام ، فلما قرب التابوت من يعقوب عليه الصلاة

---

(١) **الحُجْزة** : موضع شد الإزار .

(٢) **الشمشار** : نوع من الشجر .

والسلام.. صَرَّ صرة[1] سمعها يعقوب ، فقال لبنيه : أقسم بالله ؛ لقد جاءكم قيدار بالتابوت ، فقوموا نحوه ، فقام يعقوب عليه الصلاة والسلام وأولاده جميعاً ، فلما نظر يعقوب عليه الصلاة والسلام إلىٰ قيدار.. قال له : إن نور محمد صلى الله عليه وسلم قد ظهر ، قال يعقوب : ألا أُبشرك ببشارة ، اعلم أن الغاضرة قد ولدت البارحة غلاماً . وكانت عربية من جُرْهُمٍ .

قال قيدار : وما علمك يا بن عمي وأنت بأرض الشام ؟!

قال : رأيت أبواب السماء قد فتحت ، ورأيت نوراً كالعمود بين السماء والأرض ، ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة ، فعلمت أن ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم .

فرَدَّ التابوت إلىٰ يعقوب عليه الصلاة والسلام ، ورجع إلىٰ أهله ، فوجدها قد ولدت غلاماً ، وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم .

قالوا : وكان التابوت في بني إسرائيل إلىٰ أن وصل إلىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، ولم يزل عند بني إسرائيل حتىٰ غلبتهم عليه العمالقة ، ثم أعيد إليهم في ولاية طالوت ؛ قال الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

أخبرهم بذلك إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو نبي مرسل ، فجاءت الملائكة به إلىٰ طالوت تحمله بين السماء والأرض ، ينظرون إليه حتىٰ وضعته عندهم ، فملَّكوه عليهم ، والله سبحانه أعلم . انتهىٰ .

وقال الشيخ محيي الدين النووي ـ قدس الله روحه ـ : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أبا بكر ويجله ، ويُعَرِّفُ أَصحابَه مكانه ، ويُثني عليه في وجهه ، واستخلفه في الصلاة ، ومناقبه غير منحصرة .

قال ابن إسحاق : كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة بعد العقبة الثانية بشهرين

---

(١) صرَّ صرة : صوَّت وصاح أشد الصياح .

وأيام ، بايعوه في العقبة في اليوم الأوسط من أيام التشريق ، وخرجا لهلال شهر ربيع الأول ، وشهد أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً ، وأحداً ، والخندق ، وبيعة الرضوان بالحديبية ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنيناً ، والطائف ، وتبوك ، وحجة الوداع ، وسائر المشاهد .

وأجمع أهل السير : علىٰ أن أبا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشهد من مشاهده .

قال محمد بن سعد : ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته العظمىٰ يوم تبوك إلىٰ أبي بكر ، وكانت سوداء ، وكان فيمن ثبت معه يوم أحد ويوم حنين . انتهىٰ [« التهذيب » ١٨٣/٢] .

وروى الحافظ البيهقي في « السنن الكبرىٰ » بإسناده : عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما استُخلف أبو بكر رضي الله عنه . . قال : (لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي ، وقد شُغِلْتُ بأمر المسلمين ، فسيأكل آل أبي بكر من هـٰذا المال ، وأحترف في مال نفسي) .

وفي رواية : خطب الناس ثم قال : (إن أكيس الكَيْس التقوىٰ ، وأحمق الحمق الفجور ، والصدق عندي الأمانة ، والكذب الخيانة ، والقوي عندي ضعيف حتىٰ آخذ منه الحق ، والضعيف عندي قوي حتىٰ آخذ له الحق ، ألا وإني قد وُلِّيت عليكم ولست بأخيركم ـ قال الحسن : هو والله خيرهم غير مدافع ، ولـٰكن المؤمن يهضم نفسه ـ ولوددت أنه كفاني هـٰذا الأمرَ أحدُكم) .

قال الحسن : صدق والله ، فأنفق في مدة خلافته ثمانية آلاف درهم .

فلما حضره الموت . . قال : (قد كنت قلت لعمر : إني أخاف ألاَّ يسعني أن آكل من هـٰذا المال ، فغلبني ، فإذا مت . . فخذوا من مالي ثمانية آلاف درهم ، فضعوها في بيت المال) انتهىٰ [« السنن الكبرىٰ » ٣٥٣/٦] .

* * *

فَصْلٌ

مختصر في بعض الأحاديث الصحيحة المصرِّحة بفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : رُوِّينا عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : اشترىٰ أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً ، فقال أبو بكر لعازب : مُرِ البراء فليحمل لي الرَّحْل ، فقال عازب : لا ، حتىٰ تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم .

فقال : ارتحلنا من مكة ، فسرنا ليلتنا ويومنا حتىٰ أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة ، فرميت ببصري هل أرىٰ من ظل نأوي إليه ، فإذا صخرة أتيناها ، فنظرت ، فإذا فيها بقية ظل ، فسويته ، ثم فرشت للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرىٰ من الطلب أحداً ، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه ، فسألته ، فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش ، سماه لي فعرفته ، فقلت : هل في غنمك من لبن ؟ فقال : نعم ، قلت : فهل أنت حالب لبناً ؟ قال : نعم ، فأمرته ، فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار [والشعر والقذىٰ] ، ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فنفض ، فحلب لي كُثْبَة(١) من لبن ، وقد جعلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إداوة علىٰ فيها(٢) خرقة ، فصببت عليها اللبن حتىٰ برد أسفله ، فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فوافيته قد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب حتىٰ رضيت ، ثم قلت : قد آن الرحيل يا رسول الله ؟ قال : « بلىٰ » .

والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك علىٰ فرس له .

فقلت : يا رسول الله ؛ هـٰذا الطلب قد لحقنا ، فقال : « لا تحزن ، إن الله معنا » رواه البخاري [٣٤١٩] ، ومسلم [٢٠٠٩] ، ورَوَياه أطول من هـٰذا .

---

(١) الكُثْبَةُ : القليل المجتمع من اللبن .

(٢) أي : فمها ، والإداوة : إناء صغير يحمل فيه الماء .

وعن أنس ، عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه . . لأبصرنا ؛ فقال : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟! » رواه البخاري [٣٤٥٣] ، ومسلم [٢٣٨١] .

وفي رواية : (نظرت إلىٰ أقدام المشركين ونحن في الغار وهم علىٰ رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله ؛ لو أن أحدهم نظر إلىٰ تحت قدميه . . لأبصرنا . . .) وذكر تمامه .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال : « إن الله تبارك وتعالىٰ خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله عزَّ وجلَّ » ، فبكىٰ أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّرَ ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر ، وكان أبو بكر أعلَمَنا) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أَمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله . . أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي . . لاتخذت أبا بكر ، ولـٰكن أخوَّة الإسلام ومودته ، لا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر » . رواه البخاري [٣٤٥٤] ومسلم [٢٣٨٢] .

عن ابن عمر رضي الله عنهما : (كنا نخيِّرُ[١] بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنُخيِّر أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان بن عفان) رواه البخاري [٣٤٥٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً . . لاتخذت أبا بكر ، ولـٰكن أخي وصاحبي » رواه البخاري [٣٤٥٦] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيتَ إن جئت ولم أجدك ـ كأنها تقول الموت ـ قال : « إن لم تجديني . . فَأْتي أبا بكر » رواه البخاري [٣٤٥٩] ، ومسلم [٢٣٨٦] ، من طرق .

وعن عمار رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر)[٢] رواه البخاري [٣٤٦٠] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : (كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتىٰ أبدىٰ عن ركبته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما

---

(١) تخيير مفاضلة .

(٢) والأعبد المذكورون هم : بلال ، زيد بن حارثة ، عامر بن فهيرة ، أبو فكيهة ، وياسر والد عمار والمرأتان هما : خديجة ، وسمية والدة عمار ، أو أم أيمن .

صاحبكم . . فقد غامر » فَسَلَّمَ وقال : إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي ، فأبىٰ عليَّ ، فأقبلت إليك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يغفر الله لك يا أبا بكر » ثلاثاً) .

ثم إن عمر ندم ، فأتىٰ منزل أبي بكر ، فسأل : أثَمَّ أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعَّر حتىٰ أشفق أبو بكر ، فجثا علىٰ ركبتيه ، فقال : (يا رسول الله ؛ أنا كنت أظلَمَ مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ » مرتين ، فما أوذي بعدها) رواه البخاري [٣٤٦١] .

قوله : (تمعَّر) بالعين المهملة ؛ أي : تغير .

وعن عمرو بن العاصي رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه علىٰ جيش ذات السلاسل ، قال : فأتيته ، فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » ، فقلت : مِن الرجال ؟ قال : « أبوها » ، قلت : ثم مَن ؟ قال : « ثم عمر بن الخطاب » . . . فعدَّ رجالاً) رواه البخاري [٣٤٦٢] ، ومسلم [٢٣٨٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب ، فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي ، فالتفت إليه الذئب ، فقال : من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري!! » ، وبينما رجل يسوق بقرة قد حَمَل عليها ، فالتفتت إليه ، فكلمته ، فقالت : إني لم أخلق لهٰذا ، ولٰكني خلقت للحرث » ، فقال الناس : سبحان الله! بقرة تتكلم ؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر » رواه البخاري [٣٤٦٣] ، ومسلم [٢٣٨٨] من طرق ، وفي بعضها : (وما ثَمَّ أبو بكر وعمر) أي : لم يكونا في المجلس ، فشهد لهما بالإيمان بذلك ؛ لعلمه بكمال إيمانهما .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جر ثوبه خيلاء . . لم ينظر الله إليه يوم القيامة » ، فقال أبو بكر : إن أحد شِقَّيْ ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لست تصنع ذلك خيلاء » رواه البخاري [٣٤٦٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من

أنفق زوجين من شيء في سبيل الله . . دعي من أبواب الجنة : يا عبد الله ؛ هـٰذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة . . دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد . . دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة . . دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام . . دعي من باب الريان » ، فقال أبو بكر : ما علىٰ من يدعىٰ من تلك الأبواب من ضرورة ، هل يدعىٰ منها كُلِّها أحد يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر » رواه البخاري [١٧٩٨] ، ومسلم [١٠٢٧] .

وعن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم صَعِدَ أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فرجف بهم ، فقال : « اثبت أحد ؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان » رواه البخاري [٣٤٧٢] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في حديثه الطويل حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم بئر أريس قال : فجلست عند الباب ، فقلت : لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر ، فقلت : يا رسول الله ؛ هـٰذا أبو بكر يستأذن ، فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » . . . وذكر الحديث . رواه البخاري [٣٤٧١] ، ومسلم [٢٤٠٣] .

وعن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهم عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، فوضع رداءه في عنقه ، فخنقه به خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر رضي الله عنه حتىٰ دفعه عنه ، فقال : (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟!) رواه البخاري [٣٤٧٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فمن شيع اليوم منكم جنازةً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فمن أطعم اليوم منكم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعن في امرِئٍ . . إلا دخل الجنة » رواه مسلم [١٠٢٨] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه : « ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك ، حتىٰ أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنىٰ متمنٍ ويقول قائل : أنا أولىٰ ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » رواه مسلم [٢٣٨٧] .

وعن ابن أبي مليكة قال : سمعت عائشة رضي الله عنها وسئلت : مَن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت : (أبو بكر ، فقيل لها : ثم مَن بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ، قيل لها : مَن بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة ابن الجراح) ثم انتهت إلىٰ هـٰذا . رواه مسلم [٢٣٨٥] .

وعن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : (قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أبو بكر ، قلت : ثم مَن ؟ قال : عمر ـ وخشيت أن يقول : عثمان ـ قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين) رواه البخاري [٣٤٦٨] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : (مرض النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشتد مرضه ، فقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » ، قالت عائشة : يا رسول الله ؛ إنه رجل رقيق ، إذا قام مقامك . . لم يستطع أن يصلي بالناس ، فقال : « مري أبا بكر فليصل بالناس » ، فعادت ، فقال : « مري أبا بكر فليصل بالناس ، فإنكن صواحب يوسف » ، فأتاه الرسول ، فصلىٰ بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه البخاري [٦٣٣] ، ومسلم [٤١٨] .

وقد روياه من رواية عائشة أيضاً بأطولَ من هـٰذا[1] .

وعن أنسٍ رضي الله عنه : (أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه . . .) وذكر الحديث بطوله . رواه البخاري [٦٤٨] ، ومسلم [٤١٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان علىٰ حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اهدأ ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » رواه مسلم [٢٧١٥] .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقتدوا باللذَين مِن بعدي : أبي بكر وعمر » رواه الترمذي [٣٦٦٢] وقال : حديث حسن .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : « هـٰذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين » رواه الترمذي [٣٦٦٤] وقال : حديث حسن غريب .

---

(١) البخاري ( ) ، ومسلم ( ) .

وفي رواية أخرىٰ عن علي رضي الله عنه قال : « يا علي ؛ لا تخبرهما بذلك » [رواه الطبراني في « الأوسط » ٤/٣٥٩] .

قال[1] : وفي معناه وجوه :

الأول : يحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون ذلك من باب الشفقة عليهما ؛ مخافة أن يعلما ذلك ، فيزيدا في الاجتهاد ، فيفنيا تحت الشكر .

والثاني : يحتمل أن يكون ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يصل إليهما ما أعد الله سبحانه وتعالىٰ لهما في الآخرة من غير واسطة ، ولا يكون لأحد عليهما فيه منة .

والثالث : لعلم النبي صلى الله عليه وسلم بما هما عليه من التواضع لله عز وجل ، وأنهما لا يؤثران الاطلاع علىٰ حالهما ؛ لمكانهما من الإخلاص والصدق رضي الله عنهما .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ، ووزيران من أهل الأرض ، فأما وزيراي من أهل السماء . . فجبريل وميكائيل ، وأما وزيراي من أهل الأرض . . فأبو بكر وعمر » رواه الترمذي [٣٦٨٠] وقال : حديثٌ حسن .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتاني جبريل ، فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي » ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ وددت أني كنت معك حتىٰ أنظر إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا إنك أول من يدخل الجنة من أمتي » رواه أبو داوود [٤٦٥٢] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (أبو بكر سيدنا ، وخيرنا ، وأحبُّنا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الترمذي [٣٦٥٦] وقال : حديث صحيح غريب .

وعن عبد الله بن شقيق رحمه الله قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : أيُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : أبو بكر ، قلت : ثم مَن ؟ قالت : عمر ، قلت : ثم مَن ؟ قالت : أبو عبيدة ابن الجراح ، قلت : ثم مَن ؟ فسكتت . رواه الترمذي [٣٦٥٧] ، والنسائي [في « الكبرىٰ » ٨٢٠١] ، وابن ماجه [١٠٢] ، وقال الترمذي : حديث صحيح .

---

(١) أي : الإمام النووي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ، ما خلا أبا بكر ؛ فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً . . لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن صاحِبَكم خليلُ الله » رواه الترمذي [٣٦٦١] وقال : حديث حسنٌ .

وعن عمر رضي الله عنه قال : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً ! ! فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قلت : مثلَه ، وأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : « يا أبا بكر . . ما أبقيت لأهلك ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسْبِقُه إلىٰ شيء أبداً) رواه أبو داوود في (كتاب الزكاة) [١٦٧٨] والترمذي في (المناقب) [٣٦٧٥] قال : وهو حديث صحيح .

وعن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال : « أنت عتيق الله من النار » ، فيومئذ سمي عتيقاً) رواه الترمذي [٣٦٧٩] وقال : غريب .

وعن علي رضي الله عنه وسئل عن أبي بكر فقال : (سماه الله صدِّيقاً علىٰ لسان جبريل ولسان محمد عليهما الصلاة والسلام ، وكان خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة ، رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا) .

ورُوِّينا بالإسناد الصحيح في « سنن أبي داوود » [٤٦٣١] عن سفيان الثوري رحمه الله قال : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ ، وعمرُ بن عبد العزيز .

وأنه قال [في « سنن أبي داوود » ٤٦٣٠] : من قال : إن علياً كان أحقَّ بالولاية من أبي بكر وعمر . . فقد خَطَّأَ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار ، وما أراه يرتفع له مع هٰذا عمل إلى السماء .

ومناقب الصديق رضي الله عنه لا يمكن استقصاؤها ، ولا الإحاطة بعشر معشارها ، وإنما ذكرت هٰذه الأحرف ؛ تبريكاً للكتاب بذِكره رضي الله عنه .

* * *

فَصْلٌ

في علمه وزهده وتواضعه رضي الله عنه

استدل أصحابنا رحمهم الله علىٰ عُظْم علمه بقوله في الحديث الثابت في « الصحيحين » [خ ١٣٣٥ـ م ٢٠] ، أنه قال : (والله ؛ لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله ؛ لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لقاتلتهم علىٰ منعِه) .

واستدل الشيخ أبو إسحاق بهـٰذا وغيرِهِ في « طبقاته » علىٰ أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعلم الصحابة ؛ لأنهم كلهم وقفوا عن فَهْمِ الحكم في المسألة إلا هو ، ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب ، فرجعوا إليه .

ورُوِّينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل : من كان يُفتي الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : (أبو بكر وعمر ، ما أعلم غيرهما) انتهىٰ [« التهذيب » ٢/١٨٤ـ١٩٠] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : قيل في معنىٰ قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه : « متعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا »(١) : إنه صلى الله عليه وسلم كان يريد بذلك أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ إذ قد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عن أبي بكر وعمر : « هـٰذان السمعُ والبصر »(٢) . انتهىٰ .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان لأبي بكر الصديق غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدري ما هـٰذا ؟ قال أبو بكر : وما هو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية ، وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته ، فلقيني ، فأعطاني لذلك هـٰذا الذي أكلتَ منه ، فأدخلِ أبو بكر يده [في فيه] فقاء كل شيء في بطنه) رواه البخاري [٣٦٢٩] .

و(الخراج) : شيء يجعله السيد علىٰ عبده يؤديه للسيد كل يوم ، وباقي كسبه يكون للعبد . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/١٩٠] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢) .

(٢) أخرجه الحاكم (٣/٦٩) .

قال حجة الإسلام الغزالي ـ رحمه الله ـ : إن الصديق قال بعد استفراغه : (اللهم ؛ إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء) .

وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم أُخبر بذلك ، فقال : « أوَمَا علمت أن الصديق لا يُدخِل جوفَه إلا طيباً ؟! » .

ثم قال الغزالي ـ رحمه الله ـ : ولا شك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما أُخبر أن اللبن من غير وجهه . . لم يكن ليخفىٰ عليه مع كونه أعلم الناس أن ما تناوله الإنسان من غير علم به أنه لا إثم عليه فيه ، ولا يجب في فتوى الفقه استفراغه ، ولٰكن إنما فعل ذلك ؛ لعلو رتبته ، وكمال صديقيته ، ولسر وقر في صدره ، عرَّفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر ، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون ، فلذلك استفرغه ، وأدخل إصبعه في حلقه ليخرجه حتىٰ كادت روحه تخرج معه ؛ لأنه رآه مؤثراً في قلبه أثراً يمنعه عن بلوغ منزلته وكمال رتبته . انتهىٰ [« الإحياء » ٢/ ٩٠ ، ٤/ ١١ بتصرف] .

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : كان أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه إذا مُدح . . يقول : (اللهم ؛ أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم ؛ اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون) .

وقيل له في مرضه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال : قد نظر إلي ، قالوا : ما قال لك ؟ قال : (قال : إني فعال لما أريد) .

ورُوِّينا في « تاريخ دمشق » [٣٠/ ٦٦] : عن هشام ، عن عروة قال : أسلم أبو بكر رضي الله عنه وله أربعون ألفاً ، فأنفقها في الله .

وعن خُبَيب ـ بضم الخاء المعجمة ـ ابن عبد الرحمٰن ، عن عمته قالت : (نزل فينا أبو بكر سنتين قبل أن يُستَخلَف وسنة بعد استخلافه ، وكانت جواري الحي يأْتينه بغنمهن ، فيحلبُهُنَّ لهن) .

وذكر محمد بن سعد [في « طبقاته » ٣/ ١٨٦] وغيره بأسانيدهم : أنه كان يحلب لأهل الحي منائحهن[1] ، فلما استُخلف . . قالت جارية من الحي : الآن لا يحلب لنا ، فقال : (بلىٰ . . لأحلبنها لكم ، وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلق كنت عليه) فكان بعد الخلافة يحلب لهنّ .

---

(١) المنائح : جمع منيحة ، وهي : الناقة أو الشاة التي تعطيها لغيرك ثم يردها عليك .

وأجمعت الأمة علىٰ صحة خلافته ، وقدمته الصحابة رضي الله عنهم ، وكونه أفضلهم وأحقهم بها من غيره ، وحديث بيعته مشهور ، وفي « الصحيحين » معروف .

وقد قال علي رضي الله عنه : (قدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فصلىٰ بالناس ، وأنا حاضر غير غائب ، وصحيح غير مريض ، ولو شاء أن يقدمني . . لقدَّمَني ، فرضينا لدنيانا من رضيه الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وسلم لديننا) .

ولد الصديق رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث سنين تقريباً .

وهو أول خليفة في الإسلام ، وأول أميرٍ أُرسل على الحج ، حج بالناس سنة تسع من الهجرة ، وحديثه في « الصحيحين » ، وهو من كبار الصحابة الذين حفظوا القرآن كله .

قالوا : ولا يُعرف خليفة ورثه أبوه . . إلا هو ؛ فإن أباه توفي بعده بنحو ستة أشهر ، وهو أفضل من كَتَبَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول الخلفاء الراشدين وأفضلهم ، وأول من عهد بالخلافة .

والصحيح : أنه توفي وله ثلاث وستون سنة رضي الله عنه . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/١٩٠-١٩١] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : روىٰ أبو الفرج ـ رحمه الله ـ بإسناده : عن القاسم بن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلتُ الجنة ، فسمعت فيها خشفة بين يديَّ[(١)] ؛ فقلت : ما هٰذا ؟ فقال : بلال ، فمضيت ، فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين ، ولم أر فيها أحداً أقل من الأغنياء والنساء ، قيل لي : أما الأغنياء . . فهم هٰهنا في الباب يحاسَبون ويُمَحَّصون ، وأما النساء . . فألهاهن الأحمران : الذهب والحرير ، ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية ، فلما كنت عند الباب . . أُتيت بكَفة ، فوُضعت فيها ، ووُضعَتْ أمتي في كفة ، فرجحتُ بها ، ثم أتي بأبي بكر ، فوضع في كفة ، فرجح أبو بكر ، ثم أتي بعمر ، فوضع في كفة ، فرجح عمر »[(٢)] .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمار ؛ أتاني جبريل آنفاً ، فقلت له : يا جبريل ؛ حدثني بفضائل عمر بن الخطاب في

---

(١) الخشفة : الصوت والحركة والحسُّ الخفي .

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٥٩) .

السماء ؛ فقال لي : يا محمد ؛ لو مكثت معك مثل ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً . . ما نفدت فضائل عمر ، وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر »[1] . أو كما قال .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلا وقد ذُرَّ عليه من تراب حفرته » ، قال أبو عاصم : **ما نجد لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فضيلة مثل هـٰذه ؛ لأن طينتهما من طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم** .

وعن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر : « ألا أخبركما بمَثَلكما في الملائكة ومثلكما في الأنبياء :

مَثَلك يا أبا بكر في الملائكة : مَثَل ميكائيل ينزل بالرحمة ، ومَثَلك في الأنبياء : مَثَل إبراهيم ؛ قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ومَثَلك يا عمر في الملائكة : كمَثَل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنّقمة علىٰ أعداء الله ، ومَثَلك في الأنبياء : كمَثَل نوح ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ » أو كما قال[2] .

وعن دحية بن خليفة قال : (وجَّهني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ ملك الروم بكتابه ، فناولته كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقبَّل خاتمه) .

وفيه : قال : (أدخلَني بيتاً عظيماً فيه ثلاث مئة وثلاث عشرة صورة ، وإذا هي صور الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، قال : أُنظر أين صاحبك مِن هـٰؤلاء ، قال : فرأيت صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هـٰذا ، قال : صدقت ؛ فقال : صورة من هـٰذا عن يمينه ؟ قلت : رجل من قومه يقال له : أبو بكر الصديق ، قال : فمن ذا عن يساره ؟ قلت : رجل من قومه يقال له : عمر بن الخطاب ، قال : فإنا نجد في الكتاب أن بصاحبيه هـٰذين يتمم الله هـٰذا الدين) .

قال : فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم . . أخبرته ، فقال : « صدق ، بأبي بكر وعمر يتمم الله هـٰذا الدين ويفتح »[3] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ،

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٢/ ١٥٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢/ ٦١٨) .

(٣) ذكره القزويني في « التدوين » (٤/ ٢٤) .

فجلس عن يمينه أبو بكر ، وعن يساره عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هٰكذا نبعث يوم القيامة » أو كما قال[1] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُحشر يوم القيامة بين أبي بكر وعمر ، حتىٰ أقف بين الحرمين ، فيأتيني أهل مكة وأهل المدينة »[2] .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه رحمهما الله : قال رجل من قريش لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ؛ نسمعك تقول في الخطبة آنفاً : اللهم ؛ أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين ، فمَن هُم ؟

فاغرورقت عيناه ، ثم أهملهما ، فقال : (هما حبيباي وعماك أبو بكر وعمر ، إماما الهدىٰ ، وشيخا الإسلام ، ورجلا قريش ، والمُقتدىٰ بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من اقتدىٰ بهما . . عُصِمَ ، ومن اتبع آثارهما . . هدي إلىٰ صراط مستقيم ، ومن تمسك بهما . . فهو من حزب الله ، وحزبُ الله هم المفلحون) .

وعن عبدِ خَيرٍ قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : (إن الله عز وجل جعل أبا بكر وعمر حجة علىٰ من بعدهم من الولاة إلىٰ يوم القيامة ، سبقا ـ واللهِ ـ سبقاً بعيداً ، وأتعبا مَن بعدهما إتعاباً شديداً) .

وعن زيد بن وهب : أن سويد بن غفلة دخل علىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما أهل له من الإسلام ، قال : فنهض إلى المنبر وهو قابض علىٰ يدي ، فقال : (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ؛ لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ، ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقي مارق ، فحبهما قربة ، وبغضهما مروق ، ما بال أقوام يذكرون أخوَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ووزيريه ، وصاحبيه ، وسيدَيْ قريش ، وأبوَي المسلمين ؟! فأنا بريء ممن يذكرهما بسوء ، وعليه معاقِب) .

وعن عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي قال : قلت للحسن : حُبُّ أبي بكر وعمر سُنَّة ؟ قال : لا ، بل فريضة .

وعن طاووس قال : حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة .

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٢) .

(٢) ذكره ابن عساكر في « تاريخه » (٤/ ١٩٠) .

وعن مالك بن أنس قال : كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن .

وعن أبي جعفرٍ محمدٍ الباقر قال : من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر.. فقد جهل السنة .

وعن زيد بن علي قال : البراءة من أبي بكر وعمر.. البراءة من علي رضي الله عنهم أجمعين .

وعن شعيب بن حرب قال : قلت لمالك بن مغوَل : أوصني ، قال : أوصيك بحب الشيخين أبي بكر وعمر ، قلت : إن الله أعطاني من ذلك شيئاً كثيراً ، قال : والله ؛ إني لأرجو لك علىٰ حبهما ما أرجو لك على التوحيد .

وعن أبي حازم قال : جاء رجل إلىٰ علي بن الحسين زين العابدين ، فقال له : ما كان منزلة أبي بكر وعمر من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كمنزلتهما الساعة وهما ضجيعاه .

وعن العتكي قال : قال هارون الرشيد لمالك بن أنس : كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كقرب قبريهما من قبره بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، قال : شفيتني يا مالك .

وعن سفيان بن عيينة قال : قال مالك بن مغوَل : لئن شئتم لأحلفنَّ لكم أن مكانهما في الآخرة مثلُ مكانهما منه في الدنيا . يعني : أبا بكر وعمر .

وعن أبي جحيفة قال : سمعت علياً يقول : ألا أخبركم بخير هـٰذه الأمة بعد نبيها ؟ أبو بكر ، ألا أخبركم بخير هـٰذه الأمة بعد أبي بكر ؟ عمر . زاد في رواية البخاري : ولو شئت.. لأخبرتكم بالثالث .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبو بكر وعمر خير أهل الأرض ، وخير الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين »[1] .

وعن شعبة قال : ما أدركت أحداً ممن كنا نأخذ عنه كان يفضل علىٰ أبي بكر وعمر أحداً بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أخرجه أبو بكر الخلال في « السنة » (٢/٣٠٧) .

وعن عبدِ خيرٍ قال : قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ؛ مَن أول الناس دخولاً الجنة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر وعمر ، قلت : يا أمير المؤمنين ؛ يدخلانها قبلك ؟ قال : إي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ؛ إنهما ليأكلان من ثمارها ، ويتكئان علىٰ فرشها .

وعن إبراهيم النخعي قال : أول من ولَّىٰ أبو بكر رضي الله عنه شيئاً من أمور المسلمين : عمر بن الخطاب ، ولاه القضاء ، وكان أولَ قاض في الإسلام .

وعن الحسن بن أبي الحسن قال : لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه واستبان له من نفسه . . جمع الناس إليه ، فقال : (إنه قد نزل بي ما قد ترون ، ولا أظنني إلا [ميت] لما بي ، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي ، وحل عنكم عقدتي ، ورد عليكم أمركم ، فأمِّروا عليكم من أحببتم ؛ فإنكم إن أمرتم في حياة مني . . كان أجدر ألاَّ تختلفوا بعدي) ، فقاموا في ذلك ، وخلوا عنه ، فلم يستقم لهم ، فرجعوا إليه ، فقالوا : رأيُنا ـ يا خليفة رسول الله ـ رأيُك ، قال : (فلعلكم تختلفون ؟) قالوا : لا ، قال : (فعليكم عهد الله على الرضا ؟) قالوا : نعم ، قال : (فأمهلوني أنظر للهِ ولدينه ولعباده) فأرسل أبو بكر إلىٰ عثمان بن عفان ، فقال : (أشر عليَّ برجل ، ووالله ؛ إنك عندي لها لأهل وموضع ، فقال : عمر ، فقال : اكتب ، فكتب حتى انتهىٰ إلى الاسم ، فغشي عليه ، ثم أفاق ، فقال : اكتب عمر) .

وعن عاصم بن عدي قال : جمع أبو بكر الناس وهو مريض ، فأمر من يحمله إلى المنبر ـ وكانت آخرَ خطبة خطبها ـ فحمد الله ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : (أيها الناس ؛ احذروا الدنيا ولا تغتروا بها ، فإنها غرارة ، وآثروا الآخرة على الدنيا فأحبوها ، فبحب كل واحدة منهن تُبغَض الأخرىٰ ، وإن هـٰذا الأمر ـ الذي هو أَمْلَكُ بنا ـ لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله ، ولا يحتمله إلا أفضلُكم مقدرةً ، وأملكُكم لنفسه ، أشدكم في حال الشدة ، وأسلسكم في حال اللين ، وأعلمكم[1] برأي ذوي الرأي ، لا يتشاغل بما لا يعنيه ، ولا يحزن لما ينزل به ، ولا يستحيي من التعلم ، ولا يتحير عند البديهة ، قوي على الأمور ، لا يجوز لشيء منها حدَّه بعدوان ولا تقصير ، يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والطاعة ، وهو عمر بن الخطاب) ثم نزل ، فدخل .

وفي رواية : سمع بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا علىٰ أبي بكر

(١) في « تاريخ عمر بن الخطاب » : (وأعملكم) .

رضي الله عنه ، فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد ترىٰ غلظته ؟ فقال أبو بكر : (أجلسوني ، أبالله تخوفوني ؟! خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول : اللهم ؛ ولَّيتُ عليهم أفضلَهم وأقواهم) أو كما قال .

وعن موسى الجهني قال : سمعت أبا بكر بن حفص يقول : قال أبو بكر حين احتُضِر لعائشة : (إنا وُلِّينا أمر المسلمين ، فلم نأخذ لهم ديناراً ولا درهماً ، ولـٰكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم علىٰ ظهورنا ، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هـٰذا العبد الحبشي ، وهـٰذا البعير الناضح[1] ، وجَرْدُ هـٰذه القطيفة[2] ، فإذا مُتُّ . . فابعثي بهن إلىٰ عمر) .

فجاءه الرسول بهنّ وعنده عبد الرحمـٰن بن عوف ، فبكىٰ عمر حتىٰ سالت دموعه على الأرض ، وقال : (يرحم الله أبا بكر ، لقد أتعب مَن بعده ، ارفعهن يا غلام) .

فقال عبد الرحمـٰن : سبحان الله يا أمير المؤمنين! تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً ، وبعيراً ناضحاً ، وجرد قطيفة ثمنها خمسة دراهم ؟! فقال : (ما تأمر ؟) قال : آمر بردهن علىٰ عياله ، قال : (يخرج أبو بكر عنهن عند الموت ، وأردهن أنا علىٰ عياله ؟! لا يكون واللهِ ذاك أبداً ، الموت أسرع من ذلك) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : قال عمر : (يؤتىٰ بأقوام يوم القيامة ، فيوقفون بين يدي الله عز وجل ، فيؤمر بهم إلى النار ، فإذا هَمَّ الزبانية بأخذهم . . قال الله تعالىٰ لملائكة الرحمة : ردوهم ، فيردونهم ، فيوقفون بين يدي الله عز وجل طويلاً ، فيقول : عبادي ؛ أمرت بكم إلى النار بذنوب سلفت لكم ، واستوجبتم بها ، وقد روعتكم ، وقد وهبت لكم ذنوبكم بحبكم أبا بكر وعمر انتهىٰ [« تاريخ عمر بن الخطاب » ٤١ـ٧٠ ، ٢٨٤] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ بإسناده إلىٰ زيد بن أرقم رضي الله تعالىٰ عنه قال : إن أبا بكر رضي الله عنه استسقىٰ ، فأتي بإناء فيه ماء وعسل ، فلما أدناه من فيه . . بكىٰ وأبكىٰ من حوله ، فسكت وسكتوا ، ثم عاد فبكىٰ ، حتىٰ ظنوا ألا يقدروا علىٰ مساءلته ، ثم مسح وجهه ، فأفاق ، فقالوا : ما هاجك علىٰ هـٰذا البكاء ؟ قال : (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل يدفع عنه شيئاً يقول : « إليكِ عني ، إليكِ عني » ، ولم أر معه أحداً ،

---

(١) الناضح : البعير الذي يستقىٰ عليه .

(٢) أي : التي انجرد خملها وخَلَقت ، والقطيفة : الكساء الذي له خَمْلٌ .

فقلت : يا رسول الله ؛ أراك تدفع عنك شيئاً ولا أرىٰ معك أحداً! فقال : « هـٰذه الدنيا ، تمثلت لي بما فيها ، فقلت لها : إليكِ عني ، فتنحَّت وقالت : أمَا والله ؛ لئن انفلتَّ مني. . لا ينفلت مني مَن بعدك » ، فخشيت أن تكون قد لحقَتْني ، فذاك الذي أبكاني)[1] .

وقال عبد الرحمـٰن بن عوف : دخلت علىٰ أبي بكر في مرض موته ، فقال : (والله ؛ لأن يقدَّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد. . خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا) .

ومن جملة وصيته لعمر رضي الله عنهما : أنه قال له : (إن أنت حفظت وصيتي. . فلا يك غائباً أحب إليك من الموت ، وهو آتيك) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لبست مرةً درعاً جديداً ، فجعلت أنظر إليه ، فقال أبو بكر : ما تنظرين يا عائشة ؟ إن الله ليس بناظر إليك الآن ، قلت : وفيمَ ذاك ؟ قال : أمَا علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا. . مقته الله حتىٰ يفارق تلك الزينة ؟ قالت : فنزعته فتصدقت به ، قال أبو بكر : عسىٰ ذلك أن يكفِّر عنك) .

ومن كلامه رضي الله عنه في بعض خطبه : (يا معشر المسلمين ؛ استحيوا من الله ، فوالذي نفسي بيده ؛ إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعاً ؛ استحياءً من ربي سبحانه وتعالىٰ) انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٣٠ـ٣٧] .

وروىٰ أبو الفرج بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر ، وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال ، فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا محمد ؛ ما لي أرىٰ أبا بكر عليه عباءة قد خللها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل ؛ أنفق ماله عليَّ قبل الفتح » .

قال : فإن الله عز وجل يقرأ عليه السلام ويقول : قل له : أراضٍ أنت عني في فقرك هـٰذا ، أم ساخط ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر ؛ إن الله عز وجل يُقرئك السلام ، ويقول لك : أراض أنت عني في فقرك هـٰذا ، أم ساخط ؟ » .

فبكىٰ أبو بكر رضي الله عنه ، وقال : أَعَلىٰ ربي أغضب ؟! أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض ، ثلاثاً) .

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم (٤/ ٣٤٤) .

ومن كلامه رضي الله عنه : (ليتني كنت شجرة تُعضد ثم تؤكل)[1] .

وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول : (هـٰذا أوردني الموارد) [انتهىٰ « الصفوة » ١/١٠٣ـ١٠٥] .

وروىٰ أصحاب السِّير[2] : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة ، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم ، فقام خطيب الأنصار فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ؟ ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصارَه . قال : فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : صدق قائلكم ، أمَا لو قلتم غير هـٰذا . . لم نتابعكم ، فأخذ بيد أبي بكر الصديق رضي الله تعالىٰ عنه وقال : هـٰذا صاحبكم فبايعوه ، وبايعه عمر ، وبايعه المهاجرون والأنصار .

قال : فصعد أبو بكر المنبر ، فنظر في وجوه القوم ، فلم ير الزبير ، قال : فدعا بالزبير ، فجاء ، قال ، قال : قلتَ : ابنُ عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أردتَ أن تشق عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، فقام فبايعه .

ثم نظر في وجوه القوم ، فلم ير علياً ، فدعا بعلي بن أبي طالب ، فجاء ، قال : قلتَ : ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته ، أردتَ أن تشق عصا المسلمين ؟ قال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، فبايعه) هـٰذا أو معناه .

قال الحافظ أبو علي النيسابوري ـ رحمه الله ـ : سمعت ابن خزيمة يقول : جاءني مسلم بن الحجاج ، فسألني عن هـٰذا الحديث ، فكتبته له في رقعة وقرأته عليه ، فقال : هـٰذا حديث يَسْوىٰ بدنة[3] ، فقلت : يَسْوىٰ بدنة ؟! بل هـٰذا يَسْوىٰ بَدْرَة[4] .

وقد رواه الإمام أحمد عن الثقة ، عن وهيب مختصراً ، وأخرجه الحاكم في « مستدركه » [٣/ ٨٠] من طريق عفان بن مسلم عن وهيب مطولاً كنحو ما تقدم .

زاد في رواية موسى بن عقبة في « مغازيه » : عن سعد بن إبراهيم قال : إن أبا بكر رضي الله عنه خطب الناس واعتذر إليهم ، وقال : (والله ؛ ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً

---

(١) تُعضد : تقطع .
(٢) ومنهم ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٧٧) .
(٣) البدنة : البقرة أو الناقة التي تنحر في مكة .
(٤) البَدْرَةُ : كيسٌ فيه مقدار من المال .

ولا ليلة ، ولا سألتها في سرٍّ ولا علانية) فقبِل المهاجرون مقالته ، وقال علي والزبير رضي الله عنهما : (ما غضبنا إلا لأنك أخَّرتنا عن المشورة ، وإنا نرىٰ أبا بكر أحق الناس بها ، إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي) .

ومما يدل علىٰ صحة هـٰذا آثار كثيرة :

منها : شهوده معه الصلوات ، وخروجه معه إلىٰ ذي القصة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ذِكره .

ومنها : بذله النصيحة والمشورة بين يديه . . . إلىٰ غير ذلك مما هو معروف مشهور .

وأما ما يذكر من مبايعته إياه بعد موت فاطمة رضي الله عنها بستة أشهر . . فإنه محمول علىٰ أنها بيعة ثانية ، أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث ، ومنعِهِ إياهم ذلك بالنص ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « لا نورَث ، ما تركنا فهو صدقة »[1] ، ولم يكونا يعلمان ذلك ، فلما علماه . . انتهيا إليه ، رضي الله عنهما .

وعن عاصم بن عدي رضي الله عنه قال : (نادىٰ منادي أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الغد من متوفىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث جيش أسامة : ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة . . إلا خرج إلىٰ عسكره بالجرف) .

زاد في رواية أخرىٰ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالمسير إلىٰ تخوم البلقاء من الشام حيث قتل زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة رضي الله عنهم ، وأن يُغِيروا علىٰ تلك الأراضي ، فخرجوا إلى الجرف ، فخيموا به ، وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استثنى الصديق رضي الله عنه ، فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أقاموا هنالك ، فلما مات صلى الله عليه وسلم . . عظم الخطب ، واشتد الحال ، ونَجَم النفاق بالمدينة ، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة ، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق رضي الله عنه ، ولم تبق الجمعة تقام في بلد سوىٰ مكة والمدينة وكانت جُواثىٰ[2] من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في « صحيح البخاري » عن ابن عباس رضي الله عنهما ، علىٰ ما سيأتي .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٦) ، ومسلم (١٧٥٧) .

(٢) جُواثىٰ : حصن لعبد القيس بالبحرين ، ورواه بعضهم بالهمز .

وكانت ثقيف بالطائف قد ثبتوا على الإسلام ، صانهم الله عز وجل عن التغيير والردة .

والحاصل : أنه لما وقعت هـٰذه الأمور . . أشار كثير من الناس على الصديق رضي الله عنه ألاَّ ينفذ جيش أسامة ؛ لاحتياجه إليه فيما هو أهمُّ إليه الآن ، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فامتنع الصديق رضي الله عنه من ذلك ، وأبىٰ أشد الإباء ، وقال : (والله ؛ لا أحل عقداً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أن الطيرَ تخطفنا ، والسباعَ من حول المدينة) .

زاد في رواية أخرىٰ : (والذي نفس أبي بكر بيده ؛ لو ظننت أن السباع تخطفني . . لأنفذت بعْث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في القرىٰ غيري . . لأنفذته) .

زاد في رواية هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنهم ، قالت : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ارتدت العرب قاطبة ، واشرأبَّ النفاق[1] ، فوالله ؛ لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات . . لهاضها[2] ، وصار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنهم معزىٰ في حش في ليلة مطيرة بأرض مَسْبَعَة[3] ، فوالله ؛ ما اختلفوا في شيء . . إلا بينه لهم وفصَّله) .

ثم ذكرت عمر ، فقالت : (من رأىٰ عمر . . علَم أنه خلق غَنَاءً للإسلام ، كان واللهِ أحوذياً نسيج وحده[4] ، قد أعد للأمور أقرانها) .

زاد في رواية الحسن البصري ـ رحمه الله ـ : أن أبا بكر رضي الله عنه لما صمَّم علىٰ تجهيز جيش أسامة . . قال بعض الأنصار لعمر رضي الله عنه : قل له فليؤمِّر علينا غير أسامة ، فذكر عمر له ذلك ، فقال : (ثكلتك أمك يا بن الخطاب ، أُؤَمِّرُ غير أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!) .

---

(١) أي : ارتفع وعلا .

(٢) هاضها : كسرها .

(٣) كذا وردت في النسخ ، والحُشُّ : موضع كثير الشجر يلتفُّ بعضها علىٰ بعض ، تأوي إليه المواشي فيكون كالخُصِّ لها ، فإذا هاجمتها السباع . . لم تقوا على الهرب . والمَسْبَعَة : كثيرة السباع . وفي « النهاية » (٢/ ٥٣) : كأنهم مِعزىٰ مطيرة في خَفَشٍ . قال الخطابي : هوَ الخَفَشُ ، وهو فساد في العين يضعف منه نورها ، وتغمض دائماً من غير وجع ؛ تعني : أنهم في عمىٰ وحيرة ، أو في ظلمة ليل ، وضربت المِعزىٰ مثلاً ؛ لأنها من أضعف الغنم في المطر والبرد .

(٤) الأحوذي : العالم بالأمر .

ثم نهض بنفسه إلى الجرف ، فاستعبر[1] جيشَ أسامة ، وأمرهم بالمسير ، وسار معهم ماشياً ، وكان أسامة راكباً ، وعبد الرحمـٰن بن عوف يقود راحلة الصديق ، فقال أسامة : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إما أن تركب ، وإما أن أنزل ، فقال : (والله ؛ لستَ بنازل ولستُ براكب) .

ثم استَطْلَقَ الصديقُ من أسامة عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهم[2] ، وكان مكتتباً في جيشه ، فأطلقه له ، فلهـٰذا كان عمر بعد ذلك لا يلقاه . . إلا قال : السلام عليك أيها الأمير .

زاد في رواية أخرىٰ : أن أبا بكر رضي الله عنه لما كان ماشياً يوصي أسامة بن زيد وكان عبد الرحمـٰن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فلما قال له أسامة : والله لتركبن . . قال له أبو بكر : (وما عليَّ أن أغبر قدميَّ في سبيل الله عز وجل ؛ فإن للغازي بكل خطوة سبع مئة حسنة ، ويمحىٰ عنه سبع مئة سيئة) .

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه جعل يوصي الناس ، فقال : (أوصيكم بعشر خصال :

لا تخونوا [ولا تَغُلُّوا] ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ، ولا شيخاً ، ولا امرأة ، ولا تحرقوا نخلاً ولا تعقروه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلةٍ ، وسوف تمرون بأقوام قد حبسوا أنفسهم بالصوامع . . فدعوهم وما فرغوا نفوسهم له ، وستلقون أقواماً قد حَلَقوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب . . فاخفقوهم بالسيوف خفقاً) .

ثم قال لأسامة : (ابدأ بما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغارة علىٰ بلاد قضاعة ، ثم امض إلىٰ مؤتة ، ولا تُقصِّرنَّ في شيء مما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم) . ثم قال : (اندفعوا باسم الله) .

ثم ودَّعهم وانصرف .

زاد في رواية : فلما دنوا من الشام . . أصابتهم ضبابة شديدة[3] ، فسترتهم حتىٰ أغاروا وأصابوا حاجتهم ، وغنموا وسبوا ، ورجعوا سالمين غانمين ، كل ذلك من يُمْنِ بركة رأي

---

(١) من الاعتبار والتقدير .

(٢) أي : طلب إطلاقه وردَّه إليه .

(٣) الضبابةُ : هي البخار المتصاعد من الأرض في اليوم البارد تحجب الأبصار لظلمتها .

الصديق رضي الله عنه في بعثه جيش أسامة ؛ امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما بلغ هرقل موت النبي صلى الله عليه وسلم وإغارة أسامة علىٰ نواحي أرضه . . تعجب من ذلك ، وقالت الروم : ما بال هـٰؤلاء العرب يموت صاحبهم ويغيرون علىٰ أرضنا ، وتعجبوا من ذلك وذلوا .

ثم إنه لما قدم جيش أسامة غانمين سالمين . . أمهلهم الصديق رضي الله عنه حتى استراحوا ، ثم ركب الصديق رضي الله عنه بنفسه قاصداً إلىٰ ذي القصة لقتال الأعراب والجيش معه ، واستخلف على المدينة أسامة بن زيد وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقود براحلة الصديق رضي الله عنه فسأله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أن يرجع إلى المدينة ، وممن سأله في ذلك علي بن أبي طالب ، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال ، فأجاب إلىٰ ذلك .

زاد في رواية الدارقطني ـ رحمه الله ـ : من حديث عبد الوهاب من رواية سعيد بن المسيب ، عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : أخذ علي بن أبي طالب بزمامها ، وقال : (إلىٰ أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « لا تفجعنا بنفسك » ، وارجع إلى المدينة ، فوالله ؛ لئن فُجِعنا بك . . لا يكون للإسلام نظام أبداً ، فرجع إلى المدينة وأمضى الجيش) .

وفي أول سنة ثلاث عشرة : عزم الصديق رضي الله عنه علىٰ جمع الجنود ليبعث بهم إلى الشام ، ثم شرع في تولية الأمراء ، وعقد الألوية والرايات ، فيقال : إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص ، ثم عقد لواء يزيد ابن أبي سفيان ومعه جمهور الناس ، منهم : سهيل بن عمرو ، وأشباهه من أهل مكة ، وخرج معه ماشياً يوصيه بما يعتمده في حربه ومن معه من المسلمين ، وجعل له دمشق .

وبعث أبا عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه علىٰ جند آخر ، وخرج معه ماشياً يوصيه ، وجعل له نيابة حمص .

وبعث عمرو بن العاصي ومعه جند آخر ، وجعله علىٰ فلسطين ، وأمر كل أمير ألاَّ يسلك علىٰ طريق الآخر ؛ لما رَأىٰ في ذلك من المصلحة ، واقتداء بيعقوب صلى الله عليه وسلم في قوله لبنيه : ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .

وكان مما أوصىٰ به إلىٰ يزيد ابن أبي سفيان وهو مشيِّع له : (إذا قدمت علىٰ أهل عملك . . فعدهم الخير ، وإذا وعدت . . فأنجز وعدك ، ولا تكثرن عليهم الكلام ؛ فإن بعضه ينسي بعضاً ، وأصلح نفسك أولاً . . يصلُحِ الناس لك ، وإذا قدم عليك رسول عدوِّك . . فأكرم نزله ؛ فإنه أول خيرك ، وأقلل حبسه عندك حتىٰ يخرج من عندك وهو جاهل بأمرك ، وامنع مَن قِبَلَكَ من محادثته ، وكن أنت الذي تلي كلامه ، ولا تجعل سرك مع علانيتك ، فيمرج أمرك ، وإذا استشرت . . فاصدق الخبر ليصدق لك المشورة ، ولا تكتم المستشار شيئاً ، فتؤتىٰ من قبل نفسك ، وإذا بلغك عن العدو عورة . . فاكتمها حتىٰ تواتيها ، واستر في عسكرك الأخبار ، وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك ، واصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك . . .) في كلام طويل اختصرناه .

ومما وقع في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الغرائب **واقعةٌ غريبة** ، وهي : أن الإمام ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي أبا محمد خطيب الأنصار ويقال له أيضاً : خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بشره بالجنة ، وأنه بشره بالشهادة أيضاً ، فقتل يوم اليمامة سنة إحدىٰ عشرة شهيداً ، وكانت راية الأنصار يومئذ بيده .

وروى الترمذي رحمه الله [٣٧٩٥] بإسناد له علىٰ شرط مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نِعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس » .

ولما نزل قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ . . اشتد علىٰ ثابت بن قيس ، وغلق عليه بابه ، وطفق يبكي ، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله ، فأخبره بما كبر عليه منها ، وقال : أنا رجل أحب الجَمال ، وأنا أَسُود قومي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لست منهم ، بل تعيش بخير وتموت بخير ، ويدخلك الله الجنة » ، فلما نزل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ . . فعل مثل ذلك[1] ، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه ، فلما حضر . . أخبره بما كبر عليه منها ، وأنه جهير الصوت ، وأنه يتخوف أن يكون ممن حبط عمله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لست منهم ، بل تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، ويدخلك الله

(١) أي : أغلق عليه بابه ، وطفق يبكي .

الجنة » ، فلما استنفر أبو بكر الصديق رضي الله عنه المسلمين إلىٰ أهل الردة واليمامة ومسيلمة الكذاب. . سار ثابت بن قيس فيمن سار ، فلما لقوا مسيلمة وبني حنيفة. . هزَموا المسلمين ثلاث مرات ، فقال ثابت وسالم مولىٰ أبي حذيفة : ما هـٰكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا لأنفسهما حفرة فدخلا فيها ، وقاتلا حتىٰ قتلا رضي الله عنهما .

قال : ورأىٰ رجل من المسلمين ثابت بن قيس في منامه ، فقال له : إني لَمَّا قتلت بالأمس مر بي رجل من المسلمين ، وانتزع مني درعاً نفيسة ، وتركه في أقصى العسكر ، وعند منزله فرس تستن[١] في طوله ، وقد أكفأ على الدرع برمة[٢] ، وجعل فوق البرمة رحلاً[٣] ، فأت خالد بن الوليد ، فليبعث إلىٰ درعي ، فليأخذها ، فإذا قدمت علىٰ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. . فأعلمه أن عَلَيَّ من الدَّين كذا وكذا ، ولي من المال كذا وكذا ، وفلان من رقيقي عتيق ، وإياك أن تقول هـٰذا حلم فتضيعه .

قال : فأتىٰ خالد إلى الدرع ، فوجدها كما ذكر ، وقدم على الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأخبره ، فأنفذ الخليفة أبو بكر رضي الله عنه وصيته بعد موته ، فلا نعلم أحداً جازت وصيته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ، ولهـٰذا الحديث وهـٰذه القصة شواهد أخر ، والحديث المتعلق بقوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ في « صحيح مسلم » [١١٩] عن أنس .

وقال حماد بن سلمة رحمه الله : عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه : أن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه جاء يوم اليمامة وقد تحنط ونشر أكفانه ، وقال : (اللهم ؛ إني أبرأ إليك مما جاء به هـٰؤلاء ، وأعتذر إليك مما صنع هـٰؤلاء)[٤] فقُتل ، وكان له درع فسرقت ، فرآه رجل فيما يرى النائم ، فقال : إن درعي في قِدْرٍ تحت الكانون في مكان كذا وكذا ، وأوصاه بوصايا ، فطلبوا الدرع ، فوجدوها وأنفذوا الوصايا . ورواه الطبراني [في « الكبير » ٢/٦٥] أيضاً ، والله أعلم .

---

(١) استن الفرس : عدا لمرحه ونشاطه شوطاً أو شوطين ولا راكب عليه .

(٢) **البُرمة** : القدر .

(٣) **الرحل** : هو للبعير بمثابة السرج للفرس .

(٤) أراد بالأولى الكفار ، وبالثانية المسلمين .

ذكر ردة أهل البحرين وعَودِهِم إلى الإسلام :

كان من خبرهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد بعث العلاء ابن الحضرمي رضي الله عنه إلىٰ ملكها المنذر بن ساوى العبدي ، فأسلم علىٰ يديه ، وأقام فيهم الإسلام والعدل ، ولم يزل إلىٰ أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوفي المنذر بعده بقليل ، وكان قد حضر عنده في مرضه عمرو بن العاصي رضي الله عنه ، فقال له : يا عمرو ؛ هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل للمريض شيئاً من ماله ؟ قال : نعم ، الثلث ، فقال : ما أصنع به ؟ فقال : إن شئت تتصدق به علىٰ أقربائك ، وإن شئت على المحاويج ، وإن شئت جعلته حبساً محرَّماً ، قال المنذر : إني أتصدق به ، ففعل ومات ، فكان عمرو يتعجب منه .

ثم إنه لما مات المنذر . . ارتد أهل البحرين ، ولم يبق فيها قرية على الثبات على الإسلام . . إلا قرية يقال لها : جواثاً ، كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك في « البخاري » ، وحاصر المرتدون المسلمين ، وضيقوا عليهم ، إلىٰ أن منعوهم من الأقوات ، وجاعوا جوعاً شديداً ، حتىٰ فرّج الله عز وجل عنهم ، فبعث الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى المرتدين العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه في جيش كبير ، فلما دنا من البحرين . . جاء إليه ثمامة بن أثال في جحفل كبير ، وأمراء تلك النواحي جميعها انضافوا إلىٰ جيش العلاء ابن الحضرمي ، فأكرمهم العلاء ، ورحب بهم ، وأحسن إليهم .

وكان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد ، وكان مجاب الدعوة[1] ، اتفق له في هٰذه الغزوة من الكرامات العجيبة أمور خارقة :

منها : أنه كان قد نزل منزلاً فلم يستقر الناس على الأرض حتىٰ نفرت الإبل بجميع ما عليها من زاد الجيش ، وأمتعتهم ، وخبائهم ، وشرابهم ، وبقوا على الأرض لا شيء عليهم ، ولا عندهم سوىٰ ما عليهم من ثياب أبدانهم ، وكان ذلك ليلاً ، ولم يقدروا علىٰ تحصيل بعير واحد منها ، فلحق الناس من الهم والحزن ما لا يحد ولا يوصف ، وجعل بعضهم يوصي إلىٰ بعض ، فأمر العلاء ابن الحضرمي رضي الله تعالىٰ عنه منادياً ، فنادىٰ باجتماع الناس إليه ، فلما اجتمعوا . . قال لهم : أيها الناس ؛ ألستم المسلمين ؟ ألستم في سبيل الله عز وجل ؟ ألستم أنصار الله تعالىٰ ؟ قالوا : بلىٰ ، قال : فأبشروا ، فوالله ؛

---

(١) أصله من حضرموت ، ولد بمكة ، وهو أول مسلم ركب البحر للغزو ، وأول من فتح جزيرة بأرض فارس .

لا يخذل الله عز وجل من كان في مثل حالكم .

ولم يزل يطيب قلوبهم ويبشرهم إلىٰ أن قرب الفجر ، فلما طلع الفجر . . نودي بصلاة الفجر ، وصلىٰ بالناس ، فلما قضى الصلاة . . جثا علىٰ ركبتيه وجثا الناس ، ونصب في الدعاء ، ورفع يديه ورفع الناس مثله ، ولم يزالوا في الدعاء إلىٰ أن طلعت الشمس ، وهو يجتهد في الدعاء ، والناس ينظرون إلىٰ سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرىٰ ، وهو يجتهد في الدعاء ، فلما بلغ الثالثة وإذا بغدير عظيم من الماء قد خلقه الله عز وجل إلىٰ جانبهم ، ففرح الناس وأقبلوا يهرولون إليه ، وشربوا واغتسلوا ، فما تعالى النهار حتىٰ أقبلت الإبل بما عليها من كل فج ، ولم يفقدوا من أمتعتهم شيئاً ، فسقوا الإبل عَلَلاً بعد نهل[1] .

ثم إن العلاء سار بالجيش ، فلما اقترب من جيوش المرتدين وكانوا قد حشدوا وجمعوا . . نزل العلاء بجيشه ، ونزل المرتدون ، وباتوا متجاورين في المنازل ، فبينما المسلمون في الليل ؛ إذ سمع العلاء أصواتاً عالية من جيش المرتدين ، فقال : مَن رجل يكشف لنا خبر هٰؤلاء القوم ؟ فقام رجل يقال له : عبد الله بن حدق ، فدخل إليهم ، فوجدهم سكارىٰ لا يعقلون من الخمر ، فرجع إليه ، فأخبره ، فركب العلاء من فوره هو والجيش ، فكبسوا المرتدين ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً حتىٰ قلَّ من هرب منهم ، واستولى العلاء علىٰ جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم ، فكانت غنيمة عظيمة جسيمة .

وكان الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة من كبار المرتدين ، فقام دهِشاً حين اقتحم المسلمون عليهم ، فركب جواده ، فانقطع ركابه ، فجعل يقول : من يصلح لي ركابي ؟ فجاءه رجل من المسلمين ، فقال : أنا أصلحها لك ، ارفع رجلك ، فلما رفع رجله . . ضربه بالسيف فقطعها ، فوقع صريعاً ، فقال له : أجهز عليَّ ، قال : لا أفعل ، وجعل كلما مر به أحد . . يسأله أن يجهز عليه ، فيأبىٰ عليه ، إلىٰ أن مر به قيس بن عاصم ، فقال له : أنا الحطم بن ضبيعة ، فاقتلني ، فقتله ، فلما رأىٰ رجله مقطوعة . . ندم علىٰ قتله ، وقال : واسوأتاه ، لو أعلم أن رجله مقطوعة . . لَمَا أجهزت عليه .

ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين يقتلونهم بكل مرصد وطريق ، وذهب من فر من المرتدين في البحر إلىٰ دارِين[2] ، وأسر المسلمون عفيف بن المنذر بن النعمان .

---

(١) العَلَلُ : الشرب للمرة الثانية ، النهل : الشرب ابتداءً .

(٢) فُرْضَة في البحر كان يجلب إليه العطر من الهند .

ثم شرع العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه في قسم الغنيمة ونَفْل الأنفال ، فلما فرغ من ذلك . . قال : اذهبوا بنا إلىٰ دارين ؛ لنغزو من بها من الأعداء ، فأجابوه إلىٰ ذلك سراعاً ، فسار بهم حتىٰ أتىٰ ساحل البحر ليركبوا في السفن ، فرأىٰ أن المسافة بعيدة ، وأنهم متىٰ ركبوا السفن . . طالت المدة ، وهرب الأعداء ، فاقتحم فرسه في لجة البحر ، وهو يقول : يا أرحم الراحمين ، يا حليم ، يا كريم ، يا أحد ، يا صمد ، يا حي ، يا قيوم ، يا محيي ، يا مميت ؛ لا إلـٰه إلا أنت يا ربنا ، وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا البحر بخيلهم ، ففعلوا ذلك ، فأجاز بهم الخليج بإذن الله عز وجل ؛ يمشون علىٰ مثل رملة دمثة[1] ، فوقها ما لا يبلغ أخفاف الإبل ، ولا يصل إلىٰ ركب الخيل ، وكان مسيره في السفن يوماً وليلة ، فقطعه إلى الساحل الآخر ، وقاتل الأعداء وقهرهم وحاز غنائمهم ، ثم رجع ، فقطعه إلى الجانب الآخر ، فعاد إلىٰ موضعه الأول ، وذلك كله في يوم ، واستاق الذراري والأنعام والأموال ، ولم يفقد المسلمون في البحر شيئاً سوىٰ عليقة[2] فرس لرجل من المسلمين ، ومع ذلك فقد رجع العلاء بن الحضرمي رضي الله تعالىٰ عنه ، وجاء بها ، فدفعها إلىٰ صاحبها ، ثم قسم غنائم المسلمين ، فأصاب الفارس ألفين ، والراجل ألفاً ، مع كثرة الجيوش ، وكتب إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه يعلمه بذلك ، وبعث الصديق يشكره علىٰ ما صنع .

وقد قال عفيف بن المنذر رضي الله عنه في مرورهم في البحر شعراً ، وهو :

ألـم تـر أن الله ذلَّـلَ بحـرَه ... وأنـزل بـالكفـار إحـدى الجلائـلِ
دَعَـونـا إلـىٰ شـق البحـار فجـاءنـا ... بأعجبَ مِن فَلْق البحار الأوائلِ

وقد ذكر سيف بن عمر عن عفيف بن المنذر رضي الله عنه : أنه لما كان مع المسلمين في هـٰذه المواقف والمشاهد التي رآها من أمر العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، وما أجرى الله عز وجل علىٰ يديه من الكرامات من رجوع الإبل بأحمالها ، والغدير العظيم ، والمسير بالخيل في البحر ذهاباً وإياباً ، وجميع الجيش معه . . [أسلم] .

ومن ذلك أيضاً : أن راهباً من أهل هجر أسلم وحسن إسلامه ، وأنه قيل له : ما دعاك إلى الإسلام ؟ فقال : والله لو لم أفعل . . لخشيت أن يمسخني الله عز وجل ، وذلك لما

---

(١) الرملة الدمثة : اللينة السهلة ، التي ليست متلبدة .

(٢) العليقة : القضيم يعلق على الدابة .

شاهدته من الآيات العظيمة ، منها ما لا أحسن التعبير عنه ، ومنها : أني سمعت في الهواء وقت السحر دعاء ، قيل له : وما هو ؟ فقال : قال : اللهم ؛ أنت الرحمـٰن الرحيم ، لا إلـٰه غيرك ، والبديع ليس قبلك شيء ، والدائم الذي لا يزول ، والحي الذي لا يموت ، وخالق ما يُرىٰ وما لا يُرىٰ ، وكل يوم أنت في شأن ، وسعت ـ اللهم ربنا ـ كل شيء رحمة وعلماً ، قال : فعلمت أن هـٰذا ملك ، وأن القوم ما أعينوا بالملائكة عليهم الصلاة والسلام. . إلا وهم على الحق الذي هو أمر الله عز وجل ، فأسلمت ، وكان هـٰذا ناسكاً تسمع منه الصحابة رضي الله عنهم هـٰذا الحديث .

وكان العلاء ابن الحضرمي رضي الله تعالىٰ عنه قد أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين ، وأقره عليها أبو بكر ، ثم عمر رضي الله عنهم .

توفي سنة أربع عشرة ، وقيل : سنة إحدىٰ وعشرين ، وولاه عمر الكوفة أيضاً بعد أن عزله عن البحرين ، وولاها أبا هريرة رضي الله عنه ، فمات العلاء ابن الحضرمي قبل وصوله إلى الكوفة ، مُنصَرَفَهُ من الحج ، رضي الله عنه .

وقد وقع مثل هـٰذا في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان الأمير من جهته : سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وذلك أن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالىٰ عنه لما فتح مدينة بَهُرَسير ، إحدىٰ مدينتي كسرىٰ مما يلي دجلة من الغرب ، واستقر بها في صفر ، سنة ست عشرة. . لم يجد فيها أحداً ولا شيئاً مما يغنم ؛ لأن الفُرْس كانوا قد هربوا إلى المدائن وركبوا السفن ، وجعلوا أموالهم وأمتعتهم فيها ، وضموا السفن إليهم أيضاً ، وأراد سعد الوصول إليهم ، فلم يجد شيئاً من السفن ، وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية .

وكانت دجلة قد زادت في تلك السنة زيادة عظيمة ، واسودَّ ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة زيادة الماء بها ، وجاء الخبر إلىٰ سعد : أن كسرىٰ يزدجرد قد عزم على الرحيل من المدائن إلىٰ حلوان ، ويأخذ الأموال والأمتعة ، وإنك إن لم تدركه قبل ثلاث. . فات ، فقام سعد ، فخطب المسلمين علىٰ شاطىء دجلة ، فحمد الله ، وأثنىٰ عليه ، وقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهـٰذا البحر ، فلا تصلون إليهم وهم يصلون إليكم متىٰ أرادوا في السفن ، وليس وراءكم شيء تخافون ، وقد رأيت أن تبادروا جهاد عدوكم قبل أن تحصركم الدنيا ، وقد عزمت علىٰ قطع هـٰذا البحر إن شاء الله تعالىٰ ، فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل ، فندب سعد الناس العبور إليهم ، وقال : من ينتدب فيحمي لنا

الفراض[1] ـ يعني : ثغرة المخاضة ـ من الناحية الأخرىٰ ؛ ليجوز الناس آمنين ؟ فانتدب عاصم بن عمرو رضي الله عنه وذوي البأس من الناس قريباً من ست مئة ، فأمَّر عليهم عاصم بن عمرو ، فوقفوا علىٰ حافة دجلة ، فقال عاصم : من ينتدب فيكون أول الناس دخولاً في هـٰذا البحر ، فيحمي الفراض من الجانب الآخر ؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين .

وكان الأعاجم قد وقفوا صفوفاً من الجانب الآخر ، فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ، وقال لهم : أتخافون ؟ ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ ، ثم اقتحم بفرسه في دجلة ، واقتحم الناس وراءه ، وقد افترق الستون أصحاب الخيل فرقتين ، أصحاب الخيل الذكور والخيل الإناث ، فلما رآهم الفرس يطوفون علىٰ وجه الماء . . قالوا : ديوانا ديوانا ؛ يعني : مجانين ، ثم قالوا : والله ؛ ما تقاتلون إنساً ، إنما تقاتلون جناً ، ثم أرسلوا فرساناً منهم في الماء في السفن يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا إليهم الرماح ويقصدوا عيونهم ، ففعلوا ذلك بالفرس ، فقلعوا عيون خيولهم ، فرجعوا فارِّين لا يملكون كف خيولهم ، حتىٰ إذا خرجوا من الماء . . تبعهم عاصم وأصحابه ، فساقوا وراءهم حتىٰ طردوهم عن الجانب الآخر ، ووقفوا علىٰ حافة دجلة من الجانب الآخر ، ونزل بقية أصحاب عاصم من الست مئة في دجلة ، فخاضوها حتىٰ وصلوا إلىٰ أصحابهم من الجانب الآخر ، وأزاحوا الفرس عن ذلك الجانب ، وكانوا يسمُّون الكتيبة الأولىٰ : كتيبة الأهوال ، وأميرها عاصم بن عمرو ، والكتيبة الثانية : الكتيبة الخرساء ، وأميرها القعقاع بن عمرو .

وكان سعدٌ رضي الله عنه ينظر ما صنع هـٰؤلاء الفرسان ، وهو وجيشه علىٰ جانب دجلة ، فعند ذلك نزل سعد ببقية الجيش ، وأمرهم أن يقولوا : باسم الله ، نستعين بالله ، ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم اقتحم بفرسه في دجلة ، واقتحم الناس خلفه الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون علىٰ وجه الماء كما يتحدثون علىٰ وجه الأرض ؛ لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن والوثوق بأمر الله تعالىٰ ووعده ونصره وتأييده ، وكيف لا ، وأميرهم أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ؟! وهو

---

(١) الفِرَاض : فوهة النهر .

مجاب الدعوة ، وكان قد دعا لجيشه بالسلامة والنصر ، فاستجاب الله تعالىٰ دعوته فسلمهم ونصرهم .

ولم يحصل لأحد من المسلمين ضرر غير عروة البارقي ؛ فإنه كاد أن يزل عن فرسه ، فأدركه القعقاع بن عمرو ، وأخذ بلجامها ، وأخذ بيد الرجل حتىٰ عدَّله علىٰ فرسه ، وكان من الشجعان ، فقال : عجز النساء أن يلدن كالقعقاع .

ولم يفقد المسلمون شيئاً من أمتعتهم ، غير قدح خشب لمالك بن عامر ، كانت علاقته رثة ، فأخذه الموج ، فدعا صاحبه الله عز وجل ، فقال : اللهم ؛ لا تجعلني من بينهم يذهب متاعي ، فرده الموج إلى الجانب الذي يقصدونه ، فأخذه المسلمون وردوه علىٰ صاحبه ، وكان الفَرَس إذا أعيا وهو في الماء . . يقيض الله عز وجل مثل النشر المرتفع ، فيقف عليه ، فيستريح ، حتىٰ إن بعض الخيل ليسير في وسط البحر ، وما يصل الماء إلىٰ حزامها .

وكان يوماً عظيماً ، وأمراً هائلاً ، وخطْباً جليلاً ، وخارقاً باهراً ، ومعجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلقها الله عز وجل لأصحابه رضي الله عنهم لم يُرَ مثلُها في تلك البلاد ، ولا في بقعة من البقاع ، سوىٰ قضية العلاء ابن الحضرمي رضي الله عنه المذكورة ، لـٰكن هـٰذه أجل منها وأعظم ؛ فإن هـٰذا الجيش كان أضعاف أولـٰئك ، وكان الذي يساير سعد بن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي رضي الله عنهما ، وجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله ؛ لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليقهرن عدوه ، إن لم يكن في الجيش بَغْيٌ أو ذنوب تغلب الحسنات .

ولما استقل المسلمون علىٰ وجه الأرض . . خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة ، فساروا وراء الأعاجم ، حتىٰ دخلوا المدائن ، فوجدوها قد هرب أكثرهم ، فقتلوا من بقي منهم ، وأسروا خلائق ، وأخذوا من الأموال وغيرها ما لا يدرىٰ قيمته ، بحيث إنه بلغ نصيب كل فارس اثني عشر ألفاً ، وكانوا كلهم فرساناً ، وكان مع أكثرهم جنائب[1] ، وكانوا ستين ألفاً ، هـٰذا كله خارج عن الخُمُس ، وتاجِ كسرىٰ ، وحليِّهِ ، وثيابه ، وبساط إيوانه ؛ فإنه أُرسل إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة يقسمه ، فقسمه أمير المؤمنين رضي الله عنه بين المسلمين ، بحيث أن نصيب علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج قطعةً من البساط قدر شبر ، باعها بعشرين ألف دينار ، وما هي بأجود القطع .

---

(١) جنائب : جمع جنيبة ، وهي : الدابة تقاد إلى الجنب من الخيل وغيرها .

زاد في رواية أخرىٰ : أنه كان هناك تماثيل مصورة ، فنظر سعد إلىٰ إحداها ، وإذا هو يشير بإصبعه إلىٰ مكان ، فقال سعد : إن لهـٰذا سراً لم يوضع سدىً ، فأمرهم أن يحفروا ما يسامت إصبعه ، فحفروا ، فوجدوا قبالتها كنزاً عظيماً من كنوز الأكاسرة الأوائل ، فأخرجوا منه أموالاً جزيلة ، وحواصل باهرة ، وتحفاً فاخرة ، فأخذ المسلمون جميع ما هنالك مما لم يُرَ في الدنيا أعجب منه ؛ لأن من جملة ذلك تاج كسرىٰ ، وهو مكلل بالجواهر التي تحير الأبصار ، وكذا مِنطقتَه[1] ، وسيفه ، وسواره ، وقباه ، وبساط إيوانه مربعاً ستين ذراعاً في ستين ذراع ، من كل جانب قدر الإيوان سواء ، وهو منسوج بالذهب ، مرصع باللآلِيء واليواقيت والجواهر التي لم يُرَ مثلها ، وفيه مصور جميع ممالك كسرىٰ ، وسائر بلاده ، بأنهارها وأشجارها وقلاعها وسائر حصونها ، وصفة الزروع والثمار ، وسائر ما في مملكته ، فكان إذا جلس علىٰ كرسي مملكته . . نظر في بلاده بلداً بلداً ، فيسأل عنه وعمن فيه ، فيزيل ما يخبرونه من الظلم ، وقد جعلوا البساط تذكرة للنظر في أمر المملكة ، ولم يزالوا علىٰ ذلك إلىٰ أن أخذها المسلمون بأمر الله عز وجل وإذنه وإرادته سبحانه وتعالىٰ ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم . انتهىٰ .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يَسقط خطام راحلته ، فينيخ راحلته ، ويأخذه ، فيقال له : هلا أمرتنا ؟ فيقول : (إن حِبِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ألاَّ أسأل الناس شيئاً) .

بويع بالخلافة يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيع الأول ، سنة إحدىٰ عشرة من مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما ولي . . استعمل عمر على الحج ، ثم حج هو من قابل ، ثم اعتمر في رجب سنة اثنتي عشرة ، فدخل مكة ضحوة نهاراً ، فأتىٰ منزله ، وأبوه أبو قحافة جالس علىٰ باب داره ومعه فتيان يحدثهم ، فقيل له : هـٰذا ابنك ، فنهض قائماً ، وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته ، فنزل عنها وهي قائمة ، وجعل يقول : يا أبت ؛ لا تقم ، ثم التزمه ، وقبّل بين عينيه ، وأبو قحافة يبكي فرحاً بقدومه ، وجاء والي مكة عتَّاب بن أَسِيد ومعه سهيل بن عمرو وجماعة ، فسلموا عليه سلام الخلافة : سلام عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصافحوه جميعاً ، فجعل أبو بكر يبكي حين يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يسلمون علىٰ أبي قحافة ،

---

(١) المِنطقة : ما يشدُّ به الوسط .

فقال أبو قحافة : يا عتيق ؛ هـٰؤلاء الملأ ، فأحسن صحبتهم ، فقال أبو بكر : يا أبت ؛ لا حول ولا قوة إلا بالله ، طوِّقْتُ عظيماً من الأمر ، ولا قوة لي به ولا يدان إلا بالله ، ثم قال : هل من أحد يشتكي ظلامة ؟ فما أتاه أحد ، وأثنى الناس علىٰ واليهم .

ومن كلامه رضي الله عنه : (قد وليت أمركم ولست بأخيركم ، إن أقواكم عندي الضعيفُ حتىٰ آخذ له الحق ، وإن أضعفَكم عندي القويُّ حتىٰ آخذ منه الحق ، فإن أحسنت . . فأعينوني) .

وفي رواية : (إذا رأيتموني استقمت . . فاتبعوني ، وإذا رأيتموني زغت[1] . . فقوموني) .

وكان سبب موت أبي بكر رضي الله عنه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه ما زال منها كِمداً ، فما زال جسمه يجري كمداً وحزناً حتىٰ مات رضي الله عنه .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مرض أبو بكر مرض الموت . . قال : (انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة ، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي) فنظرنا ، فإذا عبد نوبيٌّ كان يحمل صبيانه ، وناضح كان يسقي بستاناً له ، فبعثناهما إلىٰ عمر ، فبكىٰ عمر حتىٰ بلَّ التراب من دموعه ، وقال : (رحمة الله علىٰ أبي بكر ؛ لقد أتعب مَن بعده تعباً شديداً) .

وعنها قالت : (لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه . . قال : أي يوم هـٰذا ؟ قلنا : يوم الإثنين ، قال : فإني أرجو ما بيني وبين الليل .

وكان عليه ثوب فيه آثار ؛ فقال : إذا أنا مت . . فاغسلوا ثوبي هـٰذا وضموا إليه ثوبين جديدين ، وكفنوني في ثلاثة أثواب ؛ فقلنا : أفلا نجعلها كلها جدداً ؟ قال : لا ، إنما هو للمهلة ، فمات من ليلة الثلاثاء) أخرجه البخاري [١٣٢١] .

توفي أبو بكر رضي الله عنه بين المغرب والعشاء ، لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وأوصىٰ أن تغسله أسماء ، وأن يدفن إلىٰ جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلىٰ عليه عمر رضي الله عنهما بين القبر والمنبر ، ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمـٰن وعمر وعثمان وطلحة . رضي الله عنهم أجمعين . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٠٥ـ١١٠] .

---

(١) ملت عن الحق .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : رأيت في كلام بعض الأئمة رحمهم الله صفة السلام علىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند زيارته ، فأحببت أن أختم ترجمته به ؛ ليكون ختامه مسكاً ، وهو : أن يقول بعد السلام علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلام عليك يا خَليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمة ، ومعينَه علىٰ حفظ الملة ، السلام عليك يا صاحب رسول الله في الغار ، ورفيقه في الأسفار ، السلام عليك يا علم المهاجرين والأنصار ، وأمينه في الأسرار ، وصِدِّيقَهُ في جميع الأخبار ، أشهد أنك ما زلت علىٰ طريقته وسنته ، قائماً بالعدل والحق في ملته ، والعمل بشريعته ، والنصرة لدعوته ، كفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ، فجزاك الله عن الإسلام وعن نبيه ورسوله سيّد المرسلين محمدٍ صلى الله عليه وسلم وسائرِ أمته أفضل الجزاء ، ورضي عنك عدد الرمل والحصىٰ ، واللهَ أسأل أن يتوفانا علىٰ محبتك ، وأن يحشرنا في زمرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وزمرتك ، كما أنعم علينا ووفقنا لزيارته صلى الله عليه وسلم وزيارتك ، ورضي الله عنك عدد عفوه عن خلقه ، وعدد ما أحاط به علمه سبحانه وتعالىٰ .

وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه كان يقول إذا زار : (السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا خليفة رسول الله ، السلام عليك يا أبتاه) ثم ينصرف .

وقال أهل السِّيَر : أصدق الناس فراسة أربعة : الصديق رضي الله عنه في عهده بالخلافة إلىٰ عمر رضي الله عنه ، والعزيز في قوله لامرأته عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ ، وابنة شعيب عليه الصلاة والسلام في قولها لأبيها عن موسىٰ عليه الصلاة والسلام : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، حيث قالت عن موسىٰ عليه الصلاة والسلام : ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم(١)

* * *

(١) ورد في نسخة : (وقا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عدد عفوه عن خلقه : من مقت نفسه في ذات الله عز وجل . . آمنه الله من مقته) .

وثاني الأئمة : الإمام أمير المؤمنين :

عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

قال شيخ شيخنا شيخ الإسلام محيي الدين النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح ـ بالمثناة من تحت ـ ابن عبد الله بن قُرُط بن رزاح ـ براء مفتوحة مهملة ، ثم زاي معجمة ، ثم ألف ، ثم حاء مهملة ـ ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٣] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب . [انتهىٰ] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشراف قريش ، وإليه كانت السفارة في الجاهلية ، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم . . بعثوه سفيراً ؛ أي : رسولاً .

ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . كان عمر شديداً عليه وعلى المسلمين ، ثم لطف الله عز وجل به ، فأسلم قديماً بعد أربعين رجلاً وإحدىٰ عشرة امرأة .

قال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : فما هو إلا أن أسلم عمر ، فظهر الإسلام بمكة .

وقال الزبير بن بكار : أسلم عمر بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم ؛ أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام »(١) ؛ يعني : أبا جهل .

وسبب إسلامه مشهور ، وهو : أن أخته فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها كانت زوجة سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، أحد العشرة رضي الله عنهم ، وكانت قد أسلمت هي

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٧٤) .

وزوجها ، فسمع عمر بذلك ، فقصدهما ليعاقبهما ، فقرأا عليه القرآن ، فأوقع الله تعالىٰ في قلبه الإسلام ، فأسلم ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهم مختفون في دار عند الصفا ، فأظهر إسلامه ، فكبَّر المسلمون فرحاً بإسلامه ، ثم خرج إلىٰ مجامع قريش ، فنادىٰ بإسلامه ، وضربه جماعة منهم وضاربَهم ، فأجاره خاله ، فكفوا عنه ، ثم لم تطب نفس عمر رضي الله عنه حين رأى المسلمين يُضرَبون ، وهو لا يُضرَب في الله ، فرد جوار خاله ، وكان يضاربهم ويضاربونه إلىٰ أن أظهر الله الإسلام .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمامته رحمة ، ولقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصلي في البيت[1] حتىٰ أسلم عمر ، فلما أسلم . . قاتلهم حتىٰ تركونا فصلينا) .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : **(لما أسلم عمر . . كان الإسلام كالرجل المقبل ، لا يزداد إلا قرباً ، فلما قتل . . كان الإسلام كالرجل المدبر ، لا يزداد إلا بعداً)** .

قال محمد بن سعد : كان إسلامه في السنة السادسة من النبوة .

واتفقوا علىٰ تسميته بالفاروق ، ورَوَوْا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله جعل الحق علىٰ لسان عمر وقلبه »[2] .

وهو الفاروق ؛ فرق الله به بين الحق والباطل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (سمىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر : الفاروق) .

واتفقوا علىٰ أنه **أوّل من سمي أمير المؤمنين** ، وهو أحد السابقين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم ، رضي الله عنهم

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مئة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم رحمهما الله تعالىٰ منها علىٰ ستة وعشرين حديثاً ، وانفرد البخاري رحمه الله تعالىٰ بأربعة وثلاثين ، ومسلم بأحدٍ وعشرين .

---

(١) البيت الحرام .
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٩٣) .
(٣) **الصهر** : قريب الزوجة .

وروىٰ عنه : عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمـٰن بن عوف ، وغيرهم نحو أحد وخمسين صحابياً ، وروىٰ عنه من التابعين خلائق ، رضي الله عنهم أجمعين .

وأجمعوا علىٰ كثرة علمه ، ووفور فهمه ، وزهده ، وتواضعه ، ورفقه بالمسلمين ، وإنصافه ، ووقوفه مع الحق ، وتعظيمه آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشدة متابعته له ، واهتمامه بمصالح المسلمين ، وإكرامه أهل الفضل والخير ، ومحاسنُه أكثر من أن تستقصىٰ .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : (حين توفي عمر . . ذُهِبَ بتسعة أعشار العلم) .

وأقوال السلف في علمه مشهورة .

وهاجر إلى المدينة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة .

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : (أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير ، ثم ابن أم مكتوم ، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، فقلنا : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو علىٰ إثري ، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه) .

وعن علي رضي الله عنه قال : (ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً ، ما خلا عمر بن الخطاب ؛ فإنه لما هم بالهجرة . . تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضىٰ في يده سهماً ، وأتى الكعبة وأشرافُ قريش بفنائها ، فطاف سبعاً ، ثم صلىٰ ركعتين عند المقام ، ثم أتىٰ حلقهم واحدة واحدة ، فقال : شاهت الوجوه ، من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته . . فليلقني وراء هـٰذا الوادي ، فما تبعه منهم أحد) .

قال ابن إسحاق : هاجر عمر وزيد ابنا الخطاب ، وسعيد بن زيد ، وعمرو وعبد الله ابنا سراقة ، وخنيس بن حذافة ، وواقد بن عبد الله ، وخولىٰ وهلال ابنا أبي خولىٰ ، وعياش بن أبي ربيعة ، وخالد وإياس وعاقل بنو البكير ، فنزلوا علىٰ رفاعة بن المنذر في بني عمرو بن عوف .

وشهد عمر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها .

وكان شديداً على الكفار والمنافقين ، وهو الذي أشار بقتل أسارىٰ بدر ، ونزل القرآن علىٰ وفق قوله في ذلك ، وكان من الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

وأما زهده وتواضعه . . فمن المشهورات التي استوى الناس في العلم بها ، وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : قد علمت بأي شيء فضلنا عمر ، كان أزهدَنا في الدنيا .

ورُوِّينا : أن عمر رضي الله عنه دخل علىٰ بنته حفصة ، فقدمت إليه مرقاً بارداً ، وصبت عليه زيتاً ، فقال : (إدامان في إناء واحد ؟ لا آكله حتىٰ ألقى الله عز وجل) . [انتهىٰ « التهذيب » ٢/٣-٦] .

وزاد في رواية ابن سعد : عن الحسن : أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه دخل علىٰ رجل ، فاستسقاه وهو عطشان ، فأتاه بإناء فيه عسل وماء ، فقال : (ما هـٰذا ؟) قال : عسل وماء ، قال : (والله ؛ لا يكون ما أحاسب به يوم القيامة) فلم يذقه .

وعن حميد بن هلال : أن حفص بن أبي العاص كان يحضر طعام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، فكان لا يأكل ، فقال له : (ما يمنعك من طعامنا ؟) قال : يا أمير المؤمنين ؛ طعامك جَشْبٌ[1] غليظ ، وإني راجع إلىٰ طعام ليِّنٍ قد صُنع لي ما شئتُ منه ، فقال أمير المؤمنين رضي الله عنه : (والله ؛ لو شئتُ . . لكنت أطيبَكم طعاماً ، وأرفعكم عيشاً ، ولـٰكن ـ والذي نفسي بيده سبحانه وتعالىٰ ـ لولا أن تنتقص حسناتي . . لشاركتكم في لين عيشكم) [انتهىٰ « الطبقات » ٣/ ٢٨٠] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : وعن أنس رضي الله عنه قال : (لقد رأيت في قميص عمر أربع رقاع بين كتفيه) .

وعن أبي عثمان رحمه الله تعالىٰ قال : (رأيت عمر يرمي الجمرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب) .

وعن غيره : أن قميص عمر رضي الله عنه كان فيه أربعَ عشرة رقعة ، إحداها من أدم .

وأما فضائل عمر رضي الله عنه الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في « الصحيحين » . . فأكثر من أن تحصر .

منها : عن سعيد بن زيد ـ أحد العشرة رضي الله تعالىٰ عنهم ـ قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد بن مالك ـ هو ابن أبي وقاص

---

(١) الجَشْبُ من الطعام : الخشن الغليظ .

ـ في الجنة وعبد الرحمـٰن بن عوف في الجنة ، وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة » . وسكت عن العاشر ، قالوا : من العاشر ؟ قال : سعيد بن زيد) يعني : نفسه . رواه أبو داوود [٤٦٥٠] والترمذي [٣٧٤٨] والنسائي [في « الكبرىٰ » ٥/٥٦] وغيرهم ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في حديثه الطويل المشهور قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افتح له ـ يعني : لعمر ـ وبشره بالجنة » رواه البخاري [٣٤٧١] ومسلم [٢٤٠٣] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم ؛ رأيت الناس يُعرَضون عليَّ وعليهم قُمص ، فمنها ما يبلغ الثدي ، ومنها دون ذلك ، وعرض عليَّ عمر بن الخطاب ، وعليه قميص يجره » ، قالوا : ما أولته يا رسول الله ؟ قال : « الدِّين » رواه البخاري [٢٣] ومسلم [٢٣٩٠] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم ؛ أُتيت بقدح لبن ، فشربت منه حتىٰ إني لأرى الرِّيَّ يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب » ، قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : « العلم »[1] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل المشهور : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب : « والذي نفسي بيده ؛ ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً . إلا سلك فجّاً غير فَجِّكَ » رواه البخاري [٣١٢٠] ومسلم [٢٣٩٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، وإذا امرأة تتوضأ إلىٰ جانب قصر ، فقلت : لمَن هـٰذا القصر ؟ فقالوا : لعمر ، فذكرت غيرتك » ، فبكىٰ عمر ، وقال : عليك أغار يا رسول الله ؟!) رواه البخاري [٣٠٧٠] ومسلم [٢٣٩٥] رحمهما الله تعالىٰ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدَّثون ، فإن يكن في أمتي أحد . . فإنه عمر » رواه البخاري [٣٤٨٦] ، ورواه مسلم [٢٣٩٨] من رواية عائشة رضي الله عنها .

---

(١) أخرجه البخاري (٨٢) .

وفي روايتها : قال ابن وهب : محدثون : أي ملهَمون ، وقال ابن عيينة رحمه الله تعالىٰ : معناه : مفهمون .

وعن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أيضاً قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا نائم ؛ رأيتني علىٰ قليب[1] عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها أبو بكر ، فنزع ذَنوباً[2] أو ذَنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر ، فاستقىٰ ، فاستحالت في يده غَرْباً[3] ، فلم أر عبقرياً[4] من الناس يفري فَرِيَّه[5] ، حتىٰ رَوِيَ الناس ، وضربوا بعطن »[6] رواه البخاري [٣٤٦٤] ومسلم [٢٣٩٢] رحمهما الله تعالىٰ .

قال العلماء : هـٰذه إشارة إلىٰ خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكثرة الفتوح ، وظهور الإسلام في زمن عمر .

وعن ابن عمر وأنس ، عن عمر رضي الله عنهم قال : (وافقت ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله ؛ لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلىٰ ، فنزلت : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ، وقلت : يا رسول الله ؛ يدخل علىٰ نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة ، فقلت : عسىٰ ربه إن طلقكن . . أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك[7]) .

والحديث الذي رواه البخاري [٣٤٦٢] ومسلم [٢٣٨٨] رحمهما الله تعالىٰ : « بينما راع في غنمه . . . » ، وقد ذكرناه في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إني لواقف في قوم يدعون الله لعمر ، وقد وُضع علىٰ سريره ، فتكنَّفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يُرفع ، فلم يَرُعني إلا رجل أخذ بمنكبي ؛ فإذا عليٌّ ، فترحم علىٰ عمر وقال : ما خلفتَ أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك ،

---

(١) القليب : البئر قبل أن تبنىٰ بالحجارة من داخلها .
(٢) الذنوب : الدلو التي فيها ماء .
(٣) الغرب : الدلو العظيمة التي تُتخذ من جلد ثور .
ومعناه : أن عمر رضي الله عنه لما أخذ الدلو ليسقي الناس . . عظمت في يده وتحولت من الصغر إلى الكبر ، وذلك أن الفتوح كانت في زمنه منها في زمن أبي بكر رضي الله عنهما .
(٤) العبقري : سيد القوم وكبيرهم .
(٥) يفري فريه : أي يعمل عمله ، ويقطع قطعه ، وأصل الفري : القطع للإصلاح .
(٦) العطن : مَبْرَك الإبل حول الماء ، هو إشارة إلى اتساع في زمن عمر ، وكثرة مافتح الله عليهم من الأمصار .
(٧) البخاري (٣٩٣) .

وايم الله ؛ إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ؛ لأني كنت كثيراً أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » رواه البخاري [٣٤٨٢] ومسلم [٢٣٨٩] رحمهما الله تعالىٰ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (دخل عيينة بن حصن فقال : هِيْ يابن الخطاب ، فوالله ؛ ما تعطينا الجَزْل[1] ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتىٰ هَمَّ أن يوقع به ، فقال الحر بن قيس : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله تعالىٰ قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ، وإن هـٰذا من الجاهلين ، فوالله ؛ ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل) رواه البخاري [٦٨٥٦] .

وعن حفصة رضي الله عنها قالت : قال عمر : (اللهم ؛ ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أنىٰ يكون هـٰذا ؟ قال : يأتيني به الله عز وجل إذا شاء) رواه البخاري [١٧٩١] رحمه الله تعالىٰ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض كان أجدَّ وأجود ، حتى انتهىٰ من عمر) رواه البخاري [٣٤٨٤] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم ؛ أعز الإسلام بأحب هـٰذين الرجلين إليك : بأبي جهل ، أو بعمر بن الخطاب ، فكان أحبهما إليه عمر » رواه الترمذي [٣٦٨١] وقال : حديث حسن صحيح .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله جعل الحق علىٰ لسان عمر وقلبه »[2] .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : (ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر . . إلا نزل فيه القرآن علىٰ نحو ما قال عمر) رواه الترمذي [٣٦٨٢] وقال : حديث حسن صحيح .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان بعدي نبي . . لكان عمر بن الخطاب » رواه الترمذي [٣٦٨٦] وقال : حديث حسن غريب .

وعن عمر رضي الله عنه قال : (استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة ، فأذن لي ، وقال : « لا تنسنا ـ يا أخي ـ من دعائك » ، فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا) .

---

(١) الجزل : الكثير العظيم من كل شيء .

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٩٣) .

وفي رواية : « أشركنا ـ يا أخي ـ في دعائك » رواه أبو داوود [١٤٩٨] ، والترمذي [٣٥٦٢] وقال : حديث حسن صحيح .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل الدرجات العلىٰ ليراهم مَن تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » رواه أبو داوود [٣٩٨٧] ، والترمذي [٣٦٥٨] .

ومعنىٰ (أنعما) : زادا فضلاً ، وقيل : دخلا في النعيم .

وفي « الموطأ » [٩٩٣] عن يحيى بن سعيد الأنصاري : أن عمر بن الخطاب كان يحمل في العام الواحد علىٰ أربعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام علىٰ بعير ، والرجلين إلى العراق علىٰ بعير .

وفي « مسند » الشافعي [١/ ٣٩٠] : بإسناده عن مولىٰ لعثمان ، قال : بينما أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف ؛ إذ رأىٰ رجلاً يسوق بَكْرين[1] ، وعلىٰ وجه الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال : ما علىٰ هـٰذا لو أقام بالمدينة حتىٰ يُبْرِد ثم يروح ؟ فدنا الرجل ، فقال : انظر ، فنظرت ؛ فإذا عمر بن الخطاب ، فقلت : هـٰذا أمير المؤمنين ، فقام عثمان ، فأخرج رأسه من الباب ، فآذاه نفح السموم ، فأعاد رأسه حتىٰ حاذاه ، فقال : (ما أخرجك في هـٰذه الساعة ؟ فقال : بكران من إبل الصدقة تخلفا ، وقد مُضي بإبل الصدقة ، فأردت أن ألحقهما بالحِمىٰ ، وخشيت أن يضيعا ، فيسألني الله عنهما ، فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ؛ هلم إلى الماء والظل ، ونكفيك ، فقال : عُدْ إلىٰ ظلك ، فقلت : عندنا من يكفيك ، قال : عُدْ إلىٰ ظلك ، فمضىٰ ، فقال عثمان : من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين . . فلينظر إلىٰ هـٰذا ، فعاد إلينا ، فألقىٰ نفسه) .

ومن المشهورات من كرامات عمر رضي الله عنه : أنه كان يخطب يوم جمعة بالمدينة ، فقال في خطبته : (يا سارية بن حصن ؛ الجبل الجبل) فالتفت الناس بعضهم إلىٰ بعض ، فلم يفهموا مراده ، فلما قضىٰ صلاته . . قال له علي رضي الله عنه : (ما هـٰذا الذي قلته ؟ قال : وسمعته ؟! قال : نعم ، أنا وكل أهل المسجد ، قال : وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه . . قاتلوا من وجدوا وظفروا ، وإن جاوزوه . . هلكوا ، فخرج مني هـٰذا الكلام ، فجاء البشير بعد شهر يذكر أنهم

---

(١) مثنىٰ بَكْر : وهو الفتيُّ من الإبل .

سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة حين حاذَوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر : يا سارية بن حصن . . الجبل الجبل ، فعدلنا إليه ، ففتح الله علينا) .

وأحوال عمر رضي الله عنه ، وفضائله ، وسيرته ، ورفقه برعيته ، وتواضعه ، وجميل سيرته ، واجتهاده في الطاعة وفي حقوق المسلمين . . أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصىٰ ، ومقصودنا في هـٰذا الكتاب ـ كما تقدم ـ الإشارة إلىٰ بعض المقاصد .

ولي الخلافة رضي الله عنه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه .

وكان أبو بكر شاور الصحابة في استخلافه عمر ، فأشار به عبد الرحمـٰن ابن عوف ، وقال : هُو أفضَلُ مِنْ رَأيكَ فيهِ ، ثم استشار عثمان بن عفان ، فقال : أنت أخبرنا به ، وعلمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله ، وشاور معهما سعيد بن زيد ، وأُسَيْد بن حضير ، وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، فقال أسيد : هو أعلم للخير بعدك ، يرضىٰ للرضىٰ ، ويسخط للسخط ، وسريرته خير من علانيته ، ولن يليَ هـٰذا الأمرَ أحد أقوىٰ عليه منه .

ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، هـٰذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حين يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إني مستخلف عليكم بعدي عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإني لم آلِ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل . . فذلك ظني به ، وإن بدَّل . . فلكل امرىء ما اكتسب ، والخيرَ أردتُ ، ولا أعلم الغيب ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أمره فختم الكتاب ، وخرج به إلى الناس ، فبايعوا عمر جميعاً ، ورضوا به ، ثم دعا أبو بكر عمر ، فأوصاه بما أوصاه ، ثم خرج ، فرفع أبو بكر يديه مُدّاً ، ثم قال : اللهم ؛ إني لم أرد بذلك . . إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم ما أنت أعلم به مني ، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم ، وأحرصهم علىٰ ما أرشدهم ، وقد حضرني من أمرك ما حضرني ، فاخلفني فيهم ، فهم عبادك ، ونواصيهم في يدك ، وأصلح لهم ولايته ، واجعله من خلفائك الراشدين ، يتبع هدي نبي الرحمة ، وأصلح له رعيته .

زاد في رواية أخرىٰ : ثم دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له : يا عمر ؛ إني قد

عهدت إليك ، فدونك هـٰذا العهد ، فخذه إليك ، فأنت خليفتي من بعدي على الأمة ، فقال عمر : يا خليفةَ رسول الله ؛ لا حاجة لي فيها ، فقال أبو بكر : إن لم تكن محتاجاً إليها . . فهي محتاجة إليك ، وبعد : فإني ما حبوتك بالخلافة ، لـٰكني حبوتها بك ، ومع ذلك فإني أحذرك نفسك ؛ فإن النفس لأمارة بالسوء ، وأحذرك الناس ، واعلم : بأنهم خائفون منك ما خفت الله عز وجل ، وآثرت رضاه جل جلاله علىٰ هواك .

قال : وقد قدَّمْنا أنه أول من سُمي أميرَ المؤمنين ، سماه بذلك عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة ، حين وفدا إليه من العراق ، وقيل : سماه المغيرة بن شعبة ، وقيل : إن عمر قال للناس : أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فسُمي أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفةَ خليفةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعدلوا عن تلك العبارة ؛ لطولها .

ثم قام في الخلافة أتم قيام ، وجاهد في الله حق جهاده ، فجَيَّش الجيوش ، وفتح البلدان ، ومصَّر الأمصار ، وأعز الإسلام ، وأذل الكفر أشد إذلال .

فتح الشام ، والعراق ، ومصر والجزيرة ، وديار بكر ، وأرمينية ، وأذربيجان ، وأرّان ، وبلاد أطيال ، وبلاد فارس ، وخوزستان ، وغيرها .

واختلفوا في خراسان ، فقيل : فتحها عثمان ، وقيل : فتحها عمر ، والصحيح : أن عثمان فتحها .

وكان عمر أول من دون الدواوين للمسلمين ، ورتب الناس علىٰ سابقتهم في العطاء ، وفي الإذن والإكرام ، فكان أهل بدر أول الناس دخولاً عليه ، وكان علي بن أبي طالب أولَهم ، وأثبت أسماءهم في الديوان علىٰ قربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدأ ببني هاشم وبني المطلب ، ثم الأقرب فالأقرب .

وقد رُوِّينا عن عثمان وعلي أنهما قالا في عمر : هـٰذا القوي الأمين .

وثبت في « صحيح البخاري » [١٩٠٦] وغيره : أن عمر رضي الله عنه أول من جمع الناس لصلاة التراويح ، فجمعهم علىٰ أُبي بن كعب رضي الله عنه ، وأجمع المسلمون ـ في زمنه وبعده ـ على استحبابها .

ورووا عن علي رضي الله عنه : أنه مر على المساجد في رمضان وفيها القناديل ، فقال : (نَوَّرَ الله علىٰ عمر قبره كما نور علينا مساجدنا) انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٦-١٢] .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١] : (مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، أعيذك بالله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، من شر ما تجد » ، قاله مراراً) [انتهىٰ « الإحياء » ٢/٢٠٩] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : وقفت علىٰ مصنف في سيرة العمرين رضي الله عنهما ، لم أر فيما وقفت عليه تصنيفاً أحسن منه للشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي رحمه الله ، فأحببت أن أذكر منه ما ليس في كتابي هـٰذا إن شاء الله عز وجل .

قال أبو الفرج رحمه الله : أخبرنا أبو عمر الزاهد قال : الحفص : الأسد .

قال : وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أول يوم كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : « يا أبا حفص ؛ أتقتل عم نبيك ؟ » ، فقلت : يارسول الله ؛ دعني حتىٰ أقتله ، فقال : « لا يتحدث الناس أني أقتل أصحابي » ، وكنَّاني : أبا حفص ؛ يعني : أبا الأسد) .

وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه رضي الله عنهما قال : (رأيت عمر يمسك أذن فرسه بإحدىٰ يديه ، ويمسك أذنه بالأخرىٰ ، ثم يثب حتىٰ يقعد عليه) .

وعن صهيب بن سنان قال : لما أسلم عمر ودعا إليه علانية . . جلسنا حول البيت حلقاً ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به .

وعن الحسن قال : يجيء الإسلام يوم القيامة ، فيتصفح وجوه الخلق ، حتىٰ يجيء إلىٰ عمر ، فيأخذَ بيده ، فيصعد به ، فيقول : أي رب ؛ إني كنت خفياً وأُهانُ ، وهـٰذا أظهرني ، وأنت أعلم ، قال : فتجيء ملائكة ، فتأخذ بيده ، فتدخله الجنان والناس في الحساب ، أو كما قال .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أقرىء عمر السلام ، وأخبره أن رضاه عِزٌّ ، وغضبه حُكمٌ) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا غضب عمر ؛ فإن الله يغضب إذا غضب »[٢] .

---

(١) القائل في « الإحياء » عثمان لا عمر ، رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه الديلمي (١/ ٩٤) .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان بعدي نبي . . لكان عمر بن الخطاب »[1] .

وعن سالم ، عن أبيه رضي الله عنهما قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ عمر ثوباً ، فقال : « أجديد ثوبك ، أم غسيل ؟ » ، قال : غسيل ، قال : « البس جديداً ، وعش حميداً ، ومُت شهيداً »[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : قتل يوم بدر من المشركين سبعون رجلاً ، وأُسر منهم سبعون ، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ؛ هـٰؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإني أرىٰ أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ترىٰ يا بن الخطاب ؟ » ، فقلت : والله ؛ ما أرىٰ رأي أبي بكر ، ولـٰكنني أرىٰ أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتىٰ يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، هـٰؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ، فهوِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يَهْوَ ما قلته ، فأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد . . غدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو قاعد وأبو بكر وهما يبكيان ، فقلت : يارسول الله ؛ أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاءً . . بكيت ، وإن لم أجد بكاءً . . تباكيت لبكائكما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبكي للذي عَرض عليَّ أصحابك من الفداء ، لقد عُرض علي عذابكم أدنىٰ من هـٰذه الشجرة » لشجرة قريبة ، وأنزل الله عز وجل :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ من الفداء ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسر الأسارىٰ يوم بدر . . استشار أبا بكر ، فقال : قومك وعشيرتك ، فخل سبيلهم ، واستشار عمر ، فقال :

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٩٢) .
(٢) أخرجه ابن حبان (٦٨٩٧) .
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٢) .

اقتلهم ، ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية ، فلقي عمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كاد يصيبنا في خلافك شر » .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : (سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفي عبد الله بن أُبي . . دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام عليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة . . تحولت حتىٰ قمت في صدره ، فقلت : يارسول الله ؛ أَعَلىٰ عبدِ الله بن أُبَيٍّ القائلِ يوم كذا وكذا : كذا ؟ أُعدِّد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ، حتىٰ إذا أكثرت عليه . . قال : « أخر عني يا عمر ، إني خيرت فاخترت ؛ قد قيل لي : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ ، لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر لهم . . لزدت » ، قال : ثم صلىٰ عليه ومشىٰ معه ، فقام علىٰ قبره حتىٰ فرغ منه ، فعجباً لي وجرأتي علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، قال : فوالله ؛ ما كان إلا يسيراً حتىٰ نزلت هاتان الآيتان : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ، فما صلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده علىٰ منافق ، ولا قام علىٰ قبره حتىٰ توفاه الله عز وجل[1]) .

وعن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه ، فقالا : يا خليفة رسول الله ؛ إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها ونزرعها ، ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه لمن حوله : ما ترون فيما قالا ؟ فقالوا : إن كانت أرضاً سبخة لا ينتفع بها . . فنرىٰ أن تقطعها ، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم ، فأقطعهما إياها ، وكتب لهما بذلك كتاباً ، وأشهد عمر ، وليس في القوم ، فانطلقا إلىٰ عمر يشهدانه ، فلما تناول الكتاب من أيديهما وعلم ما فيه . . تفل فيه ومحاه ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما ، والإسلام يومئذ ذليل ، وإن الله قد أعز الإسلام ، فاذهبا ، قال : فأقبلا إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه ، فقالا : والله ؛ ما ندري أأنت الخليفة ، أم عمر ؟ قال : بل هو لو كان شاء .

قال : فجاء عمر رضي الله عنه وهو مغضب حتىٰ وقف علىٰ أبي بكر ، فقال : أخبرني عن هـٰذه الأرض التي أقطعتها هـٰذين ، أرض هي لك خاصة ، أم بين المسلمين عامة ؟

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣١٧٦) .

قال : هي بين المسلمين عامة ، قال : فما حملك علىٰ أن تخص بها هـٰذين دون جماعة المسلمين ؟ قال : استشرت الذين حولي فأشاروا عليَّ بذلك ، قال : فكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضىً ؟ فقال أبو بكر : قد كنت قلت لك : أنت أقوىٰ علىٰ هـٰذا مني ، ولـٰكنك غلبتني . أو كما قال رضي الله عنهما ، وأرضاهما ، ورضي عنا بهما .

وعن ابن المسيب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال : أول من كتب التاريخ : عمر رضي الله عنه لسنتين ونصف من خلافته ، فكتبه لست عشرة من المحرم بمشورة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وفي رواية : استشار عمرُ رضي الله عنه في التاريخ ، فأجمعوا على الهجرة .

وفي رواية : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : تكتب منذ خرج النبي صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك ؛ يعني : من يوم هاجر ، قال : فكتب ذلك عمر .

وكان عمر رضي الله عنه أول من مسح السواد[١] ، وأرَّض الجبل ، ووضع الخراج على الأرض ، والجزية علىٰ جماجم أهل الذمة فيما فتح من البلدان ، فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهماً ، وعلى الوسط أربعة وعشرين ، وعلى الفقير اثني عشر ، واستعمل أول سنة وُلِّيَ على الحج عبدَ الرحمـٰن بن عوف ، فحج عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه بالناس ، ثم لم يزل عمر رضي الله عنه يحج بالناس خلافتَه كلَّها ، فحج بهم عشر سنين ، وحج بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حجة حجها ، واعتمر في خلافته ثلاث مرات ، وأخَّر المقام إلىٰ موضعه اليوم ، وكان ملصقاً بالبيت .

وقال عبيد الله بن إبراهيم : وألقى الحصىٰ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود . . نفضوا أيديهم ، فأمر عمر بالحصىٰ ، فجيء به من العقيق ، فبسط في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج عمر رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع[٢] متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط[٣] ، فقال عمر رضي الله عنه : إني لأرىٰ لو جمعت هـٰؤلاء علىٰ قارىء واحد . . لكان أمثل ، فجمعهم علىٰ أُبي بن كعب

---

(١) المراد سواد العراق ، وهو مسح الأراضي الزراعية ، وهـٰذا مايسمى الآن (التحديد والتحرير) .
(٢) طوائف متفرقة .
(٣) جَمعٌ لا واحد له من لفظه ، هو ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة .

رضي الله عنه ، فلما رآهم في ليلة أخرىٰ . . قال : نِعمت البدعة هٰذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد : آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

وفي رواية : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا ثلاثة قراء ، فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية ، وأوسطهم أن يقرأ بخمسٍ وعشرين ، وأمر أبطأهم أن يقرأ عشرين آية .

وعن الشعبي قال : لما سمع الناس قول عمر ، ورأوا عمله ، وكان يمشي في الأسواق ، ويطوف في الطرقات ، ويقضي بين الناس في قبائلهم ، ويعلمهم في أماكنهم . . ذكروا أبا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بأبي بكر ، وكان أبو بكر أعلم بعمر ، فجرىٰ أبو بكر وعمر مجرىً واحداً ، وقد كانوا يخافون من لين هٰذا ومن شدة هٰذا ، فكان أبو بكر رضي الله عنه مع لينه أقواهم فيما لا بد منه ، وألينهم فيما ينبغي ، وكان عمر رضي الله عنه ألينهم فيما ينبغي وأقواهم فيما لا بد منه .

وعن ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالىٰ قال : قال ثعلبة ابن [أبي] مالك : قسم عمر بن الخطاب مُرُوطاً[١] بين نساء أهل المدينة ، فبقي منها مِرْط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين ؛ أعط هٰذا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك ، يريدون : أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها ، فقال عمر : (أم سليط أحق به ؛ فإنها ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تزفر[٢] لنا القِرَب يوم أحد) وهٰذا من أفراد البخاري [٢٧٢٥] .

وقال ابن سعد [في « الطبقات » ٣/٣١٦-٣١٧] : عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : لما كان عام الرمادة[٣] . . جاءت العرب من كل ناحية إلى المدينة ، وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قد أمَرَ رجالاً يقومون عليهم ، ويقسمون عليهم طعامهم وإدامهم ، فكان كل رجل علىٰ ناحية من المدينة في عدة رجال ، فكان الأعراب نزولاً فيما بين رأس الثنية إلىٰ بني عبد الأشهل إلىٰ بني حارثة إلىٰ بني قريظة إلىٰ ناحية بني سلمة ، فكانوا إذا اجتمعوا عند أمير المؤمنين . . يخبرونه بكل ما كانوا فيه ، فقال لهم ليلة وقد تعشى الناس عنده : أحصوا من يتعشىٰ عندنا ، فأحصوهم ، فوجدوهم سبعة آلاف رجل ، وقال : أحصوا العيالات[٤] الذين لا يأتون

---

(١) مرُوط : واحدها مِرْط ، وهي أكسيةٌ من صوفٍ أو خزٍّ ، كان يُؤتزر بها .

(٢) تزفر : أي تحمل القرب التي فيها ماء للشرب وتسقي المقاتلين .

(٣) سنة (١٨هـ) عام حصل فيه جدب وقحط ، وسمي بالرمادة ؛ لأن الناس لما أجدبوا . . صارت ألوانهم كلون الرماد ، واستمر هٰذا القحط تسعة أشهر .

(٤) العَيالات : الفقراء .

والمرضىٰ والصبيان ، فأحصوهم ، فوجدوهم أربعين ألفاً ، ثم زاد الناس حتىٰ صار مَن يتعشىٰ عنده نحو عشرة آلاف ، والآخرون خمسين ألفاً ، فلم يزالوا كذلك حتىٰ أرسل الله السماء ، فلما مُطِروا . . وَكَّل بكل قوم جماعة حتىٰ يخرجوهم إلىٰ بلادهم ، وأعطاهم زاداً يوصلهم .

وعن مالك بن أوس بن الحدثان من بني نصر قال : قدم من قومي مئة بيت ، فكان من جاءه منهم . . يطعمه ، ومن لم يأت . . أرسل إليه بالدقيق والتمر والأدم شهراً بشهر ، ويتعاهد مرضاهم ، ويرسل أكفان من مات منهم ، ويأتي بنفسه فيصلي عليهم .

وكانت قدور أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقوم إليها العمال في السحر يعملون حتىٰ يصبحوا ، ثم يطعمون المرضىٰ منهم ، ويعملون العصائد[1] ، ويأمر بالزيت ، فيوضع في القدور الكبار ليكسر حره ، ثم يثرد فيه الخبز ، فيأكل الناس ، وهو مع ذلك صائم ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« تاريخ عمر بن الخطاب » ٢٠ـ٨٣] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وقال زيد بن أسلم ؛ عن أبيه : كنا نقول : لو لم يرفع الله عام الرمادة . . لظننا أن عمر رضي الله عنه يموت هَمّاً بأمر المسلمين .

وعن ابن شهاب رحمه الله تعالىٰ : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عام الرمادة ـ وكانت سنةً شديدة ، بعدما اجتهد في إمداد العرب بالإبل والقمح والزيت ، قام يدعو ، وقال : (اللهم ؛ اجعل رزقهم علىٰ رؤوس الجبال) ، فاستجاب الله عز وجل له وللمسلمين ، وقال : فقال عمر رضي الله عنه حين نزل الغيث : (الحمد لله ، فوالله ؛ لو أن الله عز وجل لم يفرجها : ما تركتُ بأهل بيت من المسلمين معهم سعة . . إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء ، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام علىٰ ما يقيم واحداً) .

وعن الفضل بن عميرة : أن الأحنف بن قيس قدم علىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وفد من العراق ؛ قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر ، وهو محتجز بعباءة له ، يَهنأُ[2] بعيراً من إبل الصدقة ، فقال : يا أحنف ؛ ضع ثيابك ، وهلم فأعن أمير المؤمنين علىٰ هـٰذا البعير ؛ فإنه من إبل الصدقة ، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة ، فقال رجل من القوم :

---

(١) عَصائد ـ جمع عَصِيدة ـ : هي دقيق يُلَتُّ بالسمن ويطبخ .

(٢) يهنأ : يطلي بالهناء ، وهو القطران ، وكان هـٰذا البعير أجرب ، والذي عندنا في المخطوطات : (فشرد بعير) ولعل ما أثبتناه الصواب ، والله أعلم .

يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك هـٰذا ؟ قال عمر : (وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف بن قيس ؟ إنه من ولي أمر المسلمين.. فهو عبد المسلمين ، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة) .

وعن إبراهيم النخعي قال : لما ولي عمر.. قال لعلي : (اقض بين الناس ، وتجرد للحرب) .

وعن عبد الملك بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (من استعمل رجلاً لمودة أو لقرابة لا يشغله إلا ذلك.. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) .

وعن عمران بن سليم ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال : (من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر.. فهو مثله) .

عن عبد الله بن المبارك قال : اشترىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان عمر يأتي مجزرة الزبير بن العوام بالبقيع ـ ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها ـ ومعه الدِّرَّة ، فإذا رأىٰ رجلاً اشترىٰ لحماً يومين متتابعين.. ضربه بالدرة ، وقال : (ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك ؟!) .

وعن ابن شهاب : أن القاسم بن محمد أخبره : أن رجلاً ضاف ناساً من هذيل ، فخرجت لهم جارية ، فاتبعها ذلك الرجل ، فراودها علىٰ نفسها ، فتعافسا في الرمل[1] ، فرمته بحجر ، فقضت كبده[2] ، فبلغ ذلك عمر ، فقال : (ذاك قتيل الله لا يودىٰ أبداً) .

قالوا : أول ما عمل به عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلىٰ فارس قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر ، ثم أصبح ، فبايع الناس ، وعاد فندب الناس إلىٰ فارس ، فندبهم ثلاثاً كلَّ يوم ينتدب .

وعن إبراهيم التيمي قال : لما افتتح المسلمون السواد.. قالوا لعمر بن الخطاب : اقسمه بيننا ، فأبىٰ ، فقالوا : إنا افتتحناها عنوة ، قال : (فما لمن جاء بعدكم من المسلمين ؟ فأخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه ، وأخاف أن تقتتلوا) فأقرَّ أهل السواد في أرضهم ،

---

(١) تعافسا : تصارعا .
(٢) فضَّت كبده : ثقبتها .

وضرب علىٰ رؤوسهم الضرائب ـ يعني : الجزية ـ وعلىٰ أرضهم الطَّسْق ـ يعني : الخراج ـ ولم يقسمها بينهم .

وفي رواية : قال عمر : (لولا آخر المسلمين : ما فتحت قرية . . إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر) .

وفي رواية : (لولا أني أترك الناس لا شيء لهم : ما فتحت قرية . . إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر) .

وعن يزيد بن أبي حبيب قال : كتب عمر بن الخطاب إلىٰ سعد حين افتتح البلاد : أما بعد : فقد بلغني كتابك ، تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم ، وما أفاء الله عليهم ، فإذا أتاك كتابي هـٰذا . . فانظر ما أجلب الناس به عليك إلى العسكر من كراع أو مال ، فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ؛ ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ؛ فإنك إن قسمتها بين من حضر . . لم يكن لمن بقي بعدهم شيء .

وعن هشام بن محمد بن السائب قال : سمعت أبي يقول : إنما سمي السواد ؛ لأن العرب حين جاؤوا نظروا إلىٰ مثل الليل من النخل والشجر والماء ، فسموه سواداً .

وكان عمر رضي الله عنه إذا أتاه الخصمان . . برك علىٰ ركبتيه وقال : (اللهم ؛ أَعِنِّي عليهما ؛ فإن كل واحد منهما يُريدني عن ديني) .

وعن يحيى بن عبد الرحمـٰن بن حاطب ، عن أبيه قال : قدمنا مكة مع عمر رضي الله عنه ، فأقبل أهل مكة يسعون ، ياأمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين ؛ أبو سفيان حبس مسيل الماء علينا ليهدم منازلنا ، فأقبل عمر ومعه الدرة ، فإذا أبو سفيان نصب أحجاراً ، فقال : ارفع هـٰذا وهـٰذا ، فرفعه ، ثم قال : وهـٰذا وهـٰذا حتىٰ رفع أحجاراً خمسة أو ستة ، ثم استقبل عمر رضي الله عنه الكعبة ، فقال : الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة ، فيطيعه .

وعن جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول : (حضر بابَ عمر بن الخطاب سهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، وأبو سفيان ابن حرب ، ونفر من قريش من تلك الرؤوس ، وصهيب ، وبلال ، وتلك الموالي الذين شهدوا بدراً ، فخرج آذن عمر ، فأذن لهم وترك هـٰؤلاء ، فقال أبو سفيان : لم أر كاليوم قط ، يأذن لـهـٰؤلاء العبيد ويتركنا علىٰ بابه لا يلتفت إلينا ؟ فقال سهيل بن عمرو ـ وكان رجلاً عاقلاً ـ : أيها القوم ؛ إني ـ والله ـ لقد

أرى الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضاباً . . فاغضبوا علىٰ أنفسكم ، دعي القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتُركتم ؟!) .

وعن نوفل بن عمارة قال : جاء الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو إلىٰ عمر رضي الله عنه ، فجلسا عنده وهو بينهما ، فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر ، فيقول : هـٰهنا ياسهيل ، هـٰهنا ياحار[1] ، فينحيهما عنهم ، فجعل الأنصار يأتون عمر ، فينحيهما عنهم ، حتىٰ صارا في آخر الناس ، فلما خرجا من عند عمر رضي الله عنه . . قال الحارث بن هشام لسهيل بن عمرو : ألم تر ما صنع بنا ؟ فقال سهيل بن عمرو : أيها الرجل . . لا لوم عليه ، ينبغي أن نرجع باللوم علىٰ أنفسنا ، دعي القوم فأسرعوا ، ودعينا فأبطأنا .

وعن الحسن رضي الله عنه : أن رجلاً أتىٰ أهل ماء ، فاستسقاهم ، فلم يسقوه حتىٰ مات عطشاً ، فأغرمهم عمر بن الخطاب ديته .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند عمر بن الخطاب ؛ إذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هـٰذا مقام العائذ بك ، قال : ما شأنك ؟ قال : أجرىٰ عمرو بن العاصي الخيل بمصر ، فأقبلت علىٰ فرسي ، فلما حضر الناس . . قام محمد بن عمرو يقول : هـٰذه فرسي ورب الكعبة ، فلما دنا مني . . قلت له : هـٰذه فرسي ورب الكعبة ، فقام يضربني بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين ، قال : فوالله ؛ مازاد عمر علىٰ أن قال : اجلس ، ثم كتب إلىٰ عمرو بن العاصي : إذا جاءك كتابي هـٰذا . . فأقبل وأحضر ابنك محمداً معك ، قال : فدعا عمرو ابنه محمداً ، فقال : هل أحدثتَ حدثاً أو جنيت جناية ؟ قال : لا ، قال : فما بال أمير المؤمنين عمر يكتب فيك ؟ قال : فقدم علىٰ عمر .

قال أنس رضي الله عنه : فوالله إنا لعند عمر بمنىٰ ؛ إذا نحن بعمرو قد أقبل في إزار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ؛ فإذا هو خلف أبيه ، فقال : أين المصري ؟ قال : ها أنذا ، قال : دونك الدرة ، اضرب ابن الأكرمين ، اضرب ابن الأكرمين ، اضرب ابن الأكرمين ، قال : فضربه حتىٰ أثخنه ، ثم قال : أجِلْها علىٰ صلعة أبيه عمرو ، فوالله ؛ ما ضربك . . إلا بفضل سلطانه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد ضربتُ من ضربني ، فقال : أمَا والله ؛ لو ضربتَ من ضربك . . لما حُلْنا بينك وبينه حتىٰ تكون أنت الذي تدعه ، يا

---

(١) أي : يا حارث ، وهـٰذا ما يسمىٰ بالترخيم ، وهو حذف آخر المنادىٰ .

عمرو ؛ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحراراً ؟!

ثم التفت رضي الله عنه إلى المصري ، فقال : انصرف راشداً ، فإن رابك ريب . . فاكتب إلي .

وعن قتادة قال : آخر مال قدم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين : ثمان مئة ألف درهم ، فما قام من مجلسه حتىٰ فرقها ، ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبي بكر ، وأول من اتخذ بيت المال : عمر بن الخطاب .

عن مالك بن أوس قال : كان عمر يحلف علىٰ أيمان ثلاث ، يقول : (والله ؛ ما أحد أحق بهٰذا المال من أحد ، وما أنا بأحق به من أحد ، ووالله ؛ ما من المسلمين أحد إلا وله في هٰذا المال نصيب ، إلا عبداً مملوكاً ، ولٰكنا علىٰ منازلنا من كتاب الله عز وجل ، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقِدَمه في الإسلام ، والرجل وغناه في الإسلام ، والرجل وحاجته ، ووالله ؛ لئن بقيتُ لهم . . ليأتين الراعيَ بجبل صنعاء حظُّه من هٰذا المال وهو يرعىٰ مكانه) .

وخطب يوماً بالجابية فقال : (من أراد أن يسأل عن القرآن . . فليأت أُبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض . . فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه . . فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال . . فليأتني) .

وقال ابن سعد : قال محمد بن إبراهيم : كان عمر رضي الله عنه يستنفق كل يوم درهمين له ولعياله ، وأنفق في حجته مئة وثمانين درهماً ، وكان عمر رضي الله عنه ربما احتاج ، فيستقرض من صاحب بيت المال ـ وكان صاحبَ بيت المال عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه ـ فإذا مضت المدة . . جاء صاحبُ بيت المال ، وكان صاحبُ بيت المال يتقاضاه ، فيحتال[1] له عمر رضي الله عنه ويعطيه ، وربما خرج عطاؤه ، فيقضيه .

وصعد المنبر يوماً وكان به ضَعْفٌ ، وقد وصف له العسل ، وكان في بيت المال عُكَّة[2] فيها عسل ، فقال : (إن أذنتم لي فيها . . أخذتها ، وإلا . . فإنها عليَّ حرام) فأذنوا له فيها .

وعن الزهري : أن عمر رضي الله عنه كسا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن

---

(١) أي : يحيله علىٰ من عليه دين لعمر رضي الله عنه يتقاضاه منه .

(٢) العُكَّةُ : وعاء من جلد ، يوضع فيه السمن أو العسل .

فيها ما يصلح للحسن والحسين رضي الله عنهما ، فبعث إلى اليمن ، فأُتي لهما بكسوة ، فقال : الآن طابت نفسي .

وكان عمر رضي الله عنه إذا استعمل عاملاً . . كتب عليه كتاباً ، وأشهد عليه رهطاً من الأنصار ، ألاَّ يركب بِرْذَوْناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ، ثم يقول : اللهم ؛ اشهد .

وعن الشعبي قال : قال عمر رضي الله عنه : (لا أوتىٰ برجل فضَّلَني علىٰ أبي بكر . . إلا جلدته أربعين) .

قال : وكان إذا بعث عاملاً . . كتب ما له .

وعن الحسن قال : قال عمر رضي الله عنه : (لئن عشت إن شاء الله . . لأسيرنَّ في الرعية حولاً ، فإني أعلم أن للناس حوائجَ تُقطع عني . أمَّا هُم . . فلا يصلون إلي ، وأمَّا عُمَّالهم . . فلا يرفعونها إلي ، فأسير إلى الشام ، فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلىٰ مصر ، فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين ، فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة ، فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة ، فأقيم بها شهرين) .

وعن الزهري : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلد صبيغاً التيمي عن مسائلته عن حروف في القرآن ، حتى اضطربت الدماء في ظهره .

وعن الحسن : أن عمران بن حصين أحرم من البصرة ، فقدم علىٰ عمر بن الخطاب ، فأغلظ له ونهاه عن ذلك ، وقال : (يتحدث الناس أن رجلاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحرم من مصرٍ من الأمصار ؟!) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : (كتب عمر بن الخطاب إلىٰ عماله : اكتبوا عن الزاهدين في الدنيا ؛ فإن الله عز وجل وكَّل بهم ملائكة واضعي أيديهم علىٰ أفواههم ، لا يتكلمون . . إلا بما هيَّأه الله لهم) .

وعن القاسم بن محمد قال : بينما عمر يمشي وخلفه عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ بدا له ، فالتفت ، فلم يبق أحد من القوم إلا جثا لركبتيه ساقطاً ، قال : فأرسل عمر عينيه بالبكاء ، ثم قال : (اللهم ؛ إنك تعلم أني منك أشد فرقاً منهم مني) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كنا عند عمر بن الخطاب وعليه قميص في ظهره أربع

رقاع ، فقرأ : ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ، فقال : ما الأبُّ[1] ؟ ثم قال : (إنَّ هٰذا لهو التكلف ، فما عليك ألاَّ تدري ما الأبُّ ؛ لأنه ليس بالنَّاس إلى البحث عنه حاجة) .

وفي رواية : عن أبي عثمان النهدي قال : رأيت إزار عمر بن الخطاب فيه ثنتا عشرة رقعة ، إحداهن بأديم أحمر .

وعن قتادة : أن عمر أبطأ على الناس يوم جمعة ، ثم خرج ، فاعتذر إليهم في احتباسه ، وقال : (إنما حبسني غسل ثوبي هٰذا كان يُغسَل ، ولم يكن لي ثوب غيره) .

وقال عمر رضي الله عنه : (لولا مخافة طول الحساب . . لأمرت بحَمَل يشوىٰ لنا في التنور) .

وقيل : دخل عمر رضي الله عنه بيته وقد أصابه الجوع ، فقال لأهله : عندكم شيء ؟ فقالت امرأته : تحت السرير ، فتناول متاعاً فيه تمر ، فأكل ثم شرب الماء ، ثم قال : (ويحٌ لمن أدخله بطنُه النارَ) .

وعن سفيان : كان عمر رضي الله عنه يشتهي الشيء لعله يكون بثمن درهم ، فيؤخره سنة [انتهىٰ « تاريخ عمر بن الخطاب » : ٨٨ـ١٦٩] .

وأما فتح بيت المقدس . . فقد روى ابن جرير من رواية سيف بن عمر : أن أبا عبيدة رضي الله عنه لما فرغ من دمشق . . كتب إلىٰ إيلياء يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، أو يبذلوا الجزية ، أو يؤذنوا بالحرب ، فأبوا أن يجيبوا إلىٰ ما دعاهم إليه ، فركب أبو عبيدة رضي الله عنه في جنوده ، واستخلف علىٰ دمشق سعيد بن زيد رضي الله عنه ، ثم حاصر أهل بيت المقدس ، وضيق عليهم حتىٰ أجابوا إلى الصلح ، بشرط أن يَقْدُمَ إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب أبو عبيدة إلىٰ أمير المؤمنين يعلمه بذلك ، فاستشار أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه الناس في ذلك ، فأشار عثمان بن عفان رضي الله عنه بأن لا يركب إليهم ؛ ليكون أحقر لهم وأرغم لآنافهم ، وأشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمسير إليهم ؛ ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم ، فهوي ما قال علي رضي الله عنه ، ولم يهوَ ما قال عثمان رضي الله عنه ، وسار بالجيوش ، وذلك في سنة خمس عشرة ، بعد أن استخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وسار العباس رضي الله عنه معه علىٰ مقدمته ، فلما وصل إلى الشام . . تلقاه أبو عبيدة ،

---

(١) الأبُّ : المرعىٰ ، والأبُّ للدواب كالفاكهة للإنسان .

ورؤوس الأمراء ؛ كخالد بن الوليد ، ويزيد ابن أبي سفيان رضي الله عنهم ، وترجَّل أبو عبيدة رضي الله عنه ، وترجل عمر بن الخطاب ، فأشار أبو عبيدة ليقبِّلَ يدَ عمر ، فهَمَّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة ، فكف أبو عبيدة ، فكف عمر رضي الله عنهما ، وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بين يديه علىٰ فرس ، وكان وسيماً جميلاً ، فجعل البطارقة والعظماء من الروم يسلمون على العباس ، وهو يشير إلىٰ عمر رضي الله عنه ، فيرجعون ، فيسلمون عليه ، وسجد له جماعة من الرهبان والقسيسين ، فنهاهم ومنعهم ، وقال : لا يحل السجود لغير الله عز وجل ، فقالوا : مارأينا أحداً أشبه بالحواريين من هـٰذا الرجل .

وتلقاه جمع كثير من أهل الأديان بالسيوف ، فكره النظر إليهم وأمر بردهم ، فقال له أبو عبيدة رضي الله عنه : إنها سنة الأعاجم يا أمير المؤمنين ، وتلقاه معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه في موكب نبيل ، فجاوز عمر رضي الله عنه ولم يعرفه ، فأُخبر معاوية أن أمير المؤمنين قد تقدمه ، فرجع إليه ، فترجل وقبَّل يده ، ومشىٰ في ركابه ، وأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعرض عنه ساعة طويلة ، وهو سائر لا يلتفت إليه ، وهو ماش في ركابه ، فقال عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ؛ أتعبت الرجل ، فقال : يابن أبي سفيان ؛ أنت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني وقوف ذوي الحاجات ببابك ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّا في بلاد فيها جواسيس العدو ، ولا بد ما يردعهم بمثل ما يردعهم به من هيبة السلطان ، فإن أمرتني أن أترك هـٰذا . . فعلت ، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً .

ثم إنه لما وصل أمير المؤمنين إلىٰ بيت المقدس . . خرج إليه الرهبان والقساوسة وأكابرهم ، فتلقَّوه ودخلوا بين يديه إلىٰ بيت المقدس ، ثم سار عمر رضي الله عنه حتىٰ صالح نصارىٰ بيت المقدس ، واشترط عليهم إجلاء الروم إلىٰ ثلاث ، ثم إنه لما دخل المسجد . . إنما دخله من الباب الذي دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء .

زاد في رواية : فبينا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بالجابية ؛ إذا بكُرْدُوس(١) من الروم بأيديهم السيوف مسللة ، فثار إليهم المسلمون بالسلاح ، فقال لهم أمير المؤمنين : إن هـٰؤلاء القوم مستأمَنون ، فساروا نحوهم ، فوجدوهم جنداً من بيت المقدس يطلبون الأمان

---

(١) الكردوس : كتيبة من الفرسان علىٰ خيولهم .

والصلح من أمير المؤمنين ؛ لأنهم كانوا قد سمعوا بقدومه ، فأجابهم أمير المؤمنين رضي الله عنه إلىٰ ما سألوا ، وكتب لهم كتاب أمان ومصالحة ، وضرب عليهم الجزية ، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير وغيره ، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاصي ، وعبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنهم ، ومعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه ـ وهو كاتب الكتاب ـ وذلك في سنة خمس عشرة ، ثم كتب لأهل لُدٍّ ومَن هناك كتاباً آخر ، وضرب عليهم الجزية ، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيليا ، ثم سار من الجابية إلىٰ بيت المقدس ، ثم إلى المدينة ، ولم يدخل دمشق بعد خلافته أصلاً .

وقيل : إن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة ، ورجع من سَرْغَ[1] سنة سبع عشرة .

وقيل : إنه دخل في الثالثة دمشق وحمص ، وأنكر الواقدي رحمه الله تعالىٰ ذلك ، وقال : لا نعرف أنه دخل دمشق إلا في الجاهلية ؛ فإنه قدم دمشق وهو شاب في تجار من تجار قريش ، فلما خرجوا منها . . تخلف عمر رضي الله عنه لبعض حاجته ، فبينما هو بالبلد ؛ إذا هو ببطريق ، فأخذ بعنقه ، فذهب ينازعه ، فلم يقدر ، فأدخله داراً فيها تراب وفأس ومجرفة وزنبيل[2] ، وقال له : حوِّل هـٰذا من هـٰهنا إلىٰ هـٰهنا ، وغلق عليه الباب ، وانصرف ، فلم يجئ إلىٰ نصف النهار ، قال : وجلست مفكراً ولم أفعل مما قال شيئاً ، فلما جاء . . قال : مالَكَ لم تفعل ما قلت لك ؟ ولكمني في رأسي بيده ، قال : فأخذت الفأس ، فضربته به ، فقتلته ، وخرجت علىٰ وجهي ، فجئت دير راهب ، فجلست عنده إلى العشي ، فأشرف عليَّ ونزل ، وأدخلني الدير ، وأطعمني وسقاني وأتحفني ، وجعل يحقق النظر فيَّ ، وسألني عن أمري ، فقلت : إني أضللت أصحابي ، فقال : إنك لتنظر بعين خائف ، وجعل يتوسمني ، ثم قال : لقد علم أهل دين النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ، وإني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هـٰذه ، فهل لك أن تكتب لي كتاب أمان علىٰ ديري هـٰذا ؟ فقلت له : يا هـٰذا ؛ لقد ذهبت غير مذهب ، فلم يزل بي حتىٰ كتبت له صحيفةً ما طلب مني ، فلما كان وقت الانصراف . . أعطاني أتاناً[3] ، وقال : اركبها ، وإذا وصلت إلىٰ أصحابك . . فابعث بها إلي وحدها ، فإنها لا تمر بدير إلا أكرموها حتىٰ تصل إليَّ ، ففعلت

---

(١) سَرْغ : مدينة بالشام افتتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، هي واليرموك والجابية والرمادة متصلة .
(٢) الزَّنْبِيل : المراد به هنا : القفة التي يُحمل فيها التراب .
(٣) الأتان : أُنثى الحمار .

ما قال لي ، فلما قدم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لفتح بيت المقدس.. جاءه ذلك الراهب إلى الجابية ومعه تلك الصحيفة ، فأمضاها له أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، واشترط عليه ضيافة من يمر به من المسلمين ، وأن يرشدهم إلى الطريق . رواه الحافظ ابن عساكر رحمه الله .

وروى الإمام أبو بكر ابن أبي الدنيا رحمه الله بسنده : عن أبي العالية قال : لما قدم أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى الجابية.. كان راكباً علىٰ جمل أورق[١] ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحْل بلا ركاب ، وِطاؤه كساء أَنْبَجَاني[٢] ذو صوف ، هو وِطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، وحقيبته نمرة[٣] أو شملة[٤] حشوها ليف ، كانت حقيبته إذا ركب ، ووسادته إذا نزل ، وعليه قميص من كَرَابيس[٥] ، قد دَسِمَ[٦] وتخرق جيبه ، فقال : ادعوا لي رأس القرية ، فدعوا له ، فقال : اغسلوا قميصي وخيطوه ، وأعيروني قميصاً أو ثوباً ، فأُتي بقميص كتان ، فقال : ما هٰذا ؟ قالوا : كتان ، فقال : وما الكتان ؟ فأخبروه ، فنزع قميصه ، فغُسل ورُقع ، وأُتي به ، فنزع قميصهم ولبس قميصه ، فقيل له : أنت ملك العرب ، وهٰذه بلاد لا يصلح بها الإبل ، فلو لبست شيئاً غير هٰذا ، وركبت برذوناً.. لكان ذلك أعظم في أعين الروم ، فقال : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فلا نطلب العز بغير الله.. يذلنا .

زاد في رواية : فأُتي ببرذون ، فطرح عليه قطيفة بلا رحل ولا سرج وركبه ، فجعل يُهَمْلِج[٧] ، فقال : (احبسوا احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشياطين قبل هٰذا) فأُتي بِجَمَلِه ، فركبه رضي الله عنه .

وقال أسلم مولىٰ عمر رضي الله عنه : قدم رفقة من تجار ، فنزلوا المصلىٰ ، فقال أمير المؤمنين عمر لعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنهما : هل لك أن تحرسهم الليلة ؟ قال :

---

(١) الأورق من الإبل : الذي في لونه بياض إلىٰ سواد .
(٢) أَنْبَجَانِيّ : هو كساء منسوب إلى المدينة المعروفة « مَنْبِجْ » ، وهو كساء يُتخذ من الصوف وله خَمْل ولا عَلَم له ، وهو من أَدْوَنِ الثِّياب الغليظة .
(٣) النَّمِرةُ : شملة فيها خطوط بيض وسود .
(٤) الشَّملَة : كساء يتغطىٰ به .
(٥) كرابيس : جمع كِرْباس ، وهو القطن .
(٦) دَسِمَ : اتَّسَخَ .
(٧) الهَمْلَجَة : كلمة فارسية معربة ، ومعناها : حُسن سير الدابة في سرعة وتبختر .

نعم ، فباتا يحرسانهم ويصليان ، فسمع عمر رضي الله عنه بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلىٰ صبيك ، ثم عاد إلىٰ مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد إلىٰ أمه ، فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلىٰ مكانه ، فلما كان آخر الليل . . سمع بكاء الصبي ، فجاء إلىٰ أمه ، فقال لها : ويحك! إنك أم سوء ، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ قالت : يا عبد الله ؛ إني أشغله عن الفطام ، فيأبىٰ ذلك ، قال : ولِمَ ؟ قالت : لأن أمير المؤمنين عمر لا يفرض إلا للمفطوم ، قال : وكم عمر ابنك هـٰذا ؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، فقال : ويحك! لا تعجليه عن الفطام ، فلما صلى الصبح ـ وهو لا تستبين للناس قراءته من البكاء ـ فقال : بؤساً لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديه فنادىٰ : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ؛ فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

وقال أسلم رضي الله عنه : خرجت ليلة مع أمير المؤمنين عمر إلىٰ ظاهر المدينة ، فلاح لنا بيت شعر ، فقصدناه ، فإذا فيه امرأة قد أخذها المخاض وهي تبكي ، فسألها عن حالها ، فقالت : أنا امرأة غريبة ، وليس عندي شيء ، فبكىٰ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وعاد يهرول إلىٰ بيته ، وقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما : هل لك في أجر ساقه الله إليك ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم ، فحمل علىٰ ظهره عِدْلَ دقيق ، ومعه شحم ، وحملت أم كلثوم رضي الله عنها ما يصلح للولادة ، وراح إلىٰ بيت المرأة ، فدخلت أم كلثوم إلى المرأة ، وجلس أمير المؤمنين رضي الله عنه مع زوجها وهو لا يعرفه يتحدث معه ، فوضعت المرأة غلاماً ، فقالت أم كلثوم رضي الله عنها : يا أمير المؤمنين ؛ بشر صاحبك بغلام ، فلما سمع الرجل قولها . . هاله ذلك واستعظمه ، وأخذ يعتذر إلىٰ أمير المؤمنين ، فقال له : لا بأس عليكم ، ثم أعطاهم نفقة ، وانصرف .

زاد في رواية أخرىٰ : طبخ عمر رضي الله عنه ما يصلح لها ، فلما وضعت الغلام . . كان قد استوى الطعام ، فقدمته أم كلثوم رضي الله عنها إليها ، ثم انصرف عمر رضي الله عنه وأرضاه .

وقال أسلم رضي الله عنه : خرجت ليلة مع أمير المؤمنين إلى الحَرَّة ، فرأينا ناراً علىٰ بعد ، فقال : يا أسلم ؛ هـٰهنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم ، فأتيناهم ، فإذا امرأة معها صبيان يتضاغَون ، وإذا قدر منصوبة على النار ، فقال أمير المؤمنين رضي الله عنه : سلام عليكم يا أصحاب الضوء ، وكره أن يقول : يا أصحاب النار ، فردت عليه السلام ، فقال لها : يا أمة الله ؛ ما بال هـٰؤلاء الصغار يتضاغون ؟ فقالت : من الجوع ،

فقال : وأي شيء في القدر على النار ؟ قالت : ماء أعللهم به كي يناموا ، فالله تعالىٰ بيننا وبين عمر ، فقال عمر رضي الله عنه : يا أمة الله ؛ رحمك الله ، وما يدري عمر بكم ؟ قالت : يتولىٰ أمرنا ثم يغفل عنا ؟!

فبكىٰ عمر رضي الله عنه ، وجعل يهرول إلىٰ دار الدقيق ، فأخرج عِدلاً من دقيق ، وجراباً فيه شحم ، وقال : يا أسلم ؛ احمله علىٰ ظهري ، فقلت : أنا أحمله عنك ، فقال : أنت تحمل عني وزري يوم القيامة ؟ قال : فحملته علىٰ ظهره ، وانطلقنا إلى المرأة ، فألقاه عن ظهره ، ووضع في القدر شيئاً من الدقيق ، وشيئاً من الشحم ، وجعل ينفخ النار ، والدخانُ يتخلل لحيته رضي الله عنه ، فلما نضج الطعام . . أنزله عن النار ، وغرف لهم ، وترك الطعام بين أيديهم ، وجعل يطعمهم ، ويحدثهم ، والمرأة تدعو له وهي لا تعرفه ، ولم يزل عندهم يلاطفهم حتىٰ شبعوا وناموا ، فدفع إلىٰ أمهم نفقة وانصرف رضي الله عنه ، فقال لي : يا أسلم ؛ الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت أن لا أنصرف حتىٰ أرىٰ ما رأيت .

وقال ابن إسحاق رحمه الله : كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يضع علىٰ عماله العيون ، فله علىٰ كل عامل عين ، وكان يقول : **أشكو إلى الله عز وجل جَلَدَ الخائن ، وعجز الثقة** .

وقاسَمَ أبا موسى الأشعري رضي الله عنه ماله ؛ لأنه كان قد ولاّه البصرة ، ثم استقدمه منها ، فقال : ما جاريتان عندك إحداهما من بنات الملوك ؟ فقال : أمَّا إحداهما . . فبيني وبين الناس ، وأما التي من بنات الملوك . . فأردت بها غلاء الفداء ، قال : فما جفنتان تعملان عندك ؟ قال : إنك رزقتني كل يوم شاة ، أعمل نصفها بُكرة ونصفها عشية ، قال : ارفع إلي إحدىٰ جواريك ـ أي : ثمنها ـ وارجع إلىٰ عملك ، وإن بلغني عنك بعدها أمر . . عاقبتك وأخذت جميع مالك .

وولىٰ أبا هريرة رضي الله عنه البحرين ، ثم استقدمه ، فقال له : هل علمتَ أني حين استعملتك على البحرين كنتَ بغير فرس ؟ وقد بلغني أنك بعت أفراساً لك بألف وست مئة دينار ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ كانت لنا أفراس تناتجت ، وعطايا تلاحقت ، فقال : أخذت مال الله فأدِّه ، وقد حسبنا رزقك ومؤونتك ، ومعك فضل فأدِّه ، فقال أبو هريرة رضي الله عنه : ليس ذلك لك ، قال : بلىٰ ، وأُوجِعُ ظهرك ، ثم قام إليه ، فضربه بالدرة ، ثم قال : إيت بها ، قال : عند الله أحتسبها ، فقال : يا لُكَع ؛ ذاك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً ، هل ورَّثت لك أمك إلا رعيَ الحمر ؟ أخذت مال المسلمين ، قال :

ما أخذتُ لهم شيئاً ، قال : فمن أين لك عشرة آلاف درهم ؟ ثم أخذها منه ، وقال له : ألا تعمل ؟ قال : لا ، قال : قد عمل من هو خير منك يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام حيث قال : ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وقاسَمَ عمرو بن العاصي رضي الله عنه ماله ، وبعث إليه محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه ، وكتب إليه : عهدي بك وأنت فقير لا مال لك ، وقد بلغني أنه صار لك ماشية من خيل وإبل وبقر وعبيد ، فمن أين لك هٰذا المال ؟ فكتب إليه : إني ببلدٍ السعرُ فيه رخيص ، وإني أعالج من الزراعة ما يعالج الناس ، وفيما رزقني الله عز وجل من رزق أمير المؤمنين سعة ، ووالله ؛ لو رأيتُ خيانتك حلالاً . . لما خنتك ، فأَقصر يا أمير المؤمنين ؛ فإن لنا أحساباً ، فإن رجعنا إليها . . عشنا بها .

فكتب إليه أمير المؤمنين رضي الله عنه : ما يغني عنك أن تزكي نفسك ، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة ، فشاطره مالَك ؛ فإنكم ـ أيها العمال ـ جلستم علىٰ عيون المال ، تجمعون لأبنائكم ، وتمهدون لأنفسكم ، وإنما تجمعون للنار ، فلما ورد محمد بن مسلمة علىٰ عمرو بن العاصي رضي الله عنهم . . صنع له طعاماً ، فقال : والله ؛ لا أكلت لك طعاماً ولا شربت لك ماء حتىٰ أنفذ أمر أمير المؤمنين ، فشاطره ماله جميعه ، حتىٰ إنه أخذ أحد نعليه وترك الآخر .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالىٰ : واستدعىٰ أمير المؤمنين رضي الله عنه الحارث بن وهب ، وكان عامله علىٰ صنعاء ، وقال له : ما قلاص وأَعبُدٌ بعتها بمئتي دينار ؟ فقال : خرجت معي نفقة ، فاتجرت فيها ، فقال : أمَا والله ؛ ما بعثناكم لتتجروا في أموال المسلمين ، ثم قال : أدِّها ، فقال : والله ؛ لا عملت لك عملاً ، فقال : انتظرني حتىٰ أستعملك .

وقاسَمَ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ماله لما عزله عن الكوفة ، وكان سعد مستجاب الدعوة ، فقال سعد لما شاطره ماله : والله ؛ لقد هممت ، فقال له أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : أن تدعو عليَّ ؟ قال : نعم ، قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : إذاً لا تجدني بدعاء ربي شقياً .

وقيل : إن أبا سفيان زار ابنه معاوية رضي الله عنهما بالشام ، ثم رجع إلى المدينة ، فقال له أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : ماذا أجازك ابنك معاوية ؟ فقال : ما أصبنا عنده خيراً ،

فأخذ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه خاتمه من يده ، وجعل يقلبه ، وغافله ، ثم بعث به إلىٰ هند زوجة أبي سفيان رضي الله عنهما ، وقال للرسول : يقول لها : إن أبا سفيان يقول لك : ابعثي إلي بالخُرج[1] الذي وصل معي إلىٰ عندك من الشام ، فبعثت به ، فإذا فيه عشرة آلاف درهم ، فأخذها أمير المؤمنين رضي الله عنه ، فألقاها في بيت المال ، فلما ولي عثمان الخلافة . . قال لأبي سفيان رضي الله عنه : إن شئت . . رددنا إليك عشرة آلاف ، فقال أبو سفيان رضي الله عنه : والله ؛ لا آخذ مالاً لم يرضه لي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

وقيل : إن معاوية رضي الله عنه بعث بمال وقيود إلىٰ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وقال : وجدنا هـٰذه القيود في بعض حصون الروم ، وقال للرسول : أوصلها إلىٰ أبي سفيان ليوصلها إلىٰ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، فبعث أبو سفيان بالقيود إلىٰ أمير المؤمنين ، ولم يبعث بالمال ، فلما قرأ أمير المؤمنين رضي الله عنه كتاب معاوية وفيه ذِكر المال . . قال لأبي سفيان رضي الله عنه : أين المال ؟ فقال : أنفقته ، فأمر أن توضع القيود في رجليه ، وقال : والله ؛ لا تخرج إلا بالمال ، فأحضر المال ، وبلغ معاوية رضي الله عنه ذلك ، فقال : والله ؛ لو فعل الخطاب ما فعل أبو سفيان . . لفعل به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ذلك .

وكان سبب مقاسمة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عماله أموالهم ؛ لأنه استعملهم وهم فقراء ، فأثروا وكثرت أموالهم ، ففعل بهم ذلك ؛ لأن الزائد عن حاجاتهم هو مال المسلمين .

وقيل لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : ألا تستخلف ولدك عبد الله ؟ فقال : يكفي واحد من آل الخطاب يؤتىٰ به يوم القيامة يده مغلولة إلىٰ عنقه ، إن هـٰذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جرأة فيها ، وباللين الذي لا وهْن فيه ، ولـٰكن يحضرهم عبد الله ـ يعني : في المشورة ـ وليس له من الأمر شيء ؛ يعني : كهيئة التعزية .

وكان قضاته : على المدينة علي بن أبي طالب ، وعلىٰ دمشق أبو الدرداء ، ثم نقله إلىٰ حمص ، ثم أعاده إلىٰ دمشق ، وكانت دار أبي الدرداء رضي الله عنه بباب البريد ، وكان يُسبِّح في كل يوم مئة ألف مرة ، وعلى الكوفة شريح ، وعلى البصرة كعب بن سور ، ثم عبيد الله بن معمر ، وكان حاجبه مرقل ، ومولاه أسلم ، وكان عامله علىٰ مكة نافع بن

---

(١) الخُرْج : وعاء من شعر أو جلد ، ذو عدلين ، يوضع علىٰ ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه .

عبد الحارث ، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي ، وعلىٰ صنعاء يعلى بن منبه ، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري ، وقيل : المغيرة ، وعلى البصرة أبو موسىٰ رضي الله عنهم .

ولما حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه . . شكا إليه أناس من أبي سفيان ، فأحضره ، وانتهره ، وأبو سفيان رضي الله عنه يتذلل له ، فقال له أبوه أبو قحافة رضي الله عنه : يا عتيق ؛ أتنتهر ابن حرب سيد قريش ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : نعم يا أبه ، إن الله عز وجل هدم بالإسلام بيوتاً منها بيته ، وعمر به بيوتاً منها بيتك .

وهٰكذا لما حج عمر رضي الله عنه . . شكا إليه أناس من أبي سفيان رضي الله عنه أيضاً ، وقالوا : إنه بنىٰ دكة يَسمُرُ عليها ، فجاء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، ووقف عليها ، ودعاه ، وقال له : أَخرب هٰذا ، فأبىٰ فضربه بالدرة ، فصاح ، فضربه ثانياً وثالثاً ، وهو يستغيث ويرفع تلك الأحجار ، وأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول : الحمد لله الذي أذل أبا سفيان ، فأصبح يستغيث بمكة فلا يغاث ، ثم قال : والله ؛ لتنقلن هٰذه الحجارة علىٰ ظهرك ، ففعل .

وقد ذكرنا أنه أول من كتب التاريخ ، وسبب ذلك : أنه رفع إليه صك بدَين يحل في شعبان ، فقال : أي شيء شعبان ؟ شعبان هٰذا ؟ أم شعبان الماضي ؟ أو الآتي ؟ ثم أمرهم بالتاريخ ؛ ليعرف الناس محل ديونهم .

وفتح الشام كله ، والجزيرة ، والموصل ، ومَيَّافارقين ، وآمد ، وأرمينية ، ومصر ، وإسكندرية ، واليرموك ، وبصرىٰ ، ودمشق ، والأردن ، وبيسان ، وطبرية ، والجابية ، وفلسطين ، والرملة ، وعسقلان ، وغزة ، والسواحل ، والفرس ، وطرابلس الغرب ، وبرقة .

ومن مدن الشام : بعلبك ، وحمص ، وقنّسرين ، وحلب ، وأنطاكية ، والجزيرة ، وحرّان ، والرّها ، والرّقة ، ونصيبين ، ورأس العين ، وسميساط ، وعين وردة ، وديار بكر ، وديار ربيعة ، وبلاد الموصل .

وبالعراق : القادسية ، والحيرة ، ونهرشير ، وساباط ، ومدائن كسرىٰ ، وكور الفرات ، ودجلة ، والأيلة ، والبصرة ، والكوفة ، والأهواز ، وفارس ، ونهاوند ، وهمدان ، والري ، وإصطخر ، وأصبهان ، والسوس ، ونيسابور ، وجرجان ، وأذربيجان ، وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً راكبين على الخيل ، لا يبلغ الماء إلىٰ

حزمها ، وهم يتحادثون ؛ لأمنهم ، وما أكرمهم الله عز وجل به من توطئة البحر لهم ببركة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وكل ذلك معجزات ظاهرة ، وآيات متباصرة لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك ظاهر لا يخفىٰ :

كالشمس في أفق السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه متواضعاً في الله عز وجل ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً في ذات الله عز وجل ، يرقع الثوب بالأديم ، ويحمل القربة علىٰ كتفه مع عُظْمِ هيبته ، ويركب الحمار عرياناً(١) ، والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك ، لا يمازح أحداً ، مقبلاً علىٰ شأنه ، وكان أيسر ، وكان يتختم في اليسار ، وكان نقش خاتمه : كفىٰ بالموت واعظاً يا عمر ، وإذا مشىٰ . . كان شديد الوطء على الأرض ، وجهوري الصوت ، رضي الله عنه وأرضاه .

وأما فتح نهاوند . . فكانت ـ كما تقدم ـ في خلافته أيضاً في سنة إحدىٰ وعشرين ، وكان الأمير على الجيش النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه ؛ فإنه صحابي جليل ، قدم مع قومه مزينة في أربع مئة راكب ، ثم سكن البصرة ، وأمَّره أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الجنود إلىٰ نهاوند ، ففتح الله عز وجل علىٰ يديه فتحاً عظيماً ، ومكن له في تلك البلاد ، ومكنه من رقاب أولـئك العباد ، ومكن به للمسلمين هنالك إلىٰ يوم التناد ، ومنحه النصر في الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، وأباح له ـ بعدما أراه ما أحب ـ شهادةً عظيمة ، وذلك غاية السؤل والمراد ، فكان ممن قال الله عز وجل في حقه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ .

قال ابن الجوزي : وعن أنس رضي الله عنه قال : (سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً ـ وبيني وبينه جوف حائط ـ [يقول] : عمر أمير المؤمنين ، بخ بخ! والله ؛ بُنَيَّ الخطاب لتتقيَنَّ الله أو ليعذبنك) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : نادىٰ عمر في الناس : الصلاة جامعة ، ثم جلس على المنبر ، فما تكلم حتى امتلأ المسجد ، ثم قام ، فقال : (الحمد لله ، إني كنت

---

(١) أي : يركب حماره دون أن يضع عليه البَرْذَعَة .

أؤاجر نفسي بطعام نفسي ، ثم أصبحت علىٰ ما ترون ليس فوقي أحد) ، ونزل ، فقيل له : ما حملك علىٰ ما صنعت ؟ قال : (إظهاراً للشكر) .

وفي رواية : (إن أباك أعجبته نفسه ، فأحب أن يضعها) .

وفي رواية ابن سعد [في « الطبقات » ٣/٢٦٦] : عن سليمان بن يسار قال : مر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في موضع ، فقال : (لقد رأيتني وإني لأرعىٰ إبل الخطاب في هـٰذا المكان ، وكان ـ والله كما علمت ـ فظاً غليظاً ، ثم أصبحت إلىٰ أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم) .

وقال عمر رضي الله عنه : (من خاف الله . . لم يُشْفَ غيظه ، ومن يتق الله . . لم يصنع ما يريد ، ولولا يوم القيامة . . لكان غير ما ترون) .

وزار عمر أبا الدرداء رضي الله عنهما ، فقال له أبو الدرداء : أتذكر حديثاً حدَّثَناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أي حديث ؟ قال : « ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب »(١) ؟ قال : نعم ، قال : فما فعلنا بعده يا عمر ، قال : فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتىٰ أصبحا ، رضي الله عنهما .

وعن نافع قال : كان البِر لا يُعرف في عمر ولا ابنه حتىٰ يقولا أو يعملا .

ومن دعائه : (اللهم ؛ أوجب لي بموالاتك وموالاة أوليائك ولايتك ومعونتك ، وأبِرَّني بمعاداة عدوك من الآفات .

اللهم ؛ توفني مع الأبرار ، ولا تُخَلِّفني في الأشرار ، وألحقني بالأخيار .

اللهم ؛ لا تكثر لي من الدنيا فأطغىٰ ، ولا تقلل لي منها فأنسىٰ ؛ فإنه ما قَلَّ وكفىٰ . . خيرٌ مما كثر وألهىٰ .

(اللهم ؛ إني أعوذ بك أن تأخذني علىٰ غِرَّة ، أو تذرني في غفلة ، أو تجعلني من الغافلين) .

وعن قيس بن الحجاج قال : لما فتحت مصر . . أتىٰ أهلها عمرو بن العاصي حين دخل بؤنة ـ من أشهر العجم ـ فقالوا له : أيها الأمير ؛ إن لنيلنا هـٰذا سُنَّةً لا يجري إلا بها ، فقال لهم : وما ذاك ؟ فقالوا : إذا كان ثنتا عشرة ليلة تخلو من هـٰذا الشهر . . عمدنا إلىٰ جارية

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٥٣) .

بِكْرٍ بين أبويها ، فأرضينا أباها ، وحملنا عليها من الحُلي والثياب أفضل ما يكون ، فألقيناها في النيل ، فقال لهم عمرو رضي الله عنه : إن هـٰذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرىٰ[1] ، والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً ، حتىٰ همُّوا بالجلاء منها ، فلما رأىٰ ذلك عمرو بن العاصي . . كتب إلىٰ عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر : إنك قد أصبت بالذي فعلت ؛ لأن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وكتب بطاقة داخل كتابه ، وكتب إلىٰ عمرو : وإني قد بعثت إليك بطاقة في داخل كتابي هـٰذا ، فألقها في النيل إذا وصل إليك كتابي .

فلما قدم كتاب أمير المؤمنين عمر إلىٰ عمرو بن العاصي رضي الله عنهما . . أخذ البطاقة ، فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ نيل مصر ، **أما بعد** : فإن كنت إنما تجري من قبلك . . فلا تجرِ ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك . . فنسأل الله تعالى الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة في النيل قبل يوم الصليب[2] بيوم ، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج ؛ لأنه لا تقوم مصلحتهم إلا بالنيل ، فلما ألقى البطاقة . . أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، فقطع الله تلك السُّنَّةَ السوء عن أهل مصر إلى اليوم .

ومن مسانيد حديثه : ما رواه النعمان بن بشير ، عن عمر رضي الله عنهما قال : (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتوي ، ما يجد ما يملأ به بطنه من الدقل[3]) .

وعن هشام بن عروة قال : قال عمر رضي الله عنه : (إذا رأيتم الرجل يضيع الصلاة . . فهو ـ والله ـ لغيرها من حق الله تعالىٰ أشدُّ تضييعاً) .

وعن يحيى بن جعدة قال : قال عمر رضي الله عنه : (لولا ثلاث . . لأحببت أن ألحق بالله تعالىٰ : لولا أن أسير في سبيل الله ، أو أضع وجهي لله ، أو أجالس أقواماً يتلقطون طيب الكلام كما يُتلقَّط طيب التمر) .

وقال عمر رضي الله عنه : (لا يُتعلم العلمُ لثلاث ، ولا يترك لثلاث : لا يتعلم ليمارىٰ به ، ولا يباهىٰ به ، ولا يراءىٰ به ، ولا يُترك حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا يُرضىٰ بالجهل منه) .

---

(١) ثلاثة من أشهر الأقباط تُسمّىٰ بهـٰذه الأسماء .

(٢) هو اليوم الموافق الرابع عشر من شهر أيلول (سبتمبر) وهو الأسبوع قبل الأخير من فصل الصيف .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٤٦) ، والدَّقَلُ : الرديء من التمر .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت بعد أن دفن عمر رضي الله عنه في بيتها : (كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي ، فأضع ثوبي ، وأقول : إنما هو زوجي وأبي ، فلما دفن عمر عندهما . . فوالله ؛ ما دخلتُه إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي ؛ حياء من عمر[1]) .

وعن عمر رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة ، إلا نسبي وسببي وصهري »[2] ، فكان لي به النسب والسبب ، فأردت أن أجمع إليهما الصهر) فتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فولدت له زيداً ورقية .

ولما خطب عمر أمَّ كلثوم إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . . فقال له : إنها صغيرة ، فقال له عمر رضي الله عنه : زوجنيها يا أبا الحسن ؛ فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصد أحد ، فقال له علي رضي الله عنه : أنا أبعثها إليك ، فإن رضيتَها . . زوجتكها ، فبعثها إليه ببُرْدٍ ، ثم قال لها : انطلقي بهـٰذا إلىٰ أمير المؤمنين ، فقولي له : أرسلني أبي يقرئك السلام ، ويقول : إن رضيت البُرْدَ . . فأمسكه ، وإن سخطته . . فرُدَّهُ ، فلما أتت عمر . . قالت له ذلك ، فقال لها : قولي له : قد رضيته رضي الله عنك ، قال : فرجعت إلىٰ أبيها ، فقالت : ما نشر البُرْدَ ، ولا نظر إلا إليَّ ، فقال : مهلا يا بنية ، إنه زوجك ، فزوجه إياها .

قال عطاء الخراساني : أمهرها عمر رضي الله عنه أربعين ألفاً .

وعن ابن عمر قال : كان عمر إذا نهى الناس عن شيء . . دخل علىٰ أهله ـ أو قال : جمع أهله ـ فقال : إني قد نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم ، فإن وقعتم . . وقعوا ، وإن هبتم . . هابوا ، وإني ـ والله ـ لا أوتىٰ برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلا أضعفت له العقوبة ؛ لمكانه مني ، فمن شاء منكم . . فليتقدم ، ومن شاء . . فليتأخر ؛ والله سبحانه أعلم .

وروي عن علي بن أبي طالب[3] رضي الله عنه : أنه كان يبكي عند موت عمر رضي الله

---

(١) وهـٰذا يدلُّ على اعتقادها أنهم أحياء ، وإلاَّ : فالذي لا يرىٰ غيره . . لا يستحيي منه!! .

(٢) أخرجه بنحوه البيهقي في « الكبرىٰ » (٧/ ٦٤) ، وأبو الحسين الصيداوي في « معجم الشيوخ » (٣٣٨) .

(٣) في « تاريخ عمر بن الخطاب » روى الخبر عن سعيد بن زيد ، والله أعلم .

عنه ، فقيل له في ذلك ، فقال : (على الإسلام أبكي ، إن موت عمر ثلم الإسلام ثلمة لا تُرتَق إلىٰ يوم القيامة[1]) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : **(من رأى ابن الخطاب . . علم أنه خُلِقَ غنىً للإسلام)** .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (كان أبو بكر أوَّاهاً حليماً ، وكان عمر مخلصاً ، ناصَحَ اللهَ فناصحه ، وإن كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون ، والله ؛ إن كنا لنرىٰ أن السكينة تنطق علىٰ لسان عمر ، وإن كنا لنرىٰ أن شيطان عمر ليهابه أن يأمره بالخطيئة) انتهىٰ [« تاريخ عمر بن الخطاب » ١٧٦ـ٢٧٨] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : خرجنا مع عمر رضي الله عنه إلىٰ مكة ، فما ضَرب فسطاطاً ولا خباء حتىٰ رجع ، وكان إذا نزل . . نلقي له كساء أو نطعاً علىٰ شجرة ، فيستظل به ، وختم الله تعالىٰ لعمر بالشهادة ، وكان يسألها ، فطعنه العِلْج[2] عدو الله أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، وهو قائم في صلاة الصبح حين أحرم بالصلاة ، طعنه بسكين مسمومة ذات طرفين ، فضربه في كتفه وخاصرته ، وقيل : ضربه ست ضربات ، فقال : (الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدَّعي الإسلام) .

وطعن العلج مع عمر رضي الله عنه ثلاثة عشر رجلاً ، توفي منهم سبعة وعاش الباقون ، فطرح عليه مسلم بُرْنُساً[3] ، فلما أحس العلج أنه مقتول . . قتل نفسه .

وشرب عمر رضي الله عنه لبناً ، فخرج من جرحه ، فعلم هو والناس أنه لا يعيش ، فأشاروا عليه بالوصية ، فجعل الخلافة شورىٰ بين عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمـٰن بن عوف ، رضي الله عنهم أجمعين ، وقال : لا أعلم أحداً أحق بها من هـٰؤلاء الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وقال : يُؤَمِّر المسلمون أحد هـٰؤلاء الستة . [انتهىٰ « التهذيب » ٢/ ١٢ـ١٣] .

زاد في رواية ابن سعد [في « الطبقات » ٣/ ٣٤١ـ٣٤٢] **قال** : لما طعن أمير المؤمنين عمر . . دعا

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٣٧٢) ، عن سعيد بن زيد .

(٢) **العِلْجُ** : الرجل من كفار العجم ، ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار .

(٣) **البُرْنُس** : جبَّة لها رأس منها ملتزق بها ، وكان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام ، وهـٰذا اللباس معروف الآن في بلاد المغرب وبنفس الاسم : بُرْنُس .

أصحاب الشورىٰ ، فلم يكلم أحداً منهم غير عليٍّ وعثمان ، فقال : يا علي ؛ لعل هـٰؤلاء القوم أن يعرفوا لك قرابتك من النبي صلى الله عليه وسلم ، وصهرك ، وما آتاك الله من الفقه والعلم ، فإن وُلِّيتَ هـٰذا الأمر . . فاتقِ الله فيه .

ثم دعا عثمان ، فقال : يا عثمان ؛ لعل هـٰؤلاء القوم أن يعرفوا لك صهرك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنَّك ، وشرفك ، فإن وُلِّيتَ هـٰذا الأمر . . فاتقِ الله فيه ، ولا تحملنَّ بغيظ علىٰ رقاب الناس .

ثم قال : ادعوا لي صهيباً ، فدُعي ، فقال : صلِّ بالناس ثلاثاً ، ولتجعلوا هـٰؤلاء القوم في بيتٍ ، فإذا اجتمعوا علىٰ رجلٍ : فمن خالفهم . . فاضربوا رأسه ، فلما خرجوا من عنده . . قال : إن وَلَّوها علياً . . سلك بهم الطريق ، فقال له ابنه عبد الله : فما يمنعك يا أمير المؤمنين ، قال : أكره أن أتحملها حياً وميتاً .

ودعا أبا طلحة الأنصاري فقال : يا أبا طلحة ؛ كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هـٰؤلاء النفر أصحاب الشورىٰ ؛ فإنهم ـ فيما أحسب ـ سيجتمعون في بيت أحدهم ، فقم علىٰ ذلك الباب بأصحابك ، فلا تترك أحداً يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتىٰ يؤمِّروا أحدهم ، اللهم ؛ أنت خليفتي عليهم .

قال ابن إسحاق : وصنع أبو طلحة كما أمره عمر رضي الله عنه .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : الذي خطر لي ـ والله أعلم ـ أن أمير المؤمنين رضي الله عنه إنما ترك ذِكر سعيد بن زيد ؛ لكونه ابن ابن عمه ، فما أحب أن يتقلدها ولا أحد من جهته ، ولهـٰذا قال عن ابنه عبد الله : يحضركم عبد الله وليس له من الأمر شيء ، والظاهر ـ والله أعلم ـ : أنه لولا هـٰذا المعنىٰ . . لأدخله معهم في الشورىٰ ؛ لأنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، رضوان الله عليهم أجمعين . انتهىٰ .

وقال الغزالي ـ رحمه الله ـ : شهد عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل ، فقال : ائتني بمن يعرفك ، فأتاه برجل ، فأثنىٰ عليه خيراً ، فقال له عمر : أنت جاره الأدنىٰ ، تعرف صباحه ومساءه ، ومدخله ومخرجه ؟ فقال : لا ، فقال : كنت رفيقه في السفر الذي يسفر عن أخلاق الرجال ومكارم الأخلاق ؟ فقال : لا ، قال : فعاملته بالدراهم والدنانير الذي يستبين به ورع الرجل ؟ فقال : لا ، قال : أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم بالقرآن ، يخفض رأسه طوراً ، ويرفعه ، قال : نعم ، قال : اذهب ، فلست تعرفه ،

وقال للرجل : اذهب فأتني بمن يعرفك . أو كما قال . انتهىٰ [« الإحياء » ٢/ ٨٢ـ٨٣] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : وحسب الدَّين الذي عليه ، فوجده ستة وثمانين ألفاً أو نحوه ، فقال لابنه عبد الله : إن وفَّىٰ مالُ آلِ عمر به . . فأدوه منه ، وإلا . . فسل في بني عدي ، فإن لم تف أموالهم . . فسل في قريش ، ولا تَعْدُهم إلىٰ غيرهم .

زاد في رواية ابن سعد : فقال عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه : ألا نستقرضها من بيت المال حتىٰ نؤديَها ؟ فقال عمر رضي الله عنه : معاذ الله ، ثم قال لابنه عبد الله : اضمنها ، فضمنها وأشهد بها علىٰ نفسه أهلَ الشورىٰ وغيرَهم من الأنصار ، فما مضت جمعة بعد موته . . حتىٰ وفَّاها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه : (إن هـٰذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أُحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء) .

ثم بعث ابنه عبد الله إلىٰ عائشة رضي الله عنها ، فقال : قل : يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين ؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فجاء ، وسلم ، واستأذن ، فدخل ، فوجدها تبكي ، فقال لها ، فأذنت ، وقالت : كنت أردته لنفسي ، ولأوثرنه اليوم علىٰ نفسي ، فلما أقبل عبد الله من عندها . . قيل لعمر رضي الله عنه : هـٰذا عبد الله ، فقال : ارفعوني ، فأسنده رجل ، فقال : ما لديك ؟ قال : الذي تحب ، قد أذنت ، قال : الحمد لله ، ما كان شيء أهم إلي من ذلك ، فإذا أنا قبضت . . فاحملوني ، ثم سلِّمْ ، فقل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذنت لي . . فأدخلوني ، وإن ردتني . . ردوني إلىٰ مقابر المسلمين .

وأوصاهم أن يقتصدوا في كفنه ، ولا يغالوا ، وغسله ابنه عبد الله ، وحُمل علىٰ سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصُلي عليه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلىٰ بهم عليه صهيب رضي الله عنه ، وكبر أربعاً ، ونزل في قبره ابنه عبد الله ، وعثمان بن عفان ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمـٰن بن عوف ، رضي الله عنهم أجمعين .

وكان طَعْنه رضي الله عنه يوم الأربعاء ، لأربع ليال بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، ودفن يوم الأَحد ، هلال المحرم ، سنة أربع وعشرين من الهجرة .

وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحداً وعشرين يوماً ، وهو ابن ثلاث وستين سنة

على الصحيح المشهور عند الجمهور ، رضي الله عنه وأرضاه .

وسِنُّ أبي بكر ، وسِنُّ عمر ، وعلي ، وعائشة رضي الله عنهم . . ثلاث وستون سنة .

وكان عمر رضي الله عنه أبيض ، تعلوه حمرة ، وإنما صار في لونه سمرة في عام الرمادة ؛ لأنه أكثر من أكل الزيت ، وترك السمن للغلاء الذي وقع بالناس ، فامتنع من أكل اللبن والسمن ؛ حتىٰ لا يتميز على الضعفة .

وقال زر بن حبيش : كان عُمَرُ آدم[1] ، قال الواقدي : لا يُعرف عندنا أن عمر رضي الله عنه كان آدم إلا أن يكون [رآه] عام الرمادة .

وقال ابن عبد البر : عن زر بن حبيش قال : كان عمر آدم شديد الأدمة ، وهو الأكثر عند أهل العلم . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/١٣ـ١٤] .

وقال محمد بن سعد في « الطبقات » : إن أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالىٰ عنه لما أجمع علىٰ أن يستسقي . . بعث إلىٰ عماله أن يخرجوا للاستسقاء يوم كذا وكذا ، وأن يتضرعوا إلىٰ ربهم سبحانه بأن يرفع هـٰذا المَحْل عنهم ، وخرج لذلك اليوم وعليه بُرْدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهىٰ إلى المصلىٰ ، فخطب الناس ، وتضرع إلى الله عز وجل ، وكان أكثر دعائه الاستغفار والاعتذار ، خرج رضي الله عنه متبذلاً متضرعاً ، عليه بُرْدٌ قصير لا يكاد يبلغ ركبتيه ، رافعاً صوته بالاستغفار ، وعيناه تذرفان علىٰ خده ، وعن يمينه العباس بن عبد المطلب زافعاً يديه إلى السماء ، والناس معه متضرعون ، ثم أخذ بيد العباس ، وقال : اللهم ؛ إنا نستشفع بعم رسولك صلى الله عليه وسلم إليك ، والعباس يدعو وعيناه تهملان ، فلم يبرحوا حتىٰ سُقُوا ، فأطبقت السماء عليهم أياماً ، فلما مطروا . . قال للعرب : الحقوا ببلادكم ، وزودهم رضي الله تعالىٰ عنه . انتهىٰ [٣/ ٣٢٠ـ٣٢١] .

وروى الحافظ البيهقي ـ قدس الله روحه ـ بإسناده : عن الأحنف بن قيس قال :

كنا بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ننظر أن يؤذن لنا ، فخرجت جارية ، فقلنا : سُرِّيَّةُ أمير المؤمنين ، فسمعت ، فقالت : ما أنا بسرية أمير المؤمنين ، وما أَحِل له ، وإني لِمن مال الله ، قال : فذُكِرَ ذلك لعمر ، فدخلنا عليه ، فأخبرناه بما قلنا وما قالت ، فقال : (صَدَقَتْ ، ما تحل لي ، وما هي لي بسُرية ، وإنها لمن مال الله عز وجل ، وسأخبركم بما أستحل من هـٰذا المال ، أستحل منه حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما يسعني لِحجِّي

---

(١) آدم : أسمر .

وعمرتي ، وقوْتِي وقوت أهل بيتي ، وسهمي مع المسلمين كسهم رجل لست بأرفعهم ولا أوضعهم) .

زاد في رواية أخرىٰ : (إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم ، إن احتجت . . أخذت منه ، فإذا أيسرت . . رددته ، وإن استغنيت . . استعففت) .

وفي رواية أخرىٰ : عن قتادة ، عن لاحق بن حميد قال : لما بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف إلى الكوفة . . بعث عمار بن ياسر على الصلاة وعلى الجيوش ، وبعث ابن مسعود على القضاء وعلىٰ بيت المال ، وبعث عثمان بن حنيف علىٰ مساحة الأرض ، جعل بينهم كل يوم شاة ، شطرها وسواقطها[(١)] لعمار بن ياسر ، والنصف بين هٰذين ، قال سعيد : ولا أحفظ الطعام ، ثم قال : أنزلتكم وإياي من هٰذا المال كمنزلة والي اليتيم ، من كان غنياً . . فليستعفف ، ومن كان فقيراً . . فليأكل بالمعروف ، وما أرىٰ قرية يؤخذ منها كل يوم شاة . . إلا كان ذلك سريعاً في خرابها .

وفي رواية : عن عامر بن شقيق : أنه سمع أبا وائل يقول : استعملني ابن زياد علىٰ بيت المال ، فأتاني رجل بصكٍّ فيه : أعط صاحب المطبخ ثمان مئة درهم ، فقلت له : مكانك ، ودخلت على ابن زياد ، فحدثته ، فقلت : إن عمر بن الخطاب استعمل عبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال ، وعثمان بن حنيف علىٰ ما سقى الفرات ، وعمار بن ياسر على الصلاة والجند ، ورزقهم كل يوم شاة ، فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار ؛ لأنه كان على الصلاة والجند ، وجعل لعبد الله بن مسعود ربعها ، وجعل لعثمان بن حنيف ربعها ، ثم قال : إن مالاً يؤخذ منه كل يوم شاة إن ذلك فيه لسريع ، قال ابن زياد : ضع المفتاح ، واذهب حيث شئت .

وفي رواية : عن ابن الساعدي قال : استعملني عمر بن الخطاب على الصدقة ، فلما فرغت . . أمر لي بعمالة ، فقلت : إنما عملت لله ، قال : (خذ ما أعطيت ؛ فإني قد عملت علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعَمَّلني)[(٢)] رواه مسلم في « الصحيح » [١٠٤٥] .

زاد في رواية : أن عبد الله بن السعدي[(٣)] أخبره أنه قدم علىٰ عمر بن الخطاب في

---

(١) المقصود هنا : أحشاء الذبيحة كالكرش والمصران .

(٢) أعطاني عُمالة ، وهي : رزق العامل .

(٣) هو ابن الساعدي المذكور آنفاً ، انظر « تهذيب التهذيب » في (عبد الله بن السعدي) .

خلافته ، فقال له عمر : ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالاً ، فإذا أعطيت العمالة . . كرهتها ؟ قال : فقلت : بلىٰ ، قال : فقال عمر رضي الله عنه : فما تريد إلىٰ ذلك ؟ قال : فقلت : إن لي أفراساً وأعبداً ، وأنا بخير ، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين ، فقال عمر : فلا تفعل ؛ فإني قد كنت أردت ذلك ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء ، فأقول : أعطه أفقر إليه مني ، حتىٰ أعطاني مرة مالاً ، فقلت : أعطه أفقر إليه مني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذه ، فتموَّلْه ، أو تصدق به ، وما جاءك من هـٰذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل . . فخذه ، وما لا . . فلا تتبعه نفسك » رواه البخاري في « الصحيح » [١٤٠٤] .

وفي رواية[١] : لما كان عام الرمادة وأجدبت بلاد العرب . . كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ عمرو بن العاصي :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ عمرو بن العاصي ، إنك ـ لعمري ـ ما تبالي إذا سمنت ومَن قِبَلك أن أعجف أنا ومَن قِبَلي ، ويا غوثاه .

فكتب عمرو : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، أما بعد : لبيك لبيك ، أتتك عير أولها عندك وآخرها عندي ، مع أني أرجو أن أجد سبيلاً أن أحمل في البحر .

فلما قدم أول عير . . دعا الزبير ، فقال : اخرج في أول هـٰذه العير ، فاستقبل بها نجداً ، فاحمل إلىٰ أهل كل بيت ما قدرت أن تحملهم إلي ، ومن لم تستطع حمله . . فمر لأهل كل بيت ببعير بما عليه ، ومرهم فليكتسوا كساءين ، ولينحروا البعير ، فيحملوا شحمه ، وليقددوا لحمه ، وليحتذوا جلده ، ثم ليأخذوا كبة من قديد وكبة من شحم وجفنة من دقيق ، فيطبخوا ويأكلوا حتىٰ يأتيهم الله برزق ، فأبى الزبير أن يخرج ، فقال : أمَا والله لا تجد مثلها حتىٰ تخرج من الدنيا ، ثم دعا آخر ـ أظنه طلحة ـ فأبىٰ ، ثم دعا أبا عبيدة بن الجراح ، فخرج في ذلك ، فلما رجع . . بعث إليه بألف دينار ، فقال أبو عبيدة : إني لم أعمل لك يا بن الخطاب ، إنما عملت لله عز وجل ، ولست آخذ في ذلك شيئاً ، فقال عمر رضي الله عنه : قد أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياء بَعَثَنا لها ، فكرهنا ذلك ، فأبىٰ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقبلها أيها الرجل ، فاستعن بها علىٰ دِينك ودنياك ، فقبلها أبو عبيدة .

---

(١) عند الحاكم (١/ ٥٦٣) .

وفي رواية : عن مالك بن مغول ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبيه ، قال : قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن الأرقم : اقسم بيت مال المسلمين في كل شهر مرة ، اقسم مال المسلمين في كل جمعة مرة ، ثم قال : اقسم بيت مال المسلمين في كل يوم مرة ، قال : فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين ؛ لو أبقيت في مال المسلمين بقية تعدها لنائبة[١] أو صوت ؛ يعني : حادثة ، قال : فقال عمر للرجل الذي كلمه : جرى الشيطان علىٰ لسانه ، لقنني الله حجتها ، ووقاني شرها ، أُعِدُّ لها ما أَعَدَّ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي رواية : عن الربيع بن سليمان ، أخبرنا الشافعي ، أنبأنا غير واحد من أهل العلم : أنه لما قدم علىٰ عمر بن الخطاب ما أصيب من العراق . . قال له صاحب بيت المال : أنا أدخله بيت المال ، قال : لا ورب الكعبة ، لا يؤوىٰ تحت سقف بيت حتىٰ أَقسمه ، فأمر به ، فوضع في المسجد ، ووضعت عليه الأنطاع ، وحرسه رجال من المهاجرين والأنصار .

فلما أصبح . . غدا معه العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمـٰن بن عوف ، أخذ بيد أحدهما ، أو أحدهما آخذ بيده ، فلما رأوه . . كشطوا الأنطاع عن الأموال ، فرأىٰ منظراً لم يُر مثله ، رأى الذهب فيه والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلألأ ، فبكىٰ ، فقال له أحدهما : إنه ـ والله ـ ما هو بيوم بكاء ، ولـٰكنه يوم شكر وسرور ، فقال : والله ؛ إني ما ذهبتُ حيث ذهبتَ ، ولـٰكنه ـ والله ـ ما كثر هـٰذا في قوم قط . . إلا وقع بأسهم بينهم ، ثم أقبل على القبلة ، ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم ؛ إني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً ؛ فإني أسمعك تقول ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم قال : أين سراقة ابن جعشم ؟ فأتي به أشعر الذراعين دقيقهما ، فأعطاه سواري كسرىٰ ، فقال : البسهما ، ففعل ، قال : قل : الله أكبر ، فقال : الله أكبر ، قال : قل : الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وأَلبَسَهما سراقة ابن جعشم أعرابياً من بني مدلج ، وجعل يقلب بعض ذلك بِعَصاً ، فقال : إن الذي أدىٰ إليَّ هـٰذا . . لأمين ، فقال له رجل : أنا أخبرك ، أنت أمين الله ، وهم يؤدون إليك ما أديت إلى الله ، فإذا رتعت . . رتعوا ، [قال : صدقت] ، ثم فرقه .

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ : وإنما ألبسهما سراقة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال

---

(١) النائبة : الحادثة ، وأما الصوت : فالمراد صوت استغاثة ، أو نداء حرب واستنفار .

لسراقة ونظر إلىٰ ذراعيه : « كأني بك قد لبست سواري كسرىٰ » ، قال : ولم يجعل له إلا سوارين .

وفي رواية أخرىٰ : فجعلهما في يده ، فبلغا منكبيه ، فلما رآهما في يدي سراقة.. قال : الحمد لله ، سواري كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج ، ثم قال : اللهم ؛ إني قد علمت أن رسولك صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلىٰ عبادك ، وزويت ذلك عنه نظراً منك له وخياراً ، اللهم ؛ إني قد علمت أن أبا بكر رضي الله عنه كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلىٰ عبادك ، فزويت ذلك عنه نظراً منك له وخياراً ، اللهم ؛ إني أعوذ بك أن يكون هـٰذا مكراً منك بعمر ، ثم قال : تلا[1] : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ .

وفي رواية أبي هريرة قال : قدمت علىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عند أبي موسى الأشعري بثمان مئة ألف درهم ، فقال لي : بماذا قدمت ؟ قلت : قدمت بثمان مئة ألف درهم ، قال : ألم أَقُل لك إنك ثمَّان أحمق ؟ إنما قدمت بثمانين ألف درهم ، قلت : بل قدمت بثمان مئة ألف درهم ، قال : ألم أقل لك بثمانين ألف ؟ إنما قدمت بثمانين ألف درهم ، وكم ثمان مئة ألف درهم ؟ فعددت مئة ألف ومئة ألف ، حتىٰ عددت ثمان مئة ألف ، قال : أَطَيِّبٌ ويلك ؟ قال : نعم .

قال : فبات عمر ليلته أرقاً ، حتىٰ إذا نودي بصلاة الصبح.. قالت امرأته : يا أمير المؤمنين ؛ ما نمت الليلة ، قال : كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثله منذ كان الإسلام ؟ فما يؤمِّن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه في حقه ؟! فلما صلى الصبح.. اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : إنه قد جاء الناسَ الليلة ما لم يأتهم مثله منذ كان الإسلام ، وقد رأيت رأياً ، فأشيروا عليَّ ، رأيت أن أكيل للناس بالمكيال ، فقالوا : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، إن الناس يدخلون في الإسلام ، ويكثر المال ، ولـٰكن أعطهم علىٰ كتاب ، فكلما كثر الناس وكثر المال.. أعطيتهم عليه ، قال : فأشيروا عليَّ بمن أبدأ منهم ، قالوا : بك يا أمير المؤمنين ، إنك ولي ذلك ، ومنهم من قال : أمير المؤمنين أعلم ، قال : لا ، ولـٰكن أبدأ برسول الله

---

(١) كذا في بعض النسخ ، وفي بعضها : (ثم قال : بلىٰ) ، والقصة مروية في « تاريخ دمشق » (٧/ ٣٣٨) وفي آخرها : (... اللهم فلا يكن ذلك مكراً بي منك ، ثم تلا : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ... ﴾) .

صلى الله عليه وسلم ، ثم الأقرب فالأقرب إليه ، فوضع الديوان علىٰ ذلك . [انتهىٰ « السنن الكبرىٰ » ٦/٣٥٣_٣٦٤] .

وفي رواية ابن سعد [في « الطبقات » ٣/٢٩٥] : قال : دعا أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالىٰ عنه عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم ـ وكانوا من نسابة قريش ـ فقال : اكتبوا الناس علىٰ منازلهم ، فبدؤوا ببني هاشم ، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر فيه . . قال : وددت ـ والله ـ أنه هٰكذا ، ولٰكن ابدؤوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب ، حتىٰ تضعوا عمر حيث وضعه الله عز وجل .

قال البيهقي ـ [رحمه الله] ـ : قال عبيد الله : بدأ ببني هاشم والمطلب ، فأعطاهم جميعاً ، ثم أعطىٰ بني عبد شمس ، ثم بني نوفل بن عبد مناف ، وإنما بدأ ببني عبد شمس ؛ لأنه كان أخا هاشم لأمه ، قال عبيد الله : فأول من فرق بين بني هاشم والمطلب في الدعوة عبد الملك ، فذكر في ذلك قصة .

وفي رواية أخرىٰ : قال : ابدأ ببني هاشم ، ثم قال : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم وبني المطلب ، فإذا كان السن في الهاشمي . . قدَّمه على المطلبي ، وإذا كانت في المطلبي . . قدَّمه على الهاشمي ، فوضع الديوان علىٰ ذلك ، وأعطاهم عطاء القبيلة الواحدة ، ثم استوت له عبد شمس ونوفل في جذم[1] النسب ، فقال : عبد شمس إخوة النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه دون نوفل ، فقدمهم ، ثم دعا بني نوفل يتلونهم ، ثم استوت له عبد العزىٰ وعبد الدار ، فقال في بني أسد بن عبد العزىٰ : أصهار النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم أنهم من المطيبين ، وقال : بعضهم حلف من الفضول ، وفيهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل : ذكر سابقة فقدَّمهم علىٰ بني عبد الدار يتلونهم ، ثم انفردت له زُهرة ، فدعاها تتلو عبد الدار ، ثم استوت له تيم ومخزوم ، فقال في بني تيم : إنهم من حلف الفضول والمطيبين ، وفيهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : ذكر سابقة .

وقيل : ذكر صهراً فقدَّمهم علىٰ مخزوم ، ثم دعا مخزوماً يتلونهم ، ثم استوت له سهم وجمح وعدي بن كعب ، فقيل له : ابدأ بِعَدِي ، فقال : بل أُقِرُّ نفسي حيث كنت ؛ فإن الإسلام دخل ، وأَمْرُنا وأمر بني سهم واحد ، ولٰكن انظروا بني جمح وسهم ، فقيل : قدم

(١) الجذم : الأصل .

بني جمح ، ثم دعا بني سهم ـ وكان ديوان عدي وسهم مختلطاً كالدعوة الواحدة ـ فلما خلصت إليه دعوته . . كبر تكبيرة عالية ، ثم قال : الحمد لله الذي أوصل إلي حظي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا بني عامر بن لؤي .

قال الشافعي : فقال بعضهم : إن أبا عبيدة بن عبد الله بن الجراح الفهري لما رأىٰ من يتقدم عليه . . قال : أَكُلٌّ هـٰؤلاء يدعون أمامي ؟ فقال : يا أبا عبيدة ؛ اصبر كما صبرت ، أو كلم قومك ، فمن قدمك منهم علىٰ نفسه . . لم أمنعه ، فأما أنا وبنو عدي . . فنقدمك ـ إن أحببت ـ علىٰ أنفسنا ، قال : فقدَّم معاوية بعد بني الحارث بن فهر ، فصل بهم بين بني عبد مناف وأسد بن عبد العزىٰ ، وشجر بين بني سهم وعدي شيء في زمان المهدي ، فافترقوا ، فأمر المهدي ببني عدي ، فقُدِّموا علىٰ سهم وجمح ؛ للسابقة فيهم . [انتهىٰ « السنن الكبرىٰ » ٦/ ٣٦٤_٣٦٥] .

وروى الحافظ البيهقي ـ قدس الله روحه ـ بإسناده : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه قال يوم الجابية وهو يخطب الناس : إن الله جعلني خازناً لهـٰذا المال ، وقاسماً له ، ثم قال : بل الله يقسمه ، وأنا باد بأهل النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أشرَفِهم ، ففرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا جويرية وصفية وميمونة رضي الله عنهن .

وقالت عائشة رضي الله عنها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا ، فعدل بينهن عمر ، ثم قال : إني باد بي وبأصحابي المهاجرين الأولين ؛ فإنا أُخرجنا من ديارنا ظلماً وعدواناً ، ثم أشرفهم ، ففرض لأصحاب بدر منهم خمسة آلاف ، ولمن شهد بدراً من الأنصار أربعة آلاف ، وفرض لمن شهد الحديبية ثلاثة آلاف ، وقال : من أسرع في الهجرة . . أسرع به العطاء ، ومن أبطأ في الهجرة . . أبطأ به العطاء ، فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته .

زاد في رواية أخرىٰ : عن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه قدم علىٰ عمر رضي الله عنه من البحرين مال ، فصليت معه العشاء ، فلما رآني . . سلمت عليه ، فقال : ما قدمت به ؟ فقلت : قدمت بخمس مئة ألف ، قال : تدري ما تقول ؟ قال : فقلت : قدمت بخمس مئة ألف ، قال : إنك ناعس ، ارجع إلىٰ بيتك فنم ، ثم اغد عليَّ ، قال : فغدوت عليه ، فقال : ما جئت به ؟ قلت : خمس مئة ألف ، قال : طيب ؟ قلت : نعم ؛ لا أعلم إلا ذاك ، قال : فقال للناس : إنه قد قدم عليَّ مال كثير ، فإن شئتم أن نعده لكم عداً ، وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ؛ إني رأيت هـٰؤلاء الأعاجم يدونون

ديواناً يعطون الناس عليه ، قال : فدوَّنَ الدواوين ، وفرض للمهاجرين في خمسة آلاف خمسة آلاف ، وللأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف ، وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألف اثني عشر ألفاً .

وفي رواية أخرىٰ : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . جاء مال من البحرين ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : من كان له علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء أو عِدَة . . فليقم ، فليأخذ ، فقام جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن جاءني مال من البحرين . . لأعطينك هٰكذا وهٰكذا » ، ثلاث مرات ، وحثا بيده ، فقال له أبو بكر : قم فخذ بيدك ، فأخذ ، فإذا هن خمس مئة ، فقال : عدُّوا له ألفاً ، وقسم بين الناس عشرة دراهم عشرة دراهم ، وقال : إنما هٰذه مواعيد وعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس .

حتىٰ إذا كان عام مقبل . . جاء مال أكثر من ذلك المال ، فقسم بين الناس عشرين درهماً عشرين درهماً ، وفضلت منه فضلة ، فقسم للخدم خمسة دراهم خمسة دراهم ، وقال : إن لكم خدماً يخدمونكم ويعالجون لكم ، فرضخنا لهم[1] ، فقالوا : لو فضلت المهاجرين والأنصار ؛ لِسابقتهم ولمكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أجر أولـٰئك على الله ، إن هٰذا المعاش : الأسوة فيه خير من الأثرة ، فعمل بهٰذا ولايته ، حتىٰ إذا كان سنة ـ أراه ـ ثلاث عشرة في جمادى الآخرة من ليال بقين منه . . مات رضي الله عنه ، فوُلِّي عمر بن الخطاب ، ففتح الفتوح ، وجاءته الأموال ، فقال : إن أبا بكر رضي الله عنه رأىٰ في هٰذا المال رأياً ، ولي فيه رأي آخر ، لا أجعل مَن قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ، ففرض للمهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً خمسة آلاف خمسة آلاف ، وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر ولم يشهد بدراً أربعة آلاف أربعة آلاف ، وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفاً اثني عشر ألفاً ، إلا صفية وجويرية فرض لهما ستة آلاف ، فأبتا أن تقبلا ، فقال لهما : إنما فرضت لهن للهجرة ، فقالتا : إنما فرضت لهن لمكانهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرض لهما اثني عشر ألفاً اثني عشر ألفاً ، وفرض للعباس رضي الله عنه اثني عشر ألفاً ، وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف ، وفرض لعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف ، فقال : يا أبت ؛ لِمَ زدته عليَّ ألفاً ؟ ما كان لأبيه من الفضل

---

(١) رضخ : أعطاه عطاءً قليلاً ، والرَّضخُ : العطية القليلة .

ما لم يكن لأبي ، وما كان له ما لم يكن لي ، فقال : إن أبا أسامة كان أحب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ، وكان أسامة أحب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم منك .

وفرض للحسن والحسين رضي الله عنهما خمسة آلاف [خمسة آلاف] ، ألحقهما بأبيهما ؛ لمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار ألفين ألفين ، فمر به عمر ابن أبي سلمة ، فقال : زيدوه ألفاً ، فقال محمد بن عبد الله بن جحش : ما كان لأبيه ما لم يكن لآبائنا ، وما كان له ما لم يكن لنا ، قال : إني فرضت له بأبيه أبي سلمة ألفين ، وزدته بأمه أم سلمة ألفاً ، فإن كانت لك أُمٌّ مثل أمِّه . . زدتك ألفاً .

وفرض لأهل مكة والناس ثمان مئة ، فجاءه طلحة بن عبيد الله بأخيه عثمان ، ففرض له ثمان مئة ، فمر به النضر بن أنس رضي الله عنه ، فقال عمر : افرضوا له ألفين ، فقال له طلحة : جئتك بمثله ففرضت له ثمان مئة ، وفرضت لهـٰذا ألفين ؟! فقال : إن أبا هـٰذا لقيني يوم أحد ، فقال لي : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : ما أراه إلا قد قتل ، فسلَّ سيفه ، وكسر غمده ، فقال : إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . . فإن الله حي لا يموت ، فقاتل حتىٰ قتل ، وهـٰذا يرعى الشاء في مكان كذا وكذا .

زاد في رواية أخرىٰ : إنَّ من لم يشهد بدراً من أبناء المهاجرين علىٰ أربعة آلاف ، وكان منهم عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأسامة بن زيد ، ومحمد بن عبد الله بن جحش الأسدي ، وعبد الله بن عمر ، فقال عبد الرحمـٰن بن عوف : إن ابن عمر ليس من هـٰؤلاء ، وإنه ، وإنه ، فقال ابن عمر : إن كان لي حق فأعطنيه ، وإلا . . فلا تعطني ، فقال عمر لابن عوف : اكتبه علىٰ خمسة آلاف ، واكتبني علىٰ أربعة آلاف ، فقال عبد الله : لا أريد هـٰذا ، فقال عمر : والله ؛ لا أجتمع أنا وأنت علىٰ خمسة آلاف . وكذلك رواه عفان عن حماد بن سلمة . [« السنن الكبرىٰ » ٦/٣٤٩ـ٣٥١] .

وروى الحافظ البيهقي ـ قدس الله روحه ـ أيضاً بإسناده قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله لما أراد هدي زيد بن سعنة . . قال زيد : ما من علامات النبوة شيء . . إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه ، إلا اثنتان لم أَخبرهما منه ، يسبق حلمُه جهلَه ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فذكر الحديث في مبايعته ، قال زيد بن سعنة : فلما كان قبل محلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة . . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه ، فلما صلىٰ على الجنازة ودنا من جدار ليجلس إليه . . أتيته ، فنظرت إليه بوجه غليظ ، ثم أخذت بمجامع

قميصه وردائه ، فقلت : اقضني يا محمد حقي ، فوالله ؛ ما علمتكم بني عبد المطلب لمُطَّالٌ ، لقد كان لي بمخالطتكم علم ، فنظرت إلىٰ عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ، ثم رماني ببصره ، فقال : يا يهودي ؛ أتفعل هـٰذا برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالذي بعثه بالحق ؛ لولا ما أحاذر فوته.. لضربت بسيفي رأسك ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلىٰ عمر في سكون وتؤدة وتبسُّم ، ثم قال : يا عمر ؛ أنا وهو كنا إلىٰ غير هـٰذا منك أحوج ، أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعة ، اذهب يا عمر ، فاقضه حقه ، وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما رعتَهُ... وذكر الحديث في إسلامه . انتهىٰ [« السنن الكبرىٰ » ٦/٥٢] .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : روي عن عمر رضي الله عنه : أنه قالت له ابنته حفصة حين فتح الفتوحات : البِس ألين الثياب إذا قدمَتْ عليك الوفود من الآفاق ، ومُرْ بصنيعة طعام تَطعم وتُطعَمُ لمن حضر ، فقال : يا حفصة ؛ ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ فقالت : نعم ، قال : ناشدتك الله ؛ هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة.. إلا جاعوا عشية ، ولم يشبعوا عشية.. إلا جاعوا غدوة ؟ وناشدتك الله ؛ هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو ولا أهله حتىٰ فتح الله عز وجل عليهم خيبر ؟ وناشدتك الله ؛ هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّمتم إليه يوماً طعاماً علىٰ مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتىٰ تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة ، فرفعت ، ووضع الطعام علىٰ دون ذلك ، أو وضع على الأرض ؟ وناشدتكِ الله ؛ هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام علىٰ عباءة مثنية ، فطويتموها ليلة ، فنام عليها ، فلما استيقظ.. قال : « منعتموني قيامي الليلة بهـٰذه العباءة ، أعيدوها كما كانت » ، وناشدتك الله ؛ هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتُغسل ، فيأتيه بلال ، فيؤذِنه بالصلاة ، فما يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتىٰ يلبس ثياب النساء فيخرج فيها إلى الصلاة ؟ وناشدتك الله ؛ هل تعلمين أن امرأة من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين إزاراً ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر ، فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره ، وقد عقد طرفيه إلىٰ عنقه صلى الله عليه وسلم ؟ فما زال يذكِّرها حتىٰ أبكاها ، وبكىٰ عمر وانتحب ، حتىٰ ظننا أن نفسه ستخرج ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الإحياء » ٤/٢٢١ـ٢٢٢] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : لما كان يوم أحد.. جاء أبو سفيان بن حرب فقال : أفيكم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجيبوه » ، ثم قال : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه ، ثم قال الثالثة : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه ، فقال : أفيكم ابن أبي قحافة ؟ فلم يجيبوه ـ قالها ثلاثاً ـ ثم قال : أفيكم ابن الخطاب ؟ ـ قالها ثلاثاً ـ فلم يجيبوه ، فقال : أمَّا هٰؤلاء.. فقد كفيتموهم ، فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، ها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وأنا أحياء ، ولك منا يوم سوء ، فقال : يوم بيوم بدر ، والحرب سِجَال ، ثم قال أبو سفيان : أُعْلُ هبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أجيبوه » ، قالوا : يا رسول الله ؛ وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلىٰ وأجل » ، قال : لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أجيبوه » ، فقالوا : يا رسول الله ؛ ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ولا مولىٰ لكم » انتهىٰ [« الحلية » ١/٣٨ـ٣٩] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : هٰذا الحديث انفرد بإخراجه البخاري [٢٨٧٤] .

وروي عن عكرمة : أن أبا سفيان بن حرب لما قال : اعل هبل.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : « قل : الله أعلىٰ وأجل » ، فقال أبو سفيان : لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : الله مولانا ولا مولىٰ لكم » .

واعلم : أن السر في أمر النبي صلى الله عليه وسلم أميرَ المؤمنين عمر أن يخاطب أبا سفيان دون غيره من الصحابة رضوان الله عليهم وجوه : منها : أن عمر رضي الله عنه هو الذي ابتدأ بالرد علىٰ أبي سفيان ، فلما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم غليان قلب عمر وتغيظه على المشركين.. أحب أن يتمم شفاء صدره بتوليته الجواب . انتهىٰ .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ بإسناده قال : قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ؛ لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً أطيب من طعامك ، فقد وسع الله عليك من الرزق ، وأكثر من الخير ، فقال لها : إني سأخصمك[1] إلىٰ نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقىٰ من شدة

---

(١) كذا في نسخة ، وفي أخرىٰ : (إني أخصمك) .

العيش ؟ فما زال يذكِّرها حتىٰ أبكاها ، ثم قال لها : أمَا والله لئن استطعت . . لأشاركنهما بمثل عيشهما الشديد ، لَعَلِّي أُدرِكُ معهما عيشهما الرخي . وقد تقدم الحديث بطوله .

قال : وكان رضي الله عنه في وجهه خطان أسودان من البكاء .

وكان يمر بالآية في ورده ، فتخنقه العَبْرة ، فيبكي حتىٰ يسقط ، ثم يلزم بيته حتىٰ يُعاد ، يحسبونه مريضاً .

وكان يُسمع حنينه في الصلاة من وراء ثلاثة صفوف ، وقال : (ليتني كنت كبش أهلي ، سمَّنُوني ما بدا لهم ، ثم ذبحوني ، فأكلوني ، وأخرجوني عَذِرَةً ، ولم أك بشراً) .

وقال سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه : (كان رأس عمر علىٰ فخذي في مرض موته ، فقال لي : ضع رأسي على الأرض ، فقلت : وما عليك إن كان علىٰ فخذي أم على الأرض ؟ فقال : ضعه على الأرض ، فوضعته ، فقال : ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي) .

ولما طُعن . . قال : (والله ؛ لو أن لي طلاع الأرض[1] ذهباً . . لافتديت به من عذاب الله من قبل أن أراه) .

وخطب بالناس وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لما طعن عمر . . دخلت عليه ، فقلت : أبشر يا أمير المؤمنين ، فإن الله قد مصَّرَ بك الأمصار ، ودفع بك النفاق ، وأفشىٰ بك من الرزق ، فقال : أفي الإمارة تثني عليَّ يابن عباس ؟! فقلت : وفي غيرها ، فقال : والذي نفسي بيده ؛ لوددت أني خرجت منها كما دخلت ، لا أجر ولا وزر .

وقال حماد بن زيد ـ رحمه الله ـ : حدثنا أيوب ، عن أنس بن أبي مليكة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما طعن عمر . . كنت قريباً منه ، فمسست بعض جسده ـ أو قال : جلده ـ وقلت : هنيئاً لك ، جلد لا تمسه النار ، قال : فنظر إلي نظرة جعلت أرثي له منها ، ثم قال : وما علمك بذلك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ صحبتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ، ففارقك وهو عنك راض ، ثم صحبت المسلمين فأحسنت صحبتهم ، فإن فارقتهم . . فهم عنك راضون ، فقال : أمَّا ما ذكرت من صحبتي لرسول الله

---

(١) طلاع الأرض : أي : ملؤها .

صلى الله عليه وسلم . . فإنما كان ذلك مناً مِن الله عز وجل مَنَّ به عليَّ ، وأما الذي ترىٰ لي من صحبتكم : فلو أن لي ما في الأرض من شيء . . لافتديت به من عذاب الله عز وجل من قبل أن أراه .

وروي : أن عمر رضي الله عنه كوم كومة من بطحاء ، وألقىٰ عليها طرف ثوبه ، ثم استلقىٰ عليها ، ورفع يديه إلى السماء ، ثم قال : (اللهم ؛ كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كنا نتحدث أن ملَكاً ينطق علىٰ لسان عمر ، وكان يقول في دعائه : (اللهم ؛ اعصمنا بحبلك ، وثبتنا علىٰ أمرك) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : ما كان شيء أحبَّ إلي أن أعلمه من أمر عمر ، فرأيت في المنام قصراً ، فقلت : لمَن هٰذا ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب ، فخرج من القصر عليه ملحفة كأنه قد اغتسل ، فقلت : كيف صنعت ؟ فقال : خيراً ، كاد عرشي يهوي لولا أني لقِيت ربّاً غفوراً ، فقال : منذ كم فارقتكم ؟ فقلت : منذ ثنتي عشرة سنة ، فقال : إنما انفلتُّ الآن من الحساب .

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : كنت جاراً لعمر بن الخطاب ، فما رأيت أحداً من الناس كان أجدَّ وأفضل من عمر ، إن ليله صلاة ، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس ، فلما توفي . . سألت الله عز وجل أن يُرِينيهِ في النوم ، فرأيته في النوم مقبلاً متشحاً من سوق المدينة ، فسلمت عليه وسلم عليَّ ، فقلت له : كيف أنت ؟ قال : بخير ، فقلت له : ما وجدت ؟ قال : الآن حين فرغت من الحساب ، ولقد كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت رباً رحيماً .

وقال عبد الله بن عمر : لبس أبي ثوباً جديداً ، ثم دعا بشفرة ، فقال : مُدَّ يا بني كُمَّ قميصي ، وألزق يديك بأطراف أصابعي ، ثم اقطع ما فضل ، قال : فقطعت من الكمين ، فصار فم الكم بعضه فوق بعض ، فقلت : يا أبت ؛ لو سويته بالمقص ، فقال : دعه يا بني ؛ هٰكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، فما زال حتىٰ تقطع ، وكان ربما رأيت الخيوط تساقط علىٰ قدميه .

وقدم عليه مال من العراق ، فقسمه ، فقام إليه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو أبقيت من هٰذا المال لعدوٍّ إن حضر ، أو نازلة أو نائبة إن نزلت ، فقال عمر : قاتلك الله!

نطق بها علىٰ لسانك شيطان ، لَقَّاني الله حجتها ، والله ؛ لا أعصين الله اليوم لغد ، ولٰكن أُعِدُّ لهم كما أَعَدَّ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام . . عرضت له مخاضة[1] ، فنزل عن بعيره ، ونزع خفيه ، وأمسكهما بيده ، وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ؛ لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، فصك في صدره ، وقال : أَوَّه ؛ لَو غيرُك يقول هٰذا يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس ، فأعزكم الله برسوله صلى الله عليه وسلم ، فمهما تطلبوا العز بغيره . . يذلكم الله سبحانه وتعالىٰ .

ولما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام . . استقبله الناس وهو علىٰ بعيره ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ لو ركبت بِرذَوناً يلقاك عظماء الناس ووجوههم ، فقال عمر : لا أراكم هٰهنا ، إنما الأمر من هٰهنا ـ وأشار بيده إلى السماء ـ خلوا سبيل جملي .

ودخل علىٰ مزبلة ، فاحتبس عندها ، فكأن أصحابه تأذوا بها ، فلما خرج . . قال : هٰذه دنياكم التي تحرصون عليها .

وقال : (نظرت في هٰذا الأمر : إذا أردت الدنيا . . أضر بالآخرة ، وإذا أردت الآخرة . . أضر بالدنيا ، فإذا كان الأمر هٰكذا . . فأَضِرُّوا بالفانية ، واعملوا للباقية) انتهىٰ [« الحلية » ١/٤٢ـ٥٥] .

وقال ابن سعد : كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعم بعطائه سائر المؤمنين .

وقدم خالد بن عُرفُطة العذري علىٰ أمير المؤمنين ، فسأله عما وراءه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ تركت مَن ورائي يسألون الله عز وجل أن يزيد في عمرك من أعمارهم ، ما وطىء أحد القادسية . . إلا عطاؤه ألفان أو ألفٌ وخمس مئة ، وكل مولود ست مئة أو خمس مئة ، فقال عمر : الله المستعان ، إنما هو حقهم ، وأنا أسعد بأدائه إليهم منهم بأخذه ، فلا يحمدوني عليه ؛ فإنه لو كان من مال الخطاب . . ما أعطيتهم .

ثم قال : (إن نصيحتي لك وأنت عندي جالس كنصيحتي لمن هو بأقصىٰ بِرْكِ الغِماد[2] ، وذلك لما طوقني الله عز وجل من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) **المخاضة** : الموضع من الماء يجوز الناس فيه مشاة وركباناً .

(٢) **بِرْكِ الغِماد** : اسم موضع باليمن ، وقيل : هو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر .

وفرض للناس حتىٰ لم يدع أحداً . . إلا فرض له ، فبقيَتْ بقية لا عشائر لهم ولا موالي ، ففرض لهم ما بين المئتين وخمسين إلى الثلاث مئة ، وقال : (والله ؛ لأزيدن للناس ما زاد المال ، فإن أعياني كثرته . . لأحثون لهم حثْواً بغير حساب ، هو مالهم يأخذونه) .

وكان يقول : (أيما عامل لي ظلم أحداً فبلغتني مظلمته ، فلم أغيرها . . فأنا ظلمته) .

وكان يحمي البقيع لخيل المسلمين ، وكان يحمي الربذة ، والسرف لإبل الصدقة ، ويحمل علىٰ ثلاثين ألف بعير في سبيل الله كل سنة .

ولما ولي الخلافة . . استشارهم ، فقال : قد شغلت نفسي في هٰذا الأمر ، فما يصلح لي منه ؟ فقال عثمان بن عفان : كُلْ وأطعم ، وكذا قال سعيد بن زيد ، وغيره ، فقال لعَلِيٍّ : يا أبا الحسن ؛ ما تقول أنت في ذلك ؟ فقال : غداء وعشاء ، فأخذ بقول عليٍّ رضي الله عنهما .

وكان يقوت نفسه وأهله ، ويكتسي الحلة في الصيف ولربما خرق الإزار فيرقعه ، فلا يبدل مكانه حتىٰ يأتي المال ، وكان ما من عام يكثر فيه المال . . إلا كانت كسوته أدنىٰ من العام الذي قبله ، فكلمتْهُ حفصة في ذلك ، فقال : (إنما أكتسي من مال المسلمين ، وهٰذا يبلِّغني) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ركب أمير المؤمنين عمر فرساً ، فانكشف ثوبه عن فخذه ، فرأىٰ أهل نجران بفخذه شامة سوداء ، فقالوا : هٰذا الذي نَجِدُ في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا . انتهىٰ [« الطبقات » ٣/٢٩٨ـ٣٢٦] .

وقال أبو الفرج : وكتب رضي الله عنه إلىٰ أبي موسى الأشعري :

أما بعد : فإن أسعد الرعاة . . من سعدت به رعيته ، وأشقاهم عند الله عز وجل . . من شقيت به رعيته ، وإياك أن ترتع فترتع[1] عمالك ، فيكون مَثَلُك عند ذلك مَثَلَ البهيمة ، نظرتْ إلىٰ خضرة الأرض ، فرعت فيها تبتغي بذلك السمن ، وإنما حتفها في سمنها . والسلام عليك .

وقال : (لو ماتت شاة علىٰ شط الفرات ضائعة . . لظننت أن الله سبحانه وتعالىٰ سائلي عنها يوم القيامة) .

---

(١) في « تاريخ عمر بن الخطاب » : (تزيغ فتزيغ عمالك) .

وقال عمر رضي الله عنه : (لو نادىٰ مناد من السماء : يا أيها الناس ؛ إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً . . لخفت أن أكون أنا هو ، ولو نادىٰ مناد : أيها الناس ؛ إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً . . لرجوت أن أكون أنا هو) انتهىٰ [« تاريخ عمر بن الخطاب » ١٥١] .

وقال أبو الفرج : أسلم عمر رضي الله عنه وهو ابن ست وعشرين سنة ، بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة .

ونزل جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد ؛ استبشرَ أهل السماء بإسلام عمر .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر .

وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ للمسلمين ، وأول من جمع القرآن في المصحف ، وأول من جمع الناس علىٰ قيام رمضان ، وأول من عَسَّ[1] في عمله بالمدينة ، وحمل الدِّرة ، وأَدَّب بها ، وفتح الفتوح ، ووضع الخراج ، ومصَّر الأمصار ، واستقضى القضاة ، ودوَّن الدواوين ، وفرض الأعطية ، وحج بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حجة حجها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة »[2] .

استقبل بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر رضي الله عنه ، وكان أول كلام تكلم به : (اللهم ؛ إني شديد فليِّنِّي ، وإني ضعيف فقوِّني ، وإني بخيل فسخِّنِي) .

وكان للعباس رضي الله عنه ميزاب علىٰ طريق عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة ، فلما وافى الميزاب . . أصاب عمرَ من الميزاب ماءٌ فيه صفرة دم ، فأمر عمر بقلعه ، ثم رجع عمر ، فطرح ثيابه ، ولبس غيرها ، وصلىٰ بالناس ، فأتاه العباس ، فقال : والله ؛ إنه للموضع الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر للعباس : وأنا أعزم عليك لما صعدت علىٰ ظهري حتىٰ تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ذلك العباس .

وأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبنة من الأرض وقال : (ليتني كنت هٰذه التبنة ، ليتني لم أُخْلَق ، ليت أمي لم تلدني ، ليتني لم أكُ شيئاً ، ليتني كنت نسياً منسياً) .

---

(١) تفقَّد رعيته ليلاً .

(٢) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (١/٤٢٨) .

وسرد الصوم في آخر عمره .

وقال سعيد بن المسيب : كان عمر رضي الله عنه يحب الصلاة في كبد الليل ، يعني : وسطه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١١٣ـ١١٨] .

وروىٰ أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا رحمه الله بسنده قال :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزيَّنوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ـ وبيني وبينه جدار حائط ، وهو في جوف الحائط ـ : (عمر بن الخطاب أمير المؤمنين! بخٍ بخٍ! والله ؛ لتتقيَنَّ الله ـ بُنَيَّ الخطاب ـ أو ليعذبنك) .

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ بعض عماله ، فكان في آخر كتابه : أن حاسب نفسكِ في الرخاء قبل حساب الشدة ؛ فإنه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة . . عاد مرجعه إلى الرضىٰ والغبطة ، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه . . عاد أمره إلى الندامة والحسرة ، فتذكرْ ما توعَظُ به لكيما تنتهي عما تنهىٰ عنه ، فتكون عند التذكرة والموعظة من أولي النهىٰ .

وقال في « الاكتفاء » : كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (ليت شعري ، متىٰ أشفي غيظي ؟ أحين أقدر ، فيقال : لو عفوت ؟ أم حين أعجل ، فيقال : لو صبرت ؟) .

وقال في خطبته : (إنما الدنيا أمل محتوم ، وأجل منتقَص ، وبلاغ إلىٰ دارٍ غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعويج ، فرحم الله امرأً فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه) .

وقال : (دلوني علىٰ رجل أستعمله علىٰ أمر قد أهمني ، فقالوا : كيف تريده ؟ فقال : إذا كان في القوم وليس أميرهم . . كان كأنه أميرهم ، وإذا كان أميرهم . . كان كأنه رجل منهم) .

وروي : أنه كان يحمل جراب الدقيق علىٰ ظهره للأرامل والأيتام ، فقال له بعضهم : دعني أحمله عنك يا أمير المؤمنين ، فقال : (ومن يحمل عني ذنوبي ؟) .

ودخل عليه عدي بن حاتم رضي الله عنه ، فسلم عليه وهو مشغول عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا عدي بن حاتم ، فقال : ما أعرَفَني بك! أنت الذي أقبلت إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وعرفت إذ أنكروا ، وأقررت إذ نفروا ، وأسلمت إذ كفروا ، فقال عدي : حسبي يا أمير المؤمنين .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : شهدت جلولاء[1] ، فابتعت من الغنم بأربعين ألف درهم ، فلما قدمت علىٰ أمير المؤمنين . . فقال : أرأيت لو عرضتُ على النار ؛ فقيل لك : افتد أباك ، أكنت فاعلاً ؟ قال : قلت : إي والله ، ما من شيء يؤذيك . . إلا وكنت مفتديك منه بنفسي ، فقال : كأني أشاهد الناس حين تبايعوا ، فقالوا : عبد الله بن عمر ابن أمير المؤمنين ، وأحب الناس إليه ـ وأنت كذلك ـ فأرخصوا عليك ، وإني قاسم ومسؤولٌ ، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش ، لكل درهم درهماً ، قال : ثم دعا التجار ، فابتاعوها منه بأربع مئة ألف درهم ، فدفع إليَّ ثمانين ألف درهم ، وبعث بالباقي إلىٰ سعد بن أبي وقاص أمير الجيش ليقسمه بين المسلمين . والله أعلم [انتهىٰ] .

وقال ابن سعد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : وعن سعيد بن المسيب ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه كان يقول : (إن الناس لا زالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم) [انتهىٰ « الطبقات » ٣/ ٢٩٢] .

وروى الحافظ البيهقي في (باب مصرف أربعة أخماس الفيء في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها كانت له خاصة دون المسلمين ، يضعها حيث أراه الله عز وجل) :

وعن مالك بن أوس بن الحدثان قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه والعباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما يختصمان إليه في أموال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله علىٰ رسوله مما لم يوجِف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصاً دون المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق منها علىٰ أهله نفقة سنة ، فما فَضَل . . جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله ، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوَلِيَها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمثل ما وَلِيَها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وَلِيْتُها بمثل

---

(١) جلولاء : وقعة للمسلمين على الفرس سنة (١٧هـ) ، بلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف ، وقتل فيها من الفرس مئة ألف .

ما وَلِيَها به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم سألتماني أن أولِّيَكماها فولَّيْتُكماها علىٰ أن تعملا فيها بمثل ما وَلِيَها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر رضي الله عنه ، فجئتماني تختصمان ؟ أتريدان أن أدفع إلىٰ كل واحد منكما نصفاً ؟ أتريدان مني قضاء ؟ أتريدان غير ما قضيت به بينكما أولاً ؟ فلا والذي بإذنه تقوم السماوات والأرض ؛ لا أقضي بينكما قضاء غير ذلك ، فإن عجزتما عنها . . فادفعاها إلي أكفيكُماها .

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ : فقال لي سفيان : لم أسمعه من الزهري ، ولـٰكن أخبرنيه عمرو بن دينار عن الزهري ، قلت : كما قصصت ؟ قال : نعم . أخرجه البخاري [٢٩٢٧] ومسلم في « الصحيح » [١٧٥٧] من حديث ابن عيينة مختصَراً .

قال الشافعي : ومعنىٰ قول عمر رضي الله عنه : (لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة) : يريد ما كان للموجفين ، وذلك أربعة أخماسه .

وفي رواية أخرىٰ : عن مالك بن أوس : أن عمر رضي الله عنه قال فيما يحتج به : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة صفايا : بنو النضير ، وخيبر ، وفَدَكٌ ، فأما بنو النضير . . فكانت حبساً لنوائبه ، وأما فَدَكٌ . . فكانت لابن السبيل ، وأما خيبر . . فجزأها ثلاثة أجزاء ، فقسم منها جزءين بين المسلمين ، وحبس جزءاً لنفسه ونفقة أهله ، فما فضل عن نفقة أهله . . رده علىٰ فقراء المهاجرين .

وفي رواية أخرىٰ : أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح أهل فَدَكٍ وقُرىٰ قد سماها ـ قال الزهري : لا أحفظها ـ وهو محاصر قوماً آخرين ، فأرسلوا إليه بالصلح ، وكانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصاً ، لم يفتحها عنوة ، افتتحوها علىٰ صلح ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾ ، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً ، إلا رجلين كانت بهما حاجة : سهل بن حنيف ، وابن عبد المنذر ـ يعني : أبا لبابة ـ وأعطىٰ أبا بكر ، وأعطىٰ عمر بن الخطاب بئر حزم ، وأعطىٰ صهيباً ، وأعطىٰ سهل بن حنيف ، وأبا دجانة ما للآخرين ، وأعطىٰ عبد الرحمـٰن البئر ، وهو الذي يقال له : مال سليمان ، وأعطى الزبير البئر . انتهىٰ [« السنن الكبرىٰ » ٦/٢٩٦ـ٢٩٧] .

ثم روى الحافظ بعد ذلك في (باب بيان مصرف أربعة أخماس الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) : وأنها تجعل حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل فضول غلات تلك الأموال ، مما فيه صلاح الإسلام وأهله ، وأنها لم تكن موروثة) .

وعنه : بإسناده عن محمد بن شهاب الزهري : أن مالك بن أوس بن الحدثان حدثه قال : أرسل إليَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجئته حين تعالى النهار ، قال : فوجدته في بيته جالساً علىٰ سرير مفضياً إلىٰ رماله ، متكئاً علىٰ وسادة من أدم ، فقال لي : يا مالك ؛ إنه قد دف أهل أبيات من قومك[1] ، وقد أمرت فيهم برضخ فخُذه ، فاقسمه بينهم ، فقلت : لو أمرت بهٰذا غيري ، قال : خذه يا مالِ ، قال : فجاء يرفأ[2] فقال : هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمـٰن بن عوف والزبير وسعد ؟ قال عمر : نعم ، فأذن لهم ، فدخلوا ، ثم جاء ، فقال : هل لك في عباس وعلي ؟ قال : نعم ، فأذن لهما ، قال عباس : يا أمير المؤمنين ؛ اقض بيني وبين هٰذا ، فقال بعض القوم : أجل يا أمير المؤمنين ، فاقض بينهما ، قال مالك بن أوس : فخُيِّل إلي أنهم كانوا قدموهم لذلك ، قال عمر : أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض ؛ أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورَثُ ، وإن ما تركنا صدقةٌ » ؟[3] قالوا : نعم ، ثم أقبل على العباس وعلي رضي الله عنهما ، فقال : أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ؛ أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورَثُ ، وإن ما تركنا صدقةٌ » ؟ قالا : نعم ، قال عمر رضي الله عنه : فإن الله تبارك وتعالىٰ كان خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخص بها أحداً غيره ؛ قال : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ ، ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها ، أم لا ؟

قال : فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم النضير ، فوالله ؛ ما استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتىٰ بقي هٰذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنته ، ثم يجعل ما بقي أسوة المال ، ثم قال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ؛ أتعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم ، ثم نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد به القوم ، أتعلمان ذلك ؟ قالا : نعم ، قال : فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قال أبو بكر : أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئتما تطلب ميراثك [من ابن أخيك] ، ويطلب هٰذا ميراث امرأته [من أبيها] ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نورَثُ ، ما تركنا صدقة » ، ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه ، فقلت : أنا

(١) دفت علينا دافة : أي أتت علينا جماعة من بلد إلىٰ بلد ، يسيرون سيراً علىٰ مُهل .
(٢) يرفأ : هو حاجب سيدنا عمر .
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٢٧) .

ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي أبي بكر ، فوُلِّيتُها ، ثم جئتماني جميعاً ـ وأمْرُكما واحد ـ فقلتما : ادفعها إلينا ، فقلت : إن شئتما . . دفعتها إليكما ، علىٰ أن عليكما عهد الله أن تعملا فيه بالذي كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتماها بذلك ، فقال : أكذلك ؟ قالا : نعم ، ثم جئتماني لأقضي بينكما ، ولا والله ؛ لا أقضي بينكما بغير ذلك حتىٰ تقوم الساعة ، فإن عجزتما عنها . . فرُدَّاها إلي .

زاد في رواية أخرىٰ : أن عمر رضي الله عنه قال : وُلِّيتُها بعد أبي بكر سنتين من إمارتي ، ثم بدا لي أن أدفعها إليكم ، فأخذت عليكما عهد الله وميثاقه أن تعملا فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بعده ، فقلتما : ادفعها إلينا علىٰ ذلك ، إن كنتما عجزتما عنها . . فادفعاها إلي ، قال : فغلبه عليٌّ رضي الله عنه عليها ، فكانت بيد عليٍّ ، ثم بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد علي بن الحسين ، ثم بيد حسن بن حسن ، ثم بيد زيد بن حسن .

قال معمر : ثم كانت بيد عبد الله بن حسن حتىٰ ولي ـ يعني : بني العباس ـ فقبضوها . رواه مسلم في « الصحيح » [١٧٥٧] .

زاد في رواية أخرىٰ : قال مالك بن أوس بن الحدثان النصري : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه بعدما ارتفع النهار ، قال : فدخلت عليه ؛ فإذا هو جالس علىٰ رمال سرير ليس بينه وبين الرمال فراش .

زاد في رواية أخرىٰ : فكانت هـٰذه الصدقة بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وطالت فيها خصومتهما ، فأبىٰ عمر رضي الله عنه أن يقسمها بينهما حتىٰ أعرض عنها عباس ، ثم كانت بعد علي بيد حسن بن علي ، ثم بيد حسين بن علي ، ثم بيد علي بن حسين وحسن بن حسن ، كلاهما كانا يتداولانها ، ثم بيد زيد بن حسن ، وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً .

وفي رواية : عن عائشة رضي الله عنها : أن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فَدَكٍ ، وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا نورَثُ ، ما تركنا صدقة » ، إنما يأكل آل محمد في هـٰذا المال ، والله ؛ إني لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه بعدُ . . إلا صنعته .

وفي رواية أخرىٰ : قال : كانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة ، فأبىٰ أبو بكر عليها ذلك ، قال : لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به . . إلا عملت ، فإني أخشىٰ إن تركت شيئاً من أمره . . أن أزيغ ، فأما صدقته بالمدينة . . فدفعها عمر إلىٰ علي والعباس رضي الله عنهما ، فغلب عليٌّ عليها ، وأما خيبر وفدك . . فأمسكهما عمر ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لحقوقه التي تعروه ونوائِبه ، وأمرهما إلىٰ ولي الأمر ، فهُما علىٰ ذلك إلى اليوم . رواه البخاري في « الصحيح » [٢٩٢٦] .

زاد في رواية : عن الشعبي قال : لما مرضت فاطمة رضي الله عنها . . أتاها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فاستأذن عليها ، فقال علي رضي الله عنه : يا فاطمة . . هـٰذا أبو بكر يستأذن عليك ، فقالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم ، فأذنت له ، فدخل عليها يترضَّاها ، وقال : والله ؛ ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة . . إلا لابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسول الله ومرضاتكم أهل البيت ، ثم ترضَّاها حتىٰ رضيت . هـٰذا مرسل حسن بإسناد صحيح .

وفي رواية : عن المغيرة قال : جمع عمر بن عبد العزيز بني مروان حين استُخلف ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له فدك ، وكان ينفق منها ويعود منها علىٰ صغير بني هاشم ، ويزوج فيه أيِّمَهُمْ ، وإن فاطمة رضي الله عنها سألته أن يجعلها لها ، فأبىٰ ، فكانت كذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ مضىٰ لسبيله ، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه . . عمل فيها بما عمل النبي صلى الله عليه وسلم في حياته حتىٰ مضىٰ لسبيله ، فلما ولي عمر رضي الله عنه . . عمل فيها بمثل ما عملا حتىٰ مضىٰ لسبيله ، ثم أقطعها مروان ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز .

قال عمر بن عبد العزيز : فرأيت أمراً منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها ليس لي بحق ، وإني أشهدكم أني قد رددتها علىٰ ما كانت ؛ يعني : علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ : إنما أقطع مروان فدكاً في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكأنه تأوَّلَ في ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أطعم الله نبياً طعمة . . فهي للذي يقوم من بعده » ، وكان مستغنياً عنها بماله ، فجعلها لأقربائه ، ووصل بها رحمهم ، وكذلك

تأويله عند كثير من أهل العلم . وذهب آخرون إلىٰ أن المراد بذلك : التولية ، وقطع جريان الإرث فيه ، ثم يصرف في مصالح المسلمين ، كما كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يفعلان ، كما رآه عمر بن عبد العزيز حين رد الأمر في فدك إلىٰ ما كان .

واحتج من ذهب إلىٰ هٰذا بما روِّيناه في حديث الزهري ، وأما خيبر وفدك . . فأمسكهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه ، وأمرهما إلىٰ ولي الأمر ، فهُما علىٰ ذلك إلى الآن .

وفي رواية أخرىٰ : جاءت فاطمة إلىٰ أبي بكر رضي الله عنهما ، فقالت : يا خليفة رسول الله ؛ أنت ورِثت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم أهله ؟ قال : لا بل أهله ، قالت : فما بال الخمس ؟ فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا أطعم الله نبياً طعمة ثم قبضه . . كانت للذي يلي بعده » ، فلما وليت . . رأيت أن أرده على المسلمين ، قالت : أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم ، ثم رجعت .

وفي رواية أخرىٰ : قال الشافعي ـ رحمه الله ـ : الأمر الذي لم يختلف فيه أحد من أهل العلم عندنا علمته ، ولم يزل يُحفظ من قولهم : أنه ليس لأحد ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من صَفِيِّ الغنيمة .

وفي رواية سفيان عن مطرف ، عن عامر الشعبي قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم سهم يدعىٰ سهمَ الصَّفِيِّ ، إن شاء عبداً ، وإن شاء أمةً ، وإن شاء فرساً يختاره قبل الخُمُس .

وفي رواية ابن عون قال : سألت محمداً عن سهم النبي صلى الله عليه وسلم والصَّفِيِّ ، قال : كان يضرب له بسهم مع المسلمين وإن لم يشهد ، والصَّفِيُّ يؤخذ له رأس من الخمس قبل كل شيء .

وفي رواية عن قتادة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا . . كان له سهم صاف يأخذه من حيث شاء ، فكانت صفية من ذلك السهم ، وكان إذا لم يَغْزُ بنفسه . . ضُرب له بسهمه ولم يختر .

وفي رواية أخرىٰ عن ابن شهاب : أن خيبر كان بعضها عنوة وبعضها صلحاً ، والكثيبة أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الكثيبة ؟ قال : أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عَذْق[1] [انتهىٰ « السنن الكبرىٰ » ٦/٢٩٧ـ٣١٨] .

---

(١) العَذْق : النخلة عند أهل الحجاز .

ثم روىٰ بإسناده : أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتاه مال من أصبهان ، فقسمه بسبعة أسباع ، ففضل رغيف ، فكسره بسبع كسر ، فوضع علىٰ كل جزء كسرة ، ثم أقرع بين الناس ، أيهم يأخذ أول .

وفي رواية أخرىٰ : أتت علياً امرأتان تسألانه ، عربية ومولاة لها ، فأمر لكل واحدة منهما بِكُرٍّ من طعام وأربعين درهماً أربعين درهماً ، فأخذت المولاة التي أُعطيت وذهبت ، وقالت العربية : تعطيني مثل الذي أُعطيت هـٰذه ، وأنا عربية وهي مولىٰ ، قال لها علي : إني نظرت في كتاب الله عز وجل ، فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل علىٰ ولد إسحاق . انتهىٰ [« السنن الكبرىٰ » ٦/٣٤٨ـ٣٤٩] .

وروى الحافظ البيهقي بإسناده : عن عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن سماك ، عن حنش : أن رجلين استودعا امرأة من قريش مئة دينار علىٰ ألاَّ تدفعها إلىٰ واحد منهما دون صاحبه حتىٰ يجتمعا ، فأتاها أحدهما ، فقال : إن صاحبي توفي ، فادفعي إلي المال ، فأبت ، فاختلف إليها ثلاث سنين ، واستشفع عليها حتىٰ أعطته ، ثم إن الآخر جاء ، فقال : أعطني الذي لي ، فذهب بها إلىٰ عمر ، فقال له عمر رضي الله عنه : هل بينة ؟ قال : هي بينتي ، فقال : ما أظنكِ إلا ضامنة ، قالت : أسألك يا فلان أن ترفعنا إلىٰ علي بن أبي طالب ، فأتوه ، وهو يُطَيِّنُ حوضاً له في بستان ، وهو متزر بكساء ، فقصوا عليه القصة ، فقال : ائتني بصاحبك وإليَّ متاعك . [« السنن الكبرىٰ » ٦/٢٨٩] .

وبإسناده : عن عبد الرحمـٰن ابن أبي ليلىٰ قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : اجتمعتُ أنا والعباس وفاطمة وزيد بن حارثة رضي الله عنهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ كَبُرَ سني ، ورق عظمي ، وركبتني مؤنة ، فإن رأيت أن تأمر لي بكذا وكذا وسْقاً من طعام. . فافعل ، قال : ففعل ذلك ، ثم قالت فاطمة رضي الله عنها : يا رسول الله ؛ أنا منك بالمنزل الذي قد علمت ، فإن رأيت أن تأمر لي بكذا كما أمرت لعمك. . فافعل ، قال : ففعل ذلك ، ثم قال زيد بن حارثة : يا رسول الله ؛ كنت أعطيتني أرضاً أعيش فيها ، ثم قبضتها مني ، فإن رأيت أن تردها عليَّ. . فافعل ، قال : ففعل ذلك ، قلت : أنا يا رسول الله ؛ إن رأيت أن توليني حقاً من الخمس في كتاب الله ، فأَقسِمه حياتَك كي لا ينازعنيه أحد بعدك. . فافعل ، قال : ففعل ذلك .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت إلى العباس فقال : « يا أبا الفضل ؛ ألا تسألني الذي سألَنِيه ابن أخيك ؟ » فقال : يا رسول الله ؛ انتهت مسألتي إلى الذي سألتك ، قال : فولانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسمته حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ولانيه أبو بكر رضي الله عنه ، فقسمته حياة أبي بكر ، ثم ولانيه عمر رضي الله عنه ، فقسمته حياة عمر ، حتىٰ كان آخر سنة من سِنِيِّ عمر رضي الله عنه أتاه مال كثير ، فعزل حقنا ، ثم أرسل إلي ، فقال : هٰذا مالُكُم ، فخذه ، فقسمه حيث كنت تقسمه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ بِنَا عنه العامَ غنىً ، وبالمسلمين إليه حاجة ، فرده عليهم تلك السنة ، ثم لم يدعُنا إليه أحد بعد عمر رضي الله عنه ، حتىٰ قمت مقامي هٰذا ، فلقيت العباس رضي الله عنه بعدما خرجت من عند عمر ، فقال : يا علي ؛ لقد حرمتنا الغداة شيئاً لا يُرَدُّ علينا أبداً إلىٰ يوم القيامة . وفيه قال أبو عبد الله : رواته من ثقات الكوفيين .

قال الشيخ : وقد أخرجه أبو داوود في « السنن » [٢٩٨٤] ببعض معناه مختصَراً عن عثمان ابن أبي شيبة ، عن عبد الله بن نمير .

وبإسناده : عن ابن أبي ليلىٰ قال : لقيت علياً رضي الله عنه عند أحجار الزيت ، فقلت له : بأبي وأمي ، ما فعل أبو بكر وعمر في حقكم أهلَ البيت من الخُمُس ؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه : أما أبو بكر رضي الله عنه . . فلم يكن في زمانه أخماس ، وما كان . . فقد أوفاناه ، وأما عمر رحمه الله . . فلم يزل يعطيناه حتىٰ جاءه مال السوس والأهواز ـ أو قال : الأهواز ، أو قال : فارس ، قال الشافعي رحمه الله : أنا أشك في حديث مطر أو حديث الآخر ـ فقال : في المسلمين خلة ، فإن أحببتم . . تركتم حقكم ، فجعلناه في خلة المسلمين حتىٰ يأتينا مال ، فأوفيكم حقكم منه ، فقال العباس لعليٍّ رضي الله عنهما : لا تطمعه في حقنا ، فقلت له : يا أبا الفضل ؛ ألسنا أحق من أجاب أمير المؤمنين ورفع خلة المسلمين ، فتوفي عمر قبل أن يأتيه مال فيقضيناه .

وقال الحَكَم في حديث مطر والآخر : إن عمر قال : لكم حق ، ولا يبلغ علمي ـ إذ كثر ـ أن يكون لكم كله ، فإن شئتم . . أعطيتكم منه بقدر ما أرىٰ لكم ، فأبينا عليه إلاَّ كله ، فأبىٰ أن يعطينا كله . انتهىٰ [« السنن الكبرىٰ » ٦/٣٤٣ـ٣٤٤] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ، وحفظ عليه الإيمان ، وتوفاه عليه ، آمين ـ : اِعلم : أن لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصائص لم يشاركه فيها

أحد من الصحابة رضوان الله عليهم :

منها : موافقةُ قولِهِ محكم الكتاب ، علىٰ ما ثبت في الرواية المشهورة : وافقتُ ربي في ثلاث ، وفي رواية : وافقني ربي في ثلاث ، وقد وقعت الموافقة في آيات ، منها : آية الحجاب ، ومنها : أسارىٰ بدر ، ومنها : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾ ، ومنها : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ ، ومنها : الاستئذان ، ومنها : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ ، إلىٰ غير ذلك من الآيات .

ومما اختُص به أيضاً : أن الله عز وجل أدار الحق علىٰ لسانه وقلبه .

ومنها : أنه ما سلك رضي الله عنه فجاً . . إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه .

ومنها : تسميته بالفاروق ؛ إذ فرق الله به بين الحق والباطل .

ومنها : أن الله سبحانه وتعالىٰ أعز به الدين ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر . انفرد بإخراجه البخاري .

وقال غيره : أُدرجت سعادة الإسلام في أكفان عمر بن الخطاب .

وورد : أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال : لِيبكِ الإسلام علىٰ موت عمر .

ومنها : أنه وزير النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه وبصره ، وهٰذه الرتبة لم يشاركه فيها غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ومنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه من المُحَدَّثين .

ومن كراماته رضي الله عنه : أنه كان يخطب على المنبر يوم جمعة ، فقال في أثناء كلامه : يا سارية بن حصن ؛ الجبل الجبل ، فنظر الناس بعضهم إلىٰ بعض ، فلم يفهموا ما قال ، فقال له علي رضي الله عنه لما نزل : ما هٰذا الكلام الذي قلته ؟ قال : أَوَ قد سمعتني ؟ قال : سمعتك أنا وكل مَن في المسجد ، فقال : رأيت أصحابنا بنهاوند . . . وذكر الحديث .

واعلم : أن هٰذه كرامة عظيمة مجموع ما اتفق فيها لم يشاركه فيها أحد وإن حصلت المشاركة في أصل الكرامة لخلائق قبله وبعده فمما اتفق في هٰذه الكرامة وجوه ستة :

الأول : أنه كشف له عن حال السرية حتىٰ عاينهم ببصره ، فشاهد ما هُمْ فيه من الضيق من جهة العدو ، فأرشدهم إلىٰ طريق الظفر والنجاة .

الثاني : أنه ارتفع صوته رضي الله عنه إلىٰ أن سمعوه في ذلك الوقت ؛ فإنه لما جاء البشير إلى المدينة بعد شهر . . أخبر بأنهم سمعوا في ذلك الوقت صوتاً يشبه صوت عمر رضي الله عنه .

الثالث : تعليمهم وإرشادهم إلىٰ طريق الظفر والنجاة .

الرابع : إخباره بأنهم إنْ لم يسلكوا ما أرشدهم إليه . . غُلبوا ، وإن سلكوا ما قاله . . انتصروا ، وهٰكذا وقع ، فكان فيه ـ مع الإرشاد إلىٰ وجهة الرأي ـ العلمُ بما سيقع .

الخامس : استغراقه بأنواع الطاعات ، من القيام بالخطبة ، والاهتمام بالسرية ، والنصح للرعية ، والاجتهاد في إقامة دين الله تعالىٰ ، وجريان هٰذا الكلام منه وهو لا يشعر(١) ، بحيث إنه رضي الله عنه ما علم أنهم سمعوه ، ولهٰذا قال لعلي رضي الله عنه : سمعتني ؟ فقال : سمعتك أنا وكل من في المسجد .

فانظر إلىٰ عظيم استغراق قلبه بالقيام في نصرة دين الله ، ومع ذلك فلم يمنعه اشتغاله بالخطبة عما فيه مصلحة المسلمين ، حتىٰ لشدة حرصه لَيجري ذلك علىٰ لسانه وهو لا يشعر ، وهٰذا هو الإخلاص حقاً ، وهو إخلاص الخواص ، ألا ترىٰ إلىٰ قول بعض العارفين : إن إخلاص الخواص هو ما يجري على الولي لا به ، فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ، ولا يقع لهم عليها رؤية ، ولا بها اعتداد ، كما وقع لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في هٰذه الكرامة .

السادس : أن الله عز وجل أكرمه بتصديق قوله في هٰذا الموضع ، وفي ما لا يحصىٰ من المواضع ، وجعل النصر والظفر في ذلك الإرشاد .

ومما اختُصَّ به : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أشركنا يا أُخَيَّ في دعائك » .

ومنها : أنه سراج أهل الجنة .

ومنها : أنه سيد كهول أهل الجنة هو والصديق رضي الله عنهما ، ما خلا النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومنها : أنه حين أسلم . . نزل جبريل عليه السلام ، فقال : استبشر أهل السماء بإسلام عمر .

---

(١) غير مسلَّم أنه قاله بغير شعور ، ولكنه أراد أن يورِّيَ فقال : (نطق لساني بما لا أريد) .

ومنها : أنه هاجر مظهراً هجرته ، وهٰكذا لما أسلم ، وما ذاك إلا لقوته وصلابته في دين الله عز وجل ، إلىٰ غير ذلك مما لا ينحصر من المناقب .

وقد أحببت أن أختم ترجمته بصفة السلام عليه عند زيارته ـ مع ظهور أمر ذلك ـ ليكون ختامه مسكاً ، فيقول الزائر بعد السلام علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىٰ أبي بكر رضي الله عنه :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك يا من نطق بالصواب ، ووافق قوله محكم الكتاب ، السلام عليك أيها الفاروق الأمين ، الذي أظهر الله عز وجل به الدين ، وكمل به الأربعين ، واستجاب فيه دعوة سيد المرسلين ، محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

عاش رضي الله عنه في الدنيا حميداً ، ثم عاد إلىٰ ربه شهيداً ، فجزاك الله أفضل الجزاء ، ورضي الله عنك أفضل الرضىٰ .

ثم يسأل الله تعالى المغفرة والرضوان ، وما أحبَّ من سائر أنواع الخيرات[1] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) جاء في هامش نسخة : (مات سيدنا عمر ودَيْنه ستة وثمانون ألفاً ، وله من الولد تسعة بنين وأربع بنات . انتهىٰ من « الرياض المستطابة » [١٥٤ـ١٥٥]) .

وثالث الأئمة : الإمام أمير المؤمنين :

أبو عبد الله عثمان بن عفان
رضي الله عنه

عثمان[1] بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف .

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وكان عثمان يكنىٰ في الجاهلية : أبا عمرو ، فلما ولدت رقية له في الإسلام غلاماً . . سماه عبد الله ، واكتنىٰ به .

أسلم قديماً قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وهاجر إلى المدينة بزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلَّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر على ابنته رقية يمرضها ، وضرب له بسهمه وأجره ، فكان كمن شهدها ، وزوَّجه أم كلثوم بعد رقية ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كان عندي ثالثة . . لزوَّجتها عثمان »[2] ، وسمي ذا النورين ؛ لجمعه بين بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبايع عنه النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان . انتهىٰ [في « الصفوة » ١/١٢٣] .

وقال شيخ الإسلام محيي الدين النووي ـ قدس الله روحه ـ : رُوِّينا في « تاريخ دمشق » : عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حين هاجر عثمان برقية إلى الحبشة : « والذي نفسي بيده ؛ إنه لأول من هاجر بعد إبراهيم ولوط صلى الله عليهما وسلم »[3] ، قالوا : ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره .

تزوج رقية رضي الله عنها قبل النبوة ، وتوفيت عنده في غزوة بدر في رمضان من السنة

---

(١) جاء في هامش نسخة : (مَن اسمه عثمان من الصحابة ثلاثة عشر ، ليس منهم ابن عفان غيره ، بُسطت الأموال في خلافته حتىٰ بيعت جارية بوزنها ، وفرس بمئة ألف ، ونخلة بمئة ألف . انتهىٰ من « الرياض المستطابة » [١٥٦ـ١٦٠]) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٧/ ١٨٤) .

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠) .

الثانية من الهجرة ، وكان قد تأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة رضي الله عنها ، ثم تزوج بعد وفاتها أختها أمَّ كلثوم بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ، ولم تلد له شيئاً .

وروي لعثمان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة حديث وستة وأربعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ ثلاثة ، وانفرد البخاري بثمانية ، ومسلم بخمسة .

روىٰ عنه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، منهم : زيد بن خالد الجهني ، وابن الزبير ، والسائب بن يزيد ، وغيرهم .

وروىٰ عنه خلائق من التابعين ، منهم : ابنه أبان ، وعبيد الله بن عدي ، وحمران ، وغيرهم .

ولد في السنة السادسة بعد الفيل ، وقتل شهيداً يوم الجمعة ، لثمان عشرة خلون من ذي الحجة ، سنة خمس وثلاثين ، وقيل : قتل يوم الأربعاء ، وهو ابن تسعين سنة ، وقيل : ثمان وثمانين ، وقيل : غير ذلك .

وبويع بالخلافة غرة المحرم ، سنة أربع وعشرين .

وكانت خلافته رضي الله عنه ثنتي عشرة سنة إلا ليالٍ ، وحج بالناس عشر سنين متوالية ، وصلىٰ عليه جبير بن مطعم ، ودفن ليلاً بالبقيع ، وأخفي قبره ذلك الوقت ، ثم أظهر .

وقيل : دفن بحش كوكب ، قال ابن قتيبة : هي أرض اشتراها عثمان وزادها في البقيع ، و(**الحش**) : البستان ، و(**كوكب**) : اسم رجل من الأنصار ، وإنما دفن ليلاً ؛ للعجز عن إظهار دفنه بسبب غلبة قاتليه .

قال ابن قتيبة : وفي زمن عثمان كانت غزوة سابور ، ثم إفريقية ، ثم قبرص ، واصطخر الآخرة ، وفارس الأولىٰ ، ثم خوز ، وفارس الآخرة ، ثم طبرستان ، وكرمان ، وسجستان ، وغير ذلك .

ثم حصر في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، فحصر عشرين يوماً في داره وقتل فيها .

وقال الواقدي : حصروه تسعة وأربعين يوماً .

وقال الزبير بن بكار : حصروه شهرين وعشرين يوماً .

وكان محبباً في قريش ، واشترىٰ بئر رومة من يهودي بعشرين ألف درهم ، وسبَّلَها

للمسلمين ، وجهز جيش العسرة بتسع مئة وخمسين بعيراً وبخمسين فرساً .

رُوِّينا في صحيحي : « البخاري » [٣٤٧١] ، و« مسلم » [٢٤٠٣] في حديث أبي موسى الأشعري الطويل : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « بشره بالجنة » .

وفي « صحيحيهما » [خ ٣٤٩٢ـ م ٢٤٠١] عن عائشة رضي الله عنها ـ في الحديث الطويل ـ : أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان ، فقال : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ » [انتهىٰ « التهذيب » ١/ ٣٢٢ـ٣٢٣] .

قال حجة الإسلام الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : في هٰذا الحديث دليل علىٰ أن حشمة عثمان رضي الله عنه وإن كانت جليلة رفيعة عند النبي صلى الله عليه وسلم لٰكن الحالة التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أرفع وأصفىٰ وأرق ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وقال النووي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : وفي « صحيح البخاري » [٣٤٩٣] : عن عبيد الله بن عدي بن الخيار : أن عثمان قال : (**أما بعد** : فإن الله تعالىٰ بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ، وآمنت بما بُعث به ، ثم هاجرت الهجرتين ، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونلت صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبايعته ، فوالله ؛ ما عصيته ولا غششته حتىٰ توفاه الله تعالىٰ ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله) .

وفي « صحيح البخاري » [٦٩٥] أيضاً : عن عبيد الله بن عدي أيضاً قال : دخلت علىٰ عثمان وهو محصور ، فقلت له : إنك إمام العامة ، وقد نزل بك ما ترىٰ ، ويصلي لنا إمامُ فتنة ، وأنا أتحرج من الصلاة معه ، فقال عثمان : (إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس ، فإذا أحسن الناس. . فأحسن معهم ، وإذا أساؤوا. . فاجتنب إساءتهم) .

وفي « صحيح البخاري » [٢٦٢٦] : عن أبي عبد الرحمٰن السلمي التابعي : أن عثمان حين حوصر. . أشرف عليهم ، فقال : (أنشدكم بالله ؛ ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز جيش العسرة. . فله الجنة » ، فجهَّزتُهم ؟ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حفر بئر رومة. . فله الجنة » ، فحفرتها ؟) قال : فصدقوه بما قال .

وفي « كتاب الترمذي » [٣٧٠٠] : عن عبد الرحمٰن بن خباب ـ بالخاء المعجمة ـ السلمي الصحابي قال : شهدت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث علىٰ جيش العسرة ، فقال

عثمان بن عفان : يا رسول الله ؛ عليَّ مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : يا رسول الله ؛ عليَّ مئتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، قال : ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : يا رسول الله ؛ عليَّ ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول : « ما علىٰ عثمان ما عمل بعد هـٰذه » رواه الترمذي بإسناد جيد .

وعن عبد الرحمـٰن بن سمرة قال : (جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة ، فنثرها في حجره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » مرتين) رواه الترمذي [٣٧٠١] ، وقال : حديث حسن .

وعن أنس رضي الله عنه قال : (لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان . . كان عثمان بن عفان قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ أهل مكة فبايع الناسُ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله » ، فضرب بإحدىٰ يديه على الأخرىٰ ، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم) رواه الترمذي [٣٧٠٢] ، وقال : حديث حسن .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا عثمان ؛ إنه لعل الله أن يقمصك قميصاً ، فإن أرادوك علىٰ خلعه . . فلا تخلعه حتىٰ يخلعوه » رواه الترمذي [٣٧٠٥] وقال : حديث حسن .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (ذَكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة ، فقال : « يقتل فيها هـٰذا مظلوماً » لعثمان) رواه الترمذي [٣٧٠٨] وقال : حديث حسن .

وعن أبي سلمة مولىٰ عثمان رضي الله عنهما قال : قال عثمان يوم الدار : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهداً ، فأنا صابر عليه) رواه الترمذي [٣٧١١] وقال : حديث حسن صحيح .

وعثمان بن عفان رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد المنفقين في سبيل الله الإنفاق العظيم ، وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يلبس السراويل في جاهلية ولا إسلام إلىٰ يوم قتله . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٣٢٢ـ٣٢٥] .

وأما خلافة عثمان رضي الله عنه : فقد تقدم أنه لما توفي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وصلىٰ عليه صهيب ، ونزل في قبره مع ابنه عبد الله وأهل الشورىٰ جميعهم إلا طلحة ؛ فإنه كان غائباً ، فلما فرغوا من شأن أمير المؤمنين رضي الله عنه . . جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن مخرمة ـ وقيل : في حجرة عائشة ، وقيل : في بيت المال ، وقيل : في بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، والأول أشبه ـ فجلسوا في البيت ، وقام طلحة يحجبهم ، فجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، فجلسا من وراء الباب ، فحصبهما سعد بن أبي وقاص ، وطردهما ، وقال لهما : جئتما لتقولا حضرنا أمر الشورىٰ . رواه المدائني عن شيوخه ، والله أعلم بصحته .

والحاصل : أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم ، فكثر القوم ، وعلت الأصوات ، فقال أبو طلحة : إني كنت أظن أن تدافعوها ، ولم أكن أظن أن تنافسوها ، ثم صار الأمر ـ بعد أن حضر أبو طلحة ـ إلىٰ أن يفوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلىٰ ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلىٰ عليٍّ ، وفوض سعد ما له في ذلك إلىٰ عبد الرحمـٰن بن عوف ، وفوض طلحة حقه إلىٰ عثمان ، فقال عبد الرحمـٰن بن عوف لعليٍّ وعثمان : أيكما يبرأ من هـٰذا الأمر ، فيفوض الأمر إليه في التولية والله عليه والإسلام ؟ فيولين أفضل الرجلين الباقيين ، فسكت الشيخان عليٌّ وعثمان ، فقال عبد الرحمـٰن : إني أترك حقي من ذلك ، والله عليَّ والإسلام أن أجتهد فأولي أولاكما بالحق ، فقالا : نعم ، ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق ؛ لئن ولاه . . ليعدلن ، ولئن وُلِّيَ عليه . . ليسمعن وليطيعن ، فقال كل واحد منهما : نعم ، ثم تفرقوا .

ويروىٰ : أن أهل الشورىٰ جعلوا الأمر إلىٰ عبد الرحمـٰن بن عوف ؛ ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ، فيوليه ، فذكروا أنه سأل كل من يمكنه سؤاله من أهل الشورىٰ وغيرهم ، فلا يشير إلا بعثمان بن عفان ، حتىٰ إنه قال لعليٍّ : أرأيت إن لم أوَلِّك . . فمن تشير عليَّ به ؟ قال : عثمان ، وقال لعثمان : أرأيت إن لم أوَلِّك . . فمن تشير عليَّ به ؟ قال : بعليِّ بن أبي طالب .

والظاهر ـ والله أعلم ـ : أن هـٰذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمـٰن منها لينظر الأفضل ، والله عليه والإسلام ليجتهدن رأيه للمسلمين في أفضل الرجلين فيوليه ، ثم نهض عبد الرحمـٰن بن عوف يستشير الناس فيهما ، ويجتمع برؤوس الناس وغيرهم ، جمعاً وأشتاتاً ، مَثْنىٰ وفرادىٰ ومجتمعين ، سراً وجهراً ، حتىٰ إنه خلص

إلى النساء المخدرات في حجالهن ، وحتىٰ سأل الولدان في المكاتب ، وحتىٰ سأل من يرد من الركبان والأعراب الواردين إلى المدينة في مدة ثلاثة أيام بلياليهن ، فلم يجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان علىٰ عليٍّ ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد ؛ فإنهما أشارا بعليٍّ بن أبي طالب ، ثم بايعا مع الناس علىٰ ما سيأتي ، فاجتهد عبد الرحمـٰن بن عوف في ذلك ثلاثة أيام بلياليهن كل الاجتهاد ، بحيث إنه لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاء[1] ، واجتهاداً واستخارة ، وسؤالاً من ذوي الرأي وغيرهم ، حتىٰ حاول ربات الحجال في خدورهن ، فلم يجد أحداً يعدِلُ بعثمان .

زاد في رواية أخرىٰ : أنه قال للمسور بن مخرمة : ادع لي الزبير وسعد بن أبي وقاص ، فدخلا عليه ، فشاورهما ، ثم انصرفا ، ثم قال : ادع لي علياً ، قال : فدعوته ، فناجاه إلىٰ ثلث الليل ، ثم قام من عنده وهو علىٰ طمع ، وكان فيما قال له : إنك تقول : إنك أحق بهـٰذا الأمر لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقتك وحسن أمرك ، ولم تتعد ذلك ، ولـٰكن أرأيت لو صُرف هـٰذا الأمر عنك . . من كنت ترىٰ أحق به ؟ قال : عثمان ، فلما خرج من عنده . . قال : ادعوا لي عثمان ، فدعوا به ، فناجاه طويلاً حتىٰ فرَّق بينهما مؤذن الصبح ، وقال له مثل ما قال لعلي : أرأيت لو صُرف عنك هـٰذا الأمر . . من كنت ترىٰ أحق به ؟ قال : عليٌّ .

وقال للزبير كذلك ، فأشار بعثمان ، وقال لسعد كذلك ، فأشار بعثمان ، وكذلك شاور سائر المهاجرين والأنصار ، فكلهم أشار بعثمان ، فلما أن كانت الليلة التي يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه . . جاء عبد الرحمـٰن بن عوف إلىٰ منزل ابن أخته المسور بن مخرمة ، فقال : أنائم يا مسور ؟ والله ؛ لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادع لي علياً وعثمان ، قال المسور : فقلت : يا خالي . . بأيهما أبدأ ؟ فقال : بأيهما شئت ، قال : فذهبت إلىٰ عليٍّ ، فقلت : أجب خالي ، فقال : أمرك أن تدعو معي أحداً ؟ فقلت : نعم ، قال : مَنْ ؟ قلت : عثمان بن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت : لم يأمرني بذلك ، بل قال : ادع أيهما شئت أولاً ، فجئت إليك ، قال : فخرج معي ، فلما مررنا بدار عثمان . . جلس عليٌّ حتىٰ دخلت إليه ، فوجدته يوتر مع الفجر ، فدعوته ، فقال لي مثل ما قال علي سواءً ، ثم خرج ، فدخلت بهما علىٰ خالي وهو قائم يصلي ، فلما

---

(١) أي : لا ينام إلا غلبة ، يقال : ما اغتمضت ؛ أي : ما نمت .

انصرف. . أقبل علىٰ عليٍّ وعثمان ، فقال : إني قد سألت الناس عنكما ، فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً ، ثم أخذ العهد علىٰ كل واحد منهما أيضاً ، لئن ولاه. . ليعدلن ، ولئن وُلِّيَ عليه. . ليسمعن وليطيعن ، فقالا : نعم .

ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمـٰن العمامة التي عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقلد سيفاً ، وبعث إلىٰ وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ليحضروا المسجد ، ونودي في الناس عامة : الصلاة جامعة ، فامتلأ المسجد حتىٰ غصَّ بالناس ، وازدحم الناس ، وتراصوا ، حتىٰ إنه لم يحصل لعثمان بن عفان موضع يجلس فيه إلا في آخر باب المسجد ، وكان رجلاً حَيِيّاً ، ثم صعد عبد الرحمـٰن بن عوف منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على الدرجة التي كان يجلس عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف وقوفاً طويلاً ، ودعا دعاءً طويلاً لم يسمعه الناس ، ثم تكلم ، فقال :

أيها الناس ؛ إني قد سألتكم سراً وجهراً ، مَثْنىٰ وفرادىٰ ، جمعاً وأشتاتاً ، فلم أجدكم تعدلون بأحد هـٰذين الرجلين ، إما عليٌّ وإما عثمان ، فقم إلي يا عليُّ ، فقام إليه ، فوقف تحت المنبر ، وأخذ عبد الرحمـٰن بيده ، فقال له : هل أنتَ مبايعي علىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفِعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؟ قال : اللهم ؛ لا ، ولـٰكن علىٰ جهدي من ذلك وطاقتي ، قال : فأرسل يده ، وقال : قم يا عثمان ، فأخذ بيده ، فقال : هل أنت مبايعي علىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفِعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؟ فقال : اللهم ؛ نعم ، قال : فرفع رأسه إلىٰ سقف المسجد ـ ويده في يد عثمان ـ فقال : اللهم ؛ اسمع واشهد ، اللهم ؛ اسمع واشهد ، اللهم ؛ اسمع واشهد ، اللهم ؛ قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان ، قال : وازدحم الناس يبايعون عثمان حتىٰ غشوه تحت المنبر ، قال : وقعد عبد الرحمـٰن بن عوف مقعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء الناس يبايعونه ، وبايعه عليُّ بن أبي طالب أولاً ، ويقال : آخراً .

هـٰذا هو الثابت في ولاية عثمان ، ولا تغتر بما سوىٰ هـٰذا مما ينقله الروافض ؛ فإنه لا أصل له ، والله سبحانه أعلم .

* * *

ومما كان من الفتوحات العظيمة في خلافة عثمان رضي الله عنه : فتح إفريقية ، وذلك في

سنة سبع وعشرين ، وذلك أن المسلمين لما قصدوا إفريقية وهم عشرون ألفاً ، والأمير عليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من جهة عثمان رضي الله عنه ، وكان في جيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح سادات من الصحابة رضي الله عنهم ، منهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ، وعبد الله بن الزبير ، وكان ملك البربر جرير في عشرين ومئة ألف ، وقيل : في مئتي ألف ، فلما تراءى الجمعان . . أمر ملك البربر جرير جيشه ، فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون موقفاً لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه .

قال عبد الله بن الزبير : فنظرت إلى الملك جرير من وراء الصفوف ، وهو راكب علىٰ برذون ، وجاريتان تظلانه بريش الطواويس ، فذهبت إلىٰ عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وقلت له : تبعث معي من يحمي ظهري حتىٰ أقصد الملك جرير ، فجهَّزَ معي جماعة من الشجعان ، قال : فأمرتهم ، فحموا ظهري ، وذهبت أخترق الصفوف إليهم ، وهم يظنون أني في رسالة إلىٰ ملكهم ، فلما اقتربت منهم . . أحس مني بالشر ، ففر علىٰ برذونه ، فلحقته ، فطعنته برمحي ، وذففت عليه بسيفي ، وأخذت رأسه ، فنصبته علىٰ رأس رمحي ، وكبرت ، فلما رأى البربر ذلك . . خافوا وفروا فرار القطا ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فغنموا أموالاً كثيرة ، وسبياً عظيماً ، وكان ذلك ببلد يقال لها : صنبطلة علىٰ يومين من القيروان ، وبلغ الخُمُس خَمْسَ مئة ألف دينار ، وكان هـٰذا أول موقف اشتهرت فيه شجاعة عبد الله بن الزبير ، وعظم أمره ، والله أعلم .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : إن عثمان رضي الله عنه قال يوم قتله : (إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في المنام وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقالوا : اصبر ؛ فإنك تفطر عندنا القابلة) ثم دعا بمصحف ، ففتحه ، فقتل وهو بين يديه ، وأعتق عشرين مملوكاً وهو محصور ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٣٢٥] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ :

عن محمد بن حاطب قال : وذكروا عثمان بن عفان ، فقال الحسن بن عليٍّ : الآن يجيء أمير المؤمنين ، قال : فجاء عليٌّ رضي الله عنه ، فقال : كان عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين .

وعن يحيى البَكَّاء ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ قال : هو عثمان بن عفان .

وعن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عثمان أحيىٰ أمتي وأكرمُها »[1]

وعنه ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشد أمتي حياء عثمان بن عفان »[2] .

وعن الحسن رضي الله عنه قال : وذَكَر عثمان بن عفان وشدة حيائه ، فقال : (إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق ، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (ثلاثة من قريش أصبحُ قريش وجوهاً ، وأحسنها أخلاقاً ، وأثبتها حياءً ، إن حدثوك . . لم يَكْذِبوك ، وإن حدثتهم . . لم يُكَذِّبوك : أبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة ابن الجراح) رضي الله عنهم .

وعن الزبير بن عبد الله ، عن جدته قالت : (كان عثمان يصوم الدهر ، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله) .

وعن عثمان بن عبد الرحمـٰن التيمي قال : بينا أنا قائم بين الركن والمقام . . إذا رجل وضع يده بين كتفي ، فإذا هو عثمان بن عفان ، فبدأ بأم القرآن ، فقرأ حتىٰ ختم القرآن ، فركع وسجد ، ثم أخذ نعليه ، فلا أدري أصلىٰ قبل ذلك شيئاً أم لا ؟

وعن ابن سيرين قال : قالت امرأة عثمان بن عفان حين أطافوا به يريدون قتله : إن تتركوه أو تقتلوه . . فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من تلك الحوائط ؛ إذ جاء رجل ، فاستفتح الباب ، فقال : « افتح له ، وبشره بالجنة علىٰ بلوىٰ تصيبه » فإذا هو عثمان ، فأخبرته ، فقال : الله المستعان ، اللهم رب ؛ صبراً) .

وعن عثمان رضي الله عنه قال يوم الدار حين حُصر : (إن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهداً ، فأنا صابر عليه) .

قال قيس : وكانوا يرونه ذلك اليوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : « وددت أن

---

(١) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٤/ ٣٠٢) ، وعزاه للطبراني .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٠٢٨) .

عندي بعض أصحابي فشكوت إليه » ، فقيل له : ألا ندعوا أبا بكر ؟ فقال : « لا » ، قيل : عمر ؟ قال : « لا » ، قيل : فعليٌّ ؟ قال : « لا » ، فدعي له عثمان ، فجعل يناجيه ويشكو إليه ، ووجه عثمان يَتَلَوَّنُ[1] .

وقال عبد الرحمـٰن بن مهدي : اختص عثمان بشيئين : صبره [علىٰ] نفسه حتىٰ قتل مظلوماً ، وجمعه الناس على المصحف .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (اشترىٰ عثمان بن عفان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مرتين : حين حفر بئر رومة ، وحين جهز جيش العسرة) .

وعن الحسن رضي الله عنه قال : (رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد ، وهو أمير المؤمنين) .

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر ، عليه إزار عَدَني غليظ ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم ، ورَيطة كوفية ممشقة[2] .

وروىٰ يونس بن عبيد : أن الحسن سئل عن القائلين في المسجد ، فقال : رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة ، قال : ويقوم وأثر الحصىٰ بجنبه ، قال : فيقول الناس : هـٰذا أمير المؤمنين ، هـٰذا أمير المؤمنين .

وعن شرحبيل بن مسلم : أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل بيته ، فيأكل الخل والزيت .

وعن سليمان بن موسىٰ : أن عثمان بن عفان دُعِيَ إلىٰ قوم كانوا علىٰ أمر قبيح ، فخرج إليهم ، فوجدهم قد تفرقوا ، ورأىٰ أثراً قبيحاً ، فحمد الله ؛ إذ لم يصادفهم ، وأعتق رقبة .

وعن ميمون بن مهران : حدثني الهمداني : أنه رأىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو علىٰ بغلة ، وقد أردف خلفه غلامه نائلاً في خلافته .

وقال عثمان رضي الله عنه : (لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلىٰ أيهما يؤمر بي . . لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلىٰ أيهما أصير) .

وكان إذا وقف علىٰ قبر . . بكىٰ حتىٰ يبلَّ لحيته .

---

(١) أخرجه ابن راهويه (٣/١٠٢٦) .

(٢) الربطة : المُلاَءَة طلها نسخٌ واحد وقطعة واحدة ، ممشقة : مصبوغة .

وعن حمران بن أبان : أن عثمان بن عفان حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل شيء سوىٰ جلف هـٰذا الطعام ، والماء العذب ، وبيت يظله . . فضلٌ ليس لابن آدم فيه فضل »(١) انتهىٰ [« الحلية » ١/٥٦ـ٦١] .

وروى الحافظ البيهقي ـ قدس الله روحه ـ بإسناده : عن الأحنف بن قيس ـ في قصة ذكرها ـ قال : جاء عثمان فقال : أهـٰهنا عليٌّ ؟ قالوا : نعم ، قال : أهـٰهنا طلحة ؟ قالوا : نعم ، قال : أهـٰهنا الزبير ؟ قالوا : نعم ، قال : أهـٰهنا سعد ؟ قالوا : نعم ، قال : نشدتكم بالله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من يبتاع مربد بني فلان . . غفر الله له » ، فابتعته ـ قال : أحسب أنه قال : بعشرين ، أو بخمسة وعشرين ألفاً ـ فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : قد ابتعته ، قال : « اجعله في مسجدنا وأجره لك » ؟ قالوا : نعم ، قال : نشدتكم بالله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من يبتاع بئر رومة . . غفر الله له » ، فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إني ابتعت بئر رومة ، قال : « اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك » ؟ قالوا : نعم ، قال : نشدتكم بالله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة ، فقال : « من يجهز هـٰؤلاء . . غفر الله له » ، فجهزتهم حتىٰ ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم ؛ اشهد ، اللهم ؛ اشهد ، اللهم ؛ اشهد(٢) .

وفي رواية أخرىٰ : عن ثمامة بن حزن القشيري [قال] : هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال : « من يشتري بئر رومة ، فيكون دلوه فيها مع دلاء المسلمين ، بخير له منها في الجنة » ، فاشتريتها من صلب مالي ، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتىٰ أشرب من ماء البحر ؟ قالوا : اللهم ؛ نعم ، قال : أنشدكم الله والإسلام ؛ هل تعلمون أن المسجد كان ضاق بأهله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يشتري بقعة آل فلان ، بخير له منها في الجنة » ، فاشتريتها من مالي ـ أو قال : من صلب مالي ـ فزدتها في المسجد ، فأنتم اليوم تمنعونني أن أصلي فيها ؟ قالوا : اللهم ؛ نعم . . . وذكر الحديث في تجهيز جيش العسرة ، وقصة ثبير(٣) .

---

(١) أخرجه الطيالسي (١/ ١٤) . والجلف : الخبز وحده ليس معه إدام .
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧٩٨) .
(٣) ثبير : جبل بمنىٰ ، وقصتهُ : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان علىٰ جبل ثبير ، وكان معه أبو بكر وعمر =

وفي رواية : عن أبي عبد الرحمـٰن السلمي ، قال : لما حُصر عثمان بن عفان وأحيط بداره . . أشرف على الناس ، فقال : أنشدكم بالله ؛ هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان علىٰ جبل حراء ، فتحرك ، فقال : « اسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » ؟ قالوا : اللهم ؛ نعم ، قال : أنشدكم بالله ؛ هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة العسرة : « من ينفق نفقة متقبلة ؟ » والناس يومئذ معسرون مجهودون ، فجهزت ثلث ذلك الجيش من مالي ؟ قالوا : اللهم ؛ نعم ، ثم قال : هل تعلمون أن بئر رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن ، فابتعتها بمالي ، فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل ؟ قالوا : اللهم ؛ نعم . . . في أشياء عددها[1] . انتهىٰ [« السنن الكبرىٰ » ٦/١٦٧-١٦٨] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ، وتوفاه على الإيمان ، آمين ـ : اِعلم : أن لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه خصائص لم يشاركه فيها أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين :

منها : أنه ذو النورين ؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند وفاة ابنته : « لو كان عندي ثالثة . . لزوجتها عثمان » .

ومنها : أنه بايع عنه بيعة الرضوان ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم : كان قد بعث عثمان إلىٰ أهل مكة يبايع الناس ، وحضرت بيعة الرضوان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن عثمان في حاجة الله ، وحاجة رسوله » ، فضرب بإحدىٰ يديه على الأخرىٰ ، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان ، وقال : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » وقد ذكرت بعض سر ذلك في ترجمته .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أشد أمتي حياء وأكرمها عثمان » .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم قال حين هاجر عثمان برقية إلى الحبشة قال : « والذي

= وعثمان رضي الله عنهم ، فتحرك الجبل ، فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال : « اسكن ثبير ؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان » .

(١) أخرجه ابن حبان في « الإحسان » (٦٩١٦) .

نفسي بيده ؛ إنه لأول من هاجر بعد إبراهيم ولوط صلى الله عليهما وسلم » .

ومنها : أنه لا يعرف أن أحداً تزوج بنتي نبي غيره .

ومنها : تجهيزه جيش العسرة .

ومنها : أنه ابتاع مربد بني فلان بخمسة وعشرين ألفاً ، وجعله في المسجد .

ومنها : أنه ابتاع بئر رومة ، وجعلها سقاية للمسلمين .

ومنها : أنه جمع الناس على المصحف .

ومنها : أنه قال لغلمانه : (من أغمد سيفه . . فهو حر) .

ومنها : أنه حين ابتلي . . صبر حتىٰ قُتل مظلوماً ؛ وفاء بالعهد الذي كان عليه ، فإنه لما كان يوم الدار حين حصر . . قال : (إن النبي صلى الله عليه وسلم عَهِد إلي عَهداً ، فأنا صابر عليه) ، فكانوا يرونه ذلك اليوم ، إلىٰ غير ذلك مما لا ينحصر ، رضي الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به في الدارين . انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

أبو الحسن علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه

قال شيخ الإسلام محيي الدين النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : علي بن أبي طالب[1] بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، القرشي ، الهاشمي ، المكي ، المدني ، الكوفي ، أمير المؤمنين ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واسم أبي طالب : عبد مناف ، هٰذا هو المشهور ، وقيل : اسمه : كنيته ، وأم علي رضي الله عنها : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية ، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً ، أسلمت ، وهاجرت إلى المدينة ، وتوفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها .

وكنية علي رضي الله عنه : أبو الحسن ، وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا تراب ، وكانت أحب ما ينادىٰ به إليه ، وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة ، وصهره علىٰ فاطمة سيدة نساء العالمين ، وأبو السبطين ، وأول هاشمي وُلد بين هاشميَّيْن ، وأول خليفة من بني هاشم ، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد العلماء الربانيين ، والشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين ، وأحد السابقين إلى الإسلام .

وقد اختلف العلماء في أول من أسلم من الأمة : فقيل : خديجة ، وقيل : أبو بكر ، وقيل : عليٌّ ، رضي الله عنهم أجمعين .

والصحيح : خديجة ، ثم أبو بكر ، ثم عليٌّ .

---

(١) جاء في هامش نسخة : (جملةُ مَنِ اسمه علي من الصحابة ثمانية ، ليس منهم ابن أبي طالب غيره ، له من الولد خمسة عشر ذكراً ، وثماني عشرة أنثىٰ . انتهىٰ من « الرياض » [١٦٤و١٧٥]) .

ونقل الثعلبي إجماع العلماء علىٰ أن أول من أسلم خديجة ، وقال : إنما الخلاف في الأول بعدها .

قال العلماء : والأورع أن يقال : أول من أسلم من الرجال الأحرار : أبو بكر ، ومن الفتيان : عليٌّ ، ومن النساء : خديجة ، ومن الموالي : زيد بن حارثة ، ومن العبيد : بلال .

وممن قال بأن علياً أولهم إسلاماً : ابن عباس ، وأنس ، وزيد بن أرقم ، رواه الترمذي عنهم ، ورواه الطبراني عن سلمان الفارسي ، ورَوَوْه عن محمد بن كعب القرظي .

وقال بريدة : أولهم إسلاماً : خديجة ، ثم علي ، وحكي مثله عن أبي ذر ، والمقداد ، وخباب ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، والحسن البصري ، وغيرهم .

وقال آخرون : أولهم إسلاماً : أبو بكر ، وأسلم عليٌّ وهو ابن عشر سنين ، وقيل : ابن خمس عشرة ، وحكوه عن الحسن البصري ، وغيره .

وقيل : أسلم عليٌّ والزبير ، وهما ابنا ثمان سنين ، قال ابن عبد البر : لا أعلم أحداً قال بهٰذا القول .

وهاجر عليٌّ إلى المدينة ، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة إلى المدينة أن يقيم بعده بمكة أياماً حتىٰ يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يلحقه بأهله ، ففعل ذلك .

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر المشاهد ، إلا تبوك ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة ، وله في جميع المشاهد آثار مشهورة .

وأجمع أهل التواريخ علىٰ شهوده بدراً وسائر المشاهد غير تبوك ، قالوا : وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة .

وقال سعيد بن المسيب : أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة .

وثبت في « الصحيحين » [خ ٢٧٨٣ـ م ١٨٠٧] : أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الراية يوم خيبر ، وأخبر أن الفتح يكون علىٰ يديه .

وأحواله في الشجاعة معروفة ، وآثاره في الحروب مشهورة .

وأما علمه : فكان في معرفة العلوم بالمحل العالي .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مئة حديث وستة وثمانون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ عشرين ، وانفرد البخاري بتسعة ، ومسلم بخمسة عشر .

وروىٰ عنه : بنوه الثلاثة : الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو سعيد ، وزيد بن أرقم ، وجابر بن عبد الله ، وأبو أمامة ، وصهيب ، وأبو رافع ، وأبو هريرة ، وخلائق من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، إلا ابن الحنفية ؛ فإنه تابعي .

وروىٰ عنه من التابعين خلائق مشهورون .

ونقلوا عن ابن مسعود قال : (كنا نتحدث أن أقضىٰ أهل المدينة عليٌّ) .

وقال ابن المسيِّب : ما كان أحد يقول : سلوني غير عليٍّ .

وقال ابن عباس : (أُعطي تسعةَ أعشار العلم ، ووالله ؛ لقد شاركهم في العُشْر الباقي) .

قال : وإذا ثبت لنا الشيء عن علي . . لم نعدل إلىٰ غيره .

وسؤال كبار الصحابة له ورجوعهم إلىٰ فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات . . مشهورة .

وأما زهده : فهو من الأمور المشهورة ، التي اشترك في معرفتها الخاص والعام .

ومن كلماته في الزهد : (الدنيا جيفة ، فمن أراد منها شيئاً . . فليصبر علىٰ مخالطة الكلاب) انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٣٤٤ـ٣٤٦] .

وقال أبو عبيد في كتاب « الأمثال » : ارتجل الإمام علي كرم الله وجهه تسع كلمات ، قطع الأطماع عن اللحاق بواحدة منهن ، ثلاث في المناجاة ، وثلاث في العلم ، وثلاث في الأدب :

فأما التي في المناجاة . . فقوله : (كفاني عزاً أن تكونَ لي رباً ، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً ، أنت لي كما أحب ، فوفقني لما تحب) .

وأما التي في العلم . . فقوله : (المرء مخبوء تحت لسانه ، تكلموا . . تعرفوا ، ما ضاع امرؤ عرف قدره) .

وأما التي في الأدب . . فقوله : (أنعِم علىٰ من شئت . . تكن أميره ، واستغن عمن شئت . . تكن نظيره ، وَاحتج إلىٰ من شئت . . تكن أسيره) انتهىٰ .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : وأما ما رُوِّيناه في « مسند الإمام أحمد ابن حنبل » [١٥٩/١] وغيرِه أنه قال : (لقد رأيتني وإني لأربط الحجر علىٰ بطني من الجوع ، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار) ، وفي رواية : (أربعين ألف دينار) . . فقال العلماء : لم يرد به زكاة مال يملكه ، وإنما أراد الوقوف[1] التي تصدق بها ، وجعلها صدقة جارية ، وكان الحاصل من غلتها يبلغ هـٰذا القدر ، قالوا : ولم يدخر قط مالاً يبلغ هـٰذا المبلغ ، ولم يترك حين توفي إلا ست مئة درهم .

ورُوِّينا عن سفيان بن عيينة قال : ما بنىٰ علي رضي الله عنه لبنة علىٰ لبنة ، ولا قصبة علىٰ قصبة .

ورُوِّينا أنه كانَ عليه إزار غليظ ، اشتراه بخمسة دراهم .

وأما الأحاديث الواردة في الصحيح في فضله . . فكثيرة .

رُوِّينا في صحيحي « البخاري » [٤١٥٤] ، و« مسلم » [٢٤٠٤] : عن سعد بن أبي وقاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ؛ تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ غير أنه لا نبي بعدي ؟ » .

وفي « صحيحيهما » [خ٣٤٩٨ـ م١٨٠٧] : عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله علىٰ يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » ، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس . . غدوا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقيل : يا رسول الله ؛ هو يشتكي عينيه ، قال : « فأرسِلوا إليه » ، فأُتي به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فبرىء ، حتىٰ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال له علي : يا رسول الله ؛ أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا ؟ فقال : « أنفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب

---

(١) جمع وقف .

عليهم من حق الله تعالىٰ فيه، فوالله؛ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً.. خير لك من حمر النعم».

قوله: (يدوكون) أي: يخوضون ويتحدثون.

وفي «صحيحيهما» عن سلمة بن الأكوع نحوه.

وفي «صحيح مسلم» [٢٤٠٤]: عن سعد بن أبي وقاص في حديث طويل، قال في آخره: لما نزلت هٰذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾.. دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: «اللهم؛ هٰؤلاء أهلي».

وفي «صحيح مسلم» أيضاً [٢٤٠٨]: عن زيد بن أرقم ـ في جملة حديث طويل ـ قال: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بماء يُدعىٰ خُمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ووعظ، وذكَّر، ثم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس؛ فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيَني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث علىٰ كتاب الله تعالىٰ ورغب فيه، قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فقيل: ومَن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولٰكن أهل بيته من حَرَّم الصدقة عليهم، قيل: ومَن هم؟ قال: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس).

وفي «كتاب الترمذي» [٣٧١٣]: عن أبي سريحة الصحابي أو زيد بن أرقم ـ شك شعبة ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كنت مولاه.. فعلي مولاه» رواه الترمذي وقال: حديث حسن، والشك في عين الصحابي لا يقدح في صحة الحديث؛ لأنهم كلهم عدول.

وعن بريدة رضي الله عنه [عن أبيه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم»، قيل: يا رسول الله؛ سَمِّهِمْ لنا، قال: «علي منهم ـ يقول ذلك ثلاثاً ـ وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، أمرني بحبهم، وأخبرني أنه يحبهم» رواه الترمذي [٣٧١٨]، وقال: حديث حسن.

وعن حبشي بن جنادة الصحابي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليٌّ مني، وأنا من عليٍّ، ولا يؤدي عني إلا [أنا أو] علي» رواه الترمذي [٣٧١٩]، والنسائي [في «الكبرىٰ» ٨١٤٧]، وابن ماجه [١١٩]، قال الترمذي: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فجاء عليٌّ تدمع عيناه ، فقال : يا رسول الله ؛ آخيت بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » رواه الترمذي [٣٧٢٠] وقال : حديث حسن .

وعن أم عطية قالت : بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم عليٌّ ، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو رافع يديه يقول : « اللهم ؛ لا تمتني حتىٰ تريني علياً » رواه الترمذي [٣٧٣٧] وقال : حديث حسن .

وعن زر بن حبيش صاحب علي رضي الله عنهما قال : قال علي رضي الله عنه : (والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ؛ إنه لَعَهْدُ النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي ، ألاَّ يحبني . . إلا مؤمن ، ولا يُبغِضني . . إلا منافق) رواه مسلم [٧٨] .

وفي « الترمذي » : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً) .

وأما الحديث المروي عن الصنابحي ، عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا دار الحكمة ، وعلي بابها » وفي رواية : « أنا مدينة العلم » . . فحديث باطل(١) ، رواه الترمذي [٣٧٢٣] ، وقال : هو حديث منكر(٢) ، وفي بعض النسخ : غريب ، قال : ولم يروه من الثقات غير شريك ، وروي مرسَلاً .

وأحوال علي رضي الله عنه وفضائله ومناقبه في كل شيء مشهورة غير منحصرة ، وإنما ذكرنا أحرفاً منها تبرُّكاً .

ولي الخلافة رضي الله عنه خمس سنين ، وقيل : خمس سنين إلا شهراً ، بويع بالخلافة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل عثمان ؛ لكونه أفضل الصحابة حينئذ ، وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين .

قال سعيد بن المسيب : لما قتل عثمان . . جاءت الصحابة وغيرهم إلىٰ دار علي ،

---

(١) بل هو حديث حسن كما قال العلامة ابن حجر المكي في « شرح الهمزية » ، وقال في « فتاويه الحديثية » : رواه جماعة ، وصححه الحاكم ، وحسنه الحافظان العلائي وابن حجر . اهـ
وقد أفرد لهـٰذا الحديث العلامة المحدث السيد أحمد بن الصديق الغماري كتاباً سماه : « فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي » فلينظره من أراد التحقيق حول هـٰذا الحديث .

(٢) الحديث المنكر : هو الحديث الفرد الذي لا يعرف متنه عن غير راويه .

فقالوا : نبايعك فأنت أحق بها ، فقال : إنما ذلك لأهل بدر ، فمن رَضُوا به . . فهو الخليفة ، فلم يبق أحد إلا أتىٰ علياً ، فلما رأىٰ ذلك . . خرج إلى المسجد ، فصعد المنبر ، وكان أول من صعد إليه وبايعه طلحة ، ثم بايعه الباقون .

ولما دخل الكوفة . . قال له بعض حكماء العرب : لقد زِنْتَ الخلافة وما زانتك ، ولَهي كانت أحوج إليك منك إليها .

وله في قتال الخوارج عجائب ثابتة في الصحيح مشهورة .

وأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيقتل .

ونقلوا عنه آثاراً كثيرة تدل علىٰ أنه رضي الله عنه عَلِم السَّنَةَ والشهر والليلة التي يقتل فيها ، وأنه لما خرج لصلاة الصبح حين خرج . . صاحت الإوز في وجهه ، فطُرِدْنَ عنه ، فقال : (دعوهن ، فإنهن نوائح) .

وقال محمد بن سعد : قال أهل السير : انتدب ثلاثة من الخوارج : عبد الرحمـٰن بن ملجم المرادي ـ وهو من حمير ، وعِداده في بني مراد ، وهو حليف بني جبلة من كندة ـ والبرك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بكير التميمي ، فاجتمعوا بمكة ، وتعاقدوا ليقتُلُن علي بن أبي طالب ، ومعاوية ، وعمرو بن العاصي ، فقال ابن ملجم : أنا لعلي ، وقال البرك : أنا لمعاوية ، وقال الآخر : أنا لعمرو ، وتعاهدوا ألاَّ يرجع أحد عن صاحبه حتىٰ يقتله أو يموت دونه ، وتواعدوا ليلة سابع عشرة من رمضان ، فتوجه كل واحد إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يريد قتله ، فضرب ابن ملجم علياً بسيف مسموم في جبهته ، فأوصله دماغه في الليلة المذكورة في ليلة الجمعة ، ثم توفي علي رضي الله عنه في الكوفة ، ليلة الأحد ، التاسع عشر من رمضان ، سنة أربعين ، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم ، وكفن في ثلاثة أثواب ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

ورُوِّينا : أنه لما ضربه ابن ملجم . . قال : فزتُ ورب الكعبة ، قالوا : ولما فرغ علي من وصيته . . قال : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، ثم لم يتكلم إلا كلمة الشهادة (لا إلـٰه إلا الله) حتىٰ توفي ، ودفن في السحر ، وصلىٰ عليه ابنه الحسن ، وقيل : كان عنده فضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوصىٰ أن يُحَنَّطَ به .

توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الأصح وقول الأكثرين ، ورثاه الناس فأكثروا فيه المراثي ، ودفن بالكوفة .

قال ابن قتيبة : ولِعليٍّ رضي الله عنه من الأولاد : الحسن ، والحسين ، ومحسن ، وأم كلثوم ، وزينب الكبرىٰ ، من فاطمة ، وله أولاد من غيرها كثيرون ، وقيل : كان له سبعةٌ وثلاثون ولداً ، والله أعلم . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٣٤٦ـ٣٤٩] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : رأيت في بعض التصانيف : أن بعض الفضلاء صنف قصيدة ذَكر فيها جماعة من أعيان أئمة الإسلام ، فمنها :

وَخَضَّبَتْ شيبَ عثمان دَماً وخَطَتْ ... إلى الزبير ولم تستَحْيِ من عمرِ
وليتهــا إذ فــدت عَمْــراً بخــارجــةٍ ... فدت علياً بمن شاءت من البشرِ

وروى ابن هشام : عن مسلمة بن علقمة المازني قال : لما اشتد القتال يوم أحد . . جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرسل عليَّ بن أبي طالب رضوان الله عليه أن قدم الراية ، فتقدم عليٌّ ، فقال : أنا أبو القُصَم ـ ويقال : الفُصَم ـ فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ـ وهو صاحب لواء المشركين ـ أن هل لك يا أبا القُصَم في البِرَاز من حاجة ؟ قال : فبرزا بين الصفين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه عليٌّ ، فصرعه ولم يُجْهِز عليه ، فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : (إنه استقبلني بعورته ، فعطفتني عليه الرحم ، وعرفت أن الله قد قتله) انتهىٰ [« السيرة النبوية » ٣/٧٣ـ٧٤] .

وروىٰ شيخنا برهان الدين ـ قدس الله روحه ـ بسنده : عن عبد الرحمـٰن ابن أبي ليلىٰ ، عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أعلمك كلمات إذا قلتَهن . . غفر الله لك علىٰ أنه مغفور لك ؟ لا إلـٰه إلا الله العلي العظيم ، لا إلـٰه إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين »[(١)] . انتهىٰ .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا لي سيد العرب » ـ يعني : علي بن أبي طالب ـ فقالت عائشة : أَلَستَ سيد العرب ؟ فقال : « أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب » ، فلما جاء . . أرسل إلى الأنصار ، فأتوه ، فقال لهم : « يا معشر الأنصار ؛ ألا أدلكم علىٰ ما إن تمسكتم به . . لن تضلوا بعده أبداً ؟ » قالوا : بلىٰ ، قال : « هـٰذا عليٌّ ، فأحبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ؛ فإن جبريل أمرني بذلك عن الله عز وجل » رواه أبو بشر عن سعيد بن

---

(١) أخرجه ابن حبان في « الإحسان » (٦٩٢٨) .

جبير ، عن عائشة رضي الله عنها نحوه في السؤدد مختصراً[1] .

وعن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنزل الله تعالىٰ آية فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ . . إلا وعليٌّ رأسها وأميرها » لم نكتبه مرفوعاً . . إلاَّ من حديث ابن أبي خيثمة ، والناس يروونه موقوفاً .

وعن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فسئل عن علي فقال : « قسمت الحكمة عشرة أجزاء ، فأعطي علي تسعة أجزاء ، والناس جزءاً واحداً »[2] .

وعن أبي صالح ماهان الحنفي ، عن علي رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ أوصني ، فقال : « قل : ربي الله ، ثم استقم » ، قال : قلت : ربي الله ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ، فقال : « لِيَهْنِكَ العلم أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ، ونهلته نهلاً » .

وعن شقيق ، عن عبد الله بن مسعود قال : (إن القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف ما فيها حرف إلا له ظهر وبطن ، وإن علي بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن) .

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما : (أنه قام على المنبر ، وخطب الناس ، وقال : لقد فارقكم بالأمس رجل لم يسبقه الأولون ، ولا يدركه الآخرون بعلم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيه الراية ، ويبعثه فلا يرتد حتىٰ يفتح الله علىٰ يديه ، جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، ما ترك صفراء ولا بيضاء . . إلا سبع مئة درهم ، فضلت من عطائه ، أراد أن يشتري بها خادماً) .

وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال عمر رضي الله عنه : (عليٌّ أقضانا ، وأُبي أقرؤُنا) .

وعن علي رضي الله عنه قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أقسمت ـ أو حلفت ـ ألاَّ أضع ردائي عن ظهري حتىٰ أجمع ما بين اللوحين ، فما وضعت ردائي عن ظهري حتىٰ جمعت القرآن) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (كنا نمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) وكذلك الحاكم (٣/ ١٣٣) ، والطبراني في « الكبير » (٣/ ٨٨) .

(٢) أخرجه الديلمي (٣/ ٢٢٧) .

فانقطع شسع نعله ، فتناولها عليٌّ يصلحها ، فقال : « يا أيها الناس ؛ إن علياً ممن يقاتل علىٰ تأويل القرآن كما قاتلتُ علىٰ تنزيله » ، قال أبو سعيد : فخرجت ، فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكترث به فرحاً ؛ فإنه كان قد سمعه) أو كأنه سمعه[1] . أو كما قال .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ اتفق المفسرون علىٰ أن المراد بها عليٌّ .

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال : (والله ؛ ما نزلت آية . . إلا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، إن ربي قد وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً سؤولاً) .

وكان إذا سئل . . أعطىٰ ، وإذا لم يسأل . . ابتدأ .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : شكا الناس علياً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : « يا أيها الناس ؛ لا تشكوا علياً ، فوالله ؛ إنه لأخشن في ذات الله عز وجل »[2] .

وعن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا علياً ؛ فإنه ممسوس في ذات الله عز وجل »[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إلىٰ عليٍّ سبعين عهداً لم يعهده إلىٰ غيره)[4] .

وعن أيوب السختياني ، عن مجاهد قال : خرج علينا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً معتجراً[5] ، فقال : (جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً ، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة ؛ فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً ، فظننتها تريد بَلَّهُ ، فأتيتها ، فقاطعتها علىٰ كل ذَنوب تمرة ، فمددت ستة عشر ذَنوباً حتىٰ مَجِلَتْ[6] يدايَ ، ثم أتيت الماء ، فأصبت منه ، ثم أتيتها ، فقلت بكفَّي هٰكذا بين يديها ـ وبسط إسماعيل يديه فجمعهما ـ فعدَّتْ لي

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم (٣/ ١٣٢) .
(٢) أخرجه بنحوه الحاكم (٣/ ١٤٤) .
(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٩/ ١٤٨) .
(٤) أخرجه الطبراني في « الصغير » (٢/ ١٦١) .
(٥) الاعتجار : لفُّ العمامة على الرأس .
(٦) مَجِلَتْ يداه : إذا ثَخُنَ جلدها وتعجَّر ، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة .

ستة عشر تمرة ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فأكل معي منها[١]) زاد في رواية : (فقال لي خيراً ، ودعا لي) .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي ؛ إن الله تعالىٰ قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالىٰ منها ، هي زينة الأبرار عند الله : الزهد في الدنيا ، فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ، ووهب لك حب المساكين ، فجعلك ترضىٰ بهم أتباعاً ، ويرضون بك إماماً »[٢] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زهد في الدنيا . . علمه الله بلا تعلم ، وهداه بلا هداية ، وجعله بصيراً ، وكشف عنه العمىٰ »[٣] .

وقال علي رضي الله عنه : (ما يسرني لو مت طفلاً وأُدخلت الجنة ، ولم أَكبُر فأعرفَ ربي) .

وقال : (أنصح الناس وأعلمهم بالله . . أشد الناس حباً وتعظيماً لحرمة أهل لا إلـٰه إلا الله) .

وقيل لعلي رضي الله عنه : ألا نحرسك ؟ قال : (حارس كل امرىء أجله) .

وقال : (كونوا لقَبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ؛ فإنه لن يقل عمل مع التقوىٰ ، وكيف يقل عمل يُتقبَّلُ ؟!)

وعن علي رضي الله عنه قال : (إذا كان يوم القيامة . . أتت الدنيا بأحسن زينتها ، ثم قالت : يا رب ؛ هبني لبعض أوليائك ، فيقول الله عز وجل لها : اذهبي يا لا شيء ، فلأنت أهون من أن أهبك لبعض أوليائي ، فتطوىٰ كما يطوى الثوب الخَلِق ، فتلقىٰ في النار) .

وقال علي رضي الله عنه : (لا يرجونَّ العبد إلا ربَّه ، ولا يخافن إلا ذنبَه ، ولا يستحيَنَّ جاهلٌ أن يسأل عما لا يعلم ، ولا يستحيَنَّ عالمٌ إذا سئل عما لا يعلم ؛ أن يقول : الله أعلم ، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له) .

وقال : (إن أخوف ما أخاف عليكم . . اتباع الهوىٰ ، وطول الأمل ، فأما اتباع

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٣٥) .
(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ١٢١) وعزاه للطبراني .
(٣) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٦/ ١٤٣) .

الهوىٰ . . فيضل عن الحق ، وأما طول الأمل . . فينسي الآخرة ، ألا وإن الدنيا قد ترحَّلَتْ مدبرةً ، ألا وإن الآخرة قد ترحَّلَت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل) .

وقال : (ألا إن الفقيه كلَّ الفقيه : من لا يقنِّطُ الناس من رحمة الله تعالىٰ ، ولا يؤَمِّنهم من عذاب الله تعالىٰ ، ولا يرخص لهم في معاصي الله تعالىٰ ، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلىٰ غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا خير في علم لا فَهْمَ فيه ، ولا خير في قراءة لا تدبُّرَ فيها) .

وقال : (كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الليل ، خُلْقان الثياب ، جُدُدَ القلوب . . تُعرَفون به في ملكوت السماء ، وتُذكَرون به في الأرض) .

وقال : (يا أيها الناس ؛ إنكم لو حننتم حنين الواله الثكلان ، وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان[1] ، ثم خرجتم من أموالكم وأولادكم في التماس القرب إلى الله عز وجل ، وابتغاء رضوانه ، وارتفاع درجة عنده ، أو غفران سيئة . . كان ذلك قليلاً فيما تطلبون ، ووالله ؛ لو سالت عيونكم رغبة ورهبة إليه سبحانه وتعالىٰ ، ثم عَمَّرتم عُمرَ الدنيا مجدِّين في الأعمال الصالحة ، ولم تُبقوا شيئاً من جهدكم . . لما دخلتم الجنة بأعمالكم ، ولـٰكن برحمته سبحانه وتعالىٰ ، جعلَنا الله وإياكم من التائبين العابدين) أو كما قال .

وعن كميل بن زياد قال : أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي ، فأخرجني إلىٰ ناحية الجَبَّان[2] ، فلما أصحرنا[3] . . جلس ، ثم تنفس ، ثم قال : يا كميل بن زياد ؛ القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ ما أقول لك ، الناس ثلاثة : فعالم ربَّاني ، ومتعلم علىٰ سبيل نجاة ، وهمج رعاع ، أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلىٰ ركن وثيق ، العلم خير لك من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل ، والمال تُنقِصه النفقة ، العلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، ومحبة العالم دِين يُدان بها ، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته ، وجميل الأحدوثة

---

(١) **الوَلَهُ** : ذهاب العقل من حزن أو حيرة ، **والجؤار** : رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة .

(٢) **الجبَّان** : الصحراء ، وكذلك المقبرة ، والمراد هنا الأول .

(٣) تجاوزنا البيوت والأشجار دخولاً في الصحراء .

بعد موته ، وصنيعة المال تزول بزواله ، مات خُزَّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ؛ أعيانهم مفقودة ، وآثارهم في القلوب موجودة ، هاه! هاه! إن هـٰهنا ـ وأشار بيده إلىٰ صدره ـ علماً لو أصبت له حَمَلَة ، بلىٰ أصبت لَقِناً[١] غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدِّين للدنيا ، يستظهر بحجج الله تعالىٰ علىٰ كتابه ، وبنعمه علىٰ عباده ، أو منقاداً لأهل الحق لا بصيرة له في إحيائه ، يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ، لا ذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللذات ، سلس القياد للشهوات ، أو مغرىً بجمع الأموال والادخار ، وليسا من دعاة الدِّين ، أقرب شبَهاً بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت هـٰذا العلم بموت حامليه ، اللهم ؛ بلىٰ ، لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة الله تعالىٰ ؛ لكي لا تَبطُل حجج الله تعالىٰ وبيناته ، أولـٰئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً ، بهم يدفع الله عن حججه حتىٰ يؤدوها إلىٰ نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم علىٰ حقيقة الأمر ، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلقة بالمنظر الأعلىٰ ، أولـٰئك خلفاء الله تعالىٰ في بلاده ، ودعاته إلىٰ دينه ، هاه! هاه! شوقاً إلىٰ رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولك ، إذا شئت . . فقم) .

وعن علي بن ربيعة الوالبي قال : جاء ابن التياح فقال : يا أمير المؤمنين ؛ امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء ، فقال : الله أكبر ، فقام متوكئاً على ابن التياح ، حتىٰ قام علىٰ بيت مال المسلمين ، ثم نودي في الناس ، فأعطىٰ جميع ما في بيت مال المسلمين ، وهو يقول : (يا صفراء ، يا بيضاء ؛ غري غيري ، ها . . وها . .) حتىٰ ما بقي منه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه[٢] ، وصلىٰ فيه ركعتين .

زاد في رواية : أنه كان يكنس بيت المال ، ويصلي فيه ، يتخذه مسجداً ؛ رجاء أن يشهد له يوم القيامة .

وعن العلاء : أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطب الناس ، فقال : (والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ ما رزأت[٣] من فيئكم إلا هـٰذه) وأخرج قارورة من كُمِّ قميصه ، فقال : (أهداها إلي مولاي دهقان) .

---

(١) أي : فَهِماً غير ثقة .
(٢) نضح بيتِ المال : أي رشُّه بالماء .
(٣) أي : ما أخذت .

وأُتي بفالوذج ، فوضع قدامه ، وقال : (إنك طيب الريح ، حسن اللون ، طيب الطعم ، لـٰكن أكره أن أعوِّد نفسي ما لم تعتد) وفي رواية : فلم يأكل منه .

قال عبد الملك بن عمر : حدثني رجل من ثقيف : أن علياً رضي الله عنه استعمله علىٰ عكبرا ، قال : ولم يكن السواد يسكنه المصلون ، وقال لي : إذا كان عند الظهر . . فَرُحْ إلي ، فَرُحْتُ إليه ، فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه ، فوجدته جالساً وحده وعنده قدح وكوز من ماء ، فدعا بطينة[1] ، فقلت في نفسي : لقد أمنني حتىٰ يخرج إلي جوهراً ، ولا أدري ما فيها ، وإذا عليها خاتم ، فكسر الخاتم ، فإذا فيها سويق ، فأخرج منه ، وصب في القدح ، وصب عليه ماء ، فشرب وسقاني ، فلم أصبر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ تصنع هـٰذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك ؟ قال : (أمَا والله ؛ ما أختم عليه بخلاً عليه ، ولـٰكني أبتاع قدر ما يكفيني ، فأخاف أن يفنىٰ فيوضع من غيره ، وإنما حفظي لذاك ، وأكره أن أُدخل بطني إلا طيباً) [انتهىٰ « الحلية » ١/٦٣ـ٨٢] .

قال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونَهْبِ الدار طعاماً إلا مختوماً ؛ حذراً من الشبهة[2] .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ عليٍّ بن أبي طالب وهو مريض ، فقال له : « قل اللهم ؛ إني أسألك تعجيل عافيتك ، أو صبراً علىٰ بليتك ، أو خروجاً من الدنيا إلىٰ سعة رحمتك ؛ فإنك ستُعطىٰ إحداهن »[3] .

وعن سفيان ، عن الأعمش ، قال : كان عليٌّ رضي الله عنه قوْتهُ وكسوته من شيء يجيئه من المدينة يعرف حِلَّهُ .

وعن سفيان الثوري ، عن عمرو بن قيس قال : قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ؛ لِمَ ترقَعُ قميصك ؟ قال : (لأنه يُخَشِّعُ القلب ، ويقتدي بي المؤمن ، وإنه أبعد مِنَ الكِبْر) .

وعن أبي سعيد الأزدي ـ وكان من أئمة الأزد ـ قال : رأيت علياً رضي الله عنه أتى السوق

---

(١) **الطينة** : قطعة من الطين يختم بها الصك ونحوه .

(٢) الإحياء (٢/ ٩١) .

(٣) الإحياء (٢/ ٢٠٩) ، والحديث أخرجه بنحوه ابن حبان في « الإحسان » (٩٢٢) ، والحاكم (٧٠٣) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه القضاعي عن سيدنا علي رضي الله عنه (٢/ ٣٣٣) .

وقال : من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم ؟ فقال رجل : عندي ، فجاء به ، فأعجبه ، وقال : لعله خير من ذاك ، قال : لا ، ذاك ثمنه . قال : فرأيت علياً يقرض رباط الدراهم من ثوبه ، فأعطاه ، فلبسه ، فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه ، فأمر به فقطع ما فَضَل عن أطراف أصابعه .

ودخل شخص عليه في داره وهو يرعد تحت شمل قطيفة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هٰذا المال ، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال : (والله ؛ ما أرزأكم من مالكم شيئاً ، وإنها لقطيفتي التي خرجتُ بها من منزلي) أو قال : (من المدينة) انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٨٢-٨٣] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما بكرمه ـ : قد صح : أن علياً أمير المؤمنين رضي الله عنه طلق الدنيا ثلاثاً ، وقد نظم بعض الناس في ذلك فقال :

عتِبتُ على الدنيا فقلت : إلىٰ متىٰ ... أكابد حزناً همُّه ليس ينجلي ؟
فقالت : نَعَم يا بن الكرام لأنني ... غضبت عليكمْ منذ طلقني عليْ
فكل وليٍّ مِن علي قرابة ... حرام عليه اليسر غير محلَّلِ

ومن شعر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

محمدٌ النبيُّ أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفرٌ الذي يمسي ويُضحِي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعِرسي ... مَسُوطٌ لحمُها بدمي ولحمي(١)
وسبطا أحمدٍ ولداي منها ... فأيكمُ له سهمٌ كسهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طراً ... صغيراً ما بلغت أوانَ حُلْمي

وزاد بعضهم :

وأَوجبَ لي الولاءَ معاً عليكم ... رسول الله يومَ غديرِ خُمٍّ

ومما يُروىٰ له أيضاً :

حقيق بالتواضع من يموتُ ... ويكفي المرءَ من دنياه قوتُ
فما للمرء نصحٌ ذات يوم ... وحرص ليس تدركه النعوتُ

---

(١) مسوطٌ : ممزوج ومخلوط .

صنيعُ مليكنا حسن جميل ... وما أرزاقه عنا تفوت
فيا هٰذا سترحل عن قريب ... إلىٰ قوم كلامُهُمُ السكوتُ

وكان رضي الله عنه إذا فرغ من حرب صفين ليلاً . . يمسك لحيته ، ويبكي حتىٰ تخضل بالبكاء ، وهو يقول : (آهٍ! من قلة الزاد ، وبُعْدِ السفر ، ووَعْرِ الطريق) .

ومن أحاديثه رضي الله عنه قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب . . أن أقول : « لا إلـٰه إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله ، وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين[1] » انتهىٰ .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن أبي صالح قال : دخل ضرار بن ضمرة الكناني علىٰ معاوية فقال : صف لي علياً ، فقال : أَوَ تعفيني ؟ فقال : لا أعفيك ، قال : أمَا إذ لا بد . . فإنه كان ـ والله ـ بعيدَ المدىٰ ، شديد القوىٰ ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، ويتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحِكَم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان ـ والله ـ غزير الدمعة ، كثير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلِّب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما جشب ، كان ـ والله ـ كأحدنا ، يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبُنا إذا سألناه ، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه ؛ هيبة له ، فإن تبسم . . فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظِّم أهل الدِّين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييئس الضعيف من عدله ، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يتمثل في محرابه ، قابضاً علىٰ لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه الآن وهو يقول : (يا ربنا ؛ يا ربنا) ، يتضرع إليه ، ثم يقول للدنيا : (أَبِيْ تغررت ؟ إِلَيَّ تشوفت ؟ أم لي تزينت ؟ هيهات! هيهات! غري غيري ، قد بَتَتُّكِ ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك كبير ، آه! آه! من قلة الزاد ، وبُعْدِ السفر ، ووحشة الطريق) .

فوكفت دموع معاوية علىٰ لحيته ما يملكها ، وجعل ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، فقال : هٰكذا كان أبو الحسن رحمه الله ؟ كيف وَجْدُك عليه يا ضرار ؟ قال : وَجْدُ من ذبح واحدها في حِجْرِها ، لا يرقأ دمعها ، ولا يسكن حزنها ، ثم قام ، فخرج .

---

(١) أخرجه الحاكم (١/٦٨٨) .

وقال علي رضي الله عنه : (أشد الأعمال ثلاثة : إعطاء الحق من نفسك ، وذكر الله تعالىٰ علىٰ كل حال ، ومواساة الأخ في المال) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (التقوىٰ : ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة) .

وقال جابر بن عبد الله : (إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حمل الباب علىٰ ظهره يوم خيبر ، حتىٰ صعد المسلمون عليه ، ففتحوا خيبر ، وإنهم جربوا أن يرفعوا الباب بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلاً) .

زاد في رواية : (أنه لما دنا من الحصن . . خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل من اليهود ، فوقع ترسه من يده ، فتناول عليٌّ باباً من الحصن ، فتترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده ـ وهو يقاتل ـ حتىٰ فتح الله عليه ، ثم ألقاه [من يده] ، فلقد رأيتُنا ثمانية أنفس نجهد أن نقلب ذلك الباب فما نستطيع أن نقلبه)(١) .

لطِيْفَةٌ

وعن علي رضي الله عنه : أن يهودياً قال : اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه! فقال [علي رضي الله عنه] : (قلتم : اجعل لنا إلـٰهاً ولَمَّا تجف أقدامكم) من « الكشاف » .

وعن عبد الواحد الدمشقي قال : نادىٰ حوشب الحميري علياً يوم صفين ، فقال : انصرف عنا يابن أبي طالب ، فإنا ننشدك الله في دمائنا ودمك ، نخلي بينك وبين عراقك ، وتخلي بيننا وبين شامنا ، وتحقن دماء المسلمين ، فقال علي : (هيهات يابن أم ظليم! والله ؛ لو علمت أن المداهنة تسعني في دِين الله تعالىٰ . . لفعلت ، ولكان أهون علي في المؤنة ، ولـٰكن الله لم يرض من أهل القرآن بالإدْهان والسكوت والله ُعز وجل يُعصىٰ) انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٨٤ـ٨٥] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعي بكتابٍ كَتَب به إِليَّ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فإنه كتب إلي : أما بعد : فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، ويسره دَرْكُ ما لم يكن ليفوته ، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك ، وليكن أسفك علىٰ ما فاتك

(١) تاريخ الطبري (٢/ ١٣٧) .

منها ، وما نلت من دنياك . . فلا تكترثن به فرحاً ، وما فاتك منها . . فلا تأس عليه حزناً ، وليكن همُّك فيما بعد الموت) .

وعن زاذان قال : سمعت علياً رضي الله عنه في الرحبة[1] وهو ينشد الناس : مَن شهد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في يوم غدير خُمٍّ وهو يقول : « من كنت مولاه . . فعلي مولاه » ؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً ، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كنت مولاه . . فعلي مولاه » .

وعن أبي مجلز قال : جاء رجل إلىٰ علي رضي الله عنه فقال : احترس ؛ فإن ناساً من مراد يريدون قتلك[2] ، فقال : (إن مع كل رجل ملكين يحفظانه ما لم يُقَدَّرْ[3] ، فإذا جاء القدر . . خلَّيَا بينه وبينه ، وإن الأجل جنة حصينة) انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٣٢ـ١٤٠] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ، وحفظ عليه الإيمان ، وتوفاه عليه ـ :
اِعلم : أن لأمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصائص لم يشاركه فيها أحد من هـٰذه الأمة :

منها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « علي مني ، وأنا من علي ، ولا يؤدي عني إلا رجل مني » .

زاد في رواية : أنه أرسله بـ(سورة براءة) أو أربعين آية منها ليقرأها على الناس في الموسم ، فسأل أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « إني أمرت ألاَّ يبلغ عني إلا رجل مني »[4] .

ومنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه : أبا تراب .

ومنها : استخلافه بمكة حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ليؤدي عنه الودائع .

ومنها : أنه أعطاه الراية يوم خيبر ، وأخبره أن الفتح يكون علىٰ يديه .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من كنت مولاه . . فعلي مولاه » ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (هنيئاً لك ، أصبحت وَليَّ كل مؤمن ومؤمنة) .

---

(١) رحبة الكوفة : اسم قرية بحذاء القادسية قريبة من الكوفة .
(٢) تقدم (ص : ٢٠٦) : أن قاتله اللعين ابن ملجم حميري معدود في بني مراد .
(٣) جاء في « الصفوة » : مما لم يَقْدِر عليه .
(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣/ ١٦٥) .

ومنها : أنه لم يسجد لغير الله عز وجل ولا طرفة عين ، علىٰ ما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سباقو الأمم ثلاثة : حبيب النجار ، ومؤمن آل فرعون ، وعلي بن أبي طالب ؛ لم يسجدوا لغير الله ولا طرفة عين »[1] .

ومنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عنه أنه يقاتل علىٰ تأويل القرآن كما قاتلتُ علىٰ تنزيله .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أقضاكم علي » .

ومنها : أن كل آية من القرآن لها ظاهر وباطن ، فإن علي بن أبي طالب قد علم منها الظاهر والباطن .

ومنها : أنه لا يُعرف أن أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يقول : (سلوني) غير علي ، قاله ابن المسيب .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً فيهم علي ، ثم رفع يديه وقال : « اللهم ؛ لا تمتني حتىٰ تريني علياً » .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله قد زينك بزينة لم يزيِّن العباد بزينة أحبَّ إليه منها ، هي زينة الأبرار عند الله : الزهد في الدنيا ، فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً ، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً ، ووهب لك حب المساكين ، فجعلك ترضىٰ بهم أتباعاً ، ويرضون بك إماماً » .

ومنها : أنه قال : (ما يسرني لو مت طفلاً وأُدخلت الجنة ، ولم أكبُر فأعرفَ ربي عز وجل) .

ومنها : أنه أخوه بالمؤاخاة .

ومنها : أنه [صلى الله عليه وسلم] قال : « ألا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ غير أنه لا نبي بعدي ؟ » .

ومنها : أنه طلق الدنيا ثلاثاً ، رضي الله عنه .

ومنها : أنه أبو الحسنين والسبطين الحسن والحسين ، اللذين هما ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيدا شباب أهل الجنة .

---

(١) أخرجه بنحوه الديلمي (٢/ ٤٢١) .

ومنها : أنه زوج سيدة نساء العالمين فاطمة بنت سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنها : أنه في مدة خلافته لم يَصْفُ له الأمر ، وما ذاك ـ والعلم عند الله سبحانه وتعالىٰ ـ إلا لتحقيق قوله صلى الله عليه وسلم : « إنك لا ترزأ من الدنيا شيئاً . . . » الحديث .

ومنها : أنه أول من أسلم من الفتيان . . . إلىٰ غير ذلك من المناقب التي لا تنحصر .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو محمد طلحة بن عبيد الله
رضي الله عنه

أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن سعد بن تيم بن مرة .

يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة .

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : أبو محمد طلحة ، أسلم قديماً ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سعيد بن زيد رضي الله عنه قبل خروجه إلىٰ بدر يتجسسان خبر العير ، فمرت بهما ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فخرج ، ورجعا يريدان المدينة ولم يعلما بخروج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقدما في اليوم الذي لاقىٰ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ، فلقياه منصرفاً من بدر ، فضرب لهما بسهميهما وأجرهما ، وكانا كمن شهدها .

وكان طلحة رضي الله عنه من الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وبايعه على الموت ، ووقاه بيده ونفسه ، فشلت يده ، وجرح يومئذ أربعاً وعشرين جراحة ، ويقال : كان فيه خمس وسبعون ما بين طعنة وضربة .

وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلحة الخير ، ويوم غزوة ذات العسرة : طلحة الفياض ، ويوم حنين : طلحة الجود .

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد : « أوجب طلحة » يعني : حين صنع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ، وذلك أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظاهر بين درعين ، فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع ، فبرك له طلحة ، فصعد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ ظهره ، واستوىٰ عليها) انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٤١] .

وقال الحافظ : عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد .. بكىٰ ، وقال : ذاك يوم كان كله لطلحة ، قال أبو بكر : كنت أول من جاء يوم أحد ،

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي عبيدة ابن الجراح : « عليكما بصاحبكما » يريد طلحة وقد نزف ، فأصلحنا من شأن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار[1] ؛ فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر ، ما بين طعنة وضربة ورمية ، وإذا قد قطعت إصبعه ، فأصلحنا من شأنه)[2] .

وعن موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة رضي الله عنهما قال : لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد . . صعد المنبر ، فحمد الله تعالىٰ ، وأثنىٰ عليه ، ثم قرأ قوله تعالىٰ : ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَـهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ؛ من هـٰؤلاء ؟ فأقبلت وعليَّ ثوبان أخضران ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها السائل ؛ هـٰذا منهم »[3] .

وعن عائشة بنت طلحة رضي الله عنها ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : إني لجالسة في بيتي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفناء ؛ إذ أقبل طلحة بن عبيد الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن ينظر إلىٰ رجل يمشي على الأرض ، قد قضىٰ نحبه . . فلينظر إلىٰ طلحة »[4] .

وعن قبيصة بن جابر رضي الله عنه قال : (صحبت طلحة بن عبيد الله ، فما رأيت رجلاً أعطىٰ لجزيل ماله[5] من غير مسألة منه) .

وعن سفيان ، عن عمرو بن دينار رضي الله عنهما قال : كانت غلة طلحة كل يوم ألفاً وافياً .

وعن سعدىٰ بنت عوف ـ امرأة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما ـ قالت : (لقد تصدق طلحة يوماً بمئة ألف ، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعتُ له بين طرفي ثوبه) .

حدثنا عوف ، عن الحسن رضي الله عنهما قال : (باع طلحة أرضاً له بسبع مئة ألف ، فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال حتىٰ أصبح ، ففرقه) انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٨٧ـ٨٩] .

---

(١) الجفار : الحُفَرُ .

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم (٣/ ٢٩٨) .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/ ١١٧) .

(٤) أخرجه بنحوه الحاكم (٣/ ٤٢٤) .

(٥) أي : أشدَّ عطاءً لجزيل ماله .

ثم قال أبو الفرج في رواية أخرىٰ : إنه لما حُمل المال إليه. . قال : (إن رجلاً تبيت هـٰذه عنده في بيت ، لا يدري ما يطرقه من الله سبحانه وتعالىٰ. . لغرير بالله عز وجل) ولم ينم ، وجعل رسوله يختلف بها في سكك المدينة. . . حتىٰ أسحر وما عنده منها درهم . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٤٣] .

وقال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ـ : طلحة أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا علىٰ يد الصديق رضي الله عنه ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وهو من المهاجرين الأولين ، وقد قدمنا أنه لم يشهد بدراً ، ولـٰكن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره كمن حضر ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وروي لطلحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثاً ، اتفقا منها علىٰ حديثين ، وانفرد البخاري بثلاثة[(١)] .

قتل رضي الله عنه يوم الجمل ، لعشر خلون من جمادى الأولىٰ ، سنة ست وثلاثين ، وهـٰذا لا خلاف فيه ، وكان عمره أربعاً وستين سنة ، وقيل غير ذلك ، وقبره بالبصرة مشهور ، يزار ويتبرك به .

روىٰ عنه بنوه موسىٰ وعيسىٰ وخلائق غيرهم من التابعين ، وآخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن أبي وقاص .

وذكر ابن قتيبة في « المعارف » [٢٢٩] : أن طلحة رضي الله عنه دفن بقنطرةِ نزَّةٍ[(٢)] ، فرأته ابنته عائشة بعد دفنه بثلاثين سنة في المنام ، فشكا إليها النز ، فأمرت به ، فأُخرج فوجد طرياً ، فدفن في داره في البصرة .

وذكر غيره : أنهم حين حولوه. . قال الراوي : كأني أنظر إلى الكافور في عينيه ، ولم يتغير إلا عقيصته[(٣)] ، فإنها مالت عن موضعها ، واخضر شقه الذي يلي الأرض من نز الماء ، فاشتروا له داراً من دور أبي بكرة بعشرة آلاف درهم ، فدفن فيها ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٥١] .

---

(١) في « التهذيب » : (انفرد البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة) .
(٢) نزَّة : ذات نزٍّ ، والنزُّ : هو الماء المتحلِّبُ من الأرض .
(٣) هي ضفيرة الشعر ، أو الخصلة منه .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : لطلحة بن عبيد الله خصائص لم يشاركه فيها مَن بعدَهُ :

منها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه طلحة الخير ، والفياض ، والجود .

ومنها : أنه في يوم أحد وقى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ويده .

ومنها : أنه شلت يده لأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها : أنه برك حتىٰ صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ ظهره .

ومنها : أن الصديق رضي الله عنه كان إذا ذكر يوم أحد . . يبكي ، ويقول : (ذاك يوم كله لطلحة) .

ومنها : أنه نزل فيه قوله تعالىٰ : ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ .

وقد جاء في الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سره أن ينظر إلىٰ رجل يمشي على الأرض ، قد قضىٰ نحبه . . فلينظر إلىٰ طلحة » .

ومنها : أنه باع أرضاً له بسبع مئة ألف ، فتصدق بها في تلك الليلة ، ولم ينم من مخافة ذلك المال ، وقال : (إن رجلاً تبيت هـٰذه عنده لا يدري ما يطرقه من الله عز وجل . . لغريرٌ بالله سبحانه وتعالىٰ) وجعل رسوله يختلف بها في المدينة ، حتىٰ أسحر وما عنده منها درهم . . . إلىٰ غير ذلك .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو عبد الله الزبير بن العوام
رضي الله عنه

قال شيخ الإسلام النووي - قدس الله روحه - : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، القرشي ، الأسدي ، المدني ، يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصي ، وأم الزبير رضي الله عنها اسمها : صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمت وهاجرت إلى المدينة .

أسلم الزبير رضي الله عنه قديماً في أوائل الإسلام ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقيل : ست عشرة ، وقيل : ثمان سنين ، وقيل : ابن ثنتي عشرة سنة ، وكان إسلامه بعد إسلام أبي بكر رضي الله عنهما بقليل ، قيل : كان رابعاً أو خامساً .

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورىٰ .

وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

وآخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود حين آخىٰ بين المهاجرين بمكة ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وآخىٰ بين المهاجرين والأنصار . آخىٰ بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش .

وكان الزبير رضي الله عنه أول من سل سيفاً في سبيل الله عز وجل .

وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد اليرموك ، وفتح مصر .

ورُوِّينا في صحيحي : « البخاري » [٢٨٤٦] و« مسلم » [٢٤١٥] عن جابر رضي الله عنه قال : ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم الأحزاب ثلاث مرات ، فانتدب الزبير في الثلاث مرات ، قال : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » قال الزبير : أنا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن لكل نبي حوارياً ، وحواريَّ الزبير » .

وفي « صحيحيهما » [خ ٣٧٢٠ـ م ٢٤١٦] عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال لي أبي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم ؟ » فانطلقت ، فلما رجعت . . جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه ، فقال : « ارم فِداك أبي وأمي » .

وفي « صحيح البخاري » [٣٧١٧] : أن عثمان بن عفان قيل له : لو استخلفت ؟ قال : فلعلهم قالوا : الزبير ، قال : نعم ، أما والذي نفسي بيده ؛ إنه لخيرهم ما علمت ، وإن كان لأحبَّهم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي رواية للبخاري أيضاً [٣٧١٨] : قال عثمان : (أما والله ؛ إنكم لتعلمون أنه خيركم) ثلاثاً .

وفي « البخاري » [٣٧٢١] : عن عروة : أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك : ألا تشد فنشد معك ؟ فحمل عليهم ، فضربوه ضربتين علىٰ عاتقه ، بينهما ضربة ضُرِبها يوم بدر ، قال عروة : فكنت أُدخل يدي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير .

وفي رواية للبخاري ، عن هشام بن عروة قال : اشترى الزبير سيفاً بثلاثة آلاف درهم .

وفي « الترمذي » [٣٧٤٦] : عن هشام بن عروة بن الزبير قال : أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل ، قال : (ما مني عضو . . إلا وقد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) حتى انتهىٰ إلىٰ فرجه[1] . قال الترمذي : حديث حسن ، وفيما قاله نظر ؛ لأنه منقطع بين هشام والزبير .

ومن مناقبه : ما ثبت في « صحيح البخاري » [٣١٢٩] : عن عبد الله بن الزبير قال : لما وقف أبي يوم الجمل . . دعاني ، فقمت إلىٰ جنبه ، فقال : (يا بني ؛ ما أراني إلا سأُقتل اليوم مظلوماً ، وإن من أكثر همي لدَيني ، أفترىٰ دَيننا يُبقي من مالنا شيئاً ؟) ثم قال : (يا بني ؛ بعْ ما لنا ، واقضِ دَيني) وأوصىٰ بالثلث .

قال عبد الله : فجعل يوصيني بدَينه ، ويقول : (يا بني ؛ إن عجزت عن شيء منه . . فاستعن بمولاي) فوالله ؛ ما دريت ما أراد حتىٰ قلت : يا أبت ؛ من مولاك ؟ قال : الله تعالىٰ ، فوالله ؛ ما وقعت في كربة من دَينه . . إلا قلت : يا مولى الزبير ، اقض عنه دَينه ،

---

(١) أي : فرج الزبير ، وقائل : (حتى انتهىٰ . . .) ابنه عبد الله رضي الله عنهما .

فيقضيه) قال : فقتل الزبير ولم يدعْ ديناراً ولا درهماً ، إلا أرضَين ؛ منها : الغابة ، وإحدىٰ عشرة داراً بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر ، قال : وإنما كان دَينه : أن الرجل كان يأتيه بالمال يستودعه إياه ، فيقول الزبير : (لا ولـٰكنه سلف ، إني أخشىٰ عليه الضيعة) .

وما ولي إمارة قط ، ولا جباية ، ولا خراجاً ، ولا شيئاً إلا أن يكون غزواً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو مع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

قال عبد الله : فحسبت ما كان عليه من الدَّين ، فكان ألفي ألف ومئتي ألف ، وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومئة ألف ، فباعها عبد الله بألف ألف وست مئة ألف ، ثم قال : من كان له عندنا شيء . . فليوافنا بالغابة .

فلما فرغ عبد الله من قضاء دَينه . . قال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا ، قال : لا ، والله ؛ لا أقسم بينكم حتىٰ أنادي بالموسم أربع سنين : أَلاَ من كان له دَين على الزبير . . فليأتنا ، فلنقضه ، فجعل ينادي كل سنة في الموسم ، فلما مضىٰ أربع سنين . . قسم بينهم ودفع الثلث ، وكان للزبير أربع نسوة ، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومئتي ألف ، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومئتا ألف ، هـٰذا لفظ رواية « البخاري » .

ومما رُوِّيناه من أموال الزبير رضي الله عنه : أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، فيتصدق به في مجلسه ، ولا يقوم بدرهم منه .

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة .

وكان الزبير رضي الله عنه يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف ، فلحقه جماعة من الغواة ، فقتلوه بوادي السباع ، بناحية البصرة ـ وقبره هناك ـ في جمادى الأولىٰ ، سنة ست وثلاثين ، وكان عمره سبعاً وستين سنة ، وقيل : ستاً وستين ، وقيل : أربعاً وستين سنة .

وأما أولاده من أسماء بنت الصديق رضي الله عنهم . . فعبد الله ، وعروة ، والمنذر ، وعاصم ، والمهاجر ، وخديجة الكبرىٰ ، وأم الحسن ، وعائشة ، وله أولاد من غيرها . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ١٩٤ـ١٩٦ و٢/ ٣٢٩] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ قدس الله روحه ـ : كان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ، ويدخن عليه بالنار ، وهو يقول له : ارجع إلى الكفر ، فيقول الزبير : (لا أكفر أبداً) .

وعن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد : أخبرني من رأى الزبير وإن في صدره لأمثال العيون من الطعن والرمي . انتهىٰ [« الحلية » ١/٨٩-٩٠] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : للزبير رضي الله عنه خصائص لم يشاركه فيها مَن بعدَهُ :

منها : أنه أول من سل سيفاً في سبيل الله .

ومنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتدب أصحابه يوم الأحزاب ثلاث مرات ، يقول : « من يأتينا بخبر القوم ؟ » وفي كل مرة يقولِ الزبير : أنا ، ثم قام وأتاه بخبر القوم .

ومنها : أنه حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علىٰ ما ثبت في الحديث : « إن لكل نبي حوارياً ، وحواريَّ الزبيرُ » .

ومنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في بني قريظة : « من يأتيني بخبر القوم ؟ » ، فانطلق الزبير ، فلما رجع . . جمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه ، فقال : « ارم فِداك أبي وأمي » .

ومنها : منقبة عظيمة ، وهي وفاء دَينه علىٰ ما ثبت في « صحيح البخاري » .

ومنها : أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج كل يوم ، فيتصدق به في مجلسه ، ولا يقوم بدرهم منه . . . إلىٰ غير ذلك .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام فارس الإسلام :

أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه

قال أبو الفرج : اسم أبيه مالك ، وكنيته : أبو وقاص بن وهيب ـ ويقال : أُهيب ـ بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب [بن مرَّة] ، يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في الأب الخامس[1] .

أسلم قديماً ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان ثالثاً في الإسلام ، وهو أول من رمىٰ بسهم في سبيل الله تعالىٰ ، وأول من أراق دماً في سبيل الله تعالىٰ .

وشهد المشاهد كلها ، وكان يقال له : فارس الإسلام .

وولي الولايات من قبل عمر وعثمان ، وهو أحد أصحاب الشورىٰ ، وما أسلم أحد في اليوم الذي أسلم فيه ، ولقد مكث سبعة أيام ، وإنه لثلث الإسلام ، وفدَّاه النبي صلى الله عليه وسلم بأبويه .

قال : ولقد رأيتنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما لنا طعام نأكله إلا ورق الحُبْلة[2] وهـٰذا السمر ، حتىٰ إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ما له خلط[3] . [انتهىٰ « الصفوة » ١/١٥٠ـ١٥١] .

وقال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ـ : سعد بن أبي وقاص ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئتان وسبعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم علىٰ خمسة عشر ، وانفرد البخاري بخمسة ، ومسلم بثمانية عشر ، وروىٰ عنه خلائق من الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) في نسخة : (في عبد مناف) .

(٢) الحُبْلة : ثمر السَّمُر ، يشبه اللوبياء .

(٣) ما له خلط : لا يختلط نَجْوُهم بعضه ببعض ؛ لجفافه ويبسه ، من أكلهم ورق الشجر وخبز الشعير ؛ لفقرهم وحاجتهم .

وقال الزهري : رمىٰ سعد يوم أحد ألف سهم .

ولما قتل عثمان رضي الله عنه . . اعتزل سعد الفتن ، فلم يقاتل في شيء من تلك الحروب .

واستعمله عمر بن الخطاب على الجيوش التي بعثها لقتال الفرس ، وكان هو أمير الجيش الذين هزموا الفرس بالقادسية وبجلولاء وغَنِموهم ، وهو الذي فتح المدائن ـ مدائن كسرىٰ ـ وهو الذي بنى الكوفة ، وولاه عمر العراق . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢١٣ـ٢١٤] .

وروىٰ أبو الفرج : عن جابر بن عبد الله قال : أقبل سعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فقال : « هـٰذا خالي ، فليُرِني امرؤ خاله »(١) .

وعن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم ؛ سدد رميته ، وأجب دعوته »(٢) .

ودعا سعد فقال : (يا رب ؛ إن لي بنين صغاراً ، فأخِّر عني الموت حتىٰ يبلغوا) فأخر عنه الموت عشرين سنة .

وكان بين خالد وسعد كلام ، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد ، فقال : (مه ، إن ما بيننا لم يبلغ دِيننا) انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٥٢] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ قدس الله روحه ـ : عن سعد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأنا في فتنة السراء أخوف عليكم من فتنة الضراء ، وإنكم ابتُليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإن الدنيا حلوة خضرة »(٣) .

وكان سعد قد مرض بمكة ، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ، وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها ، ولم يكن له يومئذ إلا ابنة واحدة ، قال : يا رسول الله ؛ أُوصي بمالي كله ؟ قال : « لا » ، قال : فالثلث ؟ قال : « الثلث ، والثلث كثير ، فلعل الله أن يرفعك ، فينفع بك ناساً ، ويَضُرَّ بك آخرين » .

واجتمع سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وابن عمر وعمار بن ياسر ، فذكروا الفتنة ، فقال سعد : (أما أنا . . فأجلس في بيتي ، ولا أدخل فيها) انتهىٰ [« الحلية » ١/٩٣ـ٩٤] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٢٨) .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٥٢) .
(٣) أخرجه بنحوه أبو يعلىٰ (٢/١١٥) .

ثم قال أبو الفرج :

توفي سعد في قصره بالعقيق ، علىٰ عشرة أميال من المدينة ، وحمل إليها ، وصلىٰ عليه مروان بن الحكم ، وهو يومئذ والي المدينة ، وصلىٰ عليه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حُجَرهن ، ودفن بالبقيع ، وذلك في سنة خمس وخمسين ، وهو ابن تسع وسبعين ، ويقال : اثنتين وثمانين .

وعن عائشة رضي الله عنها : أنه لما توفي سعد . . أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يمروا بجنازته في المسجد ، ففعلوا ، فوُقف به علىٰ حجرهن ، فصلين عليه ، وأُخرج من باب الجنائز ، فبلغهن أن الناس عابوا ذلك ، وقالوا : ما كانت الجنائز يُدخَل بها المسجد ، فبلغ ذلك عائشة فقالت : (ما أسرعَ الناسَ إلىٰ أن يعيبوا ما لا علم لهم به! عابوا علينا أن نمر بجنازة في المسجد ، وما صلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد)[1] انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٥٢] .

وقال في « الاكتفاء » : دخل سعد رضي الله عنه علىٰ معاوية فلم يسلم عليه بالإمارة ، فقال له معاوية : لو شئت أن تقول غير هـٰذا . . لقلتَ ، فقال سعدٌ : (فنحن المؤمنون ولم نؤمِّرك ، فإني أتعجب مما أنت فيه ، واللهِ ؛ ما يسرني أني على الذي أنت فيه ، وأني هرقتُ مِحجَمَةَ دم) .

وسعد آخر من مات من المهاجرين ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه خصائص لم يشاركه فيها مَن بعدَه :

منها : أنه أول من رمىٰ سهماً في سبيل الله .

ومنها : أنه أول من أراق دماً في سبيل الله .

ومنها : أنه كان يقال له : فارس الإسلام .

ومنها : أنه رمىٰ في يوم أحد بألف سهم في سبيل الله .

ومنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدَّاه بأبويه ، وهـٰذه المنقبة قد قدمنا أن الزبير شاركه فيها أيضاً .

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (٩٧٣) .

ومنها : أن بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه . . اعتزل سعد الفتن ، فلم يحضر في شيء من تلك الحروب .

ومنها : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمله على الجيوش التي في قتال الفرس ، وكان هو الأمير ، وكان الفتح علىٰ يديه ، فتح مدائن كسرىٰ وغيرها .

ومنها : أنه بنى الكوفة ، وولاه عمر رضي الله عنه العراق .

ومنها : أنه كان مجاب الدعوة ، مسدد الرمية ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم ؛ سدد رميته ، وأجب دعوته » ، وقد دعا ، فأَخَّر عنه الموت نحو عشرين سنة .

ومنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عنه : « هـٰذا خالي ، فليرني امرؤ خاله » .

ومنها : منقبة عظيمة ، وهو أنه أوصىٰ أن يكفن في جبة صوف كان قد لقي المشركين فيها يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (إنما كنت أخبئها لهـٰذا اليوم) فكفن بها . . . إلىٰ غير ذلك .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

سعيد بن زيد
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رَزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ، يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي ، أسلم قديماً قبل دخول [رسول الله صلى الله عليه وسلم] دار الأرقم ، وشهد المشاهد كلها ما خلا بدراً ؛ فإنه لم يحضرها للسبب الذي ذكرناه في ترجمة طلحة رحمه الله تعالىٰ(1) . [انتهىٰ « الصفوة » ١/١٥٣] .

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : أما سعيد بن زيد . . فهو ابن عم عمر بن الخطاب(2) ، وتزوج سعيد أخت عمر : فاطمة بنت الخطاب ، كانت قد أسلمت هي وزوجها سعيد قبل عمر ، وكانا سبب إسلامه .

وهو من المهاجرين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وآخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بن كعب .

وشهد جميع المشاهد غير بدر ، فاختلفوا في شهوده لها ، قال الأكثرون : لم يشهدها ؛ لعذره فإنه كان غائباً عن المدينة ، وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه [منها] وأجره .

وقال جماعة : شهد بدراً ، وذكره البخاري في « صحيحه » ممن شهد بدراً ، وشهد اليرموك ، وحصار دمشق .

---

(١) انظر (ص ٢٢٥) .

(٢) وجد في أحد النسخ : (ولذلك لم يذكره في الشورىٰ ؛ خشية أن يراعىٰ في الإمارة بسببه ، بل قد جاء في رواية المديني عن شيوخه : أنه استثناه من بينهم ، وقال : لست مدخله فيهم ، كل ذلك تورعاً واحتياطاً رضي الله عنه) .

وكان مجاب الدعوة .

ورُوِّينا في صحيحي : « البخاري » [٣١٩٨] ، و« مسلم » [١٦١٠] ، عن عروة : أن سعيد بن زيد رضي الله عنه خاصمته أروىٰ بنت أوس إلىٰ مروان ، وادعت عليه أنه أخذ لها شيئاً من أرضها ، فقال سعيد بن زيد : ما كنت لآخذ من أرضها بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أخذ شبراً من أرض ظلماً . . طُوِّقه من سبع أرضين » ، فقال مروان : لا أسألك بينة بعد هـٰذا ، ثم قال سعيد : (اللهم ؛ إن كانت كاذبة . . فأعم بصرها ، واقتلها في أرضها) فما ماتت حتىٰ ذهب بصرها ، وبينما هي تمشي في أرضها ؛ إذ وقعت في حفرة ، فماتت .

وفي رواية لمسلم [١٦١٠] : أنها قالت : أصابتني دعوة سعيد .

وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وأربعون حديثاً ، اتفقا علىٰ حديثين ، وانفرد البخاري بحديث .

وروىٰ عنه ابن عمر ، وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وخلائق من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما غسله : فغسله ابن عمر ، وقيل : سعد بن أبي وقاص ، وصلىٰ عليه ابن عمر ، ونزل في قبره سعد وابن عمر . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢١٧] .

وروى الحافظ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : أن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : (لَمَشهدٌ شهده رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تَغبَّر فيه وجهه . . أفضل من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح عليه الصلاة والسلام) .

ولما خرج معاوية من الكوفة . . استعمل المغيرة بن شعبة ، قال : فأقام خطباء يقعون في علي رضي الله عنه ، فغضب سعيد بن زيد ، وقال : (ألا ترىٰ إلىٰ هـٰذا الرجل الظالم لنفسه ، الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة ، فأشهد على التسعة أنهم في الجنة ، ولو شهدت على العاشر . . لم آثم) يعني نفسه رضي الله عنه . [انتهىٰ « الحلية » ١/٩٥ـ٩٦] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : توفي سعيد بن زيد بالعقيق ، وحمل إلى المدينة ، ودفن بها ، وذلك في سنة خمسين ، أو إحدىٰ وخمسين ، وكان [يوم مات] ابن بضع وسبعين سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٥٤] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : لسعيد بن زيد رضي الله عنه خصائص لم يشاركه فيها مَن بعدَه :

منها : أنه قال : (لَمَشهدٌ شهده رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تغبر فيه وجهه . . أفضل من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح [عليه الصلاة والسلام]) .

ومنها : أنه مجاب الدعوة علىٰ ما ثبت في « الصحيحين ». . . إلىٰ غير ذلك من المناقب التي لا تنحصر .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو محمد عبد الرحمـٰن بن عوف
رضي الله عنه

عبد الرحمـٰن بن عوف [بن عبد عوف] بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة ، أمه الشِّفَّاء بنت عوف ، أسلمت وهاجرت .

أسلم عبد الرحمـٰن قديماً قبل [أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم] دار الأرقم ، فهو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال ابن عمر رضي الله عنهما : إن عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه قال لأصحاب الشورىٰ : هل لكم أن أختاره لكم ؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أنا أول من رضي ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : « أنت أمين في أهل الأرض ، أمين في أهل السماء »(١) .

وروىٰ أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قال : بينما هي في بيتها ؛ إذ سمعت صوتاً رجت منه المدينة ، فقالت : ما هـٰذا ؟ قالوا : عير قدمت لعبد الرحمـٰن بن عوف من الشام ، وكانت سبع مئة راحلة ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رأيت عبد الرحمـٰن بن عوف يدخل الجنة حبواً » ، فبلغ ذلك عبد الرحمـٰن رضي الله عنه ، فأتاها ، فسألها عما بلغه ، فحدثته ، قال : (فإني أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها(٢) وأحلاسها(٣) في سبيل الله عز وجل)(٤) .

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٥٠) .
(٢) القَتَبُ : الرحل الصغير .
(٣) الحِلْسُ : الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، شبهها به للزومها ودوامها .
(٤) أخرجه أحمد(٦/ ١١٥) .

وباع أرضاً من عثمان بأربعين ألف دينار ، فقسم ذاك المال في بني زهرة ، وفقراء المسلمين ، وأمهات المؤمنين ، وبعث إلىٰ عائشة رضي الله عنها بمال من ذلك ، فقالت عائشة : (أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لن يحنُوَ عليكم بعدي إلا الصالحون » سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة) .

وروي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « لن تدخل الجنة إلا زحفاً ، فأقرِضِ الله عز وجل . . يطلق لك قدميك »[1] ، قال ابن عوف : وما الذي أُقرِضُ الله عز وجل يا رسول الله ؟ قال : « تتبرأ مما أمسيت فيه » ، قال : من كلِّه أجمع يا رسول الله ؟ قال : « نعم » ، فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : (مر ابن عوف فليضف الضيف ، وليطعم المسكين ، وليعط السائل ، فإذا فعل ذلك . . كان كفارة لما هو فيه) .

وعن الزهري قال : تصدق عبد الرحمـٰن بن عوف علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ، ثم تصدق بأربعين ألفاً ، ثم أربعين ألفاً ، ثم حمل علىٰ خمس مئة فرس في سبيل الله ، ثم حمل علىٰ ألف وخمس مئة راحلة في سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة ، وأعتق ثلاثين ألف بيت .

وأتي بطعام وكان صائماً ، فقال : (قتل حمزة ولم نجد ما نكفنه فيه ، وهو خير مني ، وقتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم نجد ما نكفنه فيه ، وقد أصبنا منها ما قد أصبنا ، وإني لأخشىٰ أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا في الدنيا) ولم يأكل[2] .

وقال علي رضي الله عنه يوم مات عبد الرحمـٰن بن عوف : (اذهب عنها ابن عوف ، فقد أدركت صفوها ، ونشقت رنقها[3]) [انتهىٰ « الحلية » ١/٩٨-١٠٠] .

وقال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ـ : ولد عبد الرحمـٰن بن عوف بعد عام الفيل بعشر سنين ، وهو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا علىٰ يد أبي بكر ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد الستة الذين هم أهل الشورىٰ ، وأحد الثلاثة الذين انتهت إليهم

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم (٣/ ٣٥٢) .
(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٤) .
(٣) الرنق : الكدر .

الخلافة ، ثم كان هو الذي اجتهد في تقديم عثمان ، وكان من المهاجرين الأولين ، هاجر الهجرتين ، إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وآخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ دومة الجندل إلىٰ بني كلب ، وعممه بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم ، وسدلها بين كتفيه ، وقال : « إن فتح الله عز وجل عليك . . فتزوج بنت ملكهم » أو قال : « شريفهم » ، ففتح الله عز وجل ، فتزوج بنت شريفهم الأصبغ ، فولدت له أبا سلمة .

ومن مناقب الإمام عبد الرحمـٰن بن عوف التي لا توجد لغيره من الناس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلىٰ وراءه في غزوة تبوك ، حين أدركه وقد صلىٰ بالناس ركعة ، وقد جاء هـٰذا في « صحيح مسلم » [٢٧٤/٨١] وغيره .

وقولنا : (لا توجد لغيره من الناس) احتراز من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف جبريل حين أعلمه بالمواقيت(١) .

وجرح عبد الرحمـٰن يوم أحد إحدىٰ وعشرين جراحة ، وجرح في رجله ، وسقطت ثنيتاه ، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله عز وجل ، أعتق في يوم واحد أَحَداً وثلاثين عبداً .

وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وستون حديثاً ، اتفقا منها علىٰ حديثين ، وانفرد البخاري بخمسة .

وروىٰ عنه : ابن عمر ، وابن عباس ، وجابر ، وخلائق غيرهم من الصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن عبد الرحمـٰن بن عوف أمين في السماء أمين في الأرض » .

وكان كثير المال ، محظوظاً في التجارة ، قيل : إنه دخل علىٰ أم سلمة رضي الله عنها ، فقال : يا أماه ؛ خفت أن يهلكني كثرة مالي ؟ قالت : يا بني ؛ أنفق .

وعن الزهري قال : تصدق عبد الرحمـٰن علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ، ثم بأربعين ألفاً ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم تصدق بخمس مئة فرس في سبيل الله تعالىٰ ، ثم بخمس مئة راحلة ، وكان عامة ماله من التجارة .

---

(١) يعني مواقيت الصلاة ، وهـٰذا الحديث معروف عند الفقهاء بـ « حديث إمامة جبريل » أخرجه الستة وغيرهم .

وفي « كتاب الترمذي » [٣٧٤٩] : أن عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه أوصىٰ لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربع مئة ألف . قال الترمذي : حديث حسن .

وقال عروة بن الزبير رضي الله عنهما : أوصىٰ بخمسين ألف دينار في سبيل الله .

وقال الزهري : أوصىٰ لمن بقي ممن شهد بدراً لكل رجل بأربع مئة دينار ، وكانوا مئة فأخذوها ، وأخذها عثمان فيمن أخذ ، وأوصىٰ بألف فرس في سبيل الله تعالىٰ . انتهىٰ [التهذيب » ١/ ٣٠١ـ٣٠٢] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : رأيت في كلام أبي الفرج زيادة علىٰ ما قدمت ذكره ، فأحببت إثباتها لأجل ذلك . وهي :

قال أبو الفرج : ومن مناقب عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه : أنه صلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم كان قد ذهب لحاجته ، فأدركهم وقت الصلاة ، فأقاموا الصلاة ، فتقدمهم عبد الرحمـٰن ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فصلىٰ خلفه ركعة ، وأتم الذي فاته ، وقال : « ما يُقبَض نبي حتىٰ يصلي خلف رجل صالح من أمته » .

وكان من تواضعه رضي الله عنه : لا يُعرَف من بين عبيده . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٤٧] .

توفي سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وصلىٰ عليه علي ، وقيل : الزبير رضي الله عنهما ؛ لأنه كان قد هجر عثمان بسبب تأمير أقاربه ، لمَّا قال له الناس : هـٰذا فعلك . . دخل عليه ولامه ، وقال له : إنما قدمتك ووليتك لتسير بسيرة الشيخين رضي الله عنهما ، وقد خالفتَهما ، وقد أوطنتَ أهل بيتك علىٰ رقاب المسلمين ، فقال عثمان رضي الله عنه : إن عمر رضي الله عنه كان يقطع أقاربه في الله ، وأنا أوصلهم في الله عز وجل ، فقال عبد الرحمـٰن : لله علي نذر ألاَّ أكلمك أبداً ، فلم يكلم عثمان حتىٰ مات ، رضي الله عنهما .

ودفن بالبقيع ، وهو ابن اثنتين وسبعين أو خمس وسبعين سنة .

وكان رضي الله عنه فيما ترك من الذهب ما قُطع بالفؤوس حتىٰ مَجَلت أيدي الرجال منه[1] ،

(١) قال في « الاكتفاء » : كان أهل « المدينة » عيالاً علىٰ عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه ، ثلث يقرضه من ماله ، وثلث يقضي ديونهم من ماله ، وثلث يصلهم رضي الله عنه وأرضاه .

وترك أربع نسوة ، صولحت امرأة منهن من ثمنها بثمانين ألفاً ، رضي الله عنه وأرضاه(١) .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : لعبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه خصائص لم يشاركه فيها مَن بعده :

منها : أنه أمين في أهل الأرض ، أمين في أهل السماء .

ومنها : كثرة إنفاقه وصدقته في سبيل الله تعالىٰ ، حتىٰ إنه كان يريد أن يَخرُجَ من ماله كله ، لولا ما أمره الله تعالىٰ به علىٰ لسان جبريل عليه الصلاة والسلام ، من إطعام السائل ، وإعطاء المسكين ، وإقراء الضيف .

ومنها : أنه أعتق ثلاثين ألف بيت .

ومنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم عممه بيده الشريفة ، وسدلها بين كتفيه ، وقال : « إن فتح الله عليك . . فتزوج بنت ملكهم » ، أو قال : « شريفهم » ، وكان الفتح علىٰ يديه ، وتزوج بنت شريفهم ، فولدت له أبا سلمة .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم صلىٰ خلفه حيث لا عذر من ضعف أو غيره ، وقال عنه : « إنه رجل صالح » .

ومنها : أنه أعتق في يوم واحد أَحَداً وثلاثين عبداً .

ومنها : أنه من شدة تواضعه كان لا يُعرَفُ من بين عبيده .

ومنها : أنه أوصىٰ لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربع مئة ألف .

ومنها : أنه أوصىٰ بخمسين ألف دينار في سبيل الله .

ومنها : قال الزهري : إنه أوصىٰ لمن بقي ممن شهد بدراً لكل رجل بأربع مئة دينار ، وكانوا مئة ، فأخذوها ، وأخذها عثمان بن عفان فيمن أخذ ، وأوصىٰ بألف فرس في سبيل الله . . . إلىٰ غير ذلك . انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف له من الولد عشرون ذكراً وثماني بنات ، مات في خلافة عثمان ، ودفن بالبقيع . انتهىٰ من « الرياض المستطابة » (١٨٠) .

ومنهم الإمام أمير الشام :

أبو عبيدة ابن الجراح
رضي الله عنه

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك ، يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأب السابع ، وهو : فهر بن مالك القرشي .

أمين هٰذه الأمة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الرجلين اللَّذَينِ عينهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة للخلافة ، والآخر عمر ، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد علىٰ يدي الصديق ، رضي الله عنهم أجمعين .

ولما هاجر . . آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن معاذ .

أسلم مع عثمان بن مظعون ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد بدراً والمشاهد كلها ، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، ونزع يومئذ بقية الحلقتين اللتين دخلتا في وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر(١) ، ووقعت ثنيتا أبي عبيدة رضي الله عنه ، فكان من أحسن الناس هتماً(٢) .

وقال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ـ : شهد أبو عبيدة رضي الله عنه بدراً ، وقَتل أباه حينئذ ، وشهد ما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقَبْرُ أبي عبيدة بغَوْرِ بيسان ، عند قرية تسمىٰ : عمتا ، وعلىٰ قبره من الجلالة ما هو لائق به ، وقد زرته فرأيت عنده عجباً .

وصلىٰ عليه معاذ بن جبل ، ونزل في قبره هو وعمرو بن العاصي والضحاك بن قيس ، وختم الله له بالشهادة ؛ فإنه توفي بالطاعون ، وهو شهادة لكل مسلم .

---

(١) المِغْفَرُ : زردٌ ينسج علىٰ قدر الرأس يُلبس تحت القلنسوة .

(٢) الهَتْمُ : انكسار الثنايا من أصولها خاصة ، ومعنىٰ كان أحسن الناسِ هتماً : أي أحسن من انكسرت ثناياه .

وفي « الصحيحين » [خ ٣٥٣٤ـ م ٢٤١٩] : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا ـ أيتها الأمة ـ أبو عبيدة بن الجراح » وفي رواية مسلم : « هٰذا أمين هٰذه الأمة » انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٢٥٩] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : فيه نزلت : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل أمة أميناً ، وأمين هٰذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح » .

وجعل أبو أبي عبيدة ابن الجراح يتصدىٰ لابنه أبي عبيدة يوم بدر ، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر . . قصده أبو عبيدة ، فقتله ، فأنزل الله تعالىٰ فيه هٰذه الآية ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا ﴾ الآية .

ولما قدم عمر الشام . . تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض والأمراء ، فقال عمر : أين أخي أبو عبيدة ؟ قالوا : الآن يأتيك ، فأتاه علىٰ ناقة مخطومة بخطام ليف ، فلما رآه عمر . . نزل فاعتنقه ، وقال للناس : انصرفوا عنا ، ثم دخل عليه بيته ، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه وقوسه ورحله ، وقال عمر لأصحابه : تَمَنَّوْا ، فقال رجل : أتمنىٰ لو أن هٰذه الدار مملوءة ذهباً . . أنفقه في سبيل الله عز وجل ، ثم قال : تمنوا ، فقال رجل : أتمنىٰ لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهراً . . أنفقه في سبيل الله عز وجل ، وأتصدق به ، فقال عمر : أتمنىٰ لو أن هٰذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة ابن الجراح .

وكان أبو عبيدة يسير في العسكر ، ويقول : (ألا رُبَّ مبيض لثيابه مدنس لدينه ، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات ؛ فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ، ثم عمل حسنة . . لعلت فوق سيئاته حتىٰ تقهرهن) .

وقال رضي الله عنه : (مَثَل [قلب] المؤمن . . مَثَل العصفور ، يتقلب كل يوم كذا وكذا مرة) انتهىٰ [« الحلية » ١/١٠٠ـ١٠١] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : عن أنس رضي الله عنه : أن أهل اليمن لما قدموا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . سألوه أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنة والإسلام ، فأخذ

بيد أبي عبيدة وقال : « هٰذا أمين هٰذه الأمة » .

ولما وقع الطاعون بالشام ، وبلغ عمر رضي الله عنه . . قال : إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي . . استخلفته ، فإن سألني الله عز وجل لِمَ استخلفته علىٰ أمة محمد ؟ قلت : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لكل نبي أميناً ، وأميني أبو عبيدة ابن الجراح » ، فإن أدركني أجلي وقد توفي أبو عبيدة . . استخلفت معاذ بن جبل ، فإن سألني ربي لِمَ استخلفته ؟ قلت : سمعت رسولك صلى الله عليه وسلم يقول : « إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل . . كان بين أيديهم رتوة[1] بحجر » .

وتوفي أبو عبيدة في طاعون عمواس بالأردن ، وقُبر ببيسان ، وصلىٰ عليه معاذ بن جبل ، في سنة ثمان عشرة ، في خلافة عمر ، رضي الله عنهم أجمعين ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٥٥] .

وقال في كتاب « الوسيلة » : روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أفضت إليه الخلافة . . كتب إلىٰ من بالشام يعزيهم بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ويأمرهم بالجهاد في سبيل الله عز وجل ، فكان مما كتب :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، إلىٰ من في الشام من المسلمين والمؤمنين ، سلامٌ عليكم ، فإن الحادث الذي حدث علىٰ هٰذه الأمة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رحمة الله ورضوانه على الإمام أبي بكر الصديق ، القائم بالحق ، القائل بالصدق ، والآمر بالقسط ، والآخذ بالعرف ، الرؤوف الرحيم ، الورع الحكيم ـ أو قال : الحليم ـ فنرغب إلى الله عز وجل في العصمة برحمته ، والعمل بطاعته ، والخلود في جنته ، والنظر إلىٰ وجهه الكريم إنه قريب مجيب ، وإذا ورد عليكم كتابي هٰذا ، وقرأتموه . . فالأمير عليكم أبو عبيدة ابن الجراح ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم كتب كتاباً ثانياً إلى الإمام أبي عبيدة ابن الجراح في خاصته ، فكان مما كتب فيه :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلىٰ أبي عبيدة ابن الجراح ، سلامٌ عليك .

---

(١) الرتوةُ : الرمية ، والمعنىٰ : أنه يتقدم على العلماء يوم القيامة برمية سهم أو حجر .

أما بعد :

فإنك بحمد الله في كنف من المسلمين ، وعددٍ تلقىٰ ببعضهم حصار أهل دمشق ، فإذا ورد عليك كتابي هٰذا . . فاقرأه علىٰ مَن قِبَلك مِن المسلمين ، وخبِّرهم بأنك الوالي عليهم ، وابعث سراياك في نواحي الشام ، وانظر فكل من استغنيت عنه . . فابعثه إلي ، ومن احتجت إليه في حصارك . . فأمسكه عندك ، وأمسك فيمن تمسك عندك خالد بن الوليد ؛ فإنه لاغنىٰ لك عنه ، والسلام عليك .

فلما وصل الكتاب إلىٰ أبي عبيدة ابن الجراح بإمارته وعزل خالد بن الوليد ، وكان حين بعثه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد ولاه على الجيش ، فلما قرأ أبو عبيدة كتاب عمر رضي الله عنه . . أخفىٰ عزل خالد ، ولم يزل يصلي خلفه ، حتىٰ سمع خالدٌ رضي الله عنه عزله من الناس ، فقال لأبي عبيدة : هلاَّ أعلمتني بعزلي ؛ فإنك كنت تصلي خلفي ، ولك السلطان علي ؟ فقال أبو عبيدة : يا أبا سليمان ؛ ماذا عندنا من سلطان الدنيا وإمارتها ؟ إنما نحن أخوان في ذات الله سبحانه وتعالىٰ ، فأيُّنا وَلِيَ أخاه . . لم يضره ذلك شيئاً في دينه ولا في دنياه ، ولعل الوالي أن يكون إلى الفتنة أقرب من رعيته ، إلا من عصم الله عز وجل .

وبعد :

فإني قد وليتك الحرب ، وجعلت إليك أعنة الخيل .

ثم عبأ أبو عبيدة الجيوش ، ولقي القومُ المشركينَ ، فنصره الله عز وجل عليهم ، وهزمهم ، وعاد من أفلت منهم ـ انحاز ـ إلىٰ دمشق ، ولم يزالوا في حصارهم ستة أشهر ، ثم إن الروم التمسوا من أبي عبيدة الصلح ، فأجابهم إليه علىٰ مئة ألف دينار ، والجزية بعد ذلك علىٰ كل محتلم ، من الذكور أربعة دنانير في كل عامٍ ، وعلى المرأة ديناران ، وكتب لهم أبو عبيدة بذلك كتاباً ، وقبض منهم المال ، وفتحت له دمشق ، ودخلها المسلمون في يوم الجمعة من رجب ، سنة أربع عشر للهجرة ، وأخرج أبو عبيدة الخمس من المال وبعثه إلىٰ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وقسم الباقي في الجيش ، وكانوا يومئذٍ سبعةً وثلاثين ألفاً ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، ورضي عنا بهم ، آمين ، آمين ، آمين . انتهىٰ .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : لأبي عبيدة بن الجراح خصائص لم يشاركه فيها مَن بعده :

منها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل أمة أميناً ، وإن أميننا ـ أيتها

الأمة ـ أبو عبيدة بن الجراح » ، وفي رواية لمسلم : « هٰذا أمين هٰذه الأمة » .

ومنها : أنه نزع حلقتي المغفر من وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثنيتاه من أجل ذلك ، فكان من أحسن الناس هتماً .

ومنها : أنه قَتل أباه ، وفيه نزلت ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ الآية .

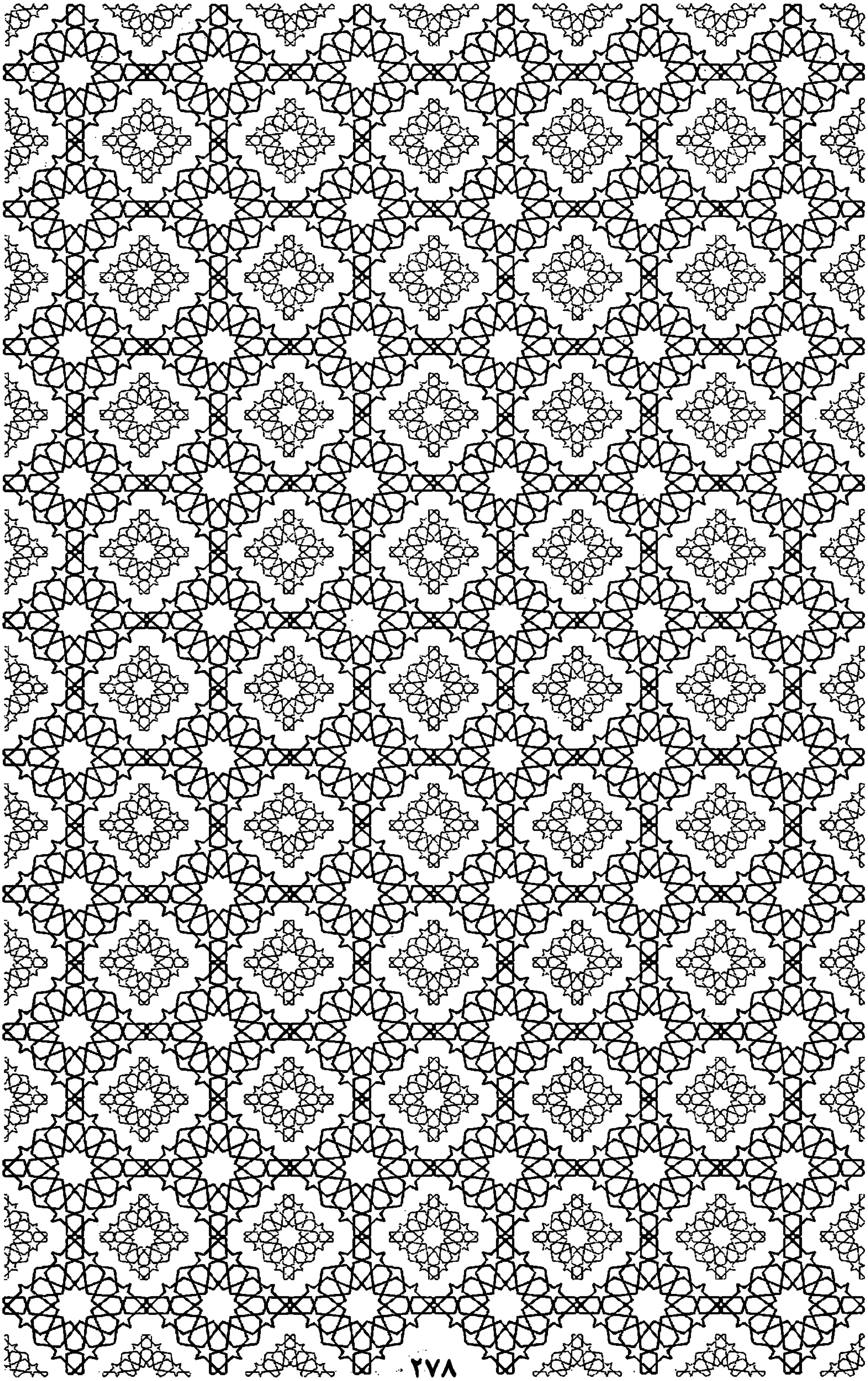
ومنها : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إن أدركني أجلي . . استخلفت أبا عبيدة بن الجراح .

ومنها : أنه قال للصحابة : تمنَّوا ، فكل واحد تمنىٰ شيئاً ينفقه في سبيل الله ، فقال عمر رضي الله عنه : (أتمنىٰ لو أن هٰذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح) . . . إلىٰ غير ذلك من المناقب . انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

جمع من الصحابة
رضي الله عنهم



ومنهم الإمام :

إبراهيم ابن سيد المرسلين محمد
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

قال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ـ : إبراهيم : أمه مارية القبطية ، ولدته مارية رضي الله عنها في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ، وتوفي سنة عشر .

ثبت في « صحيح البخاري » : أنه توفي وله من العمر سبعة عشر أو ثمانية عشر شهراً ، هٰكذا ثبت على الشك .

قال الواقدي وغيره : توفي يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الأول سنة عشر .

وفي « البخاري » [١٣١٦] أيضاً : أنه لما توفي إبراهيم . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن له مرضعاً في الجنة » ضبطناه بوجهين أشهرهما : بضم الميم وكسر الضاد ، والثاني : بفتحهما .

وسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بولادته كثيراً ، وكانت قابلته سلمىٰ مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، امرأة أبي رافع ، وبشَّر أبو رافع به النبي صلى الله عليه وسلم ، فوهب له عبداً ، وحلق شعره يوم سابعه .

قال الزبير بن بكار : وتصدق صلى الله عليه وسلم بزنة شعره فضة ، ودفنه(١) ثم دفعه إلىٰ أم سيف امرأةِ قين(٢) بالمدينة لترضعه .

قال الزبير : تنافست الأنصار فيمن يرضعه ، كل ينافس علىٰ تحصيل البركة بإرضاعه ، وكي يفرِّغوا مارية رضي الله عنها لخدمة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) جاء في نسخة : (قال مؤلفه ـ عفا الله عنه ـ : هٰذا من أعلام النبوة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم دفن شعره ، ولم يدفن شعر الحسن والحسين ؛ لأنهما عاشا ولم يعش إبراهيم عليه السلام ، فكان [في دفن] شعره كالإعلام بموته . والله أعلم) .

(٢) القَيْنُ : الحداد .

وفي « البخاري » [١٢٤١] : عن أنس رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ أبي سيف القين ، وكان ظِئراً لإبراهيم ـ أي : زوج مرضعته ـ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان ، فقال له عبد الرحمـٰن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟! فقال : « يابن عوف ؛ إنها رحمة » ، ثم أتبعها بأخرىٰ فقال : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

ودفن بالبقيع ، وقبره مشهور عليه قبة(١) ، وصلىٰ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكبر أربع تكبيرات .

قيل : إن الفضل بن العباس رضي الله عنهما غسل إبراهيم ، ونزل في قبره هو وأسامة بن زيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس علىٰ شفير القبر ، ورش علىٰ قبره ماء ، وهو أول قبر رش عليه الماء ، والله سبحانه أعلم .

وأما أمه مارية رضي الله عنها . . فإنها توفيت في الحرم سنة ست عشرة ، وصلىٰ عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها ، ودفنت بالبقيع عند ولدها رضوان الله عليهما . انتهىٰ [« التهذيب » : ١/١٠٢ـ١٠٣ و٢/٣٥٤ـ٣٥٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) وقد أُزيلت القبة في هـٰذا الزمان .

ومنهم الإمام :

حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه

يكنىٰ أبا عُمارة .

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : قال محمد بن كعب القرظي : سبب إسلام حمزة رضي الله عنه : أنَّ أبا جهل نال من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك حمزة ، فدخل المسجد مغضَباً ، فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته[1] ، وأسلم حمزة ، فسرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وكان ذلك في السنة السادسة من النبوة بعد دار الأرقم ، وأول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لحمزة رضي الله عنه[2] .

وعن علي رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر ، ودنا القوم منا . . إذا رجل منهم علىٰ جمل أحمر يسير في القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا علي ؛ ناد لي حمزة » وكان أقربهم من المشركين ، قريباً من صاحب الجمل الأحمر ، فسأل عنه ، وماذا يقول لهم ، فجاء حمزة ، فقال : هو عتبة بن ربيعة ، وهو ينهىٰ عن القتال ، قال : فبرز عتبة وشيبة والوليد ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار ، فقال عتبة : لا نريد هٰؤلاء ولٰكن يبارزنا من بني عمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم يا علي ، قم يا حمزة ، قم يا عبيدة بن الحارث »[3] .

وقال الزبير رضي الله عنه : لما كان يوم أحد . . أقبلت امرأة تسعىٰ ، حتىٰ إذا كادت تشرف على القتلىٰ . . قال : فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تراهم ، فقال : « المرأةَ المرأةَ » ، قال الزبير : فتوسمت أنها أمي صفية ، فخرجتُ أسعىٰ إليها ، فأدركتها قبل أن

---

(١) الموضحة : شجة في الرأس توضح العظم بكشف اللحم عنه .
(٢) أخرجه الحاكم (٣/٢٠٧) .
(٣) أخرجه أحمد (١/١١٧) .

تنتهي إلى القتلىٰ ، قال : فلَدَمَتْ[1] في صدري ـ وكانت امرأة جلدة ـ وقالت : إليك لا أرض لك ، قال : فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم عليك ، فوقفَتْ ، وأخرجَتْ ثوبين معها ، فقالت : هٰذان ثوبان ، جئت بهما لأخي حمزة ، فقد بلغني مقتله ، فكفِّنوه بهما ، فجئنا بالثوبين ؛ فإذا إلىٰ جنبه رجل من الأنصار قتيل ، فوجدنا غضاضة وحياء أن يكفَّن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له ، فقلنا : لكل واحد منهما ثوب ، وكان أحد الثوبين أكبر من الآخر ، فأقرعنا بينهما ، وكَفَّنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار[2] له . انتهىٰ [« الصفوة » : ١/١٥٧ـ١٥٩] .

وقال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ـ : حمزة رضي الله عنه يقال له : أسد الرحمـٰن ، وأسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عمه ، وأخوه من الرضاعة ، ولم يعقب .

وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وهي بنت عم آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وقيل : بأربع ، وآخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة .

أسلم في السنة الثانية من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً ، وبارز وأبلىٰ فيها بلاء عظيماً ، وقاتل يومئذ بسيفين .

قال أبو الحسن المدائني : أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة رضي الله عنه حين بعثه في سرية سِيف البحر ـ بكسر السين ـ من أرض جهينة ، وخالفه ابن إسحاق ، فقال : أول لواء عقده لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

استشهد حمزة رضي الله عنه يوم أحد ، في نصف شوال السنة الثالثة من الهجرة ، بعد أن قتل أَحَداً وثلاثين من الكفار ، ودفن في موضعه ، وقبره مشهور يزار ويتبرك به ، وحزن عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٦٨ـ١٦٩] .

وروىٰ أبو الفرج : عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف

---

(١) لَدَمت : ضربت ودفعت ضرباً يسمع صوته .

(٢) في « مسند أحمد » (١/ ١٦٥) : (صار) ولعله الصواب .

علىٰ حمزة حين استشهد ، فنظر إلىٰ شيء لم ينظر إلىٰ شيء قط كان أوجع لقلبه منه ، ونظر إليه وقد مُثِّل به فقال : « رحمة الله عليك ؛ فإنك كنت ـ ما علمتُ ـ فَعولاً للخيرات ، وَصولاً للرحم ، ولولا حزنُ مَنْ بعدك عليك . . لسرني أن أدعك حتىٰ تحشر من أفواه شتىٰ ، أما والله ؛ مع ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك » فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام ، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعد بخواتيم النحل : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ إلىٰ آخر السورة ، فصبر النبي صلى الله عليه وسلم وأمسك عما أراد من المثلة[1] . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٥٩] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : وفي رواية ابن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغني ـ يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به رضوان الله عليه ، وجُدِع أنفه وأذناه ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير رضي الله عنهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأىٰ ما رأىٰ : « لولا أن تحزن صفية ، وتكون سُنَّة من بعدي . . لتركته حتىٰ يكون في بطون السباع وحواصل الطير » ، وقال : « لئن أظهرني الله علىٰ قريش في موطن من المواطن . . لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه علىٰ من فَعل بعمه ما فَعل . . قالوا : (والله ؛ لئن أظهرنا الله يوماً من الدهر . . لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب) .

قال ابن هشام : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ حمزة رضي الله عنه . . قال : « لن أُصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً أَغيَظَ إلي من هـٰذا » ثم قال : « جاءني جبريل ، فأخبرني : أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وأسد رسوله » .

وبعد أن نزل قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ﴾ الآيات . . ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه حتىٰ يأمر بالصدقة ، وينهىٰ عن المثلة ، وأقبلت صفية رضي الله عنها لتنظر إلىٰ أخيها لأبويها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير : « اِلقَها فأرجعها ، لا ترىٰ ما بأخيها » ، فقال لها : يا أماه ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢١٨) .

يأمرك أن ترجعي ، قالت : ولِمَ ؟ وقد بلغني أن قد مُثِّل بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضاني بما كان من ذلك ، لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله تعالىٰ ، فلما أخبره بذلك . . قال : « خلِّ سبيلها » ، فأتته ، فنظرت إليه ، فصلت عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له . انتهىٰ[1] .

وقال أبو الفرج : عن أنس رضي الله عنه : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلىٰ علىٰ جنازة . . كبر عليها أربعاً ، وإنه كبر علىٰ حمزة سبعين تكبيرة)[2] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : (لما أراد معاوية أن يجري عينه التي بأُحد . . كتبوا إليه : إنا لا نستطيع أن نجريها إلا علىٰ قبور الشهداء ، فكتب : انبشوهم ، قال : فرأيتهم يُحمَلون علىٰ أعناق الرجال كأنهم قوم نيام ، وأصابت المسحاة طرف رِجْلِ حمزة ، فانبعثت دماً) رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٦٠] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣/ ٩٥-٩٧) .

(٢) وذلك أنه صلىٰ عليه أولاً ثم صلىٰ علىٰ غيره ، وتركه حتىٰ صلىٰ علىٰ جنائزَ كثيرة ، فاشترك مع تلك الجنائز فبلغت تكبيراته ذلك العدد .

ومنهم الإمام :

زيد بن حارثة
رضي الله عنه

روىٰ أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال : كان زيد بن حارثة رضي الله عنه قد زارت أمه قومها وزيد معها ، فأغارت خيل في الجاهلية ، فمروا علىٰ بني معن ، فاحتملوا زيداً ، وهو يومئذ غلام يفعة[1] ، فوافَوا به سوق عكاظ ، فعرضوه للبيع ، فاشتراه حكيم بن حزام رضي الله عنه لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بأربع مئة درهم ، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وهبته له ، فحج ناس من كعب ، فرأوا زيداً ، فعرفهم وعرفوه ، فانطلقوا ، فأعلموا أباه ، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه ، فقدما مكة ، فسألا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل : هو في المسجد ، فدخلا عليه ، فقالا : يا بن هاشم ، يا بن سيد قومه ؛ أنتم أهل حرم الله وجيرانه ، تفكون العاني ، وتطعمون الأسير ، جئناك في ابننا عندك ، فامنن علينا ، وأحسن إلينا في فدائه ؛ فإنا سنرفع لك في الفداء ، قال : « ما هو ؟ » قالوا : زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فهلاَّ غير ذلك ؟ » ، قالا : وما هو ؟ قال : « أُدعوه فخيِّروه ، فإن اختاركما . . فهو لكما بغير فداء ، وإن اختارني . . فوالله ؛ ما أنا بالذي أختار علىٰ من اختارني أحداً » ، قالوا : قد غمرتنا بالعدل والإحسان ، فدعاه ، فقال : « هل تعرف هـٰؤلاء ؟ » قال : نعم ؛ هـٰذا أبي وهـٰذا عمي ، قال : « فأنا مَن قد علمتَ ورأيتَ صحبتي لك ، فاخترني أو اخترهما » ، فقال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والعم ، فقالوا : ويحك يا زيد! أتختار العبودية على الحرية ، وعلىٰ أبيك وعمك وأهل بيتك ؟! قال : نعم ؛ قد رأيت من هـٰذا السيد العظيم شيئاً ، فما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً ، فلما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك . . أخرجه إلى الحِجْر ، وقال : « يا من حضر ؛ اشهدوا أن زيدا ابني » ، فلما رأىٰ ذلك أبوه وعمه . . طابت أنفسهما ، وانصرفا ، فدعي زيد ابن محمد ، حتىٰ

---

(١) غلامٌ يَفَعَةٌ : قارب الاحتلام .

جاء الله بالإسلام ، فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، فلما طلقها . . تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، فتكلم المنافقون ، وقالوا : تزوج امرأة ابنه ، فنزل : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ .

ونزل : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ، فدعي يومئذ زيد بن حارثة .

قال الزهري : أول من أسلم زيد .

وقال أهل السير : شهد زيد بدراً ، وأحداً ، والخندق ، والحديبية ، وخيبر ، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى المريسيع ، وخرج أميراً في سبع سرايا ، ولم يسمَّ أحد من الصحابة في القرآن باسمه غيره ، رضي الله عنه .

استشهد في غزوة مؤتة في جمادى الأولىٰ سنة ثمان ، وهو ابن خمس وخمسين سنة .

ولما أصيب زيد . . أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فجهشت بنت زيد في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتحب ، فقال له سعد بن عبادة رضي الله عنه : يا رسول الله ؛ ما هـٰذا ؟! قال : « شوق الحبيب إلىٰ حبيبه »(١) انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٦٠ـ١٦٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) أورد نحوه في « فيض القدير » (٣/ ٥٢١) وقال : أخرجه الروياني في « مسنده » ، والضياء المقدسي في « المختارة » عن بريدة رضي الله عنه .

ومنهم الإمام الأمير ابنه :

أسامة بن زيد
رضي الله عنه

قال النووي : أسامة بن زيد بن حارثة ، مولىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن مولاه ، وابن مولاته ، وحبه ، وابن حبه ، كنيته : أبو محمد ، أُمه : أُم أيمن بركة .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة وثمانية وعشرون حديثاً ، اتفقا منها علىٰ خمسة ، وانفرد البخاري بحديثين ، [ومسلم بحديثين] .

روىٰ عنه : ابن عباس ، ثم جماعات من أكابر التابعين .

وفي « الصحيحين » [خ ٣٥٢٤ـ م ٢٤٢٦] : عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً ، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد ، فطَعن بعضُ الناس في إمارته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن تطعنوا في إمارته . . فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وايم الله ؛ إن كان خليقاً للإمارة ، وإن كان لَمِنْ أحب الناس إليَّ » .

وزاد في رواية « مسلم » : « فإنه من صالحيكم » .

وفي « البخاري » [٣٥٢٨] : عن أسامة بن زيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذه والحسن بن علي ، فيقول : « اللهم ؛ أحبَّهُما ، فإني أحبُّهما » أو كما قال .

وفي رواية له أيضاً : قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقعدني علىٰ فخذه ، ويُقعِد الحسن علىٰ فخذه الآخر ، ثم يضمُّنا ، ثم يقول : « اللهم ؛ إني أرحمهما فارحمهما » .

وفي « البخاري » [٣٢٨٨] ، و« مسلم » [١٦٨٨] : عن عائشة رضي الله عنها : أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية ، فقالوا : من يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد ، حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورُوِّينا في « الترمذي » [٣٨١٣] : عن أسلم مولىٰ عمر : أن عمر رضي الله عنه فرض لأُسامة ثلاثة آلاف وخمس مئة ، وفرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف ، فقال : (لِمَ فضَّلْتَ

أُسامة عليَّ ؟ فقال عمر رضي الله عنه : لأن زيداً كان أَحَبَّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ، وكان أُسامة أَحَبَّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، فآثرتُ حُب رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ حُبي) قال الترمذي : حديث حسن .

ومناقب أُسامة رضي الله عنه كثيرة مشهورة .

ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة الجيش وفيهم عمر بن الخطاب ، وعقد له اللواء ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله عشرون سنة .

وثبت في « الصحيحين » [خ ٣٥٢٥ـ م ١٤٥٩] : عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي قائف[1] والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد ، وأُسامة بن زيد وزيد مضطجعان ، فقال : إن هٰذه الأقدام بعضها من بعض ، فسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأعجبه .

قال العلماء : سبب سروره صلى الله عليه وسلم : أن أُسامة كان لونه أسودَ ، وكان طويلاً خرج إلىٰ أمه ، وكان أبوه ـ زيد ـ قصيراً أبيض ، وقيل : بين البياض والسواد ، وكان بعض المنافقين قصد المغايظة والإيذاء ، فدفع الله عز وجل ذلك ، وله الحمد أجمع ، عدد عفوه عن خلقه .

توفي أسامة بالمدينة سنة أربع وخمسين . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ١١٣ـ١١٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) **القائفُ** : الذي يتتبع الآثار ، ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

ومنهم الإمام :

عبد الله بن جحش
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : أمه : أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدراً ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته زينب بنت جحش رضي الله عنها ، ويكنىٰ : أبا محمد ، أسلم قبل [دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم] دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أميراً في سرية إلىٰ نخلة ، وفيها تسمَّىٰ بأمير المؤمنين ، فهو أول من دعي بذلك .

وعن الشَّعبي : أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش ، وأول مغنم قسم في الإسلام مغنمه .

وعن سعد بن أبي وقاص : أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال له يوم أحد : (ألا ندعو الله تعالىٰ ؟) فخلَوا في ناحية ، فدعا عبد الله بن جحش رضي الله عنه فقال : (يا رب ؛ إذا لقيتُ العدو . . فلقِّني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده[1] ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتُك غداً . . قلتَ : يا عبد الله ؛ مَن جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول : فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم ، فتقول : صدقت) قال سعد : (فلقد رأيته آخر النهار ، وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط) .

استشهد رضي الله عنه يوم أحد ، ودفن عند حمزة ـ خاله ـ في قبر واحد ، رضي الله عنهما ، وهو ابن بضع وأربعين سنة .

وروي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه قال : إني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله ، هنيئاً له ، رضي الله عنه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٦٣ـ١٦٤] .

وقال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : أسلم عبد الله بن جحش قديماً ، وهاجر

---

(١) حرده : غضبه وغيظه .

الهجرتين إلىٰ أرض الحبشة ، هو وأخواه : أبو أحمد وعبيد الله ، وأختهم : زينب بنت جحش أم المؤمنين ، وأم حبيبة ، وحمنة بنات جحش ، فأما عبيد الله.. فتنصَّر ومات بالحبشة نصرانياً .

وهاجر عبد الله رضي الله عنه وأخوه أبو أحمد وأهله إلى المدينة ، وأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ سرية ، وهو أول أمير أمَّره ، وغنيمته أول غنيمة في الإسلام ، ثم شهد بدراً ، واستشهد يوم أحد ، وكان دعا يوم أحد أن يقاتل ، ويُستَشْهَدُ ويُقطَع أنفه وأذنه ، ويمثَّلَ به في الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فاستجاب الله تعالىٰ دعاءه ، واستُشهد ، وعمل الكفار به ذلك ، وكان يقال له : المجدَّع في الله عز وجل ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٢٦٢-٢٦٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

مصعب بن عمير
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : مصعب بن عمير ، كان يكنىٰ : أبا محمد ، دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، فأسلم ، وكتم إسلامه ، وكان يختلف إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم سراً ، فلما علموا به . . حبسوه ، ولم يزل محبوساً حتىٰ خرج إلىٰ أرض الحبشة [في الهجرة] الأولىٰ ، ثم خرج الثانية ، وكان من أَنعَم الناس عيشاً قبل إسلامه ، فلما أسلم . . زهد في الدنيا ، فتحشف جلده تحشُّفَ الحية ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولىٰ ؛ يفقههم ويقرئهم القرآن ، وكان يأتيهم في دُورهم ، فيدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم منهم خلق كثير ، وفشا فيهم الإسلام ، وكتب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه أن يجمع بهم ، فأَذِن له ، فجمع بهم في دار سعد بن خيثمة ، ثم قدم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السبعين الذين وافوه في العقبة الثانية ، فأقام بمكة قليلاً ، ثم قدم قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً ، فهو أول من قدِمَها .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلىٰ مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطَّق به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انظروا إلىٰ هـٰذا الرجل الذي قد نور الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، فدعاه حُب الله تعالىٰ وحب رسوله إلىٰ ما ترون »[1] .

وحمل اللواء بيده يوم أحد ، فلما جال المسلمون . . ثبت به مصعب رضي الله عنه ، فقطعت يمينه وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ ، وأخذ اللواء

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٥/ ١٦٠) ، ومعنىٰ تنطَّق به : جعله نطاقاً ، والنطاق : كل ما يشد به الوسط .

بيساره ، فقطعت ، فحنىٰ على اللواء وضمه بعضده إلىٰ صدره ، وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ ﴾ الآية ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح ، فأنفذه ، فاستُشْهِد رضي الله عنه ، وهو ابن أربعين سنة أو يزيد شيئاً .

وقال عبد الله بن الفضل : لما قتل مصعب . . أخذ اللواء ملَك في صورته ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول له في آخر النهار : « تقدم يا مصعب » ، فالتفت إليه الملَك ، فقال : لستُ بمصعب ، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ملَك أُيِّد به .

وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أُحد . . مر علىٰ مصعب بن عمير مقتولاً علىٰ طريقه ، فقرأ : ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1] .

وعن خباب رضي الله عنه قال : (هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه الله تعالىٰ ، فوجب أجرنا على الله عز وجل ، فمِنَّا من مضىٰ ولم يأكل من أجره شيئاً ، منهم مصعب ؛ قتل يوم أحد ، فلم نجد شيئاً نكفنه فيه ، إلا نَمِرة كنا إذا غطينا بها رأسه . . خرجت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه . . خرج رأسه ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي بها رأسه ونجعل علىٰ رجليه إذخِراً[2] ، ومنَّا من أينعت له ثمرته ، فهو يَهْدِبُها)[3] أخرجاه في « الصحيحين » [خ ٣٧٠١ـ م ٩٤٠] انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٦٥ـ١٦٧] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ قدس الله روحه ـ : عن عروة بن الزبير ، وابن شهاب : أن الأنصار لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ، وأيقنوا ، واطمأنت أنفسهم إلىٰ دعوته ، فصدقوه ، وآمنوا به كانوا من أسباب الخير ، وواعدوه إلى الموسم من العام القابل ، فرجعوا إلىٰ قومهم ، فدعوهم سراً ، وأخبروهم برسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عزّ وجلّ به ، وتلَوا عليهم القرآن ، ثم بعثوا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلِك فيدعو الناس إلىٰ كتاب الله عز وجل ؛ فإنه أدنىٰ أن يتبع ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار ، فلم يزل عندهم يدعو آمِناً ويهدي اللهُ تعالىٰ علىٰ يده ، حتىٰ قَلَّ دار من دور الأنصار إلا وقد أسلم

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٢١) .
(٢) الإذخر : حشيشة طيبة الرائحة ، يسقف بها البيوت فوق الخشب ، وهو إذا جف . . ابيضَّ .
(٣) أي : يجتنيها .

أشرافهم ، وأسلم عمرو بن الجموح ، وكسرت أصنامهم ، وكان المسلمون أعز أهل المدينة ، ورجع مصعب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يُدعىٰ : المقرىء .

قال ابن شهاب : وكان أولَ من جمَّع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عبيد بن عمير قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ مصعب بن عمير حين رجع من أحد ، فوقف عليه وعلىٰ أصحابه ، فقال : « أشهد أنكم أحياء عند الله » ، ثم قال : « زوروهم وسلموا عليهم ، فوالذي نفسي بيده ؛ لا يسلِّم عليهم أحد . . إلا ردوا عليه إلىٰ يوم القيامة »[1] انتهىٰ [« الحلية » ١/١٠٧ـ١٠٨] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠/ ٣٦٤) .

ومنهم الإمام :

عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان يكنىٰ : أبا عبد الرحمـٰن ، وأسلم قبل دار الأرقم ، ويقال : إنه سادس في الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووساده ، وسواكه ، ونعليه ، وطهوره في السفر ، وكان يشبَّه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودلِّه وسمْتِه .

وكان من أجود الناس ثوباً ، ومن أطيب الناس ريحاً .

ولي قضاء الكوفة وبيتَ مالِها لعمر ، وصدراً من خلافة عثمان رضي الله عنهم ، ثم صار إلى المدينة ، فمات بها سنة اثنتين وثلاثين .

ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين سنة .

وعن زِر بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود قال : (كنت غلاماً يافعاً أرعىٰ غنماً لعقبة بن أبي معيط ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد نفرا من المشركين ، فقالا : يا غلام ؛ هل عندك من لبن تسقينا ؟ فقلت : إني مؤتمن ، ولست ساقِيَكما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هل عندك من جذعة[1] لم ينزُ عليها الفحل ؟ » ، فقلت : نعم . . فأتيتهما بها ، فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسح الضرع ودعا ، فحفل الضرع ، ثم أتىٰ أبو بكر بصخرة منقعرة ، فاحتلب فيها ، فشرب أبو بكر ، ثم شربتُ ، ثم قال للضرع : « أُقلص » ، فقلص ، قال : فأتيته بعد ذلك ، فقلت : علِّمني مِن هـٰذا القول ، فقال : « إنك غلام معلَّم » ، فأخذت مِن فيه سبعين سورة ، لا ينازعني فيها أحد)[2] .

---

(١) الجَذَعَةُ من الغنم : هي ما أتىٰ عليها سنة ودخلت في الثانية ، فإذا دخلت في الثالثة . . سُمِّيت ثنيَّة .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٦٢) .

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : (لقد أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وما أرىٰ إلا أن ابن مسعود من أهله) .

وعن القاسم بن عبد الرحمـٰن قال : كان ابن مسعود يُلبِس رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه ، ثم يمشي أمامه بالعصا ، حتىٰ إذا أتىٰ مجلسه . . نزع نعليه ، فأدخلهما في ذراعيه ، وأعطاه العصا ، فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم . . ألبسه نعليه ، ثم مشىٰ بالعصا أمامه ، حتىٰ يدخل الحُجْرة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عبد الرحمـٰن بن يزيد قال : أتينا حذيفة رضي الله عنه ، فقلنا له : حدِّثنا بأقرب الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هدياً وسمتاً ودلاً ؛ نأخذ عنه ونسمع منه ، فقال : كان أقرب الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هدياً وسمتاً ودلاً عبد الله بن مسعود ، حتىٰ يتوارىٰ عنا في بيته ، ولقد عَلِمَ المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفىٰ[1] .

وعن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : جاء رجل إلىٰ عمر وهو بعرفة فقال : يا أمير المؤمنين ؛ جئت من الكوفة ، وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب ، فغضب عمر ، وانتفخ حتىٰ كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل[2] ، فقال : ومن هو ويحك ؟ قلت : عبد الله بن مسعود ، فما زال يطفىء غضبه ويسير عنه الغضب حتىٰ عاد إلىٰ حاله التي كان عليها ، ثم قال : ويحك! والله ما أعلمه بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمُرُ عند أبي بكر الليلة كذلك في الأمر من أمور المسلمين ، وإنه سمَرَ عنده ذات ليلة وأنا معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجنا معه ، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع قراءته ، فلما كدنا نعرفه . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل . . فليقرأه علىٰ قراءة ابن أم عبد » ، قال : ثم جلس الرجل يدعو ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : « سل . . تعطه ، سل . . تعطه » ، قال عمر : قلت : والله ؛ لأغدون عليه ، فلأبشِّرنَّه ، قال : فغدوت عليه لأبشره ، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره ، ولا والله ؛ ما سابقته إلىٰ خير قط . . إلا سبقني إليه)[3] .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩) .

(٢) شعبةُ الرَّجل : هي قرن الرجل ؛ أي : مفرق رأسه .

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٦) .

وعن زر بن حبيش ، عن ابن مسعود : أنه كان يجتني سواكاً من الأراك ، وكان دقيقَ الساقين ، فجعلتِ الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِمَّ تضحكون ؟ » قالوا : يا رسول الله ؛ من دقة ساقيه ، فقال : « والذي نفسي بيده ؛ لهُما أثقل في الميزان من أحد »[1] .

وسئل علي رضي الله عنه عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال : (عن أيهم تسألون ؟ قالوا : أخبرنا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : عَلِم القرآن ، وعَلِم السنة ، ثم انتهىٰ ، وكفىٰ بهما علماً) .

وروي : أنه انتهىٰ علم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلىٰ ستة : عمر ، وعلي ، وعبدِ الله ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، وزيد بن ثابت ، ثم انتهىٰ علم هـٰؤلاء الستة إلىٰ رجلين : علي وعبد الله .

وكان يصوم الإثنين والخميس .

وعن عبد الرحمـٰن بن يزيد قال : ما رأيت فقيهاً قط أقل صوماً من ابن مسعود ، فقيل له : لِمَ لا تصوم ؟ فقال : (إني أختار الصلاة على الصوم ، فإذا صمت . . ضعفت عن الصلاة) .

وكان في السحَر يقول : (اللهم ؛ دعوتني فأجبتك ، وأمرتني فأطعتك ، وهـٰذا سحَر فاغفر لي يا أرحم الراحمين) .

وعن عمرو بن ميمون قال : اختلفت إلى ابن مسعود سنة ، ما سمعته يحدِّث فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يقول فيها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه حدَّث ذات يوم بحديث فجرىٰ علىٰ لسانه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلاه الكرب ، حتىٰ رأيت العرق ينحدر عن جبهته ، ثم قال : (إن شاء الله إما فوق ذلك ، وإما قريب من ذلك ، وإما دون ذلك) .

وعن مسروق قال : قال رجل عند ابن مسعود : ما أُحب أن أكون من أصحاب اليمين ، لأَنْ أكون من المقربين . . أَحب إلي ، فقال عبد الله : (لـٰكن هـٰهنا رجل يود أنه إذا مات . . لا يبعث) يعني نفسه .

---

(١) أخرجه ابن حبان في « الإحسان » (٧٠٦٩) .

وعن زيد بن وهب : أن ابن مسعود رضي الله عنه بكىٰ ، حتىٰ رأيتُه أخذ بكفه من دموعه ، فقال به : هـٰكذا .

وخرج معه ناس ، فقال : ألكم حاجة ؟ قالوا : لا ، ولـٰكن أردنا أن نمشي معك ، قال : ارجعوا ؛ فإنه ذلة للتابع ، وفتنة للمتبوع ، وقال : لو تعلمون ما أعلم من نفسي . . حثيتم علىٰ رأسي التراب .

وقال : (حبذا المكروهان : الموت والفقر ، وايم الله ؛ إن هو إلا الغنىٰ والفقر ، وما أبالي بأيهما بليت ، إن حق الله في كل واحد منهما واجب ، إن كان الغنىٰ . . إنَّ فيه العطف ، وإن كان الفقر . . إنَّ فيه الصبر) .

وقال : (ما أبالي إذا رجعت إلىٰ أهلي علىٰ أي حال أراهم ، بسراء أم بضراء ، وما أصبحت علىٰ حال فتمنيت أني علىٰ سواها) انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٦٧ـ١٧٤] .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دِينه ، فيخرج ولا دِين له ، قيل له : لِمَ ؟ قال : لأنه يرضيه بسخط الله ، وذلك لأن الداخل على السلطان معرَّضٌ لِأنْ يعصي الله تعالىٰ ، إما بفعله ، وإما بسكوته ، وإما بقوله ، وإما باعتقاده ، ولا ينفك عن أحد هـٰذه الأمور) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله تعالىٰ سبعين سنة . . لبعثه الله تعالىٰ يوم القيامة مع من يحب) انتهىٰ [« الإحياء » ٢/ ١٤٢ـ١٤٣ وَ١٦٠] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : روي لابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان مئة وثمانية وأربعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ أربعة وستين ، وانفرد البخاري بأَحَدٍ وعشرين ، ومسلم بخمسة وثلاثين .

روىٰ عنه : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وخلائق من الصحابة غيرهم ، ومن التابعين خلائق لا يُحصَون .

قال أبو طيبة : مرض ابن مسعود ، فعاده عثمان ، فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي ، قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي ، قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، قال : ألا آمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لي فيه ، قال : يكون لبناتك ، قال : أتخشىٰ علىٰ بناتي الفقر ؟ إني أمرتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، إني سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول : « من قرأ الواقعة كل ليلة . . لم تصبه فاقة أبداً »[1] .

وابن مسعود هو الذي أجهز علىٰ أبي جهل يوم بدر ، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وهو صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه إياها إذا قام ، فإذا خلعها وجلس . . جعلها ابن مسعود في ذراعه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٨٨ـ٢٩٠] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن عون بن عبد الله بن عتبة قال : بينما عبد الله يدعو بدعاء ؛ إذ مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر ، فلما جاز به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . سمع دعاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : « مَنْ هٰذا ؟ سل . . تعطه » ، فرجع أبو بكر إلىٰ عبد الله ، فقال : الدعاء الذي كنت تدعو به آنفا أعِدْهُ عليَّ ، فقال : (حمدت الله ، ومجدته ، ثم قلت : لا إلٰه إلا أنت ، وعدك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، ورسلك حق ، وكتابك حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق) .

وفي رواية : قال عبد الله : (إن لي دعاء ما أكاد أن أدعه : اللهم ؛ إني أسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ـ أو قال : لا تبيد ـ ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في أعلىٰ جنة الخلد) .

وقال : (ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم بالخشية) .

وقال : (ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه ، وويل لمن يعلم ثم لا يعمل) سبع مرات .

وعن عبد الله بن عكيم قال : سمعت ابن مسعود في هٰذا المسجد يبدأ باليمين قبل الكلام ، فقال : (ما منكم من أحد . . إلا أن ربه تعالىٰ سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول : يابن آدم ؛ ما غرك بي ؟ ابن آدم ؛ ماذا أجبت المرسلين ؟ ابن آدم ؛ ماذا عملت فيما علمت ؟)

وقال : (ذهب صفو الدنيا ، وبقي كدرها ، والموت اليوم تحفة لكل مسلم) .

وقال : (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتىٰ يحل بذروته ، ولا يحل بذروته حتىٰ يكون الفقر أحب إليه من الغنىٰ ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، وحتىٰ يكون حامده وذامه ـ عنده ـ في الحق سواء) قال : ففسرها أصحاب عبد الله ، قالوا : حتىٰ يكون الفقر في الحلال

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٢/ ٤٩٢) .

أحب إليه من الغنىٰ في الحرام ، والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله ، وحتىٰ يكون حامده وذامه ـ عنده ـ في الحق سواء .

وقال : (والذي لا إلـٰه غيره ؛ ما يضر عبداً يصبح على الإسلام ويمسي عليه ما أصابه في الدنيا) .

وفي رواية : (ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنىٰ أنه كان يأكل الدنيا قوتاً ، وما يضر أحدَكم علىٰ ما أصبح وأمسىٰ من الدنيا إلا أن يكون في النفس حزازة ، ولئن يعضّ أحدكم علىٰ جمرة حتىٰ تطفأ . . خير من أن يقول لأمر قضاه الله : ليت هـٰذا لم يكن) .

وروي عن عبد الله أو عبيد الله بن مكرز قال : قال ابن مسعود : (إن ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار ، ونور السماوات والأرض من نور وجهه ، وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتا عشرة ساعة ، فتعرض عليه أعمالكم بالأمس ـ وهو أعلم بها ؛ لأنه الخالق لها جل جلاله ـ أول النهار ، فينظر فيها ثلاث ساعات ، ويسبحه حملة العرش ، وسرادقات العرش ، والملائكة المقربون ، وسائر الملائكة ، ثم ينفخ جبريل عليه السلام بالقرن ، فلا يبقىٰ شيء إلا سمع صوته ، فيسبحون الرحمـٰن ثلاث ساعات حتىٰ يمتلىء الرحمـٰن رحمة ، فتلك ست ساعات ، ثم يؤتىٰ بالأرحام ، فينظر فيها ثلاث ساعات ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ ، ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ الآية ، فتلك التسع ساعات ، ثم يؤتىٰ بالأرزاق ، فينظر فيها ثلاث ساعات ، وهو قوله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ، ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ، قال : هـٰذا من شأنكم وشأن ربكم عز وجل) انتهىٰ [« الحلية » : ١/١٢٧] .

ثم روىٰ أبو الفرج ـ رحمه الله ـ بسنده : عن ابن مسعود أنه قال : (أنتم أطول صلاة ، وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كانوا أفضل منكم ، ولا يدرك أحدكم مدّ أحدهم ولا نصيفه ، قيل له : بأي شيء ؟ قال : لأنهم كانوا أزهد في الدنيا ، وأرغب في الآخرة منكم) انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٨٠] .

وعن زيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحافِظَينِ إذا نزلا على العبد . . نزلا مع أحدهما كتاب مختوم ، فيكتبان ما يلفظ العبد ، فإذا أرادا أن يصعدا . . يقول أحدهما للآخر : فك ختم الكتاب الذي معك ، فيفكه ، فإذا فيه ما كتب سواء »(١) .

---

(١) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ١٧٣ ، ٥/ ٥٧) .

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : جميع المسلمين قالوا : إنا نحب ربنا سبحانه وتعالىٰ ، ولو علمنا في أي شيء محبته . . لفعلنا ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ ، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت منهم » أي : من القليل ، قال : وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتىٰ نزل قوله تعالىٰ : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (إن العبد ليغيب عن المنكر ، ويكون عليه مثل وزر صاحبه ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأنه يبلغه فيرضىٰ به) [انتهىٰ « الإحياء » ٤/٢١٩ وَ ٣٥١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

المقداد بن عمرو
رضي الله عنه

قال أبو الفرج : كان المقداد رضي الله عنه قد حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية ، فتبناه ، فكان يقال له : المقداد ابن الأسود ، فلما نزل قوله تعالىٰ : ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ . . قيل : المقداد بن عمرو ، وشهد بدراً وأحداً ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال علي رضي الله عنه : (ما كان فينا يوم بدر فارس غير المقداد بن عمرو) .

وعن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله بن مسعود : (لقد شهدت من المقداد ابن الأسود مشهداً لأَن أكون أنا صاحبه أَحب إلي ـ وفي رواية الحافظ أبي نعيم [في « الحلية » ١/١٧٢] : أَحب إلي مما في الأرض من شيء ـ مما عدل به ، وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين ، فقال : أبشر يا رسول الله ، فوالله ؛ لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ ولـٰكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ، وبين يديك ومن خلفك ، إلىٰ أن يفتح الله عز وجل لك ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد سره ذلك ، وزاد إشراق وجهه صلى الله عليه وسلم أو كما قال(١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : (بعث النبي صلى الله عليه وسلم المقداد علىٰ سرية ، فلما قدم . . قال له : « أبا معبد ؛ كيف وجدت الإمارة ؟ » قال : كنت أُحمَل وأُوضَع حتىٰ رأيت أن لي على الناس فضلاً ، قال : « هو ذاك ، فخذ أو دع » قال : والذي بعثك بالحق لا أتأمَّر على اثنين أبدًا)(٢) .

ورَوىٰ عبد الرحمـٰن بن جبير ، عن أبيه قال : جلسنا إلى المقداد يوماً ، فمر به رجل ،

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٧٣٦) .

(٢) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » (٤/ ٤٧) .

فقال له : طوبىٰ لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لوددنا أنا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدت ، فاستغضب ، فجعلت أعجب وأقول : ما قال إلا خيراً . ثم أقبل إليه ، فقال : ما يحمل الرجلَ علىٰ أن يتمنىٰ محضراً غيّبه الله عنه ، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه ، والله ؛ لقد حضر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أقوام كبَّهم الله علىٰ مناخرهم في جهنم ، لم يجيبوه ولم يصدقوه ، أوَلاَ تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم ، مصدقين بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، قد كفيتم البلاء بغيركم ؟ والله ؛ لقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء ، في فترة وجاهلية ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق به بين الوالد وولده ، إن كان الرجل ليرىٰ والده وولده وأخاه كافراً ، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان ، يعلم أنه إن هلك . . دخل النار ، فلا تقر عينه ، وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وإنها لَلتي قال الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ .

وقال أهل السير : شرب المقداد دهن الخروَع ، فمات ، وذلك بالجرف علىٰ ثلاثة أميال من المدينة ، وحمل إليها ودفن بالبقيع وصلىٰ عليه عثمان رضي الله عنه ، في سنة ثلاث وثلاثين ، وهو ابن سبعين سنة ، أو نحوها . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٨١ـ١٨٢] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ قدس الله روحه ـ بسنده : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فمنعه الله تعالىٰ بعمه ، وأما أبو بكر . . فمنعه الله تعالىٰ بقومه ، وأما سائرهم . . فأخذهم المشركون ، وألبسوهم دروع الحديد ، ثم صهروهم في الشمس) .

وعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالىٰ أمرني بحب أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم ، وإنك يا علي منهم ، والمقداد ، وأبو ذر ، وسلمان »[1] انتهىٰ [« الحلية » ١/ ١٧٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧١٨) ، وابن ماجه (١٤٩) .

ومنهم الإمام :

خباب بن الأرَتِّ
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أصابه سبي ، فبيع بمكة زادها الله شرفاً ، ثم أسلم قبل دار الأرقم ، وقيل : إنه سادس في الإسلام ، وكان يُعذَّب في الله عز وجل بمكة ليرجع عن دينه ، وشهد بدراً وأحداً ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرض فعاده نفر من الصحابة رضوان الله عليهم ، فقالوا : أبشر يا أبا عبد الله ، إخوانك تُقدِم عليهم غداً ، فبكىٰ ، قال : (أمَا إنه ليس بي جزع ، ولـٰكن ذكّرتموني أقواماً مضوا ، وسميتم لي إخواناً ، وإن أولـٰئك مضوا بأجورهم كما هي ، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم) .

وفي رواية قال : (إن في هـٰذا التابوت ثمانين ألف درهم ، والله ما شددت لها من خيط ، ولا منعتها من سائل ، ثم بكىٰ ، فقيل : ما يبكيك ؟ فقال : إن أصحابي مضوا ، ولم تنقصهم الدنيا شيئاً ، وإنا بقينا بعدهم حتىٰ ما نجد موضعاً إلا التراب) .

وفي رواية : اكتوىٰ في بطنه سبع كيات وقال : (لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت. . لدعوت به ، وقد طال بي مرضي ، ثم قال : إن أصحابنا الذين مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئاً ، وإنا أُعطينا بعدهم ما لا نجد له موضعاً إلا التراب ، قال ـ وكان يبني حائطاً له ـ : وإن المرء المسلم يؤجر في نفقته كلها إلا في شيء يجعله في التراب) .

قال : وشكونا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداء له في ظل الكعبة ، فقلنا : يا رسول الله ؛ ألا تستنصر الله لنا ، فجلس مُحْمَرّاً وجهُه ، وقال : « والله ؛ لقد كان مَنْ قبلكم يؤخذ فيُجعل المناشيرُ علىٰ رأسه ، فيُفرَق فرقتين ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمَّن الله هـٰذا الأمر حتىٰ يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ، لا يخاف إلا الله تبارك وتعالىٰ ، والذئب علىٰ غنمه » أخرجاه في « الصحيحين » [خ ٣٦٣٩] .

وسأله عمر رضي الله عنه عما لقي من المشركين ، فقال خباب : (يا أمير المؤمنين ؛ انظر إلىٰ ظهري ، فقال عمر : ما رأيتُ كاليوم ، قال خباب : أَوقَدوا لي ناراً فما أطفأها إلا وَدَك[1] ظهري) .

توفي بالكوفة سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وصلىٰ عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه [يوم] منصرفه من صفين ، وهو أول قبر يظهر بالكوفة . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٨٢-١٨٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) الوَدَك : دسم اللحم .

ومنهم الإمام :

صهيب بن سنان الرومي
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : سبي وهو غلام ، ونشأ بالروم ، فبيع هناك ، وقُدِمَ به مكة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان ، فأعتقه ، وأسلم قديماً ، وكان من المستضعفين المعذبين في الله تعالىٰ ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من السابقين الأولين ، وهو سابق الروم ، وأمره عمر رضي الله عنه أن يصلي بالناس في زمن الشورىٰ ، فقدموه ، فصلىٰ علىٰ عمر رضي الله عنهما .

وعن سعيد بن المسيب قال : لما أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، فاتبعه نفر من قريش . . نزل عن راحلته ، وانتثل[1] ما في كنانته ، ثم قال : يا معشر قريش ؛ لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً ، وايم الله ؛ لا تصلون إلي حتىٰ أرمي بكل سهم معي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، افعلوا ما شئتم ، وإن شئتم دللتكم علىٰ مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي ، قالوا : نعم ، فلما قدم علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال : « ربح البيعُ أبا يحيىٰ ، ربح البيع أبا يحيىٰ » ، قال : ونزلت : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2] .

وقال صهيب : (لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً قط إلا كنت حاضرَه ، ولم يبايع بيعة إلا كنت حاضرها ، ولم يسر سرية إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزوة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين العدو قط حتىٰ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) نثل الكنانة : استخرج نبلها فنثرها .
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٥٠) .

وتوفي بالمدينة في شوال ، سنة ثمان وثلاثين ، وهو ابن سبعين سنة ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٨٣-١٨٤] .

ومن أحاديثه : ما رواه الحافظ أبو نعيم رحمه الله : عن ابن عمر ، عن صهيب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة إلا من قال بالمال هٰكذا وهٰكذا ، يمنة ويسرة » انتهىٰ [« الحلية » ١/ ١٥٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

عامر بن فهيرة مولىٰ أبي بكر الصديق

رضي الله عنهما

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : اشتراه أبو بكر رضي الله عنه ، وأعتقه ، وأسلم قبل دار الأرقم ، وكان من المستضعفين ، يعذب بمكة ليرجع عن دينه ، وشهد بدراً وأحداً ، وقُتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة ، وهو ابن أربعين سنة .

قال العلماء بالسير : طعنه جبار بن سلمىٰ فأنفذه ، فقال عامر : فزتُ والله ، فقال جبار : ما قوله : فزتُ والله ؟ قالوا : الجنة ، فأسلم جبار ، ولم يوجد جسد عامر .

قال عروة بن الزبير رضي الله عنه : (يرون أن الملائكة عليهم السلام دفنته) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (لحق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، ويدلج من عندهما بسحر ، ويرعىٰ عليهما عامر بن فهيرة مولىٰ أبي بكر منحة[(١)] من غنم ، فيريحها عليهما حتىٰ يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِسْل ـ وهو لبن مِنْحَتِهما ـ حتىٰ يغبِق[(٢)] بها عامر بن فهيرة ويغلِّس[(٣)] ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث)[(٤)] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة إلا أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، ورجل من بني الديل دليلهم) انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٨٤ـ ١٨٥] .

وروى الحافظ أبو نعيم : عن أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنهما قالت : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، فمكثا في الغار ثلاث ليال ، وكان

---

(١) **المنحة** : هي الشاة أو الناقة المعارة لِلَّبن خاصة .

(٢) **يغبِقُ** : الغبوق الشرب بالعشيّ .

(٣) **الغَلَسُ** : ظلمة آخر الليل .

(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٣٦٩٢) .

يروح عليهما عامر بن فهيرة ، يرعىٰ غنماً لأبي بكر ويدلج من عندهما ، فيصبح مع الرعاة في مراعيها ، ويروح معهم ويتباطأ في المشي ، حتىٰ إذا أضلهم . . انصرف بغنمه إليهما ، فيظن الرعاة أنه معهم) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعامر بن فهيرة ، حتىٰ قدموا المدينة) .

قتل عامر يوم بئر معونة ، وأسر عمرو بن أمية الضمري ، فقال له عامر بن الطفيل : من هـٰذا ؟ وأشار إلىٰ قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هـٰذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء ، حتىٰ إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض . انتهىٰ [« الحلية » ١/١٠٩ـ١١٠] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

بلال بن رباح مولىٰ أبي بكر
رضي الله عنهما

أسلم قديماً .

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو عبد الله ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرشي تيمي ، مولىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رضي الله عنه ممن يعذب في الله تعالىٰ ، فيصبر على العذاب ، وكان أمية بن خلف يعذبه ، ويتابع عليه العذاب ، فقدر الله تعالىٰ أن بلالاً قتله في بدر ، وكان بلال ممن أسلم أول النبوة ، وممن أظهر إسلامه ، وكانوا يطوفون به ويعذبونه .

وآخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة ابن الجراح(١) .

كان بلال يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حياتَه سفراً وحضراً ، وهو أول من أذن في الإسلام ، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذهب إلى الشام للجهاد ، فأقام بها إلىٰ أن مات ، وقيل : أذن لأبي بكر رضي الله عنه مدة ولايته ، وأذن لعمر رضي الله عنه مرة حين قدم عمر الشام ، فلم يُرَ من باك أكثر من ذلك اليوم ، وأذن في قَدْمَةٍ قَدِمَهَا إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طلب ذلك منه الصحابة رضوان الله عليهم ، فأذن ولم يتم الأذان(٢) .

روىٰ عنه جماعات من الصحابة : أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وأسامة بن زيد ، وكعب بن عجرة ، وجابر ، وأبو سعيد الخدري ، والبراء بن عازب ، وجماعات من كبار التابعين .

---

(١) كذا في « التهذيب » ولعله وهم ، إذ آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين بلال وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب . وفي قولٍ : أنه آخىٰ بينه وبين أبي رُويحة الخثعمي . أما أبو عبيدة ابن الجراح . . فقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سالم مولىٰ أبي حذيفة . وفي قولٍ : بينه وبين محمد بن مسلمة .

(٢) جاء في هامش نسخة : (قصة أذان بلال بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، أوردها السيوطي في « اللآلىء » من طريق ابن عساكر ، من حديث أبي الدرداء ، وأنها قصة موضوعة بيِّنة الوضع) .

وثبت في « الصحيحين » [خ بنحوه ٣٤٧٦ـ م ٤٢٥٦] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال رضي الله عنه : « دخلتُ الجنة ، فسمعتُ خشف[1] نعليكَ بين يدي » .

وفي « البخاري » [٣٥٤٥] : عن قيس بن أبي حازم قال : قال بلال لأبي بكر رضي الله عنهما : (إن كنتَ إنما اشتريتني لنفسك . . فأمسكني ، وإن كنت إنما اشتريتني لله تعالىٰ . . فدعني وعمل الله عز وجل) .

وفضائله مشهورة .

توفي بدمشق سنة عشرين ، ودفن بباب الصغير ، وكان ينزل داريّا ، قرية بقرب دمشق ، ولم يُعْقِب ، رضي الله عنه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٣٦ـ١٣٧] .

وروى الحافظ البيهقي ـ قدس الله روحه ـ بإسناده : عن عبد الله الهوزني ، يعني : أبا عامر الهوزني ، قال : لقيت بلالاً مؤذنَ النبي صلى الله عليه وسلم بحلب ، فقلت : يا بلال ؛ حدثني كيف كانت نفقة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : (ما كان له شيء إلا ـ أنا ـ الذي كنت أَلي ذلك منه ، منذ بعثه الله تعالىٰ إلىٰ أن توفي صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا أتاه الإنسان المسلم ، فرآه عارياً . . يأمرني ، فأنطلق ، فأستقرض ، فأشتري البردة والشيء وأكسوه وأطعمه ، حتى اعترضني رجل من المشركين ، فقال : يا بلال ؛ إن عندي سعة ، فلا تستقرض من أحد إلا مني ، ففعلت .

فلما كان ذات يوم . . توضأت ، ثم قمت لأؤذن بالصلاة ، فإذا المشرك في عصابة من التجار ، فلما رآني . . قال : يا حبشي ، قال : قلت : يا لبيه ، فتجهمني ، وقال قولاً غليظاً ، فقال : أتدري كم بينك وبين الشهر ؟ قال : قلت : قريب ، قال : إنما بينك وبينه أربع ليال ، فآخذك بالذي لي عليك ؛ فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ، ولـٰكن أعطيتك لتجب لي عبداً ، فأردَّك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك ، فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس ، فانطلقت ثم أذنت بالصلاة ، حتىٰ إذا صليت العتمة . . رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلىٰ أهله ، فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فقلت : يا رسول الله ؛ بأبي أنت وأمي ، إن المشرك الذي ذكرت لك إني كنت أتدين منه قد قال كذا وكذا ، وليس عندك ما يقضي عني ، ولا عندي ، وهو فاضحي ، فأْذَن لي أن آتي إلىٰ بعض هـٰؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا ، حتىٰ يرزق الله رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقضي عني .

---

(١) الخشف : الحسُّ والحركة .

فخرجت حتىٰ أتيت منزلي ، فجعلت سيفي وجرابي ورمحي ونعلي عند رأسي ، واستقبلت بوجهي الأفق ، فكلما نمت . . انتبهت ، فإذا رأيتُ عليَّ ليلاً . . نمت ، حتى انشق عمود الصبح الأول ، فأردت أن أنطلق ، فإذا إنسان يسعىٰ يدعو : يا بلال ؛ أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت حتىٰ أتيته ، فإذا أربع ركائب عليهن أحمالهن ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنت ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « أبشر ؛ فقد جاءك الله تعالىٰ بقضائك » ، فحمدت الله تعالىٰ ، وقال : « ألم تمر على الركائب المناخات الأربع ؟ » قال : فقلت : بلىٰ ، قال : « فإن لك رقابهن وما عليهن ـ فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم فدك ـ فاقبضهن إليك ، ثم اقض دينك » .

قال : ففعلت ، فحططت عنهن أحمالهن ، ثم عقلتهن ، ثم عمدت إلىٰ تأذين صلاة الصبح ، حتىٰ إذا صلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . خرجت إلى البقيع ، فجعلت أصبعي في أذني ، فناديت وقلت : من كان يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم دَيناً . . فليحضر ، فما زلت أبيع وأقضي وأعوض . . حتىٰ لم يبق علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم دين في الأرض ، حتىٰ فضل عندي أوقيتان أو أوقية ونصف .

ثم انطلقت إلى المسجد ، وقد ذهب عامة النهار ؛ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده ، فسلمت عليه ، فقال لي : « ما فعل ما قِبَلَك ؟ » قال : قلت : قد قضى الله كل شيء كان علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق شيء ، فقال : « أَفَضَلَ شيء ؟ » قلت : نعم ، ديناران ، قال : « أنظر أن تريحني منهما ، فلست بداخل علىٰ أحد من أهلي حتىٰ تريحني منهما » ، فلم يأتنا ، فبات النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد حتىٰ أصبح ، وظل في المسجد اليوم الثاني ، حتىٰ كان في آخر النهار جاء راكبان ، فانطلقت بهما ، فكسوتهما وأطعمتهما ، حتىٰ إذا صلى العتمة . . دعاني ، فقال : « ما فعل الذي قِبَلَك ؟ » قلت : قد أراحك الله منه ، فكبر وحمد الله ؛ شفقاً من أن يدركه الموت وعنده ذلك ، ثم اتبعته حتىٰ جاء أزواجه ، فسلم على امرأة امرأة ، حتىٰ أتىٰ في مبيته . فهٰذا الذي سألتني عنه ، والله سبحانه أعلم) انتهىٰ [« السنن الكبرىٰ » ٦/ ٨٠ـ٨١] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان بلال من المعذبين في الله ، يقول له قومه : ربك اللات والعزىٰ ، وهو يقول : (أحدٌ أحد) فأتىٰ عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فاشتراه بسبع أواق ، وأعتقه .

شهد بدراً ، وأحداً ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يؤذن له حضراً وسفراً ، وكان خازنه علىٰ بيت ماله .

وقال محمد بن إسحاق : كان أمية بن خلف ـ لعنه الله ـ يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه علىٰ ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة ، فتوضع علىٰ صدره ، ثم يقول له : لا تزال هٰكذا حتىٰ تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزىٰ ، فيقول ـ وهو في ذلك البلاء ـ : (أحدٌ أحد) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال عمر : (كان أبو بكر سيدَنا ، وأعتق سيدَنا) يعني : بلالاً .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بلال سابق الحبشة »[1] .

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ بلال ، وعنده صُبرة تمر[2] ، فقال : « ما هٰذا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله . . ادخرته لك ولضيفانك ، قال : « أما تخشىٰ أن يكون له بخار من النار ؟! أنفق بلالا ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا »[3] .

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أذَّن بلال ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدفن بعد ، فكان إذا قال : أشهد أن محمداً رسول الله . . انتحب الناس في المسجد ، فلما دفن [رسول الله صلى الله عليه وسلم] . . قال له أبو بكر : أذِّن ، فقال : إن كنتَ إنما أعتقتني لأكون معك . . فسبيل ذلك لَكَ ، وإن كنت إنما أعتقتني لله . . فخلني ومن أعتقتني له ، فقال : ما أعتقتك إلا لله ، فقال : فإني لا أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [قال : فذاك إليك ، قال :] فأقام حتىٰ خرجت بُعُوثُ الشام فسار معهم إليها ، فمات بها .

قيل : مات بدمشق ، وقيل : بحلب سنة عشرين ، وقيل : ثمان عشرة ، وهو ابن بضع وستين سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٨٥ـ١٨٨] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٢١) .
(٢) الصُّبرَة : ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن ، يوضع بعضه فوق بعض .
(٣) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » (١/ ٣٤٠) .

زاد في رواية الحافظ ابن عساكر ـ رحمه الله ـ قال : لما دخل[1] عمر بن الخطاب رضي الله عنه مِن فتح بيت المقدس ، فصار إلى الجابية ، سأل بلالٌ أن يقره بالشام ، ففعل ذلك ، قال : فنزل داريا في خولان ، ثم إن بلالاً رأىٰ في منامه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول له : « ما هـٰذه الجفوة يا بلال ؟! أمَا آن لك أن تزورني يا بلال ؟! » فانتبه حزيناً وَجِلاً خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتىٰ قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يبكي عنده ، ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسن والحسين ، فجعل يقبلهما ويضمهما ، فقالا له : يا بلال ؛ نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، ففعل ، فعلا سطح المسجد ، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلما أن قال : الله أكبر الله أكبر . . ارتجت المدينة ، فلما أن قال : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله . . ازدادت رجتها ، فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله . . خرجن العواتق من خدورهن ، وارتجت المدينة بالبكاء ، وقالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فما رئي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم ، ولم يقدر بلال أن يتم الأذان من البكاء والزفير والشهيق . انتهىٰ [« تاريخ دمشق » ٧ / ١٣٧] .

وروى الحافظ أبو نعيم : عن أبي سعيد الخدري ، عن بلال ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال . . مُتْ فقيراً ، ولا تمُتْ غنياً » قلت : كيف لي بذاك ؟ قال : « ما رُزِقت . . فلا تبخل ، وما سُئِلت . . فلا تمنع » ، فقلت : يا رسول الله ؛ كيف لي بذاك ؟ قال : « هو ذاك ، أو النار »[2] انتهىٰ [« الحلية » ١ / ١٤٩ـ١٥٠] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) في نسخة : (رحل) ، وفي باقي النسخ و « مختصر تاريخ دمشق » لابن منظور كما أثبت ، أما عبارة « تاريخ دمشق » . . فهي : (لما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية . . .) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١ / ٣٤١) .

ومنهم الإمام :

أبو عبد الله الأرقم بن أسد
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كنيته : أبو عبد الله رضي الله عنه ، أسلم بعد ستة نفر ، وكانت داره على الصفا بمكة شرفها الله عز وجل ، وفيها استتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا الناس فيها إلى الإسلام ، فأسلم فيها جماعة من سادات الصحابة رضي الله عنهم ، وتصدق بها الأرقم علىٰ ولده ، فلم يزل المنصور يرغب ولده في المال . . حتىٰ باعه إياها ، ثم أعطاها المهدي للخيزران .

وشهد الأرقم بدراً وأحداً ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتوفي وهو ابن بضع وثمانين سنة ، في سنة خمس وخمسين بالمدينة ، وصلىٰ عليه سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم أجمعين . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٨٨ـ١٨٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو أيوب الأنصاري
رضي الله عنه

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، الأنصاري ، الخزرجي ، المدني .

شهد العقبة ، وبدراً ، وأحداً ، والخندق ، وبيعة الرضوان ، وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مهاجراً ، وأقام عنده شهراً ، حتىٰ بنيت له مساكنه ومسجده .

وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة وخمسون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم علىٰ سبعة منها ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بخمسة .

وروىٰ عنه : البراء بن عازب ، وجابر بن سمرة ، والمقدام بن معدي كرب ، وأبو أمامة الباهلي ، وزيد بن خالد الجهني ، وابن عباس ، وعبد الله بن يزيد الخطمي .

وروىٰ عنه من التابعين : سعيد بن المسيب ، وسالم بن عبد الله ، وعروة بن الزبير ، وخلائق سواهم .

توفي بأرض الروم غازياً [سنة خمسين ، وقيل :] سنة إحدىٰ وخمسين ، وقيل : سنة ثنتين وخمسين ، وقبره بالقسطنطينية(١) عليه قبة عظيمة ، ويزار ، ويتبرك به إلىٰ

---

(١) وذلك أن أبا أيوب شهد بدراً ، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا هو في أُخرىٰ ، إلا عاماً واحداً ؛ فإنه استُعمل على الجيش رجلٌ شاب ، فقعد ذلك العام ، فجعل بعد ذاك العام يتلهف ويقول : ما عليَّ من استُعمل عليَّ ، وما عليَّ من استعمل عليَّ ، وما عليَّ من استعمل عليَّ ، فمرض ، وكان على الجيش يزيد بن معاوية ، فأتاه يعوده ، فقال : حاجتك ؟ قال : نعم ، حاجتي إذا أنا متُّ . . فاركبْ بي ثم سُغ بي في أرض العدو ما وجدت مساغاً ، فإذا لم تجد مساغاً . . فادفني ثم ارجع .
فلما مات . . ركب به ، ثم سار به في أرض العدو ما وجد مساغاً ثم دفنه ثم رجع ، وكان أبو أيوب رضي الله عنه يقول : قال الله تعالىٰ : ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ لا أجدني إلا خفيفاً وثقيلاً . انظر « الطبقات » لابن سعد (٣/ ٤٨٥) . =

يومنا هـٰذا ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/١٧٧] .

زاد في « تاريخ الحافظ ابن عساكر » ـ رحمه الله ـ : عن أفلح مولىٰ أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أن أم أيوب قالت له : ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ فقال : بلىٰ ؛ وذلك زور وكذب وباطل ، أفكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ؟ قالت : لا والله ، قال : فعائشة والله خير منك ، وفيه أنزل الله تعالىٰ : ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ .

وعن سالم بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (أعرست في عهد أَبي ، فدعا أبي الناس ، فكان ممن دعي : أبو أيوب ، وقد ستروا بيتي بجُنادي[1] أخضر ، فجاء أبو أيوب فطأطأ رأسه ، فنظر فإذا البيت مستَّر ، فقال : يا عبد الله ؛ تستر وراء الجدر ؟ فقال أبي ـ واستحيىٰ ـ : غلبنا النساء يا أبا أيوب ، فقال أبو أيوب : من خشيت أن يغلبه النساء ، فلم أخش أن يغلبنك ، لا أدخل لكم بيتاً ، ولا أطعم لكم طعاماً ، وانصرف) .

وعن ابن عمر : (أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه غزا أرض الروم ، فمر علىٰ معاوية ، فجفاه ولم يلتفت إليه ، فانطلق ، ثم رجع من غزوته ، فمر عليه وشكا إليه دَيناً عليه ، فجفاه ولم يرفع به رأساً ، فقال له أبو أيوب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنكم ستلقون بعدي أثرة » ، فقال له معاوية : وأي شيء قال لكم ؟ قال : قال صلى الله عليه وسلم : « اصبروا »[2] ، قال معاوية : فاصبروا ، قال : نعم ، أصبر ، ووالله ؛ لا أسألك شيئاً أبداً) .

وقدم [أبو أيوب] البصرة على ابن عباس وهو أمير عليها من جهة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : (يا أبا أيوب ؛ إني أريد أن أَخرُج لك عن مسكني كما خرجتَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنك ، ثم قال : كم عليك من الدَّين ؟ قال : عشرون ألفاً ، فأعطاه أربعين ألفاً وأربعين[3] مملوكاً ، وقال له : لك كل شيء أغلق عليه باب داري) .

= ومعنىٰ (ثم سغ بي) : ادخل فيها ما وجدت مدخلاً .
فانظر يا أخي ـ حماك الله ـ كيف كانت همته على الجهاد في سبيل الله ، وكيف آثر أن يكون مرابطاً للعدو حتىٰ في موته ؛ ليدخل في عداد الجيش الذي تفتح القسطنطينية علىٰ يديه ، والذي قال في حقه صلى الله عليه وسلم : « أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. . . » [البخاري : ٢٧٦٦] .

(١) الجُنادي : جنس من الأنماط أو الثياب يستر بها الجدران .
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٤٧) ومسلم (١٠٦١) .
(٣) في « تاريخ دمشق » : (عشرون) .

عن كثير بن أفلح قال : (قدم أبو أيوب علىٰ معاوية ، فأجلسه معه على السرير ، فجعل معاوية يحدّث ، ويقول : وفعلنا ، وأهل الشام حوله ، فالتفت إلىٰ أبي أيوب ، فقال : (يا أبا أيوب ؛ من قتل صاحب الفرس البلقاء[1] التي جعلت تجول يوم كذا وكذا ؟ فقال أبو أيوب : أنا الذي قتلته إذ أنت وأبوك على الجمل الأحمر معكما لواء الكفر ، قال : فنكس معاوية رأسه ، وقال : مه مه ، ما عن هـٰذا سألناك ، ولا هـٰذا أردنا منك) [انتهىٰ « تاريخ دمشق » ١٦/٤٩ـ٥٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) البَلَقُ : هو السواد والبياض الذي يكون في الفرس .

ومنهم الإمام السيد القارىء :

أُبَيُّ بن كعب
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : يكنىٰ : أبا المنذر ، شهد العقبة مع السبعين ، وبدراً ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد الذين كانوا يفتون علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حقه : (هـٰذا سيد المسلمين) .

ومات سنة ثلاثين .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب : « إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ » ، فقال : سمَّاني لك ؟ قال : « نعم » ، فبكىٰ) أخرجاه في « الصحيحين »[1] . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٠٣ـ٢٠٥] .

زاد في رواية : (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن جبريل أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، وهو يقرئك السلام » ، فارتعد لذلك أُبي ، حتى احتضنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهدأ وسكن) ، رواه أبو القاسم الراغب في « تفسيره » . انتهىٰ .

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : هـٰذه منقبة عظيمة لأُبي ، لم يشاركه فيها أحد من الناس . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٠٩] .

وقال أبو الفرج : وعن أبي بن كعب قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أُمرت أن أعرض عليك القرآن » ، فقال : بالله آمنتُ ، وعلىٰ يدك أسلمت ، ومنك تعلمت ، قال : فرد النبي صلى الله عليه وسلم القول ، فقال : يا رسول الله ؛ وذُكِرْت هناك ؟ قال :

---

(١) البخاري (٤٦٧٦) ومسلم (٧٩٩) ، كلاهما بدون لفظ : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ .

« نعم ؛ باسمك ونسبك ، في الملأ الأعلىٰ » قال : فاقرأ إذن يا رسول الله)[1] .

وقد روىٰ مسلم في أفراده [٨١٠] من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا المنذر ؛ أتدري أيَّ آية من كتاب الله أعظمَ ؟ » قال : قلت : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ قال : فضرب في صدري وقال : « ليهْنِكَ العلمُ أبا المنذر » .

وكان يختم القرآن في ثمان ليال ، وكان تميم الداري يختمه في سبع .

وعن أبي قال : (عليكم بالسبيل والسنة ؛ فإنه ليس من عبد علىٰ سبيل وسنة ذَكَرَ الرحمـٰن ، ففاضت عيناه من خشية الله . . فتمسه النار ، وليس من عبد علىٰ سبيل وسنة ذكر الرحمـٰن ، فاقشعر جلده من مخافة الله تعالىٰ . . إلا كان مَثَلُه كمَثَل شجرة يبس ورقها ، فبينما هي كذلك إذ أصابها الريح ، فتحات عنها ورقها . . إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هـٰذه الشجرة ورقها ، وإنَّ اقتصاداً في سبيل وسنة . . خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة) .

وقال : (ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل . . إلا أبدله الله عز وجل ما هو خير منه من حيث لا يحتسب) .

وقال : (يا رسول الله ، ما جزاء الحُمّىٰ ؟ قال : « تجري الحسنات علىٰ صاحبها ما اختلج عليه قدم ، أو ضرب عليه عرق » فقال : اللهم ؛ إني أسألك حُمَّىٰ لا تمنعني خروجاً في سبيلك ولا خروجاً إلىٰ بيتك ولا مسجد نبيك صلى الله عليه وسلم) قال : فلم يُمْسِ أُبي قط إلا وبه حمىٰ[2] . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٠٤ـ٢٠٥] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال أبي بن كعب : (انطلقت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب بيده صدري ثم قال : « أعيذك بالله من الشك والتكذيب » ، ففضتُ عرقاً ، وكأني أنظر إلىٰ ربي فرقاً) .

وعن قيس بن عُبَاد قال : بينا أصلي في مسجد المدينة في الصف المقدم ؛ إذ جاء رجل من خلفي ، فجذبني جذبة ، فنحاني ، فقام مقامي ، فلما سلَّم . . التفتَ إلي ، فإذا هو أبي بن كعب ، فقال : (يا فتىٰ ؛ لا يسوؤك الله ، إن هـٰذا عهد من النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (١/ ١٤١) .
(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/ ٢٠٠) .

إلينا) ، ثم استقبل القبلة ، فقال : (هلك أهل العقدة ورب الكعبة ، لا آسىٰ عليهم ـ ثلاث مرات ـ أمَا والله ما عليهم آسىٰ ، ولـٰكن آسىٰ علىٰ من أضلوا) .

وعن أُبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بشر هـٰذه الأمة بالسناء والنصر والتمكين ، مَن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا . . لم يكن له في الآخرة نصيب »(١) .

وعن أُبي قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل . . قال : « يا أيها الناس ؛ اذكروا الله عز وجلَّ ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه »(٢) يقولها ثلاثاً) انتهىٰ [« الحلية » ١/٢٥٢ـ٢٥٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه ابن حبان في « الإحسان » (٤٠٥) ، والحاكم (٤/٣٤٦) .

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٤٥٧) .

ومنهم الإمام :

سعد بن معاذ
سيد الأوس رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : يكنىٰ : أبا عمرو ، وأمه : كبشة بنت رافع من المبايِعات .

أسلم سعد رضي الله عنه علىٰ يد مصعب بن عمير ، فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل ، وهي أول دار أسلمت من الأنصار ، وشهد بدراً ، وأحداً ، وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ، ورُمي يوم الخندق ، ثم انفجر كَلْمه بعد ذلك ، فمات في شوال ، سنة خمس من الهجرة ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وصلىٰ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفن بالبقيع ، وله من الولد : عبد الله ، وعمرو .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت يوم الخندق أقفو أثر الناس ، فسمعت وئيد الأرض[1] من ورائي ، فالتفت ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجَنَّه[2] ، فجلستُ إلى الأرض ، قالت : فمر سعد وهو يرتجز ، وعليه درع قد خرجت منه أطرافه ، فأنا أتخوف علىٰ أطراف سعد ـ وكان سعد من أطول الناس وأعظمهم ـ قالت : فقمت فاقتحمت حديقة ، فإذا فيها نفر من المسلمين ، وفيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه تسبغة له ـ يعني : المغفر ـ قالت : فقال لي عمر : ما جاء بكِ ؟ والله إنك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون تَحَوُّزٌ أو بلاء ؟ قالت : فما زال يلومني حتىٰ تمنيت أن الأرض انشقت بي ساعتئذ فدخلت فيها ، قالت : فرفع الرجل التسبغة عن وجهه ، فإذا طلحة بن عبيد الله ، فقال : ويحك يا عمر! إنك قد أكثرت منذ اليوم ، وأين التحوُّز والفرار إلا إلى الله ؟ قالت : ورمىٰ سعداً رجلٌ من المشركين بسهم ، فقال : خذها وأنا ابن العرقة ، فأصاب أكحله ، فدعا اللهَ سعدٌ ، فقال : اللهم ؛ لا تمتني حتىٰ تشفيني من بني قريظة ، وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية .

---

(١) صوتها .

(٢) المِجَنّ : الترس .

قال : فرقأ كَلْمه[1] ، وبعث الله عز وجل الريح على المشركين : ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ، فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة ، فتحصنوا في صياصيهم[2] ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأمر بقبة من أدم فضربت علىٰ سعد بن معاذ في المسجد ، فجاءه جبريل عليه السلام ، وعلىٰ ثناياه النقع[3] ، فقال : أوقد وضعتم السلاح ؟ فوالله ؛ ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، أُخرجْ إلىٰ بني قريظة فقاتلهم ، فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ، وأذَّنَ في الناس بالرحيل ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء عليهم.. قيل لهم : انزلوا علىٰ حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستشاروا أبا لبابة ابن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنه الذبح ، فقالوا : ننزل علىٰ حكم سعد بن معاذ .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ سعد ، فحُمل علىٰ حمار علىٰ إكاف من ليف ، وحف به قومه ، فجعلوا يقولون : يا أبا عمرو ؛ حلفاؤك ومواليك ومن قد علمت ، ولا يرجع إليهم شيئاً[4] ، حتىٰ إذا دنا من دورهم.. التفت إلىٰ قومه ، فقال : قد آن لي ألاَّ أبالي في الله لومة لائم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احكم فيهم » ، قال : فإني أحكم فيهم أن تُقتَّل مقاتلتهم ، وتسبىٰ ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله »[5] .

وفي رواية ابن إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا ترضون ـ يا معشر الأوس ـ أن يحكم فيهم رجل منكم » ، قالوا : بلىٰ ، قال : « فذاك إلىٰ سعد بن معاذ » ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعداً في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : رُفَيدة ، كانت تداوي الجرحىٰ ؛ حتىٰ تعوده من قريب ، فلما حكَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة.. أتاه قومه ، فحملوه علىٰ حمار وطووا له وسادة من أدم ، قال : ثم أقبلوا معه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ؛ أحسن في

---

(١) سكن دم جرحه عن السيلان .
(٢) الصياصي : الحصون .
(٣) الثنايا : مقدم الأسنان ، النقع : الموت ، وهو كناية .
(٤) يعني : لا يردُّ لهم جواباً .
(٥) أخرجه البخاري (٢٨٧٨) ومسلم (١٧٦٨) .

مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فقال : قد آن لسعد ألاَّ تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلىٰ دار بني عبد الأشهل ، فنعىٰ لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهىٰ سعد إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلىٰ سيدكم » ، فأما المهاجرون من قريش . . فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار . . فيقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم كما حكمتُ ؟ قالوا : نعم ، قال : وعلىٰ من هـٰهنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالاً له ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتسبى الذراري والنساء ، وتقسم الأموال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »[(١)] انتهىٰ[(٢)]

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : ثم دعا اللهَ عز وجل سعدٌ ، فقال : (اللهم ؛ إن كنت أبقيت علىٰ نبيك من حرب قريش شيئاً . . فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم . . فاقبضني إليك) فانفجر كَلْمه ، وقد كان برىء ، قالت عائشة : (فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، فوالذي نفس محمد بيده ؛ إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا في حجرتي ، فقيل : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ فقالت : كانت عينه الشريفة صلى الله عليه وسلم لا تدمع علىٰ أحد ، ولـٰكنه كان إذا وَجَدَ . . فإنما هو آخذ بلحيته الكريمة صلى الله عليه وسلم) .

وعن الحسن رحمه الله قال : لما مات سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وكان رجلاً جسيماً جزلاً . . جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره يقولون : لم نر كاليوم رجلاً أخف ، وقالوا : تدرون لم ذاك ؟ لحكمه في بني قريظة ، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « والذي نفسي بيده ؛ لقد كانت الملائكة عليهم السلام تحمل سريره » .

---

(١) ذكره ابن حجر في « فتح الباري » (٧/ ٤١٢) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣/ ٢٣٩ـ٢٤٠) .

وعن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اهتز[1] عرش الرحمـٰن لموت سعد بن معاذ » . أخرجاه في « الصحيحين » [خ ٣٥٩٢ـ م ٢٤٦٦] .

وعن البراء قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بثوب حرير ، فجعلوا يتعجبون من حسنه ولينه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمناديل سعد بن معاذ في الجنة . . أفضل أو خير من هـٰذا » . أخرجاه في « الصحيحين » [خ ٣٥٩١ـ م ٢٤٦٨] . والله سبحانه أعلم . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٩٦] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : أسلم سعد علىٰ يد مصعب بن عمير ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله مهاجراً إلى المدينة يعلِّم المسلمينَ أمور دينهم ، فلما أسلم سعد . . قال لبني عبد الأشهل : كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتىٰ تسلموا ، فأسلموا ، فكان أعظم الناس بركة في الإسلام ، ومن أنفعهم لقومه .

توفي شهيداً عام الخندق من جرح أصابه فيه .

قال العلماء : واهتز العرش ، وفرح الملائكة بقدومه ؛ لِمَا رأوا من منزلته .

وفي « الصحيحين » : عن أبي سعيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث إلىٰ سعد بن معاذ ، فجاء علىٰ حمار ، فبلغ قريباً من المسجد . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلىٰ سيدكم » ، أو قال : « خيركم » .

ومناقب سعد كثيرة مشهورة .

وأنشدوا :

وما اهتز عرشُ الله من موت هالكٍ سمعنا به إلا لسعدِ أبي عمرِو

روىٰ له البخاري ومسلم حديثاً من رواية ابن مسعود ، وفيه معجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢١٤ـ٢١٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) الهز في الأصل : الحركة ، واهتز : إذا تحرك ، فاستعمله في معنى الارتياح ؛ أي : ارتاح بصعوده حين صُعِدَ به واستَبْشر ؛ لكرامته علىٰ ربه ، وكلُّ من خفَّ لأمرٍ وارتاح له . . فقد اهتزَّ له .
وقيل : أراد فرح أهل العرش بموته ، والله أعلم .

(٢) والحديث كما رواه البخاري (٣٤٣٣) : =

ومنهم الإمام :

عمار بن ياسر
رضي الله عنه

اسم أُمه : سمية ، أسلم قديماً ، وكان من المستضعفين الذين يعذبون بمكة ليرجع عن دينه ، وأحرقه المشركون بالنار .

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : شهد بدراً ، ولم يشهدها ابن مؤمنَين غيره ، وشهد أحداً ، والمشاهد كلها ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطيب المطيب »(١) .

وروىٰ بسنده : عن عمرو بن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به ويمِر يده الكريمة علىٰ رأسه ، ويقول : « يا نار ؛ كوني برداً وسلاماً علىٰ عمار ، كما كنتِ علىٰ إبراهيم عليه الصلاة والسلام »(٢) .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : أقبلتُ أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم آخذٌ

= عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (انطلق سعد بن معاذ معتمراً ، قال : فنزل علىٰ أمية بن خلف أبي صفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة . . نزل علىٰ سعد ، فقال أمية لسعد : انتظر حتىٰ إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت ، فبينا سعد يطوف ؛ إذا أبو جهل ، فقال : من هـٰذا الذي يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً ، وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟! فقال : نعم . فتلاحيا بينهما ، فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك علىٰ أبي الحكم ؛ فإنه سيد أهل الوادي ، ثم قال سعد : والله ؛ لئن منعتني أن أطوف بالبيت . . لأقطعن متجرك بالشام . قال : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يمسكه ، فغضب سعد فقال : دعنا عنك ؛ فإني سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك ، قال : إياي ؟ قال : نعم ، قال : والله ؛ ما يكذب محمد إذا حدث ، فرجع إلى امرأته ، فقال : أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي ، قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله ؛ ما يكذب محمد ، قال : فلما خرجوا إلىٰ بدر ، وجاء الصريخ . . قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ، قال : فأراد ألا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادي فسر يوماً أو يومين ، فسار معهم ، فقتله الله) .

(١) أخرج الترمذي (٣٧٩٨) عن علي رضي الله عنه قال : جاء عمار يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيب » وقال : هـٰذا حديث حسن صحيح ، ومعناه : الطاهر المطهر .

(٢) ابن سعد في « الكبرىٰ » (٣/٢٤٨) .

بيدي نتماشىٰ في البطحاء ، حتىٰ أتينا علىٰ أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون ، فقال ياسر : الدهر هٰكذا ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : [« اصبر » ، ثم قال :] « اللهم ؛ اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت »[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن عماراً مُلِىءَ إيماناً ، من قرنه إلىٰ قدمه » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الجنة تشتاق إلىٰ ثلاثة : علي ، وعمار ، وسلمان »[2] .

وكان عمار طويل الصمت ، طويل الحزن والكآبة ، وكان عامة كلامه عائذاً بالله من فتنته .

وسئل عمار عن مسألة فقال : هل كان هٰذا بعد ؟ قالوا : لا ، قال : فدعونا حتىٰ يكون ، فإذا كان . . تجشَّمناها[3] لكم .

وكان يقول : (إني لا أقاتل إلا أريد وجهك الكريم ، وأنا أرجو ألاَّ تخيبني ، وأنا أريد وجهك الكريم الباقي) .

وقال عبد الله بن سلمة : رأيت عماراً يوم صفين شيخاً آدم في يده الحربة ، وإنها لترعد ، فنظر إلىٰ عمرو بن العاصي معه الراية ، فقال : (إن هٰذه راية قد قاتلتُ بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، وهٰذه الرابعة ، والله ؛ لو ضربونا حتىٰ يبلغونا سعفات هجر . . لعرفت أن مصلحينا[4] على الحق ، وأنتم على الضلالة) .

ودعا بشراب ، فأتي بقدح من لبن ، فشرب منه ، ثم قال : صدق الله ورسوله ، اليوم ألقى الأحبه محمداً وحزبه ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن آخر شيء تَزَوَّدُهُ من الدنيا . . صبحة لبن[5] » ثم قتل بصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، قتله

---

(١) أخرجه أحمد (١/٦٢) .
(٢) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » (٦/٢١٥) .
(٣) تجشَّم الأمر : تكلَّفه علىٰ مشقة ، والمعنىٰ : بذلنا جهدنا للبحث عنها لكم .
(٤) في « الصفوة » : (لعرفت أن صاحبنا على الحق ، وأنهم على الضلالة) وفي « الطبقات » [٣/٢٥٦] : (مصلحتنا) .
(٥) صبحة لبن : سقاهم صَبوحاً ؛ وهو ما حلبَ من اللبن بالغداة ، وفي رواية : (ضحية لبن) : وهو اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط .

أبو الغادية ، ودفن هناك ، سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ١/١٨٩ـ١٩١] .

وقال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : كان عمار من السابقين إلى الإسلام ، هو وأبوه وأمه ممن أسلم أولاً ، وكان إسلام عمار وصهيب في وقت واحد في دار الأرقم ، أسلم بعد بضعة وثلاثين رجلاً .

ونقلوا عن مجاهد أنه قال : أول من أظهر إسلامه أبو بكر ، وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وأمه سمية ، رضي الله عنهم أجمعين .

وكان عمار وأبوه وأمه يعذَّبون في الله عز وجل علىٰ إسلامهم ، ويمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « صبراً آل ياسر ؛ فإن موعدكم الجنة » .

وقتل أبو جهل سمية رضي الله عنها ، فهي أول شهيد في الإسلام .

وفي عمار نزل قوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ .

وهاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان وستون حديثاً ، اتفقا علىٰ حديثين منها ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بحديث .

روىٰ عنه جماعة من الصحابة ، وخلائق من التابعين .

ولما قتل . . كان قد أوصىٰ أن يدفن في ثيابه ، فدفنه علي رضي الله عنه في ثيابه ، ولم يغسله .

وثبت في « الصحيحين » [خ ٤٣٦ـ م ٢٩١٦] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويح عمار! تقتله الفئة الباغية » .

وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتبعونه يوم صفين حيث توجه ؛ لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة ؛ للحديث الثابت .

وعمار أول من بنىٰ مسجداً لله عز وجل في الإسلام ، بنىٰ مسجد قباء .

وشهد قتال اليمامة زمن أبي بكر رضي الله عنه ، وأشرف علىٰ صخرة ، ونادىٰ : يا معشر المسلمين ؛ أَمِنَ الجنة تفرون ؟ إلي إلي ، أنا عمار بن ياسر ، وقطعت أذنه ، وهو يقاتل أشد القتال .

واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة .

وعن حذيفة قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم ، فاقتدوا بالذين من بعدي ـ وأشار إلىٰ أبي بكر وعمر ـ واهتدوا بهدي عمار ، وما حدثكم ابن مسعود . . فصدقوه » رواه الترمذي [٣٧٩٩] وقال : حديث حسن .

ورُوِّينا في « مسند الإمام أحمد » [٨٩/٤] ، عن علقمة ، عن خالد بن الوليد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من عادىٰ عماراً . . عاداه الله ، ومن أبغض عماراً . . أبغضه الله » ، هٰذا منقطع ؛ فإن علقمة لم يدرك خالداً ، والله أعلم . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٣٧ـ٣٨] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

زيد بن الخطاب
أخو عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : كان زيد أسن من أخيه عمر ، وأسلم قبله ، وهو من المهاجرين الأولين ، شهد بدراً ، وأحداً ، والخندق ، والحديبية ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معن بن عدي الأنصاري رضي الله عنهما ، فقتلا جميعاً باليمامة[1] شهيدين ، وكانت اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، في شهر ربيع الأول ، سنة ثنتي عشرة ، وقيل : سنة إحدىٰ عشرة .

وكان طويلاً ، ظاهر الطول .

ولما استشهد . . حزن عليه عمر حزناً شديداً وقال : (ما هبت الصبا إلا وأنا أجد منها ريح زيد) .

وقال له عمر رضي الله عنهما يوم أحد : (خذ درعي ، فقال : إني أريد من الشهادة ما تريد) فتركاها جميعاً ، وكانت الراية يوم اليمامة مع زيد ، فلم يزل يتقدم بها في نحر العدو ، ثم ضارب بسيفه حتىٰ قتل ، ووقعت الراية ، فأخذها سالم مولىٰ أبي حذيفة رضي الله عنه ، ولما أُخبر عمر بقتل زيد . . قال : (رحم الله أخي ؛ سبقني إلى الحُسْنَيين : أسلم قبلي ، واستشهد قبلي) .

روىٰ له مسلم حديثاً ، والبخاري تعليقاً ، وأبو داوود ، وكان يكنىٰ : أبا عبد الرحمـٰن . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٠٣ـ٢٠٤] .

---

(١) جاء في هامش « أسرع الوسائل » : (قال في « الرياض المستطابة » [٩٠] : جملة من قتل في وقعة اليمامة من الصحابة ست مئة ، ومنهم ومن غيرهم ألف ومئتان) .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : رأيت في رواية أبي الفرج ـ رحمه الله ـ زيادة علىٰ ما تقدم ، وهي : أنه قال عمر رضي الله عنه لأخيه زيد رضي الله عنه يوم أحد : (أقسمت عليك إلا لبست درعي ، فلبسها ، ثم نزعها ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما لك ؟ فقال : إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك) ، فتركاها جميعاً .

وكان زيد يحمل راية المسلمين يوم اليمامة ، وقد انكشف المسلمون حتىٰ غلبت بنو حنيفة على الرحال ، فجعل زيد رضي الله عنه يقول : (أما الرحال . . فلا رحال ، أما الرجال . . فلا رجال ، ثم جعل يصيح بأعلىٰ صوته : اللهم ؛ إني أعتذر إليك من فرار أصحابي ، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة) ، وجعل يشتد بالراية يتقدم بها في نحر العدو ، ثم قاتل حتىٰ قتل ، ووقعت الراية ، فأخذها سالم مولىٰ أبي حذيفة ، فقال المسلمون : يا سالم ؛ إنا نخاف أن نؤتىٰ من قِبَلِكَ ، فقال : (بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قِبلي) انتهىٰ[1] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) انظر « الصفوة » (١/ ١٩١) .

ومنهم الإمام :

عثمان بن مظعون
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : عثمان بن مظعون ، كان يكنىٰ : أبا السائب ، أسلم قديماً قبل دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وحرَّم الخمر في الجاهلية ، وقال : لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنىٰ مني ، ويحملني علىٰ أن أُنكح كريمتي مَن لا أريد .

شهد بدراً ، وكان كثير العبادة .

توفي في شعبان ، علىٰ رأس ثلاثين شهراً من الهجرة ، وقبَّل النبيُّ صلى الله عليه وسلم خدَّه ثلاثاً بعد موته ، وسماه : السلف الصالح[1] .

وهو أول من دفن بالبقيع .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على امرأة عثمان بن مظعون وهي باذة الهيئة[2] ، فسألتها : ما شأنك ؟ فقالت : زوجي يقوم الليل ، ويصوم النهار ، فدخل النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، فقال : « يا عثمان ؛ إن الرهبانية لم تكتب علينا ، أما لك فيَّ أسوة ؟ فوالله ؛ إني لأخشاكم لله ، وأحفظكم لحدوده »[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علىٰ عثمان حين مات ، فأكب عليه ، ثم رفع رأسه وله شهيق ، فعرفوا أنه يبكي ، فبكى القوم ، فقال :

---

(١) لما دفن سيدنا عثمان بن مظعون . . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم السلف هو لنا عثمان بن مظعون » « الاستيعاب » (٣/ ١٠٥٣) ، وروىٰ أحمد (١/ ٣٣٥) : لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون » .

(٢) باذ الهيئة : رث الهيئة ، سيء المنظر .

(٣) أخرجه ابن حبان في « الإحسان » (٩) .

« أذهِب عنها أبا السائب ، فقد خرجت منها ولم تلبَّس منها بشيء »(1) .

وعن خارجة بن زيد الأنصاري : أن أم العلاء قالت : لما توفي عثمان بن مظعون وجعلناه في ثيابه . . دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب ، بشهادتي عليك لقد أكرمك الله ، فقال ليَ النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك أن الله أكرمه ؟ » فقلت : لا أدري ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما عثمان . . فقد جاءه ـ والله ـ اليقين ، والله ؛ إني لأرجو له الخير ، ووالله ما أدري ـ وأنا رسول الله ـ ما يُفعل بي » ، قالت : فوالله ؛ لا أزكي أحداً بعده أبداً ، فأحزنني ذلك ، فنمت ، فرأيت لعثمان عين ماء تجري ، فجئت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : « ذاكِ عمله » أخرجه البخاري [٢٥٤١] انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ١٩٢ـ١٩٤] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : أن امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنهما قالت : هنيئاً لك أبا السائب الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما علمك بذلك ؟ » قالت : كان ـ يا رسول الله ـ يصوم النهار ، ويصلي الليل ، قال : « بحسبك لو قلت : كان يحب الله ورسوله » انتهىٰ [« الحلية » ١/١٠٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٣٣٣) .

ومنهم الإمام :

معاذ بن جبل
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : معاذ بن جبل رضي الله عنه ، كان يكنىٰ : أبا عبد الرحمٰن ، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وشهد العقبة مع السبعين ، وبدراً ، والمشاهد كلها ، وأردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه ، وبعثه إلى اليمن بعد غزوة تبوك ، وشيعه ماشياً في مخرجه ، وكان معاذ راكباً .

وعن أبي مسلم الخولاني قال : أتيت مسجد دمشق ؛ فإذا حلقة فيها كُهُولٌ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين ، براق الثنايا ، كلما اختلفوا في شيء . . ردوه إلى الفتىٰ ، قال : قلت لجليس لي : مَنْ هٰذا ؟ قال : هٰذا معاذ بن جبل .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه أخذ أربع مئة دينار ، فجعلها في صرة ، ثم قال لغلام له : اذهب بها إلىٰ أبي عبيدة ابن الجراح ، ثم تَلَهَّ ساعة في البيت حتىٰ تنظر ما يصنع ، فذهب الغلام ، قال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هٰذه في بعض حاجتك ، فقال : وصله الله ورحمه ، ثم قال : تعالي يا جارية ، اذهبي بهٰذه السبعة إلىٰ فلان ، وبهٰذه الخمسة إلىٰ فلان ، حتىٰ أنفدها ، فرجع الغلام ، فأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقال : اذهب بها إلىٰ معاذ ، وتَلَهَّ في البيت ساعة حتىٰ تنظر ما يصنع ، فذهب بها إليه ، وقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هٰذه في بعض حاجتك ، فقال : وصله الله ورحمه ، ثم قال : تعالي يا جارية ، اذهبي إلىٰ بيت فلان بكذا ، وإلىٰ بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ رضي الله عنهما ، فقالت : نحن ـ والله ـ مساكين فأعطنا ، قال : ولم يبق في الخرقة إلا ديناران ، فدحا[1] بهما إليها ، فرجع الغلام إلىٰ أمير المؤمنين ، فأخبره ، فقال : إنهم إخوة ، بعضهم من بعض .

وكان تحت معاذ بن جبل امرأتان ، فإذا كان عند إحداهما . . لم يشرب من بيت الأخرى

---

(١) دحا : رمىٰ وألقىٰ .

الماء ، ولا يتوضأ من بيت الأخرىٰ ، ثم توفيتا بالطاعون في الشام والناس في شغل ، فدفنتا في حفرة ، فأسهم بينهما أيتهما تُقَدَّم في القبر .

وكان إذا قام من الليل . . يقول : (اللهم ؛ قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت الحي القيوم ، اللهم ؛ طلبي للجنة بطيء ، وهربي من النار ضعيف ، اللهم ؛ اجعل لي عندك هدىً ترده إلي يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد) .

وكان لا يُسأل شيئاً . . إلا أعطاه ، وكان سمحاً جميلاً ، من خير شباب قومه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٢١٠-٢١٢] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن أنس بن مالك : أن معاذ بن جبل دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كيف أصبحت يا معاذ ؟ » فقال : أصبحت بالله مؤمناً ، فقال : « إن لكل قول مصداقاً ، ولكل حق حقيقة ، فما مصداق ما تقول ؟ » قال : يا رسول الله ؛ ما أصبحت صباحاً قط . . إلا ظننت أني لا أمسي ، ولا أمسيت مساء قط . . إلا ظننت أني لا أصبح ، ولا خطوت خطوة . . إلا ظننت أني لا أتبعها أخرىٰ ، وكأني أنظر إلىٰ كل أمَّة جاثية تدعىٰ إلىٰ كتابها ، معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله عز وجل ، وكأني أنظر إلىٰ عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « قد عرفت فالزم » انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٢٤٢] .

وقال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين معاذ وبين ابن مسعود رضي الله عنهما .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة وسبعة وخمسون حديثاً ، اتفقا علىٰ حديثين ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بحديث .

وروىٰ عنه ابن عمر ، وابن عباس ، وخلائق من الصحابة ، والتابعين .

وعن أنس قال : (جمع القرآن علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من الأنصار : أُبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد قيس بن السكن) رواه البخاري [٣٥٩٩] ومسلم [٤٦٥] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولىٰ أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأُبي بن كعب » رَوَياه [خ ٣٥٩٧ـ م ٢٤٦٤] .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرحم أمتي بأمتي : أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله : عمر ، وأشدهم حياء : عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام : معاذ بن جبل ، وأفرضهم : زيد بن ثابت ، وأَقرَؤُهم : أُبَي ، ولكل أمة أمين ، وأمين هٰذه الأمة : أبو عبيدة ابن الجراح » رواه الترمذي [٣٧٩] ، والنسائي ، وابن ماجه [١٥٤] ، بأسانيد صحيحة ، أو حسنة ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أبو عبيدة ابن الجراح ، نعم الرجل أسيد بن حضير ، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ، نعم الرجل معاذ بن جبل ، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح » رواه الترمذي [٣٧٩٥] ، والنسائي ، بإسناد صحيح ، قال الترمذي : حديث حسن .

ومعاذ : أحد الذين كانوا يفتون علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم : ثلاثة من المهاجرين : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وثلاثة من الأنصار : أُبَي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت .

وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يأتي معاذ أمام العلماء يوم القيامة برتوة أو رتوتين »(١) .

(الرتوة) : رمية بحَجَر . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٩٨ـ١٠٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعلم أمتي بالحلال والحرام : معاذ بن جبل » .

ولما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن . . شيعه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه ، ومعاذ راكب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ . . قال : « يا معاذ ؛ إنك عسىٰ ألاَّ تلقاني بعد عامي هٰذا ، ولعلك تمر بمسجدي هٰذا وقبري » فبكىٰ معاذ ؛ جَشَعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت ، فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال : « إن أولى الناس بي المتقون ، مَنْ كانوا وحيث كانوا »(٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو استخلفت معاذ بن جبل ، فسألني عنه ربي عز

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠/ ٢٩) .
(٢) أخرجه ابن حبان (٦٤٧) ، والجشع : الجزع لفراق الإلف .

وجل : ما حملك علىٰ ذلك ؟ لقلت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل . . كان معاذ بين أيديهم رتوة بحَجَر » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (كان معاذ رضي الله عنه أمَّة قانتاً لله حنيفا ، فقيل : ذاك إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فقال : ما نسيت ، هل تدري ما الأمة ، وما القانت ؟ فقلت[1] : الله أعلم ، قال : الأمة : الذي يعلِّم الناس الخير ، والقانت : المطيع لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم) .

وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا تحدثوا وفيهم معاذ . . نظروا إليه ؛ هيبة له .

ولما وقع الطاعون بالشام . . استعر فيها ، فقال الناس : ما هـٰذا إلا الطوفان ، إلا أنه ليس بماء ، فبلغ معاذ بن جبل ، فقام خطيباً ، فقال : (إنه بلغني ما تقولون ، وإنما هـٰذا رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، ونعتُ[2] الصالحين قبلكم ، ولـٰكن خافوا ما هو أشد من ذلك ، أن يغدو الرجل من منزله لا يدري أمؤمن هو أم منافق ، وخافوا إمارة الصبيان) .

وفي رواية : أن أبا عبيدة قام خطيباً وقال : (إن أبا عبيدة يسأل الله أن يَقْسُمَ له منه حظه) فطعن بالطاعون ، فمات رحمة الله عليه ، واستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيباً بعده ، وقال : (إن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظه) فطعن ابنه عبد الرحمـٰن ، ثم قام فدعا ربه لنفسه ، فطعن في راحته ، فلقد رأيته ينظر إليها ، ثم يقبل ظهر كفه ، ثم يقول : (ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا) فلما مات . . استخلف على الناس عمرو بن العاصي .

وفي رواية : لما طعن . . جعل يقبلها ، ويقول : (اللهم ؛ إنها صغيرة فبارك فيها ، فإنك تبارك في الصغير) حتىٰ مات رحمة الله عليه .

وقال حين اشتد به نزع الموت ، فنزع نزعاً لم ينزعه أحد ، وكان كلما أفاق من غمرته . . فتح طرفه ، ثم قال : (ربي ؛ اخنقني خنقاً ، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك) .

وفي رواية : لما حضره الموت . . قال : انظروا أصبحنا ؟ فقيل : لا ، إلىٰ أن قيل : قد أصبحنا ، فقال : (أعوذ بالله من ليلة صبيحتها إلى النار ، مرحباً بالموت زائر مغب ، حبيب

(١) هو فروة بن نوفل الأشجعي ، راوي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) في « الصفوة » وغيره : (وموت الصالحين قبلكم) .

جاء علىٰ فاقة ، اللهم ؛ إنك تعلم أني كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم ؛ إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولـٰكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر) .

توفي رضي الله عنه بالطاعون ، سنة ثمان عشرة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، أو ثلاث وثلاثين[1] ، ورُفع عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . [انتهىٰ « الصفوة » ٢١٢/١ـ٢١٧] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ [رحمه الله] ـ بسنده : عن معاذ بن جبل أنه قال : (ما عمل آدمي عملاً أنجىٰ له من عذاب الله . . من ذكر الله عز وجل ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا أن يضرب بسيفه حتىٰ ينقطع ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾) .

قال : وكانوا يقولون : [آية] الدعاء المستجاب : إذا رأيت الناس قد غفلوا . . فارغب إلىٰ ربك عند ذلك رغبات .

وعن طاووس قال : قدم معاذ رضي الله عنه أرضنا ، فقال له أشياخ لنا : لو أمرت ننقل لك من هـٰذه الحجارة والخشب ، فنبني لك مسجداً ، فقال : (إني أخاف أن أكلَّف حمله يوم القيامة علىٰ ظهري) .

وروىٰ معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تعلّموا ما شئتم أن تعلَموا ، فلن ينفعكم الله بالعلم حتىٰ تعملوا »[2] .

وعنه : قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بيدي ، ثم قال : « يا معاذ ؛ والله إني لأحبك » ، فقال له معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، وأنا والله أحبك ، فقال : « أوصيك يا معاذ ، لا تَدَعَنَّ في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم ؛ أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[3] ، وأوصىٰ به معاذ الصنابحي ، وأوصى الصنابحي أبا عبد الرحمـٰن ، وأوصىٰ أبو عبد الرحمـٰن عقبة ، وأوصىٰ عقبة حيوة ، وأوصىٰ حيوة أبا عبد الرحمـٰن المقرىء ، وأوصىٰ أبو عبد الرحمـٰن المقرىء بشر بن موسىٰ ، وأوصىٰ بشر محمد بن

---

(١) وقبره قريب من قبر سيدنا أبي عبيدة عامر ابن الجراح أمين هـٰذه الأمة في مدينة إربد ، بلدة الشونة الشمالية .
(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٩٣) موقوفاً علىٰ سيدنا معاذ رضي الله عنه .
(٣) أخرجه ابن حبان في « الإحسان » (٢٠٢٠) .

أحمد بن الحسن ، وأوصىٰ محمد بن أحمد بن الحسن الشيخ أبا نعيم ، قال الشيخ أبو الفضل حَمْدٌ لنا : وأنا أوصيكم به . انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٢٣٥ـ٢٤١] .

وروى ابن سعد : عن محمد بن عمر قال : حدثني عيسى بن النعمان ، عن معاذ بن رفاعة ، عن جابر بن عبد الله قال : كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خُلقاً ، وأسمحهم كفاً ، فأدَّانَ [مالاً] ، فلزمه غرماؤه ، حتى استأدىٰ غرماؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ خُذْ لنا حقنا منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله من تصدق عليه » ، فتصدق عليه ناس ، فقالوا : يا رسول الله ؛ خذ حقنا منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اصبر لهم يا معاذ » ، قال : فخلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ماله ، فدفعه إلىٰ غرمائه ، فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم ، قالوا : يا رسول الله ؛ بعه لنا ، قال : « خلوا عنه ، فليس لكم إليه سبيل » ، ثم دعاه فبعثه إلى اليمن ، فقال : « لعل الله يجبرك ، ويؤدي عنك دينك » ، فخرج معاذ إلى اليمن ، فلم يزل بها حتىٰ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوافى السنَة التي حجّ فيها عمر بن الخطاب ، فالتقيا يوم التروية ، وعزَّىٰ كل واحد منهما صاحبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأىٰ عمر عند معاذ غلماناً ، قال : ما هـٰؤلاء ؟ قال : أصبتهم في وجهي هـٰذا ، قال عمر : من أي وجه ؟ قال : أُهدوا إلي ، وأُكرمت بهم ، فقال عمر : اذكرهم لأبي بكر ، قال معاذ : وما ذكري لأبي بكر ؟ ونام معاذ ، فرأىٰ كأنه علىٰ شفير النار ، وعمر آخذ بحجزته من ورائه أن يقع في النار ، ففزع معاذ ، فذكره لأبي بكر ، فسوغه أبو بكر ، وقضىٰ بقية غرمائه ، وقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لعل الله يجبرك » انتهىٰ [« الطبقات » ٣/ ٥٨٧] .

وقال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ، ويقضي بينهم ، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن .

وقال فيه : إنه لما قدم.. قال عمر لأبي بكر : أرسل إلىٰ هـٰذا الرجل ، فدع له ما يعيشه ، وخذ سائره منه ، فقال أبو بكر : إنما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليجبره ، ولست بآخذ منه شيئاً إلا أن يعطيني ، فانطلق عمر إليه ؛ إذ لم يطعه أبو بكر ، فذكر ذلك لمعاذ ، فقال معاذ : إنما أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم ليجبرني ، ولست بفاعل ، ثم لقي معاذ عمر ، فقال : قد أطعتك ، إني رأيت في المنام كأني في حومة ماء خشيت الغرق ،

فخلصتني منه يا عمر ، فجاء معاذ أبا بكر ، فقال أبو بكر : لا آخذ منك شيئاً قد وهبته لك ، فقال عمر : هٰذا حين حل وطاب . انتهىٰ [« الاستيعاب » ٣/ ٣٣٧-٣٣٩] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : **إعلم** : أنه قد اشتمل هٰذا الحديث علىٰ فوائد نفيسة :

منها : أن الحُر لا يباع في وفاء الدَّين ولا غيره ، وهٰذا مُجمَع عليه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ ، وسؤال هٰؤلاء للبيع إنما وقع لعدم علمهم بأن الحُر لا يباع ، فلما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلوا عنه ، لا سبيل لكم عليه » . . عرفوا ذلك .

ومنها : أنه يجب على العالِم إذا علم بحكم قد خفي عن حاكم الوقت . . أن يخبره به ، وينبهه عليه ، فإن لم يرجع . . راح إلى الذي عليه الحق ، وعرفه ذلك ؛ ليخرج عما عليه من الحق .

ومنها : أن الإمام له أن يخص بما شاء من الأموال التي هي لمصالح المسلمين ، وأن تخصيصه يفيد الحل ، ولهٰذا قال عمر رضي الله عنه : (هٰذا حين حل وطاب) .

ومنها : أنه يجب النصح في الدِّين لأئمة المسلمين وعامتهم .

ومنها : أن طول الزمان لا يسقط الحق . . . إلىٰ غير ذلك من المعاني المودعة فيه ، والله سبحانه أعلم .

وقال الواسطي ـ قدس الله روحه ـ : وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : حدثني عبد الله ابن أبي بكر ، أنه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذاً . . أوصاه ، وعهد إليه ، ثم قال : « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وإنك ستقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب ، يسألونك : ما مفتاح الجنة ؟ فقل : شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له » انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه

قال أبو الفرج : كان العباس أسنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين .

وله من الولد الفضل أكبر أولاده ، وبه كان يكنىٰ ، وعبد الله وهو الحبر ، وعبيد الله وكان جواداً ، وعبد الرحمـٰن ، وقثم ، ومعبد ، وأم حبيبة[1] ، وأمهم جميعاً واحدة ، وله أولاد من غيرها .

وأسلم قديماً ، وكان يكتم إسلامه .

وخرج مع المشركين يوم بدر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من لقي العباس . . فلا يقتله ؛ فإنه أخرج مستكرهاً »[2] فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو ، ففادىٰ نفسه ورجع إلىٰ مكة ، ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً .

قال أهل السِّيَر : جاء قوم من أهل العقبة يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل لهم : هو في بيت العباس ، فدخلوا عليه ، فقال العباس : إن معكم من قومكم من هو مخالف لكم ، فأخفوا أمركم حتىٰ ينصدع هـٰذا الحاج ، ونلتقي نحن وأنتم فنوضح لكم هـٰذا الأمر ، فتدخلون فيه علىٰ أمر بيِّن ، فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة التي يسفر صبيحتها عن النفْر الآخر أن يوافيهم أسفل العقبة ، وأمرهم ألاَّ ينبهوا نائماً ، ولا ينتظروا غائباً ، فخرج القوم تلك الليلة يتسللون ، وقد سبقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه العباس ليس معه غيره ، وكان يثق به في أمره كله ، فلما اجتمعوا . . كان أول من تكلم العباس بكلام فيه طول ، فقال البراء بن معرور : قد سمعنا ما قلت ، إنا والله لو كان في

---

(١) كذا في النسخ و« الطبقات » ، وفي غيرهما كـ« المعارف » : (أم حبيب) ، وأمهم هي : أم الفضل لبابة الهلالية .

(٢) رواه ابن سعد في « الطبقات » (٤/ ١١) .

أنفسنا غير ما ننطق به . . لقلناه ، ولـٰكن نريد الوفاء والصدق ، ونبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعباس آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد له البيعة تلك الليلة على الأنصار .

وفي رواية الشعبي قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم إلى السبعين الذين بايعوا عند العقبة تحت الشجرة والعباس معه . . . فذكره .

ولما كانت أسارىٰ بدر . . كان فيهم العباس ، فسهر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يا رسول الله ؟ قال : « أنين العباس » ، فقام رجل ، فأرخىٰ من وثاقه ، [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما لي لا أسمع أنين العباس ؟ » فقال رجل من القوم : إني أرخيت من وثاقه] شيئاً ، قال : « فافعل ذلك بالأسارىٰ كلهم » انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٢٢٠-٢٢٢] .

وقال الواسطي ـ رحمه الله ـ : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْران[1] . . قال العباس بن عبد المطلب : قلت : واصباح قريش! والله ؛ لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه . . إنه لهلاك قريش إلىٰ آخر الدهر ، قال : فركبت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، وسرت عليها حتىٰ جئت الأراك ، فقلت : لَعلِّي أجد بعض الحطَّابة ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة ، قال : فوالله ؛ إني لأسير وألتمس ما خرجت له ؛ إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُدَيل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً ، قال : يقول بديل : هـٰذه والله خزاعة ، قال : يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل ، قال : فعرفت صوته ، فقلت : يا أبا حنظلة ؛ فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ، قال : مالك فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان! هـٰذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، واصباح قريش والله ، قال : فما أصنع ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك . . ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هـٰذه البغلة حتىٰ آتي بك رسول الله صلى الله عليه

(١) **مر الظهران** : وهو في المعاجم الجغرافية العربية : وادي فاطمة ؛ يقع في الشمال الشرقي لمكة ، بعيداً عنها بـ(٢٨) كيلو متراً ، وهو أكبر الوديان سعة ، وأكثرها خصباً وماءً ، وأوفرها قرىً وسكاناً ومساكن ، يصب فيه تسعون وادياً من أودية مكة الكبار والصغار ، فهو مجمع الأودية ، وطوله نحو ثمانين كيلو متراً .

وسلم فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفي ورجع صاحبه .

قال : فجئت به ، كلما مر بنار من نيران المسلمين . . قالوا : من هٰذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها . . قالوا : عم رسول الله علىٰ بغلته ، حتىٰ مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال : من هٰذا ؟ وقام إلي ، فلما رأىٰ أبا سفيان علىٰ عجز البغلة . . قال : أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركَّضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، قال : فاقتحمتُ عن البغلة ، فدخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ؛ هٰذا أبو سفيان ، قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني لأضرب عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله ؛ إني قد أجرته ، ثم جلست إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد أن أساره ، فقلت : والله ؛ لا يناجيه الليلة دوني رجل ، فلما أكثر عمر في شأنه . . قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله ؛ لو كان من رجال عدي بن كعب . . ما قلت هٰذا ، ولٰكنك قد عرفت أنه من رجال عبد مناف ، فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله ؛ لإَسلامك ـ يوم أسلمت ـ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك أحبُّ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به ـ يا عباس ـ إلىٰ رحلك ، فإذا أصبحت . . فائتني به » .

قال : فذهبت به إلىٰ رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح . . غدوت به إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال : « ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إلٰه إلا الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله ؛ لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره . . لقد أغنىٰ شيئاً بعد ، قال : « ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هٰذه ـ والله ـ فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً ، فقال له العباس : ويحك! أسلم واشهد أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك ، قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم .

قال العباس : قلت : يا رسول الله ؛ إن أبا سفيان يحب هٰذا الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان . . فهو آمن ، ومن أغلق بابه . . فهو آمن ، ومن دخل المسجد . . فهو آمن » ، فلما ذهب لينصرف . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا

عباس ؛ احبسه بمضيق الوادي عند حطم الخيل[1] ، حتىٰ تمر به جنود الله فيراها » .

قال : فخرجت حتىٰ حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرت القبائل علىٰ راياتها ، كلما مرت قبيلة . . قال : يا عباس ؛ من هٰذه ؟ فأقول : سُلَيم ، فيقول : مالي ولسليم ؟ ثم تمر القبيلة ، فيقول : يا عباس ؛ من هٰؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : ما لي ولمزينة ؟ حتىٰ نفدت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا سألني عنها ، فإذا أخبرته . . قال : ما لي ولبني فلان ؟ حتىٰ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : إنما قيل لها : الخضراء ؛ لكثرة الحديد ، وظهوره فيها .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، لا يرىٰ منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس! مَنْ هٰؤلاء ؟ قال : قلت : هٰذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهٰذا قِبَلٌ ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ؛ لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، قال : قلت : يا أبا سفيان ؛ إنها النبوة ، قال : فنعم إذن ، قال : قلت : النجاء[2] إلىٰ قومك ، حتىٰ إذا جاءهم . . صرخ بأعلىٰ صوته : يا معاشر قريش ؛ هٰذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان . . فهو آمن ، قالوا : وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق بابه . . فهو آمن ، ومن دخل المسجد . . فهو آمن ، فتفرق الناس إلىٰ دورهم وإلى المسجد . أو كما قال . انتهىٰ[3] .

وقال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : كان العباس أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أو ثلاث ، وأمه : نُتَيْلة ـ بضم النون وفتح المثناة فوق ـ ، وهي أول عربية كست الكعبة الحرير ، قالوا : وسببه أن العباس ضاع وهو صغير ، فنذرت إن وجدته . . أن تكسوها ، فوجدته ففعلت .

وكان العباس رضي الله عنه رئيساً جليلاً في قريش ، وكان إليه عمارة المسجد الحرام والسقاية .

---

(١) في نسخة : (حطم الجبل) ، وفي بعض روايات « السيرة » : (خطم) ، والمثبت موافقة للبخاري ، وحطم الخيل : الموضع المتضايق الذي تتحطم فيه الخيل ، وكذا أراد بخطم الجبل ، وأما حطم الجبل : فهو الموضع الذي حُطم منه : أي ثلم فبقي منقطعاً ؛ ويحتمل كذلك المعنى السابق .

(٢) النجاء : السرعة .

(٣) انظر « السيرة النبوية » (٤/ ٤٠٤) .

وحضر ليلة العقبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بايعه الأنصار ، وأكد البيعة له .

وخرج مع المشركين إلىٰ بدر مكرهاً ، وأسر ، وفدىٰ نفسه ، وفدى ابني أخويه : عقيلاً ونوفل بن الحارث ، وأسلم عقيب ذلك ، وقيل : أسلم قبل الهجرة ، وكان يكتم إسلامه مقيماً بمكة ، يكتب بأخبار المشركين إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عوناً للمسلمين المستضعفين بمكة .

قالوا : وأراد القدوم إلى المدينة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « مقامك بمكة خير » ، ورويناه هٰذا في « مسند » أبي يعلى الموصلي ، عن سهل بن سعد الساعدي .

وشهد حنيناً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت معه حين انهزم الناس عنه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي في الناس بالرجوع ، فنادىٰ فيهم ـ وكان صيّتاً ـ فأقبلوا عليه ، وحملوا على المشركين ، فهزمهم الله وأظهر المسلمين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظمه ويكرمه ويبجِّله .

وكان وَصولاً لأرحام قريش ، محسناً إليهم ، ذا رأي وكمال عقل ، أعتق سبعين عبداً .

وكانت الصحابة تكرمه ، وتعظمه ، وتقدمه ، وتشاوره ، وتأخذ برأيه .

وذكر الحازمي في « المؤتلف في الأماكن » : أن العباس كان يقف علىٰ سَلْع ، فينادي غلمانه في آخر الليل وهم في الغابة ، فيُسمِعهم ، قال : وبين سلع والغابة ثمانية أميال .

قالوا : ولا يعرف بنو أُمٍّ تباعدت قبورهم كتباعد قبور بني أم الفضل لبابة بنت الحارث الكبرىٰ ، فقبْر الفضل بالشام باليرموك ، وعبد الله بالطائف ، وعبيد الله بالمدينة ، وقثم بسمرقند ، ومعبد بـإفريقية .

وتوفي العباس رضي الله عنه وهو معتدل القامة .

وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثلاثون حديثاً ، اتفقا علىٰ حديث ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بثلاثة .

وروىٰ عنه أبناؤه ، وغيرهم من الصحابة ؛ كجابر ، والأحنف بن قيس ، وعبد الله بن الحارث ، وآخرون .

وفي « صحيح مسلم » [٩٨٣] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ـ وقد ذكر

العباس ـ : « يا عمر ؛ أمَا شعرت أن عم الرجل صِنْوُ أبيه » وهو بكسر الصاد ؛ أي : مثل أبيه .

وفي « كتاب الترمذي » [٣٧٥٨] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : « والذي نفسي بيده ؛ لا يدخل قلبَ رجل الإيمانُ حتىٰ يحبكم لله ولرسوله » ، ثم قال : « أيها الناس ؛ من آذىٰ عمي . . فقد آذاني ؛ فإنما عم الرجل صِنْوُ أبيه » .

وفي « الترمذي » أحاديث أخر في فضل العباس .

وثبت في « صحيح البخاري » [٩٦٤] : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا . . استسقىٰ بالعباس ، فقال : (اللهم ؛ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، فاسقنا) فيُسقَون .

ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله عنه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٥٧ـ٢٥٩] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : توفي العباس يوم الجمعة ، لأربع عشرة خلت من رجب ، سنة اثنتين وثلاثين ، في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٢٢] .

وروى الحافظ البيهقي ـ رحمه الله ـ بإسناده : عن أبي هريرة قال : (لما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزيد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وقعت زيادته علىٰ دار العباس بن عبد المطلب ، فأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يُدخلها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعوضه منها ، فأبىٰ وقال : قطيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلفا ، فجعلا بينهما أُبي بن كعب ، فأتياه في منزله ، وكان يسمىٰ : سيد المسلمين ، فأمر لهما بوسادة ، فألقيت لهما ، فجلسا عليها بين يديه ، فذكر عمر ما أراد ، وذكر العباس قطيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أُبي : إن الله عز وجل أمر عبده ونبيه داوود عليه السلام أن يبني له بيتاً ، قال : أي رب ؛ وأين هـٰذا البيت ؟ فقال : حيث ترى المَلَك شاهراً سيفه ، فرآه على الصخرة ، وإذا ما هناك يومئذ أندَر[1] لغلام من بني إسرائيل ، فأتاه داوود ، فقال : إني قد أُمرت أن أبني هـٰذا المكان بيتاً لله عز وجل ، فقال الفتىٰ : آلله أمرك أن تأخذها مني بغير رضاي ؟ قال : لا ، فأوحى الله تعالىٰ إلىٰ داوود عليه السلام : أني قد جعلت في يدك خزائن الأرض ، فأرضه ، فأتاه داوود ، فقال : إني قد

---

(١) **الأندَرُ** : بيدر للقمح .

أمرت برضاك ، فلك بها قنطار من ذهب ، قال : قد قبلت يا داوود ، هي خير أم القنطار ؟ قال : بل هي خير ، قال : فأرضني ، قال : فلك بها ثلاثة قناطير ، قال : فلم يزل يشدِّد علىٰ داوود . . حتىٰ رضي منه بتسعة قناطير ، قال العباس : اللهم ؛ لا آخذ لها ثواباً ، وقد تصدقت بها علىٰ جماعة المسلمين ، فقبلها عمر منه ، فأدخلها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

زاد في روايةٍ أخرىٰ له : عن ابن عباس ، قال : (كانت للعباس دار إلىٰ جانب المسجد في المدينة ، فقال عمر بن الخطاب : بعنيها أو هبها لي حتىٰ أدخلها في المسجد ، فأبىٰ ، فقال : اجعل بيني وبينك رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعلا بينهما أُبي بن كعب ، فقضىٰ للعباس علىٰ عمر ، فقال عمر : ما أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أجرأ علي منك ، فقال أُبي بن كعب : أو أنصح لك مني ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ أمَا بلغك حديث داوود عليه السلام ، أن الله عز وجل أمره ببناء بيت المقدس ، فأدخل فيه بيت امرأة بغير إذنها ، فلما بلغ حُجَز الرجال[1] . . منعه الله بناءه ، قال داوود : أي رب ؛ إن منعتني بناءه . . فاجعله في خلَفي ، فقال العباس : أليس قد قضيت لي بها وصارت لي ؟ قال : بلىٰ ، قال : فإني أشهدك أني قد جعلتها لله تعالىٰ[2]) .

وروى الحافظ البيهقي ـ قدس الله روحه ـ بإسناده : عن أنس بن مالك : أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ائذن لنا ، فلنترك لابن أختنا العباس فداءه ، فقال : « لا ، والله ؛ لا تذرون درهماً » رواه البخاري في « الصحيح » [٢٤٠٠] عن ابن أبي أويس[3] .

وبإسناده : عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم . . بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص ، وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها علىٰ أبي العاص حين بنىٰ عليها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم . . رق لها رقة شديدة ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها . . فافعلوا » ، قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها ، وقال العباس رضي الله عنه : يا رسول الله ؛ إني كنت مسلماً ، فقال رسول الله

---

(١) حجز الرجال : جمع حجزة وهي : موضع شد الإزار من الوسط .

(٢) السنن الكبرىٰ (٦/ ١٦٨) .

(٣) هو إسماعيل بن عبد الله « تهذيب الكمال » (٣/ ١٢٤) .

صلى الله عليه وسلم : « الله أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول . . فالله يجزيك ، فافد نفسك وابني أخويك : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبي طالب ابن عبد المطلب ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخو بني الحارث بن فهر » ، فقال : ما ذاك عندي يا رسول الله ؟ قال : « فأين المال الذي دفنت أنت وأم الفضل ، فقلتَ لها : إن أُصبتُ . . فهٰذا المال لبني الفضل وعبد الله وقثم ؟ » فقال : والله يا رسول الله ؛ إني أعلم أنك رسوله ، إن هٰذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل ، فاحتسب لي ـ يا رسول الله ـ ما أصبتم من عشرين أوقية من مال كان معي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفعل » ، ففدى العباس نفسه وابني أخويه وحليفه ، فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1] ، فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبداً ، كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجوه من مغفرة الله عز وجل[2] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) في النسخ : ﴿من الأسارى﴾ وهي قراءة أبي عمرو وأبي جعفر ، وقرأ الباقون : ﴿من الأسرى﴾ .

(٢) السنن الكبرىٰ (٦/ ٣٢٢) ، والحديث أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦) .

ومنهم الإمام :

أنس بن مالك
رضي الله عنه

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو حمزة أنس بن مالك ، الأنصاري ، الخزرجي ، النجاري ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتسمىٰ بذلك ، ويفتخر به ، وحق له ذلك ، ويا له من فخر!

كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حمزة ؛ ببقلة كان يحبها(١) .

خدم أنس رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، مدة إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ثبت ذلك في الصحيح(٢) ، وحمل عنه حديثاً كثيراً ، فروىٰ ألفي حديث ومئتي حديث وستة وثمانين حديثاً ، اتفقا علىٰ مئة وثمانية وستين ، وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين ، ومسلم بأحدٍ وسبعين .

وكان أكثر الصحابة أولاداً ؛ لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له .

وفي « البخاري » [١٨٨١] : عن أنس قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ أم سليم ـ يعني : أمه ـ فأتته بتمر وسمن ، فقال : « أعيدوا سمنكم في سقائه ، وتمركم في وعائه » ، ثم قام إلىٰ ناحية البيت ، فصلىٰ غير المكتوبة ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها ، فقالت : يا رسول الله ؛ إن لي خويصة ، قال : « ما هي ؟ » ، قالت : خادمك أنس ، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا له به ، « اللهم ؛ ارزقه مالاً وولداً ، وبارك له » . قال : فإني لَمِن أكثر الأنصار مالاً وولداً ، ودفن لصُلبه بضع وعشرون ومئة . هـٰذا لفظ البخاري .

واتفق العلماء علىٰ أنه جاوز عمره مئة سنة ، والصحيح : أنه توفي سنة ثلاث وتسعين .

---

(١) قال الجوهري : الحمزة : بقلة حِرِّيفةٌ ، قال أنس : كنَّاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت أجتنيها ، وكان يكنىٰ أبا حمزة .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦٨) .

وكان له قبل الهجرة عشر سنين فعاش فوق المئة كما يروىٰ .

وتوفي بالبصرة خارجها علىٰ نحو فرسخ ونصف ، ودفن هناك في موضع يعرف بقصر أنس .

وكان له بستان يحمل في السنة مرتين ، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك ، وكان أحدَ الرماة المصيبين .

وخرج إلىٰ بدر وهو غلام يخدم النبي صلى الله عليه وسلم .

قالوا : ثلاثة من أهل البصرة لم يموتوا حتىٰ رأىٰ كل واحد منهم مئة ذكر من صلبه : أنس بن مالك ، وخليفة بن بدر ، وأبو بكرة .

روى البخاري في « تاريخه » [٢٧/٢] : عن قتادة قال : لما مات أنس.. قال مورق : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له : كيف ذاك ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالَفَنا في الحديث.. قلنا له : تعال إلىٰ من سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم . انتهىٰ [« التهذيب » ١٢٧/١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

سلمان الفارسي
رضي الله عنه

يكنىٰ : أبا عبد الله .

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : سافر سلمان يطلب الدِّين مع قومه[1] ، فغدروا به ، فباعوه من اليهود ، ثم إنه كوتب ، وأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابته .

أسلم مَقدَم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، ومنعه الرق من شهود بدر وأحد .

وأول غزاة غزاها : الخندق ، وشهد ما بعدها ، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدائن .

وهو سابق الفُرس ، وبلال سابق الحبشة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت »[2] .

وخطب عمر بن الخطاب يوماً وعليه حلة ـ والحلة : ثوبان ـ فقال : أيها الناس ؛ ألا تسمعون! فقال سلمان : لا نسمع ، فقال عمر : ولم يا أبا عبد الله ؟ قال : إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً ، وعليك حلة ، فقال : لا تعجل يا أبا عبد الله ، ثم نادىٰ : يا عبد الله ؛ فلم يجبه أحد ، فقال : يا عبد الله بن عمر ؛ فقال : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : نشدتك بالله ، الثوب الذي ائتزرتُ به أهو ثوبك ؟ قال : اللهم ؛ نعم ، قال سلمان : الآن . . نسمع .

ودخل علىٰ أبي الدرداء في يوم جمعة ، فقيل : هو نائم ، فقال : ما له ؟ قالوا : إنه إذا كانت ليلة الجمعة . . أحياها ويصوم الجمعة ، فأمرهم فصنعوا طعاماً يوم الجمعة ، ثم قال له : كُلْ ، فقال : إني صائم ، فلم يزل به حتىٰ أكل ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عويمر ، سلمان أعلم منك ـ

---

(١) هٰكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (مع قوم) .
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٩١) .

وهو يضرب بيده علىٰ فخذ أبي الدرداء ـ عويمر ، سلمان أعلم منك ـ ثلاث مرات ـ لا تخصَّنَّ ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام »[1] .

وذهب أبو الدرداء يخطب لسلمان امرأة من بني ليث ، فدخل فذكر فضل سلمان ، وسابقته وإسلامه ، وأنه يخطب إليهم فتاتهم فلانة ، فقالوا : أما سلمان.. فلا نزوجه ، ولـٰكنا نزوجك ، فتزوجها ، ثم خرج ، فقال : إنه كان شيء ، وأنا أستحيي أن أذكره لك ، قال : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر ، فقال سلمان : أنا أحق أن أستحيي منك أن أخطبها ، وكان الله تعالىٰ قد قضاها لك .

وكان عطاؤه خمسة آلاف ، وكان أميراً علىٰ زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين .

وكان يخطب على الناس في عباءة ، يفترش بعضها ويلبس بعضها ، فإذا خرج عطاؤه.. أمضاه .

وكان يأكل من سفيف[2] يديه ، وكان يستظل بالفيء حيث ما دار .

ولم يكن له بيت ، فقال له رجل : ألا نبني لك بيتاً تستظل به من الحر ، وتستكنَّ به من البرد ؟ فقال : نعم ، فلما أدبر.. صاح به ، فسأله : كيف تبنيه ؟ فقال : أبنيه ، إن قمت فيه.. أصاب رأسك ، وإن اضطجعت فيه.. أصاب رجليك ، قال سلمان : نعم .

ولما كانت ليلة بناء سلمان علىٰ أهله.. دخل بيته فوجده منجداً ، ووجد فيه ستوراً وأواني ومتاعاً كثيراً ، فقال : ما هـٰذا ؟ أمحموم[3] بيتكم أم حولت الكعبة إلىٰ هـٰهنا ؟ وما هـٰذا المتاع ؟ فقالوا : هـٰذا لك ولزوجتك ، فقال : مَعَاذَ اللهِ ؛ ما بهـٰذا أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ، أوصاني أن يكون متاعي كزاد الراكب ، والله ؛ لا أدخل البيت حتىٰ تخرجوا ما فيه ، ففعلوا ، فلما دخل إليه.. قال لها ـ بعدما مسح بناصيتها ، ودعا بالبركة ـ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني إذا اجتمعت إلىٰ أهلي.. أن أجتمع علىٰ طاعة الله ، فقام وقامت إلى المسجد ، فصليا ما بدا لهما ، ثم خرجا ، فقضىٰ حاجته .

ودخل عليه رجل وهو يعجن ، فقال : ما هـٰذا ؟ فقال : بعثنا الخادم في عمل ، فكرهنا أن نجمع عليه عملين .

---

(١) أخرجه بنحوه عبد الرزاق (٤/ ٢٧٩) .
(٢) السف : نسج الخوص .
(٣) محموم : محروق .

وكان يعمل الخوص ويقول : أشتري خوصاً بدرهم ، فأعمله ، فأبيعه بثلاثة دراهم ، فأُعيد درهماً فيه ، وأنفق درهماً علىٰ عيالي ، وأتصدق بدرهم .

وقال له بعض غلمانه : كاتبني ، فقال : ألك شيء ؟ قال : لا ، قال : فمن أين ؟ قال : أسأل الناس ، قال : تريد أن تطعمني غسالة الناس ؟!

وكان أميراً على المدائن ، فجاء رجل من أهل الشام ومعه حمل تبن ، وعلىٰ سلمان عباءة ، فقال لسلمان : تعال احمل ، وهو لا يعرفه ، فحمل ، فرآه الناس ، فقالوا له : هـٰذا الأمير ، فاعتذر إليه ، وقال : لم أعرفك ، فقال له سلمان : لا حتىٰ أبلغ منزلك .

وفي رواية : إني قد نويت فيه نية ، فلا أضعه حتىٰ أبلغ منزلك .

ومن كلامه رضي الله عنه : (إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل مريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه ، فإذا اشتهىٰ ما يضره . . منعه ، وقال : لا تقربه ؛ فإنك إن أتيته . . أهلكك ، ولا يزال يمنعه حتىٰ يبرأ من وجعه ، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة ، فيمنعه الله عز وجل إياها ويحجزه ، حتىٰ يتوفاه ، فيدخله الجنة) .

وقال : (إذا أسأت سراً . . فأطعه سراً ، وإذا أسأت علانية . . فأطعه علانية ؛ لكي تمحىٰ هـٰذه بهـٰذه) .

وكتب أبو الدرداء إلىٰ سلمان : هلم إلى الأرض المقدسة ، فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقدس أحداً ، وإنما يقدس الإنسان عملُه ، وقد بلغني أنك جُعِلت طبيباً ، فإن كنت تبرىء . . فنعمَّا لك ، وإن كنت متطبباً . . فاحذر أن تقتل إنساناً ، فتدخل النار ، فكان أبو الدرداء إذا قضىٰ بين اثنين فأدبرا عنه . . نظر إليهما وقال : متطبب والله ، ارجعا أعيدا قضيتكما .

وقال : (ثلاث أعجبنني حتىٰ يضحكنني : مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض . وثلاث أحزنني حتىٰ بكيت : فراق محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي ربي عز وجل لا أدري إلى الجنة أصير أم إلى النار) .

وقيل له وقد اشترىٰ وسقاً[1] من طعام : يا أبا عبد الله ؛ تفعل هـٰذا وأنت صاحب

(١) الوَسق : حِمل بعير .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال : إن النفس إذا أحرزت قوتها . . اطمأنت وتفرغت لعبادة الله عز وجل ، ويئس منها الوسواس .

ودخل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه علىٰ سلمان رضي الله عنه يعوده ، فبكىٰ سلمان ، فقال له سعد : ما يبكيك ؟ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ، وترد عليه الحوض ، فقال سلمان : ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولـٰكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا عهداً فقال : « ليكن بُلْغَةُ أحدكم مثلَ زاد الراكب » ، وحولي مثل هـٰذه الأساود ، وإنما حوله إجانة وجفنة ومطهرة ، فقال له سعد : أوصنا ، قال : يا سعد ؛ اذكر الله عند كل حال ، من شدة ، ورخاء ، وعند حكمك ، وقسمك إذا قسمت[1]) .

وفي رواية : لما مات . . نظروا في بيته ، فلم يجدوا فيه إلا إكافاً ووطاءً ومتاعاً قُوِّمَ نحواً من عشرين درهماً .

وكان قد أصاب صرة مسك أودعها امرأته ، فلما حضرته الوفاة . . قال : هاتي صرة المسك فامرتيها[2] في ماء ، ثم قال : انضحيها حولي ؛ فإنه يأتيني الآن زوار ، ففعلت ، فلم يمكث إلا بقية يومه ، ثم قبض رضي الله عنه وأرضاه .

عاش مئتين وخمسين سنة ، ويقال : أكثر[3] .

وتوفي بالمدائن مبطوناً ، في خلافة عثمان رضي الله عنه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٢٨-٢٤٣] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٥٣) .

(٢) مَرَتَ : فتَّت .

(٣) قال الذهبي في « السير » (١/ ٥٥٥- ٥٥٦) : ومجموع أمره وأحواله ، وغزوه ، وهمته ، وتصرفه ، وسفِّه للجريد ، وأشياء مما تقدم . . ينبيء بأنه ليس بمعمَّر ولا هرم ؛ فقد فارق وطنه وهو حدث ، ولعله قدِم الحجاز وله أربعون سنة أو أقل ، فلم يَنْشَبْ أن سمع بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم هاجر ، فلعله عاش بضعاً وسبعين سنة ، وما أراه بلغ المئة .
وقد نقل طول عمره أبو الفرج ابن الجوزي وغيره ، وما علمت في ذلك شيئاً يركن إليه ، وقد ذكرت في « تاريخي الكبير » : أنه عاش مئتين وخمسين سنة ، وأن الساعة لا أرتضي ذلك ولا أصححه . اهـ باختصار .
وأورد ابن حجر في « الإصابة » (٢/ ٦٠) كلام الذهبي ثم قال : لم يذكر [الذهبي] مستنده في ذلك ، وأظنه أخذه من شهود سلمان الفتوح بعد النبي صلى الله عليه وسلم وتزوّجه امرأة من كِندة وغير ذلك من خوارق العادات في حقه ، وما المانع في ذلك ؟! فقد روىٰ أبو الشيخ في « طبقات الأصبهانيين » من طريق العباس بن يزيد قال : أهل العلم يقولون : عاش سلمان ثلاث مئة وخمسين سنة ، فأما مئتان وخمسون : فلا يشكون فيها . انتهىٰ ، والله أعلم بالصواب .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : عن الحارث بن عميرة رضي الله عنه قال : انطلقت حتىٰ أتيت المدائن ؛ فإذا أنا برجل عليه ثياب رثة ، ومعه أديم أحمر يعركه ، فالتفت ، فنظر إلي ، فأومأ بيده ، فقال : مكانك يا عبد الله ، فقمت ، فقلت لمن كان عندي : من هٰذا الرجل ؟ فقالوا : هٰذا سلمان ، فدخل بيته ، فلبس ثياباً بيضاً ، ثم أقبل وأخذ بيدي ، وصافحني ، وسألني ، فقلت : يا أبا عبد الله ؛ ما رأيتني قبل فيما مضىٰ ولا رأيتك ، ولا عرفتني ولا عرفتك ، فقال : بلىٰ والذي نفسي بيده ؛ لقد عرفَت روحي روحك حين رأيتك ، ألست الحارث بن عميرة ؟ قلت : بلىٰ ، قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها في الله . . ائتلف ، وما تناكر منها في الله . . اختلف »[1] .

وعن عطية بن عامر قال : رأيت سلمان رضي الله عنه أُكرِه علىٰ طعام يأكله ، فقال : حسبي حسبي ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثر الناس شبعاً في الدنيا . . أطولهم جوعاً في الآخرة ، يا سلمان ؛ إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »[2] .

ودخل سلمان علىٰ رجل يعوده وهو في النزع ، فقال : أيها الملَك ؛ ارفق به ، قال المحتَضَر : إنه يقول : إني بكل مؤمن رفيق . انتهىٰ [« الحلية » ١/١٩٨ـ٢٠٤] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في كتاب « الحدائق » : حدثنا أحمد قال : حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان ـ من أهل قرية منها ـ يقال لها : جَيّ ، وكان أبوه دهقان[3] قريته ، وكنت أحبَّ خلق الله إليه ، فلم يزل حبه إياي حتىٰ حبسني في بيته كما تُحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسية حتىٰ كنت قَطِنَ[4] النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة ، قال : وكانت لأبي ضيعة عظيمة ، قال : فشغل في بنيان له يوماً ، فقال لي : يا بني ؛ إني قد شغلت في شأني هٰذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب فاطّلعها ، وأمرني فيها ببعض ما يريد ، فخرجت أريد ضيعته ، فمررت بكنيسة من كنائس

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٣١٥٨) ، ومسلم (٢٦٣٨) . والقصة في « المعجم الكبير » (٦/ ٢٦٤) .
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٥١) .
(٣) دهقان القرية : رئيسها .
(٤) قطن النار : القيم علىٰ نار المجوس وموقدها .

النصارىٰ ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما أمر الناس ؛ لحبس أبي إياي في بيته ، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم. . دخلت عليهم أنظر ما يصنعون .

قال : فلما رأيتهم. . أعجبتني صلاتهم ، ورغبت في أمرهم ، وقلت : هـٰذا والله خير من الذي نحن عليه ، فوالله ؛ ما تركتهم حتىٰ غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبي ولم آتها ، فقلت لهم : أين أَصلُ هـٰذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، قال : ثم رجعت إلىٰ أبي ، وقد بعث في طلبي وشغلتُه عن عمله كله ، قال : فلما جئته. . قال : أي بني ؛ أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قال : قلت : يا أبت ؛ مررت بناس يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ؛ ما زلت عندهم حتىٰ غربت الشمس ، قال : أي بني ؛ ليس في ذلك الدين خير من دينك ، ودينُ آبائك خير منه ، قال : قلت : كلا ، والله ؛ إنه لخير من ديننا ، قال : فخافني ، فجعل في رجلي قيداً ، ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثتُ إلى النصارىٰ ، فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارىٰ. . فأخبِروني بهم ، قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارىٰ ، فأخبَروني بهم ، فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة إلىٰ بلادهم. . فآذنوني بهم .

قال : فلما أرادوا الرجعة إلىٰ بلادهم. . ألقيت الحديد من رجلي ، ثم خرجت معهم حتىٰ قدمت الشام ، فلما قدمتها. . قلت : مَن أفضل أهل هـٰذا الدين ؟ قالوا : الأسقف في الكنيسة ، قال : فجئته ، فقلت : إني قد رغبت في هـٰذا الدين ، وأحببت أن أكون معك ، أخدمك في كنيستك ، وأتعلم منك ، وأصلي معك ، قال : فادخل ، فدخلت معه ، قال : وكان رجلَ سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها. . اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتىٰ جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق .

قال : وأبغضته بغضاً شديداً ؛ لِمَا رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارىٰ ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هـٰذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها. . اكتنزها لنفسه ، فلم يعط المساكين منها شيئاً ، قالوا : وما علمك بذلك ؟ قلت : أنا أدلكم علىٰ كنزه ، قالوا : فدُلَّنا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، قال : فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، قال : فلما رأوها. . قالوا : والله ؛ لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ، ثم رجموه بالحجارة ، ثم جاؤوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرىٰ أنه أفضل منه ، وأزهد في

الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه ، قال : فأحببته حباً شديداً لم أُحِبَّه مَن قبلَه ، فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان ؛ إني كنت معك ، وأحببتك حباً لم أحبه مَن قبلَك ، وقد حضرك ما ترىٰ من أمر الله تعالىٰ ، فإلىٰ من توصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : أي بني ؛ والله ما أعلم أحداً اليوم علىٰ ما كنت عليه ، لقد هلك الناس ، وبدلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل ، وهو فلان ، فهو علىٰ ما كنت عليه ، فألحق به ، فلما مات وغيب. . لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له : يا فلان ؛ إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك علىٰ أمره ، قال : فقال لي : أقم عندي .

قال : فأقمت عنده ، فوجدته خير رجل علىٰ أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة. . قلت له : يا فلان ؛ إن فلاناً أوصىٰ بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترىٰ ، فإلىٰ من توصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : أي بني ؛ والله ما أعلم رجلاً علىٰ مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان ، فألحق به ، قال : فلما مات وغُيِّب. . لحقت بصاحب نصيبين ، فجئت فأخبرته خبري ، وما أمرني به صاحبي ، قال : فأقم عندي ، فأقمت عنده ، فوجدته علىٰ أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ؛ ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر. . قلت له : يا فلان ؛ إن فلاناً كان أوصىٰ بي إلىٰ فلان ، ثم أوصىٰ بي فلان إليك ، فإلىٰ من توصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : أي بني ؛ والله ما أعلم أحداً بقي علىٰ أمرنا آمرك أن تأتيه ، إلا رجلاً بعَمُّورِيَّة ؛ فإنه علىٰ مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت. . فأته ؛ فإنه علىٰ أمرنا .

قال : فلما مات وغيب. . لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عند رجل علىٰ هدي أصحابه وأمرهم ، قال : واكتسبت حتىٰ كانت لي بقرات وغنيمة .

قال : ثم نزل به أمر الله عز وجل ، فلما حضر. . قلت له : يا فلان ؛ إني كنت مع فلان ، فأوصىٰ بي إلىٰ فلان ، وأوصىٰ بي فلان إلىٰ فلان ، وأوصىٰ بي فلان إليك ، فإلىٰ من توصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : أي بني ؛ والله ما أعلمه أصبح علىٰ ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولـٰكنه قد أظلك زمان نبي ، هو مبعوث بدين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلىٰ أرض بين حرَّتين[1] ، بينهما نخل ، به علامات

---

(١) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود .

لا تخفىٰ ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد . . فافعل .

قال : ثم مات وغيب ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كلبٍ تجاراً ، فقلت لهم : تحملوني إلىٰ أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي هـٰذه وغُنَيْمتي هـٰذه ؟ قالوا : نعم ، فأعطيتهم إياها ، وحملوني حتىٰ [إذا] قدموا بي وادي القرىٰ . . ظلموني ؛ فباعوني من رجل من اليهود عبداً ، وكنت عنده ، ورأيت النخل ، ورجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يحق لي في نفسي .

فبينما أنا عنده . . قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ؛ ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها ، وبعث الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله ؛ إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل ، وسيدي جالس ؛ إذ أقبل ابن عم له حتىٰ وقف عليه ، فقال له : يا فلان ؛ قاتل الله بني قيلة ـ يعني : الأوس والخزرج ـ الآن والله إنهم لمجتمعون بقباء علىٰ رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم أنه نبي ، قال : فلما سمعتها . . أخذتني العُرَواء[1] حتىٰ ظننت سأسقط علىٰ سيدي ، قال : ونزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك ، ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال : فغضب سيدي ، ولكمني لكمة شديدة ، ثم قال : ما لك وهـٰذا ؟ أقبِلْ علىٰ عملك ، قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت . . أخذته ، ثم جئت به إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهـٰذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « كلوا » ، وأمسك يده فلم يأكل ، قال : فقلت في نفسي : هـٰذه واحدة .

ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت : إني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهـٰذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل

---

(١) العُرَواء : الرِّعْدَة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان .

قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد ، وقد تبع جنازة مع أصحابه ، عليه شملتان له ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلىٰ ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أَستدبِرُه . . عرف أني أستثبت في شيء وُصف لي ، قال : فألقىٰ رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم ، فعرفته ، فانكببت عليه أقبله وأبكي ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحول » ، فتحولت ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يابن عباس ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابُه .

ثم شغل سلمانَ الرِّقُّ ، حتىٰ فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد ، قال : ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كاتب يا سلمان » ، فكاتبت صاحبي علىٰ ثلاث مئة نخلة ، أحييها له بالفقير[1] ـ يعني البئر ـ وبأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أعينوا أخاكم » ، فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين ودية[2] ، والرجل بعشرين ، والرجل بخمس عشرة ، والرجل بعشرة ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاث مئة وَدِيَّة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب يا سلمان ففقِّرْ لها ، فإذا فرغت . . أكون أنا الذي أضعها بيدي » .

قال : ففقرت لها ، فأعانني أصحابي ، حتىٰ إذا فرغت منها . . جئته ، فأخبرته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها ، فجعلنا نقرب إليه الوَدِيَّ ، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فوالذي نفس سلمان بيده ؛ ما ماتت منها ودية واحدة ، فأديت النخل ، فبقي علي المال ، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما فعل الفارسي المكاتب ؟ » قال : فدُعيت له ، فقال : « خذ هـٰذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان ؟ » قال : قلت : وأين تقع هـٰذه يا رسول الله مما علي ؟ قال : « خذها ؛ فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك » ، قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم

(١) أي : بالحفر وبالغرس ، يقال : فقرتُ الأرض إذا حفرتها ، ومنه سميت البئر فقيراً .
(٢) الوَدِيَّة : مفرد ودي : صغار النخل .

وعتقت ، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ، ثم لم يفتني معه مشهد[1] .

وقد روى البخاري في أفراده [٣٧٣٠] من حديث أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي ، أنه تداوله بضعة عشر من رب إلىٰ رب .

حدثنا عبد الله ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا سيار ، قال : حدثنا جعفر ، قال : حدثنا هشام ، قال : حدثنا الحسن ، قال : كان عطاء سلمان الفارسي رحمه الله تعالىٰ خمسة آلاف درهم ، وكان أميراً علىٰ زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وكان يخطب الناس في عباءة ، يفترش بعضها ويلبس بعضها ، فإذا خرج عطاؤه . . أمضاه ، ويأكل من سفيف يديه ، رضي الله عنه وأرضاه[2] . انتهىٰ [« الحدائق » ١/٤١٣ـ٤١٨] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرج القصة الطبراني في « الكبير » (٦/ ٢٢٢ـ٢٢٥) .
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في « الزهد » (١٥٠) .

ومنهم الإمام :

تميم الداري
رضي الله عنه

قال الإمام النووي ـ رضي الله عنه ـ : تميم الداري ، يكنىٰ : أبا رقية ـ بنت له ـ ولم يولد له غيرها ، وإنما العقب لأخيه لأمه أبي هند .

منسوب إلىٰ جده الدار ، وقيل : غير ذلك ؛ [فقيل : ديري] ، والديري نسبة إلىٰ دير كان يتعبد فيه قبل الإسلام ؛ وكان نصرانياً ، أسلم سنة تسع من الهجرة .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثاً ، روىٰ مسلم منها حديث : « الدين النصيحة » [٥٥] .

وفي « مسلم » [٢٩٤٢] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم روىٰ عن تميم الداري قصة الجساسة[١] .

وهـٰذه منقبة شريفة ، لا يشاركه فيها غيره ، وتدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر .

وروىٰ عنه جماعة من الصحابة ، وجماعات من التابعين .

وكان بالمدينة ثم انتقل إلىٰ « بيت المقدس » بعد قتل عثمان رضي الله عنه .

وكان كثير التهجد ، قام ليلة حتىٰ أصبح بآية من القرآن يركع ويسجد ويبكي ، وهي : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

وكان له هيئة ولباس .

وهو أول من قص على الناس ، استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ، فأذن له .

وهو أول من أسرج في المسجد ، قاله أبو نعيم الأصبهاني .

---

(١) انظر الحديث في « صحيح مسلم » (٢٩٤٢) .

قلت : قال الحفاظ أبو عبد الله ابن منده ، وأبو نعيم الأصبهانيان ، وأبو عمر ابن عبد البر : زار روح بن زنباع تميماً الداري ، فوجده ينقي شعيراً لفرسه ، فقال له روح : أمّا كان في هٰؤلاء من يكفيك ؟ قال : بلىٰ ، ولٰكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امرىء مسلم ينقي لفرسه شعيراً ، ثم يعلفه عليه . . إلا كتب الله له بكل حبة حسنة »[1] .

وقال ابن عساكر في « تاريخه » [٧٩/١١] : عن أنس : إن تميماً اشترىٰ رداء بألف درهم ، وكان يصلي بأصحابه فيه .

وعن ثابت : أن تميماً اشترىٰ حلة بألف درهم ، فكان يلبسها في الليلة التي يرجىٰ أنها ليلة القدر . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٣٨ـ١٣٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٠٣) .

ومنهم الإمام :

أبو موسى الأشعري
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : أسلم أبو موسىٰ بمكة ، وهاجر إلى الحبشة ، ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، وبعضهم ينكر هجرته إلى الحبشة .

وقد روي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً وأبا موسىٰ إلى اليمن ، وأمرهما أن يعلما الناس القرآن[1] .

وقد صح من حديث أبي موسىٰ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو رأيتَني وأنا أستمع قراءتك البارحة ، لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داوود » ، فقلت : يا رسول الله ؛ لو علمت أنك تستمع قراءتي . . لحبرته لك تحبيراً[2] .

وفي « الصحيحين » [خ ٣٨٩٩ـ م ١٨١٦] : من حديث أبي موسىٰ قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، ونحن ستة نفر علىٰ بعير نعتقبه[3] ، قال : فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدمي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف الخرق علىٰ أرجلنا ، فسميت غزاة ذات الرقاع ؛ لِمَا كنا نعصب علىٰ أرجلنا من الخرق ، ثم إن أبا موسىٰ ندم علىٰ ذكر ذلك ، وقال : ما كنت أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسىٰ : ذكِّرنا ربنا تعالىٰ ، فيقرأ .

وعن أبي بردة قال : لما احتضر أبو موسىٰ . . قال : (يا بني ؛ اذكروا صاحب الرغيف ، قال : كان رجل يتعبد في صومعة سبعين سنة ، لا ينزل إلا في يوم واحد ، قال : فشب الشيطان في عينه امرأة ، قال : فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال ، ثم كُشف عن الرجل

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٧) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « المسند المستخرج علىٰ صحيح مسلم » (٢/ ٣٨٤) .

(٣) أي : نتعاقبه في الركوب واحداً بعد واحد .

غطاؤه ، فخرج تائباً ، فكان كلما خطا خطوة . . صلىٰ وسجد ، وآواه الليل إلىٰ دكان عليه اثنا عشر مسكيناً ، فأدركه الإعياء ، فرمي بين رجُلين منهم ، وكان ثَم راهب يبعث إليهم كل ليلة باثني عشر رغيفاً ، فيعطي كل إنسان رغيفاً ، فجاء صاحب الرغيف ، فأعطىٰ كل إنسان رغيفاً ، ومر علىٰ ذلك الرجل الذي خرج تائباً ، فظن أنه مسكين ، فأعطاه رغيفاً ، فقال المتروك لصاحب الرغيف : ما لك لم تعطني رغيفي ؟ فقال : أتراني أمسكته عنك ، هل أعطيت أحداً منكم رغيفين ؟ قالوا : لا ، فعمد التائب إلى الرغيف الذي معه ، فأعطاه لذلك المسكين المتروك ، فأصبح التائب ميتاً ، فوزنت السبعون سنة بالسبع ليال ، فرجحت الليالي ، ووزن الرغيف بالسبع الليالي ، فرجح الرغيف ، فقال أبو موسىٰ : يا بني ؛ اذكروا صاحب الرغيف)[1] .

وقال أهل السير : توفي أبو موسىٰ سنة اثنتين وخمسين ، وقيل : اثنتين وأربعين ، ودفن بمكة ، وقيل : بالثوية علىٰ ميلين من الكوفة [انتهىٰ « الصفوة » ١/ ٢٤٣ـ٢٤٦] .

وروى الحافظ أبو نعيم : عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً حفاة عليهم العبا » .

ورویٰ أبو موسىٰ قال : خرجنا غازين في البحر ، فسمعنا صوتاً يقول : إن الله عز وجل قضىٰ علىٰ نفسه أنه من عطَّش نفسه لله في يوم حار . . كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة ، فكان أبو موسىٰ يتوخَّىٰ ذلك اليوم الحار الشديد الحر ، فيصومه .

وخطب يوماً بالبصرة ، فقال : (أيها الناس ؛ ابكوا ، فإن لم تبكوا . . فتباكَوا ، فإن أهل النار يبكون الدموع حتىٰ تنقطع ، ثم يبكون الدماء ، حتىٰ لو أرسلت فيها السفن . . لجرت) .

وقال : (إن الشمس فوق الناس يوم القيامة ، وأعمالهم تظلهم وتصحبهم) .

وقال : (أيها الناس ؛ إنكم اليوم في زمان للعامل فيه لله عز وجل أجر ، وسيكون بعدكم زمان يكون للعامل فيه أجران) انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٢٦٠ـ٢٦٤] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٢١٢) . ٤ .

ومنهم الإمام :

جابر بن عبد الله
رضي الله عنه

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو عبد الله ، أحد المكثرين الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث وخمس مئة حديث وأربعون حديثاً ، اتفقا علىٰ ستين حديثاً ، وانفرد البخاري بستة وعشرين ، ومسلم بمئة وستة وعشرين .

وروىٰ عن أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وأبي عبيدة ، ومعاذ ، وخالد بن الوليد ، وأبي هريرة .

روىٰ عنه جماعات من أئمة التابعين .

ومناقبه كثيرة .

استُشهِد أبوه يوم أحد ، وأحياه الله تعالىٰ وكلمه وقال : يا عبد الله ؛ ما تريد ؟ قال : أن أرجع إلى الدنيا ، فأُستَشْهَد مرة أخرىٰ .

وفي « البخاري » [بنحوه ١٢٨٦] : عن جابر قال : (دفنت أبي يوم أحد مع رجل ، ثم استخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه) .

وفي « مسلم » [١٨١٣] : عن جابر قال : (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ، ولم أشهد بدراً ولا أُحُداً ؛ منعني أبي ، فلما قتل أبي يوم أُحُد . . لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة قط) .

وفي « البخاري » [٣٦٧٨] في كتاب المبعث : عن جابر بن عبد الله قال جابر : (أنا وأبي وخالاي من أصحاب العقبة) .

توفي جابر بالمدينة سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله عنه .

وكان قد ذهب بصره في آخر عمره .

ورَوِّينا في « الصحيحين » [خ ٣٩٢٣ـ م ١٨٥٦] : عن جابر قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض » ، وكنا ألفاً وأربع مئة ، قال جابر : (لو كنت أُبصر اليوم . . لأريتكم مكان الشجرة) .

واعلم : أنه حيث أُطلق جابر . . فالمراد به جابر بن عبد الله ، وإن أُريد غيره ـ يعني : جابر بن سمُرة ـ قيِّد . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٤٢ـ١٤٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو الدرداء عويمر بن زيد
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : اختلفوا في اسمه ، وفي أنه هل شهد أُحُداً أم لا .

وقد شهد أكثر المشاهد ، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه القضاء بدمشق .

وقال أبو الدرداء : (ويل للذي لا يعلم مرة ، ولو شاء الله . . عَلَّمه ، وويل للذي يعلم ولا يعمل ، سبع مرات) انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٧٧] .

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في « الإحياء » : قال أبو الدرداء رضي الله عنه : (والله الذي لا إلـه إلا هو ؛ ما أمن أحد علىٰ إيمانه أن يسلب . . إلا سلب) انتهىٰ [« الإحياء » ٤/١٧٢] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : قال أبو الدرداء : (إني لآمركم بالأمر وما أفعله ، لـكني أرجو فيه الأجر) .

وقال : (تفكر ساعة . . خير من قيام ليلة) .

وقال : (يا أهل دمشق ؛ أنتم الإخوان في الدين ، والجيران في الدار ، والأنصار على الأعداء ، ما يمنعكم من مودتي ، وإنما مؤنتي علىٰ غيركم ، مالي أرىٰ علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ، وأراكم قد أقبلتم علىٰ ما تُكُفِّلَ لكم به ، وتركتم ما أُمرتم به ، ألا إن قوماً بَنَوْا شديداً ، وجمعوا كثيراً ، وأمَّلوا بعيداً . . فأصبح بنيانهم قبوراً ، وأملهم غروراً ، وجمعهم بوراً ، ألا فتعلَّموا وعلِّموا ؛ فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ، ولا خير في الناس بعدهما) .

وقال له رجل : أوصني ، فقال له : (اذكر الله عز وجل في السراء . . يذكرك في الضراء ، وإذا أشرفت علىٰ شيء من الدنيا . . فانظر إلىٰ ماذا يصير) .

وقال : (حبذا نوم الأكياس وإفطارهم ، كيف يغبنون سهر الحمقىٰ وصومهم ، مثقال

ذرة من بِرٍّ مع تقوىٰ ويقين . . أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين) .

وقال : (أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة : يا عويمر ؛ أعلمت أم جهلت ؟ فإن قلت : علمت . . لا تبقىٰ آية آمرة أو زاجرة إلا أُخِذت بفريضتها ، الآمرة : هل ائتمرت ؟ والزاجرة : هل ازدجرت ؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع) .

وقالت أم الدرداء : دخل علينا يوماً أبو الدرداء مغضَباً ، فقلت : ما لك ؟ فقال : (والله ؛ ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا أنهم يصلون جميعاً) .

وصعد رجل إلىٰ غرفة أبي الدرداء ، فوجده يلتقط حَباً ، فقال أبو الدرداء : (إن من فقه الرجل رِفْقَه في معيشته) .

وخطب يزيد بن معاوية إلىٰ أبي الدرداء ابنته فرده ، فقال رجل من جلساء يزيد : أصلحك الله ، تأذن لي أن أتزوجها ، قال : نعم ، فسار ذلك في الناس ، أنَّ يزيداً خطب إلىٰ أبي الدرداء فرده ، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه ، فقال أبو الدرداء : (إني نظرت للدرداء ، ما ظنكم بالدرداء إذا قامت وعلىٰ رأسها الخصيان[1] ، ونظرت في بيوت يلتمع فيها بصرها ، أين دينها منها يومئذ ؟!) .

وقال : (معاتبة الأخ خير من فقده ، عظ أخاك ولِنْ له ، ولا تطع به حاسداً ؛ فتكون مثله ، غداً يأتيه الموت ؛ فيكفيك فقده ، كيف تبكيه بعد الموت ، وفي حياته تركت وصله ؟!) .

وقال [لرجلٍ ينصحه] : (إن ناقدت الناس . . ناقدوك ، وإن تركتهم . . لم يتركوك ، وإن هربت منهم . . أدركوك) ، قال : يا أبا الدرداء ؛ فما تأمرني ؟ قال : (هب عِرضك ليوم فقرك ، وما تجرع مؤمن جرعة قط أحب إلى الله عز وجل من غيظٍ كظمه ، فاعفوا . . يعزكم الله ، وإياكم ودمعةَ اليتيم ، ودعوة المظلوم ؛ فإنها تسري بالليل والناس نيام ، وما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عز وجل من موعظة يعظ بها قوماً ، فيتفرقون وقد نفعهم الله عز وجل بها) .

وقال : (لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت . . لما أكلتم طعاماً علىٰ شهوة ،

---

(١) أي : العبيد والخدم والحشم .

ولا شربتم شراباً علىٰ شهوة ، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ، ولخرجتم إلى الصُّعُدات[١] تضربون صدوركم وتبكون علىٰ أنفسكم ، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل) .

وقال : (ذروة الإيمان : الصبر للحكم ، والرضىٰ بالقدر ، والإخلاص للتوكل ، والاستسلام للرب عز وجل) .

وقيل له : ما لك لا تُشْعِرُ ؟ فإنه ليس رجل له بيت في الأنصار إلا وقد قال شعراً ، قال : وأنا قد قلت ، فاسمعوا :

يـريـد المـرء أن يعطـىٰ مُنـاه ... ويـأبـى الله إلا مـا أرادا
يقـول المـرء : فـائـدتـي وزادي ... وتقـوى الله أفضـلُ مـا استفـادا

وقال : (أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه ، فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه) .

وقال : (ابنَ آدم ؛ طَأِ الأرض بقدمك ؛ فإنها عن قليل تكون قبرك ، إنما أنت أيام ، فكلما مضىٰ يوم . . مضىٰ بعضك ، ابن آدم ؛ لم تزل في هدم عمرك من يوم ولدتك أمك) .

وقال : (ما أحد إلا وفي عقله نقص ، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة في مال . . ظل فرحاً مسروراً ، والليل والنهار دائبان في هدم عمره ، ولا يحزنه ذلك ، ضل ضلاله ، ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص) .

وقال : (إن الذين لم تزل ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل . . يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك) .

وعن محمد بن كعب : أن ناساً نزلوا علىٰ أبي الدرداء رضي الله عنه ليلةً قَرَّةً ، فأرسل إليهم بطعام سخن ، ولم يرسل إليهم بلُحُف[٢] ، فقال بعضهم : لقد أرسل إلينا بالطعام ، فما هنأنا مع القر[٣] ، لا أنتهي أو أبيِّنَ له ، وقال الآخر : دعه ، فأبىٰ ، فجاء حتىٰ إذا قام على الباب فرآه جالساً وامرأته ليس عليهما من الثياب إلا ما لا بد منه . . فرجع ، وقال : ما أراك بِتَّ إلا بنحو ما بتنا به ، قال : إن لنا داراً ننتقل إليها قدَّمْنا لُحُفَنا وفرشنا إليها ، ولو ألفيت عندنا منه شيئاً . . لأرسلنا إليك به ، وإن بين أيدينا عقبة كؤوداً ، المُخِفُّ فيها خير من المثقل ، افهم ما أقول لك .

---

(١) الصُّعُدات : الطرق .
(٢) جمع لحاف ، وهو ما يتغطىٰ به .
(٣) القر : شدة البرد .

ومرَّ علىٰ رجل قد أصاب ذنباً والناس يسبونه ، فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قليب ، ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلىٰ ، قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله عز وجل الذي عافاكم ، قالوا : أفلا تبغضه ؟ قال : إنما أبغض عمله ، فإذا تركه . . فهو أخي .

وقال : (نِعم صومعة المرء المسلم . . بيته ، يكف لسانه وفرجه وبصره ، وإياكم ومجالس الأسواق ؛ فإنها تلهي وتلغي) .

ولما مرض . . دخل عليه أصحابه ، فقالوا : ما تشتكي ؟ قال : أشتكي ذنوبي ، قالوا : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي الجنة ، قالوا : أفلا ندعو لك طبيباً ؟ قال : هو الذي أضجعني .

وعن أم الدرداء أنها قالت : اللهم ؛ إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا ، اللهم ؛ فأنا أخطبه إليك ، فأسألك أن تزوجنيه في الجنة ، فقال لها أبو الدرداء : إن أردت ذلك ، وكنت أنا الأول في الموت . . فلا تتزوجي بعدي ، قال : فمات أبو الدرداء ، وكان لها جمال وحسن ، فخطبها معاوية ، فقالت : لا ، والله ؛ لا أتزوج زوجاً في الدنيا ، حتىٰ أتزوج أبا الدرداء ـ إن شاء الله عز وجل ـ في الجنة .

وقالت أم الدرداء لأبي الدرداء : إن احتجتُ بعدك آكل الصدقة ؟ قال : لا ، اعملي وكلي ، قالت : فإن ضعفت عن العمل ؟ قال : التقطي السنبل ولا تأكلي الصدقة .

ولما احتُضِر . . جعل يقول : من يعمل لمثل يومي هٰذا ؟ من يعمل لمثل ساعتي هٰذه ؟ من يعمل لمثل مضجعي هٰذا ؟ ثم يقول : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ .

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : رأيت في المنام ، كأني أتيت مرجاً أخضر ، فيه قبة من أدم ، حولها غنم ربوض ، فقلت : لمن هٰذه ؟ فقيل : لعبد الرحمٰن بن عوف ، فانتظرته حتىٰ خرج من القبة ، فقال : يا عوف بن مالك ؛ هٰذا الذي أعطاني الله عز وجل بالقرآن ، ولو أشرفت علىٰ هٰذه الثنية . . لرأيت ما لم تر عينك ، ولسمعت ما لم تسمع أذنك ، ولم يخطر علىٰ قلبك ، أعده الله عز وجل لأبي الدرداء ؛ لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنحر .

توفي رضي الله عنه بدمشق ، سنة اثنتين وثلاثين ، في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وله عقب بالشام رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٧٧ـ٢٨٥] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : قال أبو الدرداء رضي الله عنه : (بُعِث النبي

صلى الله عليه وسلم وأنا تاجر ، فأردت أن تجتمع لي العبادة والتجارة ، فلم يجتمعا ، فرفضت التجارة ، وأقبلت على العبادة ، والذي نفسي بيده ؛ ما يسرني أن ليَ اليوم حانوتاً علىٰ باب المسجد ، لا تخطئني فيه صلاة أربح في كل يوم أربعين ديناراً) .

وفي رواية : (ثلاث مئة دينار ، وأتصدق بها في سبيل الله ، قيل له : وما تكره من ذلك ؟ قال : شدة الحساب) .

وقال : (إنك لا تفقه كل الفقه حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهاً ، وإنك لا تفقه كل الفقه حتىٰ تمقت الناس في جنب الله تعالىٰ ، ثم ترجع إلىٰ نفسك فتكون لها أشد مقتاً من الناس) .

وقال : (لولا ثلاث خلال . . لأحببت ألاَّ أبقىٰ في الدنيا ، فقلت : ما هي ؟ قال : وضع جبهتي في السجود في الليل والنهار ، وظمأ الهواجر ، ومجالسة أقوام يبتغون العلم لله عز وجل) ، أو كما قال .

وقال : (من تمام التقوىٰ : أن تتقي الله حتىٰ في مثقال ذرة ، وحتىٰ تترك بعض ما ترىٰ أنه حلال خشية أن يكون حراماً ؛ ليكون حاجزاً بينه وبين الحرام ، فلا تحقرن شيئاً من الشر أن تدعه ، ولا شيئاً من الخير أن تفعله) .

وقال : (إنما الناس رجلان : عالم ومتعلم ، وهما في الأجر سواء ، ولا خير في الناس بعدهما) .

وقال : (لا تكون تقياً حتىٰ تكون عالماً ، ولن تكون بالعلم جميلاً حتىٰ تكون به عاملاً) .

وكتب إلىٰ أخ له :

أما بعد : فلستَ في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وهو صائر له أهل بعدك ، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك ، فآثرها على المصلح من ولدك ؛ فإنك تقدم علىٰ من لا يعذرك ، وتجمع لمن لا يحمدك ، وإنما تجمع لواحد من اثنين : إما عامل فيه بطاعة الله ، فيسعد بما شقيت به ، وإما عامل فيه بمعصية الله تعالىٰ ، فتشقىٰ بما جمعت له ، وليس ـ والله ـ واحد منهما بأهل أن تبرد له علىٰ ظهرك ولا تؤثره علىٰ نفسك ، ارج لمن مضىٰ منهم رحمة الله ، وثق لمن بقي منهم رزق الله تعالىٰ . والسلام .

وقال : (إن خيركم الذي يقول لصاحبه : اذهب بنا نصوم ونصلي قبل أن نموت ، وإن شراركم الذي يقول لصاحبه : اذهب بنا نأكل ونشرب ونلهو قبل أن نموت) .

ومر علىٰ قوم وهم يبنون ، فقال : (تجددون الدنيا والله تعالىٰ يريد خرابها ، والله غالب علىٰ ما أراد) .

وقيل له : إن أبا سعيد ابن منبه أعتق مئة محرر ، فقال : (إن شئت أنبأتك بما هو أفضل من ذلك : إيمان بالله ملزوم بالليل والنهار ، ولا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل) .

وقال : (لأَن أكبِّر مئة تكبيرة . . أحب إلي من الصدقة بمئة دينار) .

وقال : (ما في المؤمن بضعة أحب إلى الله عز وجل من لسانه ، فليكن شديد المحافظة ؛ لئلا يدخله النار) .

وقال : (لا يزال العبد يزداد من الله بعداً كلما مشىٰ خلفه) .

وقال رجل له : علمني شيئاً ينفعني الله به ، قال : (لا تأكل إلا طيباً ، ولا تكسب إلا طيباً ، ولا تدخل بيتك إلا طيباً ، وسل الله يرزقك يوماً بيوم ، وإذا أصبحت . . فاعدد نفسك من الأموات ، وهب عِرضك لله ، فمن سبّك أو شتمك أو قاتلك . . فدعه لله عز وجل ، وإذا أسأت . . فاستغفر الله تعالىٰ) .

وقال : (إنا لنبشُّ في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم) .

وقال : (إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : عالم لا ينتفع بعلمه) .

وقال : (لا تزال نفس أحدكم شابة في حبِّ الشيء ولو التفت ترقوتاه من الكبر ، إلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ ، وقليل ما هم) .

وقال : (رأيت في المسجد شخصاً ساجداً ، وهو يقول : اللهم ؛ إني خائف مستجير فأجرني من عذابك ، وسائل فقير فارزقني من فضلك) .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما طلعت شمس . . إلا وبجنبتيها ملكان يناديان ، فيسمعان الخلائق غير الثقلين : يا أيها الناس ؛ هلموا إلىٰ ربكم ، ما قل وكفىٰ . . خير مما كثر وألهىٰ »[1] .

ورویٰ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « اللهم ؛ إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم ؛ اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي والماء البارد »[2] .

---

(١) أخرجه ابن حبان في « الإحسان » (٣٣٢٩) .

(٢) أخرجه الحاكم (٣٦٢١) .

وروىٰ أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم ؛ فإنه من كانت الدنيا أكبر همه . . أفشى الله عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه . . جمع الله تعالىٰ له أموره ، وجعل غناه في قلبه ، وما أقبل عبد بقلبه إلى الله . . إلا جعل الله عز وجل قلوب العباد تفد عليه بالود والرحمة ، وكان الله عز وجل إليه بكل خير أسرع »[1] انتهىٰ [« الحلية » ١/٢٠٩-٢٢٧] .

وقال الغزالي ـ رحمه الله ـ : قال أبو الدرداء رضي الله عنه : (إذا تغير أخوك ، وحال عما كان عليه . . فلا تدعه لأجل ذلك ؛ فإن أخاك يعوج مرة ، ويستقيم أخرىٰ) .

ثم قال الغزالي : اِعلم : أن العفو عن زلات الصديق وهفواته : إن كانت في الدين بأن ارتكب معصية وأصر عليها . . فعلى الصديق التلطف في نصحه إلىٰ أن يعود إلى الصلاح ، فإن لم يعد وبقي مصراً . . فقد اختلف طريق الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في إدامة حق مودته ، أو مقاطعته :

فذهب أبو ذر إلىٰ مقاطعته وقال : (إذا انقلب أخوك عما كان عليه . . فأبغضه من حيث أحببته ، ورأىٰ ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله) .

وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة . . فإنهم ذهبوا إلىٰ عدم المقاطعة ، وهٰكذا قال إبراهيم النخعي : لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه ؛ فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً .

وقال النخعي أيضاً : لا تحدثوا الناس بزلة العالم ؛ فإن العالم يزل الزلة ، ثم يتركها .

وهٰذا مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً ، ومذهب أكثر السلف ، وهو ألطف وأفقه .

أما كونه ألطف . . فلِمَا فيه من الرفق والاستمالة ، والتعطف المفضي إلى الرجوع والتوبة ؛ لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة . . أصر واستمر .

وأما كونه أفقه . . فمن حيث أن الأخوة عَقد يُنَزَّلُ منزلة القرابة ، فإن انعقدت . . تأكد الحق ، ووجب الوفاء بموجب العقد ، ومن جملة الوفاء : ألاَّ يهمل أيام حاجته وفقره ، وفقر الدين أشد من فقر المال ، وقد أصابته جائحة ، وألمت به فاقة دينية ، فينبغي أن يراقب

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥/ ١٨٦) .

ويراعىٰ ؛ فإنه الآن أحوج ما كان إلىٰ دوام الصحبة ، ولا يهمل ، بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة التي ألمت به ، فالأخوة عُدة للنائبات وحوادث الزمان ، وهٰذا أشد النوائب .

ولا شك أن الصداقة لُحمة كلُحمة النسب ، والقريب لا يجوز أن يُهجر بالمعصية ، ولذلك قال تعالىٰ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في عشيرته : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، ولم يقل : إني بريء منكم ؛ مراعاة لحق القرابة ولُحمة النسب .

وإلىٰ هٰذا أشار أبو الدرداء لمَّا قيل له : ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا وكذا ؟ فقال : (إنما أبغض عمله ، وإلا . . فهو أخي) ، وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة ، والله سبحانه أعلم .

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : (مودة يومٍ صلة ، ومودة شهرٍ قرابة ، ومودة سنة رحم ماسة ، من قطعها . . قطعه الله) .

فإذاً : الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها . . واجب ، أما ابتداء المؤاخاة مع الفاسق الأجنبي . . فإنه لا يجوز ؛ لأنه لم يتقدم له حق ، وأما القريب . . فلا ينبغي أن يقاطع ، وإنما كان ترك الأخوة بعد انعقادها منهياً عنه بخلاف تركها ابتداء ؛ لأنه شبيه بالطلاق بعد النكاح ، وقد ورد : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »[1] ، هٰذا فيما يتعلق بالدِّين .

أما زلته في حق أخيه بما يوجب إيحاشه . . فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال ، بل كلُّ ما يحتمل تنزيله علىٰ وجه حسن ، ويتصور تمهيد عذر فيه قريباً كان أو بعيداً . . فهو واجب بحق الأخوة ، فقد قيل : ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً ، فإن لم يقبله قلبك . . فقل له : ما أقساك من قلب ، أنت المعيب لا أخوك . انتهىٰ [« الإحياء » ٣/ ١٨٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٨) .

ومنهم الإمام :

جرير بن عبد الله البجلي الأحمسي
رضي الله عنه

قال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو عمرو جرير ، نزل الكوفة ، ثم تحول إلىٰ قرقيسياء ، وتوفي بها سنة إحدىٰ وخمسين .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة حديث ، اتفقا منها علىٰ ثمانية ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بستة .

وروىٰ عنه أنس بن مالك ، وجماعة من كبار التابعين ، وبنوه الثلاثة : عبيد الله وإبراهيم والمنذر ، وآخرون .

وقدِم جرير على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة في رمضان ، فبايعه ، وأسلم .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (جرير يوسف هٰذه الأمة) لحسنه ، وكان طويلاً ، يصل إلىٰ سنام البعير ، وكانت نعله ذراعاً ، ويخضب لحيته بالزعفران ليلاً ، ويغسلها إذا أصبح .

واعتزل علياً ومعاوية ، وأقام بالجزيرة ونواحيها حتىٰ توفي سنة أربع وخمسين .

وفي « الصحيحين » [خ ٢٧٣١ـ م ٢٥١٣] : عن أنس قال : (خرجت مع جرير في سفر ، فكان يخدمني ، فقلت له : لا تفعل ؛ فقال : إني رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فآليت علىٰ نفسي ألاَّ أصحب أحداً منهم إلا خدمته) ، وكان جرير أكبر من أنس .

وفيهما أيضاً [خ ٥٧ـ م ٥٦] : عن جرير قال : (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم) .

وفيهما [خ ٢٨٧١ـ م ٢٤٧٥] : عن جرير قال : ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ

أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي ، ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل ، فضرب بيده صلى الله عليه وسلم علىٰ صدري ، وقال : « اللهم ؛ ثبته ، واجعله هادياً مهدياً » .

وفيهما [خ ١٢١ـ م ٦٥] : عن جرير قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « استنصتْ ليَ الناس » انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٤٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

عبد الله بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : يكنىٰ : أبا عبد الرحمـٰن ، أمه : زينب بنت مظعون .

أسلم مع أبيه بمكة ولم يكن بالغاً ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة .

وعُرض علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرده ، ويوم أحد فرده ؛ لصغر سنه ، وعُرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة ، فأجازه .

وقال ابن عمر : رأيت في المنام ، كأن بيدي قطعة استبرق ، ولا أشير بها إلىٰ مكان من الجنة . . إلا طارت إليه ، فقصتها حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إن أخاكِ رجل صالح » ، أو : « إن عبد الله رجل صالح » أخرجاه في « الصحيحين » [خ ٦٦١٣ـ م ٢٤٧٨] . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٢٤٧] .

وقال حجة الإسلام الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : قال ابن عمر رضي الله عنهما : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خُصًّا ، فقال : « ما هـٰذا ؟ » قلنا : خص لنا قد وهىٰ ، فقال : « أرى الأمر أعجل من هـٰذا! »(١) ، واتخذ نوح عليه الصلاة والسلام بيتاً من قصب ؛ فقيل له : لو بنيته بالطين ، فقال : هـٰذا كثير لمن يموت!

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : (من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه . . محيت عنه في أم الكتاب) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : (ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار ، وإلىٰ يومي هـٰذا) .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (والله ؛ لو صمت النهار لا أفطره ، وقمت الليل

---

(١) أخرجه أبو داوود (٥٢٣٦) ، والترمذي (٢٣٣٥) ، بلفظ : « من ذلك » .

لا أنامه ، وأنفقت مالي جميعه في سبيل الله ، أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله . . ما نفعني ذلك شيئاً) انتهىٰ [« الإحياء » ٤/٢٣٦] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وعن عبد الرحمـٰن ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : اجتمع في الحِجر[1] مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير وعبد الله بن عمر ، فقالوا : تمنوا ، فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا . . فأتمنى الخلافة ، وقال عروة : أما أنا . . فأتمنىٰ أن يؤخذ عني العلم ، وقال مصعب : أما أنا . . فأتمنىٰ إمرة العراق ، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وقال عبد الله بن عمر : أما أنا . . فأتمنى المغفرة ، قال : فنالوا ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر له .

وقال نافع : دخل ابن عمر الكعبة ، فسمعته وهو ساجد يقول : (قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش علىٰ هـٰذه الدنيا . . إلا خوفك) .

وعن طاووس قال : ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر ، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس .

وقال سعيد بن المسيب : لو كنت شاهداً لأحد من أهل العلم أنه من أهل الجنة . . لشهدت لعبد الله بن عمر .

وسئل عن شيء فقال : لا علم لي به ، فلما أدبر الرجل . . قال لنفسه : سئل ابن عمر عما لا يعلم ، فقال : لا أعلم .

وكان يقول : (إني لقيت أصحابي علىٰ أمر ، وإني أخاف إن خالفتهم . . ألاَّ ألحق بهم) انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٤٨] .

وقال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : أم عبد الله وأم أخته حفصة : زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحية .

ثبت في « صحيح البخاري » [٣٨٨١] : عن ابن عمر قال : (أول يوم شهِدْتُه : الخندق) .

وكان شديد الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتىٰ إنه ينزل في منازله ، ويصلي في مكان صلىٰ فيه ، ويبرك ناقته في مبرك ناقته .

---

(١) حجر إسماعيل بجانب الكعبة المشرفة .

ونقلوا : أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة ، فكان عبد الله بن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث وست مئة حديث وثلاثون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ مئة وسبعين ، وانفرد البخاري بأحدٍ وثمانين ، ومسلم بأحد وثلاثين .

روىٰ عنه أولاده الأربعة : سالم ، وحمزة ، وعبد الله ، وبلال ، وخلائق لا يحصون من كبار التابعين ، وغيرهم .

ومناقبه كثيرة مشهورة ، بل قَلَّ نظيره في المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل شيء من الأقوال والأفعال ، وفي الزهادة في الدنيا ، ومقاصدها ، والتطلع إلى الرئاسة ، وغيرها .

رُوِّينا عن الزهري قال : لا يُعدَل برأي ابن عمر ؛ فإنه أقام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ، ولا من أمر الصحابة .

وعن مالك قال : أقام ابن عمر ستين سنة تقدم عليه وفود الناس .

وعن البخاري في (كتاب رفع اليدين في الصلاة) قال : قال جابر بن عبد الله : (لم يكن أحد منهم ألزم لطريق النبي صلى الله عليه وسلم ولا أتبع من ابن عمر) .

وقال ابن عمر : (البر : شيء هيِّن ؛ وجه طلق ، وكلام ليِّن) .

ولم يقاتل في الحروب التي جرت بين المسلمين .

ورُوِّينا : أن ابن عمر كاتَب عبداً له علىٰ خمسة وثلاثين ألف درهم ، حط عنه منها خمسة آلاف درهم .

واعلم : أن ابن عمر أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ستة : أبو هريرة ، ثم ابن عمر ، ثم أنس ، وابن عباس ، وجابر ، وعائشة . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٢٧٩ـ٢٨٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : عن سعيد بن المسيب قال : كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله ، وأشبه ولد عبد الله بعبدِ الله سالم .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول[1] من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وعن نافع رضي الله عنه قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا اشتد عجبه بشيء من ماله . . قربه لله عز وجل ، فكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمر أحدهم فلزم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر رضي الله عنهما علىٰ تلك الحال الحسنة . . أعتقه ، فيقول له أصحابه : يا أبا عبد الرحمـٰن ؛ والله ما بهم إلا أن يخدعوك ، فيقول ابن عمر : (من خدعنا بالله . . انخدعنا له) .

قال نافع رضي الله عنه : (راح ابن عمر رضي الله عنهما علىٰ نجيب له ، فأعجبه سيره ، فأناخه مكانه ، ثم نزل عنه ، وقال : يا نافع ؛ انزعوا زمامه ورحله ، وجللوه ، وأشعروه ، وأدخلوه في البُدْن) .

ونزل الجحفة وهو شَاكٍ فقال : (إني لأشتهي حوتاً ، فصنع له ، فلما وضع بين يديه . . جاء سائل ، فقال : أعطوه الحوت ، فقالت امرأته : نعطيه درهماً ، فهو أنفع له من هـٰذا ، واقض أنت شهوتك منه ، فقال : شهوتي ما أريد) .

وفي رواية [قال] : (إن عبد الله يحبه) .

وكان لا يعجبه شيء من ماله . . إلا خرج منه لله عز وجل ، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً .

وكان لا يدمن اللحم شهراً إلا مسافراً أو رمضان ، وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مزعة لحم .

وعن ميمون بن مهران قال : أتت ابن عمر رضي الله عنهما اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس ، فلم يقم حتىٰ فرقها .

ودفع ابن جعفر بنافع عشرة آلاف دينار ؛ فقيل : يا أبا عبد الرحمـٰن ؛ ما تنتظر أن تبيع ؟ قال : (ما هو خير من ذلك ، هو حر لوجه الله عز وجل) .

وكان لا يأكل إلا وعلىٰ خوانه يتيم ، وما مات حتىٰ أعتق ألف إنسان ، أو زاد .

---

(١) بداية الدعوة قبل الفتوح واتساع رقعة الإسلام ، والمراد : الزهادة والتقشف .

وكان يُرسَلُ إليه بالمال ، فيقبله ، ويقول : (لا أسأل أحداً شيئاً ، ولا أرد ما رزقني الله عز وجل) .

وكان يقبض علىٰ لحيته ، ثم يأخذ ما جاوز القبضة .

وعن نافع : أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمئة ألف ، فلما أراد أن يبايع ليزيد . . قال : (أُرىٰ ذلك أراد : إن دِيني عندي إذن لرخيص) .

وقيل له : لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم ، فغضب ، ثم قال : (إني لأحسبك عراقياً ، وما يدريك ما يغلق عليه ابن أمك بابه ؟!) .

وعن نافع قال : اشتكى ابن عمر ، فاشتُرِيَ له عنقود عنب بدرهم ، فجيء به إليه ، فجاءه مسكين ، فسأل ، فقال : أعطوه إياه ، فخالف إليه إنسان ، فاشتراه منه بدرهم ، فأراد أن يرجع فمنع ، ولو علم ابن عمر بذلك العنقود . . ما ذاقه .

وعن ميمون بن مهران : أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه ، فقيل لها : ما تلطفين بهـٰذا الشيخ ؟ فقالت : فما أصنع ؟ لا نصنع له طعاماً . . إلا دعا إليه مَنْ يأكله ، وأرسلت إلىٰ قوم مساكين كانوا يجلسون في طريقه إذا خرج من المسجد ، فأطعمتهم ، وقالت لهم : لا تجلسوا في طريقه ، ثم جاء إلىٰ بيته ، فقال : أرسلوا إلىٰ فلان وفلان ، وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام ، وقالت : إن دعاكم . . فلا تأتوه ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : (أردتم ألاَّ أتعشى الليلة ؟!) فلم يتعش تلك الليلة .

وقال ابن مطيع : يا أبا عبد الرحمـٰن ؛ لو اتخذت طعاماً فرجع إليك جسمك ؟ فقال : (إنه ليأتي علي ثمان سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة) .

وعن عبيد الله بن عدي ـ وكان مولىٰ لابن عمر رضي الله عنهما ـ : أنه قدم من العراق ، فقال : أُهْدِيَت لك هدية ، فقال : وما هي ؟ قال : جوارش[1] ، قال : وما هي ؟ قال : تهضم الطعام ، قال : ما ملأت بطني طعاماً منذ أربعين سنة ، فما أصنع به ؟

وقال نافع : ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر (سورة البقرة) . . إلا بكىٰ : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ ، ثم يقول : (إن هـٰذا لإحصاء شديد) .

وجاء سائل إلى ابن عمر رضي الله عنهما ، فقال لابنه : أعطه ديناراً ، فلما انصرف . .

(١) الجوارش : نوع من الأدوية المركبة يقوي المعدة ، ويهضم الطعام .

قال له ابنه : تقبل الله منك يا أبتاه ، فقال : لو علمت أن الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة درهم . . لم يكن غائب أحب إلي من الموت ، أتدري ممن يتقبل الله ؟ إنما يتقبل الله من المتقين .

وقال مجاهد : صحبت ابن عمر رضي الله عنهما وأنا أريد أن أخدمه ، فكان يخدمني أكثر ، وكان يحيي الليل صلاة ، ثم يقول : يا نافع ؛ أأسحرنا ؟ فيقول : لا ، فيعاود الصلاة ، ثم يقول : يا نافع ؛ أأسحرنا ؟ فيقول : نعم ، فيقعد ويستغفر ، ويدعو حتىٰ يصبح .

وكان يحيي ما بين الظهر إلى العصر .

وعن طاووس قال : ما رأيت مصلياً كهيئة ابن عمر ، أشد استقبالاً للكعبة بوجهه وكفّيه وقدميه .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أصبح . . قال : (اللهم ؛ اجعلني من أعظم عبادك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة ، ونور تهدي به ، ورحمة تنشرها ، ورزق تبسطه ، وضر تكشفه ، وبلاء ترفعه ، وفتنة تصرفها) .

وشَرِبَ ماء مبرداً فبكىٰ ، واشتد بكاؤه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت آية في كتاب الله عز وجل : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ . . فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً شهوتَهم الماء البارد ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (ما أدركنا أحداً وما رأينا أحداً . . إلا وقد مالت به الدنيا ومال بها ، إلا عبد الله بن عمر) .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ . . بكىٰ حتىٰ يغلبه البكاء .

وعن مجاهد ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (لا يصيب عبد شيئاً من الدنيا . . إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل ، وإن كان عليه كريماً) .

وقيل له : توفي فلان الأنصاري ، وترك مئة ألف ، قال : (لـٰكن هي لم تتركه) .

وقيل له : يا خير الناس ، ويابن خير الناس ، فقال : (ما أنا بخير الناس ، ولا ابن خير الناس ، ولكني عبد من عباد الله عز وجل ، أرجو الله تعالىٰ وأخافه ، والله ؛ لن تزالوا بالرجل حتىٰ تهلكوه) .

وقال : (أحِبَّ في الله ، وأبغِض في الله ، وعادِ في الله ؛ فإنك لا تنال ولاية الله عز وجل. . إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه. . حتىٰ يكون كذلك ، وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا ، وإن ذلك لا يجزي عن أهله شيئاً)[1] .

وقال : (إذا أصبحت. . فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت. . فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك لسقمك ، ومن حياتك لموتك ؛ فإنك ـ يا عبد الله ـ لا تدري ما اسمك غداً) .

قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي ، فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك في أهل القبور »[2] .

وقيل لنافع : ما كان بدء موت ابن عمر ؟ قال : أصابته عارضة مَحْمِل[3] بين أصبعين من أصابعه عند الجمرة في الزحام ، فمرض ، فأتاه الحجاج يعوده ، فغمض عينيه ، فكلمه الحجاج فلم يكلمه .

فلما حضرته الوفاة. . أوصىٰ ألاَّ يدفن في الحرم ، فغُلِب ، فدفن في الحرم ، وصلىٰ عليه الحجاج .

وفي رواية : لم نقدر علىٰ ذلك من الحجاج ، فدفناه في مقبرة المهاجرين بفخ نحو ذي طوىٰ .

ومات بمكة سنة أربع وسبعين ، وقيل : ثلاث وسبعين ، وهو ابن أربع وثمانين سنة ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٤٩ـ٢٥٦] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هو أحد العبادلة الأربعة ، وسيأتي بيانهم في ترجمة عبد الله بن الزبير .

وقال البخاري : أصح الأسانيد مطلقاً : مالك عن نافع عن ابن عمر ، ويسمىٰ هـٰذا الإسناد **مشبك الذهب** .

قال أبو منصور التميمي : فعلىٰ هـٰذا : أصحها : الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢/ ٤١٧) .

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٦٠٥٣) ، وبنصِّه الترمذي (٢٣٣٣) .

(٣) **المِحْمَل** : بوزن المِقْوَد : علاقة السيف ، **والمَحْمِل** : وزان مَجْلِس : الهودج ، ويجوز مِحْمَل وزان مِقْوَد ، وأول من اتخذ المحامل : الحجاج بن يوسف الثقفي .

عمر ؛ لإجماع أهل الحديث وغيرهم علىٰ أن الشافعي أجل الرواة عن مالك .

وفي أصل هـٰذه المسألة خلاف ، ذكرته واضحاً في أول علوم الحديث .

والمختار : أنه لا يُجْزَم في إسناد أنه أصحها . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٢٨٠] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : أن ابن عمر أتي بثوب لين ، فلما رآه . . لمسه بيده ، وقال : أحرير هو ؟ قيل : لا ، إنه قطن ، فقال : إني أخاف إذا لبسته . . أن أكون مختالاً فخوراً ، والله ُلا يحب كل مختال فخور .

وسأله رجل : ما الذي ألبس من الثياب ؟ فقال : ما لا يزدريك فيه السفهاء ، ولا يعيبك به الحكماء ، قال : ما بين الخمسة إلى العشرين درهماً .

وقال : (ما وضعت لبنة علىٰ لبنة وما غرست نخلة منذ قبض النبي صلى الله عليه وسلم) .

وكان إذا مر بربعهم الذي هاجر منه . . غمض عينيه ، ولم ينظر إليه ، ولم ينزله قط .

وقال : (ما صليت صلاة منذ أسلمت . . إلا وأنا أرجو أن تكون كفارة) .

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : مات ابن عمر رضي الله عنهما يوم مات ، وما في الأرض أحد أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منه .

وقال : (من كان مستناً . . فليستنَّ بمن قد مات ، أولـٰئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا خير هـٰذه الأمة ، أبرّها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ونَقْل دِينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا على الهدى المستقيم) .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : (يابن آدم ؛ صاحب الدنيا ببدنك ، وفارقها بقلبك وهمك ؛ فإنك موقوف علىٰ عملك ، فخذ مما في يديك لما بين يديك) .

وقال : (لا يكون الرجل من أهل العلم حتىٰ لا يحسد من فوقه ، ولا يحقر مَن دونه ، ولا يبتغي بالعلم ثمناً) .

وقال : (لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتىٰ يَعُدَّ الناسَ حمقىٰ في دِينهم) .

وكان يدعو على الصفا : (اللهم ؛ اعصمني بدينك وطواعية رسولك ، اللهم ؛ جنبني حدودك ، اللهم ؛ اجعلني ممن يحبك ، ويحب ملائكتك ، ويحب رسلك ، ويحب عبادك

الصالحين ، اللهم ؛ حببني إليك ، وإلىٰ ملائكتك ، وإلىٰ رسلك ، وإلىٰ عبادك الصالحين ، اللهم ؛ يسرني لليسرىٰ ، وجنبني العسرىٰ ، واغفر لي في الآخرة والأولىٰ ، واجعلني من أئمة المتقين ، اللهم ؛ إنك قلت : ادعوني أستجب لكم ، وإنك لا تخلف الميعاد ، اللهم ؛ إذ هديتني للإسلام . . فلا تنزعني منه ، ولا تنزعه مني ، حتىٰ تقبضني وأنا عليه) .

وكان إذا رآه أحد . . ظن أن به شيئاً[1] ؛ من تتبعه آثار النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان في طريق مكة يقول برأس راحلته ، يثنيها ويقول : (لعل خفاً يقع علىٰ خف راحلة النبي صلى الله عليه وسلم) .

وسئل : هل كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يضحكون ؟ قال : (نعم ، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال) .

وقال : (إن ناساً يُدعون يوم القيامة المنقوصين) قيل : وما المنقوصون ؟ قال : (ينقص أو ينتقص أحدهم صلاته بالتفاته ووضوئِهِ) انتهىٰ [« الحلية » ١/٣٠٢ـ٣١١] .

روىٰ شيخنا برهان الدين ـ قدس الله روحه ـ بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من غازية تغزو في سبيل الله عز وجل يصيبون غنيمة . . إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ، ويبقىٰ لهم الثلث ، فإن لم يصيبوا غنيمة . . تم لهم أجرهم »[2] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) من مسٍّ أو جنون .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٧٨٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاصي .

ومنهم الإمام :

جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو الطيار ذو الجناحين ، وذو الهجرتين ، الجواد أبو الجواد ، كان من متقدمي الإسلام .

هاجر إلى الحبشة ، وكان هو وأصحابه سبب إسلام النجاشي ، وارتفق المسلمون بجعفر هناك ، واعتضدوا به ، وكان جعفر أميرهم في الهجرة ، وهاجرت معه زوجته أسماء بنت عميس ، فولدت له هناك عبد الله بن جعفر ، وهو أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة .

وقصة جعفر مع النجاشي في أول اجتماعه به ، وقراءته عليه سورة مريم ، وقوله : إن عيسىٰ عبد الله ، وغير ذلك مما جرىٰ له . . مشهور معروف .

ثم قدِم من الحبشة هو ومَن صَحِبَهُ من المهاجرين ، ومن دخل في الإسلام هناك ، وجاؤوا في سفينتين في البحر ، فقدموا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر ، فأسهم لهم منها ، ولم يسهم لمن لم يحضرها غيرهم ، وحديث قصتهم في « الصحيح » مشهور(١) .

ثم سكن المدينة ، ثم أمَّره النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ جيش غزوة مؤتة بعد زيد بن حارثة ، فاستشهد هو وزيد فيها ، في جمادى الأولىٰ ، سنة ثمان من الهجرة .

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوفاته على المنبر ، واستغفر له ، وأمر المسلمين بالاستغفار له ، ووجدوا به يومئذ أربعاً وخمسين ضربة بالسيف في مُقَدَّمه .

وفي « البخاري » [٤٠١٣] : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنت في غزوة مؤتة ، فالتمسنا جعفراً رضي الله عنه ، فوجدناه في القتلىٰ ، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٦٧) .

زاد في رواية أخرىٰ له : (ليس فيها شيء في دبره) .

وقبره وقبر صاحبيه : زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم . . مشهور بأرض مؤتة من الشام ، علىٰ نحو مرحلتين من بيت المقدس . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٤٨ـ١٤٩] .

وفي رواية الواسطي : قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغني ـ : « أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتىٰ قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها حتىٰ قتل شهيداً » ، قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : « أخذها عبد الله بن رواحة ، فقاتل بها حتىٰ قتل شهيداً » ثم قال : « لقد رفعوا لي في الجنة ـ فيما يرى النائم ـ علىٰ سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً[1] عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمَّ هٰذا ؟ فقيل لي : مضيا وتردد بعض التردد ثم مضىٰ » رضوان الله عليهم أجمعين . انتهىٰ[2] .

وروى ابن أبي الدنيا ، عن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه : أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتل . . دعا الناس : يا عبد الله بن رواحة ؛ يا عبد الله بن رواحة ؛ وهو جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينهشه ، ولم يكن ذاق طعاماً قط قبل ذلك بثلاث ، فرمىٰ بالضلع ، ثم قال : وأنت مع الدنيا ؟ ثم تقدم ، فقاتل ، فأصيبت أصبعه ، فارتجز ، فجعل يقول :

هل أنت إلا إصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيتِ
يا نفس إن لا تُقتلي تموتي ... هٰذا حياض الموت قد صَلِيتِ
وما تمنيت فقد لقيت ... إن تفعلي فِعْلَهما هُديتِ
وإن تأخرت فقد شقيتِ

قال : يا نفس ؛ إلىٰ أي شيء تتوقين ؟! إلىٰ فلانة . . فهي طالق ثلاثاً ، وإلىٰ فلان وفلان ـ غلمان له ـ وإلىٰ معجف ـ حائط له ـ فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

يا نفس ما لك تكرهين الجنه ... أقسمتُ بالله لتَنْزِلَنَّهْ

---

(١) الازورار : الميلان .

(٢) انظر « السيرة النبوية » (٣/ ٣٨٠) .

طـــــائعـــــة أو لَـتُكْـــــرَهِنَّـــــهْ   فطـــالمـــا قـــد كنـــت مطمئنـــهْ
هـــل أنـــت إلا نطفـــة فـــي شَنَّـــهْ   قـــد أجلـــب النـــاس وشَـدُّوا الـرَّنَّـهْ

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : وفي « البخاري » [٥١١٦] : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، كان ينقلب بنا ، فيطعمنا ما كان في بيته ، حتىٰ إن كان ليخرج إلينا العُكَّةَ[١] التي ليس فيها شيء ، فيشقها فنلعق ما فيها) .

وفي « البخاري » [٣٥٠٦] عن الشعبي : أن ابن عمر كان إذا سلم على ابن جعفر . قال له : (السلام عليك يابن ذي الجناحين) .

وجاء في غير « البخاري » : أنه قطعت يداه يوم غزوة مؤتة ، فجعل الله له جناحين يطير بهما[٢] .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة » رواه الترمذي [٣٧٦٣] ، وفي إسناده ضعف .

وثبت : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجعفر : « أشبهت خَلْقي وخُلُقي »[٣] .

ومناقبه كثيرة مشهورة .

قالوا : وكان أسن من علي بعشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وطالب بن أبي طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، وأمهم واحدة ؛ وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أول هاشمية تزوجها هاشمي ، وأسلمت ، وهاجرت إلى المدينة ، وتوفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلىٰ عليها ، ونزل في قبرها ، وكان يكرمها .

وكان لجعفر ثلاثة من الولد من أسماء : عبد الله ، ومحمد ، وعون ، والعقب لعبد الله دون أخويه رضي الله عنهم أجمعين .

وكان لجعفر يوم توفي إحدىٰ وأربعين سنة ، وقيل غير ذلك . انتهىٰ [« التهذيب » ١٤٩/١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) **العكة** : وعاء صغير من الجلد يوضع فيه السمن أو العسل .
(٢) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » (٢/ ١٠٧) .
(٣) أخرجه البخاري (٥٥٢) .

ومنهم الإمام :

أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : في اسمه خلاف كثير .

وكان يتعبد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قديماً ، وقال : (كنت في الإسلام رابعاً) .

ورجع إلىٰ قومه ، فأقام حتىٰ مضت بدر وأحد والخندق ، ثم قدم المدينة .

وكان شجاعاً ، ينفرد وحده ، فيقطع الطريق .

وقال : صليت قبل أن ألقىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، فقيل : لمن ؟ قال : لله عز وجل ، قيل : فأين كنت تتوجه ؟ قال : حيث وجهني الله عز وجل .

وفي « الصحيحين » [خ ٣٦٤٨ـ م ٢٤٧٤] من حديث ابن عباس : أن أبا ذر رضي الله عنه لما دخل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم . . قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ارجع إلىٰ قومك حتىٰ يأتيك أمري » ، فقال : والذي نفسي بيده ؛ لأصرخن بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتىٰ أتى المسجد ، فنادىٰ بأعلىٰ صوته : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وثار القوم ، فضربوه حتىٰ أضجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه ، فقال : ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام ، يعني : عليهم ، فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لمثلها ، وثاروا إليه فضربوه ، فأكب عليه العباس رضي الله عنه ، فأنقذه .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر »[1] .

وسئلت أم أبي ذر عن عبادته فقالت : كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر .

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٨٥) ، والغبراء : الأرض ، والخضراء : السماء .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : (في المال ثلاثة شركاء : القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت ، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم ، وأنت الثالث ، فإن استطعت ألاَّ تكون أعجز الثلاثة . . فلا تكونن ؛ إن الله تعالىٰ يقول : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ، وإن هـٰذا الجمل مما كنت أحب من مالي ، فأحببت أن أقدمه لنفسي) .

وعن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ قال : قام أبو ذر فاكتنفه الناس ، فقال : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً ، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه ؟ قالوا : بلىٰ ، قال : فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون ، فخذوا ما يصلحكم ، قالوا : وما يصلحنا ؟ قال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور ، وصلوا ركعتين من سواد الليل لوحشة القبور ، وكلمة خير تقولها أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم ، تصدَّقْ بمالك لعلك تنجو ، واجعل الدنيا مجلسين : مجلساً في طلب الحلال ، ومجلساً في طلب الآخرة ، والثالث : يضرك ولا ينفعك لا تَرِدْه ، واجعل المال درهمين : درهماً تنفقه علىٰ عيالك من حله ، ودرهماً تقدمه لآخرتك ، والآخر يضرك ولا ينفعك لا تَرِدْهُ ، ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته : يا أيها الناس ؛ قد قتلكم حرص لا تُدرِكونه أبداً .

وفي رواية : قيل : وما يوم لا ندركه ؟ قال : طول الأمل .

وقال أبو ذر رضي الله عنه : (إني لأقربكم مجلساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أقربكم مجلساً مني يوم القيامة . . من خرج من الدنيا بهيئة ما تركته فيها » ، وإنه واللهِ ؛ ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها غيري)[1] .

وجاءت ابنة أبي ذر ، وعليها ثوب صوف ، ومعها قفة ، فمثلت بين يديه وعنده أصحابه ، فقالت : يا أبتاه ؛ زعم الحراثون والزراعون أن أَفلُسَكَ هـٰذه بهرجة[2] ، فقال : (يا بنية ؛ ضعيها ، فإن أباك أصبح بحمد الله ما يملك من صفراء ولا بيضاء . . إلا أَفْلُسَه هـٰذه) .

وبعث إليه حبيبُ بن مسلمة ـ وهو أمير الشام ـ ثلاث مئة دينار وقال : استعن بها علىٰ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٥) .
(٢) بهرجة : زيف .

حاجتك ، فقال أبو ذر : (ارجع بها إليه ، أمَا وجد أحداً أغر بالله عز وجل منا ، لنا ظل نتوارىٰ به ، وثلة من غنم تروح علينا ، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها ، ثم إني لأتخوف الفضلَ) .

ودخل رجل علىٰ أبي ذر رضي الله عنه ، فجعل يقلب بصره في بيته ، فقال : يا أبا ذر ؛ أين متاعكم ؟ قال : إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا ، قال : إنه لا بد لك من متاع ما دمت هنا ، قال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

وقال : (والله ؛ لو تعلمون ما أعلم. . ما انبسطتم إلىٰ نسائكم ، ولا تقاررتم علىٰ فرشكم ، والله ؛ لوددت أن الله عز وجل خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها) .

تُوُفِّيَ بالربذة بفلاة من الأرض ، وشهده عصابة من المؤمنين ، فقال لهم وهو يُحتَضَر : لو كان عندي ثوب يسعني كفناً أو لامرأتي ثوب يسعني. . لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها ، وإني أنشدكم بالله لا يكفِّنِّي منكم رجل كان أميراً ، ولا عريفاً ، ولا بريداً ، أو نقيباً ، ولم يكن في القوم أحد إلا وقد أصاب من ذلك إلا فتىً من الأنصار ، فقال : أنا أكفنك في ردائي هـٰذا وفي ثوبين من ثيابي من غزل أمي ، قال : أنت تكفنني ، وكفنه الأنصاري ، ودفنه مع النفر الذين معه ، سنة اثنتين وثلاثين ، وصلىٰ عليه ابن مسعود منصرفه من الكوفة ، رضي الله عنهم أجمعين . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٢٥٨ـ٢٦٤] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

حذيفة بن اليمان

رضي الله عنهما

يكنىٰ : أبا عبد الله .

قال النووي ـ قدس الله روحه ـ : أسلم حذيفة وأبوه ، وهاجرا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدا جميعاً أحداً ، وقتل أبوه يومئذ ، قتله المسلمون خطأً ، فوهب لهم دمه .

وأسلمت أم حذيفة ، وهاجرت .

وفي « الترمذي » [٣٧٨١] في مناقب الحسن والحسين حديث يتضمن إسلامها .

روىٰ عن حذيفة جماعة من أكابر الصحابة ، منهم : عمر ، وعلي ، وعمار ، وجندب ، وغيرهم رضي الله عنهم ، وخلائق من التابعين ، منهم : ابنه أبو عبيدة بن حذيفة .

وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين ، يَعلَمهم وحده ، وسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هل في عمالي أحد منهم ؟ قال : نعم ، واحد ، قال : من هو ؟ قال : لا أذكره ، فعزله عمر رضي الله عنه ، كأنما دُلَّ عليه .

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب سرية وحده ؛ ليأتيه بخبر القوم ، فوصلهم ، وجاءه بخبرهم ، وحديثه هٰذا في « الصحيح » مشهور طويل يشتمل علىٰ معجزات[1] .

---

(١) والحديث كما في « صحيح ابن حبان » (٧١٢٥)
عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه قال : كنا عند حذيفة ، فقال رجل : لو أدركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لقاتلت معه ، فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟! لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب ، وأخذتنا ريح شديدة وقرٌّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا رجل يأتينا بخبر القوم ؟ جعله الله معي يوم القيامة » ، قال : فسكتنا ، فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : « ألا رجل يأتينا بخبر القوم ؟ جعله الله معي يوم القيامة » ، قال : فسكتنا ، فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : فسكتنا ، فقال صلى الله عليه=

وحضر حذيفة الحرب بنهاوند ، فلما قتل النعمان بن مقرن أمير الجيش . . أخذ الراية .

وكان فتح همذان والرَّي ودِينَوَر علىٰ يد حذيفة .

وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين ، وولاه عمر رضي الله عنه المدائن .

وقال عمر رضي الله عنه لأصحابه : تمنوا ، فتمنوا ملء البيت الذي هم فيه جوهراً لينفقوه في سبيل الله عز وجل ، فقال عمر رضي الله عنه : لكني أتمنىٰ رجالاً مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة ، أستعملهم في طاعة الله عز وجل .

وكان كثير السؤال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحاديث الفتن والشر ؛ ليتجنبها .

وسأله رجل : أي الفتن أشد ؟ قال : أن يعرض عليك الخير والشر ، فلا تدري أيهما تدرك .

ولم يدرك حذيفة وقعة الجمل ؛ لأنها كانت في جمادى الأولىٰ سنة ست وثلاثين ، وكانت وفاته بعد قتل عثمان بأربعين ليلة .

وفي « الصحيحين » [خ ٦٢٣٠ـ م ٢٨٩١] : عن حذيفة رضي الله عنه قال : (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ، ما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلىٰ قيام الساعة . . إلا حدث به ، حَفظَه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علِمه أصحابي هـٰؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه . . عرفه) .

وفي « مسلم » [٢٨٩١] : عن حذيفة رضي الله عنه قال : (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان إلىٰ أن تقوم الساعة) .

وفي « مسلم » [٢٨٩١] : أيضاً عنه قال : (والله ؛ إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة) .

= وسلم : « قم يا حذيفة ، فأتنا بخبر القوم ، ولا تذعرهم ، فلما وليت من عنده . . جعلت كأنما أمشي في حمَّام ، حتىٰ أتيتهم ، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد القوس ، فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تذعرهم » ولو رميته . . لأصبته ، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمَّام ، فلما أتيته صلى الله عليه وسلم . . أخبرته بخبر القوم ، فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كانت عليه ، يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتىٰ أصبحت ، فلما أصبحت . . قال صلى الله عليه وسلم : « قم يا نومان » .

ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله عنه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٥٤ـ١٥٥] .

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : خرج حذيفة وأبوه رضي الله عنهما ، فأخذهما كفار قريش ، فقالوا : إنكما تريدان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا : ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منهما عهداً ألاَّ يقاتلا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن ينصرفا إلى المدينة ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، وقالا : إن شئت . . قاتلنا معك ، قال : « بل تفيا ، ونستعين الله تعالىٰ عليهم » ، ففاتتهما بدر ، وشهد حذيفة أحداً وما بعدها .

وقال حذيفة رضي الله عنه : (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ؛ مخافة أن يدركني)(١) .

وقال : (ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق) .

وكان يقول : ما من يوم أقر لعيني من يوم آتي أهلي ، فلا أجد عندهم طعاماً ، فيقولون : ما نقدر علىٰ قليل ولا كثير ، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالىٰ أشد حِمْيَةً للمؤمن من الدنيا من المريض يحميه أهله الطعام ، والله تعالىٰ أشد تعاهداً للمؤمن بالبلاء من الوالد لولده بالخير » .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أميراً . . كتب إليهم : إني قد بعثت إليكم فلاناً ، وأمرته بكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فلما بعث حذيفة رضي الله عنه إلى المدائن . . كتب إليهم : إني قد بعثت إليكم فلاناً ، فأطيعوه ، فقالوا : هـٰذا رجل له شأن ، فركبوا ليتلقَّوه ، فلَقُوه علىٰ حمار وهو معترض عليه رجلاه من جانب ، فلم يعرفوه ، فأجازوه ، فلقيهم الناس ، فقالوا : أين الأمير ؟ قالوا : هو الذي لقيتم ، قال : فركضوا في أثره ، فأدركوه وفي يده رغيف ، وفي الأخرىٰ عِرق وهو يأكل ، فسلموا عليه ، فنظر إلىٰ عظيم منهم ، فناوله العرق والرغيف ، فقالوا : سَلْنا عما شئت ، قال : أسألكم طعاماً آكله ، وعلفاً لحماري هـٰذا ما دمت فيكم ، فأقام ما شاء الله .

ثم كتب إليه عمر رضي الله عنه أن اقدم ، فقدم رضي الله عنه ، فلما بلغ عمرَ رضي الله عنه قدومُه . . كَمَنَ له على الطريق في مكان لا يراه ، فلما رآه على الحال التي خرج من عنده عليها . . أتاه ، فالتزمه ، وقال : أنت أخي وأنا أخوك .

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٧٠٨٤) .

وعن الثوري ، عن حذيفة رضي الله عنهما قال : (إن الرجل ليدخل المدخل الذي يجب عليه أن يتكلم فيه لله تعالىٰ فلا يتكلم . . فلا يعود قلبه إلىٰ ما كان عليه أبداً) .

وبكىٰ حذيفة في صلاته ، فلما فرغ . . التفت ، فإذا رجل خلفه ، فقال : لا تُعلمن بهٰذا أحداً .

وقال في مرض موته : (لولا أني أرىٰ أن هٰذا اليوم آخر أيامي من الدنيا . . لم أتكلم ، اللهم ؛ إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنىٰ ، وأحب الذل على العز ، وأحب الموت على الحياة ، حبيب جاء علىٰ فاقة ، لا أفلح من ندم) ، ثم مات .

وفي رواية : دخلنا عليه جوف الليل ، فقال : أي ساعة هٰذه ؟ فقلنا : جوف الليل ، فقال : أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ثم قال : أجئتم معكم بأكفاني ؟ قلنا : نعم ، قال : فلا تغالوا بأكفاني ؛ فإنه إن يك لصاحبكم عند الله خير . . فإنه يبدل بكسوته خيراً منها ، وإلاَّ . . يُسْلَبُ سلباً .

ومات رضي الله عنه بعد قتل عثمان بأشهر . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٢٦٩ـ٢٧١] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : قال حذيفة رضي الله عنه : (ليأتين على الناس زمان يقال للرجل : ما أظرفه وما أعقله ، وما في قلبه من الإيمان مثقال شعيرة) .

وقال : (لوددت أن لي إنسانا يكون في مالي ، ثم أغلق عليَّ البابَ ، فلم أُدخِل عليَّ أحداً حتىٰ ألقى الله عز وجل) .

وقال : (ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ، [ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا] ، لٰكن الذين يتناولون من كل) انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٢٧١ـ٢٧٨] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو الدحداح ثابت بن الدحداح
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : شهد أحداً وقتل يومئذ .

قال ثابت بن الدحداح رضي الله عنه يوم أحد والمسلمون أوزاع : (يا معشر الأنصار ؛ إلي إلي ، إن كان محمد صلى الله عليه وسلم قتل . . فإن الله عز وجل حي لا يموت ، فقاتلوا عن دينكم) ، فنهض إليه نفر من الأنصار ، فجعل يحمل بمن معه ، وقد وقفت له كتيبة خشناء ، وفيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي وعكرمة ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح ، فأنفذه فوقع ميتاً ، وقتل من كان معه .

ولما نزلت هـٰذه الآية : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ . . قال أبو الدحداح الأنصاري : وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال [صلى الله عليه وسلم] : « نعم » ، قال : أرِني يدك يا رسول الله ، فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الكريمة ، فقال : إني أقرضت ربي عز وجل حائطي ، وكان فيه ست مئة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها ، وجاء أبو الدحداح فنادىٰ : يا أم الدحداح ؛ قالت : لبيك ، قال : اخرجي من الحائط ، فقد أقرضته ربي عز وجل ، فعمدت إلىٰ صبيانها تخرج ما في أفواههم ، وتنفض ما في أكمامهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كم من عذق رداح[1] في الجنة لأبي الدحداح »[2] .

وفي رواية : قال : (يا أم الدحداح ؛ اخرجي من الحائط ، فقد بعته بنخلة في الجنة ، فقالت : ربح البيع ، ربح البيع) انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٢٧٢ـ٢٧٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) العذق الرداح : الضخم العظيم .

(٢) أخرجه المقدسي (٥/ ٥٩) .

ومنهم الإمام :

خالد بن الوليد
رضي الله عنه

قال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو سليمان ، وقيل : أبو الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، القرشي ، المخزومي ، سيف الله .

أمه : لبابة الصغرىٰ بنت الحارث ، أخت ميمونة أم المؤمنين ، ولبابة الكبرى امرأة العباس رضي الله عنه .

أسلم بعد الحديبية ، في ذي القعدة ، سنة ست من الهجرة ، وشهد غزوة مؤتة ، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ : سيف الله ، وشهد خيبر ، وفتح مكة وحنيناً .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر حديثاً ، اتفقا علىٰ حديث .

روىٰ عنه : ابن عباس ، وجابر ، والمقدام بن معدي كرب ، وأبو أمامة ابن سهل الصحابيون ، رضي الله عنهم .

ورویٰ عنه من التابعين : قيس ابن أبي حازم ، وأبو وائل ، وغيرهما .

وكان من المشهورين بالشجاعة ، والشرف ، والرئاسة .

وثبت في « البخاري » [٤٠١٧] عنه قال : (لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية) .

قال الزبير بن بكار وغيره : كان خالد رضي الله عنه هو المقدم علىٰ خيول قريش في الجاهلية ، ولم يزل من حين أسلم يولِّيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعنة الخيل ، فيكون في مقدمتها .

وشهد فتح مكة فأبلىٰ فيها ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العزىٰ فهدمها ،

وكانت بيتاً عظيماً لمضر تبجله ، ولا يصح له مشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة .

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ أُكَيْدِرَ صاحب دومة الجندل ، فأسره وأحضره عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصالحه على الجزية ، ورده إلىٰ بلده .

وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر إلىٰ بني الحارث بن كعب بن مذحج ، فقدم معه رجال منهم ، فأسلموا ، ورجعوا إلىٰ قومهم .

وأمَّره أبو بكر الصديق رضي الله عنه علىٰ قتال مسيلمة الكذاب والمرتدين [باليمامة] ، وكان له في قتالهم الأثر العظيم .

وله الآثار العظيمة المشهورة في قتال الروم بالشام ، والفرس بالعراق ، وافتتح دمشق .

وكان له في قلنسوته شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنصر به ، وببركته لا يزال منصوراً .

ولما حضرته الوفاة . . قال : (لقد شهدت مئة زحف أو نحوها ، وما في بدني موضع شبر . . إلا وفيه ضربة ، أو طعنة ، أو رمية ، وها أنا أموت علىٰ فراشي ، فلا نامت أعين الجبناء ، وما لي من عمل أرجىٰ من لا إلـه إلا الله ، وأنا متترس بها) .

توفي في خلافة عمر ، سنة إحدىٰ وعشرين في حمص ، وقبره مشهور ، علىٰ نحو ميل من حمص ، وحزن عليه عمر والمسلمون حزناً شديداً .

ولما حضرته الوفاة . . حبس فرسه وسلاحه في سبيل الله .

وفي « الصحيحين » [« البخاري » تعليقاً عند الحديث (١٣٩٩) ، و« مسلم » (٩٨٣)] : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن خالداً احتبس أدراعه وأَعْتُدَهُ في سبيل الله عز وجل » .

وفضائله كثيرة مشهورة ، رضي الله عنه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٧٣ـ١٧٤] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

سعيد بن عامر بن حذْيَم (١)
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أسلم قبل خيبر ، وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما بعدها .

وأرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليه ، فقال : إنا مستعملوك علىٰ هـٰؤلاء ، تسير بهم إلىٰ أرض العدو ، فتجاهد بهم ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا تفتنِّي ؛ فقال عمر رضي الله عنه : والله لا أدعكم ، جعلتموها في عنقي ، ثم تخليتم عني ، ثم قال له : ألا نفرض لك رزقاً ؟ قال : قد جعل الله عز وجل في عطائي ما يكفيني دونه ، أو فضلاً علىٰ ما أريد .

وكان إذا خرج عطاؤه . . ابتاع لأهله قوتهم ، وتصدق ببقيته ، فتقول له امرأته : أين فضل عطائك ؟ فيقول : لقد أقرضته .

ولما أتىٰ عمر رضي الله عنه الشام . . طاف بِكُورها(٢) ، ثم نزل حمص ، فأمر أن يُكْتَبَ له فقراؤهم ، فكُتبوا له ، فلما رفع إليه الكتاب . . إذا فيه سعيد بن عامر أمير حمص رضي الله عنه ، قال : فتعجب ، ثم قال : كيف يكون أميركم فقيراً ؟ أين عطاؤه ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ لا يمسك شيئاً ، فبكىٰ عمر رضي الله عنه ، ثم عمد إلىٰ ألف دينار ، فصرها ، وبعث بها إليه ، وقال : أقرئوه مني السلام ، وقولوا له : بعث بهـٰذه إليك لتستعين بها علىٰ حاجتك ، فلما وصلت إليه . . نظرها ؛ فإذا هي دنانير ، فجعل يسترجع ، فقالت له امرأته : ما شأنك يا فلان ؟ أمات أمير المؤمنين ؟ قال : بل أعظم من ذاك ، قالت : فأمرٌ من أمر الساعة ؟ قال : بل أعظم ، قالت : فما شأنك ؟ قال : الدنيا أتتني ، الفتنة دخلت علي ،

---

(١) في المخطوط : (جذيم) ، وفي « أسد الغابة » (٢/ ٣١١) : (خذيم) ، وفي « الأصابة » (٢/ ٤٧) : (حديم) ، وفي « الاستيعاب » (٢/ ١٢) (جديم) : والمثبت من « الطبقات » (٤/ ٢٦٩) وغيرها .

(٢) الكُوَرة : المدينة والصقع ، قال ابن سيده : الكورة من البلاد المخلاف وهي : القرية من قرى اليمن .

قالت : فاصنع بها ما شئت ، قال : أعندك عون ؟ قالت : نعم ، قال : فأخذ دريعة له ، فصر الدنانير فيها صُرَراً ، ثم جعلها في مخلاة ، ثم دفعها إلىٰ جيش من جيوش المسلمين ، فأمضاها كلها ، فقالت له امرأته : رحمك الله ، لو كنت حبست منها شيئاً نستعين به ، قال : فقال لها : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلىٰ أهل الأرض . . لملأت الأرض ريح مسك » ، وإني ـ والله ـ ما كنت لأختارك عليهن ، فسكتت .

وفي رواية : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا أهل حمص ؛ كيف وجدتم عاملكم ، فشكوه إليه ، وكان يقال لأهل حمص : الكويفة الصغرىٰ ؛ لشكايتهم العمال ، قالوا : نشكوا منه أربعاً : لا يخرج إلينا حتىٰ يتعالى النهار ، قال : أعظِمْ بها ، ولا يجيب أحداً بليل ، قال : وعظيمة ، وله في الشهر يوم لا يخرج فيه إلينا ، ويصيح الصيحة بين الأنام فتأخذه غيبة .

قال : فجمع عمر رضي الله عنه بينه وبينهم ، ثم ذكر له ما قالوا ، فقال : والله ؛ إني كنت أكره ذكر ذلك ، اللهم ؛ إنه ليس لأهلي خادم ، فأعجن عجيني ، ثم أجلس حتىٰ يختمر ، ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ ، ثم أخرج إليهم .

وأما عدم الإجابة بالليل . . فإني جعلت النهار لهم والليل لله عز وجل .

وأما اليوم في الشهر . . فإنه ليس لي خادم يغسل ثيابي ، ولا لي ثياب أبدلها ، فأجلس حتىٰ تجف ، ثم أدلكها ، ثم أخرج إليهم .

وأما الصيحة والغشية . . فإني شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة ، وقد بضعت قريش لحمه ، ثم حملوه علىٰ جذعه ، وقالوا : أتحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة ، ثم نادىٰ : يا محمد(1) ، فما ذكرت ذلك اليوم ، وتركي نصرته في تلك الحال ، وأنا مشرك لا أؤمن

---

(1) ومما جاء في خبره : ما حكاه صاحب « الاستيعاب » (١/ ٤٣٠ـ٤٣١) : قال ابن شهاب : فمكث خبيب عندهم أسيراً حتىٰ إذا أجمعوا علىٰ قتله . . استعار موسىٰ من إحدىٰ بنات الحارث ليستحدَّ بها ، فأعارته ، قالت : فغفلت عن صبي لي ، فدرج إليه حتىٰ أتاه ، قالت : فأخذه فوضعه علىٰ فخذه فلما رأيته فزعت فزعاً عرفه فيَّ ، والموسىٰ في يده ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل إن شاء الله ، قال : فكانت تقول : ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذٍ من حديقة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقاً آتاه الله إياه ، قال : ثم خرجوا به من الحرم ؛ ليقتلوه ، فقال : دعوني أصلي =

بالله العظيم. . إلا ظننت أن الله تعالىٰ لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً ، فتصيبني تلك الغشية والصيحة ، فقال عمر رضي الله عنه : الحمد لله الذي لم يخيب فراستي ، ثم أرسل إليه بألف دينار ، فأخذها ، وتصدق بها على الأرامل واليتامىٰ والمساكين ، ثم قال لامرأته : دفعناها إلىٰ من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها .

قال الواقدي : توفي سنة عشرين ، في خلافة عمر ، رضي الله عنه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٢٩٤_٢٩٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

= ركعتين ، ثم قال : لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت. . لزدت ، قال : فكان أول من صلىٰ ركعتين عند القتل ، ثم قال : اللهم ؛ أحصهم عدداً ، ثم قال :

ولسـت أبـالـي حيـن أُقتـل مسلمـاً ... علىٰ أي جنب كان في الله مصرعي
وذلـك فـي ذات الإلـٰه وإن يشـأ ... يبـارك علـىٰ أوصـال شلـو ممـزع

قال : ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله . انتهىٰ .

ومنهم الإمام :

عبد الله بن عمرو بن العاصي
رضي الله عنهما

قال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، والجمهور : علىٰ كتابة العاصي بالياء ، ويقع كثيراً في الكتب بحذفها ، وهو لغة ، وقد قرىء في السبع نحوه ؛ كالكبير المتعال والداع .

وهو الزاهد ، العابد ، الصحابي ، ابن الصحابي رضي الله عنهما .

كان بينه وبين أبيه في السن اثنتا عشرة سنة ، وقيل : إحدىٰ عشرة ، وأسلمت أمه .

قالوا : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « نِعْمَ أهل البيت : عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله » .

أسلم عبد الله قبل أبيه .

وكان كثير العلم ، مجتهداً في العبادة ، كثير التلاوة للقرآن ، وكان أكثر الناس أخذاً للحديث والعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثبت في « الصحيح » : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبدُ الله بن عمرو ؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب)[1] .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع مئة حديث ، اتفق البخاري ومسلم علىٰ سبعة عشر ، وانفرد البخاري بثمانية ، ومسلم بعشرين .

وإنما قلَّتِ الرواية عنه مع كثرة ما حمل ؛ لأنه سكن مصر ، والوارد إليها إذ ذاك قليل ، بخلاف أبي هريرة ؛ فإنه استوطن المدينة ، وهي مقصد المسلمين من كل جهة .

روىٰ عنه : سعيد بن المسيب ، وعروة ، وأبو سلمة وحميد ابنا عبدِ الرحمٰن ،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣) .

ومسروق ، وخلائق من كبار التابعين ، ونقلوا عنه أنه قال : (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مَثَل) انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٢٨١-٢٨٢] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أسلم قبل أبيه ، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة ما يسمع منه ، فأذن له وقال : (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل) .

وكان عالماً متعبداً .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (لأَن أدمع دمعة من خشية الله عز وجل . . أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار) .

وعن عبد الله بن بريدة ، أن سليمان بن ربيعة حدثه : أنه حج في عصابة من قراء أهل البصرة ، فقال : والله ؛ لا نرجع حتىٰ نلقىٰ رجلاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مرضياً يحدثنا بحديث ، فلم نزل نسأل حتىٰ حُدِّثنا أن عبد الله بن عمرو بن العاصي نازل في أسفل مكة ، فعمدنا إليه ؛ فإذا نحن بثقل عظيم يرتحلون ثلاث مئة راحلة ، منها مئة راحلة ومئتا زاملة[1] ، فقلنا : لمن هـٰذا الثقل ؟ فقالوا : لعبد الله بن عمرو بن العاصي ؛ فقلنا : أَكُلُّ هـٰذا له ؟! وكنا نُحدَّث أنه من أشد الناس تواضعاً ، فقالوا : أما هـٰذه المئة راحلة . . فلإخوانه يحملهم عليها ، وأما المئتان . . فلمن نزل عليه من أهل الأمصار ، فعجبنا من ذلك ، فقالوا : لا تعجبوا من هـٰذا ؛ فإن عبد الله رجل غني ، وإنه يرىٰ حقاً عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس ، فقلنا : دلونا عليه ، فقالوا : إنه في المسجد الحرام ، قال : فانطلقنا نطلبه حتىٰ وجدناه عند الكعبة جالساً بين بردتين وعمامة ليس عليه قميص ، قد علق نعليه في شماله .

ولما حضرته الوفاة . . قال : (إنه كان قد خطب إليَّ ابنتِي رجل من قريش ، وقد كان مني إليه شبه الوعد ، فوالله ؛ لا ألقى الله تعالىٰ بثلث النفاق ، اشهدوا أني زوجتها إياه) .

توفي سنة خمس وستين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٢٩٢-٢٩٤] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن محمد بن طحلاء ، عن أبي سلمة قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما : حدثني مدخل رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الراحلة من الإبل : البعير النجيب القوي على الأسفار والأحمال ، الذكر والأنثىٰ فيه سواء ، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ، والزاملة : بعير يستظهر به الرجل ، يحمل عليه متاعه وطعامه . .

وسلم عليك وما قال لك ، قال : (دخل علي فقال : « يا عبد الله ؛ ألم أخبر أنك تُكَلَّف قيام الليل وصيام النهار ؟ » قال : قلت : إني أفعل ذلك يا رسول الله ، قال : « إن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، فإذاً أنت صمت الدهر » ، فغلَّظتُ فغُلِّظ عليَّ ، فقلت : إني أجدني أقوىٰ من ذلك يا رسول الله ، فقال : « أَعدَلُ الصيام عند الله تعالىٰ صيام داوود عليه الصلاة السلام » ، قال : فأدركني الكبر والضعف حتىٰ وددت أني عدمت مالي وأهلي ، وأني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل شهر ثلاثة أيام)[1] .

وفي رواية : « إن لكل عابد شِرَّةً ، ولكل شِرَّة فترة ، فإما إلىٰ سُنَّة ، وإما إلىٰ بدعة ، فمن كانت فترته إلىٰ سُنَّة . . فقد اهتدىٰ ، ومن كانت فترته إلىٰ غير ذلك . . فقد هلك » .

وقال مجاهد : فكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام كذلك ، يصل بعضها إلىٰ بعض ليتقوىٰ بذلك ، ثم يفطر بعد ذلك الأيام .

قال : وكان يقرأ من أحزابه كذلك ، يزيد أحياناً ، وينقص أحياناً ، غير أنه يوفي به العدة إما في سبع ، وإما في ثلاث ، ثم كان يقول بعد ذلك : (لأَن أكون قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أحب إلي مما عَدَل به أو أعدل به ، لـٰكني فارقته علىٰ أمر أكره أن أخالفه إلىٰ غيره) .

ومر علىٰ رجل بعد صلاة الصبح وهو نائم ، فحركه برجله حتى استيقظ ، فقال له : (أما علمت أن الله عز وجل يطلع في هـٰذه الساعة إلىٰ خلقه ، فيدخل ثلة منهم الجنة برحمته ؟!) .

وقال : (من سئل بالله تبارك وتعالىٰ فأعطىٰ . . كُتِب له سبعون أجراً) انتهىٰ [« الحلية » ١/٢٨٤ـ٢٩٠] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) أخرجه بنحوه البخاري (١٨٧٤) ، ومسلم (١١٥٩) .

ومنهم الإمام :

عبد الله ذو البجادين
رضي الله عنه

قال الواسطي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : قال ابن هشام : وإنما سمي ذو البجادين ؛ لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فتمنعه قومه من ذلك ويضيقون عليه ، حتىٰ تركوه في بجاد ليس عليه غيره ، و(البجاد) : الكساء الغليظ الجافي ، فهرب منهم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه . . شق بجاده باثنين ، فأتزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : (ذو البجادين) لذلك ، والبجاد أيضاً : المسح . انتهىٰ [« السيرة النبوية » ٥/٢٠٩ـ٢١٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : كان يتيماً لا مال له ، مات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه .

فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة . . جعلت نفسه تتوق إلى الإسلام ، ولا يقدر عليه من عمه ، حتىٰ مضت السنون والمشاهد ، فقال لعمه : يا عم ؛ إني قد انتظرت إسلامك ، فلا أراك تريد محمداً صلى الله عليه وسلم ، فائذن لي في الإسلام ، فقال : والله ؛ لئن اتبعت محمداً . . لا أترك بيدك شيئاً إلا انتزعته منك حتىٰ ثوبيك ، فقال : فأنا والله متبع محمداً ، وتارك عبادة الحجر ، وهـٰذا ما بيدي فخذه ، فأخذ ما أعطاه حتىٰ جرَّده من إزاره ، فأتىٰ أمه ، فقطعت بجاداً لها باثنين ، فأتزر بواحد ، وارتدىٰ بالآخر ، ثم أقبل إلى المدينة ، فاضطجع في المسجد في السحر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح ، فنظر إليه ، فقال : « من أنت ؟ » فانتسب له ، وكان اسمه عبد العزىٰ ، فقال : « أنت عبد الله ذو البجادين » ، ثم قال : « انزل مني قريباً » ، فكان يكون في أضيافه حتىٰ قرأ قرآناً كثيراً .

فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلىٰ تبوك . . قال : يا رسول الله ؛ ادع لي

بالشهادة ، فربط النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ عضده لحىٰ سمرة[1] ، وقال : « اللهم ؛ إني أحرم دمه على الكفار » ، فقال : ليس هـٰذا أردت يا رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنك إذا أخرجت غازياً فأخذتك الحمىٰ فقتلتك . . فأنت شهيد ، أو وَقَصَتْكَ دابتك . . فأنت شهيد » ، فأقاموا بتبوك أياماً ، فتوفي .

قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها ، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يدليانه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول : « أدنيا إليَّ أخاكما » ، فلما هيأه لشقه في اللحد . . قال : « اللهم ؛ إني قد أمسيت عنه راضياً ، فارض عنه » ، فقال ابن مسعود : (ليتني كنت صاحب هـٰذا اللحد ، ولقد أسلمت قبله بخمس عشرة سنة) انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٣٠٢ـ٣٠٣] .

سبحان من أعطاه وأسعده ووفقه ، سبحانه وتعالىٰ ، هنيئاً له ، رضي الله عنه وأرضاه .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) اللِّحىٰ : قشر العود ، وأكثر ما يستعمل ممدوداً ، السَّمُرَةُ : نوع من الشجر .

ومنهم الإمام :

أبو هريرة
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : كانت له هرة صغيرة فكني بها .

قدم المدينة سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فسار إلىٰ خيبر حتىٰ قدم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقال أبو هريرة : نشأت يتيماً ، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ، فكنت أخدم إذا نزلوا ، وأحدو إذا ركبوا ، فزوجنيها الله .

والحمد لله عز وجل الذي جعل الدين قواماً ، وأبا هريرة إماماً .

وقال : (ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني . . إلا أحبني ، قيل : وما علمك بذلك يا أبا هريرة ؟ قال : إن أمي كانت مشركة ، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام ، وكانت تأبىٰ علي ، فدعوتها يوماً ، فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي ، فقلت : يا رسول الله ؛ إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام ، وكانت تأبىٰ علي ، وإني دعوتها اليوم ، فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله تعالىٰ أن يهدِي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ؛ اهد أم أبي هريرة » ، فخرجت أعدو لأبشرها بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أتيت الباب . . إذا هو مجاف ، وسَمِعتُ خضخضة الماء ، وسَمِعتْ خشخشة رَجُلٍ ، فقالت : يا أبا هريرة ؛ كما أنت ، ثم فتحت الباب ، وقد لبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، فقالت : إني أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فرجعت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن ، فقلت : يا رسول الله ؛ أبشر ، فقد استجاب الله تعالىٰ دعاءك وقد هدىٰ أم أبي هريرة ، وقلت : يا رسول الله ؛ ادع الله تعالىٰ أن يحببني وأمي إلى المؤمنين وتحببهم إلينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم ؛ حبب عبيدك هٰذا وأمه إلىٰ عبادك المؤمنين »[1] ، فما خُلِق من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرىٰ أمي . . إلا وهو يحبني) .

وقال : إنكم تقولون : ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهٰذه الأحاديث ، وما بال الأنصار لا يحدثون بهٰذه الأحاديث ، وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق ، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها ، وإني كنت امرأً معتكفاً ، وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا ، وأحفظ إذا نَسُوا ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوماً ، فقال : « من يبسط ثوبه حتىٰ أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه . . فإنه ليس ينسىٰ شيئاً سمعه مني أبداً » فبسطت ثوبي ـ أو قال : نمرتي ـ ثم حدثنا ، فقبضته إلي ، فوالله ؛ ما نسيت شيئاً سمعته منه ، وايم الله ؛ لولا آية في كتاب الله عز وجل . . ما حدثتكم بشيء أبداً أبداً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ أخرجاه في « الصحيحين »[2] .

وعن مجاهد : أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول : (والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأَشُدُّ الحَجَر علىٰ بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً علىٰ طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعني[3] ، فلم يفعل ، ثم مر عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعني ، فلم يفعل ، فمر أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم ، فعرف ما في وجهي وما في نفسي ، فقال : « أبا هريرة » فقلت : لبيك يا رسول الله ، فقال : « اِلحَقْ » ، فتبعته ، فدخل ، واستأذنت ، فأذن لي ، ووجد لبناً في قدح ، فقال : « من أين لكم هٰذا اللبن ؟ » فقالوا : أهداه لنا فلان ، أو آل فلان ، قال : « أبا هريرة » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « انطلق إلىٰ أهل الصفة »[4] ـ قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لم يأووا إلىٰ أهل ولا مال ، إذا جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية . . أصاب منها

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٦/١٠٧) .

(٢) « البخاري » (٢٢٢٣) ، و« مسلم » (٢٤٩٢) .

(٣) في « البخاري » : (ليشبعني) .

(٤) الصُّفَّة : سدة كانت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ، يكون فيها فقراء المهاجرين ومن لا منزل له منهم ، وأهلها منسوبون إليها .

وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة . . أرسل بها إليهم ، ولم يصب منها ـ قال : فأحزنني ذلك ، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوىٰ بها بقية يومي وليلتي ، فقلت : أنا الرسول ، فإذا جاء القوم . . كنت أنا الذي أعطيهم ، فما يبقىٰ لي من هـٰذا اللبن ؟! ولم يكن من طاعة الله عز وجل وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدٌّ ، فانطلقت ، فدعوتهم فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت ، ثم قال : « يا أبا هر ؛ خذ فأعطهم » ، فأخذت القدح ، فجعلت أعطيهم ، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتىٰ يروىٰ ، ثم يرد القدح ، وأعطيه الآخر فيشرب حتىٰ يروىٰ ، ثم يرد القدح ، حتىٰ أتيت علىٰ آخرهم ، ودفعته إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ القدح ، فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة ، ثم رفع رأسه ، ونظر إلي ، وتبسم ، فقال : « أبا هر » فقلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « بقيتُ أنا وأنت » ، فقلت : صدقت يا رسول الله ، قال : « فاقعد واشرب » ، قال : فقعدت وشربت ، فما زال يقول : « اشرب » ، وأشرب . . حتىٰ قلت : والذي بعثك بالحق ما أجد له فيَّ مسلكاً ، قال : « ناولني القدح » ، فرددت القدح إليه ، فشرب من الفضلة) انفرد البخاري بإخراجه [٦٠٨٧] .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : (ما أحد من الناس يهدي إلي هدية . . إلا قبلتها ، فأما أن أسأل . . فلم أكن لأسأل) .

وكان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول : (أسبح بقدر ذنبي)(١) .

وقال : (لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة رضي الله تعالىٰ عنها ، فيقول الناس : إنه لمجنون ، وما بي جنون ، ما بي إلا الجوع) .

وكانت له جارية زنجية ، فرفع عليها السوط يوماً ، ثم قال : (لولا القصاص . . لغشيتك به ، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك ، اذهبي فأنت لله عز وجل) .

وقال أبو عثمان النهدي : تضيفت أبا هريرة رضي الله عنه سبعاً ، وكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل ثلاثاً ، يصلي هـٰذا ثم يوقظ هـٰذا ، ويصلي هـٰذا ثم يوقظ هـٰذا .

وقال : (ما وَجَعٌ أحب إلي من الحمىٰ ؛ لأنها تعطي كل مفصل قسطه من الوجع ، وإن الله عز وجل يعطي كل مفصل قسطه من الأجر) .

وقال : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرات ، فدعا فيهن بالبركة ، وقال :

---

(١) في نسخة : (أسبح بقدر ديتي) .

« اجعلهن في مزودك ، وإذا أردت أن تأخذ منه شيئاً . . فأدخل يدك فخذه ولا تنثره » ، فجعلته في مزودي ، فوجهت منه رواحل في سبيل الله ، وكنت آكل منه وأطعم ، حتىٰ كان يوم قتل عثمان ، فوقع ، فذهب)[1] .

وكان يحمل حزمة حطب ـ وهو يومئذ خليفة لمروان ـ فيقول : (أوسعوا الطريق للأمير) والحزمة عليه .

ولما احتضر . . جعل يبكي ، فقال : (ما أبكي علىٰ دنياكم هـٰذه ، ولـٰكني أبكي علىٰ بعد سفري ، وقلة زادي ، وإني أصبحت في مهبط علىٰ جنة ونار ، ولا أدري علىٰ أيهما يؤخذ بي) .

توفي بالمدينة ، ويقال : بالعقيق سنة سبع أو ثمان وخمسين ، في آخر خلافة معاوية ، وله ثمان وسبعون سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٣٠٦ـ٣١١] .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي هريرة : « يا أبا هريرة ؛ ألا أخبرك بأمرٍ ، من تكلم به في أول مضجعه من مرضه . . نجاه الله من النار ؟ » قلت : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « لا إلـٰه إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، سبحان الله رب العباد والبلاد ، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه علىٰ كل حال ، الله أكبر كبيراً ، اللهم ؛ إن أنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هـٰذا . . فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنىٰ ، وباعدني من النار كما باعدت أولـٰئك الذين سبقت لهم منك الحسنىٰ » انتهىٰ [« الإحياء » ٢/٢١٠] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : اسم أبي هريرة رضي الله عنه : عبد الرحمـٰن بن صخر ، وهو أشهر من سكن الصفة ، واستوطنها طول عمر النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يجمع طعاماً لأهل الصفة . . تقدم إلىٰ أبي هريرة رضي الله عنه ليدعوهم ويجمعهم ؛ لمعرفته بهم وبمنازلهم . انتهىٰ [« الحلية » ١/٣٧٦ـ٣٨٣] .

ولا بأس بذكر شيء من أحوال أهل الصفة :

فقد روى الحافظ بسنده إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٣٩) .

وسلم كان إذا أمسىٰ . . قسم ناساً من أهل الصفة بين ناس من أصحابه ، فكان الرجل يذهب بالرجل ، والرجل يذهب بالرجلين ، والرجل يذهب بالثلاثة ، حتىٰ ذكر عشرة ، وكان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلىٰ أهله بثمانين منهم يعشيهم[1] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أتىٰ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أناس من ضعفاء المسلمين ، ورجل يقرأ علينا القرآن ، وإن بعضهم ليتوارىٰ من بعضهم من العري ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فأدارها شبه الحلقة ، فاستدارت له الحلقة ، فقال : « بم كنتم تراجعون ؟ » قالوا : هٰذا رجل يقرأ علينا القرآن ويدعو لنا ، قال : « فعودوا لما كنتم فيه » ، ثم قال : « الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم » ، ثم قال : « ليبشر فقراء المسلمين المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمس مئة عام ، هٰؤلاء في الجنة يتنعمون ، وهٰؤلاء يحاسبون »[2] .

وعن سلمان الفارسي قال : جاءت المؤلفة قلوبهم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذووهم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ لو أنك جلست في صدر المسجد ، ونحيت عنا هٰؤلاء وأرواح جبابهم ـ يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين ، وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها ـ جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ ، يتهددهم بالنار ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتىٰ أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عز وجل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي لم يمتني حتىٰ أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي ، معكم المحيا ومعكم الممات »[3] .

وعن خباب بن الأرت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعيينة بن حصن الفزاري ، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال وعمار وصهيب وخباب في أناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم . . حقروهم ، فخلوا به صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٦٢٢) .
(٢) أخرجه بنحوه الطبراني في « الأوسط » (٨/ ٣٥٧) .
(٣) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٧/ ٣٣٧) .

لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن ترانا العرب قعوداً مع هٰذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك . . فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا . . فأقعدهم إن شئت ، قال : « نعم » ، قالوا : فاكتب لنا كتاباً ، فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ، ودعا علياً عليه السلام ليكتب ، فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية ؛ إذ نزل جبريل عليه السلام ، فقال : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ ليقولوا : تدني هٰؤلاء دوننا ؟!

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا مر بجنازة . . قال : (روحي فإنا غادون ، أو اغدي فإنا رائحون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، يذهب الأول ، ويبقى الآخر لا عقل له) انتهىٰ [« الحلية » ١/٣٤١-٣٤٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

زيد بن ثابت
رضي الله عنه

قال النووي ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ : هو الأنصاري ، النجاري ، المدني ، الفرضي ، الكاتب ، كاتب الوحي والمصحف .

وكان عمره حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إحدىٰ عشرة سنة ، وكان قد حفظ من القرآن قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ست عشرة سورة .

وقتل أبوه وعمره ست سنين .

واستصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فرده ، وشهد أحداً ، وقيل : لم يشهدها ، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم تبوك راية بني النجار .

وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكتب له أيضاً المراسلات إلى الناس .

وكان يكتب لأبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في خلافتهما .

وكان أحد الثلاثة الذين جمعوا المصحف ، أمره بذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

وكان عمر رضي الله عنه يستخلفه إذا حج ، وكان معه حين قدم الشام ، وهو الذي تولىٰ قسم غنائم اليرموك ، وكان عثمان يستخلفه أيضاً إذا حج .

ورُميَ يوم اليمامة بسهم ، فلم يضره .

وقال ابن أبي داوود وآخرون : كان زيد أعلم الصحابة بالفرائض ؛ للحديث : « أفرضكم زيد »[1] ، قالوا : وكان من الراسخين في العلم .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩١) ، وأحمد (٣/ ١٨٤) بلفظ : « أعلم أمتي بالفرائض . . زيد بن ثابت » .

وكان علىٰ بيت المال لعثمان ، ومناقبه كثيرة مشهورة .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان وتسعون حديثاً ، اتفقا منها علىٰ خمسة ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بحديث .

وروىٰ عنه جماعات من الصحابة ، وروىٰ عنه خلائق من كبار التابعين .

ومن الغرائب المنقولة عن زيد بن ثابت : ما حكيته عنه في أنه كان يقول بصحة الدور في المسألة السريجية(١) ، وأنه لا يقع الطلاق ، والله أعلم . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٢٠٠-٢٠٢] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : كنية زيد : أبو سعيد .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن إحدىٰ عشرة سنة ، وأجيز في الخندق .

وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمره أبو بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن ، وأمره عثمان فكتب المصحف وأبي بن كعب يملي عليه .

وقال زيد بن ثابت الأنصاري : (أرسل إلي أبو بكر [بعد] مقتل أهل اليمامة ، وعنده عمر ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني ، فقال : إن القتل قد استَحَرَّ يوم اليمامة بالناس ، وإني أخشىٰ أن يستحر القتل بالقرَّاء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرىٰ أن تجمع القرآن ، قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتىٰ شرح الله لذلك صدري ، ورأيت الذي رأىٰ عمر ، قال أبو بكر : وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَتَتَبَّعِ القرآن واجمعه ، فوالله ؛ لو كلفني نقل جبل من الجبال . . ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن .

قال : قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم أزل أراجعه حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح له صدر

---

(١) المسألة السريجية : نسبة إلى ابن سريج الشافعي ، وصورتها : أن يقول الزوج لزوجته : إن طلقتك غداً طلقة . . فأنت طالق اليوم ثلاثاً ، ثم طلق من الغد واحدة ، طلقت واحدة ولم تقع الثلاث ؛ لأنا لو أوقعنا الثلاث . . بطلت الواحدة ، وإذا بطلت الواحدة . . بطلت الثلاث ، ففي إثبات الثلاث إبطالها ، ووافق علىٰ ذلك ابن سريج ، وقال غيره : تقع الواحدة وثنتان من الثلاث كقوله : إن طلقت واحدة فأنت طالق عشراً . . وقعت واحدة وثنتان من العشرة . انظر « الدر المنثور » للزركشي (٢/ ١٥٧) . .

أبي بكر ، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب[1] وصدور الرجال ، حتىٰ وجدت من « سورة التوبة » آيتين مع خزيمة بن ثابت[2] لم أجدهما مع أحد غيره : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ إلىٰ آخرها ، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتىٰ توفاه الله ، ثم عند عمر حتىٰ توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر) انفرد بإخراجه البخاري[3] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان ، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت »[4] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب ، فقال : تنح يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هٰكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا .

وكان الرجل يأتي زيد بن ثابت يسأله عن الشيء ، فيقول له : آلله نزَّل هٰذا ؟! فإن حلف له أنه نزل . . أفتاه ، وإن لم يحلف . . تركه .

وخرج زيد بن ثابت يريد الجمعة ، فاستقبله الناس راجعين ، فدخل داراً ، فقيل له ، فقال : (إنه من لا يستحيي من الناس . . لا يستحيي من الله) .

وكان من أفكهِ الناس في بيته ، وأَزَمِّهِ[5] إذا خرج إلى الرجال .

وفي رواية : ما رأيت أحداً أفكه في بيته ولا أحلم في مجلسه إذا جلس مع القوم . . من زيد بن ثابت .

---

(١) الكَتِف : عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدواب ، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم ، العُسُب : جرائد النخل . .

(٢) في « البخاري » : (مع أبي خزيمة الأنصاري) . وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٩/ ١٥) :
وقع في رواية عبد الرحمٰن بن مهدي عن إبراهيم بن سعد : (مع خزيمة بن ثابت) أخرجه أحمد والترمذي ، ووقع في رواية شعيب عن الزهري كما تقدم في (سورة التوبة) : (مع خزيمة الأنصاري) .
وقد أخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » من طريق أبي اليمان عن شعيب فقال فيه : (خزيمة بن ثابت الأنصاري) .
وقول من قال : عن إبراهيم بن سعد مع أبي خزيمة . . أصح ، والله أعلم .

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٠١) .

(٤) أخرجه بنحوه الترمذي (٣٧٩٠) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » (٦/ ٢١٠) .

(٥) الأَزْمُ : الصمت .

قال الواقدي : مات زيد بن ثابت سنة خمس وأربعين ، وهو ابن ست وخمسين سنة .

وقال عمار بن أبي عمار : لما مات زيد بن ثابت رضي الله عنه . . جلسنا إلى ابن عباس رضي الله عنهما في ظل قصر ، فقال : (هٰكذا ذهاب العلم ، لقد مات اليوم علم كثير) .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه عند موت زيد بن ثابت : (لقد مات حبر هٰذه الأمة ، ولعل الله تبارك وتعالىٰ أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً) رضي الله عنهم أجمعين . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٣١٥ـ٣١٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

وكان حبر الأمة ، ويسمىٰ : البحر ؛ لغزارة علمه .

وكان عمر وعثمان يدعوانه رضي الله عنهم فيشير عليهما مع أهل بدر ، وكان يفتي في عهدهما إلىٰ أن مات .

وكان له من الولد : العباس ، وعلي السَّجَّاد ، والفضل ، ومحمد ، وعبيد الله ، ولبابة ، وأسماء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيت ميمونة ، فوضعت له وَضوءاً من الليل ، فقالت ميمونة : يا رسول الله ؛ وضع لك هٰذا عبد الله بن عباس ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم ؛ فقهه في الدين ، وعلمه التأويل »(1) .

وعنه قال : ضمني النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم ؛ علمه الحكمة »(2) .

وعنه رضي الله عنه قال : (رأيت جبريل عليه السلام مرتين ، ودعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرتين) .

وكان عمر رضي الله عنه يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم ، فقال بعضهم : أتأذن لهٰذا الفتىٰ ومن أبنائنا من هو مثله ؟! قال : فإنه ممن علمتم ، فأذن لهم يوماً وأذن لي معهم ،

---

(1) أخرجه الحاكم (٣/ ٦١٥) .

(2) أخرجه الترمذي (٣٨٢٤) .

فسألهم عن هٰذه السورة : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ ، فقالوا : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم إذا فتح الله عليه. . أن يستغفر ويتوب إليه ، فقال لي : ما تقول يابن عباس ؟ فقلت : ليس كذلك ، ولٰكنه تبارك وتعالىٰ أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور أجلِه ، فقال تعالىٰ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فتح مكة ، ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ ؛ أي : فعند ذلك علامة موتك ، ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ ، فقال لهم : كيف تلومونني علىٰ هٰذا بعد ما ترونه ؟!

وقال له عمر رضي الله عنه : (والله ؛ إنك لأَصْبَحُ فتياننا وجهاً ، وأحسنهم عقلاً ، وأفقههم في كتاب الله) .

وكان يسأله مع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويقول له : لا تتكلم حتىٰ يتكلموا ، فإذا تكلم ابن عباس. . يقول عمر رضي الله عنه : (غلبتموني إن تأتوا بمثل ما جاء به هٰذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه)[1] .

وعن الحسن رحمه الله قال : كان ابن عباس رضي الله عنهما يقوم علىٰ منبرنا هٰذا فيقرأ (البقرة) و(آل عمران) فيفسرهما آية آية .

وكان عمر إذا ذكره. . قال : (ذاك فتى الكهول ، له لسان سؤول ، وقلب عقول) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. . قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير ، فقال : وا عجباً لك يابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم ؟! قال : فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث ، قال : كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل[2] ، فأتوسد التراب ، فيخرج ، فيراني ، فيقول : يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلي فآتيك ؟ فأقول : لا ، أنت أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث ، فعاش ذلك الأنصاري حتىٰ رآني قد اجتمع الناس حولي يسألوني ، فيقول : هٰذا الفتىٰ كان أعقلَ مني) .

وعن أبي صالح قال : لقد رأيت من ابن عباس رضي الله عنهما مجلساً ، لو أن جميع

---

(١) شؤون الرأس : هي عظامة وطرائقه ومَواصِل قبائله ، وهي أربعة بعضها فوق بعض .
(٢) من القيلولة .

قريش فخرت به . . لكان لها فخراً ، رأيت الناس اجتمعوا علىٰ بابه حتىٰ ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر علىٰ أن يجيء ، ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه ، فأخبرته بمكانهم علىٰ بابه ، فقال : ضع لي وَضوءاً ، قال : فتوضأ وجلس ، وقال : اخرج إليهم ، وقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه . . فليدخل ، قال : فخرجتُ فآذنتهم ، فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوا عن شيء . . إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا .

[ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله . . فليدخل ، قال : فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوا عن شيء . . إلا أخبرهم به ، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا] .

ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه . . فليدخل ، فخرجتُ فآذنتهم ، قال : فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوا عن شيء . . إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا .

ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها . . فليدخل ، قال : فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوا عن شيء . . إلا أخبرهم به وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا .

ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام . . فليدخل ، فآذنتهم فدخلوا حتىٰ ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوا عن شيء . . إلا أخبرهم به وزادهم مثله .

قال أبو صالح : فلو أن بطون قريش كلها فخرت به . . لكان لها فخراً ، فما رأيت مثل هـٰذا لأحد من الناس .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رجلاً أتىٰ يسأله عن : ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ ، قال : اذهب إلىٰ ذاك الشيخ فاسأله ، ثم تعال فأخبرني ما قال ، فذهب إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، فسأله ، فقال : كانت السماوات رتقاً لا تمطر ، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت ، ففتق هـٰذه بالمطر ، وفتق هـٰذه بالنبات ، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره ، فقال : إن ابن عباس قد أوتي علماً ، صدق هـٰكذا كانت .

ثم قال ابن عمر : قد كنت أقول ما تعجبني جرأة ابن عباس علىٰ تفسير القرآن ، فالآن

قد علمت أنه قد أوتي [علماً] . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٣٣٦-٣٣٩] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : أقام ابن عباس رضي الله عنهما حولاً يريد أن يسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين اللتين ظاهرتا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهيبته تمنعه عن ذلك ، إلىٰ أن وجد يوماً منه انبساطاً ، وكان قد أمره عمر رضي الله عنه أن يسكب عليه في الوضوء ، فسأله إذ ذاك ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ مَن المرأتان اللتان ظاهرتا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكرهه وقال : عجباً لك يابن عباس! هما حفصة وعائشة ، وما منعته الكراهة للسؤال عن كتمان العلم رضي الله عنه . انتهىٰ .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وعن شقيق قال : خطب ابن عباس رضي الله عنهما وهو على الموسم ، فافتتح (سورة البقرة) ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والروم . . لأسلمت .

وعن أبي بردة قال : شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال : (إنك تشتمني وفيَّ ثلاث خصال ؟ إني لآتي على الآية من كتاب الله تعالىٰ ، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه ، فأفرح به ، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين ، فأفرح به ، ومالي من سائمة) .

وقال : (لأن أقرأ « البقرة » في ليلة وأتفكر فيها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذذاً[(١)] .

وقال : (يا صاحب الذنب ؛ لا تأمن شر عاقبته ، وَلَما تُتبِع الذنب أعظم من الذنب الذي عملته ، وضَحِكُكَ وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب ، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب ، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا عملته ، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله عز وجل إليك أعظم من الذنب إذا عملته) .

وقال ابن أبي مليكة : صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان إذا نزل . . قام شطر الليل ؛ يقرأ ويكثر من التسبيح .

---

(١) **الهذَذُ** : السرعة في القراءة .

وقال ابن أبي رجاء : كان هـٰذا الموضع من ابن عباس رضي الله عنهما ـ يعني : مجرى الدمع ـ كأنه الشراك البالي .

وقال طاووس : ما رأيت أحداً كان أشد تعظيماً لحرمات الله عز وجل من ابن عباس رضي الله عنهما .

وعن ابن سماك : أن ابن عباس سقط في عينيه الماء ، فذهب بصره ، فأتاه المعالجون ، فقالوا : خَلِّ بيننا وبين عينيك ؛ فإنها تبرأ إن شاء الله تعالىٰ ، ولـٰكنك تمسك خمسة أيام لا تصلي ، قال : لا والله ؛ ولا ركعة واحدة ، وإني حدثت : أنه من ترك صلاة عمداً . . لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان .

وقال : آخر شدة يلقاها المؤمن الموت .

توفي بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدىٰ وسبعين سنة .

وعن ميمون بن مهران قال : شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنهما ، فلما وضع ليصلىٰ عليه . . جاء طير أبيض حتىٰ دخل في أكفانه ، فالتُمِسَ فلم يوجد ، فسمعنا صوته ولا نرىٰ شخصه : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ .

ولما بلغ جابراً رضي الله عنه وفاة ابن عباس رضي الله عنهما . . ضرب بإحدىٰ يديه على الأخرىٰ ، وقال : (مات أعلم الناس وأحلم الناس ، ولقد أصيبت به هـٰذه الأمة مصيبة لا تُرْتَق) .

وقال ابن الحنفية يوم موته : اليوم مات رباني هـٰذه الأمة . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٣٣٩-٣٤٢] .

وقال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : كني بابنه العباس ، وهو أكبر أولاده .

وقال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

وعاش ابن عباس رضي الله عنهما بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة ، فشدت إليه الرحال ، وقُصد من جميع الأقطار ، وهو أكثر الصحابة فتوىٰ ، كذا قال أحمد ابن حنبل ، وغيره .

وقال علي بن المديني : لم يكن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد له أصحاب يقولون بقوله في الفقه إلا ثلاثة : ابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، رضي الله عنهم .

وذكر الأزرقي في « كتاب مكة » بإسناده الصحيح : عن ابن جريج قال : كنا مع عطاء في المسجد الحرام ، فتذاكرنا ابن عباس وفضله ، وكان ابن عبد الله بن عباس وابنه محمد في الطواف ، فعجبنا من تمام قامتهما وحسن وجوههما ، فقال عطاء : وأين حسنهما من حسن أبيهما ابن عباس! ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة . . إلا ذكرت وجه ابن عباس .

وفي رواية : كان علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم إذا طاف . . كأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله مفرِطاً في الطول ، وكان مع هـٰذا الطول يكون إلىٰ منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلىٰ منكب أبيه العباس ، وكان العباس إلىٰ منكب أبيه عبد المطلب ـ

وروي لابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث وست مئة حديث وستون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ خمسة وتسعين ، وانفرد البخاري بمئة وعشرين ، ومسلم بتسعة وأربعين .

وروى البيهقي بإسناده في « مناقب الإمام الشافعي » في (باب : ما يستدل به علىٰ معرفته لصحة الحديث) :

عن الشافعي رحمه الله قال : لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا نحو مئة حديث .

وروىٰ عنه : ابن عمر ، وأنس ، وأبو الطفيل ، وأبو أمامة ابن سهل . ومن التابعين خلائق لا يحصون .

وكان قد كُفَّ بصره في آخر عمره ، وكذلك العباس وجدُّه عبد المطلب .

وكان يخضب لحيته بالصفرة ، وقيل : بالحناء .

وحج بالناس حين حصر عثمان ، واستعمله علي على البصرة ، ثم فارقها قبل قتل علي ، وعاد إلى الحجاز . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٢٧٤ـ٢٧٦] .

وفي رواية الحافظ ابن عساكر : عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه غزا أرض الروم ، فمر علىٰ معاوية رضي الله عنه ، فجاءه فلم يلتفت إليه ، فانطلق ، ثم رجع من غزوته ، فمر عليه وشكا إليه دَيناً عليه ، فجفاه ، ولم يرفع به رأساً ، فقال أبو أيوب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنكم ستلقون بعدي أثرة »[1] ، فقال معاوية : وأي شيء قال لكم ؟ قال : قال : « اصبروا » ، قال : فاصبر ، فقال : نعم ، والله ؛ لأصبرن ، والله ؛ لا أسألك شيئاً أبداً .

(١) الحديث رواه البخاري (٣٥٨١) ، ومسلم (١٠٦١) .

وقدم البصرة ، فنزل علىٰ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد أَمَّره عليها ، فقال : يا أبا أيوب ؛ إني أريد أن أخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسكنك ، ثم قال : كم عليك من الدين ؟ قال : عشرون ألفاً ، فأعطاه أربعين ألفاً وأربعين مملوكاً ، وقال له : لك كل شيء أغلق عليه باب داري . انتهىٰ [« تاريخ ابن عساكر » ١٦/٥٥] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل ، فجعلني حذاءه ، فأبيت ، فلما قضىٰ صلاته .. قال : « ما منعك ألاَّ تكون بإزائي » ، قلت : يا رسول الله ؛ لا ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك ، وأنت رسول الله الذي أعطاك الله ما أعطاك ، قال : فدعا الله أن يزيدني فهماً وعلماً) .

وعنه قال : (انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل عليه السلام ، فقال له جبريل عليه السلام : إنه كائن حبر هـٰذه الأمة ، فاستوص به خيراً) .

وعنه : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فذكروا ليلة القدر ، فتكلم منهم كل من سمع فيها بما سمع ، فتراجع القوم فيها الكلام ، قال عمر : ما لك يابن عباس صامت لا تتكلم ؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة ، قال ابن عباس : فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ الله عز وجل وتر يحب الوتر ، فجعل أيام الدنيا تدور علىٰ سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع ، وخلق فوقنا سبع سماوات ، وخلق تحتنا أرضين سبعاً ، وأعطىٰ من المثاني سبعاً ، ونهىٰ في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع ، وقسم الميراث في كتابه علىٰ سبع ، ويقع السجود من أجسادنا علىٰ سبع ، وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة سبعاً ، وبين الصفا والمروة سبعاً ، ورمى الجمار بسبع ؛ لإقامة ذكر الله تعالىٰ مما ذكر الله في كتابه ، فأراها في السبع الأواخر من رمضان ، والله أعلم) .

قال : فتعجب عمر رضي الله عنه وقال : ما وافقني فيها أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هـٰذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « التمسوها في العشر الأواخر »[1] ، ثم قال : يا هـٰؤلاء ؛ من يؤديني في هـٰذا كأداء ابن عباس ؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٧) .

واشترى ابن عباس رضي الله عنهما ثوباً بألف درهم ، فلبسه وقال : (ما ظهر البغي في قوم . . إلا ظهر فيهم المُوتان)[1] .

وقال : (لو بغىٰ جبل علىٰ جبل . . لدُكَّ الباغي) .

وقال : (إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطو عليك . . فقل : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أعز من خلقه جميعاً ، الله أعز مما أخاف وأحذر ، أعوذ بالله الذي لا إلـٰه إلا هو ، الممسك السماوات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، من شر عبده فلان ، وجنده ، وأتباعه ، وأشياعه من الجن والإنس ، اللهم ؛ كن لي جاراً من شرهم ، جل ثناؤك ، وعز جارك ، وتبارك اسمك ، ولا إلـٰه غيرك . ثلاث مرات) .

وروي : أنه ٱلتقىٰ عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاصي فقال له ابن عباس : أي آية في كتاب الله أرجىٰ عندك ؟ فقال : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، فقال ابن عباس : لـٰكن قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[2] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : قال الأئمة : أشار بهـٰذا إلىٰ أن المتبحر في هـٰذه العلوم يبتلىٰ بوساوس الشيطان ، فربما يخاف علىٰ دينه وإخلاصه ، فآمنه الله من ذلك بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام . انتهىٰ .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، قال : (شهادة أن لا إلـٰه إلا الله) .

وقال : (لوددت أن عندي رجلاً من أهل القَدَر فوجأت رأسه ، قالوا : لم ذاك ؟ قال : لأن الله تعالىٰ خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء ، دفتاه ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاث مئة نظرة ، يخلق بكل نظرة ، ويحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء) .

---

(١) المُوتَان : بوزن البطلان : الموت الكثير الوقوع .

(٢) وجد في هامش نسخة : (قلت : في هـٰذه المباسطة بمثل هـٰذا السؤال ، وحلم ربه عنه ، وعدم روعه إياه وزجره . . رجاء عظيم ، في أن الله تعالىٰ يغفر زلات العباد ، ويرفق بهم ، ويعفو عن كثير) .
والحديث أخرجه الحاكم (١/ ١٢٨) .

وقال : (عليك بالفرائض ، وما وظف الله عليك من حقه فأَدِّه ، واستعن الله تعالىٰ علىٰ ذلك ؛ فإنه لا يعلم من عبده صدق نية وحرصاً فيما عنده من حسن ثوابه . . إلا أخره الله تعالىٰ عما يكره ، وهو المالك يصنع ما يشاء سبحانه وتعالىٰ) .

وقال : (ما من مؤمن ولا فاجر . . إلا وقد كتب الله له رزقه من الحلال ، فإن صبر حتىٰ يأتيه . . آتاه الله ، وإن جزع فتناول شيئاً من الحرام . . نقصه الله من رزقه من الحلال) .

وقال : (يأتي على الناس زمان يُعرَج فيه بعقول الناس ، حتىٰ لا تجد فيه أحداً ذا عقل) انتهىٰ [« الحلية » ١/٣٢٣ـ٣٢٨] .

ثم قال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما رأيت أحداً أعلم من ابن عباس رضي الله عنهما بما سمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ، ولا أفقه منه ، ولا أعلم بتفسير القرآن وبالعربية والشعر والحساب والفرائض .

وكان يجلس يوماً للتأويل ، ويوماً للفقه ، ويوماً للمغازي ، ويوماً للشعر ، ويوماً لأيام العرب ، ولا رأيت عالماً قط جلس إليه . . إلا خضع له ، ولا سائلاً سأله . . إلا وجد عنده علماً . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٧٦] .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال : (قلوبهم بالخوف قرحة ، وأعينهم باكية من الخوف ، يقولون : كيف نفرح والموت وراءنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلىٰ جهنم طريقنا ، وبين يدي الله عز وجل موقفنا)[١] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (لا يقبل الله صلاة امرىء في جوفه حرام)[٢] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (عيادة المريض مرة سُنَّة ، فما ازددت . . فنافلة)[٣] .

روى الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه بسنده : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (يلتقي الخضر وإلياس عليهما السلام كل عام في الموسم ، فيحلق كل منهما رأس صاحبه ،

(١) الإحياء (٤/ ١٨٤) .
(٢) الإحياء (٢/ ٩١) .
(٣) الإحياء (٢/ ٢١٠) .

ويتفرقان عن هٰؤلاء الكلمات : « **باسم الله ما شاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ، باسم الله ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، باسم الله ما شاء الله ، وما بكم من نعمة فمن الله ، باسم الله ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** »من قالها . . حُفظ من كل آفة ، وعاهة ، وعدو ، وظالم ، وحاسد ، وشيطان ، وسلطان ، وحية ، وعقرب ، وما من أحد يقولها في يوم عرفة مئة مرة قبل غروب الشمس . . إلا ناداه الله تعالىٰ : أي عبدي ؛ قد أرضيتني ، ورضيت عنك ، فسلني ما شئت ، فوعزتي وجلالي ؛ لأعطينك ما سألت) انتهىٰ [« تاريخ دمشق » ٩/٢٠١] .

وقال في « **الاكتفاء** » : قال الزبير بن بكار : كان العباس ثوباً لعاري بني هاشم ، وجفنة لجائعهم .

وكان يمنع الجار ، ويبذل المال ، ويعطي في النوائب .

قال سعيد بن المسيب : كانت جفنته تدور علىٰ فقراء بني هاشم ، وكان يطعم الجائع ، ويؤدب السفيه .

قال الزهري : هٰذا والله هو السؤدد .

ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من بدرٍ . . استأذنه العباس رضي الله عنه أن يرجع إلىٰ مكة حتىٰ يهاجر منها ، فقال له : « اطمئن يا عم ، فإنك خاتم المهاجرين كما أنا خاتم النبيين » رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » [٥/٥٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجلُّ أحداً ما كان يُجلُّ العباس ، أو يكرم العباس .

وروي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى العباس . . أوسع له ، وقال : « هٰذا بقية آبائي »[(١)] .

وكان يُجلُّه إجلال الوالد ويقول : « لا ينبغي لنبي أن يُجلَّ إلا أباً أو عماً » .

ويقال : إن العباس رضي الله عنه لم يمر قط بعمر وعثمان رضي الله عنهما وهما راكبان . . إلا ترجّلا حتىٰ يجوزهما إذا كان ماشياً ، ويمشيان معه إلىٰ منزله .

وقد قال الفضل بن عباس بن عقبة ابن أبي لهب في الاستسقاء شعراً :

---

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » (١١/٨٠) .

بعمـي سقـى الله الحجـاز وأهلـه عشيـةَ يستسقـي بشيبتـه عُمَـرْ
تَوَجَّهَ بالعباس في الجدب راغباً إليـه فمـا أن رام حتـىٰ أتـى المطرْ
ومنـا رسـول الله فينـا تـراثـه فهـل فـوق هـٰذا للمفـاخـر مُفْتَخَرْ

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يحبَّ عمي هـٰذا ـ و أخذ بيد العباس يرفعها ـ لله عز وجل ولقرابته مني . . فليس بمؤمن »[1] انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣/ ٢١٨) .

ومنهم الإمام :

عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : يكنىٰ : أبا بكر ، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وكناه : أبا بكر .

أمه : أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة ، وأذَّن أبو بكر رضي الله عنه في أذنه ، وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة ، وعن أسماء : أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة ، قالت : فخرجت ، فأتيت المدينة ، فنزلتها بقباء ، ثم ولدته بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضعه في حجره ، ودعا بتمرة فمضغها ، ثم تفل في فيه ، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له ، وبرَّك عليه ، وكان أول مولود ولد في الإسلام[1] .

وعن مجاهد قال : ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس . . إلا تكلفه عبد الله بن الزبير .

ولقد جاء سيل طبق البيت ، فجعل عبد الله بن الزبير يطوف سباحة .

وكان إذا قام في الصلاة . . كأنه عود من الخشوع .

وكان يسجد حتىٰ تنزل العصافير علىٰ ظهره ، لا تحسبه إلا جذم حائط[2] .

وقال عمرو بن دينار : ما رأيت صلاة قط أحسن من صلاة ابن الزبير رضي الله عنه .

وكان يحيي الدهر أجمع ، ليلة قائماً حتىٰ يصبح ، وليلة يحييها راكعاً حتىٰ يصبح ، وليلة يحييها ساجداً حتىٰ يصبح .

---

(١) بالمدينة .

(٢) جذم الحائط : بقيته .

وكان يواصل الصيام سبعاً ، يصوم يوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرىٰ ، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة ، ويصوم بمكة ولا يفطر إلا بالمدينة ، وكان أول ما يفطر عليه لبن لقحة[1] وسمن بقر .

وكان يسمىٰ : حمامة المسجد .

وخطب بالموسم قبل يوم التروية فقال ـ بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ :

أما بعد : فإنكم جئتم من آفاق شتىٰ وفوداً إلى الله عز وجل ، فحق على الله أن يكرم وفده ، فمن جاء يطلب ما عند الله .. فإن طالب الله لا يخيب ، فصدقوا قولكم بفعل ؛ فإن ملاك القول بالفعل ، والنية النية ، القلوب القلوب ، الله الله في أيامكم هٰذه ؛ فإنها أيام تغفر فيها الذنوب .

وكتب إلىٰ وهب بن كيسان موعظة :

أما بعد : فإن لأهل التقوىٰ علامات يعرفون بها ، ويعرفونها من أنفسهم : مِنْ صبرٍ على البلاء ، ورضىً بالقضاء ، وشكرٍ للنعماء ، وذلٍّ لحكم القرآن ، وإنما الإمام كالسوق ، ما نفق فيها حمل إليها ، إن نفق الحق عنده .. حمل إليه وجاءه أهل الحق ، وإن نفق الباطل عنده .. حمل إليه وجاءه أهل الباطل .

ولما كانت الغداة التي قتل فيها ابن الزبير رضي الله عنه .. دخل علىٰ أمه ، وهي يومئذ ابنة مئة سنة لم يسقط لها سن ، فقالت : يا عبد الله ؛ ما فعلتَ في حربك ؟ قال : بلغوا مكان كذا وكذا ، وضحك ، وقال : إن في الموت لراحة ، فقالت أسماء : يا بني ؛ لعلك تتمناه لي ؟ ما أحب أن أموت حتىٰ آتي علىٰ أحد طرفيك ، إما أن تملك .. فتقر بذلك عيني ، وإما أن تقتل .. فأحتسبك ، ثم ودعها ، فقالت له : يا بني ؛ إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل ، فخرج عنها ، وأنشأ يقول :

ولســـت بمبتـــاع الحيـــاة بسبـــة ولا مرتق من خشية الموت سلما

قال : والله ؛ ما لقيت زحفاً قط .. إلا كنت في الرعيل الأول ، ثم حمل عليهم ، فأصابته آجرة في مفرقه ، فلقت رأسه فوقف قائماً ، وهو يقول :

---

(١) **اللَّقِحة** : الناقة القريبة العهد بالنتاج .

ولسنا على الأعقاب تَدمىٰ كُلومنا ولـٰكن علىٰ أقدامنا تقطر الدما

وعن عروة قال : قلت لعبد الله بن الزبير : والله ؛ إن أخذوك . . قطعوك إرباً إرباً ، فقال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً علىٰ أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإلـٰه وإن يشأ يبارك علىٰ أوصال شلو ممزع

قال : فعلمت أنه لا يمكِّن من نفسه .

وعن مجاهد قال : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما ، فمر على ابن الزبير رضي الله عنه ، فوقف عليه ، فقال : (رحمك الله ؛ فإنك كنت ـ ما علمتُ ـ صواماً ، قواماً ، وصولاً للرحم ، وإني لأرجو ألاَّ يعذبك الله عز وجل) .

قال الواقدي : أُحصِر ابن الزبير ليلة إهلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ستة أشهر وسبع عشرة ليلة ، ونصب الحجاج المنجنيق يرمي به أحث الرمي ، وألح عليهم بالقتال من كل وجه ، وحبس عنهم الميرة[1] ، وحصرهم أشد الحصار ، فقامت أسماء رضي الله عنها يوماً ، فصلَّت ودَعت ، فقالت : ([اللهم ؛ لا تخيب عبد الله بن الزبير] ، اللهم ؛ ارحم ذلك السجود والنحيب والظمأ في تلك الهواجر) .

وقتل يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولىٰ ، سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٣٤٤ـ٣٤٨] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن عبد الله بن الزبير : أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم ، فلما فرغ . . قال : « يا عبد الله ؛ اذهب بهـٰذا الدم ، فأهرقه حيث لا يراك أحد » ، فلما برزت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . عمدت إلى الدم فحسوته ، فلما رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم . . قال : « ما صنعت يا عبد الله ؟ » قلت : جعلته في مكان ظننت أنه خافٍ على الناس ، قال : « فلعلك شربته ؟ » قلت : نعم ، قال : « لِمَ ؟ » قلت : أحببت أن يكون دم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوفي ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تمسّك النار إلا قَسَمُ اليمين »[2] .

---

(١) الميرة : الطعام .

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم (٣/ ٦٣٨) ، قَسَمُ اليمين : قسمُ الله تعالىٰ في قوله : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ .

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر : أن معاوية أخبر : أن عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمـٰن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ، خرجوا من المدينة عائذين بالكعبة من بيعة يزيد بن معاوية ، فلما قدم معاوية مكة . . تلقاه عبد الله بن الزبير بالتنعيم ، فضاحكه معاوية ، وسأله عن الأموال ، ولم يعرِّض بشيء من الأمر الذي بلغه ، ثم لقي عبد الله بن عمر وعبد الرحمـٰن بن أبي بكر ، فتفاوضا معه في أمر يزيد ، ثم دعا معاويةُ ابنَ الزبير ، فقال له : هـٰذا صنيعك ، أنت استزللت هـٰذين الرجلين ، وسننت هـٰذا الأمر ، وإنما أنت ثعلب رواغ لا تخرج من جُحْر . . إلا دخلت في آخر ، فقال ابن الزبير : ليس بي شقاق ، ولـٰكن أكره أن أبايع رجلين ، أيكما أطيع بعد أن أعطيتكما العهود والمواثيق ؟ فإن كنت مللت الإمارة . . فبايع ليزيد ، فنحن نبايعه معك ، فقام معاوية حين أبوا عليه ، فقال : ألا إن أحاديث الناس ذات غور ، وقد كان بلغني عن هـٰؤلاء الرهط أحاديث وجدتها كذباً ، وقد سمعوا وأطاعوا ودخلوا في صالح ما دخلت فيه الأمة .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (كان ابن الزبير عفيفاً في الإسلام ، قارئا للقرآن ، أبوه الزبير ، وأمه أسماء ، وجدُّه أبو بكر ، وعمته خديجة ، وجدَّته صفية ، وخالته عائشة ، والله ؛ لأحاسبن له نفسي محاسبة كثيرة) انتهىٰ [« الحلية » ١/ ٣٣٠ـ٣٣٥] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : قسم ابن الزبير رضي الله عنهما الدهر ثلاث ليالٍ : ليلة يصلي قائماً حتى الصباح ، وليلة راكعاً [حتى الصباح] ، وليلة ساجداً حتى الصباح .

وغزا عبد الله بن الزبير إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فأتاهم ملك إفريقية في مئة ألف وعشرين ألفاً ، وكان المسلمون عشرين ألفاً ، فسقط في أيديهم ، فنظر ابن الزبير ملكهم قد خرج من عسكره ، فأخذ ابن الزبير جماعة ، فقصده وقتله ، وكان الفتح علىٰ يديه .

ولما مات يزيد بن معاوية في منتصف شهر ربيع الأول سنة أربع وستين . . بويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة ، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وجدد عمارة الكعبة ، وبقي في الخلافة إلىٰ أن حصره الحجاج بمكة في أول ليلة من ذي الحجة سنة ثنتين وسبعين ، وحج الحجاج بالناس ، ولم يزل يحاصره إلىٰ أن قتله يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولىٰ سنة ثلاث وسبعين .

وكان أطلس لا لحية له .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون حديثاً ، اتفقا علىٰ ستة ، وانفرد مسلم بحديثين .

روىٰ عنه : أخوه عروة ، وابن أبي مليكة ، وعباس بن سهل ، وثابت البناني ، وعطاء ، وخلائق .

وهو أحد العبادلة ، وهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ، هٰكذا سماهم أحمد ابن حنبل وسائر المحدثين وغيرهم ، فقيل لأحمد : فأين ابن مسعود ؟ قال : ليس هو منهم .

قال البيهقي : لأنه تقدمت وفاته ، وهٰؤلاء عاشوا زمناً طويلاً حتى احتيج إلىٰ علمهم ، فإذا اتفقوا علىٰ شيء . . قيل هٰذا قول العبادلة أو فعلهم ، ويلتحق بابن مسعود في هٰذا سائر المُسَمَّيْن بعبد الله ، وهم نحو مئتين وعشرين .

وأما قول الجوهري في « صحاحه » : أن ابن مسعود أحد العبادلة الأربعة ، وأخرج ابنَ عمرو بن العاصي . . فغلط ظاهر ، نبهت عليه ؛ لئلا يُغْتَرَّ به . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٦٦ـ٢٦٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

سالم مولىٰ أبي حذيفة
رضي الله عنه

قال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : وهو من فضلاء الصحابة والمهاجرين .

أعتقته مولاته امرأة أبي حذيفة الأنصارية ، فتولاه أبو حذيفة ، وتبناه ، فيقال له : قرشي ، وأنصاري ، وفارسي .

وفي « الصحيح » : أنه هاجر من مكة إلى المدينة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يؤم المهاجرين بالمدينة ؛ لأنه كان أكثرهم قرآناً[1] .

والأحاديث الصحيحة في فضله كثيرة .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يثني عليه ثناء كثيراً ، حتىٰ قال حين أوصىٰ قبل وفاته : (لو كان سالم حياً . . ما جعلته شورىٰ) .

قال أبو عمر ابن عبد البر : معناه : أنه كان يصدر عن رأيه فيمن ينجز له تولية الخلافة .

وآخىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاذ بن ماعض .

وكان أبو حذيفة قد زوجه بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، وهي من المهاجرات ، وكانت من أفضل الأيامىٰ .

وثبت في « الصحيح » : أن سهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة أبي حذيفة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ؛ إن سالماً بلغ مبلغ الرجال ، وعقل ما يعقلون ، وإنه يدخل علينا ، وإني أظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً ، فقال : « أرضعيه . . تحرمي عليه ، ويذهب ما في نفس أبي حذيفة » ، فرجعت إليه ، فقالت : إني

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠) .

أرضعته ، فذهب الذي في نفس أبي حذيفة(١) .

وشهد سالم المشاهد كلها ، وقتل يوم اليمامة شهيداً ، وكان لواء المسلمين معه يومئذ ، فقيل له : لو أعطيته غيرك ، نخشىٰ عليه معك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً ، فقاتل ، فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره ، فقطعت يساره ، فاعتنق اللواء ، وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ، فلما صرع . . قال لأصحابه : ما فعل أبو حذيفة ؟ قالوا : قتل ، قال : فما فعل فلان ؟ قالوا : قتل ، قال : فأضجعوني بينهما ، فلما قتل . . أرسلوا ميراثه إلىٰ معتقته ثبيتة(٢) ، فلم تقبله ، وقالت : إنما أعتقته سائبة ، فجعلوا ميراثه في بيت المال .

روىٰ عنه : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ، وغيرهما ، رضي الله عنهم .

رُوِّينا في صحيحي « البخاري » [٣٥٩٧] و« مسلم » [٢٤٦٤] عن مسروق قال : ذُكر [عند] عبد الله بن عمرو عبدُ الله بن مسعود فقال : لا أزال أحبه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خذوا القرآن من عبد الله ، وسالم مولىٰ أبي حذيفة ، ومعاذ ، وأُبي بن كعب » وفي رواية : تقديم أُبي علىٰ معاذ رضي الله عنهم . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٠٦ـ٢٠٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥٣) .
قال النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٠/ ٣٠ـ٣١) : اختلف العلماء في هٰذه المسألة ، فقالت عائشة وداوود : تثبت حرمة الرضاع برضاع البالغ ، كما تثبت برضاع الطفل ؛ لهٰذا الحديث .
وقال سائر العلماء من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار إلى الآن : لا يثبت إلا بإرضاع من له دون سنتين إلا أبا حنيفة ، فقال : سنتين ونصف ، وقال زفر : ثلاث سنين ، وعن مالك رواية سنتين وأيام .
واحتج الجمهور بقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ وبالحديث الذي ذكره مسلم بعد هٰذا [١٤٥٥] : « إنما الرضاعة من المجاعة » ، وبأحاديث مشهورة ، وحملوا حديث سهلة علىٰ أنه مختص بها وسالم ، وقد روىٰ مسلم عن أم سلمة وسائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهن خالفن عائشة في هٰذا ، والله أعلم . .
(٢) في ثُبيتة بنت يَعار الأنصارية ، زوجة أبي حذيفة بن عتبة .

ومنهم الإمام أمير المؤمنين :

الحسن بن علي
رضي الله عنهما

قال أبو الفرج ـ رحمه الله : يكنىٰ : أبا محمد ، ولد في النصف من رمضان ، سنة ثلاث من الهجرة ، وأذَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أُذنه .

وكان له من الولد خمسةَ عشر ذكراً ، وثماني بنات . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٣٤٢] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : روى الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروت عنه عائشة ، وروىٰ عنه جماعات من التابعين ، منهم : ابنه الحسن بن الحسن ، وغيره في آخرين ، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الحسن ، وعق عنه يوم سابعه ، وحلق شعره ، وأمر أن يُتَصَدق بزنة شعره فضة ، وهو خامس أهل الكساء[(١)] .

قال أبو أحمد العسكري : كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا محمد ، ولم يكن هٰذا الاسم يعرف في الجاهلية .

ثم روىٰ عن ابن الأعرابي ، عن المفضل قال : إن الله تعالىٰ حجب اسم الحسن والحسين حتىٰ سمىٰ بهما النبي صلى الله عليه وسلم ابنيه الحسن والحسين .

وأرضعته أم الفضل امرأة العباس مع ابنها قثم بن العباس .

وكان حليماً كريماً ورعاً ، دعاه ورعه وحلمه إلىٰ أن ترك الدنيا والخلافة لله عز وجل .

وكان من المبادرين إلىٰ نصرة عثمان رضي الله عنه .

وولي الخلافة بعد قتل أبيه ، لثلاث عشرة بقيت من رمضان ، وبايعه أكثر من أربعين ألفاً كانوا بايعوا أباه ، وبقي نحو سبعة أشهر خليفة بالحجاز ، واليمن ، والعراق ، وخراسان ، وغير ذلك ، ثم سار إليه معاوية من الشام ، وسار هو إلىٰ معاوية ، فلما تقاربا . علم أنه لن

---

(١) **أهل الكساء :** هم الذين أدخلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت كساءٍ له خيبري ، ودعا الله عز وجل لهم وقال : « اللهم ؛ أهل بيتي أذهب الرجس عنهم ، وطهرهم تطهيراً » .

تغلب إحدى الطائفتين حتىٰ يُقتل أكثر الأخرىٰ ، فأرسل إلىٰ معاوية يبذل له تسليم الأمر ، علىٰ أن تكون الخلافة له بعده ، وعلىٰ ألاَّ يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه ، وغير ذلك من القواعد ، فأجابه معاوية إلىٰ ما طلب ، فاصطلحا علىٰ ذلك ، وظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم للحسن : « إن ابني هـٰذا سيد ، يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »[1] .

قيل : كان صلحهما لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدىٰ وأربعين .

رُوِّينا في « صحيح مسلم » [٢٤٢١] : عن البراء قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن علىٰ عاتقه ، وهو يقول : « اللهم ؛ إني أُحِبُّه فأَحِبَّه » .

وفي « البخاري » [٥٦٥٧] : عن أسامة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني علىٰ فخذه ، ويقعد الحسن علىٰ فخذه الأخرىٰ ، ثم يضمهما ، ثم يقول : « اللهم ؛ إني أرحمهما فارحمهما » .

وفي « البخاري » [٢٥٥٧] : عن أبي بكرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ، والحسن إلىٰ جنبه ، وهو ينظر إلى الناس مرة ، وإليه مرة ، ويقول : « إن ابني هـٰذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

وفيه [٣٥٤٢] : أيضاً عن أنس قال : لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي .

وفيه [٣٥٤٣] : عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « هما ريحانتاي من الدنيا » يعني : الحسن والحسين .

وفيه [٣٥٠٩] : عن ابن عمر قال : قال أبو بكر : (ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته) .

وفي « مسلم » [٢٤٠٨] : عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله ، فيه الهدىٰ والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث علىٰ كتاب الله ورغب ، ثم قال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله تعالىٰ في أهل بيتي » .

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » رواه الترمذي [٣٧٦٨] وقال : حديث حسن صحيح .

وعن أسامة بن زيد قال : جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فخرج وهو مشتمل علىٰ شيء ، قلت : ما هٰذا ؟ فكشفه ، فإذا حسن وحسين علىٰ وركيه ، فقال : « هٰذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم ؛ إني أحبُّهما فأحبَّهما ، وأَحِبَّ من يحبهما » رواه الترمذي [٣٧٦٩] ، وقال : حديث حسن [انتهىٰ « التهذيب » ١/١٥٨ـ١٦٠] .

ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله عنه .

وقال أبو الفرج : عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً الحسن بن علي علىٰ عاتقه ، وهو يقول : « اللهم ؛ إني أحبه فأحبه » .

وعن عقبة بن الحارث قال : خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بليال ، وعلي يمشي إلىٰ جنبه ، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان ، فاحتمله أبو بكر علىٰ رقبته ، وقال : بأبي شبهاً بالنبي لا شبهاً بعلي ، وعلي يضحك .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن بن علي إلىٰ جنبه ، وهو يقبِل على الناس مرة ، وعليه أخرىٰ ، ويقول : « إن ابني هٰذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وعن أنس قال : (كان الحسن بن علي رضي الله عنهما أشبههم وجهاً برسول الله صلى الله عليه وسلم) .

وسمع الحسن رجلاً يسأل الله عز وجل أن يرزقه عشرة آلاف ، فانصرف الحسن وأرسل بها إليه .

قال الحسن : (إني لأستحيي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلىٰ بيته) ، فمشىٰ عشرين مرة من المدينة علىٰ رجليه ، وفي رواية : خمسة عشر حجة ماشياً ، وإن الجنائب[١] لتقاد معه .

وخرج من ماله لله تعالىٰ مرتين ، وقاسم الله تعالىٰ ثلاث مرات ، حتىٰ إن كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً .

---

(١) الجنائب : جمع جنيبة ، وهي : الدابة المقودة إلى الجنب من الخيل وغيرها .

ودخل عليه رجل يعوده ، فقال له : سلني ، قال : لا ، والله ؛ لا نسألك حتىٰ يعافيك الله تعالىٰ ، فقال له : سلني قبل ألاَّ تسألني ، قد ألقيت طائفة من كبدي ، وإني قد سُقيتُ السم مراراً ، فلم أُسقَ مثل هٰذه المرة ، ثم دخل عليه في الغد ، فوجده يجود بنفسه والحسين عند رأسه ، فقال : يا أخي ؛ من تتهم ؟ قال : لِمَ ؟ قال : لنقتله ، قال : إن يكن الذي أظن . . فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وإن لا يكون . . فما أحب أن يقتل بي بريء ، ثم قبض ، رحمه الله تعالىٰ .

ولما نزل به الموت . . قال : أخرجوا فراشي إلىٰ صحن الدار ، فأخرج ، فقال : (اللهم ؛ إني احتسبت نفسي عندك ؛ فإني لم أصب بمثلها) .

توفي لخمس ليال بقين من ربيع الأول سنة خمسين ، ودفن بالبقيع ، رضوان الله تعالىٰ عليه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/ ٣٤٢-٣٤٣] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : قال أبو هريرة رضي الله عنه : ما رأيت الحسن قط . . إلا فاضت عيناي دموعاً ، وذلك أنه أتىٰ يوماً يشتد حتىٰ قعد في حِجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول بيديه هٰكذا في لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ، ثم يدخل فمه في فمه ، ويقول : « اللهم ؛ إني أحبه فأحبه ، وأَحِبَّ من يحبه » . ثلاث مرات .

وعن مجالد ، عن الشعبي قال : شهدت الحسن بن علي حين صالحه معاوية ، فقال له معاوية : قم فأخبر الناس أنك تركت لي هٰذا الأمر وسلمته ، فقام الحسن ، فحمد الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه ، ثم قال :

أما بعد : فإن أكيس الكيسِ التقىٰ ، وأحمق الحمق الفجور ، وإن الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن هٰذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية ، إما أن يكون حق امرىء . . فهو أحق به مني ، وإما أن يكون حقاً هو لي . . فقد تركته إرادة إصلاح الأمة وحقن دمائها ، ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ، ثم نزل .

ومن كلام الحسن : (كن في الدنيا ببدنك ، وفي الآخرة بقلبك) انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٣٥-٣٧] .

وعن علي بن جعفر بن محمد قال : حدثني أخي موسىٰ ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه أخذ الحسن والحسين فقال : « من أحبني ، وأحب هٰذين ، وأحب أباهما ،

وأمهما . . كان معي في درجتي يوم القيامة » رواه الترمذي [٣٧٣٣] .

واشترى الحسن رضي الله عنه حائطاً من قوم من الأنصار بأربع مئة ألف درهم ، ثم إنه بلغه أنه محتاج إلىٰ ما في أيدي الناس ، فرد الحائط إليهم ، وقال : أنتم أحق به منا ، ولم يأخذ له ثمناً .

ومن جوده : أنه لم يقل لسائل قط : لا ، ولم يعط عطية . . إلا شفع له بمثلها ، ولم يأنس به أحد قط فأحوجه إلىٰ غيره ، وكان يقول لبنيه وبني أخيه : (يا بني وبني أخي ؛ تعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه ـ أو قال : يرويه ـ فليكتبه ، وليضعه في بيته) والله أعلم .

وقال أرباب السير : لما تزوج علي رضي الله عنه بالبصرة . . جلس علىٰ سريره ، وأقعد الحسن عن يمينه ، والحسين عن يساره ، وجلس محمد بن الحنفية دون السرير ، فخاف أن يجد من ذلك ، فقال له : (يا بني ؛ أنت ابني ، وهـٰذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

الحسين بن علي
رضي الله عنهما

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : ولد الحسين رضي الله عنه في شعبان سنة أربع من الهجرة .

وكان له من الولد : علي الأكبر ، وعلي الأصغر وله العقب ، وجعفر ، وفاطمة ، وسكينة .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هما ريحانتاي من الدنيا » يعني : الحسن والحسين .

وعن علي رضي الله عنه قال : (كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك) .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »(١) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : حج الحسين بن علي رضي الله عنهما ـ ونجائبه تقاد معه ـ خمساً وعشرين حجة ماشياً .

وقتل شهيداً رضي الله عنه يوم الجمعة يوم عاشوراء في المحرم ، سنة إحدىٰ وستين ، وهو ابن ست وخمسين سنة وخمسة أشهر ، وقيل : ابن ثمان وخمسين ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ١/٣٤٣ـ٣٤٤] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : قالوا : إن عمرو بن العاصي كان يوماً عند معاوية وثَم جماعة من الأشراف ، فقال معاوية : مَنْ أكرم الناس أباً وأماً ، وجداً وجدة ، وعماً وعمة ، وخالاً وخالة ؟ فقال النعمان بن عجلان : الحسن والحسين ،

---

(١) تقدمت هٰذه الأحاديث في الترجمة السابقة .

أبوهما : علي بن أبي طالب ، وأمهما : فاطمة ، وجدهما : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدتهما : خديجة ، وعمهما : جعفر ، وعمتهما : أم هانىء ابنة أبي طالب ، وخالهما : القاسم ، وخالتهما : زينب ، رضي الله عنهم أجميعن .

وقال أهل السير : إن الله عز وجل قتل بسبب يحيى بن زكريا خمسة وسبعين ألفاً ، قال بعض العلماء : إن ذلك دية كل نبي ، ويقال : إن الله تعالىٰ أوحىٰ إلى النبي صلى الله عليه وسلم أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، ولأقتلن بالحسين ابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً[1] .

وروى الحافظ البيهقي رضي الله عنه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ، ثم يقول : « كان أبوكم إبراهيم يعوذ بها إسماعيل وإسحاق »[2] صلوات الله عليهم أجمعين .

ومن كلام أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه : (**اعلموا : أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عز وجل عليكم ، فلا تملوا النعم ، فتعود نقماً ، واعلموا : أن المعروف يُكسِب حمداً ، ويُعقِب أجراً ، فلو رأيتم المعروف رجلاً . . لرأيتموه رجلاً حسناً جميلاً ، يسر الناظرين ، ويفوق العالمين ، ولو رأيتم اللؤم رجلاً . . لرأيتموه سمجاً مشوهاً ، تنفر منه القلوب ، وتغض دونه الأبصار ، ومن جاد . . ساد ، ومن بخل . . رذل ، ومن تعجل لأخيه خيراً . . وجده إذا قدم عليه غداً**) .

وعن عبد الله بن يحيىٰ ، عن أبيه : أنه سار مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فلما حاذىٰ شط الفرات . . قال : صبراً أبا عبد الله ، قلت : وما ذاك ؟ قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تفيضان ، فقلت : مما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : « قام من عندي جبريل عليه الصلاة والسلام ، وأخبرني : أن الحسين يقتل بشط الفرات ، وقال : هل لك أن أُشِمك من تربته ؟ فقلت : نعم ، فقبض قبضة من تراب ، فأعطانيها ، فلم أملك عيني أن فاضتا » رواه أحمد في « مسنده »[3] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٩) .
(٢) وأخرجه ابن حبان (٣/ ٢٩١) .
(٣) في « المسند » (١/ ٨٥) .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه : « لا تُبَكُّوا هـٰذا الصبي » يعني : حسيناً ، فكان يوم أم سلمة ، فنزل جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدعي أحداً يدخل » ، فجاء الحسين ، فمنعته ، فبكىٰ ، فخلَّتْهُ ، فدخل حتىٰ قعد في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال جبريل عليه السلام : إن أمتك ستقتله ، قال : « يقتلونه وهم مؤمنون بي ؟! » قال : نعم ، وأراه تربته)(١) .

زاد في رواية : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جبريل ؛ أفلا أراجع فيه ربي عز وجل ؟ قال : لا ، إنه أمر قد قضي وفرغ منه » .

وروي : أنه لما قتل الحسين رضي الله عنه . . احتزوا رأسه ، وقعدوا في أول مرحلة يشربون ، فخرج عليهم من حائط قلم حديد ، فكتب عليه سطراً بدم :

أترجو أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحسابِ

وذكر أبو بكر ابن الأنباري : أن زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما لما قتل أخوها الحسين رضي الله عنهما . . أخرجت رأسها من الخباء ، وأنشدت رافعة صوتها :

ماذا تقولون إن قال النبي لكمْ ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأممِ
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارىٰ ومنهم ضُرِّجوا بدمِ
ما كان هـٰذا جزائي إذ نصحت لكمْ ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقد رثاه الناس فأكثروا فيه المراثي ، فمن ذلك :

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة ... بفقد حسينٍ والبلادَ اقشعرتِ

وكتب عبد الملك إلى الحجاج : إياك ودماء آل أبي طالب ؛ فإني رأيت بني حرب لما قتلوا حسيناً . . نزع الله الملك منهم .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في « الأوسط » (٦/ ٢٤٩) .

ذكر جمع من المصطَفَيات
الصحابيات رضوان الله عليهن

فمنهن أم المؤمنين :

خديجة بنت خويلد
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج في تجارة لها ، فلما قدم صلى الله عليه وسلم . . رأته وهو قادم ، وعليه غمامة تظله ، فتزوجته ، وكانت قد تزوجت قبل ذلك زوجين ، وكانت يوم تزويجها بالنبي صلى الله عليه وسلم بنتَ أربعين سنة .

ثم جاءته الرسالة ، فأسلمت ، فهي أول امرأة أسلمت وآمنت بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ولم يتزوج غيرها حتىٰ ماتت .

وجميع أولاده صلى الله عليه وسلم منها ، سوىٰ إبراهيم عليه السلام ؛ فإنه من مارية .

وعن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خير نسائها . . مريم بنت عمران ، وخير نسائها . . خديجة »[(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (أتىٰ جبريل عليه الصلاة والسلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ هٰذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك . . فاقرأ عليها السلامَ من ربها عز وجل ، وقل لها : إن الله يبشرك ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[(٢)] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت علىٰ أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت علىٰ خديجة ، وما رأيتها ، ولٰكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثم يقطعها أعضاءً ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٩) .
(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٧٠٥٩) ، ومسلم (٢٤٣٢) .

له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ، فيقول : « إنها كانت. . . وكانت. . . وكان لي منها ولد »[1] .

وعنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج من البيت حتىٰ يذكر خديجة ، فيحسن عليها الثناء ، فذكرها يوماً ، فأدركتني الغَيرة ، فقلت : هل كانت إلا عجوزاً ، وقد أخلف الله لك خيراً منها ؟ قالت : فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : « والله ؛ ما أخلف الله لي خيراً منها ، لقد آمنت إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني أولادها إذ حرمني أولاد الناس » ، فقلت بيني وبين نفسي : لا أذكرها بسوء أبداً)[2] .

توفيت رضي الله عنها بعد أن مضىٰ من النبوة عشر سنين ، وهي بنت خمس وستين سنة .

قال حكيم بن حزام : دفناها بالحجون ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها ، ولم يكن يومئذ سنة الجنائز الصلاة عليها . انتهىٰ [في « الصفوة » ٢/٣ـ٤] .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزاً دخلت عليه ، فقيل له في ذلك ، فقال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن كرم العهد من الإيمان »[3] [انتهىٰ « الإحياء » ٢/١٨٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٧) .
(٢) أخرجه بنحوه أحمد (٦/ ١١٧) .
(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٦٢) .

ومنهن سيدة نساء العالمين :

فاطمة بنت سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : فاطمة بنت خديجة رضي الله عنهما ، ولدتها وكانت قريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين .

وهي أصغر بناته صلى الله عليه وسلم سناً .

وتزوجها علي رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة في رمضان ، وبنىٰ بها في ذي الحجة ، وقيل : تزوجها في رجب ، فولدت له : الحسن ، والحسين ، وزينب ، وأم كلثوم ، فتزوج زينب عبد الله بن جعفر ، وتزوج أمَّ كلثوم عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه .

وزاد ابن إسحاق في أولاد فاطمة رضي الله عنها محسناً ، مات صغيراً .

وعن علي رضي الله عنه أنه قال : (لقد تزوجت فاطمة رضي الله عنها وما لي ولها فراش غير جلد كبش ، ننام عليه بالليل ، ونعلف عليه الناضح بالنهار ، ومالي ولها خادم) .

وعن علي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة رضوان الله تعالىٰ عليهما . . بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحائين ، وسقاء وجرتين ، فقال علي لفاطمة ذات يوم : قد جاء الله أباكِ صلى الله عليه وسلم بسبْيٍ ، فاذهبي فاطلبي منه خادماً ، فقالت : أمَا والله ؛ لقد طحنت حتىٰ مَجِلت يداي[1] ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما جاء بك أي بنية ؟ » قالت : جئت لأسلم عليك ، واستحيت أن تسأله ورجعت ، فقال : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ، فأتياه جميعاً ، فقال علي : يا رسول الله ؛ قد جاءك الله بسَبْيٍ وسعة فأخدمنا ، فقال : « والله ؛ لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تُطوىٰ بطونهم لا أجد ما أُنفق عليهم ، ولـٰكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم » . فرجعا ، فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما ، إذا

(١) مجلت يداي : إذا ثخن جلدها وتعجر ، وظهر فيها ما يشبه البَثْر من كثرة العمل .

غطيا رؤوسهما . . تكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما . . تكشفت رؤوسهما ، فثارا ، فقال : مكانكما ، ثم قال : « ألا أخبركما بخير مما سألتماني ؟ » قالا : بلىٰ ، قال : « كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام : تسبحان الله في دبر كل صلاة عشراً ، وتحمدان الله عشراً ، وتكبران الله عشراً ، وإذا أويتما إلىٰ فراشكما . . فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين » .

قال علي رضي الله عنه : فوالله ؛ ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ولا ليلة صفين ؟ قال : ولا ليلة صِفِّين[١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (أقبلت فاطمة رضوان الله عليها كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مرحباً بابنتي » ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر إليها حديثاً فبكت ، فقلت لها : استخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه ثم تبكين ، ثم أسر إليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ، فسألتها عما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتىٰ إذا قبض صلى الله عليه وسلم . . سألتها ، قالت : أمّا الآن . . فنعم ؛ إنه أسر إلي فقال : « إن جبريل عليه السلام كان يعارضني القرآن في كل عام مرة واحدة ، وإنه عارضني به العام مرتين ، ولا أراه إلا وقد حضر أجلي ، وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ، ونِعم السلف أنا لك » ، فبكيتُ لذلك » ، ثم قال : « ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هـٰذه الأمة ، أو نساء المؤمنين ؟ » قالت : فضحكت لذلك)[٢] .

وعن المسور بن مخرمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها ، فمن أحبها . . أحبني ، ومن أبغضها . . أبغضني »[٣] .

وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : « إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن يُنكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلِّق ابنتي وينكح ابنتهم ؛ فإنها بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها »[٤] .

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (١/١٠٦) ، وبعضه في « الصحيح » .
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٢٨) ، ومسلم (٢٤٥٠) .
(٣) أخرجه بنحوه البخاري (٤٩٣٢) ، ومسلم (٢٤٤٩) .
(٤) أخرجه بنحوه أحمد (٤/٣٢٨) .

وعن عطاء رضي الله عنه قال : إن كانت فاطمة رضوان الله عليها لتعجن ، وإن قصتها تكاد تضرب الجفنة[1] .

توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر ، في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان ، سنة إحدىٰ عشرة ، وهي ابنة ثمان وعشرين سنة ونصف ، غسلها علي وأسماء رضوان الله عليهم ، وصلىٰ عليها علي رضي الله عنهما ، ودفنت ليلاً رضي الله عنها . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٤-٧] .

قال أرباب السير : لما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بفاطمة رضوان الله عليهما . . قال : « يا علي ؛ لا تحدث شيئاً حتىٰ تلقاني » ، فدعا بماء فتوضأ منه ، ثم أفرغ علىٰ علي ، وقال : « اللهم ؛ بارك فيهما ، وبارك عليهما ، وبارك لهما في شملهما »[2] .

زاد في رواية : (ونضح عليه من الماء) .

وفي رواية : قال لعلي : « إذا بنيت بها . . فلا تقربنها حتىٰ آتيك » فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدق الباب ، فخرجت إليه أم أيمن ، فقال لها : « أثَمَّ أخي ؟ » قالت : وكيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك ؟ قال : « فإنه أخي » ، ثم أقبل عليها ، فقال لها : « جئت تكرمين ابنة رسول الله » ، فدعا لها ، وقال لها خيراً ، قالت : ثم دخل . وكانت اليهود يُؤَخِّذونَ الرجل[3] عن امرأته إذا دخل بها ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتَوْر من ماء[4] ، فتفل فيه وعوَّذ فيه ، ثم دعا علياً فرشَّ من ذلك الماء علىٰ وجهه وصدره وذراعيه ، ثم دعا فاطمة رضي الله عنها ، فأقبلت تعثر في ثوبها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل بها مثل ذلك ، ثم قال لها : « إني والله ؛ ما آلوت أن أزوجك خير أهلي » ، ثم قام فخرج[5] .

زاد في رواية : قال علي : أردت أن أخطب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكرت أنه لا شيء لي ، ثم ذكرت صلته وعائدته ، فخطبت إليه ، فقال : « هل لك من شيء ؟ » قلت : لا ، قال : « أين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » قلت : عندي ،

---

(١) القصة بالضم : كل خصلة من الشعر أو شعر مقدم الرأس خاصة ، والجفنة : القصعة .

(٢) أخرجه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦/ ٧٢) .

(٣) التَّأخيذ : هو حبس النساء أزواجهن عن غيرهن من النساء بالسِّحر .

(٤) التَّوْر : إناء يشرب فيه .

(٥) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٥/ ١٤٤) .

قال : « فأعطها » ، وزوجَني ، فلما كان ليلة دخلَتْ عَلَيَّ . . قال : « لا تحدثن شيئاً حتىٰ آتيكما » ، قال : فأتانا وعلينا قطيف كساء ، فخشينا ، فقال : « مكانكما » ، ثم دعا بقدح من ماء فتوضأ فيه ، ثم رشه عَلَيَّ وعليها ، فقلت : يا رسول الله ؛ أنا أَحَبُّ إليك أم هي ؟ قال : « هي أحب إلي وأنت أعز منها »[١] انتهىٰ .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : ما رُئِيَتْ فاطمة رضوان الله عليها ضاحكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يوماً .

ومكثت بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، ثم توفيت .

وعنها ، أنها قالت لأسماء[٢] : يا أسماء ؛ إني قد استقبحت هٰذا الذي يصنع بالنساء ، يطرح على المرأة الثوب فيصفها ، فقالت أسماء : يا بنت رسول الله ؛ ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة ، فَحَنَتْها ، ثم طرحت عليها ثوباً ، فقالت فاطمة رضي الله عنها : ما أحسن هٰذا وأجمله ، تعرف به المرأة من الرجل ، فإذا أنا مت . . فغسليني أنت وعليٌّ ، ولا يدخل عَلَيَّ أحد ، ثم اصنعي بي هٰكذا . فلما توفيت رضوان الله عليها . . صنع بها ما أمرت بعد أن غسلها علي وأسماء رضي الله عنهم ، والله أعلم . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٤٣] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ :

خاتمة

قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ .

إعلم : أن الكلام علىٰ هٰذه الآية من وجوه ، نذكر منها ما يتعلق بالغرض المطلوب هٰهنا ، وهو : أن قوله تعالىٰ : ﴿ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ هل المراد به نساء هٰذه الأمة فقط ؟ أو نساء العالمين من هٰذه الأمة وغيرها ؟ فيه احتمالان ، وهما وجهان في المذهب ، فأحدهما ما يفهم من قوله : ﴿ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ ، وكل من الاحتمالين له مساغ ، أما القول بالعموم وهو الاحتمال الظاهر . . فقد استدل عليه بأمور :

منها : أن القاعدة في اسم الجنس المحلىٰ بالألف واللام أنه يفيد العموم ، والنساء هنا : اسم الجنس محلىٰ بالألف واللام ، فاستغرق عموم النساء ، لٰكن لقائل أن يقول : إن مريم

---

(١) أخرجه الحميدي (١/ ٢٢) .

(٢) هي أسماء بنت عميس ، وكانت قد هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة .

ابنة عمران وأم موسىٰ عليه الصلاة والسلام وسارة وآسية بنت مزاحم ، فقد اختلف العلماء في نبوة كل واحدة منهن ، وقد قام الإجماع علىٰ أن النبي أفضل من غير النبي ، فالقول بالعموم يقتضي تفضيل نساء النبي صلى الله عليه وسلم علىٰ كل فرد من جميع النساء ، فلا يصح ادعاء العموم .

والجواب : أما عند من لا يثبت نبوة أحد من النساء.. فلا اعتراض ، ودعوى العموم صحيحة ، وأما عند من يثبت نبوة امرأة.. فإما أن يجعل هـٰذا العام مخصوصاً ، وإما أن يجنح إلى الاحتمال الآخر ، وهو أن المراد بالنساء : نساء هـٰذه الأمة ، وعلىٰ هـٰذا : فتصح دعوى العموم .

ومنها : أن هـٰذه الأمة ـ زادها الله شرفاً ـ خيرُ الأمم ، فنساؤها خير نساء الأمم ؛ فإن التفضيل على الأفضل تفضيل علىٰ من دونه بطريق الأولىٰ ، لـٰكن لقائل أن يقول : إن التفضيل إنما ورد في حق جملة هـٰذه الأمة ، وقد علم أن تفضيل الجملة على الجملة لا يقتضي تفضيل كل فرد علىٰ فرد ؛ فقد يكون في الجملة المفضولة واحدة أفضل من كل فرد من الجملة الفاضلة ، ويكون في باقي الجملة المفضولة أفراد كثيرة مجموعها أفضل من باقي الجملة المفضولة[1] .

ويحتاج هـٰذا إلىٰ زيادة بسط وتحرير ؛ فإنه قد يقال : إن دلالة العموم ترجح كل فرد ، ويجري الاحتمالان في زوجاته صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه جمع مضاف ، والمضاف كالمعرف بالألف واللام ، والذي ينبغي حمله عليه : كل فرد في المفضل عليه في قوله تعالىٰ : ﴿ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾.. فهو نص علىٰ كل فرد لا على الجملة ؛ لقوله : ﴿كَأَحَدٍ﴾ ، وهو عام ؛ لأنه نكرة في سياق النفي ، ولا شك أنه إذا أخذ واحدٌ واحدٌ.. كان مفضلاً عليه ، وإذا أخذ المجموع.. لم يلزم ذلك فيه ، وإذا أخذت جملة من آحاد المجموع.. احتمل أن يقال : إن أحداً لعمومه يشملها ، ولا يخرج عنه إلا المجموع ؛ لضرورة التبعيض .

فهـٰذا البحث ينبغي أن ينظر فيه ويكمل ما يقتضيه ، ولا شك أنك إذا قلت : ما جاءني من أحد من الناس.. اقتضىٰ نفي مجيء كل واحد منهم مطابقة ، واقتضىٰ نفي المجموع التزاماً .

---

(١) كذا في النسخ ولعل الصواب : الفاضلة .

وأما اقتضاؤه لنفي مجيء جملة منهم . . فهل هو بالالتزام كالمجموع ؟ أو بالمطابقة ؛ لأن أحداً بمنزلة بعض ، واحداً كان أو أكثر ؟ هـٰذا محل نظر ، وأما الضمير في ﴿لَسۡتُنَّ﴾ . . فلنساء النبي صلى الله عليه وسلم ، والظاهر : أن المراد كل فرد أيضاً وإن كانت الصيغة محتملة للمجموع .

وقد قال القرافي ـ رحمه الله ـ : إن الضمائر عامة ، والصحيح : أنها بحسب ما تعود عليها ، وهي هنا لجمع مضاف ، فهي بحسبه ، وهو عام يدل ظاهراً علىٰ كل فرد ، ويحتمل للمجموع فضميره كذلك ، فإن جعلناه للمجموع . . فمعناه : أن جملة نساء النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من كل جمع من النساء قل أو كثر ، وهـٰذا فائدة البحث المتقدم ، فإن (أحداً) تجيء هنا بمعنىٰ بعض ، وإن جعلناه لكل فرد . . فمعناه أن كل واحدة من النساء أفضل من كل فرد ، ويبقىٰ تفضيل كل واحدة منهن علىٰ كل جمع من النساء على البحث المتقدم ، وأما تفضيل كل واحدة منهن علىٰ مجموع النساء سواهن . . فاللفظ ساكت عنه ، وقد ظهر بهـٰذا أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم مفضلات علىٰ سائر نساء هـٰذه الأمة ، وكذا علىٰ سائر نساء الأمم إن جعل اللفظ علىٰ عمومه ، ولم يكن في النساء نبيّة .

فإن قلت : يرد علىٰ هـٰذا أمور :

منها : أن فاطمة رضوان الله عليها أفضل من زوجاته ، ولا جواب عنه إلا تخصيص اللفظ بها ، أو يقال : إنها داخلة في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها ابنته ، فهي معهن داخلة في اسم النساء في الجملة ، غير أن الإضافة مختلفة فيها بمعنى البنوة ، وفيهن بمعنى الزوجية .

ومنها : أن الخطاب للنساء الموجودات حين نزول الآية الكريمة ، فيلزم أنهن أفضل من خديجة ، ولا خلاف أن خديجة أفضل من بقيتهن ، لـٰكن جرىٰ خلاف في أيما أفضل خديجة أو عائشة ، وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله تعالىٰ .

وجوابه : أن خديجة داخلة في جملة نساء النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم تكن مخاطبة ، لـٰكن دل الخطاب علىٰ أن التفضيل إنما حصل للمخاطبات ؛ لكونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وهـٰذا الوصف حاصل في خديجة رضوان الله عليها ، فلا يعدل عن حكمه .

ومنها : أنه يلزم تفضيل حفصة ، وأم سلمة ، وزينب ، وميمونة ، وصفية ، وسودة ،

وجويرية ، وأم حبيبة ، علىٰ سائر نساء الأمم ، إذا جعلنا النساء للعموم ، ولا شك أن مريم ابنة عمران أفضل من هـٰؤلاء الثمان ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام »[1] .

وجوابه : أن يلتزم التخصيص لذلك .

ولا شك أن الآية الكريمة تضمنت تعظيم قدر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بأمور :

منها : أن الله أعد للمحسنات منهن أجراً عظيماً ، وكلهن محسنات ، فعلمنا أن الله أعد لهن أجراً عظيماً عنده سبحانه وتعالىٰ .

وتصغر في عين العظيم العظائم

فعُظْم الأجر المعدِّ لهن لا يعلم كنهه إلا الله سبحانه وتعالىٰ .

ومنها : أنهن يؤتَين أجرهن مرتين ، وهـٰذا لم يحصل لغيرهن إلا للثلاثة المذكورين في القرآن والحديث[2] .

ومنها : أن الله عز وجل أَعْتَدَ لهن رزقاً كريماً ، والشهداء أثنىٰ عليهم بأنهم عند ربهم يرزقون ، وهـٰؤلاء زادهم[3] مع الرزق كونه كريماً .

ومنها : المفاوتة بينهن وبين غيرهن ، وإرادة إذهاب الرجس عنهن ، وتطهيرهن تطهيراً مؤكداً بالمصدر .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٠) ، ومسلم (٢٤٣١) ولـٰكن فيه : « ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون. . . » .

(٢) الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين ، منهم قسم واحد ذكر في القرآن الكريم ، وهو المذكور بقوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، وجاء توضيحهم وذكر الاثنين الآخرين بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري (٢٨٤٩) : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ، ويؤدبها فيحسن أدبها ، ثم يعتقها فيتزوجها. . فله أجران ، ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ، ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم. . فله أجران ، والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده » .

(٣) كذا في النسخ ولعل الصواب : زادهن .

ومنها : ما يتلىٰ في بيوتهن من آيات الله والحكمة .

ومنها : شرفهن بانتسابهن إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنافة قدرهن بذلك حتىٰ تفارق صفاتهن صفات غيرهن ، وليس في الآية تصريح بما أراده الفقهاء وتكلموا فيه من التفضيل حتىٰ نتكلف النظر بينهن وبين مريم عليها السلام ، فنقول ما قاله الله عز وجل ، ونسكت عما لم يدل عليه دليل .

وأما تفضيل فاطمة وخديجة وعائشة رضوان الله عليهن . . فالصحيح الذي قاله الأئمة ، ودلت عليه الأدلة ، وهو الذي أدين الله تعالىٰ به : أن فاطمة رضوان الله عليها أفضل ثم خديجة ثم عائشة ، وعلمي محيط بالخلاف في ذلك ، ولـٰكن قد قامت الأدلة علىٰ ما ذكرته .

ومما نحتج به لتفضيل فاطمة رضي الله عنها : ما ورد في الحديث الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هـٰذه الأمة »[1] .

وروى النسائي ـ رحمه الله ـ [في « الكبرىٰ » ٥/٩٣] من حديث داوود ابن أبي الفرات ، عن علباء بن أحمر اليشكري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » ، وداوود ابن أبي الفرات وعلباء بن أحمر ثقتان ، فالحديث صحيح ، وهو صريح في أنها وأمها أفضل نساء أهل الجنة ، والحديث الأول يدل لتفضيلها علىٰ أمها .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها » .

وأما تفضيل خديجة علىٰ عائشة . . فبهـٰذا الحديث ، وبقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد »[2] ، والضمير قيل : إنه للسماء والأرض ، ويؤيده ما ورد من الإشارة إليهما ، وعلىٰ هـٰذا : يكون المراد خير نساء الدنيا ، وهو يقتضي أن مريم وخديجة أفضل النساء مطلقاً ، فمريم أفضل نساء زمانها ، وخديجة أفضل نساء زمانها ، وليس فيه تعريض لتفضيل إحداهما على

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢٨) ، ومسلم (٢٤٥٠) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٩) .

الأخرىٰ ، وقد قدمنا أن مريم عليها السلام اختلف في نبوتها ، فإن كانت نبية . . فلا شك أنها أفضل ، ويشهد لنبوتها ذكرها في (سورة الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام معهم ، وهو قرينة ، وإن لم تكن نبية . . فالأقرب : أنها أفضل أيضاً ؛ لذكرها في القرآن ، وشهادته بصدِّيقيَّتها .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش »[1] ، قيل : إنما قال صلى الله عليه وسلم : « ركبن الإبل » ؛ لأن مريم لم تركب بعيراً قط ، وزمان خديجة إن كان المراد به زمان ملتها . . احتجنا إلىٰ تخصيصه بفاطمة ، وإن كان المراد به زمان وجودها . . فقد يقال : عائشة لم تكن في ذلك الوقت ، فلا يدل هٰذا الحديث علىٰ تفضيل خديجة عن عائشة ، رضوان الله عليهما .

والحديث الأول كاف في الاستدلال ، وقد تقدم : أنه اختلف في نبوة مريم عليها السلام ، وأم موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، وآسية بنت مزاحم ، وسارة ، ولم يصح في ذلك شيء ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع . . . » الحديث ، وقد تقدم ، وأما الحديث الذي ذكرناه : « خير نسائها مريم ، وخير نسائها خديجة » . . فإنه لم يتعرض فيه لآسية ، ولا يؤخذ منه حكمها ؛ لأنها ليست في زمانهما .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « خير نسائها مريم » ثَم وجه آخر ، وهو : أن الضمير يعود علىٰ مريم ، فتكون مريم مبتدأ ، وكذا خديجة ، والتقدير : مريم خير نساء مريم ، وخديجة خير نساء خديجة ، وإضافة النساء إليهما كإضافتهن في قوله تعالىٰ : ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ ، ويعود شرحه كما سبق ، إما نساء زمانها أو نساء ملتها .

وقد روِّينا في « الصحيح » [خ ٣٦٠٦-م ٢٤٣٥] : عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما غرت على امرأة ما غرت علىٰ خديجة) ، وفي غير « الصحيح » : « ما أبدلني الله خيراً منها » ، ولا شك أنها أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وظهر منها في ذلك الوقت من العقل والتؤدة ما لا يخفىٰ ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إني رزقت حبها »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠) .
(٢) أخرجه ابن حبان (٧٠٠٦) .

وقد علم الله سبحانه وتعالىٰ ـ وكفىٰ سبحانه به عالماً ـ محبتي لجميعهن محبة لا يعلم قدرها إلا الله تعالىٰ ، الذي رزقني ذلك ووفقني له ، لا سيما عائشة رضوان الله عليها ، فإني أحبها محبة كثيرة ؛ لفضلها ، وفقهها ، وورعها ، وزهدها ، ولمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ، ولأمره صلى الله عليه وسلم بمحبتها ؛ فإنه قد روينا في « الصحيح » : (لما جاءت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم . . قال لها : « ألست تحبين ما أحب ؟ » قالت : بلىٰ ، قال : « فأحبي هـٰذه » يعني : عائشة)[1] وهـٰذا الأمر لا صارف له عن الوجوب ، وحكمه صلى الله عليه وسلم على الواحد . . حكمه على الجماعة ، ويلزم من ذلك وجوب محبتها علىٰ كل مسلم .

وقد قال صلى الله عليه وسلم فيها ما لا يحصىٰ من الفضل ، ونطق القرآن في أمرها بما لم ينطق به في غيرها .

وفي « صحيح مسلم » [٢٣٨٤] : عن عمرو بن العاص رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه علىٰ جيش ذات السلاسل ، قال : فأتيته ، فقلت : أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » ، قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » ، قلت : ثم من ؟ قال « عمر » ، فعد رجالاً .

وقد قال المتولي من أصحابنا ـ رحمه الله ـ : اختلف الناس أيما أفضل ، عائشة أو فاطمة ؟ والأولىٰ للعاقل ألاَّ يشتغل بمثل ذلك .

وقد قال الشيخ الإمام أبو سهل الصعلوكي : من أراد أن يعرف التفاوت بينهما . . فليتأمل في زوجته وبنته .

واختلفوا في خديجة وعائشة رضوان الله عليهما ، قال قوم : خديجة أفضل ، وقيل : عائشة أفضل ، هـٰذا كلام المتولي رحمه الله .

وأما بقية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . . فلا يبلغن هـٰذه الرتبة وإن كن خير نساء هـٰذه الأمة بعد هـٰؤلاء الثلاث ، وهن متقاربات في الفضل ، لا يعلم حقيقة ذلك كما في غيره إلا الله سبحانه وتعالىٰ .

وقد دل الدليل علىٰ أن لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما من الفضائل شيئاً كثيراً ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤٢) .

فالأشبه أن تكون هي بعد عائشة رضوان الله عليهن أجمعين .

والكلام في التفضيل صعب ، ولا ينبغي التكلم إلا بما دلت عليه الأدلة الشرعية ، والسكوت فيما عدا ذلك ، وحفظ الأدب مع الجميع ، رضوان الله عليهن أجمعين ، ورزقنا محبتهن ، ونفعنا ببركتهن ؛ إنه قريب مجيب سميع الدعاء ، واسع العطاء ، وهو حسبي ونعم الوكيل . انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهن أم المؤمنين :

عائشة الصديقة بنت الصديق

رضوان الله عليها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بمكة في شوال ، قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : بثلاث ، وهي بنت ست سنين ، وبنىٰ بها بالمدينة ، وهي بنت تسع سنين ، وبقيت عنده تسع سنين ، ولم يتزوج بكراً غيرها .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُكِ في المنام مرتين ، ورجل يحتملك في سَرَقَة من حرير ، فيقول : هٰذه امرأتك ، فأقول : إن يك هٰذا من عند الله . . يمضه »[1] .

وعنها قالت : (أتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ، فصرخت فيَّ ، فأتيتها ما أدري ما تريد بي ، فأخذتْ بيدي حتىٰ وقفت علىٰ باب الدار ، وإني لأنهج حتىٰ سكن بعض نفسي ، ثم أخذت شيئاً من ماء ، فمسحت به وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت ، فقلن : على الخير والبركة ، وعلىٰ خير طائر ، فأسلمتني إليهن ، فأصلحن من شأني ، فلم يُرِعْني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحىٰ ، فأسلمنني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين) .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن جبريل عليه الصلاة والسلام يقرأ عليك السلام » قالت : (فقلت : وعليه السلام ورحمة الله)[2] .

وعنها قالت : قلت : يا رسول الله ؛ لو نزلت وادياً فيه شجرة قد أُكِل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها . . في أيها كنت تُرتِع بعيرك ، قال : « في التي لم يؤكل منها » ، تعني : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٢) ، ومسلم (٢٤٣٨) ، والسَّرَقَةُ : قطعة من جيِّد الحرير .
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٩٨) ، ومسلم (٢٤٤٧) .
(٣) أخرجه البخاري (٤٧٨٩) .

وعنها قالت : أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنت والنبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرطها ، فأذن لها فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ؛ إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أي بنية ؛ ألست تحبين ما أحب ؟ » قالت : بلىٰ ، قال : « فأحبي هـٰذه » ، يعني : عائشة ، قال : فقامت فاطمة فخرجت ، فجاءت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثتهن بما قالت وما قال لها ، فقلن : ما أغنيتِ عنا من شيء ، فارجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت فاطمة : والله ؛ لا أكلمه فيها أبداً ، فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، فاستأذنت ، فأذن لها فدخلت ، فقالت : يا رسول الله ؛ أرسلنني أزواجك إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة ، قالت عائشة : ووقعت فيَّ زينب ، فطفقت أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم متىٰ يأذن لي فيها ، فلم أزل حتىٰ عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكره أن أنتصر ، قال : فوقعت بزينب ، فلم أُنشِبها أن أفحمتها ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « إنها ابنة أبي بكر »[(١)] .

وعنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه : « أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً ؟ » يريد يوم عائشة رضي الله عنها ، حتىٰ مات عندها ، قالت عائشة : (فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه ، فقبضه الله وإن رأسه لَبَيْنَ سحري ونحري وخالط ريقه ريقي)[(٢)] .

وفي رواية : أن أم سلمة ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا أم سلمة ؛ لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ؛ ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها »[(٣)]

وعن عائشة رضي الله عنها : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب . . دخل المغتسل ليغتسل ، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : أوقد وضعتم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤٢) ، وأنشبها : أُلبثْها ، أفحمتها : أسكتُّها .

(٢) أخرجه البخاري (٤١٨٥) ، ومسلم (٢٤٤٣) ، والسَّحْرُ : الرئة ، أي أنه مات صلى الله عليه وسلم وهو مستند إلىٰ صدرها وما يحاذي سَحْرَها منه ، أما الريق . . فقد كان دخل أخوها ، وبيده سواك ، فرمقته عين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته من أخيها ، فلاكته ثم ناولته رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) أخرجه بنحوه البخاري (٢٤٤٢) .

السلاح وما وضعنا أسلحتنا بعدُ ؟! أنْهَدْ إلىٰ بني قريظة) فقالت عائشة : (كأني أنظر إلىٰ جبريل من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار)[1] .

وعنها رضي الله عنها قالت : (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم واضعاً يده علىٰ مَعْرَفَةِ[2] فرس دحية الكلبي ، وهو يكلمه ، قالت : فقلت : يا رسول الله ؛ رأيتك واضعاً يدك علىٰ معرفة فرس دحية الكلبي وأنت تكلمه ، قال : « أورأيته ؟ » قلت : نعم ، قال : « ذاكِ جبريل عليه السلام ، وهو يقرئك السلام » فقالت عائشة رضي الله عنها : وعليه السلام ، جزاه الله من صاحب ودخيلٍ خيراً ، نِعم الصاحب ، ونِعم الدخيل)[3] .

وعنها قالت : وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبة شديدة ، فنظرت ؛ فإذا رجل معه واقف علىٰ برذون[4] ، وعليه عمامة بيضاء ، طرفها بين كتفيه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع يده علىٰ معرفة برذونه ، فقلت : يا رسول الله ؛ لقد راعتني وثبتك ، مَن هـٰذا ؟ قال : « أرأيتِهِ ؟ » قلت : نعم ، قال : « ومن رأيت ؟ » قلت : دحية ، قال : « ذاكِ جبريل عليه الصلاة والسلام » .

وعن عطاء قال : بعث معاوية إلىٰ عائشة رضي الله عنها بطوق من ذهب فيه جوهر قوم بمئة ألف ، فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٧ـ١٤] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : كنية عائشة أم المؤمنين : أم عبد الله ، كناها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أختها عبد الله بن الزبير .

وهي من أكثر الصحابة رواية ، روي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث[5] ومئتا حديث وعشرة أحاديث ، اتفق البخاري ومسلم منها علىٰ مئة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ، ومسلم بثمانية وستين .

وروىٰ عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين .

وفضائلها ومناقبها مشهورة معروفة .

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٣١) .

(٢) المَعْرَفَة : اللحم الذي ينبت عليه عرف الفرس .

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧٤) ، والدخيل : الضيف .

(٤) البِرذون : يطلق علىٰ غير العربي من الخيل والبغال .

(٥) كذا في النسخ ، وفي « التهذيب » : (ألفا حديث) .

ورُوِّينا عن الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي من أصحابنا قال : روي : أن عائشة كانت تفتخر بأشياء لم تُعْطَها امرأةٌ غيرها :

منها : أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتىٰ بصورتها في سَرَقَة حرير ، وقال : هٰذه زوجتك ، وروي : أنه أتىٰ بصورتها في راحته .

ومنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها ، وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجرها ، ودفن في بيتها .

وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافها ، ونزلت براءتها من السماء ، وأنها بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان مسروق إذا روىٰ عن عائشة . . قال : حدثتني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المبرأة من السماء رضي الله عنها . انتهىٰ [« التهذيب » ٣٥١/٢] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : وعن أم ذرة : أنها كانت تغشىٰ عائشة رضي الله عنها[(١)] ، قالت : بعث إليها ابن الزبير رضي الله عنه بمال في غرارتين[(٢)] أراه ثمانين ألفاً أو مئة ألف ، فدعت بطبق ـ وهي يومئذ صائمة ـ فجعلت تقسمه بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم ، فلما أمست . . قالت : يا جارية ؛ هلمي أفطري ، فجاءتها بخبز وزيت ، فقالت لها أم ذرة : أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ؟ فقالت لها : لا تعنفيني ، لو كنتِ ذكَّرتيني . . لفعلت[(٣)] .

وقال عروة : لقد رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها .

وعن عوف بن مالك : أن عائشة رضي الله عنها حدثته : أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة : والله ؛ لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها ، قالت : أهو قال هٰذا ؟ قالوا : نعم ، قالت : هو لله علي نذر ؛ لا أكلم ابن الزبير أبداً ، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة ، فقالت : والله ؛ لا أشفع فيه أبداً ، ولا أتحنث إلىٰ نذري ، فلما طال ذلك على ابن الزبير . . كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمٰن بن

---

(١) تغشاها : تزورها وتأتيها مرة بعد مرة .
(٢) الغرارة : وعاء يوضع فيه التبن ونحوه .
(٣) أخرجه هناد في « الزهد » (٣٣٧/١) .

الأسود بن عبد يغوث ، وهما من بني زهرة ، وقال : أنشدكما الله لما دخلتما بي علىٰ عائشة ؛ فإنه لا يحل لها أن تنذر قطيعتي ، فأقبل به المسور وعبد الرحمـٰن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا علىٰ عائشة رضي الله عنها ، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ندخل ؟ فقالت عائشة : ادخلوا ، قالوا : كلنا ؟ قالت : نعم ، ادخلوا كلكم ، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير ، فلما دخلوا . . دخل ابن الزبير الحجاب ، فاعتنق عائشة ، وطفق يناشدها ويبكي ، فطفق المسور وعبدُ الرحمـٰن يناشدانها إلا ما كلمتيه ، وقَبِلْتِ منه ، ويقولان : النبي صلى الله عليه وسلم نهىٰ عما قد عملت من الهجرة ، وإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فلما أكثروا علىٰ عائشة من التذكرة والتحريج . . طفقت تذكر نذرها وتبكي وتقول : إني نذرت ، والنذر شديد ، فلم يزالا بها حتىٰ كلمت ابن الزبير ، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة ، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك ، فتبكي حتىٰ تبل دموعها خمارها ، وكانت تسرد الصوم . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ١٤-١٥] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : قال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ في (باب التوبة) من « الإحياء » : كتب معاوية إلىٰ عائشة رضي الله عنها : أن اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري ، فكتبت إليه : (من عائشة إلىٰ معاوية ، سلام عليك ، **أما بعد** : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من التمس رضا الناس بسخط الله . . يكله الله إلى الناس ، ومن التمس رضى الله بسخط الناس . . كفاه الله مؤونة الناس » والسلام عليك)(١) .

فانظر إلىٰ فقهها رضي الله عنها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة بصددها ، وهو مراعاة الناس ، وطلب مرضاتهم .

وكتبت إليه مرة أخرىٰ : (**أما بعد** : فاتق الله ؛ فإنك إن اتقيت الله . . كفاك الله الناس ، وإذا اتقيت الناس . . لم يغنوا عنك من الله شيئاً . والسلام) انتهىٰ [٤/ ٥٥] .

وقال محمد بن جرير الطبري : أخبرنا أبو السائب ، حدثنا وكيع عن هشام ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها : أنها كانت تنشد بيت لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... ويقيت في خَلْفٍ كجلد الأجرب(٢)

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) .

(٢) **الأكناف** : الجوانب والنواحي ، **والخلَف** ، **والخلْف** : ما جاء من بعد .

وتقول : رحم الله لبيداً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟! وقال عروة : رحم الله عائشة ، فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم ؟! وقال هشام : رحم الله عروة ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟! وقال وكيع : رحم الله هشاماً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟! وقال أبو السائب : رحم الله وكيعاً ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟! وقال أبو جعفر : رحم الله أبا السائب ، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ؟!

ونقول نحن ـ والله المستعان ـ : الأمر أعظم من أن يوصف بحال ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهىٰ .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وكانت عائشة رضي الله عنها تذكر نذرها بعد ذلك ، فتبكي حتىٰ تبل دموعُها خمارَها ، وكانت تسرد الصوم .

وعن عروة رضي الله عنه قال : كنت إذا غدوت . . أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها ، فغدوت يوماً ؛ فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ : ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ ، وتدعو وتبكي وترددها ، فقمت حتىٰ أطلت القيام ، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي ثم رجعتُ ، فإذا هي قائمة كما هي تصلي [وتبكي] .

وعن عامر قال : كتبت عائشة رضي الله عنها إلىٰ معاوية : (**أما بعد :** فإن العبد إذا عمل بمعصية الله . . عاد حامده من الناس ذاماً) .

وقال عروة : ما رأيت أحداً من الناس أعلمَ بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب . . من عائشة رضي الله عنها .

وكان يقول لها : يا أماه ؛ لا أعجب من فقهك ؛ أقول : زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس ؛ أقول : ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان أعلمَ الناس ، ولـٰكن أعجب من علمك بالطب ، قال : فضربت علىٰ منكبي ، وقالت : أي عرية ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم آخر عمره ، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه ، فتنعت له الأنعات ، فكنت أعالجها ، فمِن ثَمَّ .

وقال الزهري : لو جمع علم عائشة رضي الله عنها إلىٰ علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع الناس(١) . . كان علم عائشة أكثرَ .

وعن ذكوان قال : جاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستأذن علىٰ عائشة ، قال : فجئت

---

(١) في « الصفوة » : (النساء) .

وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمـٰن ، فقلت : هـٰذا ابن عباس يستأذن ، فأكب عليها ابن أخيها ، فقال : هـٰذا ابن عباس يستأذن ، فقالت : دعني من ابن عباس ، فقال : يا أماه ؛ إن ابن عباس من صالحي بنيك يسلم عليك ويودعك ، فقالت : ائذن له ، فأدخلته ، فلما جلس . . قال : أبشري ، فما بينك وبين أن تلقي محمداً صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد ، كنتِ أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيباً ، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنزل وأصبح الناس ليس لهم ماء ، فأنزل الله عز وجل : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ، فكان ذلك في سببك ما أنزل الله لهـٰذه الأمة من الرخصة ، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات ، جاء به الروح الأمين ، فأصبح ليس مسجداً من مساجد الله يُذكَر اللهُ فيه . . إلا ويتلىٰ فيه آناء الليل وآناء النهار ، فقالت : دعني منك يابن عباس ، فوالذي نفسي بيده ؛ لوددت أني كنت نسياً منسياً .

قال الواقدي : توفيت عائشة رضي الله عنها ليلة الثلاثاء ، لسبع عشرة مضت من رمضان ، سنة ثمان وخمسين ، وهي ابنة ست وستين سنة ، وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحباتها ، وصلىٰ عليها أبو هريرة ، وكان خليفة لمروان بالمدينة .

وقال هشام بن عروة : مات أبو هريرة وعائشة سنة سبع وخمسين . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/١٥-٢٠] .

وروىٰ أبو الفرج ـ رحمه الله ـ في « الحدائق » بسنده : عن النعمان بن بشير قال : جاء أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمع عائشة وهي رافعة صوتها علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن له فدخل ، فقال : يا ابنة أم رومان ـ وتناولها ـ أترفعين صوتك علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! قال : فحال النبي صلى الله عليه وسلم : بينه وبينها ، قالت : فلما خرج أبو بكر . . جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها ـ يترضاها ـ : « ألا ترين أني قد حلت بين الرجل وبينك ؟ » قال : ثم جاء أبو بكر ، فاستأذن عليه ، فوجدهُ يضاحكها ، قال : فأذن له فدخل ، قال أبو بكر : (يا رسول الله ؛ أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما)[1] انتهىٰ [١/ ٤٤٤] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧١) .

ومنهن أم المؤمنين :

حفصة بنت عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال عمر رضي الله عنه : تأيمت حفصة بعد الهجرة مقدمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فلقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقلت : إن شئت . . أنكحتك حفصة ، قال : سأنظر في ذلك ، فلبثت ليالي ، فلقيني ، فقال : ما أريد أن أتزوج يومي هـٰذا ، قال : فلقيت أبا بكر ، فقلت : إن شئت . . أنكحتك حفصة ، فلم يرجع إلي شيئاً ، وكنت عليه أوجدَ مني علىٰ عثمان ، فلبثت ليالي ، فخطبها إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنكحتها إياه صلى الله عليه وسلم ، فلقيني أبو بكر ، فقال : لعلك وجدت عليَّ حين عرضت علي حفصة ، فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها علي . . إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها ، ولم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها . . لنكحتها[١] .

وعن قيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة بنت عمر رضي الله عنهما ، فدخل عليها خالاها (قدامة وعثمان ابنا مظعون) فبكت ، وقالت : والله ؛ ما طلقني من شبع ، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فتجلببت له ، فقال جبريل عليه السلام : راجع حفصة ، فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك في الجنة[٢] .

توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين ، في سلطان معاوية ، وهي ابنة ستين سنة ، وقيل : ماتت في خلافة عثمان في المدينة . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٢٠-٢١] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : وعن عقبة بن عامر قال : لما طلق رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٣) ، وتأيمت : أي أصبحت بدون زوج بعد وفاة زوجها .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (١/ ٥٥) ، وفي المتن وهْمٌ ؛ لأن عثمان بن مظعون توفي قبل أحد كما مر في ترجمته ، بينما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعد أحد ، إثر وفاة زوجها خنيس ، والله أعلم .

وسلم حفصة بنت عمر رضي الله عنهما. . فبلغ ذلك عمر ، فوضع التراب علىٰ رأسه ، وجعل يقول : ما يعبأ الله بعمر بعد هٰذا ، قال : فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام من الغد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة ؛ رحمة لعمر .

وعن زيد بن ثابت قال : لما أمرني أبو بكر رضي الله عنه ، فجمعت القرآن. . كتبته في قِطَع الأدم ، وكِسَر الأكتاف والعسب ، فلما مات أبو بكر. . كان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة ، وكانت عنده ، فلما مات. . كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أرسل عثمان إلىٰ حفصة ، فسألها أن تعطيه الصحيفة ، وحلف ليردنَّها إليها فأعطته ، فعرض المصحف عليه فرده إليها ، وطابت نفسه ، وأمر الناس فكتبوا المصاحف . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٥١] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : ولدت حفصة وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

وأوصىٰ عمر إلىٰ حفصة ، وأوصت حفصة إلىٰ أخيها عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهم أجمعين .

وروي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستون حديثاً . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٣٣٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهن أم المؤمنين :

زينب بنت جحش

رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أمها : أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة ، وكانت من المهاجرات الأول . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٢٤] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن مذكور مولىٰ زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت : خطبني عدة من قريش ، فأرسلت أختي حمنة إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أستشيره ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ؟ » قالت : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : « زيد بن حارثة » قال : فغضبت حمنة غضباً شديداً ، وقالت : يا رسول الله ؛ أتزوج ابنة عمتك مولاك ؟ قالت : وجاءتني فأعلمتني ، فغضبت أشد من غضبها ، فقلت أشد من قولها ، فأنزل الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ قالت : فأرسلت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إني أستغفر الله وأطيع الله ورسوله ، افعل يا رسول الله ما رأيتَ ، فزوجَني زيداً ، فكنت أزرأ عليه(١) ، فشكاني إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاتبني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عدت فأخذته بلساني ، فشكاني إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسك عليك زوجك واتق الله » ، فقال : يا رسول الله ؛ أنا أطلقها ، قالت : فطلقني ، فلما انقضت عدتي . . لم أعلم إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل علي بيتي وأنا مكشوفة الشعر ، فعلمت أنه أمر من السماء ، فقلت : يا رسول الله ؛ بلا خطبة ولا إشهاد ؟ فقال : « الله عز وجل المزوج ، وجبريل الشاهد »(٢) .

---

(١) أزرأ عليه : أنتقصه .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٤/٣٩) .

وعن أنس بن مالك قال : كانت زينب تفخر علىٰ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقول : زوجكن أهاليكن ، وإن الله تعالىٰ زوجني من السماء .

وأطعم النبي صلى الله عليه وسلم عليها خبزاً ولحماً .

وعن أنس قال : لما انقضت عدة زينب بنت جحش . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة : « اذهب ، فاذكرني لها » فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . . عظمت في نفسي ، فذهبت إليها ، فجعلت ظهري إلى الباب ، فقلت : يا زينب ؛ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك ، فقالت : ما كنت لأحدث شيئاً حتىٰ أؤامر ربي عز وجل ، فقامت إلىٰ مسجدها ، فأنزل الله عز وجل هـٰذه الآية : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليها بغير إذن .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت زينب بنت جحش هي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله عز وجل بالورع ، ولم أر امرأة أكثرَ خيراً وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذلَ لنفسها في كل شيء يُتقرب به إلى الله عز وجل . . من زينب ، ما عدا سَوْرَةً ؛ من حدَّة كانت فيها توشك منها الفيئة[1] . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٥١-٥٣] .

وقال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ في ترجمة زينب بنت جحش : وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : يرحم الله زينب بنت جحش ؛ لقد نالت في هـٰذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف ، إن الله عز وجل زوجها نبيه صلى الله عليه وسلم في الدنيا ، ونطق به القرآن ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ونحن حوله : « أسرعكن بي لحوقاً . . أطولكن يداً » ، فبشرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرعة لحوقها به عليه السلام ، وهي زوجته في الجنة ، قالت عائشة رضي الله عنها : فكنا إذا اجتمعنا . . نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتىٰ توفيت زينب بنت جحش ولم تكن أطولنا ، فعرفنا حينئذ : أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بطول اليد الصدقةَ .

وكانت زينب امرأة تعمل بيديها ، وكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله تعالىٰ[2] ، ومناقبها كثيرة .

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٦/ ١٥٠) ، ومسلم (٢٤٤٢) ، والسورة : عجلة الغضب ، والحِدَّة : شدة الخلق وثورانه ، والفيئة : الرجعة .

(٢) أخرجه بنحوه ابن حبان (٤/ ٥٥٧) ، والطبراني في « الكبير » (٢٤/ ٥٠) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أخبرت زينب بتزويج النبي صلى الله عليه وسلم لها . . سجدت شكراً لله سبحانه وتعالىٰ . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٣٤٥] .

وروى **الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ** : عن عبد الله بن شداد ، عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من المهاجرين يقسم ما أفاء الله عليه ، فبعثت إليه امرأة من نسائه وما منهن إلا وهي ذي قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما عم أزواجه عطيته . . قالت زينب بنت جحش : يا رسول الله ؛ ما من نسائك امرأة إلا وهي تنظر إلىٰ أخيها أو أبيها أو ذي قرابتها عندك ، فاذكرني من أجل الذي زوجنيك ، فأخرق[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم قولها ، وبلغ منه كل مبلغ ، فانتهرها عمر ، فقالت : أعرض عني يا عمر ، فوالله ؛ لو كانت بنتك . . ما رضيت بهـٰذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعرض عنها يا عمر ؛ فإنها أواهة » ، فقال رجل : يا رسول الله ؛ ما الأواه ؟ قال : « الخاشع ، الدَّعَّاء ، المتضرع ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه : « أوَّلكن تتبعني . . أطولكن يداً » ، قالت عائشة رضي الله عنها : فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . نمد أيدينا في الحائط نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتىٰ توفيت زينب بنت جحش ، وكانت امرأة قصيرة ، ولم تكن أطولنا يداً ، فعرفت : أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بطول اليد الصدقة ، وكانت امرأة صناعاً ، تعمل بيديها وتتصدق به في سبيل الله تعالىٰ[٢] .

وعن برة بنت رافع قالت : لما خرج العطاء . . بعث عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه إلىٰ زينب بنت جحش رضي الله عنها بعطائها ، فأُتِيَتْ به ونحن عندها ، قالت : ما هـٰذا ؟ قالوا : أرسل به إليك عمر ، قالت : غفر الله له ، والله ؛ لَغيري من أخواتي كانت أقوىٰ علىٰ قسم هـٰذا مني ، ثم قالت : سبحان الله! وجعلت تستر بينها وبينه بجلبابها أو بثوبها ، تقول : ضعوه[٣] ، اطرحوا عليه ثوباً ، ثم قالت لي : أدخلي يدك ، فاقبضي منه قبضة ، واذهبي إلىٰ

(١) خَرِقَ الرجل : إذا بقي متحيراً من همٍّ أو شدة .
(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٤/ ٥٠) .
(٣) في « الطبقات » لابن سعد (٨/ ١٠٩) : (صبوه) .

فلان بن فلان وإلىٰ فلان بن فلان ، من أهل رحمها وأيتامها ، فقسمته حتىٰ بقيت منه بقية تحت الثوب ، فأخذنا ما تحت الثوب ، فوجدناه بضعة وثمانين درهماً ، ثم رفعت يديها ، ثم قالت : اللهم ؛ لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هٰذا أبداً .

قال : فماتت ، وكانت أول نساء النبي صلى الله عليه وسلم لحوقا به . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٥٣ـ٥٤] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : توفيت سنة عشرين ، وهي بنت ثلاث وخمسين سنة ، رضي الله عنها . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٢٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهن أم المؤمنين :

أم سلمة
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : اسمها : هند بنت أبي أمية ، كانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، فهاجر بها إلىٰ أرض الحبشة الهجرتين ، ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن ثابت قال : حدثتني أم سلمة : أن أبا سلمة قال لها : قد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً أحب إلي من كذا وكذا ، لا أدري ما عدل به ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يصيب أحداً مصيبة فيسترجع عند ذلك ، ويقول : اللهم ؛ عندك أحتسب مصيبتي هٰذه ، اللهم ؛ آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها . . إلا أعطاه الله عز وجل ذلك » ، قالت أم سلمة : فلما أصبت بأبي سلمة . . قلت : اللهم ؛ عندك أحتسب مصيبتي هٰذه ، اللهم ؛ فآجرني فيها ، واخلف لي خيراً منها ، ثم قالت : قلتُ : مَن خير من أبي سلمة ؟ قالت : فلما انقضت عدتي . . أرسل إلي أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبني فأبيت ، فأرسل إلي عمر رضي الله عنه يخطبني فأبيت ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبني ، فقلت : مرحباً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أرسلتُ إليه فقلت : يا رسول الله ؛ أنا امرأة شديدة الغَيرة ، فادع الله عز وجل أن يذهب الغيرة عني ، فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم . . كانت في النساء كأنها ليست منهن ، لا تجد ما يجدن من الغيرة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم[(١)] .

توفيت رضي الله عنها سنة تسع وخمسين ، وقبرت بالبقيع ، وهي ابنة أربع وثمانين سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٢١ـ٢٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (١٢/ ٣٣٧) .

ومنهن أم المؤمنين :

أم حبيبة
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : اسمها : رملة بنت أبي سفيان ابن حرب ، كانت عند عبيد الله بن جحش ، وهاجر بها إلى الحبشة الهجرة الثانية ، ثم ارتد عن الإسلام وتنصر ، ومات هناك ، وبقيت أم حبيبة علىٰ دينها ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها له ، فزوجه إياها ، وأصدق عنه النجاشي أربع مئة دينار ، وبعث بها مع شرحبيل .

وقيل : وكلت خالد بن سعيد بن العاص ، فزوجها ، وذلك في سنة سبع من الهجرة .

قالت أم حبيبة : رأيت في النوم كأن زوجي عبيد الله بن جحش بأسوإ صورة وأشوهها ، ففزعت ، فقلت : تغيرت والله حاله ، فإذا هو يقول حين أصبح : يا أم حبيبة ؛ إني نظرت في الدين ، فلم أر دِينا خيراً من دين النصرانية ، وكنت قد دِنْتُ بها ثم دخلت في دين محمد ، ثم قد رجعت إلى النصرانية ، فقلت : والله ؛ ما هو خير لك ، وأخبرته بالرؤيا التي رأيت ، فلم يحفل بها ، وأكب علىٰ ذلك حتىٰ مات ، فرأيت في النوم كأنه أتاني آت يقول : (يا أم المؤمنين) ففرحت وأولتها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني ، قالت : فما هو إلا أن انقضت عدتي ، فما شعرت إلا برسول النجاشي علىٰ بابي يستأذن ، فإذا جارية له يقال لها : أبرهة ، كانت تقوم علىٰ ثيابه ودهنه[(١)] ، فدخلت عليَّ ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلي يخطبك مني ، فقلت : بشَّركِ الله بخير ، قالت : ويقول لك الملك : وكلي من يزوجك ، قالت : فأرسلتُ إلىٰ خالد بن سعيد بن العاص ، فوكَّلْتُه ، وأعطت أبرهة سوارين من فضة ، وخَدَمتين[(٢)] كانتا في رجليها ، وخواتم فضة كانت في أصابع رجليها ؛ سروراً بما بشرتها به ، فلما كان العشي . .

---

(١) يعني : هي المكلفة بذلك .

(٢) الخَدَمة : الخلخال .

أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين ، فحضروا ، فخطب النجاشي فقال :

الحمد لله الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام .

أما بعد : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلىٰ ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقتها عنه أربع مئة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه ، وأستنصره ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدىٰ ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد : فإني قد أجبت إلىٰ ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال النجاشي : اجلسوا ؛ فإن سنة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إذا تزوجوا . . أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام ، فأكلوا ثم تفرقوا .

قالت أم حبيبة رضي الله عنها : فلما وصل إليَّ المال . . أرسلت إلىٰ أبرهة التي بشرتني ، فقلت لها : إني كنت أعطيتك يومئذ ما أعطيتك ولا مال لي ، فهـٰذه خمسون مثقالاً ، فخذيها واستعيني بها ، فأبت ، وأخرجت حُقّاً فيه كلّ ما أعطيتها ، فردَّته عَلَيَّ وقالت : عزم عليّ الملك أَلاَّ أرزأك شيئاً ، وأنا اليوم أقوم علىٰ ثيابه ودهنه ، وقد اتبعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأسلمت لله عز وجل ، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر ، قالت : فلما كان الغد . . جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كبير ، فقدمت بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يراه عليَّ وعندي ولا ينكره ، ثم قالت أبرهة : حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام ، وتعلميه أني قد اتبعت دينه ، قالت : ثم لطفت بي ، وكانت هي التي جهزتني ، وكانت كلما دخلت عليَّ . . تقول : لا تنسي حاجتي إليك ، قالت : فلما قدمت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت بي أبرهة من الخدمة ، فتبسَّم صلى الله عليه

وسلم ، وأقرأته السلام منها ، فقال : « وعليها السلام ورحمة الله وبركاته »[1] .

وقال الزهري ـ رحمه الله ـ : لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة . . جاء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزاة مكة ، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية ، فلم يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس علىٰ فراش النبي صلى الله عليه وسلم . . طوته دونه ، فقال : يا بنية ؛ أرغبت بهٰذا الفراش عني ؟ أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ، فقال : يا بنية ؛ لقد أصابك بعدي شر . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٢٢ـ٢٤] .

وفي رواية الواسطي[2] ـ قدس الله روحه ـ : قالت : ثم خرج أبو سفيان حتىٰ أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ، فلم يرُدَّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلىٰ أبي بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما أنا بفاعل ، ثم أتىٰ عمر بن الخطاب فكلمه ، قال : أنا أشفع لكم إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فوالله ؛ لو لم أجد إلا الذَّر . . لجاهدتكم عليه ، ثم خرج حتىٰ دخل علىٰ علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندها حسن بن علي غلام يدبُّ بين يديها ، فقال : يا علي ؛ إنك أَمَسُّ القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك يا أبا سفيان! والله ؛ لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلىٰ فاطمة ، فقال : يا ابنة محمد ؛ هل لك أن تأمري بُنَيَّكِ هـٰذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلىٰ آخر الدهر ؟ قالت : والله ؛ وما بلغ بُنَيَّ ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا أبا حسن ؛ إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني ، قال : والله ؛ ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولـٰكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ، قال : أوترىٰ ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا ، والله ما أظنه ، ولـٰكني لا أجد لك غير ذلك ، فقام أبو سفيان في المسجد فقال : أيها الناس ؛ إني قد أجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره ، فانطلق ، فلما قدم علىٰ قريش . . قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ؛ ما رد عليَّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة ، فقال :

(١) أخرج قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة الحاكم (٤/ ٢٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٤/ ٣٩٦ـ٣٩٧) .

ما أنا بفاعل ، ثم جئت ابن الخطاب ، فوجدته أدنى العدو ، ثم أتيت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار علي بشيء صنعته ، فوالله ؛ ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا ، قالوا : وبما أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك! والله ؛ ما أن زاد الرجل علىٰ أن لعب بك ، فما يغني عنك ما قلت ، قال : لا ، والله ما وجدت غير ذلك . انتهىٰ .

وروىٰ أبو الفرج ـ رحمه الله ـ قال : قالت عائشة رضي الله عنها : دعتني أم حبيبة عند موتها ، ثم قالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر ، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك ، فقلت : غفر الله لك ذلك كله ، وتجاوز عنك ، وحللك من ذلك ، فقالت : سررتيني سرك الله . وأرسلت إلىٰ أم سلمة ، فقالت لها مثل ذلك .

وتوفيت سنة أربع وأربعين في سلطان معاوية . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٢٤] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهن أم المؤمنين :

صفية بنت حيي
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال أهل السير : إن صفية بنت حيي سباها النبي صلى الله عليه وسلم فاصطفاها لنفسه ، فأسلمت ، وأعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، وقيل : وقعت في سهم دحية الكلبي ، فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس .

وعن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتىٰ بصفية يوم خيبر ، وأنه قتل أخاها وزوجها ، فقال لبلال : « خذ بيدها » فأخذها ومَرَّ بها بين القتلىٰ ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ رُئِيَ في وجهه ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها ، فنزعت شيئاً كانت عليه جالسة ، فألقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خيرها بين أن يعتقها فترجع إلىٰ من بقي من قومها ، أو تسلم فيتخذها لنفسه ، فقالت : اخترت الله ورسوله ، فلما كان عند رواحه . . أحقب بعيره[1] ، ثم خرجت تمشي حتىٰ ثنىٰ لها ركبته لتضع قدمها علىٰ فخذه ، فأجلَّت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضع قدمها علىٰ فخذه ، فوضعت ركبتها علىٰ فخذه فركبت ، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقىٰ عليها كساء ، ثم سارا ، فقال المسلمون : حجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتىٰ إذا كان علىٰ ستة أميال من خيبر . . مال يريد أن يعرس بها ، فأبت صفية ، فوجِد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه ، فلما كان بالصهباء . . مال إلىٰ دوحة[2] فطاوعته ، فقال لها : « ما حملك علىٰ إبائك حين أردتُ المنزل الأول ؟ » قالت : يا رسول الله ؛ خشيت عليك قرب يهود . فأعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصهباء ، وبات أبو أيوب ليلته يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور حول خبائه ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أحقب بعيره : شدَّ عليه الحَقَبَ ، وهو : الحزام الذي يشد به وسط البعير ؛ لئلا يؤذيه التصدير .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة ، من أي الشجر كانت .

الوطء[1] . . قال : « من هـٰذا ؟ » قال : أنا خالد بن زيد ، فقال : « ما بالك ؟ » قال : ما نمت هـٰذه الليلة يا رسول الله ؛ مخافة هـٰذه الجارية عليك ، فدعا له ، ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع .

توفيت صفية رضوان الله عليها في سنة خمسين ، وقيل : اثنتين وخمسين ، ودفنت بالبقيع . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٢٧ـ٢٨] .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : كانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع أن قمراً وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها علىٰ زوجها ، فقال : ما هـٰذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة خَضَّرَ عينها منها ، فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها : « ما هـٰذا ؟ » فأخبرته بما كان من أمر الرؤيا[2] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن أنس قال : بلغ صفية : أن حفصة قالت : إنها بنت يهودي ، فبكت ، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فقال : « ما شأنك ؟ » فقالت : قالت لي حفصة : إني بنت يهودي ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « إنك لبنت نبي ، وإن عمك لنبي ، وإنك لتحت نبي ، فبما تفتخر عليك ؟ » ثم قال : « اتق الله يا حفصة »[3] انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٥٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أي : صوت وطء أقدام أبي أيوب حول الخباء .

(٢) أخرجه الطبري في « التاريخ » (٢/ ١٣٧) .

(٣) أخرجه ابن حبان (٧٢١١) ، وأبوها النبي : هو سيدنا هارون ؛ لأنها من ذريته ، وعمها النبي : موسىٰ ، وزوجها النبي محمد عليهم الصلاة والسلام .

ومنهن أم المؤمنين :

ميمونة بنت الحارث
رضي الله عنها

قال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ست من الهجرة ، وقيل : سنة سبع .

قيل : كان اسمها برة ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة .

روي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وأربعون حديثاً .

ماتت بسرف ، وهو ما بينه وبين مكة عشرة أميال ، قاله ابن قتيبة [في « المعارف » ١٣٧] ، وهو إلىٰ جهة المدينة ، ودفنت هناك ، وبنىٰ بها النبي صلى الله عليه وسلم هناك أيضاً ، توفيت سنة إحدىٰ وخمسين ، قاله خليفة بن خياط وغيره ، وهو الأظهر ، وصلىٰ عليها ابن عباس رضي الله عنهما ، ودخل قبرها هو ويزيد بن الأصم ، وعبد الله بن شداد بن الهاد ، وهم أبناء أخواتها ، وعبيد الله الخولاني ، وكان يتيماً في حجرها .

واسمها مُشْتقٌّ من اليُمْن ، وهو : البركة ، والميمون : المبارك . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٣٥٥ـ٣٥٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهن أم المؤمنين :

جويرية بنت الحارث
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قالت عائشة رضي الله عنها : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء بني المصطلق ، فوقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها علىٰ تسع أواق ، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها ، فوالله ؛ ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلمت أنه سيرىٰ منها مثل الذي رأيت ، فقالت : يا رسول الله ؛ أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبني علىٰ تسع أواق ، فأَعنِّي في كتابتي ، فقال : « أوَ خير من ذلك ؟ » قالت : ما هو ؟ قال : « أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك » ، قالت : نعم يا رسول الله ، فقال : « قد فعلت » ، وخرج الخبر إلى الناس ، فقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتقوا ما في أيديهم من نساء بني المصطلق ، فبلغ عتقهم مئة أهل بيت بتزويجه إياها ، فلا أعلم امرأة أعظم بركة علىٰ قومها منها[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن جويرية كان اسمها برة ، فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىٰ جويرية ، كره أن يقال : خرج من عند برة .

وعنه عن جويرية قالت : أتىٰ عَلَيَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوة وأنا أسبِّح ، ثم انطلق لحاجته ، ثم رجع قريباً من نصف النهار ، فقال : « ما زلتِ قاعدة ؟ » قلت : نعم ، فقال : « ألا أعلمك كلمات لو عُدِلْنَ بهنَّ . عَدَلَتْهُنَّ أو لو وُزِنَّ بهنَّ وَزَنَتْهُنَّ ـ يعني : جميع ما سبَّحت ـ تقولين : سبحان الله عدد خلقه ، ثلاث مرات ، وسبحان الله زنة عرشه ، ثلاثاً ، سبحان الله رضا نفسه ، ثلاثاً ، سبحان الله مداد كلماته ، ثلاثاً »[2] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم بنحوه (٢٧٢٦) ، وأخرجه ابن حبان (٨٢٨) ، وأحمد (٦/ ٣٢٤) .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وهي بنت عشرين سنة ، وتوفيت سنة خمسين ، وفي رواية : سنة ست وخمسين ، وهي بنت خمس وستين سنة ، رحمها الله تعالىٰ . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٢٦ـ٢٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهن أم المؤمنين :

سودة
رضي الله عنها

قال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ـ : سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ، القرشية ، العامرية ، أم المؤمنين .

كنيتها : أم الأسود .

أسلمت بمكة قديماً ، وبايعت ، وأسلم زوجها[1] ، وخرجا إلى الحبشة مهاجرين في الهجرة الثانية ، ثم قدما مكة ، فمات بها زوجها مسلماً ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ، سنة عشر من النبوة ، بعد وفاة خديجة رضي الله عنها وقبل تزويج عائشة رضي الله عنها ، ودخل بها بمكة ، هٰذا قول ابن إسحاق ، وقتادة ، وأبي عبيدة ، وابن قتيبة ، وغيرهم .

فهي أول امرأة تزوجها بعد خديجة ، قال ابن الأثير : وقاله عقيل عن الزهري .

وروي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أحاديث .

وروىٰ عنها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ماتت في آخر خلافة عمر رضي الله عنه ، هٰذا قول الأكثرين ، وذكر محمد بن سعد [في «الطبقات» ٥٧/٨] : عن الواقدي : أنها توفيت في شوال ، سنة أربع وخمسين ، والله أعلم .

وقال ابن إسحاق : أول من تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم خديجة ، ثم سودة ، ثم عائشة ، ثم حفصة ، ثم زينب بنت خزيمة أم المساكين ، ثم أم حبيبة ، ثم أم سلمة ، ثم زينب بنت جحش ، ثم جويرية ، ثم صفية ، ثم ميمونة ، رضوان الله عليهن أجمعين . انتهىٰ [«التهذيب» ٣٤٨/٢] .

---

(١) واسمه : السكران بن عمرو العامري .

وقال الواسطي ـ رحمه الله ـ : وكان جميع من تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ، توفي قبله صلى الله عليه وسلم منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، وعمرة بنت يزيد الكلابية ، وأما التسع البواقي.. فتوفين بعده صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكرهن رضوان الله عليهن . انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

وأما غير الزوجات : فمنهن :

أم شريك
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أم شريك ، هي بنت جابر بن حكيم الدوسية .

قال الأكثرون : وهي التي وَهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها ، فلم تتزوج حتىٰ ماتت .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : وقع في نفس أم شريك الإسلامُ ، فأسلمت وهي بمكة ، ثم جعلت تدخل علىٰ نساء قريش سرّاً ، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام ، حتىٰ ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها وقالوا : لولا قومك.. لفعلنا بك وفعلنا ، ولـٰكنا سنردك إليهم ، قالت : فحملوني علىٰ بعير ليس تحتي شيء ، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني ، وكانوا إذا نزلوا منزلاً.. أوقفوني في الشمس واستظلوا ، وحبسوا عني الطعام والشراب ، فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوقفوني في الشمس ؛ إذا أنا بأبرد شيء علىٰ صدري ، فتناولته فإذا هو دلو من ماء ، فشربت منه قليلاً ، ثم نزع مني ، فرفع ، ثم عاد ، فتناولته فشربت منه قليلاً ، ثم نزع مني ، فرفع ، ثم عاد ، فتناولته فشربت ، ثم رفع مراراً ، ثم ترك ، فشربت منه حتىٰ رويت ، ثم أَفضْتُ سائره علىٰ جسدي وثيابي ، فلما استيقظوا.. إذا هم بأثر الماء ، فرأوني حسنة الهيئة ، فقالوا لي : انحللتِ فأخذتِ سقاءنا فشربتِ منه ، قلت : لا والله ؛ ولـٰكنه كان من الأمر كذا وكذا ، قالوا : لئن كنت صادقة.. فلدينك خير من ديننا ، فلما نظروا إلىٰ أسقِيَتِهم.. وجدوها كما تركوها ، فأسلموا عند ذلك ، وأقبلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقبلت معهم .

قال الراوي : ثم وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم بغير مهر ، فقيل : إنه قبلها ودخل عليها . [انتهىٰ « الصفوة » ٢/٢٨] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهن :

فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف
أم علي بن أبي طالب
رضي الله عنهما

قال أهل السير : أسلمت وكانت صالحة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل عندها في بيتها .

ولما ماتت . . نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فألبسها إياه .

وقال علي رضي الله عنه : قلت لأمي فاطمة : اِكفي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء والذهاب في الحاجة ، وتكفيك خدمة الداخل كالطحين والعجين .

وروى الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن عاصم ، عن أنس قال : (لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب . . دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها ، وقال : « رحمك الله ، بأبي وأمي ، كنت تجوعين وتشبعينني ، وتعرين وتكسينني ، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعمينني ، تريدين بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة » ، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً ، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور . . سكبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة ، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه وألبسها إياه ، وكفنها فوقه ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون قبرها ، فلما بلغوا اللحد . . حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ترابه بيده الكريمة ، فلما فرغ . . دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ، ثم قال : « الحمد لله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اللهم ؛ اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي يا أرحم الراحمين » ، وكبر عليها أربعاً وأدخلها اللحد هو

والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم) غريب من حديث عاصم والثوري ، تفرد به روح بن صلاح . انتهىٰ [« الحلية » ٣/ ١٢١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهن :

أسماء بنت أبي بكر الصديق
رضي الله عنهما

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : روي عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما أنها قالت : تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدق النوىٰ لناضحه وأعلفه ، وأستقي الماء ، وأخرز غربه وأعجن ، وكنت أنقل النوىٰ علىٰ رأسي من ثلثي فرسخ ، حتىٰ أرسل إلي أبو بكر الصديق الخادم ، فكفاني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني ، ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ، والنوىٰ علىٰ رأسي ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إخ إخ » لينيخ ناقته ويحملني خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت ، فلما جئت الزبير . . ذكرت ذلك له ، أو كما قال[1] . انتهىٰ .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أسلمت بمكة قديماً ، وهاجرت ، وشقت نطاقها ليلة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، فجعلت واحداً للسفرة والآخر عصاماً لقربته صلى الله عليه وسلم ، فسميت : ذات النطاقين ، فتزوجها الزبير رضي الله عنه .

وكانت صالحة تَمْرَض المَرْضَة فتعتق كل مملوك لها .

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء رضي الله عنهما ، وجودهما مختلف ، أما عائشة . . فكانت تجمع الشيء إلى الشيء ، حتىٰ إذا اجتمع . . قسمته ، وأما أسماء . . فكانت لا تمسك شيئاً لغد .

وعن عروة قال : دخلت أنا وعبد الله علىٰ أسماء قبل قتل عبد الله بعشر ليال ، وأسماء وجعة ، فقال عبد الله : إنٍ في الموت لراحة ؛ أي : خشي عبد الله أن يقتل فيحزنها ذلك ،

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٤٩٢٦) ، وأخرز : أخيط ، غرب : الدلو العظيم .

فقالت : لعلك تشتهي موتي ؟ . . . ثم ذكر باقيه ، كما مر في ترجمة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما .

توفيت أسماء بعد ابنها عبد الله بليال ، رضي الله عنهم أجمعين . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٣١_٣٢] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : عن عروة قال : دخلت علىٰ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وهي تصلي ، فسمعتها وهي تقرأ : ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ ، فاستعاذت ، فقمت وهي تستعيذ ، فلما طال علي . . أتيت السوق ، ثم رجعت وهي في مكانها تستعيذ .

وعن عبد الله بن الزبير ، عن أسماء رضي الله عنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه . . احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم ، قالت : فدخل علينا جدي أبو قحافة ـ وقد ذهب بصره ـ فقال : والله ؛ إني لأراه قد أفجعكم بماله مع نفسه ، قالت : قلت : كلا يا أبت ، قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت : فأخذت أحجاراً ، فوضعتها في كوة البيت كان أبي يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقلت : ضع يدك يا أبت علىٰ هـٰذا المال ، قالت : فوضع يده ، فقال : لا بأس ، إن كان ترك لكم هـٰذا . . فقد أحسن ؛ ففي هـٰذا لكم بلاغ ، قالت : والله ؛ ما ترك لنا شيئاً ، ولـٰكني أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك .

وعن أسماء أيضاً قالت : (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر . . أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ، فوقفوا علىٰ باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت : فقلت : لا أدري والله أين أبي ، قالت : فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدي لطمة خر منها قرطي ، قالت : ثم انصرفوا) .

وعن عبد الله بن أبي مليكة قال : أتيت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله ، فقالت : بلغني أنهم صلبوا عبد الله منكساً ، فلوددت أني لا أموت حتىٰ يُدفع إليَّ فأغسله وأحنِّطه وأكفِّنه ثم أدفنه ، فلم يلبثوا أن جاء كتاب عبد الملك أن يدفع إلىٰ أهله ، فأتي به أسماء ، فغسَّلته وطيَّبته وحنَّطته ثم دفنته ، قال أيوب : فحسبت أنها عاشت بعد ذلك ثلاثة أيام .

وعن القاسم بن محمد قال : جاءت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما مع جوار لها ـ وقد ذهب بصرها ـ فقالت : أين الحجاج ؟ قلنا : ليس هو هـٰهنا ، قالت : فمروه فليأمر لنا

بهٰذه العظام ؛ فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهىٰ عن المثلة ، قلنا : إذا جاء . . قلنا له ، قالت : إذا جاء . . فأخبروه ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً »(١) . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٥٥ـ٥٧] . .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : أسلمت قديماً بعد سبعة عشر إنساناً .

وكانت أسماء أسنُّ من عائشة رضي الله عنهما بعشر سنين ، وهي أختها لأبيها ، وكان عبد الرحمٰن ابن أبي بكر رضي الله عنهما أخا أسماء شقيقها .

وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم فولدته بعد الهجرة ، فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة ، وبلغت مئة سنة ، لم يسقط لها سنٌّ ، ولم ينكر من عقلها شيء .

وروي لأسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وخمسون حديثاً .

وروىٰ عنها : ابن عباس ، وابناها ، وعبد الله ابن أبي مليكة ، وغيرهم .

ولها منقبة : أنها وابنها وأباها وجدها أربعة صحابيون ، لا تعرف لغيرهم إلا لمحمد بن عبد الرحمٰن ابن أبي بكر ابن أبي قحافة ، رضي الله عنهم . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٣٢٨ـ٣٢٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٥) ، والكذاب : هو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، والمبير : المهلِكُ ، وقصِدت به الحجاج .

ومنهن :

أم أيمن
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أم أيمن اسمها : بركة ، مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته ، ورثها من أبيه ، فأعتقها حين تزوج خديجة ، فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث ، فولدت له أيمن ، ثم تزوجها زيد بن حارثة بعد النبوة ، فولدت له أسامة .

وعن عثمان بن القاسم قال : خرجت أم أيمن مهاجرة إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وهي ماشية ليس معها زاد ، وهي صائمة في يوم شديد الحر ، فأصابها عطش شديد ، حتىٰ كادت أن تموت من شدة العطش ، قال : فبينا هي بالروحاء أو ما قاربها . . قالت : إذا أنا بحفيف[1] شيء فوق رأسي ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بدلو من السماء مدلىٰ برشاء أبيض ، قالت : فدنا مني حتىٰ إذا كان من حيث أستمكن منه . . تناولته ، فشربت منه حتىٰ رويت ، قالت : فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش وما عطشت بعدها .

وعن أنس قال : ذهبت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلىٰ أم أيمن نزورها ، فقربت له طعاماً وشراباً ، فإما كان صائماً أو لم يرده ، فجعلت تسأله أن يأكل ، فلم يأكل ، قال : فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم . . قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : سر بنا إلىٰ أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، فلما رأتهما . . بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ أما علمت أن ما صار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً مما كان فيه ؟ فقالت : إني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صار إلىٰ خير مما كان فيه ، ولـٰكني أبكي لخبر السماء كيف انقطع عنا ، فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها .

(١) الحفيف : صوت الشيء تسمعه كالرنة ، أو الرمية ، أو التهاب النار .

قال الواقدي : حضرت أم أيمن أُحداً ، وكانت تسقي الماء ، وتداوي الجرحىٰ ، وشهدت خيبر ، وتوفيت في أول[1] خلافة عثمان رضي الله عنهما . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٢٩ـ٣٠] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) في « الصفوة » : (وتوفيت في آخر خلافة عثمان) .

ومنهن :

أم كلثوم
[ابنة عقبة بن أبي معيط]
رضي الله عنها

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة ، وهي أول من هاجر من النساء بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ هاجرت في هدنة الحديبية .

وعن ربيعة بن عثمان وقدامة قالا : لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة . . إلا أم كلثوم .

قالت : كنت أخرج إلىٰ بادية لنا فيها بعض أهلي ، فأقيم فيها الثلاث والأربع ، وهي ناحية التنعيم ، ثم أرجع إلىٰ أهلي ، فلا ينكرون ذهابي في البادية ، حتىٰ أجمعت السير ، فخرجت يوماً من مكة كأني أريد البادية ، فلما رجع من تبعني . . إذا رجل من خزاعة ، قال : أين تريدين ؟ قلت : ما مسألتك ؟ ومن أنت ؟ قال : رجل من خزاعة ، فلما ذكر خزاعة . . اطمأننت إليه ؛ لدخول خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده ، فقلت : إني امرأة من قريش أريد اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علم لي بالطريق ، فقال : أنا صاحبك حتىٰ أوردك المدينة ، ثم جاءني ببعير فركبته ، وكان يقود بي البعير ، ولا والله ؛ ما كلمني بكلمة حتىٰ إذا أناخ البعير . . تنحىٰ عني ، فإذا نزلت . . جاء إلى البعير ، فقيده بالشجر ، ثم تنحىٰ إلىٰ فيء شجرة ، حتىٰ إذا كان الرواح . . خرج بالبعير ، فقربه وولىٰ عني ، فإذا ركبته . . أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتىٰ أنزل ، فلم يزل كذا حتىٰ قدمنا المدينة ، فجزاه الله من صاحب خيراً .

فدخلت علىٰ أم سلمة وأنا متنقبة ، فما عرفتني حتى انتسبت وكشفت النقاب ، فالتزمتني وقالت : هاجرتِ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم ، وإني أخاف أن يردّني كما رد أبا جندل وأبا بصير ، وحال الرجال ليس كحال النساء ، والقوم مصبِّحيّ ، قد طالت غيبتي عنهم اليوم خمسة أيام منذ فارقتهم ، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب ، ثم يطلبوني ،

فإن لم يجدوني. . رحلوا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ أم سلمة ، فأخبرته خبر أم كلثوم ، فرحَّب بها وسهَّل ، فقالت : إني فررت إليك بديني ، فامنعني ولا ترُدَّني إليهم يفتنونني ويعذبونني ، ولا صبر لي على العذاب ، إنما أنا امرأة ، وضعف النساء إلىٰ ما تعرف ، وقد رأيتك رددت رجلين حتى امتنع أحدهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء ، وحكم سبحانه وتعالىٰ بحكمٍ رَضُوهُ كلُّهن » ، فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد ، فقالا : أوف لنا شرطنا وما عاهدتنا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد نقض الله عز وجل ذلك » ، فانصرفا .

وكانت أم كلثوم عاتقاً حينئذ[1] ، فتزوجها زيد بن حارثة ، فلما قتل عنها. . تزوجها الزبير ، فولدت له زينب ، ثم تزوجها عبدَ الرحمـٰن بن عوف ، فولدت له إبراهيم ، ثم تزوجها عمرو بن العاصي ، فماتت عنده رضي الله عنها . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٣٠ـ٣١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) المرأة العاتق : البكر الشابة ، التي أدركت وبلغت ، لم تتزوج بعد .

ومنهن :

أم الدرداء
رضي الله عنها

وهما اثنتان .

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أم الدرداء الكبرىٰ ، تسمىٰ : خيرة بنت أبي حدرد ، زوج أبي الدرداء ، لها صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنها ماتت قبل أبي الدرداء .

والصغرى اسمها : هجيمة بنت حيي ، ويقال : جهيمة ، وهي زوجته أيضاً ، وهي التي خطبها معاوية بعد موت أبي الدرداء ، فأبت أن تتزوجه .

وهٰذه الصغرىٰ لا صحبة لها .

ويروي عنها : ابن أبي المهاجر ، وزيد بن أسلم ، وطلحة بن عبد الله بن كريز ، وصفوان بن عبد الله ، وعثمان بن حيان ، وسالم ابن أبي الجعد ، ويونس بن ميسرة .

وقال عون بن عبد الله : كنا نجلس إليها ، فنذكر الله عز وجل عندها ، ثم نقول لها : لعلنا قد أمللناك ، فتقول : أتزعمون أنكم أمللتموني ؟ فقد طلبت العبادة في كل شيء ، فما وجدت شيئاً أشفىٰ لصدري ، ولا أحرىٰ أن أصيب به الذي أريد . . من مجالس الذكر .

وقال إبراهيم ابن أبي عبلة : قلت لها : اِدعي لي ، قالت : أوَبلغتُ أنا ذلك ؟

وقال يونس بن ميسرة : كنَّا نحضرها ويحضر إليها نساء متعبدات يقمن الليل ، حتىٰ إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام .

وقالت يوماً : هل تعلمون ما يقول الميت علىٰ سريره ؟ فقيل : لا ، قالت : فإنه يقول : يا أهلي ، ويا جيراني ، ويا حملة سريري ؛ لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ، ولا تلعبنَّ بكم الدنيا كما لعبت بي ؛ فإن أهلي لا يحملون من أوزاري شيئاً ، ولو حاجُّوني عند الجبار جل جلاله . . لحجوني .

وكانت تقول : (الدنيا أسحر لقلوب العابدين من هاروت وماروت ، وما آثرها عَبْدٌ قط . . إلا صرعته) .

وقال أبو عمران الأنصاري : كنت أقود دابة أم الدرداء فيما بين بيت المقدس ودمشق ، فتقول لي : يا سليمان ؛ انظر إلى الجبال ، وانظر إلىٰ ما وعدها الله عز وجل به ، وارفع صوتك بهـٰذه الآية : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ ، إلىٰ غيرها من الآيات .

وقال سعيد بن عبد العزيز : أشرفت أم الدرداء علىٰ وادي جهنم ومعها إسماعيل ابن أبي عبيد[1] ، فقالت : يا إسماعيل ؛ اقرأ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ، ثم خرت علىٰ وجهها ، وخر إسماعيل علىٰ وجهه ، فما رفعا رؤوسهما حتى ابتل ما تحت وجوههما من دموعهما .

وتوفيت ابنة لأبي الدرداء ، فصلَّت عليها أم الدرداء ، ثم رجعت من دفنها ، فقالت : اذهبي إلىٰ ربك عز وجل ، وأنا أذهب إلىٰ ربي سبحانه وتعالىٰ ، فدخلت المسجد .

وخطب معاوية أم الدرداء ، فأبت أن تتزوجه ، وقالت : سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرأة لآخر أزواجها ، أو في آخر أزواجها » ـ أو كما قالت ـ فلست أريد بأبي الدرداء بدلاً[2] .

وكانت تقول : **إنما الوجل في قلب ابن آدم كاحتراق الشعلة ، أمَا يجد لها قشعريرة ؟ قلت[3] : بلىٰ ، قالت : فادع الله عز وجل إذا وجدت ذلك ؛ فإن الدعاء يستجاب عند ذلك** . انتهىٰ [« الصفوة » ٤/٢٠٧ـ٢٠٩] .

وعن سليم بن عامر ، قال : أرسلتني أم الدرداء إلىٰ نوف البكالي وإلىٰ رجل آخر كان يقص في المسجد ، فقالت : قل لهما : اتقيا الله عز وجل ، ولتكن موعظتكما لأنفسكما .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) كذا في النسخ ، وفي « الصفوة » و« تهذيب الكمال » : (٣٠/ ١٤٣) : (إسماعيل ابن أبي عبيد الله) .
(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣/ ٢٧٥) .
(٣) القائل هو : شهر بن حوشب راوي الخبر كما في « الصفوة » .

ومنهن :

أسماء بنت عميس
رضي الله عنها

قال النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر الصديق ، وكانت قبله تحت جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهاجرت معه إلىٰ أرض الحبشة ، ثم قتل عنها يوم مؤتة ، فتزوجها الصديق رضي الله عنه ، فمات عنها ، ثم تزوجها علي رضي الله عنه .

وأولادها من جعفر : عبد الله ، ومحمد ، وعون ، ومن أبي بكر الصديق : محمد ، ومن علي : يحيىٰ .

روىٰ عنها من الصحابة : عمر بن الخطاب ، وأبو موسى الأشعري ، وابن عباس ، وابنها عبد الله بن جعفر .

ومن غير الصحابة : عروة بن الزبير وغيره ، رضي الله عنهم أجمعين .

وكانت أسماء أكرم الناس أصهاراً ؛ فمن أصهارها سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة ، والعباس ، وغيرهم .

قال ابن سعد [في « الطبقات » ٨/ ٢٨٠] : أسلمت قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بمكة ، وبايعت ، رضي الله عنها . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/ ٣٣٠ـ٣٣١] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أسلمت بمكة قديماً ، وهاجرت إلىٰ أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

وعن أبي موسىٰ قال : بلَغَنا مَخرجُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأَخوان لي أنا أصغرهم ، أحدهما : أبو بردة ، والآخر : أبو رهم ـ بالراء المهملة ـ إما قال : في بضع أو ثلاثة وخمسين ، فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعثنا إلىٰ هـٰهنا ، وأمرنا بالإقامة ، فأقيموا معنا ، فأقمنا معه حتىٰ قدمنا جميعاً ، فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فأسهم لنا ، أو قال : أعطانا منها ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً . . إلا لمن شهدها معه ، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فسهم لهم معهم ، قال : فكان ناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأصحاب السفينة ـ : سبقناكم بالهجرة ، قال : فدخلت أسماء بنت عميس ، وهي ممن قدم معنا علىٰ حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم زائرة ، وكانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه ، فدخل عمر علىٰ حفصة ـ وإنها عندها ـ فقال عمر رضي الله تعالىٰ عنه حين رأىٰ أسماء : مَن هـٰذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس ، فقال عمر : الحبشية البحرية ؟ فقالت أسماء : نعم ، فقال عمر رضي الله عنه : سبقناكم الهجرة ، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم ، فغضبت وقالت : يا عمر ؛ كلاً ، والله ؛ كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنَّا في دار البُعَدَاء البُغَضَاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسوله ، وايم الله ؛ لا أَطعَم طعاماً ولا أشرب شراباً حتىٰ أذكر ما قلتَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسأله ، والله ؛ ما أكذب ولا أزيد علىٰ ذلك ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قالت : يا نبي الله ؛ إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فما قلتِ له ؟ » قالت : قلت له كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم ـ يا أصحاب السفينة ـ هجرتان » ، قالت : فلقد رأيت أبا موسىٰ وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألونني عن هـٰذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم . . مما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم(١) . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٣٣ـ٣٤] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٩٠) ، ومسلم (٢٥٠٣) ، وقولها : (في دار البعداء البغضاء) أي : البعداء في النسب ، البغضاء في الدين ؛ لأنهم كفار ، إلا النجاشي ، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري لهم ، أرسالاً : أفواجاً ، فوجٌ بعد فوج .

ومنهن :

أم سليم بنت ملحان
رضي الله عنها

روى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : عن أنس : أن أبا طلحة خطب أم سليم ، فقالت : يا أبا طلحة ؛ ألست تعلم أن إلـٰهك الذي تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشيُّ بني فلان ؟ قال : بلىٰ ، قالت : أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بني فلان ؟! فلئن أسلمت . . لم أرد منك صداقاً غيره ، قال : حتىٰ أنظر في أمري ، فذهب ثم جاء ، فقال : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قالت : يا أنس ؛ زَوِّجْ أبا طلحة . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٦٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أم سليم : هي الغُميصاء ـ بالصاد المهملة ـ ويقال : الرميصاء[(١)] ، تزوجها مالك بن النضر ، فولدت له أنس بن مالك ، ثم قتل ، فخطبها أبو طلحة قبل أن يسلم ، فقالت : أمَا إني فيك لراغبة ، وما مثلك يُرَدُّ ، ولـٰكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، فإن تُسْلِمْ . . فذلك مهري لا أسألك غيره ، فأسلم أبو طلحة وتزوجها ، قال ثابت : فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم .

وعن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتاً في المدينة غير بيت أم سليم ، إلاَّ علىٰ أزواجه ، فقيل له ، فقال : « إني أرحمها ، قتل أخوها معي »[(٢)] .

وعنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل علىٰ أم سليم ، فتبسط له النطع ، فيقيل عندها ، فتأخذ من عرَقه صلى الله عليه وسلم ، فتجعله في طيبها[(٣)] .

---

(١) الغمص والرمص : قذىً يابس وغير يابس يكون في أطراف العين .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٩) ، ومسلم (٢٤٥٥) ، وقد ورد أنه كان يدخل بيت أم حرام أيضاً ؟ والجواب عن ذلك : أن أم سليم وأم حرام أختان ، وكانتا تقيمان في دار واحدة . كما قال ابن حجر في « الاستيعاب » (٤/ ٤٤٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٢٥) ، ومسلم (٢٣٣٢) .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة ، فسمعت خَشْفَةً بين يدي ؛ فإذا هي الغميصاء أم أنس بن مالك »[١] .

وعنه قال : جاء أبو طلحة يوم حنين ، فقال : يا رسول الله ؛ ألم تر إلىٰ أم سليم معها خنجر ؟! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تصنعين به يا أم سليم ؟ » قالت : إن دنا مني أحد . . طعنته[٢] .

وعنه قال : لما كان يوم أحد . . رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان ، أرىٰ خَدَمَ سُوقِهما[٣] ، تنقلان القرب علىٰ متونهما ، ثم تفرغانها في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم[٤] .

وعنه قال : رأىٰ[٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سليم تصلي في بيتها تطوعاً ، فقال : « يا أم سليم ؛ إذا صليت المكتوبة . . فقولي : سبحان الله عشراً ، والحمد لله عشراً ، ولا إلـٰه إلا الله عشراً ، والله أكبر عشراً ، ثم سلي الله تعالىٰ ما شئت ؛ فإنه يقال لك : نعم . . نعم . . نعم »[٦] .

وعنه قال : كان ابن لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة ، فقبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة . . قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم : هو أسكن مما كان ، فقربت إليه العشاء ، ثم أصاب منها ، فلما فرغ . . قالت : واروا الصبي ، فلما أصبح أبو طلحة . . أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أعرَّستم الليلة ؟ » فقال : نعم ، فقال : « اللهم ؛ بارك لهما في ليلتهما » ، فولدت غلاماً ، فقال أبو طلحة : احمله حتىٰ تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعث معه بتمرات ، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم ، فمضغها ، ثم أخذها من فيه ، فجعلها في فيْ الصبي ، وحنكه ، وسماه عبد الله[٧] .

وعنه قال : مات ابن لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه

---

(١) أخرجه ومسلم (٢٣٣٢) ، وابن حبان (٧١٩٠) ، والخشفة : حركة المشي وصوته .
(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٩) .
(٣) أي : موضع الخلخال من سوقهما .
(٤) أخرجه البخاري (٢٧٢٤) ، ومسلم (١٨١١) .
(٥) في « الصفوة » : (زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سليم فصلىٰ في بيتها تطوعاً . . .) .
(٦) أخرجه الديلمي (٥/ ٤٣٨) .
(٧) أخرجه البخاري (٥١٥٣) ، ومسلم (٢١٤٤) .

حتىٰ أكون أنا التي أحدثه ، قال : فجاء ، فقربت له عشاء ، فأكل وشرب ، قال : ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها . قالت : يا أبا طلحة ؛ أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، قالت : فاحتسب ابنك ، فغضب وقال : تركتيني حتىٰ تلطخت ، ثم أخبرتيني بابني ، فانطلق حتىٰ أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما كان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لكما في ليلتكما » ، قال : فحملت ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ وهي معه ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى المدينة من سفر . . لا يطرقها طروقاً ـ فدنت من المدينة ، فضربها المخاض ، فاحتبس معها أبو طلحة ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو طلحة : يا رب ؛ إنك تعلم أنه يعجبني أن أخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج ، وأدخل معه إذا دخل ، وقد احتبست بما ترىٰ ، قال : فقالت أم سليم : يا أبا طلحة ؛ ما أجد الذي كنت أجد ، فانطلقا ، قال : وضربها المخاض حين قدما ، فولدت غلاماً ، فقالت لي أمي : يا أنس ؛ لا يرضعه أحد حتىٰ تغدو على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما أصبحت . . حملته ، فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فصادفته ومعه ميسم ، فلما رآني . . قال : « لعل أم سليم ولدت » ، قلت : نعم ، فوضع الميسم ، وجئت فوضعته في حجره ، قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعجوة من عجوة المدينة ، فلاكها في فيه حتىٰ ذابت ، ثم قذفها في فيْ الصبي ، فجعل يتلمظ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انظروا إلىٰ حب الأنصار التمر » قال : فمسح وجهه ، وسماه عبد الله[1] . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٣٥ـ٣٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٤) ، والميسم : الحديدة التي يُكوىٰ بها الحيوان ، ويتلمظ : أي يدير لسانه في فيه ويحركه .

ومنهن :

السوداء الممتَحَنة

رضي الله عنها

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن عطاء ابن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس رضي الله عنهما : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلىٰ ، قال : هـٰذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : إني أصرع وإني أتكشف ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن شئت . . صبرت ولك الجنة ، وإن شئت . . دعوت الله لك أن يعافيك » ، قالت : أصبر وأصبر ، ولـٰكن ادع الله لي ألاَّ أتكَشَّفَ ، فدعا لها ، فلم تتكشف بعد ذلك(١) . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٧٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٥٣٢٨) ، ومسلم (٢٥٧٦) ، وأحمد (١/ ٣٤٦) .

قال :

ذِكْرُ شأن المرأة الدينارية
رضي الله عنها

قال ابن إسحاق[1] : ومرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار قد أصيبت بزوجها وأخيها وأبيها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد ، فلما نُعوا لها. . قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتىٰ أنظر إليه ، فأشير لها إليه ، حتىٰ إذا رأته. . قالت : كل مصيبة بعدك جلل ؛ أي قليل ، وفي رواية : لا أبالي إذا سلمتَ بمن عطب[2] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣/ ٩٩) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٧٤) ، والجلل : الشيء العظيم وكذلك الصغير الهين ، وهو من الأضداد في كلام العرب ، والمقصود هنا : كل مصيبة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيرة هينة ، والعَطَب : الهلاك .

ذكر جماعة من سادات التابعين
رضي الله عنهم

أولهم الإمام :

أويس القَرَني
رضي الله عنه

قال أبو الفرج[١] ـ رحمه الله ـ : أويس بن عامر بن مالك القرني من أهل اليمن ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتت إليه وفود أهل اليمن . . سألهم : هل فيكم أويس القرني ؟ حتىٰ أتىٰ علىٰ أويس ، فقال : أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال : ألك والدة ؟ قال : نعم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر في أمداد اليمن » ، قال : « من مراد ، ثم من قَرَن ، كان به برص ، فبرىء منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله . . لأبر قسمه ، فإن استطعت أن يستغفر لك . . فافعل » ، فاستغفِر لي ، فاستغفر له ، فقال عمر رضي الله عنه : أين تريد ؟ قال : الكوفة ، قال : أكتب لك إلىٰ عاملها فليستوصي بك ؟ فقال : لا ، لأَن أكون في غُبَّر الناس[٢] . . أحب إليَّ ، فلما كان في العام المقبل . . حج رجل من أشرافهم ، فوافق عمر رضي الله عنه ، فسأله عن أويس ، كيف تركته ؟ قال : تركته رث البيت قليل المتاع ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن » . . . فذكره ، فإن استطعت أن يستغفر لك . . فافعل ، فلما قدم الكوفة . . أتىٰ أويساً ، فقال : استغفر لي ، فقال له : أنت أحدث عهداً مني بسفر صالح ، فاستغفر لي أنت ، فقال له : استغفر لي أنت ، فقال : ألفيتَ عمر رضي الله عنه ؟ قال : نعم ، فاستغفر له ، ففطن له الناس ، فانطلق علىٰ وجهه[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله

---

(١) في النسخ : (أبو نعيم) ولعله وهمٌ من النسَّاخ ؛ لأن النص بحرفيته في « الصفوة » ، أما في « الحلية » فقد رواها بروايات مختلفة .

(٢) غُبَّر كل شيء : بقيّته وآخره ، ومعنىٰ غُبَّر الناس : المتأخرين لا المتقدمين المشهورين .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٢) .

تعالىٰ يحب من خلقه الأصفياء ، الأخفياء ، الأبرياء ، الشعثة رؤوسهم ، المغبرة وجوههم ، الخمصة بطونهم ، الذين إذا استأذنوا على الأمراء . . لم يؤذن لهم ، وإن خطبوا المتنعمات . . لم يُنكَحوا ، وإن غابوا . . لم يُفتَقَدوا ، وإن طلعوا . . لم يفرح بطلعتهم ، وإن مرضوا . . لم يعادوا ، وإن ماتوا . . لم يشهدوا » ، قالوا : يا رسول الله ؛ كيف لنا برجل منهم ؟ قال : « ذاك أويس القرني » ، قالوا : وما أويس القرني ؟ قال : « أشهَلُ ، ذو صُهُوبة[1] ، بعيد ما بين المنكبين ، معتدل القامة ، آدم شديد الأدمة ، ضارب بذقنه إلىٰ صدره ، رامٍ ببصره إلىٰ موضع سجوده ، واضع يمينه علىٰ شماله ، يتلو القرآن ، يبكي علىٰ نفسه ، ذو طمرين ، لا يؤبه له ، متزر بإزار صوف ورداء صوف ، مجهول في أهل الأرض ، معروف في أهل السماء ، لو أقسم على الله تعالىٰ . . لأبر قسمه ، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعةَ بياض ، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة . . قيل للعباد : ادخلوا الجنة ، وقيل لأويس : قف فاشفع ، فيشفعه الله عز وجل في مثل عدد ربيعة ومضر ، يا عمر ، ويا علي ؛ إذا أنتما لقيتماه . . فاطلبا إليه يستغفر لكما يغفر الله لكما » .

قال : فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه ، فلما كان آخر السنة التي توفي فيها عمر رضي الله عنه . . قام علىٰ أبي قبيس ، فنادىٰ بأعلىٰ صوته : يا أهل الحجيج من اليمن ؛ أفيكم أويس من مراد ؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية ، فقال : إنا لا ندري ما أويس ، ولـٰكن ابن أخ لي يقال له : أويس ، وهو أخمل ذِكراً ، وأقل مالاً ، وأهون أمراً من أن نرفعه إليك ، وإنه ليرعىٰ إبلنا ، حقير بين أظهرنا ، فعمَّىٰ عليه عمر كأنه لا يريده ، وقال : أين ابن أخيك هـٰذا ؟ أَبِحَرَمِنَا هو ؟ قال : نعم ، قال : وأين يصاب ؟ قال : بأراك عرفات .

قال : فركب عمر وعلي رضي الله عنهما سراعاً إلىٰ عرفات ؛ فإذا هو قائم يصلي إلىٰ شجرة ، والإبل حوله ترعىٰ ، فشدَّا حماريهما ، ثم أقبلا إليه ، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فخفف أويس الصلاة ، وقال : عليكما السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم قالا : مَن الرجل ؟ قال : راعي إبل وأجير قوم ، قالا : لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة ، ما اسمك ؟ قال : عبد الله ، قالا : قد علمنا أن أهل السماوات والأرض كلهم عبيد لله ، فما اسمك الذي سمتك به أمك ؟ قال : يا هـٰذان ؛ ما تريدان بي ؟ قالا : وصَف لنا محمد صلى الله عليه وسلم أويساً القرني ، فقد عرفنا الصهوبة والشهولة ، وأخبرنا أن

---

(١) أشهل : أي يشوب سواد عينه زرقة ، والصُّهُوبة : الشقرة في شعر الرأس .

تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء ، فأوضِحْها لنا ، فإن كانت بك . . فأنت هو ، فأوضح منكبه ؛ فإذا اللمعة ، فابتدرا يقبلانها ، وقالا : نشهد أنك أويس ، فاستغفر لنا يغفر الله لك ، فقال : ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم ، ولـٰكنه في البر والبحر ، في المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، يا هـٰذان ؛ إنه قد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري ، فمن أنتما ؟ قال علي بن أبي طالب : أما هـٰذا . . فعمر أمير المؤمنين ، وأما أنا . . فعلي بن أبي طالب ، فاستوىٰ أويس قائماً ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، وأنت يابن أبي طالب السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، جزاكما الله عن هـٰذه الأمة خيراً ، فقال له : عمر مكانك يرحمك الله ، حتىٰ أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائي وفضل كسوة من ثيابي ، وهـٰذا المكان ميعادٌ بيني وبينك ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ لا ميعادَ بيني وبينك ، لا أراك بعد اليوم ، فعرِّفني ما أصنع بالنفقة ؟ ما أصنع بالكسوة ؟ أمَا ترىٰ عليَّ إزاراً من صوف ورداء من صوف ؟! متىٰ تراني أخرقهما ؟! أمَا ترىٰ نعلاي مخصوفتين ؟! متىٰ أخرقهما ؟! أمَا تراني قد أخذت من رَعْيَتِي أربعة دراهم ؟! متىٰ تراني آكلهما ؟! يا أمير المؤمنين ؛ إن بين يدي ويديك عقبة كؤوداً ، لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول ، فأخف رحمك الله .

فلما سمع عمر رضي الله عنه ذلك . . ضرب بِدِرَّتِهِ الأرض ، ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته : ألا ليت أم عمر لم تلده ، ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها ، ألا من يأخذها بما فيها ولها ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ خذ أنت هـٰهنا ، حتىٰ آخذ أنا هـٰهنا ، فولىٰ عمر ناحية مكة ، وساق أويس إبله ، فوافى القوم بإبلهم ، وخلا عن الرعاية ، وأقبل على العبادة ، حتىٰ لحق بالله عز وجل(١) .

وقال علقمة : انتهى الزهد إلىٰ ثمانية من التابعين : منهم أويس القرني ، ظن أهله أنه مجنون ، فبنوا له بيتاً علىٰ باب دارهم ، فكانت تأتي عليه السنة والسنون لا يرون له وجهاً ، وكان طعامه مما يلتقطه من النوىٰ ، فإذا أمسىٰ . . باعه لإفطاره .

وقال هرم بن حيان : قدمت الكوفة ، فلم يكن لي هم إلا طلبه ، حتىٰ وجدته جالساً علىٰ شط الفرات نصف النهار يتوضأ ، فعرفته بالنعت الذي نعت لي مهيب المنظر ، فسلمت عليه ، ورد علي السلام ، ونظر إلي ، ومددت يدي لأصافحه ، فأبىٰ أن يصافحني ، فقلت

---

(١) أخرجه القزويني في « التدوين في أخبار قزوين » (١/ ٩٥) .

له : رحمك الله ، وغفر لك ، كيف أنت ؟ وخنقتْني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه لما رأيت من رقة حاله ، فبكيت ، وبكىٰ ، ثم قال : وأنت حياك الله يا هرم بن حيان ، كيف أنت يا أخي ؟ من دلَّك علي ؟ قلت : الله ، قال : لا إلـٰه إلا الله ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ ، فقلت : من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم ؟ قال : أنبأني العليم الخبير ، عرفت روحي روحك حين كلَّمَتْ نفسك نفسي ، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً ، ويتحابون بروح الله ، وإن نأت بهم الدار ، وتفرقت بهم المنازل ، قلت : حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لي معه صحبة ، بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولـٰكن قد رأيت رجالاً رأوه ، ولست أحب أن أفتح علىٰ نفسي هـٰذا الباب ، لا أحب أن أكون محدثاً ، أو قاضياً[(1)] ، أو مفتياً ، في نفسي شغل عن ذلك ، فقلت : اقرأ علي آيات من كتاب الله عز وجل أسمعها منك ، وأوصني بوصية أحفظها عنك ؛ فإني أحبك في الله تعالىٰ ، فأخذ بيدي ، وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، قال ربي وأحق القول قول ربي ، وأصدق الكلام كلام ربي ، ثم قرأ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، فشهق شهقة ، فنظرت إليه كاد أن يغشىٰ عليه ، ثم قال : يابن حيان ؛ مات أبوك ، ويوشك أن تموت ، فإما إلى الجنة ، وإما إلى النار ، ومات أبوك آدم ، وماتت أمك حواء ، ومات نوح نبي الله ، ومات إبراهيم خليل الله ، ومات موسىٰ نجي الله ، ومات داوود خليفة الرحمـٰن ، ومات محمد حبيب الرحمـٰن ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، ومات أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات أخي وصديقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قلت له : يرحمك الله ، إن عمر لم يمت ، قال : بلىٰ قد نعاه لي ربي عز وجل ، ونعىٰ إلي نفسي ، وأنا وأنت غداً في الموتىٰ ، ثم صلىٰ على النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعا بدعوات خفاف ، ثم قال : وصيتي إليك كتاب الله ، ونعي المرسلين ، ونعي صالح المؤمنين ، وعليك بذكر الموت ، ولا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت ، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم ، وانصح الأمة جميعاً ، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم ، فتدخل النار ، ادع لي ولنفسك ، ثم قال : اللهم ؛ إنَّ هـٰذا زعم أنه يحبني فيك ، وزارني من أجلك ، فعرِّفني وجهه في الجنة ، وأدخله علي دار السلام ، واحفظه ما دام في الدنيا حياً ، ورضِّه في الدنيا باليسير ، واجعله

(1) كذا جاء في النسخ و« الحلية » ولعل الصواب : قاضّاً ، والله أعلم .

لما أعطيته من نعمك من الشاكرين ، واجزه عني خيراً ، ثم قال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، لا أراك بعد اليوم رحمك الله ؛ فإني أكره الشهرة ، والوحدة أحبُّ إليَّ ؛ لأني كثير الغم ما دمت مع الناس حياً ، فلا تسأل عني ولا تطلبني ، واعلم أنك مني علىٰ بال وإن لم أرك وترني ، واذكرني وادع لي ؛ فإني سأدعو لك وأذكرك إن شاء الله ، فانطلق أنت هـٰهنا حتىٰ آخذ أنا هـٰهنا ، فحرصت علىٰ أن أمشي معه ساعة ، فأبىٰ عليَّ ، ففارقته يبكي وأبكي ، فجعلت أنظر إليه حتىٰ دخل بعض السكك ، ثم سألت عنه بعد ذلك وطلبته فلم أجد من يخبرني عنه بشيء ، وما أتت عليَّ جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/ ٢٤ـ٢٧] .

وقال أرباب السير(١) : كان أويس إذا أمسىٰ . . يقول : (هـٰذه ليلة الركوع) فيركع حتىٰ يصبح ، وكان إذا أمسىٰ . . يقول : (هـٰذه ليلة السجود) فيسجد حتىٰ يصبح ، وكان إذا أمسىٰ . . يتصدق بما في بيته من طعام وغيره ، ويقول : اللهم ؛ من بات جائعاً . . فلا تؤاخذني به ، ومن بات عرياناً . . فلا تؤاخذني به .

قالوا : وبلغ من عري أويس : أنه جلس في قوصرة(٢) ، وكان يلتقط الكِسَرَ من المزابل ، فيغسلها ، فيأكل بعضها ، ويتصدق ببعضها ، ويقول : اللهم ؛ إني أبرأ إليك من كل ذي كبد جائع .

وقال هرم بن حيان لأويس : أوصني ، قال : توسد الموت إذا نمت ، واجعله نصب عينيك إذا قمت ، وادع الله أن يصلح قلبك ويثبتك ، فلم تعالج شيئاً أشد عليك منه ، بينا هو مقبل إذا هو مدبر ، وبينا هو مدبر إذا هو مقبل ، ولا تنظر في صغر الخطيئة ، ولـٰكن انظر إلىٰ عظمة من عصيت .

وقال : **الدعاء بظهر الغيب أفضل من الزيارة واللقاء ؛ لأنهما قد يعرض فيهما التزين والرياء** .

وقال عبد الله بن مسلمة(٣) : غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومعنا أويس القرني ، فلما رجعنا . . مرض ، فحملناه ، فلم يستمسك ، ومات ، فنزلنا ،

---

(١) انظر « الصفوة » (٣/ ٢٦ـ٢٧) .
(٢) القَوْصَرَّة : وعاء للتمر من قصب .
(٣) كذا في النسخ ، وفي « الحلية » : (عبد الله بن سلمة) ولعله الأصح كما في « تهذيب الكمال » (١٥/ ٥١) .

فإذا قبر محفور ، وماء مسكوب ، وكفن ، وحنوط ، فغسلناه ، وكفناه ، وصلينا عليه ، ودفناه ، فقال بعضنا لبعض : لو رجعنا ، فعلمنا قبره ، فرجعنا ، فإذا لا قبر ولا أثر .

وروي أنه عاش بعد ذلك زماناً طويلاً ، والله أعلم .

وقال عبد الرحمـٰن ابن أبي ليلىٰ : نادىٰ رجل من أهل الشام يوم صفين : أفيكم أويس القرني ؟ قلنا : نعم ، وما تريد منه ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أويس القرني خير التابعين بإحسان » ، وعطف دابته ، ودخل مع أصحاب علي رضي الله عنه[1] .

وفي رواية : نادىٰ مناد يوم صفين : أفي القوم أويس القرني ؟ فوُجد في قتلىٰ علي رضي الله عنه . انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٣/ ٤٨٠) .

ومنهم الإمام :

عامر بن عبد الله بن قيس (١)
رضي الله عنه

قال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : قال علقمة بن مرثد : انتهى الزهد إلىٰ ثمانية : عامر بن عبد الله بن قيس ، وأويس القَرَنيّ ، وهرم بن حيان ، والربيع بن خُثَيْم ، ومسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وأبي مسلم الخولاني ، والحسن ابن أبي الحسن .

فأما عامر بن عبد الله. . فكان يقول : إلـٰهي ؛ إنك لتعلم أن لو كانت الدنيا لي بحذافيرها ، ثم أمرتني بإخراجها . . لجعلتها لك وفي سبيلك ، إلـٰهي ؛ فهب لي نفسي .

وكان يبكي في مرضه ، فقيل له : ما يبكيك وقد كنت وكنت ؟! فيقول : ما لي لا أبكي ، ومن أحق بالبكاء مني ، والله ؛ ما أبكي حرصاً على الدنيا ، ولا جزعاً من الموت ، ولـٰكن لبعد سفري ، وقلة زادي ، وظمأ الهواجر ، وقيام الليل في الشتاء ، وإني أمسيت في صعود وهبوط ، جنة أو نار ، فلا أدري إلىٰ أيتهما أصير .

وقال : لأجتهدن ، فإن نجوت. . فبرحمة الله سبحانه وتعالىٰ ، وإن دخلت النار. . فلبعد جهدي .

وكان قد فرض علىٰ نفسه كل يوم ألف ركعة ، يقوم عند طلوع الشمس ، فلا يزال قائماً إلى العصر ، ثم ينصرف وقد انتفخت قدماه وساقاه ، فيقول : يا نفس ؛ إنما خلقت للعبادة يا أمارة بالسوء ؛ فوالله ؛ لأعملن بك عملاً لا يأخذ الفراش منك نصيباً .

وكان يقول : أحببت الله عز وجل حباً سهَّل علي كل مصيبة ، ورضاني بكل قضية ، فلا أبالي مع حبي إياه سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما أصبحت وعلىٰ ما أمسيت . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٨٧ـ٩٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : هبط عامر وادياً يقال له : وادي السباع ، وفي الوادي

---

(١) كذا فيما لدينا من النسخ ، وفي « الحلية » و« سير أعلام النبلاء » و« تهذيب الكمال » : (عامر بن عبد الله بن عبد قيس) .

عابد حبشي ، يقال له : حممة ، فانفرد عامر في ناحية وحممة في ناحية ، لا هٰذا ينصرف إلىٰ هٰذا ، ولا هٰذا ينصرف إلىٰ هٰذا ، أربعين يوماً وليلة ، إذا جاء وقت الفريضة . . صليا جميعاً وأقبلا يتطوعان ، ثم انصرف عامر بعد أربعين يوماً إلىٰ حممة ، فقال : من أنت يرحمك الله ؟ فقال له : دعني وهمي ، قال : أقسمت عليك ، قال : أنا حممة ، قال عامر : لئن كنت حممة الذي ذُكِرْتَ لي . . لأنت أعبد أهل الأرض ، فأخبرني عن أفضل خصلة ؟ قال : إني لمقصر ، لولا مواقيت الصلاة تقطع عني القيام والسجود . . لأحببت أن أجعل عمري راكعاً ووجهي مفترشاً حتىٰ ألقاه ، ولٰكن الفرائض لا تدعني أفعل ذلك ، فمن أنت يرحمك الله ؟ قال : عامر بن قيس ، قال : إن كنت عامراً الذي ذُكِرْتَ لي . . فأنت أعبد الناس في زمانك ، فأخبرني بأفضل خصلة ؟ قال : إني لمقصر ، ولٰكن واحدة عظمت هيبة الله عز وجل في قلبي ـ أو قال : في صدري ـ حتىٰ لا أهاب شيئاً غيره ، فاكتنفته السباع ، فأتاه سبع منها ، فوثب عليه من خلفه ، ووضع يده علىٰ منكبه ، وعامر يتلو هٰذه الآية : ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ ، فذهب السبع ، فقال له حممة : يا عامر ؛ ما هالك ما رأيت ؟ فقال : إني لأستحي من الله عز وجل أن أهاب شيئاً غيره ، وقال حممة رحمه الله : لولا أن الله سبحانه وتعالى ابتلانا بالبطن ، فإذا أكلنا لا بد لنا من الحدث . . ما رآني ربي عز وجل إلا راكعاً أو ساجداً .

وكان يصلي في اليوم والليلة ثمان مئة ركعة ، ويقول : إني لمقصر في العبادة . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٠٦ـ١٠٧] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : مرَّ عامر رحمه الله برجل من أعوان السلطان وهو يجرُّ ذِمِّياً ، والذمي يستغيث به ، فأقبل على الذمي ، فقال : أديت جزيتك ؟ قال : نعم ، فقال : ما تريد منه ؟ قال : أذهب به يكسح[1] دار الأمير ، فقال للذمي : تطيب نفسك له بهٰذا ؟ قال : يشغلني عن صنعتي ، قال : دعه ، قال : لا أدعه ، قال : دعه ، قال : لا أدعه ، قال : فوضع كساءه ، ثم قال : لا تخفر ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا حي ، قال : ثم خلصه منه ، فتراقىٰ ذلك حتىٰ كان سبب تسييره إلى الشام من البصرة ، ولما سُيِّر . . شيعه إخوانه ، فقال : إني داع فأمنوا : اللهم ؛ من وشا بي ، وكذب علي ، وأخرجني من مصري ، وفرق بيني وبين إخواني . . اللهم ؛ أكثر ماله [وولده] ، وأصح جسمه ، وأطل عمره .

---

(١) يكسح : يكنس .

وكان قد سأل ربه عز وجل أن يهون عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتىٰ بالماء وله بخار .

ومر علىٰ قافلة قد احتبست ، فقال : ما لهم ؟ قالوا : الأسد ، قال : هـٰذا كلب من الكلاب ، فمرَّ به حتىٰ أصاب ثوبه فم الأسد ، ثم قال للقافلة : امضوا ، فلا بأس عليكم إن شاء الله ، فذهبت القافلة ولم يعرض لهم الأسد .

ووقعت نار قريباً من داره ، فقال عامر رحمه الله : هـٰذه مأمورة ، وأقبل علىٰ صلاته ، فلما بلغت النار داره . . عدلت عنها .

وقال مالك بن دينار : رأىٰ رجل في المنام كأن منادياً ينادي : أخبروا الناس أن عامر بن عبد الله يلقى الله سبحانه وتعالىٰ يوم يلقاه ووجهه مثل القمر ليلة البدر .

وقال لِابْنَي عم له : فوضا أمركما إلى الله سبحانه وتعالىٰ . . تستريحا .

وقال له رجل : استغفر لي ، فقال : إنك لتسأل من قد عجز عن نفسه ، ولـٰكن أطع الله ، ثم ادعه . . يستجب لك .

وكانت ابنة عمه يقال لها : عبيدة تصنع له الطعام ، فتأتيه به ، فيخرج به إلىٰ أيتام الحي ، فيدعوهم ، فتقول له ابنة عمه : إنما صنعته لك بيدي لتأكله ، فيقول : أليس إنما أردت نفعي ؟

وكان يقول لها : تعزَّي عن الدنيا بالقرآن ؛ فإنه من لم يتعز بالقرآن عن الدنيا . . تقطعت نفسه على الدنيا حسرات . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٩١-٩٣] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : بعث معاوية إلىٰ عامله : أن انظر عامر بن عبد الله ، فأحسن إذنه ، وأكرمه ، ومره أن يخطِب إِلَىٰ من شاء ، وأمهر عنه من بيت المال ، فأرسل إليه ، فأخبره بذلك ، فقال : فلان أحوج إلىٰ ذلك مني ، رجلاً كان قد أطال الاختلاف إليهم لا يؤذن له ، وقال عن الخِطبة : أنا في الخِطبة دائب ، فقيل : إلىٰ من ؟ قال : إلىٰ من يقبل الفلقة والتمرة ، ثم أقبل علىٰ جلسائه ، وقال : هل منكم من أحد إلا لمالِه من قلبه شعبة ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : هل منكم من أحد إلا لولده من قلبه شعبة ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : والذي نفسي بيده ؛ لأن تختلف الأسنة في جوانحي . . أحب إليَّ من أن أكون هـٰكذا ، أمَا والله ؛ لأجعلنَّ الهم همّاً واحداً ، قال الحسن : وفعل . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/ ١٠٨] .

وروى الحافظ بإسناده قال : كان له مجلس في المسجد فتركه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه مجلس كثير اللغط والتخليط ، وقد رأيت نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم وصحبتهم ، فحدثونا : أن أصفى الناس إيماناً يوم القيامة . . أشدهم محاسبة لنفسه في الدنيا ، وأن أشد الناس فرحاً في الدنيا . . أشدهم حزناً يوم القيامة ، وأن أكثر الناس ضحكاً في الدنيا . . أكثرهم بكاء يوم القيامة ، وحدثونا : أن الله تعالىٰ فرض فرائض ، وسَنَّ سنناً ، وحَدَّ حدوداً ، فمن عمل بفرائض الله وسننه واجتنب حدوده . . دخل الجنة بغير حساب ، ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده ثم تاب . . استقبل الزلازل والشدائد والأهوال ، ثم يدخله الله الجنة ، ومن عمل بفرائض الله وسننه وركب حدوده ثم مات مصرّاً علىٰ ذلك ولقي الله مسلماً : فإن شاء . . غفر له ، وإن شاء . . عذبه .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : كذا رواه عامر موقوفاً ، وهـٰذه الألفاظ قد رويت من غير جهة مرفوعة من حديث أبي الدرداء ، وأبي ثعلبة ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم .

وعن عامر بن عبد الله قال : يُعرَض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فعرضتان حساب ومعاذير ، والعرضة الثالثة تطاير الكتب ، فآخذ بيمينه ، وآخذ بشماله .

وكان عامر رضي الله عنه ممن تخرَّج علىٰ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في النسك والتعبد ، ومنه تلقن القرآن ، وعنه أخذ هـٰذه الطريقة ، رضي الله عنهم أجمعين . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٩٣ـ٩٤] .

وروىٰ أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : عن مالك بن دينار ، قال : قالت المرأة التي نزل عليها عامر : مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام ؟ فقال عامر : إن ذِكر جهنم لا يدعني أن أنام .

وقال : أربع آيات من كتاب الله عز وجل إذا ذكرتهن . . لا أبالي علىٰ ما أصبحت أو أمسيت : ﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ ، و﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ ، و﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ ، و﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

وقال أبو المتوكل الناجي : قال لي عامر : يا أبا المتوكل ؛ عليك بما يرغبك في الآخرة ، ويزهدك في الدنيا ، ويقربك إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، قلت : ما هو ؟ قال : تقصر عن الدنيا همك ، وتشحذ إلى الآخرة نيتك ، وتصدق ذلك بفعلك ، فإذا فعلت ذلك . . لم يكن شيء أحب إليك من الموت ، ولا شيء أبغض إليك من الحياة ، فقلت : يا أبا عبد الله ؛ كنت لا أحسبك تحسن مثل هـٰذا ، فقال : كم من شيء كنت أحسنه وددت أني لا أحسنه ، وما يغني عني ما أحسن من الخير إذا لم أعمل به .

وكان يشترط علىٰ رفقائه أن ينفق عليهم بقدر طاقته .

وخرج من البصرة إلى الشام ، ومعه شكوة[1] فيها ماء ، يتوضأ منه للصلاة ، ويشرب منها لبناً إذا شاء .

وكان إذا أصبح . . يقول : اللهم ؛ عمد الناس إلىٰ أسواقهم ، وأصبح كل امرىء منهم له حاجة ، وحاجتي إليك ـ يا رب ـ أن تغفر لي وترحمني .

وكان له رغيفان ، قد جعل عليهما ودكاً[2] ، يتسحر بواحد ، ويفطر بآخر .

وكان يحيي ما بين المغرب والعشاء ، فإذا صلى العشاء . . رجع إلىٰ منزله ، فيتناول أحد رغيفيه ، ثم يهجع هجعة خفيفة ، ثم يقوم ، فإذا أسحر . . تناول رغيفه الآخر ، ثم يشرب شربة من ماء ، ثم يخرج إلى المسجد .

وكان يأخذ عطاءه ، فيجعله في طرف ثوبه ، فلا يلقىٰ مسكيناً يسأله . . إلا أعطاه ، فإذا دخل علىٰ أهله . . رمىٰ به إليهم ، فيعدونها فيجدونها كما أعطيها .

وجلس إليه رجل وهو يصلِّي ، فتجوَّز في صلاته ، ثم أقبل عليه ، وقال : أرحني بحاجتك ؛ فإني أبادَرُ ، فقال له : وما تُبادَرُ ؟ قال : ملك الموت .

وفي رواية : قال : خروج روحي ، رحمك الله .

أدرك الصدر الأول ، وروىٰ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض . . أقبل رجل بحُقٍّ[3] فيه جواهر ، [فقال الذين معه : ما رأينا مثل هـٰذا قط] جميع ما عندنا لا يعدله نفاسة ، ولا يقاربه ، فدفعه إليهم ، فقالوا له : هل أخذت منه شيئاً ؟ فقال : أما والله ؛ لولا الله عز وجل . . لما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأناً ، فسألوه من أنت ؟ فلم يخبرهم بنفسه ، ثم عرفوا بعد ذلك أنه عامر بن عبد الله بن قيس ، رضي الله عنه . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٠٨ـ١١١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) **الشكوة** : وعاء من جلد يوضع فيها الماء واللبن ونحوهما .

(٢) **الوَدَك** : دسم اللحم وشحمه الذي يستخرج منه .

(٣) **الحُقُّ** : وعاءٌ صغير ذو غطاء يتخذ من الخشب أو العاج .

ومنهم الإمام :

مسروق
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله : مسروق بن عبد الرحمـٰن سُرِق وهو صغير ، ثم وُجِدَ فسمي : مسروقاً .

وقال مسروق : بحَسْب امرىء من الجهل أن يُعجَبَ بعمله ، وبحسب المؤمن من العلم أن يخشى الله عز وجل .

وقال : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة . . فليأخذ من الله عز وجل حذره .

وقيل له : لو قصرتَ عن بعض ما تصنع من العبادة ، قال : لا ، قيل : ولِمَ ؟ قال : حتىٰ تعذرني نفسي إن دخلت جهنم . . لا ألومها ، أمَا سمعت قوله عز وجل : ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ ، إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلىٰ جهنم ، فحيل بينهم وبين ما يشتهون ، وأعيتهم(١) الزَّبانية ، وانقطعت عنهم الأمانيُّ ، ورفعت عنهم الرحمة ، وأقبل كل امرىء منهم يلوم نفسه .

وقال أبو إسحاق ـ رحمه الله ـ : حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً علىٰ وجهه حتىٰ رجع .

وكان يصلي حتىٰ تورمت قدماه ، وكان يرخي الستر بينه وبين أهله ، ثم يقبل علىٰ صلاته ويخليهم ودنياهم .

وقال : إن أحسن ما أكون ظناً حين يقول الخادم : ليس في البيت قفيز ولا درهم .

وقال : حقيق بالمرء أن يكون له مجالس يخلو فيها ، ويتذكر ذنوبه ، ويستغفر الله عز وجل منها .

ولما احتضر . . بكىٰ ، فقيل له : ما هـٰذا الجزع ؟! فقال : ما لي لا أجزع وإنما هي

---

(١) في « الصفوة » : (واعتقبتهم) .

ساعة واحدة ، ولا أدري أين يُسلَكُ بي ، بين يدي طريقان ؛ لا أدري إلى الجنة أم إلى النار .

وغشي عليه في يوم صائف وهو صائم ، فقالت له ابنته : أفطر ، قال : ما أردتِ بي ؟ قالت : الرفق ، قال : يا بنية ؛ إنما طلبت الرفقَ بنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

أسند مسروق عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وأُبيّ ، وخباب ، وزيد ، والمغيرة ، وابن عمر ، وعائشة ، ولم يرو عن عثمان ، لـٰكنه رآه ، ورأىٰ أبا بكر أيضاً ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وكان ابن المديني يقول : لا أقدِّم علىٰ مسروق أحداً من أصحاب عبد الله بن مسعود .

توفي بالكوفة سنة ثلاث وستين ، رحمه الله تعالىٰ . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٣-١٤] .

وروى الحافظ : عن الشعبي قال : **خرج مسروق إلى البصرة إلىٰ رجل يسأله عن آية ، فلم يجد عنده فيها علماً ، فأُخبِرَ عن رجل آخر بالشام ، فقدم علينا هـٰهنا[1] ، ثم راح إلى الشام إلىٰ ذلك الرجل في طلبها .**

وقال مسروق : **من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين والدنيا والآخرة . . فليقرأ (سورة الواقعة)[2] .**

وعن سعيد بن جبير قال : لَقِيَني مسروق فقال : يا سعيد ؛ ما بقي ما يُرغَب فيه إلا أن نعفِّر وجوهنا في التراب .

وكان يقول لأهله : هاتوا كل حاجة لكم فاذكروها قبل أن أقوم إلى الصلاة .

وكان لا يأخذ على القضاء أجراً ، ويتأول هـٰذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

وأخذ بيد ابن أخ له وارتقىٰ به علىٰ كناسة بالكوفة ، فقال : ألا أريك الدنيا ؟ هـٰذه

(١) أي : إلى الكوفة .

(٢) قال الذهبي في « السير » (٤/٦٨) : هـٰذا قاله مسروق على المبالغة ؛ لعظم ما في السورة من جُمَلِ أمور الدارين .

الدنيا ، أكلوها فأفنوها ، لبسوها فأبلوها ، ركبوها فأنضوها ، سفكوا فيها دماءهم ، واستحلوا فيها محارمهم ، وقطعوا فيها أرحامهم .

وقال : ما من شيء للمؤمن خير من لحد قد استراح من هموم الدنيا ، وأمن من عذاب الله سبحانه وتعالىٰ .

وعن مسروق ، عن عبد الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الخبيث لا يكفِّر السيء ، ولـٰكن الطيب يكفِّر السيء »[1] انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٩٥ـ٩٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (١/ ٣٨٧) .

ومنهم الإمام :

علقمة بن قيس
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : يكنَّىٰ : أبا شبل ، وهو عم الأسود ، وخال إبراهيم التيمي(١) .

وقال أبو ظبيان : أدركت ما شاء الله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسألون علقمة ويستفتونه .

وقال إبراهيم النخعي : كان عبد الله بن مسعود يُشبَّه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله وسمته ، وكان علقمة يشبه بعبد الله بن مسعود .

وقال مرة بن شراحيل : كان علقمة من الرَّبَّانيين ، وكان يختم القرآن في كل خمس .

وقال المسيب بن رافع : قيل لعلقمة : لو جلست فأقرأت [الناس] القرآن وحدثتهم ، فقال : أكره أن يوطأ عقبي ، وأن يقال : هـٰذا علقمة .

وكان في بيته يعلف غنمه ويفت لهن(٢) .

وقيل له : ألا تدخل على السلطان فتشفع ؟ فقال : لا أصيب من دنياهم شيئاً . . إلا أصابوا من ديني مثله .

وروىٰ إبراهيم عنه قال : لا تنعوني كنعي الجاهلية ، ولا تؤذنوا بي أحداً ، وأغلقوا الباب ، ولا تتبعني امرأة ، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إلـٰه إلا الله . . ففعلوا .

أسند علقمة عن عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وعائشة ، رضي الله عنهم .

---

(١) كذا جاء في النسخ و« الصفوة » ، والصحيح ـ والله أعلم ـ : أنه إبراهيم النخعي كما جاء في « تهذيب الكمال » و« سير أعلام النبلاء » وغيرهما .

(٢) في « الصفوة » : (يقت لهن) ، قَتَّ الشيء : هيأه ، والفت : أخذ الشيء بالإصبع وتصييره فتاتاً .

توفي بالكوفة سنة إحدىٰ وستين ، وله تسعون[1] سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/ ١٤ـ١٥] .

وروى الحافظ ـ رحمه الله ـ : أن علقمة قرأ على ابن مسعود ، وكان حسن الصوت ، فقال له : رتل فداك أبي وأمي .

وكان علقمة يقول : امشوا بنا نزداد إيماناً ؛ أي : تفقهاً .

ولم يترك علقمة إلا داره وبرذوناً ومصحفه ، وأوصىٰ به لمولىً له كان يقوم عليه في مرضه .

وكان يتروح إلىٰ أهل بيت دون أهل بيته ، يريد بذلك : التواضع .

وقال : ما حفظت وأنا شاب . . فكأني أنظر إليه في ورقة أو قرطاس .

وقال : إحياء العلم بالمذاكرة .

وعن إبراهيم : قلت لعلقمة : علمني الفرائض ، قال : أمت جيرانك .

وعن علقمة ، عن عبد الله ، قال : اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ حصير ، فأثر في جلده ، ثم قال : « مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح فتركها رغبة »[2] .

وعنه عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تكون زاهداً حتىٰ تكون متواضعاً »[3] ، لا أعلم أحداً رفعه من حديث علقمة إلا فرقد السبخي البصري .

وعنه عن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أهلك من كان قبلكم الدينارُ والدرهمُ ، وهما مهلكاكم »[4] انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٩٩ـ١٠٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) كذا في نسخة و« الصفوة » و« سير أعلام النبلاء » و« تهذيب الكمال » ، وجاء في بعض النسخ : (سبعون) .
(٢) أخرجه بنحوه الحاكم (٤/ ٣٤٤) .
(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٩٠) .
(٤) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٩٥) .

ومنهم الإمام :

الأسود بن يزيد النخعي
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : يكنَّىٰ : أبا عمرو ، هو ابن أخي علقمة ، وهو أكبر منه .

وقال إبراهيم : كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وفي غير رمضان في ست ليال .

وقال [أبو] إسحاق : حج الأسود ثمانين ما بين حجة وعمرة .

وكان يجهد نفسه في الصوم والعبادة ، حتىٰ يخضر جسده ويصفر .

وكان علقمة يقول له : ويحك! لمَ تعذب هـٰذا الجسد ؟ فيقول : أي علقمة ؛ إن الأمر جدٌّ ، إن الأمر جد .

زاد في رواية : قيل له : يرحمك الله ، لِمَ تعذب نفسك ؟ فقال : راحتها أطلب ، والحبيب جل جلاله يفعل ما يشاء ، والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ إن الأكوان تعجز عن عبادته حق العبادة ، وعزَّته وجلاله ؛ لو عبدته حَسَبما في ضميري من الخوف وشدَّة المحبة . . لما أمهلت نفسي ساعة واحدة ، ولـٰكنه سبحانه وتعالىٰ هو المالك للنفس ، وقد اشتراها من المؤمنين ، ونهىٰ عن قتلها وإهلاكها ، فلم يمكن التصرف في ملكه بغير إذنه سبحانه وتعالىٰ .

ولما احتضر . . بكىٰ ، فقيل له : ما هـٰذا الجزع ؟! فقال : ما لي لا أجزع ، ومن أحق مني بالجزع ، والله ؛ لو أُتِيت بالمغفرة من الله عز وجل . . لأهمني الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير ، فيعفو عنه ، فلا يزال مستحياً منه .

وذهبت إحدىٰ عينيه من الصوم ، وكان يصوم الدَّهر .

أسند عن أبي بكر ، وعمر ، وعلي ، وابن مسعود ، ومعاذ ، وأبي موسىٰ ، وسلمان ، وعائشة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

توفي بالكوفة سنة خمس وسبعين . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٢-١٣] .

وروى الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن الأسود ، عن ابن مسعود قال : لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله . . لسادوا أهل زمانهم ، ولٰكن بذلوه لأهل الدنيا ؛ لينالوا من دنياهم ، فهانوا علىٰ أهلها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من جعل الهموم همّاً واحداً . . كفاه الله تعالىٰ همَّ آخرته ودنياه ، ومن تشعبت به الهموم . . لم يبال الله سبحانه وتعالىٰ في أي أوديتها وقع »[1] غريب من حديث الأسود رحمه الله . انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٠٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧) .

ومنهم الإمام :

الرَّبيع بن خُثَيْم الثوري
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال ابن مسعود رضي الله عنه للربيع بن خثيم : لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لأحبك .

وكان يقول له : ما رأيتك . . إلا ذكرت المخبتين(١) .

وكان الربيع إذا أتىٰ عبدَ الله بن مسعود . . لم يكن عليه إذن حتىٰ يفرغ كل واحد منهما من صاحبه .

وكان إذا جاء إلىٰ باب عبد الله . . يقول عبد الله للجارية : مَن بالباب ؟ فتقول الجارية : ذاك الشيخ الأعمىٰ .

وكان يقول : أما بعد : فأَعِدَّ زادك ، وجِدَّ في جهازك ، وكن وصي نفسك .

وقال : إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس ، وأمنوا منه سبحانه وتعالىٰ علىٰ ذنوبهم .

وقيل له حين أصابه الفالج : لو تداويت ؟ فقال : لقد عرفت أن الدواء حق ، ولٰكني ذكرت عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً ، كانت فيهم الأوجاع ، وكان لهم الأطباء ، فما بقي المداوي ولا المداوىٰ .

وقال إبراهيم التيمي : أخبرني مَن جالَس الربيع عشرين سنة ، فما سمع منه كلمة تُعاب يوماً ، وما رُئِي متطوعاً في مسجد قومه إلا مرة .

وقال سفيان : أخبرتني سُرِّيَّة الربيع قالت : كان عمل الربيع كله سراً ، كان الرجل إذا جاءه وقد نشر المصحف . . غطاه بكمه .

وقال الربيع : كل ما لا يبتغىٰ به وجه الله . . يضمحل .

---

(١) أخبت إلىٰ ربه : اطمأن إليه ، وقيل : المخبتون : المتواضعون .

وما كان يذكر شيئاً من أمر الدنيا .

وسرق له فرس كان قد أعطي به عشرين ألفاً ، فقالوا : ادع الله تعالىٰ عليه ، فقال : اللهم ؛ إن كان غنياً . . فاغفر له ، وإن كان فقيراً . . فأغنه .

وأصابه حجر فشجه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم ؛ اغفر له ، فإنه لم يتعمدني .

وكان في الليل إذا وجد غفلة من الناس . . خرج إلى المقابر ، فيقول : يا أهل المقابر ؛ كنا وكنتم ، ثم يحيي الليل كله ، فإذا أصبح . كان كأنه نُشِرَ من قبره .

وكان يقول : السرائرَ السرائرَ التي تخفىٰ على الناس ، وهي عند الله عز وجل معلومة ، التمسوا دواءهن ؛ فإن دواءهن أن يتوب فلا يعود .

وقال لأصحابه : أتدرون ما الداء والدواء والشفاء ؟ قالوا : لا ، قال : الداء : الذنوب ، والدواء : الاستغفار ، والشفاء : أن يتوب فلا يعود .

وقال بشر : بِتُّ عند الربيع ليلة ، فقام يصلي ، فمر بهـٰذه الآية : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ، فمكث ليلته يرددها ، حتىٰ أصبح ما يجوزها إلىٰ غيرها ببكاء شديد .

وكان يحيي الليل كله ، ولا يضع جنبه علىٰ فراشه .

وكان بعد ما سقط يهادىٰ بين رجُلين إلىٰ مسجد قومه ، فيقال له : قد أرخص الله عز وجل لك ، فيقول : إنه كما تقولون ، ولـٰكن أسمعه ينادي : حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح ، فمن سمع منكم . . فليجبه ولو حبْواً .

وكان إذا سجد كأنه ثوب مطروح ، تجيء العصافير فتقع عليه .

وقيل له : قتل ابن فاطمة رضوان الله عليهما ، فاسترجع ، ثم تلا هـٰذه الآية : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فقيل له : ما تقول ؟ قال : أقول : إلى الله إيابهم وعليه حسابهم .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : بلغني أن الربيع رحمه الله قال : لو كنتُ ـ والعياذ بالله ـ ممن أعان علىٰ قتل الحسين رضي الله عنه ، ثم غفر لي ، وأمر بي إلى الجنة . . لاستحييت أن أدخلها ؛ حياءً من النَّبي صلى الله عليه وسلم .

والله العظيم الذي لا إلـٰه إلا هو . . لقد صدق .

وكانت أم الربيع تقول : يا بُنَيَّ ، يا ربيع ؛ ألا تنام ؟ فيقول : يا أمَّاه ؛ من جنَّ عليه الليل وهو يخاف البيات . . حق له ألاَّ ينام ، فلما بلغ ورأت ما يلقىٰ من البكاء والسهر . . قالت : يا بني ؛ لعلك قَتلت قتيلاً ، فقال : نعم ، هي نفسي .

وقالت ابنة الربيع : يا أبتاه ؛ ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام ؟ قال : إن جهنم لا تدعني أن أنام .

وقالت له ابنته يوماً : أذهب ألعب ؟ فقال : اذهبي فقولي خيراً ، فعل ذلك غير مرة ، فقال له القوم : أصلحك الله ، وما عليك أن تقول لغواً ، قال : وما عليَّ ألاَّ يكتب هـٰذا في صحيفتي .

وجالسه رجل سنين ، قال : فما سألني عن شيء مما فيه الناس ، إلا أنه قال لي مرَّة : أمك حيَّة ؟ وكم لكم مسجد ؟

ولما أصابه الفالج وطال وجعه . . اشتهىٰ لحم دجاج ، فكف نفسه أربعين يوماً ، ثم قال لامرأته : اشتهيت لحم دجاج ، فكففت نفسي ، فقالت : سبحان الله! قد أحله الله عز وجل ، فلأي شيء تكف نفسك عنه ؟ فاشتُرِيَ له دجاجة بدرهم ودانقين ، فذبحتْها ، وشوتْها ، وخبزتِ الخبز ، ثم جاءت بالخِوَان[1] ، فوضعته بين يديه ، فلما ذهب ليأكل . . قام سائل على الباب ، فقال : تصدقوا عليَّ بارك الله فيكم ، فكفَّ عن الأكل ، وقال لامرأته : خذي هـٰذه فادفعيها إلى السائل ، فقالت : سبحان الله! فقال : افعلي ما آمرك ، فقالت : أنا أصنع ما هو خير له ، وأحب إليه ، قال : وما هو ؟ قالت : نعطيه ثمن هـٰذا ، وتأكل أنت شهوتك ، قال : قد أحسنت ، ائتني بثمنه ، قال : فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ[2] ، فقال : ضعيه علىٰ هـٰذا وادفعي الجميع إلى السائل .

وقال لأهله : اصنعوا لي خبيصاً[3] ، وكان لا يكاد يشتهي عليهم شيئاً ، قال : فصنعوه ، فأرسل إلىٰ جار له مصاب ، قال : فجعل يأكل ولعابه يسيل ، فقالت له امرأته : ما يدري هـٰذا ما أكل ؟ فقال الربيع : لـٰكن الله عز وجل يدري .

---

(١) الخوان : ما يؤكل عليه .

(٢) الصِّبْغُ : ما يؤتدم به ، ومنه قوله تعالىٰ في الزيتون : ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾ .

(٣) الخبيص : الحلواء من التمر والسمن .

وكان إذا جاءه سائل . . يقول : أعطوه سكَّراً ؛ فإني أحب السكَّر .

وكان يلبس قميصاً بثلاثة دراهم أو أربعة ، فإذا مد كمه . . بلغ ظفره ، وإذا أرسله . . بلغ ساعده ، وإذا رأىٰ بياض القميص . . قال : أي عبد ؛ تواضع لربك عز وجل ، ثم يقول : أي لحيمة ، أي دمية ؛ كيف تصنعان إذا سُيِّرت الجبال ، ودُكَّت الأرض دكاً ، وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً ، وجيء يومئذ بجهنم ؟!

وقيل له : لو جالستنا ؟ فقال : لو فارق قلبي ذكر الموت ساعة . . فَسَدَ عليَّ .

وقال بشر : قال الربيع : أنا بعصافير المسجد آنس مني بأهلي .

وكان يكنس الحش[1] بنفسه ، فيقال له في ذلك ، فيقول : إنِّي أحب أن أجد لنفسي من المهنة .

ومرَّ في الحدَّادِين ، فنظر إلىٰ كير ، فصعق .

وكان إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ فيقول : أصبحنا ضعفاء مذنبين ، نأكل أرزاقنا ، وننتظر آجالنا .

وكان لا يعطي السائل أقل من رغيف ، ويقول : إني لأستحيي أن أرىٰ في ميزاني أقل من رغيف .

وكان إذا أصبح . . يقول : مرحباً بملائكة الله ، اكتبوا بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر .

وكان يقول في دعائه : أشكوا إليك حاجة لا يحسن بثها إلا إليك .

وكان جالساً علىٰ باب داره ، فجاءه حجر ، فصك جبهته ، فقال : لقد وعظت يا ربيع ، ودخل ، وأغلق الباب ، وما رئي في ذلك المجلس حتىٰ مات .

وكان يقول : إذا تكلمت . . فاذكر سمع الله إليك ، وإذا هممت . . فاذكر علمه سبحانه وتعالىٰ بك ، وإذا نظرت . . فاذكر نظره إليك جل جلاله ، وإذا تفكرت . . فاذكر اطلاعه عليك ؛ فإنه تبارك وتعالىٰ قال : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ .

وكان يبكي حتىٰ تبتل لحيته من دموعه ، ثم يقول : أدركنا أقواماً كنا في جنبهم لصوصاً .

أسند عن ابن مسعود ، وغيره .

---

(١) الحش : البستان ، وهو أيضاً : مكان قضاء الحاجة .

وتوفي بالكوفة ، في ولاية عبيد الله بن زياد . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/ ٢٩ـ٣٣] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : لما احتضر الربيع . . بكت ابنته ، فقال : يا بنية ؛ ما تبكين ، قولي : يا بُشراي! لقي أبي الخيرَ .

وقيل لأبي وائل : أنت أكبر أم الربيع ؟ قال : أنا أكبر منه سناً ، وهو أكبر مني عقلاً .

وعنه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً ، وخط في وسط الخط خطاً ، وخط خطاً خارجاً من الخط المربع دارة ، وجعل حوله حروفاً ، وخط حولها خطوطاً ، فقال : « المربع : الأجل ، والخط الوسط : الإنسان ، وهٰذه الدارة الخارجة : الأمل ، وهٰذه الحروف : الأعراض ، فالأعراض تصيبه من كل مكان ، كلما انفلت من واحدة . . أخذته واحدة ، والأجل قد حال دون الأمل[1] » انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ١١٥ـ١١٧] .

وقال العارفون : الأمل يتقسَّم ، والأجل يتبسَّم ، ومن هٰذا قولهم : يقدِّر المقدِّرون والقضاء يضحك .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٦٠٥٤) ، وكذلك أحمد (١/ ٣٨٥) .

ومنهم الإمام :

هَرِم بن حيَّان
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : بات هرم بن حيان عند حممة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبات ليلته يبكي كلها ، فلما أصبح . . قال له هرم : يا حممة ؛ ما أبكاك ؟ قال : ذكرت ليلة يبعثر ما في القبور ، فيخرج من فيها .

قال : وبات حممة عند هرم ، فبات ليلته يبكي حتىٰ أصبح ، فسأله : ما الذي أبكاك ؟ فقال : ذكرت ليلة تناثر نجوم السماء ، فأبكاني ذلك ، فكانا يصطحبان أحياناً بالنهار ، فيأتيان سوق الريحان ، فيسألان الله تعالى الجنة ، ويدعوان ، ثم يأتيان الحدادين ، فيتعوذان من النار .

وكان هرم يخرج من الليل ، وينادي بأعلىٰ صوته : عجبت من الجنة كيف ينام طالبها ؟! وعجبت من النار كيف ينام هاربها ؟! ثم يقول : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ ، ثم يقرأ (العصر) ، و(ألهاكم التكاثر) ، ثم يرجع .

وكان يقول : أخرجوا الدنيا من قلوبكم ، وأدخلوا الآخرة فيها .

وخرج هرم وعبد الله بن عامر يؤمان الحجاز ، فجعلت أعناق رواحلهما تخالجان الشجر ، فقال هرم لابن عامر : أتحب أنك شجرة من هـٰذا الشجر ؟ فقال ابن عامر : لا والله ، وإنا لنرجو من رحمة الله ما هو أوسع من ذلك ، فقال هرم ـ وكان أفقه الرجلين وأعلمهما بالله ـ : ولـٰكني والله ؛ لوددت أني شجرة من هـٰذا الشجر ، أكلتني هـٰذه الراحلة ، فقذفتني بعراً ، ولم أكابد الحساب يوم القيامة ، إمَّا إلىٰ جنة ، وإمَّا إلىٰ نار ، ويحك يابن عامر! إني أخاف الداهية الكبرىٰ .

وقال مالك بن دينار : استُعمل هَرِم بن حيان فظن أن قومه سيأتونه ، قال : فأمر بنار ، فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم ، فجاء قومه يسلمون عليه من بعيد ، فقال : مرحباً

بقومي ، ادنوا ، قالوا : والله ؛ ما نستطيع أن ندنو منك ، لقد حالت النار بيننا وبينك ، قال : وأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها ؛ في نار جهنم ، قال : فرجعوا .

وكان يدعو ، ويقول : اللهم ؛ إني أعوذ بك من شر زمان يتمرَّد فيه صغيرهم ، ويأمل فيه كبيرهم ، وتُقَرَّب فيه آجالهم .

وعن أبي نضرة : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث هرم بن حيان على الخيل ، فغضب علىٰ رجل ، فقال له قولاً شديداً ، ثم أقبل علىٰ أصحابه الحاضرين وقال : لا جزاكم الله خيراً ، ما نصحتموني حين قلت ، ولا كففتموني عن غضبي ، والله ؛ لا أَلِيْ لكم عملاً ، ثم كتب إلىٰ عمر : يا أمير المؤمنين ؛ لا طاقة لي ، فابعث إلىٰ عملك .

وفي رواية : تروني أقول لأخي ما أقول ، ولم ينهني أحد منكم عن ذلك ، اللهم ؛ خلِّفْ رجال السوء لزمان السوء .

ولما احتُضِر . . قيل له : أوصِ ، قال : لا أدري ما أوصي ، ولـٰكن بيعوا درعي ، فاقضوا عني ديني ، فإن لم يف . . فبيعوا غلامي ، وأوصيكم بخواتيم (سورة النحل) : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلىٰ آخرها .

وكان إذا رأىٰ أهله يكثرون الضحك . . يأمرهم بالصلاة .

وقال : لو قيل لي إني من أهل النار . . لم أدع العمل ؛ لئلا تلومني نفسي ، فتقول لي : ألا صنعت ، ألا فعلت ؟ انتهىٰ [« الحلية » ٢/١١٩ـ١٢٢] .

قال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : لو قيل : أنت من أهل النار ـ والعياذ بالله تعالىٰ ، وحاشا كرمه جل جلاله ؛ فإنه سبحانه وتعالىٰ عند حسن ظن عبده ، وهو سبحانه وتعالىٰ يعلم حسن ظني به جل جلاله ، وهو أهل التقوىٰ وأهل المغفرة ، وولي الخيرات في الدنيا والآخرة ـ لما تركت العمل تعظيماً للربوبية ، وتحققاً بالعبودية ؛ فإن العبد لا يترك خدمة مولاه لأَجَلٍ ضربه له ، بل يدأب ويجتهد في الخدمة كما هو شأن العبيد ، واللهُ مالكٌ سبحانه وتعالىٰ يتصرف في عبده كيف يشاء ، إن وضعه في النار . . فباستحقاقه ؛ لأنه عبده ، فلو عبده علىٰ جفون عينيه أبد الآبدين ودهر الداهرين . . لكان مقصِّراً ، فاستحقَّ النار لتقصيره ، ثم إن الفعل الذي أتىٰ به في طاعته . . هو سبحانه وتعالىٰ أقامه فيه وأقدره عليه ووفق له ، فالمنَّة له سبحانه وتعالىٰ في الأول والآخر ، وهو بكل شيء عليم ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . انتهىٰ .

وقال الحافظ : توفي هرم في يوم صائف شديد الحر ، فلما نفضوا أيديهم عن قبره . . جاءت سحابة تسير ، حتىٰ قامت علىٰ قبره ، فلم تكن أطول منه ولا أقصر منه ، ورشَّتْه حتىٰ روَّتْه ، ثم انصرفت .

وفي رواية : نبت العشب علىٰ قبره من يومه .

وفي رواية : جاءت سحابة ، فأظلت سريره ، فلما دفن . . رشت على القبر ، وما أصابت خارج القبر شيئاً . انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٢٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

عبد الله أبو مسلم الخَوْلاني

رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : كان أبو مسلم عبد الله بن ثُوَب الخَوْلاني إذا جلس عنده أحد فتكلم في شيء من أمر الدنيا . . يتحول عنه .

وقال أبو مسلم : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وإنهم اليوم شوك لا ورق فيه ، إن تركتهم . . لم يتركوك ، قيل له : فما أصنع ؟ قال : هب عرضك ليوم فقرك ، وخذ شيئاً من لا شيء .

وكان كعب يقول : إن حكيم هٰذه الأمة : أبو مسلم الخولاني .

وكان لو قيل له : إن جهنم تسعَّر . . لما استطاع أن يزيد في عمله شيئاً .

وعن أبي مسلم ، أنه نادىٰ معاوية وهو جالس علىٰ منبر دمشق فقال :

يا معاوية ؛ إنما أنت قبر من القبور ، إن جئت بشيء . . كان فيك شيء ، وإن لم تجىء بشيء . . فلا شيء لك .

يا معاوية ؛ لا تحسبنَّ الخلافة جمع المال وتفرقته ، وإنما الخلافة العمل بالحق ، والقول بالمعدلة ، وأَخْذُ الناس في ذات الله عز وجل .

يا معاوية ؛ إنا لا نبالي بكدر الأنهار إذا ما صفت لنا رأس عيننا ، وإنك رأس عيننا .

يا معاوية ؛ إيَّاك أن تحيف علىٰ قبيلة من قبائل العرب . . فيذهب حيفك بعدلك .

فلما فرغ أبو مسلم رحمه الله . . قال له معاوية : يرحمك الله ، يرحمك الله .

وكان أبو مسلم من المجدين في العبادة ، وسأل رجل عنه ، فقيل له : إنه في المسجد ، فأتاه ، فوجده راكعاً ، فانتظر انصرافه ، وأحصىٰ ركوعه ، فإذا هو نحواً من ثلاث مئة ركعة أو أربع مئة قبل أن ينصرف ، وكان يصوم في السفر ، فيقال له في ذلك ، فيقول : لو حضر قتال . . لأفطرتُ وتقويتُ علىٰ قتال العدو ، وإن الخيل لا تجري [إلىٰ] الغايات وهي بُدْنٌ ،

إنما تجري وهي ضُمْرٌ ، إن بين أيدينا أياماً لها نعمل .

وكان إسلامه عام حنين ، وقدم إلى المدينة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وانتقل إلى الشام في أيام معاوية ، طرحه الأسود بن قيس العنسي المتنبىء في النار ، فلم تضره .

وكان يشبه بالخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حاله .

ومرَّ علىٰ دجلة ، فمشىٰ على الماء ، ثم التفت إلىٰ أصحابه ، فقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعو الله عز وجل ؟

وكان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر . . قال اعبروا باسم الله ، ويمر بين أيديهم ، فيمرون في النهر الغمر ، فربما لم يبلغ من الدواب إلا إلى الركب أو بعض ذلك ، فإذا جازوا . . يقول للناس : هل ذهب لكم شيء ؟ مَنْ ذهب له شيء . . فأنا له ضامن ، قال : فألقىٰ بعضهم مخلاة عمداً فلما جازوا . . قال الرجل : مخلاتي وقعت في النهر يا أبا مسلم ، فقال له : اتبعني ، فإذا المخلاة تعلقت ببعض أعواد النهر .

وكان قد علق سوطاً في مسجده ، ويقول : أنا أولىٰ بالسوط من الدواب ، فإذا دَخَلَتْه فترة . . مشق[1] ساقه سوطاً أو سوطين .

وقال لأمِّه : يا أم أبي مسلم ؛ سوِّي رحلك ؛ فإنه ليس علىٰ جسر جهنم معبر .

وعن بعض مشيخة دمشق قال : أقبلنا من الروم متوجهين إلىٰ دمشق فلما مررنا بالعُمَيْر الذي يلي حمص ـ علىٰ نحو أربعة أميال في آخر الليل ـ سمع الراهب الذي في الصومعة كلامنا ، فاطلع إلينا ، فقال : من أين أنتم يا قوم ؟ فقلنا : ناس من دمشق ، قال : هل تعرفون أبا مسلم ؟ قلنا : نعم ، قال : إذا رأيتموه . . فأقرئوه السلام ، وأعلموه أنا نجده في الكتب رفيق عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وما أظنكم تجدوه حيّاً ، فلما أشرفنا على الغوطة . . بلغنا موته رحمه الله .

وعن شرحبيل ابن أبي مسلم الخولاني قال : تنبأ الأسود بن قيس ابن ذي الحمار العنسي باليمن ، فأرسل إلىٰ أبي مسلم ، فقال له : تشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فتشهد أني رسول الله ، قال : ما أسمع ، قال : فأمر بنار عظيمة ، فأججت له وطرح فيها أبو مسلم ، فلم تضرَّه ، فقال له أهل مملكته : إن تركت هـٰذا في بلادك . . أفسدها عليك ، فأمره بالرحيل ، فقدم المدينة وقد قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستُخلِف أبو بكر

(١) مشق ساقه : ضربها بسرعة .

الصديق رضي الله عنه ، فجاء ، فعقل علىٰ باب المسجد ناقته ، وقام إلىٰ سارية من سواري المسجد يصلي إليها ، فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأتاه ، فقال : من أين الرجل ؟ قال : من اليمن ، قال : فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره ؟ قال : ذاك عبد الله بن ثوب ، قال : نشدتك بالله أأنت هو ؟ قال : نعم ، قال : فقبل ما بين عينيه ، ثم جاء به حتىٰ أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهم ، وقال : الحمد لله الذي لم يُمِتني حتىٰ أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فُعِل به كما فُعِل بإبراهيم خليل الرحمـٰن عليه أفضل الصلاة والسلام .

وكان أبو مسلم إذا انصرف إلىٰ منزله من المسجد . . كبر علىٰ باب منزله ، فتكبر امرأته ، فإذا كان في صحن الدار . . كبر وتجيبه امرأته ، فإذا بلغ باب بيته . . كبر ، فتجيبه امرأته ، فانصرف ذات ليلة ، فكبر عند باب داره ، فلم يجبه أحد ، فلما كان في الصحن . . كبر ، فلم يجبه أحد ، وكان إذا دخل بيته . . أخذت امرأته رداءه ونعليه ، ثم أتته بطعامه ، قال : فدخل البيت فلم ير فيه سراجاً ، وامرأته جالسة منكِّسة تنكت بعود معها ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم ، فلو سألتَه ، فأخدَمَنا وأعطاك ، فقال : اللهم ؛ من أفسد علي امرأتي . . فأعم بصره ، وكان قد جاءتها امرأة قبل ذلك ، فقالت : زوجك له منزلة من معاوية ، فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه . . عشتم ، قال : فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها ، فقالت : ما لسراجكم انطفأ ؟ قالوا : لا ، فعرفت ذنبها ، فأقبلت إلىٰ أبي مسلم تبكي ، وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها برد بصرها ، قال : فرحمها أبو مسلم ، فدعا الله عز وجل لها ، فرد عليها بصرها .

وكان أبو مسلم يسمي معاوية : الأجير ، فيقول : (أيها الأجير) ، في مخاطبته إياه .

ثم روى الحافظ عن عبد الله الحرسي ـ وكان من حرس عمر بن عبد العزيز ـ قال : دخل أبو مسلم الخولاني علىٰ معاوية ابن أبي سفيان ، فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقال الناس : الأمير ، فقال معاوية : دعوا أبا مسلم ؛ هو أعلم بما يقول ، فقال أبو مسلم : إنما مَثَلُك مَثَلُ رجل استأجر أجيراً ، فولاه ماشيته ، وجعل له الأجر علىٰ أن يحسن الرِّعْيَة ويوفر جزازها وألبانها ، فإن هو أحسن رعيتها ووفر جزازها حتىٰ تلحق الصغيرة وتسمن العجفاء . . أعطاه أجره ، وزاده من قبله زيادة ، وإن هو لم يحسن رِعيتها وأضاعها حتىٰ تهلك العجفاء ، وتعجف السمينة ولم يوفر جزازها وألبانها . . غضب عليه صاحب الأجر ، فعاقبه ، ولم يعطه الأجرة ، فقال معاوية : ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

وعن أبي مسلم : أن معاوية خطب الناس وقد حبس العطاء عنهم شهرين أو ثلاثة ، فقال له أبو مسلم : يا معاوية ؛ إن هـٰذا المال ليس بمالك ولا مال أبيك ولا مال أمك ، فأشار معاوية إلى الناس أن امكثوا ، ونزل فاغتسل ورجع ، فقال : أيها الناس ؛ إن أبا مسلم ذكر أن هـٰذا المال ليس بمالي ولا مال أبي ولا مال أمي ، وصدق أبو مسلم ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الغضب من الشيطان ، والشيطان من النار ، والماء يطفىء النار ، فإذا غضب أحدكم . . فليغتسل »[1] ، اغدوا علىٰ عطاياكم علىٰ بركة الله عز وجل .

وعن أبي مسلم قال : دخلت مسجد دمشق ؛ فإذا فيه نحواً من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين ، براق الثنايا ، لا يتكلم ، فإذا امترىٰ[2] القوم في شيء . . أقبلوا عليه ، فسألوه ، فقلت لجليس لي : مَن هـٰذا ؟ قال : معاذ بن جبل ، فوقع في نفسي حبه ، فكنت معهم حتىٰ تفرقوا ، ثم هَجَّرت[3] إلى المسجد ؛ فإذا معاذ بن جبل قائم يصلِّي إلىٰ سارية ، فصليت ، ثم جلست ، فاحتبيت بردائي ، وجلس ، فسكتُّ لا أكلمه ، وسكت لا يكلمني ، ثم قلت : والله ؛ إني لأحبك ، قال : فيم تحبني ؟ قلت : في الله تبارك وتعالىٰ ، قال : فأخذ بحبوتي ، فجرني إليه هنيهة ، ثم قال : أبشر إن كنت صادقاً ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المتحابون في جلالي لهم منابر من نور ، يغبطهم النبيون والشهداء » ، قال : فخرجت ، فلقيت عبادة بن الصامت ، فقلت : يا أبا الوليد ؛ ألا أحدثك بما حدثني به معاذ بن جبل في المتحابين ؟ قال : فأنا أحدثك عن النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه إلى الرب عز وجل ، قال : (حقت محبتي للمتحابين فيَّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ)[4] انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٢٣ـ١٣١] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال أبو مسلم رحمه الله : ما طلبت شيئاً من الدنيا قط فوفِّي لي ، حتىٰ لقد ركبت مرة حماراً ، فلم يمش ، فنزلت عنه ، فركبه غيري ، فعدا ، قال : ورأيت في منامي كأن قائلاً قال لي : لا يحزنك ما زويَ عنك من الدنيا ؛ فإنما

(١) أخرجه ابن عساكر (٥٩/١٦٩) .
(٢) امترىٰ : شك .
(٣) هجَّرت : جئت في الهاجرة ، وهي منتصف النهار .
(٤) أخرجه أحمد (٥/٢٣٩) ، ولـٰكن فيه : مسجد حمص بدل دمشق .

يفعل الله عز وجل ذلك بأوليائه وأحبائه وأهل طاعته .

وقال : لأَن يولد لي مولود يحسن الله تعالىٰ نباته ، حتىٰ إذا استوىٰ علىٰ شبابه ، وكان علىٰ أعجب ما يكون إلي قبضه الله عز وجل . . أحب إلي من أن تكون لي الدنيا وما فيها .

وكان يقول : لو رأيت الجنة عِياناً . . ما كان عندي من مستزاد ، ولو رأيت النار عياناً . . ما كان عندي من مستزاد .

واختلفوا في وقت وفاته رحمه الله ، فقيل : توفي في زمن معاوية ، وقيل : في سلطنة ابنه يزيد ، والله أعلم . انتهىٰ [« الصفوة » ٤/١٤٤ـ١٤٥] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : اعلم : أن راوي هـٰذا الحديث عن معاذ رضي الله عنه إنما هو أبو إدريس الخولاني ، وهـٰذا هو الصواب المعروف المقطوع به عند الحُفَّاظ ، وأما رواية الحافظ أبي نعيم له عن أبي مسلم الخولاني . . فإنه وَهَمٌ أو سَبْقُ قلم ، والعلم عند الله سبحانه وتعالىٰ ، وممن رواه عن أبي إدريس الخولاني ـ كما قلنا ـ الحافظ عبد الحق في « أحكامه الكبرىٰ » .

قال الحافظ عبد الحق ـ رحمه الله ـ الطحاوي قال : حدثنا علي بن زيد الفرائضي وفهد بن سليمان والحسن بن عبد الله بن منصور البالسي قالوا : حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي ، عن يونس بن حلبس ، عن أبي إدريس عائذ الله قال : دخلت مسجد حمص ، فقعدت في حلقة فيها نيف وثلاثون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الرجل منهم يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا ، وينصت الآخرون ، وفيهم فتىً أدعج ، براق الثنايا ، إذا اختلفوا في شيء . . انتهوا إلىٰ قوله ، فلما انصرفت إلىٰ منزلي . . بت بأطول ليلة ، فقلت : جلست في حلقة فيها كذا وكذا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أعرف منازلهم ، ولا أسماءهم ، فلما أصبحت . . غدوت إلى المسجد ، فإذا الفتى الأدعج قاعد إلىٰ سارية ، فجلست إليه ، فقلت : إني لأحبك لله عز وجل ، فأخذ بحبوتي ، حتىٰ مست ركبتي ركبته ، ثم قال : آللهِ إنك لتحبني لله عز وجل ؟ فقلت : آللهِ إني لأحبك لله عز وجل ، قال : أفلا أخبرك بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : بلىٰ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المتحابون في الله يظلهم الله عز وجل بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » ، قال : فبينا نحن كذلك ؛ إذ مرَّ رجل ممن كان في الحلقة ، فقمت إليه ، فقلت : إن هـٰذا حدثني بحديث عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل سمعته منه ؟ فقال : وما حدثك ؟ ما كان ليحدثك إلاَّ حقاً ، فأخبرته ، فقال : قد سمعت هـٰذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما هو أفضل منه ، سمعته يقول ـ يؤثر عن الله عز وجل ـ : (حقت محبتي للمتحابين فيَّ ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ) ، قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : عبادة بن الصامت ، قلت : فمن الفتىٰ ؟ قال : معاذ بن جبل .

ذَكَرَ سماع أبي إدريس من معاذ في هـٰذا الحديث عطاءُ بن عبد الله الخراساني ، ويونس بن ميسرة بن حلبس ، والوليد عبد الرحمـٰن ، وأبو حازم ابن دينار . انتهىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري
رضي الله عنه

قال أبو القاسم القشيري ـ رحمه الله ـ : دخل الحسن البصري رحمه الله مكة ، فرأىٰ غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس ، فوقف عليه الحسن ، ثم قال له : ما ملاك الدين ؟ فقال : الورع ، قال : ما آفة الدين ؟ قال : الطمع ، قال : فتعجب الحسن من حُسن جوابه مع صغر سنه . انتهىٰ [« الرسالة القشيرية » ٩٢] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان والد الحسن من أهل ميسان ، فسبي ، فهو مولىً للأنصار .

ولد في خلافة عمر رضي الله عنه ، وحنكه عمر بيده .

وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فربما غابت ، فتعطيه أم سلمة ثديها ، فيشرب منه ، وكانوا يقولون : فصاحته من بركة ذلك .

وعن إبراهيم بن عيسىٰ قال : ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن ، وما رأيته قط . . إلا حسبته حديثَ عهد بمصيبة .

وقال يونس : قال الحسن : كيف نضحك ، ولعل الله قد اطلع علىٰ بعض أعمالنا ، فقال : لا أقبل منكم شيئاً ؟!

وقال حكيم بن جعفر : قال لي مسمع : لو رأيت الحسن . . لقلت : قد بُث عليه حزن الخلائق ؛ من طول تلك الدمعة ، وكثرة ذلك النشيج .

وقال حوشب : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما .

وقال يوسف بن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك ، وأربعين سنة لم يمزح .

وكان يوماً في المسجد ، فتنفس تنفساً شديداً ، ثم بكىٰ حتىٰ أرعدت منكباه ، ثم قال : لو أن بالقلوب حياة ، لو أن بالقلوب صلاحاً . . لأبكتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة ، ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر من عورة بادية ، ولا عين باكية من يوم القيامة .

وقال : إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتىٰ لا تعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتىٰ تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه ، فإذا فعلت ذلك . . لم تصلح عيباً إلا وجدت عيباً آخر لم تصلحه ، فإذا فعلت ذلك . . كان شغلك في خاصة نفسك ، وأَحبُّ العباد إلى الله تعالىٰ من كان كذلك .

وقال : إن المؤمن قوَّام علىٰ نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب علىٰ قوم أخذوا هـٰذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يَفْجَؤُهُ الشيء ، يعجبه فيقول : والله ؛ إني لأحبك ، وإني محتاج إليك ، ولـٰكن ـ والله ـ ما من وصلة إليك ، هيهات! حيل بيني وبينك ، ويفرط منه الشيء ، فيرجع إلىٰ نفسه ، فيقول : ما أردت بهـٰذا ؟ ما لي ولهـٰذا ؟ والله ؛ لا أعود إلىٰ هـٰذا أبداً إن شاء الله تعالىٰ .

وإن المؤمنين قد أوثقهم القرآن ، وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا ، يسعىٰ في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئاً حتىٰ يلقى الله تعالىٰ ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه .

وقال له شاب : أعياني قيام الليل ، فقال : قيدتك خطاياك .

وقال : يابن آدم ؛ بع دنياك بآخرتك . . تربحْهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك . . فتخسرهما جميعاً .

أدرك الحسن خلْقاً من الصحابة رضوان الله عليهم ، وأرسل عن بعضهم ، وسمع من بعضهم .

توفي سنة عشرٍ ومئة ، رحمه الله تعالىٰ . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٢٧ـ١٢٩] .

وقال أبو القاسم القشيري ـ رحمه الله ـ : لما كان الليلة التي توفي فيها الحسن رحمه الله . . رأىٰ بعض أصحابه في النوم كأنَّ أبواب السماء قد فتحت ، وكأنَّ منادياً ينادي : ألا إن الحسن قد قدم على الله سبحانه وتعالىٰ وهو عنه راض . انتهىٰ [« الرسالة » ٣٠٨] .

وقال السلمي ـ رحمه الله ـ في « الحقائق » : قال الحسن في قوله سبحانه وتعالىٰ :

﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾ : إنه ما استقصىٰ حليم كريم قط .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ ، أي : يذكر المصائب وينسى النعم . [انتهىٰ] .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : قال رجل للحسن البصري رحمه الله : أوصني ، فقال : أعز أمر الله عز وجل . . يعزَّك .

وكتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد : فخف مما خوَّفك الله منه ، واحذر مما حذَّرك الله منه ، وخذ مما في يديك لما بين يديك ، فعند الموت يأتيك [الخبر] اليقين . والسلام[1] .

وقال الغزالي : قال الحسن : **يوزن مداد العلماء بدم الشهداء** . انتهىٰ [« الإحياء » ١/٨] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : قال الحسن : ذهبت المعارف وبقيت المناكير ، ومن بقي من المسلمين . . فهو مغموم .

وقال : إن المؤمن يصبح حزيناً ، ويمسي حزيناً ، ولا يسعه إلا ذلك ؛ لأنه بين مخافتين : بين ذنب قد مضىٰ لا يدري ما الله يصنع فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك .

وكان الحكم بن حجل صديقاً لابن سيرين ، فلما مات ابن سيرين . . حزن عليه ، حتىٰ جُعِل يعاد كما يعاد المريض ، ثم رآه في المنام ، قال : فرأيته في قصر علىٰ أفضل حال ، فقلت له : أي أخي ؛ قد أراك في حال يسرني ، فما صنع الحسن ، قال : رفع فوقي بسبعين درجة ، قلت : وبِمَ ذاك ؟ قال : بطول حزنه .

وقال الحسن : إن المؤمن يتقلب باليقين ، ويكفيه ما يكفي العنيزة ، الكف من التمر ، والشربة من الماء .

وكان يحلف بالله الذي لا إلـٰه إلا هو : ما يسع المؤمنَ في دينه إلا الحزن .

وقال : من علم أن الموت مورده ، والساعة موعده ، والقيامة ـ بين يدي الله تعالىٰ ـ مشهده ، كيف لا يطول حزنه ؟!

---

(١) الإحياء (٤/٥٥ـ٥٦) .

وكان يقول : لا يؤمن عبد بهٰذا القرآن . . إلا حزن وذبل ، وإلا ذاب ، وإلا تعب .

وكان يحلف بالله ويقول : يابن آدم ؛ لئن قرأت القرآن ، ثم آمنت به . . ليطولنَّ في الدنيا حزنك ، وليشتدنَّ في الدنيا خوفك ، وليكثرن في الدنيا بكاؤك .

وكان يقول : ويحك يابن آدم! هل لك بمحاربة الله عز وجل طاقة ؟! إنه من عصى الله . . فقد حاربه ، والله ؛ لقد أدركت سبعين بدرياً ، أكثر لباسهم الصوف ، لو رأيتموهم . . قلتم : مجانين ، ولو رأوا خياركم . . لقالوا : ما لهٰؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم . . لقالوا : ما يؤمن هٰؤلاء بيوم الحساب ، والله ؛ لقد رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون علىٰ أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم ولا يجد عنده إلا قوتاً ، فيقول : لا أجعل هٰذا كله في بطني ، لأجعلن بعضه لله تعالىٰ ، فيتصدق ببعضه ، وإن كان هو أحوج إليه ممن تصدق به عليه .

وكتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز رحمهما الله :

اعلم : أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به ، والندم على الشر يدعو إلىٰ تركه ، فاحذر الدنيا الصارعة الخادعة ، التي تزينَتْ بخدعها ، وغرَّتْ بغرورها ، وقتلَتْ بأملها ، وتشوَّفَتْ لخُطَّابها ، فهي كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والنفوس لها عاشقة ، والقلوب إليها والهة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخِر بما رأىٰ من الأول مزدجر ، والناس فيها قسمان :

قسم قد ظفر بها فاغتر وطغىٰ ، ونسي بها المعاد والمبدأ ، فاشتغل فيها لبه ، وذهل عقله ، حتىٰ زالت عنه قدمه ، وجاءته أَسَرَّ ما كانت منيته ، فعظمت ندامته ، وكبرت حسرته ، واشتدت كربته مع ما عالج من سكرات الموت .

وقسم مات قبل أن يظفر منها بحاجته ، فذهب بكربه وغمه ، لم يدرك منها ما طلب ، ولم يُرِحْ نفسه من التعب . خرجا جميعا بغير زاد ، وقدما علىٰ غير مهاد ، فاحذرها الحذر كله ؛ فإنها مثل الحية ، ليِّنٌ مسُّها ، وسمها يقتل ، فأعرض عما يعجبك فيها ؛ لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها ؛ لما عاينتَ من فجائعها ، وأيقنت به من فراقها ، وكن أسرَّ ما تكون فيها أَحْذَرَ ما تكون لها ؛ فإن صاحبها كلما اطمأن إلىٰ سرور له . . أعقبته بمكروه ، وكلما ظفر منها بشيء . . انقلبت به ، فالسار فيها غار ، والباقي فيها غداً ضار ، وُصِلَ الرخاء منها بالبلاء ، وجُعِلَ البقاء فيها إلى الفناء ، سرورها مشوب بالحزن ، وآخر

الحياة فيها الضعف والوهن ، فانظر إليها نظر الزاهد المفارق ، أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وعيشها نكد ، وصفوها كدر .

وأنت منها علىٰ خطر ، إما نعمة زائلة ، وإما بلية نازلة ، وإما منية قاضية ، ولو كان الخالق تبارك وتعالىٰ لم يخبر عنها بخبر ، ولم يضرب لها مثلاً ، ولم يأمر فيها بزهد. . لكان حالها قد أيقظ النائم ونبه الغافل ، فكيف وقد جاء عن الله سبحانه وتعالىٰ زاجر وواعظ ؟! فما لها عند الله عز وجل قدر ولا وزن ، وكيف يكون لها وزن وهي لا تزن مقدار حصاة من الحصىٰ! ولا قدر ثراة في جميع الثرىٰ! ولا خَلَقَ خلقاً ـ فيما بلغني ـ أبغضَ إليه منها! ولا نظر إليها مذ خلقها ؛ مقتاً لها ؟!

ولقد عرضت علىٰ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين بمفاتيحها وخزائنها ، لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة ، فأبىٰ أن يقبلها ، وما منعه من القبول لها ـ مع كونها لا تنقصه مما له عند الله تعالىٰ ـ إلا أنه علم صلى الله عليه وسلم أنها أبغض الأشياء إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، فأبغضها لبغض مولاه إياها ، فصغَّرَ شيئاً صغره الله ، ووضع شيئاً وضعه الله ، ولو قبلها. . كان دليلا علىٰ حبه إياها ، ولـٰكنه صلى الله عليه وسلم كره أن يحب ما أبغض خالقه ، وأن يرفع ما وضع مالكه .

ومما يدل علىٰ شر هـٰذه الدنيا : أن الله سبحانه وتعالىٰ زواها عن أنبيائه وأحبائه اختياراً ، وبسطها لغيرهم اعتباراً واغتراراً ، فيظن المغرور بها أنه إنما أُكرِم بها ، ونسي المغرور المغبون ما صنع الله تعالىٰ بأنبيائه وأحبائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أما محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم. . فقد شد الحجر علىٰ بطنه من الجوع .

وأما موسى الكليم عليه الصلاة والسلام. . فقد رُئِيَ خضرة البقل من صفاق بطنه ؛ من هزاله ، وما سأل الله تعالىٰ يوم آوىٰ إلى الظل طعاماً يأكله من جوعه ، ولقد جاءت الروايات عنه : (أن الله تعالىٰ أوحىٰ إليه : أن يا موسىٰ ؛ إذا رأيت الفقر مقبلاً. . فقل : مرحباً بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنىٰ قد أقبل. . فقل : ذنب عجلت عقوبته) .

وأما عيسىٰ عليه الصلاة والسلام روح الله وكلمته. . ففي أمره عجيبة ؛ كان يقول : أُدُمي الجوع ، وشعاري الخوف ، ولباسي الصوف ، ودابتي رجلي ، وسراجي بالليل القمر ، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس ، وفاكهتي وريحاني ما أنبتت الأرض للسباع والأنعام ، أبيت وليس لي شيء ، ولّيس أحد أغنىٰ مني .

وأما سليمان بن داوود عليهما الصلاة والسلام . . فكان ـ مع ملكه ـ يأكل الخبز الشعير في خاصته ، ويطعم أهله الخشكار[١] ، ويطعم الناس الدرمك[٢] ، فإذا جنَّه الليل . . لبس المسوح ، وغل اليد إلى العنق ، وبات باكياً حتىٰ يصبح ، ويأكل الجشب[٣] من الطعام .

يفعلون ذلك قربة إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، يبغضون ما أبغض الله عز وجل ، ويصغِّرون ما صغر الله عز وجل .

ثم جاء الأئمة الصحابة والتابعون بإحسان ، فمَن بعدهم من الأئمة الصالحين ، فسلكوا منهاجهم ، وألزموا أنفسهم الفكر والعبر ، ونظروا إلىٰ آخر الدنيا وباطنها ، ولم ينظروا إلىٰ أولها وظاهرها ، بل إلىٰ عاقبة مرارتها ، ولم ينظروا إلىٰ عاجل حلاوتها ، وألزموا أنفسهم الصبر عنها ، أنزلوها بمنزلة الميتة التي لا يحل الشبع منها في حال الضرورة إليها ، فأكلوا منها قدر ما ردَّ النَّفْس ، وأبقى الروح ، ومكَّن من النوم ، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي قد اشتدَّ نتن ريحها ، فكل من مرَّ بها . . أمسك علىٰ أنفه منها .

هـٰذه منزلتها عندهم ، فهم يعجبون من الآكل منها شبعاً ، والمتلذذ بها أشراً ، ويقولون في أنفسهم : أترىٰ هـٰؤلاء لا يخافون من الأكل ؟! أما يجدون ريح النتن ؟!

وهي ـ والله يا أخي ـ في العاقبة والعاجلة أنتن من الجيفة الموصوفة ، غير أن أقواماً استحلوا الصَّبِرَ[٤] ، فلا يجدون ريح النتن ، والذي نشأ في ريح الإهاب . . لا يجد ريح نتنه ، ويكفي العاقل منها أنه من مات عنها وترك مالاً . . سرَّه أن كان فيها فقيراً ، أو شريفاً . . أنه كان فيها وضيعاً ، أو كان فيها معافىٰ . . سره أن كان فيها مبتلىٰ ، أو سلطاناً . . سره أن كان فيها سوقة[٥] .

وإن فارقتها . . سرك أنك كنت أوضع أهلها وأشدهم فاقة .

والله ؛ لو كانت الدنيا من أراد منها شيئاً وجده في وقته من غير تعب ، غير أنه إذا أخذ منها شيئاً لزمه حقوق الله تعالىٰ فيه ، وسأله عنه ، ووقفه علىٰ حسابه . . لكان ينبغي للعاقل

---

(١) **الخشكار** : الخبز الأسمر .
(٢) **الدرمك** : الخبز المصنوع من الدقيق الأبيض .
(٣) **الجشب من الطعام** : الغليظ الخشن .
(٤) **الصَّبِر** : الدواء المر .
(٥) **أي** : أوساط الناس ، أو الرعية .

ألاَّ يأخذ منها إلا قدر قوته ؛ حذراً من السؤال والحساب .

وإنما الدنيا ـ إذا فكرت فيها ـ ثلاثة أيام : يوم [مضىٰ] لا ترجوه ، ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تغتنمه ، ويوم يأتي لا تدري أأنت من أهله أم لا ؟ ولا تدري لعلك تموت قبله ؟

فأما أمس . . فحكيم مؤدِّب ، وأما اليوم . . فصديق مودِّع ، غير أن أمس ـ وإن كان قد فجعك بنفسه ـ فقد أبقىٰ في يديك حكمته ، وإن كنت قد أضعته . . فقد جاءك خلف منه قد كان عنك طويل الغيبة ، وهو الآن عنك سريع الرحلة .

وغداً أيضاً في يديك منه أمله ، فجد في العمل ، واترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل .

وإياك أن تدخل على اليوم هَمَّ غده وهَمَّ ما بعده ، يكفي اليومَ همُّه ، وغداً إذا دخل عليك . . دخل بشغله ؛ فإنك إذا أدخلت على اليوم هَمَّ ما بعده . . زدت في حزنك وتعبك ، وأردت أن يجتمع لك في يومك ما يكفيك أيامَك ، هيهات! كثر الشغل ، وزاد الحزن ، وعظم التعب ، وأضاع العبدُ العملَ بالأمل ، ولو كان الأمل في غدك خرج من قلبك . . لأحسنت اليوم في عملك ، واقتصرت علىٰ هَمِّ يومك ، غير أن الأمل منك في الغد دعاك إلى التفريط ، ودعاك إلى المزيد في الطلب .

ولئن شئت واقتصرت . . لأصفن لك ، الدنيا ساعة بين ساعتين : ساعة ماضية ، وساعة باقية ، [وساعة] أنت فيها ، فالماضية والباقية لا تجد لراحتهما لذة ، ولا لبلائهما ألماً ، فإنما الدنيا ساعة أنت فيها ، فخدعتك تلك الساعة عن الجنة ، وصيَّرتك غداً إلى النار .

وإنما اليوم ـ إن عقلت ـ ضيف نزل بك ، هو مرتحل عنك ، فإن أحسنت نُزله وقِراه . . شهد لك ، وأثنىٰ عليك بذلك ، وصدق فيك ، وإن أسأت ضيافته ولم تحسن قراه . . جال في عيبك .

وهُما يومان بمنزلة الأخوين ، نزل بك أحدهما فأسأت إليه ، ولم تحسن فيما بينك وبينه ، فجاءك الآخر بعده فقال : إني قد جئتك بعد أخي ، وإن إحسانك إلي يمحو إساءتك إليه ، ويغفر لك ما قد صنعت ، فدونك قد جئتك بعد أخي المرتحل عنك ، فقد ظفرت بخلف منه ، إن عقلت . . فتدارك ما قد أضعت .

وإن ألحقت الآخر بالأول . . فما أخلقك أن تهلك بشهادتهما عليك ، وإن الذي بقي من العمر لا ثمن له ولا عدل ، فلو جمعت الدنيا كلها . . ما عدلت يوماً ولا ساعة بقي من عمر

صاحبه ، فلا تبع اليوم بغير ثمنه ، ولا يكونن المقبور المدفون أعظم تعظيماً لما في يديك منك .

ولعمري ؛ لو أن مدفوناً في قبره قيل له : هٰذه الدنيا من أولها إلىٰ آخرها ، نجعلها لولدك من بعدك ، يتنعمون فيها من ورائك ـ فقد كنت وليس لك هم غيرهم ـ أحب إليك ؟ أم يوم نؤثرك فيه تعمل لنفسك ؟ . . لاختار ذلك اليوم ، بل لو اقتصر علىٰ ساعة . . لاختارها ، بل لو اقتصر علىٰ كلمة واحدة يقولها . . لاختار الكلمة الواحدة .

فانتقد اليوم لنفسك ، وأبصر الساعة ، وأعظم الكلمة ، واحذر الحسرة عند نزول السكرة ، ولا تأمن أن يكون هٰذا الكلام حجة عليك ، نفعنا الله وإياك بالموعظة ، ورزقنا وإياك حسن العواقب ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ووعظ الحسن أصحابه فقال : إن الدنيا دار عمل ، من صحبها بالبغض لها والزهادة فيها . . سعد بها ونفعته صحبتها ، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها . . شقي فيها وأجحف بحظه من الله عز وجل ، ثم أسلمته إلىٰ ما لا صبر له عليه ، ولا طاقة له به من عذاب الله ، فأمْرُها صغير ، ومتاعها قليل ، والفناء عليها مكتوب ، وأهلها يتحولون عنها إلىٰ منازل لا تبلىٰ ، ولا يغيرها طول الزمن ، لا العمر فيها يفنىٰ فيموتون ، ولا وإن طال الثوىٰ فيها يخرجون ، فاحذروا ـ ولا قوة إلا بالله ـ ذلك الموطن ، وأكثروا ذِكر ذلك المنقلب ، واقطعوا من الدنيا أكثر همومكم ؛ فإنها ـ والله ـ مفضية بأهلها إلىٰ ندامة طويلة ، وعذاب شديد ، فلا تكونن يابن آدم مغتراً ، ولا تأمن ما لم يأتك الأمان فيه ؛ فإن الهول الأعظم ومقطعات[1] الأمور أمامك ، ويحك يابن آدم! ما يضرك ما أصابك من شدائد الدنيا إذا خلص لك خير الآخرة ، فضح القوم (ألهاكم التكاثر) عن الجنة ، والله ؛ لقد صحبنا أقواماً كانوا يقولون : ليس لنا في الدنيا حاجة ، ليس لها خُلِقنا ، فطلبوا الجنة بغدوهم ورواحهم وسهرهم ، نعم والله ؛ حتىٰ أهرقوا فيها دماءهم ، ورجوا فأفلحوا ونجوا ، فهنيئاً لهم ، لا يطوي أحد ثوباً ، ولا يفترشه ، ولا تلقاه . . إلا صائماً ذليلاً ، إذا دخل إلىٰ أهله : إن قرب إليه شيء . . أكله ، وإلا . . سكت لا يسألهم عن شيء ما هٰذا وما هٰذا ، ثم قال :

ليس من مات واستراح بمَيْتٍ ... إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياء

(١) في نسخة و« الحلية » : (ومفظعات الأمور) .

وقال : يابن آدم ؛ أُعْلِمُكَ أن لأهل التقوىٰ علامات يعرفون بها : صدق الحديث ، ووفاء العهد ، وصلة الرحم ، ورحمة الضعفاء ، وقلة الفخر والخيلاء ، وبذل المعروف ، وقلة المباهاة للناس ، وحسن الخلق مما يقرب إلى الله تبارك وتعالىٰ .

ابن آدم ؛ إنك ناظر إلىٰ عملك يوزن خيره وشره ، [فلا تحقرنَّ من الخير شيئاً وإن هو صغر ؛ فإنك إذا رأيته . . سرَّك مكانه ، ولا] تحقرنَّ من الشر شيئاً ؛ فإنك إذا رأيته . . ساءك مكانُه ، فرحم الله من كسب طيِّباً ، وأنفق قصداً ، وقدَّم فضلاً ليوم فقره وفاقته .

وعن الحسن في قوله عز وجل : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ قال : إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن فأساء العمل .

وقال : من كان فيه أربع خلال . . أعاذه الله من الشيطان : من يملك نفسه عند الرغبة ، والرهبة ، والشهوة ، والغضب .

وقال : إن أعظم الحسرات غداً . . أن يرى الرجل ماله في ميزان غيره ، أتدرون كيف هـٰذا ؟ رجل آتاه الله مالاً ، فأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله ، فبخل به ، فورثه الوارث ، ففعل به ما أمره الله تعالىٰ ، فهو يرىٰ ماله في ميزان غيره ، فَيَا لَها عثرة لا تقال ، وتوبة لا تنال .

وقال : ابن آدم ؛ دِينك هو لحمك ودمك ، إن سلم لك دينك . . يسلم لك لحمك ودمك ، وإن تكن الأخرىٰ . . فنعوذ بالله ؛ فإنها نار لا تُطْفَأُ .

ابن آدم ؛ إنك موقوف بين يدي ربك عز وجل ، ومرتهن بعملك ، فخذ مما في يديك لما بين يديك ، إن العبد لايزال بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه .

وقال : أدركت أقواماً ما طوي لأحدهم في بيته ثوب قط ، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط ، وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً ، وإن كان أحدهم ليقول : لوددت أني أَكَلْتُ أكلة تصير في جوفي مثل الآجرة ، قال : وبلغنا أن الآجرة تبقىٰ في الماء ثلاث مئة سنة .

ولقد أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليرث المال العظيم ، وإنه لمجهود الجهد الشديد ، قال : فيقول لأخيه : يا أخي ؛ إني قد علمت أن ذا ميراث ، وهو حلال ، ولـٰكنِّي أخاف أن يفسد عليَّ قلبي وعملي ، فهو لك لا حاجة لي فيه ، فلا يرزأ منه شيئاً أبداً ، وهو ـ والله ـ مجهود شديد الجهد .

وعن علقمة بن مرثد قال : لما ولي عمر بن هبيرة العراق . . أرسل إلى الحسن

والشعبي ، فأمر لهما ببيت ، فكانا فيه شهراً أو نحوه ، ثم إن الخَصِيَّ[1] غدا عليهما ذات يوم ، فقال : إن الأمير داخل عليكما ، فجاء عمر يتوكأ علىٰ عَصاً له ، فسلم ، ثم جلس معظماً لهما ، ثم قال لهما : إنَّ أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إليَّ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة ، فإن أطعته.. عصيت الله ، وإن عصيته.. أطعت الله عز وجل ، فهل تريان في متابعتي إياه فرجاً ؟ فتكلم الشعبي بما يلائم ابن هبيرة ، فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ فقال : يا عمر بن هبيرة ؛ يوشك أن ينزل بك ملك من عند الله سبحانه وتعالىٰ لا يعصي الله ما أمره قط ، غليظ ، فيخرجك من سعة قصرك إلىٰ ضيق قبرك ، فإن تتقي الله عز وجل.. يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، وإن لم تتق الله.. لا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل .

يا عمر ؛ لا تأمن أن ينظر الله إليك ـ وأنت علىٰ أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك ـ نظر مقت ، فيغلق باب المغفرة دونك ، لقد أدركتُ ناساً من صدر هـٰذه الأمة ، كانوا ـ والله ـ على الدنيا وهي مقبلة أشد فراراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة ، وإني أخوِّفك مقاماً خوَّفه الله تعالىٰ فقال : ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ، فإن تك مع الله في طاعته.. يكفك بائقة يزيد بن عبد الملك ، وإن تك علىٰ معاصي الله مع يزيد.. وكلك الله عز وجل إليه .

فبكىٰ عمر بن هبيرة ، وقام بعَبرته ، فلما كان من الغد.. أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما ، وكانت جائزة الحسن أكثر ، فخرج الشعبي إلى المسجد ، فقال : يا أيها الناس ؛ من استطاع منكم أن يؤثر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ خلقه.. فليفعل ، فوالذي نفسي بيده ؛ ما خفي عليَّ مما قال الحسن شيئاً ، ولـٰكن أردت وجه ابن هبيرة ، فأقصاني الله منه . أو كما قال .

وعن عمران القصير قال : سألت الحسن عن شيء ، فقلت : إن الفقهاء يقولون كذا وكذا ، فقال : وهل رأيت فقيهاً بعينك ؟! إنما الفقيه : الزاهد في الدنيا ، البصير بدينه ، المداوم علىٰ عبادة ربه عز وجل .

وعن سفيان بن عيينة ، عن أيوب قال : لو رأيتَ الحسن.. لقلتَ : إنك لم تجالس فقيهاً قط .

---

(١) خادم الأمير الخاصُّ بالدخول على النساء .

وقال الأعمش : مازال الحسن البصري يعي الحكمة حتىٰ نطق بها .

وكان إذا ذكر عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين . . قال : ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء .

وعن خالد بن صفوان قال : لقيت مسلمة بن عبد الملك بالحِيرة ، فقال : يا خالد ؛ أخبرني عن حسن أهل البصرة ، قلت : أصلح الله الأمير ، أُخبرك عنه بعلم ، أنا جاره إلىٰ جنبه ، وجليسه في مجلسه ، إنه أشبه الناس سريرة بعلانية ، وقولاً بفعل ، إن قعد علىٰ أمر . . قام به ، وإن قام علىٰ أمر . . قعد عليه ، وإن أمر بأمر . . كان أعمل الناس به ، وإن نهىٰ عن شيء . . كان أترك الناس له ، رأيته مستغنياً عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين إليه ، قال : حسبك يا خالد ، كيف يضل قوم هـٰذا فيهم ؟! انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٣٢ـ١٥٠] .

وقال في « المنتخب » : أغمي على الحسن البصري في مرض موته ، ثم أفاق ، فقال : لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم . انتهىٰ .

قال في « لوامع أنوار القلوب » : إنه لما دخل الزنج البصرة . . انحاز الناس إلى الحسن البصري رحمه الله في أن يدعو الله تعالىٰ على الظالمين ، فقال لهم الحسن : إن في هـٰذه البلدة أقواماً لو دعوا الله تعالىٰ على الظالمين . . لهلكوا ، ولـٰكنهم لا يريدون إلا ما يريد الله سبحانه وتعالىٰ ، الذي هو خالقهم ومالكهم وحبيبهم ، ولا يحبون إلا ما أحب ، ثم قال : يا رب ؛ هـٰذا سوطك تدعو به الخلق إلىٰ بابك ، فلبيك لبيك ، قد التجأنا إليك ، وألقينا مقالدنا لديك ، وأنت الشافي الكافي .

فكان من الغد ما كان من رحيل الزنج ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سلوا الله عز وجل اليقين والعافية »(١) .

زاد في رواية : « فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيراً من العافية » .

وعن الحسن رَفَعَهُ : « إن الناس لم يُؤْتَوا في الدنيا خيراً من اليقين والعافية ، فسلوهما » .

قال الحسن : صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ باليقين طلبت الجنة ، وباليقين

---

(١) أخرجه البيهقي في « الصغرىٰ » (١/٢٦) .

أديت الفرائض ، وباليقين صُبِر على الحق ، وفي معافاة الله عز وجل خير كثير ، قد رأيناهم متقاربين[1] في العافية ، فإذا نزل البلاء . . تفارقوا . انتهىٰ .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان الحسن البصري ـ رحمه الله ـ كثيراً ما يأكل اللحم ، فيقال له ؟ فيقول : نعم لا صحناة[2] فرقد[3] ، ولا رغيفي مالك .

ولبس يوما ثوباً جديداً ، فجعل فرقد يلمسه ويتعجب ، وكان علىٰ فرقد كساء ، فقال له الحسن : أما بلغك أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية ؟ يشير إلى الرهبان . انتهىٰ .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : وعن طلحة بن عمرو الحضرمي ، قال : قدم علينا الحسن ، فجلسنا إليه مع عطاء ، فسمعته يقول : بلغنا : أن الله تعالىٰ يقول : (يابن آدم ؛ خلقتك وتعبد غيري ، وتُذكر بي وتنساني ، وتدعو إلي وتفر مني ، إن هـٰذا لأظلم ظلم في الأرض) ، ثم تلا الحسن : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ .

وقال الحسن : ما من رجل يرىٰ نعمة الله عليه ، فيقول : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتثمر . . إلا أغناه الله وزاده .

وقال : ابن آدم ؛ إنما أنت أيام ، كلما ذهب يوم . . ذهب بعضك .

وقال : رحم الله رجلاً لبس خَلَقاً ، وأكل كسرة ، ولزق بالأرض ، وبكىٰ على الخطيئة ، ودأب في العبادة .

وقال : أبى الله عز وجل أن يعصيه عبد . . إلا أذله .

وقال : فضح الموت الدنيا ، فلم يترك فيها لذي لُبٍّ فرحاً .

وكان الحسن يحلف بالله : ما أعز أحد الدرهم . . إلا أذله الله تعالىٰ .

وقال : ابن آدم ؛ أصبحت بين مطيتين : الليل والنهار ، يعرجان بك حتىٰ تقدم الآخرة ، فإما إلىٰ جنة ، وإما إلىٰ نار ، فمن أعظم خطراً منك ؟!

وأتاه رجل فقال : إني أريد السند ، فأوصني ، فقال له : حيثما كنت فأعز الله تعالىٰ . . يعزك ، قال : فحفظت وصيته ، فما كان أحد أعز مني .

---

(١) في « الحدائق » : (قد والله رأيتهم يتفاوتون في العافية ، فإذا نزل البلاء . . تساووا) .

(٢) الصحناة : إدام يتخذ من السمك .

(٣) فرقد : هو فرقد السبخي .

وقال : ضَحِكُ المؤمن غفلة من قلبه .

وخطب رجل إلى الحسن ، فرضيه ، فذهب السفير بينهما يوماً يثني عليه ، فقال له : يا أبا سعيد ؛ وأزيدك أن له خمسين ألف درهم ، فقال له الحسن : خمسون ألفاً ؟! ما اجتمعت من حلال ، فقال له : يا أبا سعيد ؛ إنه ـ ما علمت ـ لورع مسلم ، فقال : إن كان قد جمعها من حلال . . فقد ضن بها عن حق ، لا والله ؛ لا يجري بيننا وبينه صهر أبداً .

وقال : الإسلام ، وما الإسلام ؟ السر والعلانية فيه سواء ، وأن يسلم قلبك لله عز وجل ، وأن يسلم منك كل مسلم ، وكل ذي عهد .

وجاءه رجل فقال : كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتىٰ تكاد قلوبنا تطير ؟ فقال الحسن له : والله ؛ لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتىٰ يدركك أمن . . خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتىٰ تلحقك المخاوف ، فقال له بعض القوم : أخبرنا عن صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكىٰ ، ثم قال : ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والصدق ، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد ، وممشاهم بالتواضع ، ومنطقهم بالعمل ، ومطعمهم ومشربهم بالطيبِ من الرزق ، وخضوعهم بالطاعة لربهم سبحانه وتعالىٰ ، وانقيادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا ، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم ، ظمئت هواجرهم ، ونحلت أجسامهم ، واستخفُّوا بسخط المخلوقين ؛ لرضى الخالق جل جلاله ، ولم يفرطوا في غضب ، ولم يحيفوا في جور ، ولم يجاوزوا حكم الله تعالىٰ ، مستمسكين بالكتاب والسنة ، قد شغلوا الألسن بالذكر ، بذلوا دماءهم حين استنصرهم ، وبذلوا لله تعالىٰ أموالهم حين استقرضهم ، لم يكن خوفهم من المخلوقين ، حسنت أخلاقهم ، وهانت مؤونتهم ، وكفاهم اليسير من دنياهم إلىٰ آخرتهم .

وقال : المؤمن : من يعلم أن ما قال الله عز وجل كما قال ، ويكون من أحسن الناس عملاً ، وأشد الناس خوفاً ، لو أنفق جبلاً من مال . . ما أمن دون أن يُعَايِن ، كلما ازداد صلاحاً وبراً وعبادة . . ازداد خوفاً ، يقول : لَعَلِّي لا أنجو . والمنافق يقول : سواد الناس كثير ، وسيغفر لي ، ولا بأس عليَّ ، فيسيء[1] العمل ، ويتمنىٰ على الله عز وجل .

وكان الحسن رحمه الله إذا تلا هـٰذه الآية : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ . . يقول : مَن قال ذا ؟! قاله مَن خلقها ، وهو سبحانه وتعالىٰ أعلم بها .

---

(١) في « الحلية » ونسخة : (فينسىء) .

وقال : إياكم وما يشغل من الدنيا ؛ فإنها كثيرة الأشغال ، لا يفتح رجل علىٰ نفسه باب شغل . . إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب .

ولما احتضر . . دخل عليه رجال من أصحابه ، فقالوا له : يا أبا سعيد ؛ زودنا منك بكلمات ينفعنا الله بهن ، قال : إني مزودكم ثلاث كلمات ، ثم قوموا عني ودعوني وما توجهت له :

ما نهيتم عنه من أمر . . فكونوا من أترك الناس له .

وما أمرتم به من معروف . . فكونوا من أعمل الناس به .

واعلموا أن خطاكم خطوتان : خطوة لكم ، وخطوة عليكم ، فانظروا أين تغدون ، وأين تروحون .

وقال : رحم الله رجلاً لم يغرَّه ما يرىٰ من كثرة مخالفات الناس ، ابن آدم ؛ إنك تموت وحدك ، وتدخل القبر وحدك ، وتبعث وحدك ، وتحاسب وحدك ، ابن آدم ؛ أنت المعنيُّ ، وإيَّاك يراد .

وقال : لقد أدركت أقواماً كانوا آمَرَ الناس بالمعروف آخذين به ، وأنهى الناس عن منكر تاركين له ، ولقد بقينا في أقوام آمَرُ الناس بالمعروف وأبعدُهُم منه ، وأنهاهم عن منكر وأوقعُهم فيه ، فكيف الحياة مع هـٰؤلاء ؟!

وقال : بئس الرفيقان الدرهم والدينار ، لا ينفعانك حتىٰ يفارقانك .

وقال : لا تخالفوا الله تعالىٰ عن أمره ؛ فإن من مخالفة أمره عمرانَ دار قد قضى الله عليها بالخراب .

وجاء ابنه ، فقال له : إن هـٰذا السَّهم قد انكسر ، فنظر إليه الحسن ، ثم قال له : يا بني ؛ الأمر أعجل من ذلك .

وسأله رجل فقال له : ما الإيمان ؟ فقال : الصَّبر والسَّماحة ، فقال له الرجل : ما الصبر والسماحة ؟ فقال : الصبر عن معصية الله سبحانه وتعالىٰ ، والسماحة بأداء فرائض الله عز وجل .

وقال : فضل الفِعال على المَقال مكرمة ، وفضل المَقال على الفِعال منقصة .

وقال : الرجاء والخوف مطيتا المؤمن .

وقال الحسن : وايم الله ؛ ما من عبد قسم له رزق يوم بيوم ، فلم يعلم أنه قد خِيْرَ له . . إلا عاجز ، أو غبي الرأي .

وعن الأعمش[1] قال : كنا إذا دخلنا على الحسن رحمه الله . . خرجنا ولا نَعُدُّ الدنيا شيئاً .

وقال : إن المؤمن ليعمل الذنب ، فلا يزال به كئيباً .

وقرأ الحسن قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، فقال : إن الله قد جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة ، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله عز وجل . . إلا جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي شيئاً من معصية الله سبحانه وتعالىٰ . . إلا جمعه .

وأُخبر الحسن بموت الحجاج : فسجد ودعا عليه فقال : اللهم ؛ أنت قتلته ، فاقطع سُنَّتَه ، وأرحنا من سُنَّتِه وأعماله الخبيثة[2] .

وكان يقول : لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة . . لماتوا . انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٤٨-١٥٩] .

زاد غيره فقال : قال غالب القطان : رأيت الحسن في المنام كأنه في سكة الموالي ، وقد حال بيني وبينه الجدول ، وبيده ريحان ، وهو يمسح يديه من غمره ، فقلت له : يا أبا سعيد ؛ أخبرني بعمل يسير له أجر عظيم ، فقال : نَعَم ، نصيحة بقلبك ، وذِكر لله عز وجل بلسانك . انتهىٰ .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : قال الحسن البصري رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام ، ويا ليتني أنا ذلك الرجل .

---

(١) كذا فيما بين أيدينا من النسخ ، وفي « الحلية » و« مصنف ابن أبي شيبة » : (عن أشعث) .

(٢) من أعماله تلك : حصاره لعبد الله بن الزبير بالكعبة ثم صلبه إياه بعد قتله ، ورميه الكعبة بالمنجنيق ، وإذلاله لأهل الحرمين ، وما رافق ذلك من قتل وتعذيب ومضايقة لجلّة الصحابة والتابعين كأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم التيمي ، وغيرهم ، وتأخيره للصلوات إلىٰ أن أهلكه الله سنة خمس وتسعين .

قال الغزالي : وإنما قال ذلك لخوفه الخلود لسوء الخاتمة ، نسأل الله سبحانه وتعالىٰ حسن الخاتمة ، بالإماتة على التوحيد ؛ إنه قريب مجيب .

وكان الحسن رحمه الله إذا تكلم . . كأنه يعاين الآخرة ، فيخبر عن مشاهدتها ، وإذا سكت . . كأن النار تسعر بين عينيه . انتهىٰ [« الإحياء » ٤/١٨٨] .

وقال الحسن رحمه الله : إذا حمد المريض الله عز وجل وشكره ثم ذكر أوجاعه . . لم يكن ذلك شكوىٰ[١] .

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ؛ ألا نغسل قميصك ؟ فقال : الأمر أعجل من ذلك[٢] .

وقال الحسن : الموت معقود بنواصيكم ، والدنيا تطوىٰ من ورائكم[٣] .

روي عن الحسن : أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال ، يأخذ من هـٰذه الجونة تينة ، ومن هـٰذه قسبة[٤] ، فقيل له : ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع ؛ تأكل من متاع الرجل بغير إذنه ؟! فقال : يا لكع ؛ اتل علي آية الأكل ، فتلا إلىٰ قوله : ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ ، قال : فمَن الصديق يا أبا سعيد ؟ قال : من استرْوَحَتْ إليه النفس ، واطمأنَّ إليه القلب[٥] .

وقال الحسن : مصارمة الفاسق . . قربان إلى الله سبحانه وتعالىٰ[٦] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو الإمام المشهور ، المجمع علىٰ جلالته وإمامته في كل شيء ، نشأ بوادي القرىٰ ، وكان فصيحاً ، رأىٰ طلحة بن عبيد الله ، وعائشة ، ولم يصح سماعه منهما ، وقيل : إنه لقي علي بن أبي طالب ، ولم يصح ، وسمع ابنَ عمر ، وأنساً ، وسمرة ، وأبا بكرة ، وجماعة من الصحابة ، وسمع خلائق من كبار التابعين .

وروىٰ عنه خلائق من التابعين وغيرهم .

روينا عن الفضيل بن عياض قال : سألت هشام بن حسان : كم أدرك الحسن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مئة وثلاثين ، قلت : فابن سيرين ؟ قال : ثلاثين .

---

(١) الإحياء (٤/ ٣٩٣) .
(٢) الإحياء (٤/ ٣٣٥) .
(٣) الإحياء (٤/ ٤٥٤) .
(٤) القَسْبَةُ : التمرة اليابسة .
(٥) الإحياء (٣/ ١٠) .
(٦) الإحياء (٣/ ١٦٠) .

ورويناعن الحسن قال : غزونا غزوة إلىٰ خراسان ، معنا فيها ثلاث مئة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الرجل منهم يصلي بنا ، ويقرأ الآيات من السورة ، ثم يركع .

وأثنىٰ عليٌّ بن المديني وأبو زرعة علىٰ مراسيل الحسن[1] .

قال يحيى بن معين ، وأبو حاتم ، وابن أبي خيثمة ، وغيرهم : لم يصح للحسن سماع من أبي هريرة ، فقيل ليحيىٰ : يجيء في بعض الحديث عن الحسن قال : حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه ؟ قال : ليس بشيء ، قيل : فسالم الخياط قال : سمعت الحسن يقول : سمعت أبا هريرة ؟ فقال : سالم الخياط ليس بشيء .

ورويناعن مطرٍ الوراق قال : كان الحسن كأنما كان في الآخرة ، فهو يخبر عما رأىٰ وعايَن .

وقال أبو بردة : لم أرَ مَن لم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم أشبه بأصحابه من الحسن .

وروينا عن الربيع بن أنس قال : اختلفنا إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله ، ما من يوم . . إلا أسمع منه ما لم أسمع قبله .

وروينا عن محمد بن سعد قال : كان الحسن جامعاً ، عالماً ، رفيعاً ، فقيهاً ، ثقة ، مأموناً ، عابداً ، ناسكاً ، كثير العلم ، فصيحاً ، جميلاً .

قدم مكة ، فأجلسوه علىٰ سرير ، واجتمعوا حوله ، فمنهم : طاووس ، وعطاء ، ومجاهد ، وعمرو بن شعيب ، فحدثهم ، فقالوا ـ أو قال بعضهم ـ : لم نر مثل هـٰذا قط .

وقال بكر بن عبد الله : الحسن أفقه مَن رأينا .

ومناقبه كثيرة مشهورة .

ومن حِكَم الحسن ـ رحمه الله ـ : ما ذكره الشافعي ـ رحمه الله ـ في « المختصر »[2] : في قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ قال الحسن : كان رسول الله صلى الله عليه

(١) قال أبو زرعة : كل شيء قال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وجدت له أصلاً ثابتاً ، ما خلا أربعة أحاديث . « تهذيب الكمال » (٦/ ١٢٤) .

(٢) المختصر للمزني يحكي فيه مذهب الشافعي فعزي إليه .

وسلم غنياً عن مشاورتهم ، ولـٰكن أراد الله تعالىٰ أن يستنَّ به الحكَّامُ بعده .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ : لولا هـٰذه الآية . . لرأيت الحكام هلكوا ، ولـٰكن أثنىٰ علىٰ هـٰذا بصوابه ، وأثنىٰ علىٰ هـٰذا باجتهاده ، والله سبحانه أعلم . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ١٦١-١٦٢] .

وروى ابن أبي الدنيا ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : عن الحسن ـ رحمه الله ـ في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ قال : لا تلقى المؤمن . . إلا يعاتب نفسه ، ماذا أردت بأكلتي ؟ ماذا أردت بكلمتي ؟ ماذا أردت بشربتي ؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه(١) .

وروىٰ(٢) : أن امرأة جاءت بابنها إلى الحسن البصري رحمه الله ، فقالت : إن ابني هـٰذا أحب أن يلزمك ، فلعل الله عز وجل أن ينفعه بك ، فلزمه ، فقال له يوماً : يا بني ؛ أَلزِم قلبك الحزن على الآخرة ؛ لتأنس بالحق جل جلاله ، وتستوحش من الخلق ، فلعل الله تبارك وتعالىٰ أن يوصلك إليه ، وٱبْكِ علىٰ ساعات خلواتك ، فلعل مولاك سبحانه وتعالىٰ يَمُنُّ عليك ، فيرحم عبرتك ، ويقيل عثرتك .

وكان الحسن ـ رحمه الله تعالىٰ ـ لا يفارق الحزن والبكاء إذا كان في خلوته ، أو كان مع الناس ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن المؤمن يدَّعي محبة مولاه جل جلاله ، فلهـٰذا لا ينفك عن البكاء والحزن علىٰ ما فات ، والمراقبة والخوف لما هو آت ، فالمحب سكران حيران ، لا يفيق إلا عند مشاهدة محبوبه سبحانه وتعالىٰ .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في « الزهد » (٢٨١) .

(٢) ذكره في « الرقة والبكاء » (٥٥) .

ومنهم الإمام :

قيس بن أبي حازم
رضي الله عنه

قال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو أبو عبد الله ، قيس بن أبي حازم ، اسمه : عبد عوف بن الحارث ، وقيل : اسمه : عوف الأَحْمَسِيّ ـ بالحاء والسين المهملتين ـ البَجَلي ، الكوفي ، التابعي ، الجليل ، المخضرم .

أدرك الجاهلية ، وجاء ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم ، فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق ، وأبوه صحابي .

روىٰ قيس عن جماعات من الصحابة ، وروىٰ عنه جماعات من التابعين .

قال جماعة من الحفَّاظ : روىٰ قيس عن العشرة المشهود لهم بالجنة ، هٰكذا رُوِّيناه عن الحفاظ عبد الرحمٰن بن يوسف بن خراش ، والحاكم أبي عبد الله ، وغيرهما .

قال ابن خراش وغيره : وليس في التابعين من روىٰ عن العشرة غير قيس .

وقال أبو داوود السجستاني : روىٰ عن تسعة منهم ، ولم يرو عن عبد الرحمٰن بن عوف .

قال أبو داوود : أجود الناس إسناداً . . قيس ابن أبي حازم .

توفي سنة أربع وثمانين ، وقيل : سبع ، وقيل : ثمان . انتهىٰ [« تهذيب الأسماء واللغات » ٢/٦١] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : قد رُوِّينا عن الإمام الحافظ تقي الدين أبي عمرو ابن الصلاح ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه قال في « علوم الحديث » [ص ٥١٢ ـ ٥١٥] : المخضرمون من التابعين : هم الذين أدركوا الجاهلية وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلموا ، ولا صحبة لهم ، واحدهم مخضرم ـ بفتح الراء ـ كأنه خُضْرِم ؛ أي : قُطع عن نظرائه الذين أدركوا الصحبة وغيرها .

وذكرهم مسلم ، فبلغ بهم عشرين نفساً ، منهم : أبو عمرو الشيباني ، وسويد بن غفلة الكندي ، وعمرو بن ميمون الأودي ، وعبد خير بن يزيد الخيواني ، وأبو عثمان النهدي[1] عبدُ الرحمٰن بن مل ، وأبو الحلال العتكي ، وربيعة بن زرارة .

وممن لم يذكرهم مسلم منهم : أبو مسلم الخولاني ، وهو عبد الله بن ثُوَب ـ بضم الثاء المثلثة ـ والأحنف بن قيس ، والله أعلم .

ومن أكابر التابعين : الفقهاء السبعة من أهل المدينة ، وهم : سعيد بن المسيِّب ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، وخارجة بن زيد ، وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وسليمان بن يسار .

ورُوِّينا عن الحافظ أبي عبد الله أنه قال : هٰؤلاء الفقهاء السبعة عند الأكثر من علماء الحجاز .

ورُوِّينا عن ابن المبارك ، قال : فقهاء أهل المدينة الذين يصدرون عن رأيهم سبعة : فذكر هٰؤلاء ، إلا أنه لم يذكر أبا سلمة ابن عبد الرحمٰن ، وذكر بدله سالم بن عبد الله بن عمر .

ورُوِّينا عن أبي الزناد تسميتهم في كتابه عنهم ، فذكر هٰؤلاء ، إلا أنه ذكر أبا بكر ابن عبد الرحمٰن بدل أبي سلمة وسالم . انتهىٰ .

وقد نظمهم بعض الشعراء فقال :

أَلاَ كُـلُّ مـن لا يقتـدي بـأئمـةٍ ... فقسمته ضيزىٰ عن الحق خارجهْ
فخـذهُـمْ عبيـد الله عـروةُ قـاسـمٌ ... سعيـدٌ أبـو بكـرٍ سليمـانُ خـارجـهْ

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) وجد في هامش نسخة : (قال أبو الفرج [في « الصفوة » (٣/ ١٠٤ـ١٠٥)] : عن معتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : لأحسب أن أبا عثمان النهدي لم تكتب الملائكة عليه خطيئة ، كان نهاره صائماً ، وليله قائماً ، وكان من ساكني الكوفة ، فلما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما . انتقل إلى البصرة ، وقال : لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بالبصرة ، عن مئة وثلاثين سنة ، وقال : قد نقص مني كل شيء إلا أملي ، وهٰذا لتصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [الذي روي بنحوه في « الترمذي » ٢٤٥٥] : « يشيب ابن آدم ، ويشب فيه خصلتان : الحرص ، وطول الأمل ») .

ذكر الفقهاء السبعة

منهم الإمام :

أبو محمد سعيد بن المسيِّب
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال بكر بن خُنيس : قلت لسعيد بن المسيب عن قوم يصلون ويتعبدون : يا أبا محمد ؛ ألا تتعبد مع هٰؤلاء القوم ؟ فقال لي : يابن أخي ؛ إنها ليست عبادة ، **قلت له : فما العبادة يا أبا محمد ؟ قال : التفكر في أمر الله ، والورع عن محارم الله ، وأداء فرائض الله تعالىٰ .**

وفي رواية صالح بن محمد بن زائدة : أن فتية من بني ليث كانوا عُبَّاداً ، وكانوا يروحون بالهاجرة إلى المسجد ، ولا يزالون يصلون حتىٰ يصلى العصر ، فقال صالح لسعيد : هٰذه العبادة ، لو تقوىٰ علىٰ ما يقوىٰ عليه هٰؤلاء الفتيان ، فقال سعيد : **ما هٰذه العبادة ، ولٰكن العبادة : التفقه في الدين ، والتفكر في أمر الله تعالىٰ .**

وعن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحرَّة[1] لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر الرسول صلى الله عليه وسلم[2] .

وعن سعيد بن المسيب قال : من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة . . فقد ملأ اليدين والنحر[3] عبادة .

وحصل له وجع في عينيه ، فقيل له : يا أبا محمد ؛ لو خرجت إلى العقيق ، فنظرت إلى الخضرة ، فوجدت ريح البَرِّيَّة . . لنفع ذلك بصرك ، فقال سعيد : كيف أصنع بشهود العشاء والصبح ؟

---

(١) **الحرة :** أرض بظاهر المدينة بها حجارة سُود كثيرة ، جرت بها وقعة مشهورة بين المسلمين أنفسهم . انظر « النهاية في غريب الحديث » (١/ ٣٦٥) .

(٢) وعند ابن سعد (٥/ ١٣٢) وغيره : أنه كان يسمع أذاناً يخرج من قبل القبر ثم يقيم ، ويصلي .

(٣) في « الحلية » : (ملأ البر والبحر عبادة) .

وقال : ما فاتتني الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة .

وقال : ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة . . إلا وأنا في المسجد .

وقال : ما دخل علي وقت صلاة . . إلا وقد أخذت أهبتها ، وما دخلت علي . . إلا وأنا مشتاق إليها .

وصلى الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة .

وقال : ما فاتتني تكبيرة الإحرام منذ خمسين سنة .

وسئل : ما يقطع الصلاة ؟ قال : الفجور ، ويسترها التقوىٰ[1] .

وكان يسرد الصوم ، وقال : لقد حججت أربعين حجة .

وقال عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي : إن نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه ـ في ذات الله عز وجل ـ من نفس ذباب .

وقال سعيد بن المسيب : ما أكرَمَتِ العبادُ أنفسها بمثل طاعة الله سبحانه وتعالىٰ ، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله عز وجل ، وكفىٰ بالمؤمن نصرة من الله أن يرىٰ عدوه يعمل بمعصية الله تعالىٰ . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ١٦١ـ ١٦٤] .

وقال الغزالي : قال عطاء : دخلت علىٰ سعيد بن المسيب وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : ليس أحد يسألني عن شيء .

قال الغزالي : وإنما قال ذلك حرصاً علىٰ فضيلة التعليم ، واستيفاء للعلم . انتهىٰ [« الإحياء » ١/ ١١] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن ابن حرملة قال : حفظت صلاة ابن المسيب وعمله بالنهار ، فسألت مولاه عن عمله بالليل ، فأخبرني ، فقال : لا يدع أن يقرأ بـ (ص والقرآن) كل ليلة ، فسألته عن ذلك ، فأخبر أن رجلاً من الأنصار صلىٰ إلىٰ شجرة ، فقرأ بـ ﴿ص﴾ ، فلما مرَّ بالسجدة . . سجد وسجدت الشجرة معه ، فسمعها تقول : اللهم ؛ أعطني بهٰذه السجدة أجراً ، وضع عني بها وزراً ، وارزقني بها شكراً ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داوود عليه الصلاة والسلام .

---

(١) كذا في « الحلية » وما لدينا من المخطوطات ، ولعلها ـ والله أعلم ـ : (ويُسيِّرها التقوىٰ) .

وعن سعيد بن المسيب في قوله تعالىٰ : ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ قال : الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ثم لا يعود في شيء منه .

وكان يكثر أن يقول في مجلسه : اللهم ؛ سلم سلم .

وعن يحيى بن سعيد قال : دخلنا علىٰ سعيد بن المسيب نعوده ، ومعنا نافع بن جبير ، فقالت أم ولده : إنه لم يأكل منذ ثلاث ، فكلموه ، فقال نافع بن جبير : إنك من أهل الدنيا مادمت فيها ، ولا بد لأهل الدنيا مما يصلحهم ، فلو أكلت شيئاً ؟ فقال : كيف يأكل من كان علىٰ مثل حالي ؟ هـٰذه بضعة يُذهب بها إلى النار أو إلى الجنة ، فقال نافع : ادع الله تعالىٰ أن يشفيك ؛ فإن الشيطان قد كان يغيظه مكانك من المسجد ، فقال : بل أخرجني الله سالماً منها . أو كما قال .

ودعي سعيد بن المسيب إلىٰ نيِّف وثلاثين ألفاً ليأخذها ، فقال : لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان ، إلىٰ أن ألقى الله عز وجل ، فيحكم بيني وبينهم .

وكان يماري غلاماً له في ثلثي درهم ، وأتاه ابن عمه بأربعة آلاف درهم ، فأبىٰ أن يأخذها .

وقال سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وقد ذهبت إحدىٰ عينيه وهو يعشو بالأخرىٰ : ما شيءٌ أخوف عندي من النساء .

وقال : يد الله عز وجل فوق عباده ، فمن رفع نفسه . . وضعه الله ، ومن وضعها . . رفعه الله ، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله عز وجل فضيحة عبد . . أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته .

وقيل له : إن قومك يزعمون أنه ما يمنعك من الحج . . إلا أنك جعلت لله عليك إذا رأيت الكعبة . . أن تدعو علىٰ بني مروان ، فقال : ما فعلت ذلك ، وما أصلي صلاة لله عز وجل . . إلا دعوت عليهم ، وإني قد حججت واعتمرت بضعاً وعشرين مرة ، وإنما كتبت علي حجة وعمرة .

وما سابَّ أحداً من الأئمة قط ، إلا أنه كان يقول : قاتل الله فلاناً ، كان أول مَن غَيَّرَ قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان لا يقبل من أحد ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً ، ولا يشرب من شراب أحد .

وعن عبد الله بن أبي وداعة كثير بن المطلب قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، ففقدني أياماً ، فلما جئته . . قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال : ألا أخبرتنا فشهدناها ؟ قال : ثم أردت أن أقوم ، فقال : هل استحدثت امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله ، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟! فقال : أنا ، فقلت : وتفعل ؟ قال : نعم ، ثم تحمَّد ، وصلىٰ على النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوجني علىٰ درهمين ـ أو قال : ثلاثة ـ قال : فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلىٰ منزلي ، وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين ، فصليت المغرب ، وانصرفت إلىٰ منزلي ، وأسرجت وكنت صائماً ، فقدمت خبزاً وزيتاً أفطر عليه ، فإذا باب بيتي يقرع ، فقلت : من هـٰذا ؟ قال : سعيد ، فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ؛ فإنه لم يُرَ منذ أربعين سنة . . إلا بين بيته والمسجد ، فقمت ، فخرجت ، فإذا سعيد بن المسيب ، فظننت أنه قد بدا له ، فقلت : يا أبا محمد ؛ ألا أرسلت إلي فآتيك ؟ قال : لا ، أنت أحق أن تؤتىٰ ، قلت : فما تأمر ؟ قال : إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت ، فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك ، وهـٰذه امرأتك ، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم أخذها بيدها ، فدفعها في الباب ، ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقتُ من الباب ، ثم جعلتُ القُصيعة التي فيها الخبز والزيت في ظل السراج لكي لا تراه ، وصعدت إلى السطح ، فرميت الجيران ، فجاؤوني ، فقالوا : ما شأنك ؟ قلت : ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها علىٰ غفلة ، وهي في الدار ، فنزلوا إليها .

وبلغ أمي الخبر ، فجاءت ، وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلىٰ ثلاثة أيام ، فأقمت ثلاثاً ، ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجمل الناس ، وإذا هي من أحفظ الناس لكتاب الله عز وجل ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحق زوج .

قال : فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه ، فلما كان بعد ذلك . . أتيت سعيداً وهو في حلقته ، فسلمت عليه ، فردَّ علي السلام ، ولم يكلمني حتىٰ تقوض أهل المجلس ، فلما لم يبق غيري . . قال : ما حال ذلك الإنسان ؟ قلت : خير حال يا أبا محمد ، علىٰ ما يحب الصديق ويكره العدو ، قال : إن رابك شيء . . فالعصا ، ثم انصرفت إلىٰ منزلي ، فوجه إليَّ بعشرين ألف درهم .

قال عبد الله بن سليمان : وكانت هـٰذه بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن

مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد ، فأبىٰ سعيد أن يزوجه ، فلم يزل عبد الملك يحتال علىٰ سعيد حتىٰ ضربه مئة سوط في يوم بارد ، وصب عليه جرة ماء ، وألبسه جبة صوف .

وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ : دخلت المسجد في ليلة ، وظننت أني قد أصبحت ، وإذا الليل علىٰ حاله ، فقمت أصلي ، وجلست أدعو ، فإذا هاتف يهتف من خلفي : يا عبد الله ؛ قل ، قلت : وما أقول ؟ قال : قل : اللهم ؛ إني أسألك بأنك ملك ، وأنك علىٰ كل شيء قدير ، وما تشاء من أمر يكن ، قال سعيد : فما دعوت بها لشيء قط . . إلا رأيت نجحه .

وسأله شخص عن حديث وكان مريضاً مضطجعاً ، فقال : أقعدوني ، فأقعدوه ، ثم قال : إني أكره أن أحدِّث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلموأنا مضطجع .

وعن ميمون بن مهران قال : إن عبد الملك بن مروان قدم المدينة ، فاستيقظ من قائلته ، فقال لحاجبه : انظر ، هل ترىٰ في المسجد أحداً من حُدَّاثي ؟ فدخل المسجد ، فلم ير فيه إلا سعيد بن المسيب ، فأشار إليه بأصبعه ، فلم يتحرك سعيد ، ثم أتاه الحاجب ، فقال : ألم ترني أشير إليك ؟ قال : وما حاجتك ؟ قال : استيقظَ أمير المؤمنين ، فقال : انظر هل ترىٰ في المسجد أحداً من حُدَّاثي ؟ فقال سعيد بن المسيب : لست من حداثه ، فخرج الحاجب ، فقال : ما وجدت في المسجد إلا شيخاً ، أشرت إليه ، فلم يقم ، فقلت له : إن أمير المؤمنين قال لي : انظر ، هل ترىٰ أحداً من حُدَّاثي ؟ قال : إني لست من حداث أمير المؤمنين ، قال عبد الملك بن مروان حين أخبره الحاجب بمقالة سعيد بن المسيب : ذاك سعيد بن المسيب ، دعه ؛ فإنه لا يأتينا .

وقال سعيد بن المسيب : إن الدنيا نذلة ، وهي إلىٰ كل نذل أَمْيَل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ووضعها في غير سبيلها .

وقال : لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم ؛ لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة .

ودُعي سعيد بن المسيب إلى المبايعة للوليد وسليمان بعد عبد الملك بن مروان ، فقال : لا أبايع لاثنين ما اختلف الليل والنهار ، فقيل له : ادخل من باب ، واخرج من باب آخر ، قال : لا ، والله ؛ لا أفعل ؛ لئلا يقتدي بي أحد من الناس ، قال : فجلده مئة ، وألبسه المسوح .

وفي رواية : إن عبد الرحمـٰن بن القاري قال لسعيد بن المسيب حين قدمت البيعة للوليد وسليمان بالمدينة من بعد أبيهما : إني مشير عليك بخصال ثلاث ، قال : وما هُنَّ ؟

قال : تُغَيِّرُ مقامك ؛ فإنك تقوم حيث يراك هشام بن إسماعيل ، قال : ما كنت لأغير مقاماً قمته منذ أربعين سنة .

قال : تخرج معتمراً ، قال : ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس لي فيه نية .

قال : فتبايع ، قال : أرأيت إن كان الله أعمىٰ قلبَك كما أعمىٰ بصرك . . فما عليَّ ، فجاء هشام ، فدعاه إلى البيعة ، فأبىٰ ، فكتب فيه إلىٰ عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك : ما لك ولسعيد ؟ ما كان علينا منه شيء نكرهه ، فأمَّا إذا فعلت . . فاضربه ثلاثين سوطاً ، وألبسه جبة من صوف ، وأوقفه للناس ؛ لئلا يقتدي به الناس ، فدعاه هشام إلى المبايعة ، فقال : لا أبايع لاثنين ، ففعل ما أمره به عبد الملك بن مروان .

وفي رواية : كتب والي المدينة إلىٰ عبد الملك : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب ، فكتب إليه : اعرضه على السيف ، فإن أبىٰ . . فاجلده خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة ، فلما قدم الكتاب على الوالي . . دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله علىٰ سعيد بن المسيب ، فقالوا : إنا جئناك في أمر قد قدم فيه كتاب من عبد الملك ، إن لم تبايع . . ضرب عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً أعطنا إحداهن ؛ فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك كتاب العهد ، فلا تقل : لا ولا نعم ، قال : يقول الناس : بايع سعيد بن المسيب ؟ ما أنا بفاعل ، قال : وكان إذا قال : لا . . لم يمكنهم أن يراجعوه .

قالوا : تجلس في بيتك ، فلا تخرج إلى الصلاة أياماً ؛ فإنه يقبل منك إذا طلبك في مجلسك فلم يجدك ، قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذني حي على الصلاة حي على الفلاح وأتأخر ؟! ما أنا بفاعل .

قالوا : فانتقل من مجلسك إلىٰ غيره ؛ فإنه يرسل إلىٰ مجلسك ، فإن لم يجدك . . أمسك عنك ، قال : أنتقل عنه فرقاً من مخلوق ؟ ما أنا متقدم لذلك شبراً ، ولا متأخر شبراً ، فخرجوا وخرج إلىٰ صلاة الظهر ، وجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالي . . بعث إليه ، فأتىٰ به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا ، إن لم تبايع . . ضربنا عنقك ، قال : نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين ، فلما رآه لا يجيب . . أُخرِج

إلى السدة ، فمدت عنقه ، وسلت عليه السيوف ، فلما رآه قد مضىٰ . . أَمَر به ، فجرد ؛ فإذا عليه تُبَّان[1] من شعر ، فقال : لو علمت أني لا أقتل . . ما اشتهرت بهـٰذا التبان ، فضربه خمسين سوطاً ، ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر . . قال : إن هـٰذه وجوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة .

وفي رواية : لما جرد ليضرب . . قالت امرأة : إن هـٰذا مقام خزي ، فقال لها سعيد : من مقام الخزي فررنا .

وعن عبد الله بن القاسم ، قال : جلست إلىٰ سعيد بن المسيب ، فقال لي : إنه قد نهي عن مجالستي ، قال : قلت : إني رجل غريب ، قال : إنما أحببت أن أعلمك .

وفي رواية : كان إذا أراد الرجل أن يجالسه . . يقول له : إنهم قد جلدوني ومنعوا الناس أن يجالسوني .

وقال : لا تصغروا لفظة المصحف ولا لفظة المسجد ، ما كان لله عز وجل فهو عظيم حسن جليل .

وما كان أحد يجترىء علىٰ سعيد بن المسيب أن يسأله عن شيء حتىٰ يستأذنه كما يستأذن الأمير .

وقال : نِعم المال الصالح مع العبد الصالح ، يؤدي حق الله فيه ، ويكف وجهه عن الناس . أو كما قال .

وإنه لمَّا مات . . ترك ألفين أو ثلاثة آلاف دينار ، وقال : ما تركتها . . إلا لأصون بها دِيني .

وقال : من استغنىٰ بالله . . افتقر الناس إليه .

وعن علي بن زيد قال : رأىٰ عَلَيَّ سعيد بن المسيب جبة خز ، فقال : إنك لجيد الجبة ، فقلت : وما يغني عني وقد زهدني فيها سالم ؟ فقال سعيد بن المسيب : أصلح قلبك والبس ما شئت من حلال . أو كما قال .

ومن مسانيد أحاديثه : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) التُّبَّان : سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة .

عليه وسلم : « أول ما يرفع من الناس . . الأمانة ، وآخر ما يبقىٰ . . الصلاة ، ورُب مصل لا خير فيه »[1] .

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اعتز بالعبيد . . أذله الله سبحانه وتعالىٰ »[2] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من اتقى الله . . عاش قوياً ، وسار في بلاده آمناً »[3] .

وعن عمار بن ياسر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حُسن الخلق من خلق الله الأعظم » .

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لي جبريل عليه الصلاة والسلام : لِيَبكِ الإسلام علىٰ موت عمر » رضي الله عنه[4] وأرضاه . انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٦٤ـ١٧٥] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : ولد سعيد بن المسيب لسنتين خلتا من خلافة عمر رضي الله عنه .

وقال سعيد بن المسيب : ما بقي أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما . . مني .

وعنه قال : كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يقول : ما كان بالمدينة عالمٌ . . إلا يأتيني بعلمه وأوتىٰ بما عنده ، غير سعيد بن المسيب[5] .

وكان يسرد الصوم .

وقال : ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل . . إلا وفيه عيب ، ولـٰكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، فمن كان فضله أكثر من نقصه . . وُهِبَ نقصه لفضله .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الصغير » (١/٢٣٨) .
(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٤/١٣٨) .
(٣) أخرجه الديلمي (٣/٥٦٢) .
(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/٦٧) .
(٥) في « الصفوة » : (ما كان عالم بالمدينة إلا يأتيني بعلمه ، وأُوتىٰ بما عند سعيد بن المسيب) . ولعله الصواب ، وانظر « الطبقات » لابن سعد (٥/١٢٢) .

أسند عن خلائق من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[1] .

ومات بالمدينة ، وهو ابن أربع وثمانين سنة ، علىٰ خلاف في ذلك . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٤٥ـ٤٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) وهو من الذين صحح العلماء مراسيلهم ، كالإمام أحمد وغيره ، وأكثر مراسيله عن والد زوجته أبي هريرة رضي الله عنه .

ومنهم الإمام :

عروة بن الزبير
رضي الله عنهما

قال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : أمه : أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وقد ذكرنا : أنه اجتمع في الحِجر مصعب بن الزبير ، وعروة بن الزبير ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، فقالوا : تمنَّوا .

فقال عبد الله بن الزبير : أما أنا . . فأتمنى الخلافة .

وقال عروة : أما أنا . . فأتمنىٰ أن يؤخذ عني العلم .

وقال مصعب : أما أنا . . فأتمنىٰ إمرة العراق ، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين .

وقال عبد الله بن عمر : أما أنا . . فأتمنى المغفرة .

فنالوا كلهم ما تمنوا ، ولعل ابن عمر قد غفر له ، رضي الله عنهم أجمعين .

وعن عروة رحمه الله : أنه كان يتألف الناس علىٰ حديثه .

قال عمرو بن دينار : أتيناه ، فقال : ائتوني فتلقَّوا مني .

وفي رواية[1] : يا بَنِيَّ ؛ سلوني ، فلقد تُركت حتىٰ كدتُ أنسىٰ ، وإني لأُسأل عن الحديث ، فيفتح لي حديث يومين .

وأودع عروة بن الزبير عند طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مالاً لما خرج إلى الشام ، فبلغه أن طلحة يبني ويبتاع الرقيق والإبل والغنم ، فلما قدم . . كره أن يسأله عن الوديعة ؛ لئلا يكشفه ، فجعل يلقاه ويستحي من تقاضيه الوديعة ، فقال له طلحة ذات يوم : ألا تأخذ وديعتك ؟ فقال : بلىٰ ، متىٰ ؟ قال طلحة :

---

(١) في « الصفوة » (٢/٤٨) .

متىٰ شئت ، فبعث طلحة معه رسولاً ، فإذا الوديعة مدفونة تحت الأرض علىٰ حالها . أو كما قال .

وقال عروة : رب كلمةٍ ذل احتمَلْتُها . . أورثتني عزاً طويلاً .

وقال : **إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة . . فاعلم : أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيته يعمل السيئة . . فاعلم أن لها عنده أخوات ؛ فإن الحسنة تدل علىٰ أختها ، وإن السيئة تدل علىٰ أختها .**

وقال عروة لبنيه : يا بَني ؛ لا يهدينَّ أحدكم إلىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ ما يستحيي أن يهديَه إلىٰ كريمه[1] ؛ فإن الله عز وجل أكرم الكرماء سبحانه وتعالىٰ . وأعظم وأحق من اختير له سبحانه وتعالىٰ . أو كما قال .

وكان يقول : يا بَني ؛ تعلموا ؛ فإنكم إن تكونوا صغار قوم . . عسىٰ أن تكونوا كبار قوم آخرين ، ما أقبح الجهل لا سيما من شيخ .

و[كان يقول] : لتكن ـ يا بُني ـ كلمتك طيبة ، ووجهك بسيطاً . . تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء . انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٧٦ـ١٧٨] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان عروة إذا كانت أيام الرُّطَب . . ثَلَمَ[2] حائطه ، فيأكل الناس ما يأكلون ، ويحملون ما يحملون .

وكان إذا دخله . . ردد هـٰذه الآية فيه حتىٰ يخرج : ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾ .

وكان يقرأ كل يوم ربع القرآن نظراً في المصحف ، ويقوم الليل به ، فما تركه . . إلا ليلة قطعت رجله ، ثم عاود من الليلة المقبلة .

وعن هشام بن عروة قال : خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك ، فوقعت في رجله الأكلة ، فقال له الوليد : يا أبا عبد الله ؛ أرىٰ قطعها ، فقطعت ، وإنه لصائم .

وفي رواية أخرىٰ : وما حرك عضواً من عضو ، وصبر ، فلما رأى القدم بأيديهم . . دعا بها ، وقبَّلها[3] في يده ، ثم قال : أما والذي حملني عليك ؛ إنه ليعلم سبحانه وتعالىٰ

---

(١) كريمه : العزيز عنده .
(٢) ثلم الشيء : كسر حرفه ، والثُّلمة : الفُرجة .
(٣) في بعض الروايات : (وقلَّبها) .

أني ما مشيت بك إلىٰ حرام ، أو قال : إلىٰ معصية .

وفي رواية أخرىٰ : دخل ابن له ـ أكبر ولده ـ اصطبله ، فرفسته دابة ، فقتلته ، فقال : اللهم ؛ إنه كان لي أطراف أربعة ، فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة ، فلك الحمد ، وكان لي بنون أربعة ، فأخذت لي واحداً وأبقيت لي ثلاثة ، فلك الحمد ، وايم الله ؛ لئن أخذت.. لقد أبقيت ، ولئن ابتليت.. لطالما عافيت .

زاد في « لوامع أنوار القلوب » فقال : روي : أنه لما وقعت الأكلة في رجله.. أشاروا عليه بقطعها ، وحذروه من الغفلة عنها ، فقال : هـٰذا أمر شرفني الله عز وجل به ، فلما ارتفعت إلى الساق.. قيل له : إن بلغَت إلى الركبة.. قتلتك ، فأجاب إلىٰ قطعها لتقوى الله عز وجل ؛ خشية أن يكون قد قتل نفسه ، فأشار عليه الطبيب بشرب دواء ؛ لئلا يحس بألم القطع ، فقال : ما كنت لأمنع نفسي أجراً ساقه الله عز وجل لي ، فقيل له : لو أمسكك بعض أولادك ؛ ليكون أثبت لك ، فقال : الرضا بقضاء الله عزوجل يمنعني من ذلك ، فجلس الوليد بن عبد الملك عنده والجماعة ، والطبيب يقطع ، فلم يزل يهلل ويكبر ويذكر الله سبحانه وتعالىٰ حتىٰ قطعت ، ولم يتغير حاله ، ولم يعلم الحاضرون إلا بنشيش الزيت[1] ، ثم بعد ساعة وقع ابنه بين الدواب ، فقتلته ، فجاء رجل يعزيه ، فقال : إن كنت تعزيني برجلي.. فإني قد احتسبتها عند الله عز وجل ، فقال : بل أعزيك بابنك ، فقال : ما شأنه ؟ فأخبره خبره ، ثم ذكر باقيه .

وفي رواية : وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فقال : **والله ؛ ما بك حاجة إلى المشي ، ولا أرَب في السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك ، وابن من أبنائك إلى الجنة ، والكل تبع للبعض إن شاء الله عز وجل ، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء ، وعنه غير أغنياء ؛ من علمك ورأيك ، نفعك الله وإيانا به ، والله عز وجل ولِيُّ ثوابك ، والضمين بحسابك .**

وكان عروة رحمه الله يسرد الصوم .

ورأىٰ عروة رجلاً يصلِّي وهو يخفف الصلاة ، فدعاه ، فقال له : أمَا كانت لك إلىٰ ربك سبحانه وتعالىٰ حاجة ، ما هـٰذا التخفيف ؟! إني لأسأل الله عز وجل في صلاتي حتىٰ أسأله الملح .

---

(١) النشيش : الصوت الذي يصدر عند الغليان .

وعن هشام بن عروة قال : كان أبي لا يفطر ، ولقد مات يوم مات وهو صائم .

أسند عن خلائق من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وكانت ولادته سنة اثنتين وعشرين ، وقيل : ست وعشرين للهجرة ، وتوفي سنة أربع وتسعين ، رحمه الله . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٤٩ـ٥٠] .

وقال الحافظ : لما قدم عروة من عند الوليد إلى المدينة . . أتته قريش والأنصار يعزونه في ابنه ورِجله ، فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله : قد صنع الله عز وجل بك خيراً ، والله ؛ ما بك حاجة إلى المشي ، فقال : ما أحسن ما صنع الله عز وجل إلي! وهب لي سبع بنين فمتعني بهم ما شاء ، ثم أخذ واحداً وأبقىٰ ستة ، وأخذ عضواً وأبقىٰ لي خمساً ، يدين ورجلاً وسمعاً وبصراً .

وعن هشام بن عروة قال : قال أبي : إذا رأىٰ أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها . . فليأت أهله ، وليأمرهم بالصلاة ، وليصطبر عليها ، قال الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۞ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ .

وعن هشام بن عروة قال : لما اتخذ أبي قصره بالعقيق . . قال له الناس : جفوت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني رأيت مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشة في فجاجهم عالية ، فكان فيما هنالك عما هم فيه عافية .

ومن مسانيد حديثه : عن عروة ، عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غيروا الشيب ، ولا تشبهوا باليهود »[1] غريب من حديث عروة .

وعن عروة ، عن عائشة رضي الله عنهما قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوىٰ إلىٰ فراشه . . قال : « اللهم ؛ متعني بسمعي وبصري وعقلي ، واجعلها الوارث مني ، وانصرني علىٰ عدوي ، وأرني فيه ثأري »[2] .

وعنه عن عائشة رضي الله عنها قالت : عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني غفار ، فوجده محموماً وله ضجيج من شدة ما يجد من الحمىٰ ، فقال النبي صلى الله عليه

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٦٥) .
(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٤/ ١٧٠) .

وسلم : « الحمىٰ من فيح جهنم ، وهي نصيب المؤمن من النار » ، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تشتهي ؟ » قال : أشتهي ـ يارسول الله ـ برد الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ؛ أعطه ما تمنىٰ » ، فقال : هاه ، فشهق ، فمات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أمتي من لو أقسم على الله عز وجل . . لأبره » انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ١٧٩ـ١٨٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : لما توفي عبد الملك بن مروان.. أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفاً منعه من العيش ، وقد كان ناعماً ، فاستشعر مِسْحاً[(١)] سبعين ليلة ، فقال له القاسم بن محمد : أَعْلِمْتُ أن من مضىٰ من سلفنا كانوا يحبون استقبال المصائب بالتجمل ، ومواجهة النِّعم بالتذلل ، فراح من عشية يومه في مقطعات من حِبَرَةِ[(٢)] أهل اليمن ، شراؤها ثمان مئة دينار ، وفارق ما كان يصنع .

وعن يحيى بن سعيد قال : ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم بن محمد .

وعن حماد بن زيد ، عن أيوب قال : سمعت القاسم يُسأل بمنىٰ ، فيقول : لا أدري ، لا أعلم ، فلما أكثروا عليه.. قال : والله ؛ ما نعلم كل ما تسألونا عنه ، ولو علمنا.. ما كتمناكم ، ولا حل لنا أن نكتمكم .

وفي رواية : ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالىٰ عليه.. خير له من أن يقول ما لا يعلم .

وعن عبد الرحمـٰن ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : ما رأيت أحداً أعلم بالسُّنَّة من القاسم ، وكان الرجل لا يُعَدُّ رجلاً حتىٰ يعرف السُّنَّة .

مات القاسم بين مكة والمدينة حاجاً ـ أو معتمراً ـ فقال لابنه : شن علي التراب شناً ، وشق علي قبري[(٣)] ، والحق بأهلك ، وإياك أن تقول : كان وكان .

---

(١) أي : لبس ثوباً غليظاً من الشعر .

(٢) الحِبَرَةُ : ثوب يماني من قطن ، أو كتان مخطط .

(٣) في « الحلية » و« التمهيد » : (سنَّ عليَّ التراب سناً ، وسوِّ علىٰ قبري) ، والشنُّ والسنُّ واحدٌ ، وهو : الصبُّ .

وجاء أعرابي إلى القاسم ، فقال له : أنت أعلم أو سالم ؟ فقال : ذاك منزل سالم ، فلم يزده عليها حتىٰ قام الأعرابي .

قال محمد بن إسحاق : كره أن يقول : هو أعلم مني فيكذب ، أو يقول : أنا أعلم منه فيزكي نفسه .

أسند الكثير ، وعامة مسانيده في المناسك والأحكام . انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٨٣ـ١٨٥] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أم القاسم أم ولد ، يكنىٰ : أبا محمد[١] .

وعن أيوب قال : رأيت على القاسم بن محمد رداء قد صبغ بشيء من زعفران ، ويدع مئة ألف لا يرىٰ لها قدراً . أو كما قال .

وفي رواية : ولقد ترك مئة ألف وهي له حلال .

وقال مالك : قال عمر بن عبد العزيز : لو كان إلي من الأمر شيء . . لوليت القاسم الخلافة .

وما كان القاسم يجيب في الشيء الظاهر[٢] .

وقال سفيان : اجتمعوا إلى القاسم بن محمد في صدقة قسمها وهو يصلي ، فجعلوا يتكلمون ، فقال ابنه : إنكم اجتمعتم إلىٰ رجل ـ والله ـ ما نال منها درهماً ولا دانقاً ، قال : فأوجز القاسم في صلاته ، وقال : يا بني ؛ قل : فيما علمتُ ، قال سفيان : وصدق ابنه ، ولـٰكنه أراد تأديبه في النطق ، وحفظَه .

توفي سنة ثمان ومئة ، وقيل : تسع ، وهو ابن سبعين أو اثنتين وسبعين سنة ، وكان قد ذهب بصره ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٥١ـ٥٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) في « الطبقات » لابن الخياط (١/٢٤٤) : (أبا عبد الرحمـٰن) .

(٢) في « الصفوة » ، و« سير أعلام النبلاء » (٥/٥٧) : (وما كان القاسم يجيب إلا في الشيء الظاهر) .

ومنهم الإمام :

أبو بكر بن عبد الرحمـٰن بن الحارث بن هشام
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : كان أبو بكر بن عبد الرحمـٰن أكثرُ أحاديثِهِ في الأقضية والأحكام .

وقال الزبير بن بكار : كان أبو بكر بن عبد الرحمـٰن يقال له : راهب المدينة ، وفي رواية : راهب قريش ؛ لكثرة صلاته .

وعن أبي بكر بن عبد الرحمـٰن أنه قال : إنما هـٰذا العلم لِواحد من ثلاثة : لذي نسب يزين به نسبه ، أو لذي دِين يزين به دينه ، أو مختلط بسلطان يعرِّفه أمر الله عز وجل ونهيه ، ولا أعلم أحداً اجتمعت فيه الخلال من عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز ، كلاهما ذو نسب ، ودين ، وقرب من السلطان . أو كما قال .

ومما أسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني لأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »(1) انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ١٨٧ـ١٨٨] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أبو بكر بن عبد الرحمـٰن ، كنيته : اسمه ، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه .

وكان حارساً لعرضه ، يصونه أشد الصيانة ، ومن ذلك : أنه أُودِع مالاً ، فأصيب ، فقال له عروة : لا ضمان عليك ، فقال : قد علمت ، ولـٰكن لا تتحدث قريش أن أمانتي خربت ، فباع مالاً له ، فقضاه .

---

(١) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » (٦/ ١١٥) .

وكان قد ذهب بصره ، ودخل يوماً إلىٰ مغتسله ، فمات فيه فجأة ، وذلك في سنة أربع وتسعين ، وهي سَنَة الفقهاء[1] رضي الله عنهم . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٥٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) يقال لها : سَنَةُ الفقهاء ؛ لأنه مات فيها : علي بن الحسين ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمـٰن ، رضي الله عنهم .

ومنهم الإمام :

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن الزهري قال : أدركت أربعة بحور من قريش : سعيد بن المسيب ، وأبا سلمة ابن عبد الرحمـٰن بن عوف[1] ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : لو أدركني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة إذ وقعت فيما وقعت فيه . . لهان عليَّ ما أنا فيه .

وعن أبي الزناد قال : ربما كنت أرىٰ عمر بن عبد العزيز في إمارته يأتي عبيد الله بن عبد الله ، فربما حجبه ، وربما أذن له .

كتب عبيد الله بن عبد الله بن عتبة إلىٰ عمر بن عبد العزيز :

باسم الذي أنزلت من عنده السورُ ... والحمد لله أما بعد يا عمرُ
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذرُ ... فكن علىٰ حذر قد ينفع الحذرُ
واصبر على القدر المحتوم وارض به ... وإن أتاك بما لا تشتهي القدرُ
فما صفا لامرىءٍ عيش يُسَرُّ به ... إلا سيتبع يوماً صَفْوَه كدرُ

أسند كثيراً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مما أعلم به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من حقارة الدنيا والزهادة فيها .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس رضي الله عنهم : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لَلدنيا أهون على الله سبحانه وتعالىٰ من هـٰذه علىٰ أهلها »[2] .

---

(١) في « الحلية » : (وأبا بكر بن عبد الرحمـٰن بن الحارث) .
(٢) أخرجه بنحوه أحمد (١/٣٢٩) .

وعنه عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن لي مثل أحد ذهباً . . ما يسرني أن يأتي علي ثلاث ليال وعندي منه شيء ، إلا شيء أرصده للدِّين »[1] .

وعنه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول : « إن الله لم يقبض نبياً حتىٰ يخيره » ، قالت : فلما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم . . كان آخر كلمة سمعتها منه يقول : « بل الرفيق الأعلىٰ من الجنة » ، قالت : قلت : إذاً والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : « إن نبياً لا يقبض حتىٰ يخير »[2] انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٨٨] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أسند عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

وذهب بصره ، وتوفي بالمدينة ، سنة ست وتسعين[3] ، وقيل : سبع وتسعين ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٥٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (٧/ ٤٦) ، وبنحوه البخاري (٥٩١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٤) .

(٣) كذا فيما بين أيدينا من النسخ ، وفي « الصفوة » ، و« تهذيب الكمال » ، و« سير أعلام النبلاء » : (ثمان وتسعين) .

ومنهم الإمام :

خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري
رضي الله عنهما

قال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : ومن مسانيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهما : عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ هـٰذا المال خضر حلو »[1] .

وعنه عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظنا ويحدثنا ، ويقول : « والذي نفسي بيده ؛ ما عُمِل علىٰ وجه الأرض عمل بعد الشرك . . أعظم من سفك دم حرام ، والذي نفسي بيده ؛ إن الأرض لتعج إلى الله عز وجل من ذلك عجيجاً تستأذنه فيمن فعل ذلك علىٰ ظهرها ؛ لتخسف به »[2] انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ١٩٠] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه ابن حبان في « الإحسان » (٣٢٢٠) .

(٢) أخرجه الديلمي (٤/ ٣٧٢) ، وعج عجيجاً : رفع صوته وصوَّت مرة بعد أخرىٰ .

ومنهم الإمام :

أبو أيوب سليمان بن يسار
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً ، فخرج حاجاً من المدينة ومعه رفيق له ، حتىٰ نزلوا بالأبواء[1] ، فقام رفيقه ، وأخذ السفرة ، وانطلق إلى السوق يبتاع لهم ، وقعد سليمان في الخيمة ، وكان من أورع الناس ، فبصرت به أعرابية من قُلة جبل[2] ، وهي في خيمتها ، فلما رأت حسنه وجماله . . انحدرت وعليها البرقع والقفازان[3] ، فجاءت ، فوقفت بين يديه ، وأسفرت عن وجهها كأنه فلقة قمر ، فقالت : أهنيني ، فظن أنها تريد طعاماً ، فقام إلىٰ فضل السفرة ليعطيها ، فقالت : لست أريد هـٰذا ، إنما أريد ما يكون من الرجل إلىٰ أهله ، فقال : جهزك إليَّ إبليس ؟ ثم وضع رأسه بين كميه ، وأخذ في النَّحيب ، فلم يزل يبكي ، فلما رأت ذلك . . سدلت برقعها ، ورجعت إلىٰ خيمتها ، فجاء رفيقه ، فرآه قد انتفخت عيناه من البكاء ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : خير ، فلم يزل به رفيقه حتىٰ أخبره بشأن الأعرابية ، فجعل رفيقه يبكي بكاء شديداً ، فقال له سليمان : فأنت ما يبكيك ؟ قال : أنا أحق بالبكاء منك ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأني أخشىٰ أن لو كنت مكانك . . لما صبرت عنها ، فما زالا يبكيان ، فلما انتهىٰ سليمان إلىٰ مكة ، فبينما هو نائم رأىٰ رجلاً وسيماً جميلاً ، له شارة حسنة ، ورائحة طيبة ، فقال له سليمان : من أنت رحمك الله ؟ قال : أنا يوسف الصديق ، قال : إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لشأناً عجيباً ، فقال له يوسف عليه الصلاة والسلام : شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . أو كما قال .

---

(١) **الأبواء** : موضع بين مكة والمدينة ، وهي إلى المدينة أقرب ، وقعت عندها أول غزوة للرسول صلى الله عليه وسلم ، في آخر السنة الأولىٰ للهجرة .

(٢) **قلة الجبل** : أعلاه وقمته .

(٣) **القفاز** : لباس الكفِّ من نسيج أو جلد .

ومن مسانيد حديثه : ما رواه بسنده إلىٰ أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أول الناس يُقضىٰ فيه يوم القيامة ثلاثة : رجل استشهد ، فأتي به ، فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت في سبيلك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، إنما أردت أن يقال : فلان جريء ، وقد قيل ، فأمر به ، فسحب علىٰ وجهه ، حتىٰ ألقي في النار .

ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن ، فأتي به ، فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وقرأت القرآن ، وعلَّمته فيك ، قال : كذبت ، إنما أردت أن يقال : فلان عالم ، وفلان قارىء ، وقد قيل ، فأمر به ، فسحب علىٰ وجهه إلى النار .

ورجل آتاه الله من أنواع المال ، فأتي به ، فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ فقال : ما تركت من شيء تحبّ أن ينفق فيه . . إلا أنفقت فيه لك ، قال : كذبت ، إنما أردت أن يقال : فلان جواد ، وقد قيل ، فأمر به ، فسحب علىٰ وجهه ، حتىٰ ألقي في النار » صحيح متفق عليه[١] .

وعنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عُبِدَ الله بشيء أفضلَ من فقه في دين »[٢] ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : لأَن أتفقه ساعة . . أحبُّ إليَّ من أن أحيي ليلة أصليها حتىٰ أصبح ، ولَفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ، ولكل شيء دعامة ، ودعامة الدين : الفقه[٣] . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ١٩٠ـ١٩٣] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان سليمان بن يسار مولىٰ ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال : كان مكاتباً لها ، وكان يسرد الصوم ، وكان أخوه عطاء يصوم يوماً ويفطر يوماً .

أسند سليمان عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن عمر ، وابن عباس ، في خلق كثير من الصحابة ، رضوان الله عليهم .

وتوفي سنة تسع ومئة[٤] ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

---

(١) الحديث بنحوه في « مسلم » (١٩٠٥) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦/ ١٩٤) .

(٣) أخرجه بنحوه الدارقطني (٣/ ٧٩) .

(٤) في « الصفوة » و« السير » : (سنة سبع ومئة) .

وأسند أخوه عطاء عن أُبي ، وابن مسعود ، وأبي أيوب ، في خلق كثير من الصحابة ، رضوان الله عليهم .

وتوفي سنة ثلاث ومئة ، وقيل : سنة أربع وتسعين ، وكان يكنىٰ : أبا محمد ، وهو مولىٰ ميمونة أيضاً . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٤٦ـ٤٨] .

تَنبِيه

اعلم : أن أبا الفرج ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ ذكر أن واقعة الأعرابية إنما وقعت مع عطاء بن يسار أخي سليمان بن يسار ، والحافظ ـ كما رأيت ـ رواها عن سليمان ولم يذكر أخاه هنا .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو عمرو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[(١)]
رضي الله عنهم

قال النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : هو التابعي الإمام الفقيه الزاهد العابد ، سمع أباه ، وأبا أيوب الأنصاري ، ورافع بن خديج ، وأبا هريرة ، وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ وسمع جماعات من التابعين .

وروىٰ عنه جماعات من التابعين، منهم : عمرو بن دينار ، ونافع مولىٰ أبيه ، والزهري، وموسى بن عقبة ، وحميد الطويل ، وعبيد الله العمري ، وخلائق من التابعين ، وتابعي التابعين .

وأجمعوا علىٰ إمامته ، وجلالته ، وزهادته ، وعلو مرتبته .

ورُوِّينا عن سعيد بن المسيب قال : كان عبد الله بن عمر أشبه ولد عمر به ، وكان سالم أشبه ولد عبد الله به .

ورُوِّينا عن مالك بن أنس قال : لم يكن أحد أشبه بمن مضىٰ من الصالحين في الزهد والقصد في العيش . . من سالم ؛ كان يلبس الثوب بدرهمين .

رُوِّينا عن إسحاق بن راهويه ، أنه قال : أصح الأسانيد كلها : الزهري عن سالم عن أبيه ، وفي هـٰذه المسألة خلاف قد تقدم ذكره[(٢)] .

---

(١) كذا في النسخ و« المعارف » ، وفي « الحلية » ، و« الصفوة » ، و« سير أعلام النبلاء » : (أبو عُمر) وليس (أبا عمرو) .

(٢) إذ قال النووي في « التهذيب » في ترجمة الزهري (١/ ٩١) :
قال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه : أصح الأسانيد مطلقاً : الزهري عن سالم عن أبيه .
وقال أبو بكر ابن أبي شيبة : أصحها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي .
وقال علي بن المديني وعمرو بن علي الفلاس وغيرهما : أصحها الأعمش عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود .
وقال البخاري : أصحها : مالك عن نافع عن ابن عمر ؛ لإجماع أهل الحديث علىٰ أن الشافعي أجلُّ أصحاب مالك رحمهم الله أجمعين . =

ورُوِّينا عن محمد بن سعد ، قال : كان سالم كثير الحديث ، عالياً من الرجال ، ورعاً .

وفي « تاريخ ابن أبي خيثمة » : أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يلقى ابنه سالماً ، فيقبِّله ، فيقولون : ألا تعجبون من شيخ يقبل شيخاً ؟

ورُوِّينا عن ابن المبارك : أنه عدَّ فقهاء المدينة السبعة ، فجعل سالماً أحدهم . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٠٧-٢٠٨] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قدم سليمان بن عبد الملك المدينة ، فدخل عليه القاسم وسالم بن عبد الله ؛ فإذا سالم أحسنهما صورة ، فقال : يا أبا عمر ؛ ما طعامك ؟ قال : الخبز والزيت ، قال : أوتشتهيه ؟ قال : أَدَعُهُ حتىٰ أشتهيَهُ ، قال : ثم دعا لهما بغالية[(١)] ، وجاءت جارية وضيئة الوجه ، مديدة القامة ، فذهبت تغليهما ، فقال : تنحَّي عنا ، ثم تناولا المدهن[(٢)] ، فلعقا منه ، ثم ادَّهَنا ، ثم قالا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتي بمدهن الطيب . . لعق منه ، ثم ادَّهن[(٣)] .

وقال سالم : إياكم وإدامة اللحم ؛ فإن له ضراوة كضراوة الشراب .

وكان يخرج إلى السوق فيشتري حوائج نفسه .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ سالم رحمهما الله : أن اكتب إلي بشيء من رسائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب : يا عمر ؛ اذكر الملوك الذين تفقأت أعينهم ، الذين كانوا لا تنقضي لذتهم ، وانفقأت بطونهم ، وصاروا جيفاً تحت الأرض .

وكان لا يمر بنفر بليل أو نهار . . إلا سلم ، يقول : السلام عليكم ، فقيل له في ذلك ، فأخبر عن أبيه رضي الله عنهما أنه كان يفعل ذلك .

أسند سالم ما لا يعد كثرة عن أبيه ، وعن جلة الصحابة أجمعين .

فمن حديثه عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يُسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه . . كان الله عز وجل في حاجته ، ومن فرَّج

= والمختار : أنه لا يجزم لإسنادٍ أنه أصحها على الإطلاق ؛ لعسر ذلك . انتهىٰ .

(١) الغالية : أخلاط من الطيب ، كالمسك والعنبر .

(٢) المُدْهن : آلة الدُّهنِ ، وجاء في النسخ ، و« الحلية » : (الدهن) . والمراد هنا بمدهن الطيب : الدهن المطيب .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ٦٧) .

عن مسلم كربة من كرب الدنيا . . فرَّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً في الدنيا . . ستره الله يوم القيامة » حديث صحيح[1] .

وعنه عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ترك عبد شيئاً لله لا يتركه إلا له . . عوضه الله منه ما هو خير له في دينه ودنياه »[2] انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٩٣ـ١٩٦] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كانت أم سالم أُمَّ ولد ، وكان أبوه يحبه حباً شديداً ؛ لأنه أشبه أولاده به ، وكان إذا قيل له في ذلك . . ينشد :

يلومونني في سالمٍ وأَلومُهمْ   وجلدة بين العين والأنف سالم[3]

وزحمه رجل ، فقال له سالم : بعض هٰذا رحمك الله ، فقال له الرجل : ما أراك إلا رجل سوء ، فقال له سالم : ما أحسبك أبعدْتَ ، ودخل الكعبة ، فصلى العشاء ، ثم أحيا الليل كله . أو كما قال .

وقال سفيان بن عيينة : دخل هشام بن عبد الملك الكعبة ، فإذا هو بسالم ، فقال : يا سالم ؛ سلني حاجتك ، فقال : إني لأستحيي أن أسأل في بيت الله عز وجل غير الله سبحانه وتعالىٰ ، فلما خرج . . خرج في أثره ، فقال : الآن خرجت ، فسلني حاجتك ، فقال : له سالم : من حوائج الدنيا ؟ أم حوائج الآخرة ؟ فقال : من حوائج الدنيا ، فقال له سالم : ما سألت الدنيا ممن يملكها ، فكيف أسأل ممن لا يملكها ؟!

توفي في آخر ذي الحجة ، سنة ست ومئة ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٥٢ـ٥٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١٠) ، ومسلم (٢٥٨٠) .
(٢) أخرجه الديلمي (٤/٦٦) .
(٣) جعل ابن عمر رضي الله عنهما منزلة ابنه سالم منزلة سالم ، وهي الجلدة التي بين عينيه وأنفه . ورواية الشطر الأول في « اللسان » :

يديرونني عن سالم وأُريغُهُ

ومنهم الإمام :

محمد بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهما

قال الإمام النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : هو من كبار التابعين ، دخل علىٰ عمر بن الخطاب ، وسمع عثمان ، وأباه علياً رضي الله عنهم .

روىٰ عنه بنوه : الحسن ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وعون ، وجماعات من التابعين .

ورُوِّينا عنه ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ؛ إن ولد لي مولود بعدك.. أأسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : « نعم »[1] .

وقال أحمد بن عبد الله العقيلي الإمام الحافظ : ثلاثة يسمون محمداً ، ورخص في كنيتهم بأبي القاسم : محمد ابن أبي بكر ، ومحمد بن علي ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله .

وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الحافظ : لا نعلم أحداً أسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ولا أصح مما أسند ابن الحنفية . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٨٨] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : هو ابن الحنفية ، أمه : الحنفية[2] ، خولة بنت جعفر بن قيس ، ويقال : بل كانت أمه من سبي اليمامة ، فصارت إلىٰ علي رضي الله عنه .

قالت أسماء : رأيت أم محمد سندية سوداء ، وكانت أمة لبني حنيفة .

وقال محمد ابن الحنفية : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد مِن معاشرته بُدّاً ، حتىٰ يجعل الله عز وجل له فرجاً ، أو قال : مخرجاً .

وقال : من كرمت عليه نفسه.. لم يكن للدنيا عنده قدر .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٤٣) .

(٢) نسبة لبني حنيفة علىٰ غير القياس ، وكانت أَمَةً لهم .

وقال : إن الله عز وجل جعل الجنة ثمناً لأنفسكم ، فلا تبيعوها بغيرها .

وعن المنذر قال : قال لي محمد ابن الحنفية : يا منذر ؛ قلت : لبيك ، قال : كل ما لا يُبتغَىٰ به وجه الله عز وجل . . يضمحل .

وعن علي بن الحسين قال : كتب ملك الروم إلىٰ عبد الملك بن مروان يتهدده ، ويتواعده ، ويحلف ليحملن إليه مئة ألف في البَر ، ومئة ألف في البحر ، أو يؤدي الجزية ، فسقط في يده ، فكتب إلى الحجاج : أن اكتب إلى ابن الحنفية فهدِّدْه وتوعَّدْه ، ثم أعلمني ما يرد عليك ، فكتب الحجاج كتاباً شديداً يتهدده ويتوعده بالقتل ، فكتب إليه ابن الحنفية : إن لله عز وجل ثلاث مئة وستين نظرة إلىٰ خلقه ، وأنا أرجو أن ينظر الله عز وجل إليَّ نظرة يمنعني بها منك ، فبعث الحجاج بكتابه إلىٰ عبد الملك ، فكتب عبد الملك إلىٰ ملك الروم ذلك ، فقال ملك الروم : ما خرج هـٰذا منك ، ولا أنت كتبت به ، وما خرج إلا من بيت نبوة .

أسند محمد ابن الحنفية الحديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وعامة حديثه عن علي رضي الله عنه[1] .

وبعث ابن الزبير إلىٰ محمد ابن الحنفية : أن بايع لي ، وبعث إليه عبد الملك : أن بايع لي ، فقال في الجواب : أنا رجل من المسلمين ، فإذا اجتمع المسلمون علىٰ أحدكما . . بايعت له ، فلما قتل ابن الزبير . . بايع لعبد الملك .

ومات في سنة إحدىٰ وثمانين ، وله خمس وستون سنة ، ودفن بالبقيع ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٤٣ـ٤٤] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) وهو أكثر وأصح من روىٰ عن علي رضي الله عنهما .

ومنهم الإمام :

زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم

قال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : عن أبي حمزة قال : أتيت باب علي بن الحسين ، فكرهت أن أصوِّت ، فقعدت حتىٰ خرج ، فسلمت عليه ، ودعوت له ، فأخذني معه إلىٰ حائط له ، فقال لي : اتكأتُ يوماً علىٰ هـٰذا الحائط وأنا حزين ، وإذا برجل حسن الوجه والثياب ينظر في وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ؛ ما لي أراك كئيباً حزيناً ، أَعَلى الدنيا ؟ فهو رزق حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، فقلت : ما عليها أحزن ؛ هو كما تقول[1] ، فقال : أَعَلى الآخرة ؟ فهو وعد صادق ، يحكم فيها ملك قاهر ، قلت : ما علىٰ هـٰذا أحزن ، هو كما تقول ، فقال : وما حزنك ؟ فقلت : أتخوف من فتنة ابن الزبير ، فقال : يا علي بن الحسين ؛ هل رأيت أحداً سأل الله عز وجل فلم يعطه ؟ قلت : لا ، قال : فخافه فلم يكفه ؟ قلت : لا ، ثم غاب عني ، فقيل لي : يا علي بن الحسين ؛ هـٰذا الخضر ناجاك . انتهىٰ [« الحلية » ٣/١٣٤ـ١٣٥] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : علي بن الحسين هو زين العابدين ، أمه : أم ولد ، اسمها : غزالة[2] .

وهو علي الأصغر ، وأما الأكبر : فقتل مع الحسين ، وكان علي هـٰذا مع أبيه ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، إلا أنه كان مريضاً نائماً علىٰ فراش ، فلم يقتل .

وكان يكنىٰ : أبا الحسن ، وقيل : أبا محمد .

قال عبد الرحمـٰن بن حفص : كان علي بن الحسين إذا توضأ . اصفر وجهه ، فيقول له أهله : ما هـٰذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟!

---

(١) في « الحلية » : (لأنه كما تقول) .

(٢) وقيل : إنها بنت ملك الفرس يَزْدَجِرْد ، ويقال لها : سُلافة .

وقال عبد الله ابن أبي سليمان : كان علي بن الحسين إذا مشىٰ . . لا تجاوز يده فخذه ، ولا يخطر بيده ، وكان إذا قام إلى الصلاة . . أخذته رِعْدة ، فقيل له : ما لك ؟ فقال : أتدرون بين يدي من أقوم ، ومن أناجي ؟!

وقال أبو نوح : وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد ، فجعلوا يقولون له : يابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ النار ، يابن رسول الله ؛ النار ، فما رفع رأسه حتىٰ أطفئت ، فقيل له في ذلك ، فقال : لم أشعر بها ، فقيل له : ما الذي ألهاك عنها ؟ فقال : ألهاني عنها النارُ الكبرىٰ .

وقال سفيان : جاء رجل إلىٰ علي بن الحسين فقال : إن فلاناً قد آذاك ووقع فيك ، قال : فانطلق بنا إليه ، فانطلق معه وهو يرىٰ أنه سينتصر لنفسه ، فلما أتاه . . قال : يا هـٰذا ؛ إن كان ما قلتَه فيَّ حقاً . . فغفر الله لي ، وإن كان ما قلت فيَّ باطلاً . . فغفر الله لك .

وقال أبو يعقوب المدني : كان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعض الأمر ، فجاء حسن بن حسن إلىٰ علي بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد ، فما ترك شيئاً . . إلا قاله له ، وعلي ساكت ، فانصرف حسن ، فلما كان الليل . . أتاه في منزله ، فقرع بابه ، فخرج إليه ، فقال له علي : يا أخي ؛ إن كنت صادقاً فيما قلت . . فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً . . فغفر الله لك ، السلام عليك ، وولىٰ ، قال : فاتبعه حسن ، والتزمه من خلفه ، وبكىٰ حتىٰ رثىٰ له ، ثم قال : لا جرم لا عدت في أمر تكرهه ، فقال علي : وأنت في حل مما قلت لي .

وقال : فَقْدُ الأحبة غربة .

وكان يقول : اللهم ؛ إني أعوذ بك أن تحسِّن في لوامع العيون علانيتي ، وتُقبِّح في خفايا العيون سريرتي ، اللهم ؛ كما أسأتُ وأحسنتَ إلي ، فإذا عدتُ . . فعدْ علي .

وكان يقول : إن قوماً عبدوا الله رهبة . . فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة . . فتلك عبادة التجار ، وقوماً عبدوا الله شكراً . . فتلك عبادة الأحرار . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٥٤ـ٥٥] .

وقال الحافظ : قال الزهري : شهدت علي بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام ، فأثقله حديداً ، ووكل به حفاظاً في عدة وجمع ، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له . . فأذنوا لي ، فدخلت عليه وهو في قبة والأقياد في رجليه ويديه ،

فبكيت ، وقلت : وددت أني مكانك وأنت سالم ، فقال : يا زهري ؛ أو تظن أن هـٰذا علي أو يكربني[1] ؟ فإني لو شئت . . لما كان هـٰذا ، ثم أخرج يديه ورجليه من الأقياد ، ثم قال : يا زهري ؛ لا أجوز معهم علىٰ ذا سوىٰ منزلتين من المدينة ، فما لبث إلا أربع ليال . . حتىٰ قدم الموكلون به يطلبونه بالمدينة ، فما وجدوه ، فكنت فيمن سألهم عنه ، فقال لي بعضهم : بينما نحن معه ونحن نراصده ليلاً ، فلما أصبحنا لم نر إلا حديده بين محمليه .

قال الزهري : فقدمت بعد ذلك علىٰ عبد الملك بن مروان ، فسألني عن علي بن الحسين ، فأخبرته ، فقال لي : إنه جاءني في يومٍ فَقَدَهُ الأعوان ، فدخل عَلَيَّ ، فقال : ما أنا وأنت ، فقلت : أقم عندي ، فقال : لا أحب ، ثم خرج ، فوالله ؛ لقد امتلأ ثوبي منه خيفة ، قال الزهري : قلت : يا أمير المؤمنين ؛ ليس علي بن الحسين حيث تظن من جهة الخلافة ، إنه مشغول بنفسه وعبادة ربه عز وجل ، فقال : حبذا شُغْلُ مثله ، فنِعم ما شغل به نفسه .

وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين . . يبكي ، ويقول : زين العابدين[2] .

وكان علي بن الحسين يقول : من قنع بما قسم الله له . . فهو مِن أغنى الناس .

وعن يحيى بن سعيد قال : سمعت علي بن الحسين وقد اجتمع عليه ناس وهو يقول لهم : أحبونا حب الإسلام لله عز وجل ؛ فإنه مابرح بنا حبكم . . حتىٰ صار علينا عاراً .

وفي رواية أخرىٰ : أحبونا حب الإسلام لله عز وجل ، ولا ترفعونا فوق قدرنا ، أو قال : حقنا .

وكان إذا ناول السائل صدقة . . قبَّلها ، ثم ناولها .

وسئل عن كثرة بكائه ، فقال : لا تلوموني ؛ فإن يعقوب عليه السلام فَقَدَ سبطاً من ولده ، فبكىٰ حتى ابيضت عيناه ، ولم يعلم أنه مات ، وقد نظرت إلىٰ أربعة عشر رجلاً قُتلوا من أهلي في غداة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبي ؟ انتهىٰ [« الحلية » ٣/ ١٣٥ـ١٣٨] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وكان لا يحب أن يعينه علىٰ طهوره أحد ، كان يستقي الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام ، فإذا قام من الليل . . بدأ بالسواك ، ثم يتوضأ ، ثم يأخذ في صلاته ، وكان يقضي ما فاته من صلاته بالنهار بالليل ، ثم يقول : يا بني ؛ ليس هـٰذا

---

(١) في « الحلية » : (أتظن أن هـٰذا مما ترىٰ عليَّ وفي عنقي يكربني) .

(٢) كان يسمىٰ زين العابدين لعبادته ؛ فإنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلىٰ أن مات .

عليكم بواجب ، ولٰكن أُحب لمن عود نفسه شيئاً من الخير . . أن يداوم عليه .

وكان لا يترك صلاة الليل سفراً أو حضراً .

وكان يقول : عجبت للمتكبر الفخور ، الذي كان بالأمس نطفة مذرة ، ثم يكون غداً جيفة قذرة!

وعجبت كل العجب ممن شك في الله عز وجل ، وهو يرىٰ خلقه وآياته ، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرىٰ ، وهو يرى النشأة الأولىٰ!

وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء ، وترك دار البقاء!

وكان إذا أتاه السائل . . رحَّب به ، وقال : مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة .

وكلمه رجل ، فافترىٰ عليه ، قال : إن كنا كما قلتَ . . فغفر الله لنا ، وإن لم نكن كما قلت . . فيغفر الله لك ، فقام الرجل ، فقبَّل رأسه ، وقال : جُعلت فداك ، ليس كما قلتُ أنا ، فاغفر لي ، قال : غفر الله لك ، فقال الرجل : ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاتِهِ﴾[1] .

وكان علي بن الحسين رحمه الله يُبَخَّل ، فلما مات . . وجدوه يقوت مئة أهل بيت بالمدينة .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معايشهم ، فلما مات علي بن الحسين رضي الله عنهما . . فقدوا ما كانوا يؤتَون به بالليل .

وكان يحمل جراب الخبز علىٰ ظهره بالليل ، فيتصدق به ، ويقول : إن صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل .

ولما مات وغسلوه . . جعلوا ينظرون إلىٰ آثار سواد في ظهره ، فقالوا : ما هٰذا ؟ فقيل : كان يحمل جِراب الدقيق علىٰ ظهره ليلاً ، يعطيه فقراء أهل المدينة .

وكان أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر . . إلا بعد موت علي بن الحسين رضي الله عنهما .

وكان إذا خرج في حج أو عمرة . . اتخذت له سكينة بنت الحسين سفرة ، أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك ، وأرسلت بها إليه ، فإذا صار بظهر الحرة . . أمر بها ، فقسمت على المساكين .

---

(١) قرأ حفص وابن كثير : ﴿رسالته﴾ ، وقرأ الباقون : ﴿رسالاته﴾ .

وبلغه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أعتق رقبة مؤمنة . . أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار ، حتى الفرْج بالفرْج »[1] ، فقال لأعظم غلمانه قيمة ونفاسة : اذهب ؛ فأنت حر لله عز وجل ، وكان قد أُعطي بهـٰذا الغلام الذي أعتقه ألف دينار . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٥٥ـ٥٦] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : كان علي بن الحسين عنده جماعة ، فسمع صوت واعية[2] في بيته ، فنهض إلىٰ منزله ، ثم عاد قريباً ، فقيل له : أَمِن حدث كانت الواعية ؟ قال : نعم ، فعزَّوه ، وتعجبوا من حسن صبره ، فقال : إنا أهل بيت نطيع الله عز وجل فيما نحب ، ونحمده علىٰ ما نكره .

وحج هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة ، فاجتهد أن يستلم الحجر ، فلم يمكنه ، وجاء علي بن الحسين ، فوقف له الناس ، وتنحوا حتى استلم ، فقال الناس لهشام : من هـٰذا ؟ فقال : لا أعرفه ، فقال له الفرزدق : لـٰكني أعرفه ، هـٰذا علي بن الحسين :

هـٰذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَه ... والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هـٰذا ابن خير عباد الله كلهم ... هـٰذا التقي النقي الطاهر العَلَمُ
هـٰذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك : مَن هـٰذا ؟ بضائره ... العُرْب تعرف مَن أنكرتَ والعجمُ
سهل الخليقة لا تُخشىٰ بوادرُه ... يزينه اثنانِ حسنُ الخلق والكرمُ
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلىٰ مكارم هـٰذا ينتهي الكرمُ
يغضي حياءً ويُغضىٰ من مهابته ... فلا يُكلَّم إلا حين يبتسمُ
يكاد يمسكه عرفانَ راحته ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
الله شرَّفه قِدْماً وفضَّله ... جرىٰ بذاك له في لوحه القلمُ
أيُّ الخلائق ليست في رقابِهِمُ ... لأَوَّلِيَّةِ هـٰذا أو له نِعَمُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٧) بلفظ : « من أعتق رقبة مسلمة . . أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار ، حتىٰ فرجه بفرجه » ، ومسلم (١٥٠٩) بلفظ : « من أعتق رقبة مؤمنة . . أعتق الله بكل إرب منها إرباً منه من النار » .

(٢) في « الحلية » : (ناعية) . وفي « البداية والنهاية » : (داعية) ، الواعية : الصراخ والصوت الشديد ، والله أعلم بالصواب .

مَــنْ يعــرِفِ الله يعــرِفْ أوليَّــةَ ذا   والدين من بيت هٰذا ناله الأممُ[1]
مَـنْ جَـدُّه دانَ فضـلُ الأنبيـاء لـه   وفضــل أمتــه دانــت لــه الأمــمُ
مشتقــةٌ مــن رســول الله نبعتُــه   طابت عناصره والخِيْمُ والشِّيَمُ[2]
ينشق نور الهدىٰ عن نور غرته   كالشمس تنجاب عن إشراقها الظُّلَمُ
مـن معشـر حبهـمْ دِيـن وبغضهُـمُ   كفـر وقـربهُـمُ مَنجـىٰ ومعتصـمُ
مقــدم بعــد ذكــر الله ذكــرهُــمُ   فـي كـل بَـدْءٍ ومختـومٌ بـه الكَلِـمُ
إن عُـدَّ أهـل التقـىٰ كـانـوا أئمَّتَهـم   أو قيل مَن خير أهل الأرض قيل هُمُ[3]

وقال : إذا كان يوم القيامة . . نادىٰ مناد : ليقم أهل الفضل ، فيقوم ناس قليل ، فيقال : انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة ، فيقولون : إلىٰ أين ؟ فيقولون : إلى الجنة ، فيقولون : قبل الحساب ؟! قالوا : نعم ، قالوا : ومن أنتم ؟ قالوا : أهل الفضل ، فيقولون : ما كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنا إذا جُهِل علينا . . حلمنا ، وإذا ظُلمنا . . صبرنا ، وإذا أُسيء إلينا . . غفرنا ، فيقولون لهم : ادخلوا الجنة فنِعم أجر العاملين .

ثم ينادي مناد : ليقم أهل الصبر ، فيقوم ناس قليل ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، فتقول لهم مثل ذلك ، فيقولون : صبَّرنا أنفسنا علىٰ طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله سبحانه وتعالىٰ ، فيقولون : ادخلوا الجنة فنِعم أجر العاملين .

ثم ينادي مناد : ليقم جيران الله عز وجل في داره ، فيقوم ناس ـ وهم قليل ـ فيقال : انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة ، فتقول لهم مثل ذلك : بِمَ جاورتم الله عز وجل في

---

(١) في « الديوان » :

مــــن يشكـــــر الله يشكـــــر أوليـــــة ذا   فـالـديـن مـن بيـت هـٰذا نـالـه الأمـم

(٢) في « الديوان » :

مشتقـــــة مـــــن رســـــول الله نبعتـــــه   طـابـت مغـارسـه والخيـم والشيـم

والنبعة : الأصل ، والخيم : الأخلاق .

(٣) وتتمة هٰذه القصة : أن هشام أمر بحبس الفرزدق ، فحبس بعُسْفَان ، وبعث إليه عليُّ بن الحسين باثني عشر ألف درهم وقال : اعذر أبا فراس ، فردَّها وقال : ما قلت ذلك إلا غضباً لله ولرسوله ، فردَّها إليه وقال : بحقي عليك لما قبلتها ، فقد علم الله نيتك ورأىٰ مكانك ، فقبلها .

داره ؟ قالوا : كنا نتزاور في الله ، ونتجالس في الله ، ونتباذل في الله سبحانه وتعالىٰ ، فتقول : ادخلوا الجنة فنِعم أجر العاملين .

وقال غير واحد : إن علي بن الحسين رضي الله عنهما قاسم الله عز وجل ماله مرتين .

وكان يقول : إن الله يحب المؤمن المذنب التواب .

وكانت العصافير تطير حوله ويصرخن ، فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا : لا ، قال : إنها تقدس ربها عز وجل ، وتسأله قُوت يومها . انتهىٰ [« الحلية » ٣/١٣٨ـ١٤٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وأتاه نفر من العراق ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان ، فقال لهم علي : ألا تخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ ؟ قالوا : لا ، قال : أفأنتم من [الذين قال الله فيهم] : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ؟ قالوا : لا ، قال : أما أنتم . فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هـٰذين الفريقين ، ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، اخرجوا عني ، فعل الله عز وجل بكم وفعل . أو كما قال .

وقال نافع بن جبير لِعلي بن الحسين : أنت سيد الناس وأفضلهم ، تذهب إلىٰ هـٰذا العبد فتجلس معه ؟! يعني : زيد بن أسلم ، قال : إنه ينبغي أن يُتَّبَعَ العالم حيثما كان[(١)] .

وقال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيتُ أحداً أورع من فلان ، قال : فهل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا ، قال : ما رأيتُ أحداً أورع منه .

وقال الزهري : لم أر هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ، وما رأيت أفقه منه .

وقال أبو حازم : ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين .

وقال طاووس : رأيت علي بن الحسين ساجداً بالحِجْر ، فقلت : رجل صالح من أهل بيت طيب ، لأسمعن ما يقول ، فأصغيت إليه ، فسمعته يقول : عُبَيْدُكَ بفِنائك ، فقيرك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلك بفنائك . فوالله ؛ ما دعوت بها في كرب . . إلا كشف عني .

---

(١) العبارة في « الصفوة » (٢/ ٥٧) : (. . . إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيثما كان) .

وقال أبو جعفر : كان علي بن الحسين يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ، وتهيج الريح فيسقط مغشياً عليه .

وخرج يوماً من المسجد ، فلقيه رجل ، فسبَّه ، فثارت إليه العبيد والموالي ، فقال علي بن الحسين : مهلاً على الرجل ، ثم أقبل عليه ، فقال : ما ستر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيى الرجل ، فألقىٰ إليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسل صلوات الله عليهم وسلامه .

وكان عنده ضيف ، فاستعجل الخادمَ في الشواء الذي كان في التنور ، فأقبل به مسرعاً ، فسقط السَّفُّود[1] من يده على ابن له صغير في أسفل الدرجة ، فأصاب رأسه ، فقتله ، فقال علي رحمه الله للغلام الذي قتله : أنت حر لوجه الله عز وجل ؛ فإنك لم تتعمده ، وأخذ في جهاز ابنه .

وعن عمرو بن دينار قال : دخل علي بن الحسين علىٰ محمد بن أسامة بن زيد في مرضه ، فجعل يبكي ، فقال له علي : ما شأنك ؟ قال : عَلَيَّ دَين ، قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار ، قال : فهو عَلَيَّ .

وقال محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم : أوصاني أبي فقال : لا تصحبن خمسة ، ولا تحادثهم ، ولا ترافقهم في طريق ، قلتُ : جُعلت فداك يا أبتِ ، مَن هٰؤلاء الخمسة ؟

قال : **لا تصحبن فاسقاً** ؛ فإنه يبيعك بأكلة فما دونها ، قلت : يا أبتِ ؛ فما دونها ؟ قال : يطمع فيها ولا تحصل له .

قلت : ومَن الثاني ؟ قال : **لا تصحبن البخيل** ؛ فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه .

قلت : ومَن الثالث ؟ قال : **لا تصحبن كذاباً** ؛ فإنه بمنزلة السراب ، يبعِّد منك القريب ، ويقرب منك البعيد .

قلت : ومَن الرابع ؟ قال : **لا تصحبن أحمق** ؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك .

---

(١) السَّفُّود : الحديدة التي يشوىٰ بها اللحم .

قلت : ومَن الخامس ؟ قال : **لا تصحبن قاطع رحم ؛ فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله عز وجل في ثلاثة مواضع .**

أسند علي بن الحسين عن أبيه ، وابن عباس ، وجابر ، وصفية ، وأم سليم ، وغيرهم ، وعن خلق من التابعين رضي الله عنهم .

توفي رحمه الله بالمدينة ، سنة أربع وتسعين ، وقيل : اثنتين ، ودفن بالبقيع ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٥٦-٥٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين ٱبن الحسين بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهم

قال النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : هو أبو جعفر المعروف بالباقر ، سمي بذلك ؛ لأنه بقر العلم ؛ أي : شقه ، فعرف أصله ، وعلم خفيَّه .

وهو تابعي جليل ، إمام بارع ، مجمع علىٰ جلالته وإمامته ، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم .

سمع جابراً ، وأنساً ، وسمع جماعات من كبار التابعين ؛ كابن المسيب ، وابن الحنفية ، وغيرهم .

وروىٰ عنه أبو إسحاق السَّبِيعي ، وعطاء ابن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، والزهري ، وربيعة ، وخلائق آخرون من التابعين وكبار الأئمة .

وروىٰ له البخاري ومسلم . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٨٧] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : ومن كلامه رحمه الله : **الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب الذاكر لله عز وجل .**

وقال : الغنىٰ والعز يجولان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلىٰ مكان فيه التوكل . . جعلاه وطنا .

وقال : ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر . . إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك أو أكثر .

وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي رحمهما الله : إني لمحزون ، وإني لمشتغل

القلب ، قلت : وما حزنك ؟ وما شغل قلبك ؟ قال : يا جابر ؛ إنه من دخل قلبه صافي خالصِ دين الله عز وجل . . شغله عما سواه .

يا جابر ؛ ما الدنيا ؟ وما عسىٰ أن تكون ؟ هل هو إلا مركب ركبته ؟! أو ثوب لبسته ؟! أو امرأة أصبتها ؟!

يا جابر ؛ إن المؤمنين لم يطمئنُّوا إلى الدنيا ؛ لفنائها[1] ، و[لم] يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ، ولم يُصِمَّهم عن ذكر الله عز وجل [ماسمعوا] بآذانهم من الفتنة ، ولم يُعْمِهم من نور الله تعالىٰ ما رأوا بأعينهم من الزينة ، ففازوا بثواب الأبرار ، إن أهل التقوىٰ أيسر أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم معونة ، إن نسيت . . ذكروك ، وإن ذكرت . . أعانوك ، قوَّالين بحق الله عز وجل ، قوَّامين بأمر الله سبحانه وتعالىٰ ، فأنزل الدنيا بمنزلةِ منزلٍ نزلتَ فيه ، وارتحلت عنه ، أو كمالٍ أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء ، فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته .

وقال : ما اغرورقت عين بمائها . . إلا حرَّم الله عزَّ وجلَّ وجه صاحبها على النار ، وإن سالت على الخدَّين . . لم يرهق وجهه قتر ولا ذلَّة ، وما من شيء إلا له أجر ، إلاَّ الدَّمعة ؛ فإن الله تعالىٰ يكفِّر بها بحور الخطايا ، ولو أن باكياً بكىٰ في أمَّةٍ . . لحرم الله تعالىٰ تلك الأمَّة على النار .

وقال لابنه : **إياك والكسل والضَّجر ؛ فإنهما مفتاح كل شر ؛ فإنك إذا كسلت . . لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت . . لم تصبر علىٰ حق .**

وسأله رجل عن تحلية السيوف ، فقال : لا بأس بها قد حَلَّىٰ أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه ، فقيل له : وتقول الصديق ؟! فغضب ، ووثب وثبة ، واستقبل القبلة ، ثم قال : نَعَم الصدِّيق ، نَعَم الصدِّيق ، نَعَم الصدِّيق ، من لم يقل له الصدِّيق . . فلا صدَّق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة .

وعن جابر قال : قال لي محمد بن علي : **يا جابر ؛ بلغني أن أقواماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا وينالون من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ويزعمون أني أمرتُهم بذلك ، فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء ، والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده ؛ لو وُلِّيت . . لتقربت**

---

(١) في « الصفوة » : (. . . لبقاء فيها) .

إلى الله عز وجل بدمائهم ، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما ، ألا إن أعداء الله لغافلون عن أقدارهما عند الله عز وجل . أو كما قال .

وعن أفلح مولىٰ محمد بن علي قال : خرجت مع محمد بن علي حاجّاً ، فلما دخل المسجد الحرام . . نظر إلى البيت ، فبكىٰ حتىٰ علا صوته ، فقلت : بأبي أنت وأمي ، إن الناس ينظرون إليك ، فلو رققت[1] صوتك قليلاً ، فقال : ويحك يا أفلح! ولِمَ لا أبكي ؟ لعل الله عز وجل أن ينظر إليَّ برحمة فأفوز بها عنده غداً ، قال : ثم طاف بالبيت ، ثم جاء حتىٰ ركع عند المقام ، فرفع رأسه من سجوده ، فإذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه .

وعن خالد بن دينار قال : كان محمد إذا ضحك . . قال : اللهم ؛ لا تمقتني .

وعن عبد الله بن عطاء قال : ما رأيت العلماء عند أحد . . أصغر علماً منهم عند أبي جعفر محمد ، لقد رأيت الحَكَم عنده كأنه متعلم .

وعن أحمد بن يحيىٰ قال : قال محمد بن علي : **كان لي أخ في عينيَّ عظيماً ، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه** ، وكان يقول في جوف الليل : اللهم ؛ إنك أمرتني فلم أأتمر ، وزجرتني فلم أزدجر ، وهٰذا عبدك بين يديك ، فبم أعتذر ؟

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله تعالىٰ من أن يُسأل ، وما يدفع القضاء إلا الدعاء ، وإن أسرع الخير ثواباً . . البرُّ ، وأسرع الشر عقوبةً . . البغي ، وكفىٰ بالمرء عيباً أن يرىٰ من الناس ما يعمىٰ عنه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه ، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه .

وعن عبيد الله بن الوليد قال : قال لنا أبو جعفر محمد : أيُدخِل أحدكم يده كُمَّ صاحبه فيأخذ منه ما يريد ؟ قلنا : لا ، قال : فلستم إخوانا كما تزعمون .

وعن سلمىٰ مولاة أبي جعفر قالت : كان يدخل عليه إخوانه ، فلا يخرجون من عنده حتىٰ يطعمهم الطعام الطيب ، ويكسوهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم ، فأقول له : بعض ما تصنع ، فيقول : يا سلمىٰ ؛ ما نؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان ؟!

وكان يعطي الست مئة والخمس مئة إلى الألف ، وكان لا يملُّ من مجالسة إخوانه .

وشُكي إليه جفاء الإخوان فقال : بئس الأخ أخ يرعاك غنياً ، ويقطعك فقيراً ، ثم أمر

---

(١) في « الصفوة » : (فلو رفقت بصوتك) .

غلامه ، فأخرج كيساً فيه سبع مئة درهم ، وقال للشاكي : استنفق هـٰذه ، فإذا نفدت.. فأعلمني .

وقال : اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك .

أسند عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم .

وروىٰ عن سعيد بن المسيب وغيره من التابعين .

ومات في سنة سبع عشرة ومئة ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة[1] ، وأوصىٰ أن يكفن في قميصه الذي كان يصلِّي فيه ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٦٣ـ٦٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) جاء في هامش نسخة : (قيل صوابه : سبع وخمسين سنة) . وجاء في « الصفوة » : (وقيل : ثمان وخمسين) .

ومنهم الإمام :

أبو عبد الله جعفر الصادق ٱبن محمد الباقر ٱبن علي زين العابدين ٱبن الحسين بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهم

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال الليث : حججت سنة ثلاث عشرة ومئة ، فأتيت مكة ، فلما صليت العصر . . رَقِيت أبا قبيس ؛ فإذا رجل جالس وهو يدعو ، فقال : يا رب ، يا رب ، حتى انقطع نَفَسُه ، ثم قال : يا ربَّاه ، يا ربَّاه ، حتى انقطع نَفَسُه ، ثم قال : يا رب ، يا رب ، حتى انقطع نَفَسُه ، ثم قال : يا الله ، يا الله ، حتى انقطع نَفَسُه ، ثم قال : يا رحيم يا رحيم ، حتى انقطع نَفَسُه ، ثم قال : يا أرحم الراحمين (سبع مرات) ثم قال : اللهم ؛ إني أشتهي عنباً ، فأطعمني ، وأريد بُرْدين ؛ فإن بُرْدَيَّ قد خَلُقا ، قال الليث : فما استتم كلامه حتىٰ نظرت إلىٰ سلة مملوءة عنباً ـ وليس علىٰ وجه الأرض يومئذ عنبٌ ـ وبُرْدين موضوعين ، فلما أراد أن يأكل من العنب . . تقدمت إليه ، وقلت له : إني شريكك ، فقال : ولِمَ ؟ قلت : لأنك كنت تدعو وأنا أؤمِّن ، فقال لي : كُلْ ، ولا تخبىء منه شيئاً ، فأكلت ، فلم آكل في عمري مثله ؛ لأنه عنب لا عجم[1] فيه ، فأكلت حتىٰ شبعت ، والسلة لم تنقص شيئاً ، ثم قال لي : خذ أَيَّ البردين شئت ، فقلت : فأما البُردان . . فإني غني عنهما ، فقال : توارَ عني حتىٰ ألبسهما ، فتواريت عنه ، فاتزر بأحدهما ، وارتدىٰ بالآخر ، ثم أخذ البردين الذين كانا عليه ، وجعلهما علىٰ يده ، ونزل ، فاتبعته ، حتىٰ إذا كان بالمسعىٰ . . لقيه رجل ، فقال : اكسني كساك الله يابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفعهما إليه ، فتبعت السائل ، وقلت له : من هـٰذا ؟ قال : هـٰذا جعفر بن محمد ، قال الليث : فطلبته لأسمع منه ، فلم أجده .

---

(١) العَجَمْ : النوىٰ .

توفي بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومئة[1] . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/١٠١-١٠٢] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال سفيان الثوري لجعفر : حدِّثنا ، فقال : إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها . . فأكثر من الحمد والشكر عليها لله عز وجل ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ، وإذا استبطأت الرزق . . فأكثر من الاستغفار ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ ، وإذا حزَبَكَ أمر من سلطان أو غيره . . فأكثر من : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ فإنها مفتاح الفرج ، وكنز من كنوز الجنة . انتهىٰ [« الحلية » ٣/١٩٣] .

وحكى الإمام فخر الدين الرازي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في « أسرار التنزيل » : عن جعفر بن محمد الصادق رحمهما الله قال : عجبت لمن أُعجب بأمر لنفسه كيف لا يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ؟! .

---

(١) وكان مولده سنة ثمانين ، وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأمها هي أسماء بنت عبد الرحمـٰن ابن أبي بكر ؛ ولهـٰذا كان يقول : ولدني أبو بكر الصديق مرتين .
وكان يغضب من الرافضة ، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً وهو أمر لا ريب فيه ، وقد أورد العلماء أخباراً كثيرة تدلل علىٰ موقف أهل البيت الطاهرين من الشيخين أبي بكر وعمر ومحبتهم لهما ، من ذلك :
ـ قال عليُّ بن الجعد : عن زهير بن معاوية : قال أبي لجعفر بن محمد : إن لي جاراً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر ، فقال جعفر : بريء الله من جارك ، والله ؛ إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر ، ولقد اشتكيت شكاية ، فأوصيت إلىٰ خالي عبد الرحمـٰن بن القاسم .
ـ وعن سفيان بن عيينة قال : حدَّثونا عن جعفر بن محمد ـ ولم أسمع منه ـ قال : كان آل أبي بكر يُدْعَوْن علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : آل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ـ وقال محمد بن فضيل : عن سالم ابن أبي حفصة : سألت أبا جعفر محمد بن علي وابنه جعفر عن أبي بكر وعمر ، فقالا لي : يا سالم ؛ تولَّهما وابرأ من عدوهما ؛ فإنهما كانا إمامي هدىً ، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما . وسالم وابن فضيل شيعيان .
ـ وقال حفص بن غياث : سمعت جعفر بن محمد يقول : ما أرجو من شفاعة علي شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله ، ولقد ولدني مرتين .
هـٰذا غيض من فيض ، ومن أراد الاستزادة . . فليراجع كتب التراجم ، يجد العجب ، فجعفر بن محمد إمام جليل ، أخباره كثيرة ، ومناقبه جمة ، وقد وُضعت عليه أشياء لم يسمع بها ككتاب « الجفر » وكتاب « اختلاج الأعضاء » ، وغيرها . . .
انظر « تهذيب الكمال » (٥/ ٨٠) وما بعدها ، و« سير أعلام النبلاء » (٦/٢٥٨-٢٦٠) ، و« تاريخ الإسلام » للذهبي (٦/ ٤٥-٤٨) .

وعجبت لمن خاف قوماً كيف لا يقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ ؟! .

وعجبت لمن مُكِر به كيف لا يقول : [فوضت أمري إلى الله ، والله تعالىٰ يقول] : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ * فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ ؟! .

وعجبت لمن أصابه غم كيف لا يقول : [لا إلـٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، والله تعالىٰ يقول] : ﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؟! .

وقال سفيان بن عيينة : إنه عامٌّ في كل المؤمنين أن ينجيه من الغم إذا قرأ هـٰذه الآية ؛ لأنه وَعْدٌ من الله عز وجل لكل مؤمن ، والله سبحانه وتعالىٰ لا يخلف الميعاد . انتهىٰ .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : قال سفيان الثوري : دخلت علىٰ جعفر بن محمد وعليه جبة من خز فيها حرير وقطن ، وهي فاخرة جدًّا ، فجعلت أنظر إليه تعجُّباً ، فقال لي : يا ثوري ؛ ما لك تنظر إلينا ؟ لعلك تعجبت مما ترىٰ ، قال : قلت : يابن رسول الله ؛ ليس هـٰذا من لباسك ولا لباس آبائك ، فحسر عن ردن جبته ، فإذا تحتها جبة صوف غليظ بيضاء ، تقصر عن الذيل والردن ، فقال : لبسنا هـٰذا لله عز وجل ، وهـٰذا لكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه . أو كما قال(١) .

---

(١) جاء في نسخة : (وعن علي بن يوسف المدائني قال : سمعت سفيان الثوري رحمه الله يقول : دخلت علىٰ أبي عبد الله جعفر بن محمد رحمهما الله ، فقلت : يابن رسول الله ؛ أوصني ، فقال : يا سفيان ؛ لا مروءة لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا خلة لبخيل ، ولا إخاء لملول ، ولا سؤدد لسيء الخلق .

قلت : يابن رسول الله ؛ زدني ، فقال : يا سفيان ؛ كف عن محارم الله عز وجل ، وامتثل أوامر الله . . تكن عابداً ، وارض بما قسم الله عز وجل لك . . تكن مسلماً ، واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك . . تكن مؤمناً ، ولا تصحب الفاجر . . فيعلِّمك من فجوره ، وشاور في أمرك الذين يحبون الله عز وجل .

قلت : يابن رسول الله ؛ زدني ، فقال : من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان . . فليخرج من ذل المعصية إلىٰ طاعة الله عز وجل .

قلت : يابن رسول الله ؛ زدني ، فقال : يا سفيان ؛ أدَّبني أبي بثلاث وأتبعني بثلاث ، قلت : يابن رسول الله ؛ ما الثلاث التي أدبك بهن أبوك ؟ فقال : قال لي أبي : من يصحب صاحب السوء . . لا يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء . . يتهم ، ومن لا يملك لسانه . . يندم ، ثم أنشدني :

عـوِّد لسـانـك فعـل الخيـر تَحـظ بـه ... إن اللسـان لمـا عـوَّدْتَ معتـادُ =

وعن جعفر بن محمد قال : أوحى الله تبارك وتعالىٰ إلى الدنيا : أن اخدمي من خدمني ؛ وأتعبي من خدمك .

وكان يطعم المساكين حتىٰ لا يبقىٰ لعياله شيء .

وسئل : ما الحكمة في تحريم الربا ؟ فقال : لئلا يتمانع الناس المعروف والفضل .

وقال : يُطبع المرء علىٰ كل شيء ، ليس الخيانة والكذب . أو كما قال .

وقال : الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء بباب السلاطين . . فاتهموهم .

ومن دعائه : اللهم ؛ أعزني بطاعتك ، ولا تذلني بمعصيتك .

اللهم ؛ ارزقني مواساة من قترت عليه رزقك بما وسعت علي من فضلك .

وكان يقول : لا زاد كالتقوىٰ .

وقال نصر بن كثير : دخلت أنا وسفيان الثوري علىٰ جعفرٍ الصادق ، فقلت : إني أريد البيت الحرام ، فعلمني شيئاً أدعو به ، فقال : إذا بلغت الحرم . . فضع يدك على الحائط ، وقل : يا سابق الفوت[1] ، ويا سامع الصوت ، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت ، ثم ادع بما شئت .

وقال : إذا بلغك عن أخيك أنه قال فيك ما تكره . . فلا تغتم لذلك ؛ فإنه : إن كان حقاً . . كانت عقوبة عُجِّلت ، وإن كان غير ذلك . . فحسنة لم تعملها .

وقال : روي عن موسىٰ عليه الصلاة والسلام أنه قال : يا رب ؛ أسألك ألاَّ يذكرني أحد . . إلا بخير ، فقال الله عز وجل : يا موسىٰ ؛ ما فعلت ذلك لنفسي .

وقال : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره .

أسند عن جماعة ، منهم : أبوه ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وعبد الرحمـٰن بن القاسم ، وغيرهم .

= مـوكَّـل يتقـاضـىٰ مـا سَنَنْـتَ لـه ... في الخير والشر فانظر كيف ترتادُ

قال سفيان : ثم قلت : ما الثلاث الأخر ؟ فقال : قال أبي : إنما يُتَّقىٰ حاسدُ نعمة ، أو شامت بمعصية ، أو حامل نميمة) .

(١) الفَوت : السبق ، من قولهم : فاتني فلان بكذا ؛ أي : سبقني به .

وروىٰ عنه جماعات من التابعين ، منهم : يحيى بن سعيد الأنصاري ، وأيوب السختياني ، وأبان بن تغلب ، وأبو عمرو بن العلاء ، ويزيد بن عبد الله بن الهاد .

وحدث عنه من الأئمة الأعلام جماعة ، منهم : مالك بن أنس ، وشعبة بن الحجاج ، وسفيان الثوري ، وابن جريج ، وعبيد[1] الله بن عمرو ، وروح بن القاسم ، وسفيان بن عيينة ، وسليمان بن بلال ، وإسماعيل بن جعفر ، في آخرين .

وأخرج عنه مسلم في « صحيحه » محتجّاً بحديثه ، رضي الله عنهم أجمعين .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : لما طعن عمر رضي الله عنه . . بعث إلىٰ حلقة من أهل بدر كانوا يجلسون بين القبر والمنبر ، فقال : يقول لكم عمر : أنشدكم بالله أكان هٰذا عن رضىً منكم ؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : لا ، ووددنا أنَّا زدنا في عمره من أعمارنا . غريب من حديث أيوب وجعفر ، وأيوب تابعي من البصرة . انتهىٰ [« الحلية » ٣/١٩٣ـ١٩٩] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال ابن أبي حازم : كنت عند جعفر إذ جاء آذنه ، فقال : سفيان الثوري بالباب ، فقال : ائذن له ، فدخل ، فقال جعفر : يا سفيان ؛ إنك رجل يطلبك السلطان ، وأنا أتقي السلطان ، اخرج عني عن غير إيثار لذلك ، فقال سفيان : حدِّثني حتىٰ أسمع وأقوم ، فقال : حدَّثني أبي عن جدي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أنعم الله عليه نعمة . . فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق . . فليستغفر الله ، ومن حزبه أمر . . فليقل : لا حول ولا قوة إلا بالله »[2] .

وقال أرباب السير : وقع الذباب علىٰ وجه المنصور ، فذبه حتىٰ أعجزه وأضجره ، فدخل جعفر ، فقال له : **يا أبا عبد الله ؛ ما الحكمة في خلق الذباب ؟ قال : ليذل به الجبابرة .**

وكان رجل من أهل السواد يؤم جعفراً ، فغاب عنه ، فسأل عنه ، فقال له رجل : إنه نبطي ، يريد أن يضع منه عنده ، فقال جعفر : أَصْلُ الرجل عقله ، وحسبه دِينه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم مستوون .

وحج المنصور سنة سبع وأربعين ومئة ، فقدم المدينة ، فقال : عَلَيَّ بجعفر بن محمد

---

(١) في نسخة : (عبد) . وفي « الحلية » : (عبد الله بن عمر) .

(٢) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » (١/ ٤٤١) .

متعباً ، قتلني الله إن لم أقتله ، فتغافل عنه الربيع لينساه ، ثم أعاد ذِكره ، فتغافل عنه ، فأعاد ذِكره ثالثاً برسالة قبيحة للربيع ، فلما جيء به . . قال له الربيع : العذر إليك قد شدد في طلبك ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما دخل عليه . . قال : يا عدو الله ؛ اتخذك أهل العراق إماماً يحملون إليك زكاة أموالهم ، وتلحد في سلطاني وبيعتي[1] ، قتلني الله إن لم أقتلك ، فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ إن سليمان عليه الصلاة والسلام أعطي فشكر ، وإن أيوب عليه الصلاة والسلام ابتلي فصبر ، وإن يوسف عليه الصلاة والسلام ظُلِم فغَفر ، وأنت من ذلك العنصر ، فقال له المنصور : إليَّ وعندي ، أبو عبد الله البريء الساحة ، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جزىٰ ذوي الأرحام عن أرحامهم ، ثم تناول يده ، وأجلسه معه علىٰ فراشه ، فطيبه بيده ، حتىٰ جعل لحيته قاطرة طيباً ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ، وقال : انصرف في حفظ الله تعالىٰ وكنفه ، فانصرف ، فقال له الربيع : إني رأيت عجباً ، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت ؟ قال : قلت :

اللهم ؛ احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك الذي لا يرام ، واحفظني بقدرتك علي ، لا أهلك وأنت رجائي .

اللهم ؛ إنك أعظم وأجل مما أخاف وأحذر .

اللهم ؛ بك أدفع في نحره ، وبك أستعيذ من شره . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٩٩-١٠١] .

وزاد في رواية أخرىٰ[2] :

اللهم ؛ احرسني بعينك التي لا تنام ، واكفني بركنك الذي لا يرام ، واحفظني بقدرتك عليَّ ؛ حتىٰ لا أهلك وأنت رجائي ، رب ؛ كم من نعمة أنعمت بها عليَّ . . قَلَّ لك عندها شكري ، وكم من بليَّة ابتليتني بها . . قَلَّ لك عندها صبري ، فيا من قَلَّ عند نعمته شكري . . فلم يحرمني ، ويا من قَلَّ عند بليته صبري . . فلم يخذلني ، ويا من رآني على المعاصي . . فلم يفضحني ، يا دائم المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصىٰ عدداً ، يا ذا النعماء التي لا تحصىٰ عدداً ؛ أسألك أن تصلي علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد .

اللهم ؛ بك أدرأ في نحور أعدائي والجبارين .

---

(١) في نسخة : (تبغي) . وفي « الصفوة » : (وتبغيه الغوائل) .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (٦/ ٢٦٦) .

اللهم ؛ أعني علىٰ دِيني بدنياي ، وعلىٰ آخرتي بتقواي ، واحفظني حيثما كنت ، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين ، ولا أقل من ذلك ولا أكثر .

يا من هو بكل شيء عليم ؛ أسألك صحة في تقوىٰ ، وطول عمر في حسن عمل ، ورزقاً واسعاً لا تعذبني عليه يا أرحم الراحمين . أو كما قال ، رضي الله عنه وأرضاه .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

علي بن عبد الله بن العباس
رضي الله عنهم

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : كان علي بن عبد الله يسجد كل يوم ألف سجدة ، يريد خمس مئة ركعة .

وكان إذا قدم مكة حاجّاً أو معتمراً . . عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام ، وهجرت مواضع حلقها ، ولزمت مجلس علي بن عبد الله ؛ إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً ، فإن قعد . . قعدوا ، وإن نهض . . نهضوا ، وإن مشىٰ . . مشوا جميعاً حوله ، وكان لا يُرَىٰ لقرشي في المسجد الحرام مجلس يجتمع إليه فيه حتىٰ يخرج عليّ بن عبد الله من الحرم .

زاد في رواية « مختصر الوفيات » : إنه كان إذا طاف . . كأنما الناس حوله مشاة وهو راكب من طوله ، مفرطاً في الطول ، وكان مع هـٰذا الطول يكون إلىٰ منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلىٰ منكب أبيه العباس ، وكان العباس إلىٰ منكب أبيه عبد المطلب(1) [انتهىٰ « الحلية » ٣/٢٠٧] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : وكان يكنَّىٰ : أبا الحسن ، فلما قدم علىٰ عبد الملك . . قال له : غيِّر اسمك وكنيتك ، فلا صبر لي على اسمك وكنيتك ، قال : أما الاسم . . فلا ، وأما الكنية . . فأُكَنَّىٰ بأبي محمد ، فغيَّر كنيته .

أسند عامة حديثه عن أبيه .

وحدث عنه من التابعين : الزهري ، وسعد بن إبراهيم ، ومنصور بن المعتمر ، وعبد الله ابن أبي بكر ، والمنهال بن عمرو ، وأولاده أيضاً : محمد ، وداوود ، وعيسىٰ ، وسليمان ، وصالح .

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٧٧) .

ومن أحاديثه عن أبيه قال : بعثني العباس إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته ممسياً ، وهو في بيت خالتي ميمونة ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ، فلما صلى الركعتين قبل الفجر . . قال : « اللهم ؛ إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ، وتجمع بها شملي ، وترد بها ألفتي ، وتصلح بها دِيني ، وتحفظ بها غائبي ، وترفع بها شاهدي ، وتزكي بها عملي ، وتبيض بها وجهي ، وتلهمني بها رشدي ، وتعصمني بها من كل سوء .

اللهم ؛ إني أسألك إيماناً صادقاً ، ويقيناً ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة .

اللهم ؛ إني أسألك الفوز عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، [ومرافقة الأنبياء] ، والنصر على الأعداء .

اللهم ؛ إني أنزلت بك حاجتي .

اللهم ؛ ما قصر عنه رأيي ، وضعف عنه عملي ، ولم تبلغه نيتي ، ولم تنله مسألتي ، من خير وعدته أحداً من خلقك ، وخير أنت تعطيه أحداً من عبادك . . فإني أرغب إليك فيه ، وأسألك أن ترزقنيه يا رب العالمين .

اللهم ؛ اجعلنا هادين مهديين ، غير ضالِّين ولا مضلِّين ، سِلماً لأوليائك ، وحرباً لأعدائك ، نحبُّ لحبِّك ، ونعادي لعداوتك من خالفك من خلقك .

اللهم ؛ هـٰذا الدعاء وعليك الإجابة ، اللهم ؛ هـٰذا الجُهد وعليك التُّكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي العز والبهاء ، سبحان ذي القدرة والبقاء ، سبحان الذي أحصىٰ كل شيء علمه .

اللهم ؛ اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، ومن خلفي نوراً ، وقدامي نوراً يا أرحم الراحمين ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام »(١) ، أو كما قال .
انتهىٰ [« الحلية » ٣/٢٠٧ـ٢١٠] .

---

(١) أخرجه بنحوه ابن خزيمة (٢/١٦٦) .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : ولد في رمضان ، سنة أربعين ، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض ، وأكثرهم صلاة ، وكان يقال له : السَّجَّاد .

توفي بالشام ، سنة سبع عشرة ومئة ، رضي الله عنه وأرضاه[1] . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٦٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) وهو جدُّ الخلفاء ، وقد خاف هشام بن عبد الملك منه ومن أولاده فأسكنهم بالحُميمة ـ بلد في أطراف الشام ـ فمن أولاد أولاده : السفاح والمنصور .

ومنهم الإمام أمير المؤمنين :

عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال أسلم : بينا أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعس بالمدينة ، فلما أعيىٰ . . اتكأ علىٰ جدار في جوف الليل ؛ فإذا امرأة تقول لابنتها : قومي إلىٰ ذلك اللبن فامذقيه بالماء ، فقالت : يا أماه ؛ أوما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين عمر اليوم ؟ قالت : وما كان من عزمته يا بنية ؟ قالت : إنه أمر منادياً ، فنادىٰ : لا يُشابُ لبنٌ بماء ، فقالت لها : يا بنية ؛ قومي إلى اللَّبن فامذقيه بالماء ؛ فإنك بموضع لا يراكِ عمر ، ولا منادي عمر ، فقالت الجارية لأمّها : **يا أمّاه ؛ ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا** ، وعمر رضي الله عنه يسمع ذلك جميعه ، فقال : يا أسلم . . أَعْلِمِ الباب ، واعرف الموضع ، ثم مضىٰ في عسسه ، فلما أصبح . . قال : يا أسلم ؛ امض إلى الموضع ، فانظر من القائلة ومن المقول لها ، وهل لهما من بعل ؟ قال : فأتيت الموضع ، فنظرت ، فإذا الجارية أيم لا بعل لها ، وإذا القائلة لها أمها ، وإذا ليس لهما رجل ، فأتيت عمر ، فأعلمته ، فدعا عمر ولده ، فجمعهم ، ثم قال : أفيكم من يحتاج إلى امرأة أو زوجة ؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء . . ما سبقه منكم أحد إلىٰ هـٰذه الجارية ، فقال عبد الله : لي زوجة ، وقال عبيد الله : لي زوجة ، وقال عاصم : يا أبت ؛ لا زوجة لي ، فزوجني ، فبعث إلى الجارية ، فزوجها من عاصم ، فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت بنتاً[1] ، وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز . انتهىٰ [« سيرة عمر بن عبد العزيز » ١٢ـ١٣] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز

---

(١) كذا جاء في النسخ وفي « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزي .
ثم علّق ابن الجوزي علىٰ هـٰذا الخبر قائلاً : هـٰكذا وقع في رواية الآجري ، فلا أدري ممن الغلط وإنما الصواب : فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز ، كذلك نسبه العلماء عن محمد بن سعد وغيره . انتهىٰ .

فقال : أما علمت أن لكل قوم نجيباً ، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز ، وأنه يبعث يوم القيامة أمَّة وحده .

وعن نافع قال : كنت أسمع من عمر كثيراً يقول : ليت شعري ، من هـٰذا الذي من ولد عمر ، في وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلاً ؟!

وعن رياح بن عبيدة قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكىء علىٰ يده ، فقلت في نفسي : إنَّ هـٰذا الشيخ جافٍ ، فلما صلىٰ ودخل . . لحقته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، مَن الشيخ الذي كان متوكئاً علىٰ يدك ؟ قال : يا رياح ؛ أرأيته ؟ قلت : نعم ، قال : ما أحسبك ـ يا رياح ـ إلا رجلاً صالحاً ، ذاك أخي الخضر ، أتاني فأعلمني أني سَأَلي أمر هـٰذه الأمة ، وأنِّي سأعدل فيها[1] .

ومرَّ شخص في خلافته براعٍ ، وفي غنمه ثلاثون ذئباً ، فحسبها كلاباً ؛ لأنه لم ير الذئاب قبل ذلك ، فقال : يا راعي ؛ ما تصنع بهـٰذه الكلاب كلها ؟ فقال : إنها ليست كلاباً ، إنما هي ذئاب ، فقال : سبحان الله! ذئب وغنم لا يضرها ، فقال : يا بني ؛ إذا صلح الرأس . . فليس على الجسد بأس ، وكانت رعاء الشاء تقول عند ولايته : مَن هـٰذا العبد الصالح الذي قام على الناس ؟ فيقال لهم : وما علمكم بذلك ؟ قالوا : إنه إذا قام على الناس خليفة عدل . . كفت الذئاب عن شائنا .

وكانت الشياه والذئب ترعىٰ في مكان واحد ، فبينا نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة ، فقالوا : ما نرى الرجل الصالح إلا هلك ، وكان ذلك في كرمان[2] ، فلما بلغهم خبر موته بعد شهر أو نحوه . . حسبوا ، فوجدوه قد هلك في تلك الليلة .

وعن أبي الأعيسر قال : كنت في صحن بيت المقدس مع خالد بن يزيد بن معاوية ؛ إذ أقبل فتىٰ شاب ، فسلم علىٰ خالد ، فأقبل عليه خالد ، فقال الفتىٰ لخالد : هل علينا من عين ؟ قال : فبدرت أنا ، فقلت : نعم ، عليكما من الله عز وجل عين سميعة بصيرة ، قال : فاغرورقت عينا الفتىٰ ، ونزع يده من خالد ، ثم ولىٰ ، فقلت لخالد : مَن هـٰذا ؟ قال : هـٰذا

---

(١) قال ابن حجر في « الإصابة » (١/ ٤٤٦) ـ بعد أن ساق الكثير من الأدلة لمن قال بموت الخضر عليه السلام ، ولمن قال بحياته ـ : هـٰذا أصلح إسناد وقفت عليه في هـٰذا الباب .
وسيجد القارىء أخباراً كثيرة عن الخضر عليه السلام في هـٰذا الكتاب .

(٢) كرمان : ولاية مشهورة ، وناحية كبيرة معمورة ، ذات بلاد وقرىٰ ومدن واسعة تقع الآن في (إيران) بين قم وأصفهان .

عمر بن عبد العزيز ، ولئن طال بك وبه حياة . . لترينه إمام هدىٰ .

وقال مالك بن دينار : الناس يقولون عني : إني زاهد ، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ؛ أتته الدنيا ، فتركها .

ولقد كان يطوف بالبيت وحجزة إزاره غائبة في عكنه[1] ، فلما استخلف . . لو شاء شخص أن يعد أضلاعه من غير أن يمسها . . لفعل .

وكانت غلته حين ولي الخلافة أربعون ألف دينار ـ أو خمسون ألف دينار ـ وكانت يوم موته مئتي دينار ـ أو أربع مئة دينار ـ ولو بقي . . لنقصت ؛ لأنه مازال يردها .

ودخل مسلمة بن عبد الملك علىٰ عمر بن عبد العزيز يعوده في مرضه ؛ فإذا عليه قميص وسخ مخرَّق الجيب ، فقال مسلمة لأخته فاطمة ـ امرأة عمر بن عبد العزيز ـ : لو أبدلتم هـٰذا القميص ؛ فإن الناس يدخلون عليه ، فسكتت ، قال : ثم أعدتُ القول عليها مراراً ، حتىٰ أغلظتُ ، فقالت : والله ؛ ما له قميص غيره .

وفي رواية : قال عمر : دعها يا مسلمة ، فما أصبح ولا أمسىٰ لأمير المؤمنين ثوبٌ غير الذي عليه .

وقال لبنيه : لا تتهموا الخازن ؛ فإني لا أدع إلا أحداً وعشرين ديناراً ، فيها لأهل الدير أجرة مساكنهم ، وثمن حقل أعددته لموضع قبري .

وأرسل إلىٰ أهل الدير فقال : إن بعتموني موضع قبري ، وإلا . . تحولت عنكم ، فأخبرهم رسوله بذلك ، فقالوا : لولا أنا نكره أن يتحول عنا . . ما قبلناه .

ودخل عمر على امرأته يوماً فقال : يا فاطمة ؛ أعندك درهم أشتري به عنباً ؟ قالت : لا ، قال : أفعندك فلوس ؟ قالت : لا ، فأقبلت عليه ، فقالت : أنت أمير المؤمنين لا تقدر علىٰ درهم ولا فلوس تشتري بها عنباً ، فقال : هـٰذا أهون علينا من معالجة الأغلال غداً في جهنم .

وإنه من حين ولي الخلافة ما اغتسل من جنابة ولا احتلام منذ استخلفه الله عز وجل .

ولما أفضت إليه الخلافة . . سمعوا في منزله بكاء عالياً ، فسألوا عن البكاء ، فقالوا : إن عمر خيَّر جوارِيَه ، فقال : قد نزل بي أمر قد شغلني عنكن ، فمن أحبت أن أعتقها ، ومن

---

(١) **الحجزة** : الموضع الذي فيه تكة السراويل ، **العُكن** : ما تكسَّر من البطن ، وهـٰذا كناية عن شدة سِمَنه .

أحبت أن أمسكها علىٰ ألاَّ يكون مني إليها شيء ؟ فبكين إياساً منه ، وخيَّر امرأته بين أن تقيم في منزلها ـ وأعلمها أنه قد شُغل عن النساء بما في عنقه ـ وبين أن تلحق بمنزل أبيها ، فبكت ، وبكى الجواري لبكائها .

وكانت فاطمة امرأته تقول : قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر ، ولـٰكن لم أر أحداً من الناس كان أشد فرقاً من الله عز وجل من عمر ، كان إذا دخل البيت . . ألقىٰ نفسه في مسجده ، فلايزال يبكي ويدعو حتىٰ تغلبه عيناه ، ثم يستيقظ ، فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع .

وكان له غلام يعمل علىٰ بغل له ، يأتيه كل يوم بدرهم ، فجاء يوماً بدرهم ونصف ، فقال : كيف هـٰذا ؟ قال : نفقت السوق ، قال : لا ، ولـٰكنك أتعبت البغل ، أَجِمَّهُ[1] ثلاثة أيام .

وكان لامرأته جارية بعثتها إليه وقالت : إني كنت أعلم أنها تعجبك ، وقد وهبتها لك ، فتناولْ منها حاجتك ، فقال لها عمر : اجلسي يا جارية ، فوالله ؛ ما شيء من الدنيا كان أعجب إليَّ أن أناله منكِ ، فأخبريني بقصتك وما كان من سبيك ، قالت : كنت جارية من البربر ، جنىٰ أبي جناية ، فهرب من موسى بن نصير ـ عامل عبد الملك علىٰ إفريقية ـ فأخذني موسى بن نصير ، فبعث بي إلىٰ عبد الملك ، فوهبني عبد الملك لفاطمة ، فأرسلت بي إليك ، فقال : كدنا والله أن نفتضح ، فجهزها وأرسل بها إلىٰ أهلها .

وصلَّىٰ بهم يوم الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله تعالىٰ قد أعطاك ، فلو لبست ، فنكس ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : أَفضلُ القصد . . عند الجِدَة ، وأفضل العفو . . عند القدرة .

ومرت ابنة لعمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ، اسمها أمينة ـ فدعاها عمر . . فلم تجبه ، فأمر غلاماً له جاء بها ، فقال لها : ما منعك أن تجيبيني ؟ قالت : إني عريانة ، فقال : يا مزاحم ؛ انظر إلىٰ تلك الفرش التي فتقناها ، فاقطع لها قميصاً ، فقطع لها منها قميصاً ، فذهب الخبر إلىٰ أم البنين عمتها ، فقيل لها : بنت أخيك عريانة ، وأنت عندك ما عندك ، فأرسلت إليها بتخت من ثياب ، وقالت : لا تطلبي من عمر شيئاً .

وشيع عمر بن عبد العزيز جنازة ، فلما انصرفوا . . تأخر عمر وأصحابه ناحية عن

---

(١) من الإجمام ، وهو : أن تترك الفرس يومين أو ثلاثة دون أن تركب عليه ، وفي « الحلية » : (أرحه) .

الجنازة ، فقال له أصحابه : يا أمير المؤمنين ؛ جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها ؟! قال : نعم ؛ ناداني القبر من خلفي : يا عمر بن عبد العزيز ؛ ألا تسألني ما صنعت بالأحبة ؟ قلت : بلىٰ ، قال : خَرَّقْتُ الأكفان ، ومزقت الأبدان ، ومصصت الدم ، وأكلت اللحم ، ألا تسألني ما صنعت بالأوصال ؟ قلت : بلىٰ ، قال : نزعت الكفين من الذراعين ، والذراعين من العضدين ، والعضدين من الكتفين ، والوركين من الفخذين ، والفخذين من الركبتين ، والركبتين من الساقين ، والساقين من القدمين .

ثم بكىٰ عمر وقال : ألا إن الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابُّها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، والمغرور من اغتر بها ، أين سكانها الذين بنوا مدائنها ، وشققوا أنهارها ، وغرسوا أشجارها ؟! أقاموا فيها أياماً يسيرة ، غرتهم بصحتهم ، وغُرُّوا بنشاطهم ، فركبوا المعاصي ، إنهم كانوا في الدنيا ـ والله ـ مغبوطين بالأموال علىٰ كثرة المنع عليه محسودين علىٰ جمعه .

ما صنع التراب بأبدانهم ، والرّمل بأجسادهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم ؟ كانوا في الدنيا علىٰ أَسِرَّة ممهَّدة ، وفرش منضَّدة ، بين خدم يخدمون ، وأهل يكرمون ، وجيران يعضدون ، فإذا مررت بهم . . فنادِهِم إن كنت منادياً ، وادعهم إن كنت لابد داعياً ، ومُرَّ بعسكرهم ، وانظر إلىٰ تفاوت منازلهم ، وكم بين منعم ومعذب ، وسل قصرهم ما بقي من قصرهم[١] ، وسلهم عن اللسان الذي كانوا يتكلمون به ، وعن الأعين التي كانوا ينظرون بها إلى اللذات .

وسلهم عن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما صنع بها الديدان ، قد محت الألوان ، وأكلت اللحمان ، وعفرت الوجوه ، ومحت المحاسن ، وكسرت الفقار ، وأبانت الأعضاء . أين قيانهم ؟ وأين خدمهم ، وعبيدهم ، وجمعهم ، ومكنوزهم ؟

والله ؛ ما زوَّدوهم لهم فراشاً ، ولا وضعوا لهم هناك متكأً ، ولا غرسوا لهم شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحد قراراً ، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات ؟! أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟! أليس هم في مدلهمة ظلماء ، قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة ؟!

(١) في نسخة : (وسل فقيرهم ما بقي من فقرهم) ، وفي « الحلية » : (وسل غنيهم ما بقي من غناه ، وسل فقيرهم ما بقي من فقره) .

فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية ، وأجسادهم من أعناقهم بائنة ، وأوصالهم متمزقة ، قد سالت الحدق على الوجنات ، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ودبت دواب الأرض في أجسادهم ، ثم لم يلبثوا ـ والله ـ إلا يسيراً حتىٰ عادت العظام رميماً ، قد فارقوا الحدائق ، وصاروا بعد السعة إلى المضائق ، قد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق أبناؤهم ، وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم ، فمنهم ـ والله ـ الموسَّع له في قبره الغض الناظر فيه المتنعم بلذته .

يا ساكن القبر غداً ؛ ما الذي غرك من الدنيا ؟ هل تعلم أنك تبقىٰ ، أو تبقىٰ لك ؟

أين دارك الفيحاء ، ونهرك المطرد ؟ وأين ثمرتك الخضِرة[1] ؟ وأين ثيابك الفاخرة ؟ وأين طيبك وبخورك ؟ أين كسوتك لصيفك وشتائك ؟

أما رأيته وقد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه شيئاً وهو يرشح عرقاً ، ويتلمظ عطشاً[2] ، يتقلب في سكرات الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، جاء من العظائم ما لا يمتنع منه ، هيهات هيهات! يا مغمِّضَ الولد والأخ وغاسله ، يا مكفن الميت وحامله ، يا مخلِّيَهُ في القبر وراجع عنه ، ليت شعري كيف كنت علىٰ خشونة الثرىٰ ؟ يا ليت شعري بأي خديك بدأ البِلىٰ ؟

يا مجاور الهلكات ؛ صرت في محلة الموتىٰ ، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا ؟ وما يأتيني به من رسالة ربي ؟

ثم انصرف ، فما بقي بعد ذلك إلا يسيراً ، ثم مات ، رحمه الله .

ومر عمر بن عبد العزيز علىٰ بعض جنائز بني مروان ، فلما صلىٰ عليها وفرغ . . قال لأصحابه : توقفوا ، فوقفوا ، فضرب بطن فرسه حتىٰ أمعن في القبور وتوارىٰ عنهم ، فاستبطأه الناس ، فجاء وقد احمرت عيناه ، وانتفخت أوداجه ، قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ أبطأتَ علينا ، قال : أتيت قبور الأحبة ، قبور بني آبائي ، فسلمت عليهم ، فلم يردُّوا عليَّ السلام ، فلما ذهبت . . ناداني التراب : ألا تسألني ـ يا عمر ـ ما لَقِيَتِ الأحبّة ؟ قال : قلت : وما لقيت الأحبة ؟ قال : خرقت الأكفان ، وأكلت الأبدان ، ونزعت المقلتين . . . فذكر نحوه .

---

(١) في « الحلية » : (ثمرك الناضر ينعه) .

(٢) التلمُّظ المراد هنا : أنه يحرك لسانه في فمه من شدة العطش .

زاد فيه : يا عمر ؛ وعليك بكفن لا يبلىٰ ، قال : قلت : وما كفن لا يبلىٰ ؟ قال : اتقاء الله ، والعمل الصالح لله عز وجل .

وقال عمر : لقد نغص هـٰذا الموت علىٰ أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها ، فبينما هم كذلك ؛ إذ أتاهم حاد من الموت ، فاخترمهم مما هُم فيه ، فالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء ، فمقدم لنفسه خيراً يجده بعد الموت ، ثم بكىٰ حتىٰ غلب عليه البكاء .

ودخل عنبسة بن سعيد علىٰ عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتنا إياها ، ولي عيال وضيعة ، أفتأذن لي أن أخرج إلىٰ ضيعتي وما يصلح عيالي ؟ فقال عمر : أحبكم إلينا . . من كفانا مؤونته ، فخرج ، فلما صار عند الباب . . قال عمر : أبا خالد ، فرجع ، فقال : أكثِر من ذكر الموت ، فإن كنت في ضيق من العيش . . وسعه عليك ، وإن كنت في سعة من العيش . . ضيقه عليك .

وقال عمر : إنما أنتم أغراض تنتضل[1] فيها المنايا ، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرىٰ ، أصلحوا سرائركم . . تصلح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم . . تكفوا دنياكم ، واعلموا : أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أب حي لمُعْرَقٌ[2] له في الموت ، واعلموا : أنَّا قوم من أهل الآخرة ، أُسكِنَّا الدنيا ، أموات ، أبناء أموات ، والعجب لميت يكتب إلىٰ ميت يعزيه عن ميت . والسلام .

وآخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أنه لما صعد المنبر . . حمد الله تعالىٰ ، وأثنىٰ عليه ، ثم صلىٰ علىٰ رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أما بعد : فإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين ، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون ، ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالىٰ وتضعونه في صدع من الأرض ؟! ثم إن بطن الصدع غير ممهد ولا موسَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وأسكن التراب ، وواجه الحساب ، فقير إلىٰ ما قدم أمامه ، غني عما ترك بعده ، أما والله ؛ إني لأقول لكم هـٰذا ، وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي .

---

(١) الغرض : الهدف الذي يرمىٰ بالسهام ، تنتضل : تتبارىٰ في الرمي .
(٢) أعرق : صار له عروق ، واستأصل ، ومنه رجلٌ عريق ؛ أي : صار له عروق في الكرم .

قال : ثم قال بطرف ثوبه علىٰ عينيه هٰكذا ، وبكىٰ ، ثم نزل ، فما خرج حتىٰ أخرج إلىٰ حفرته .

وفي رواية : أنه قال : أيها الناس ؛ إن الله تعالىٰ خلق خلقه ، ثم أرقدهم حتىٰ يبعثهم من رقدتهم ، فإما إلىٰ جنة ، وإما إلىٰ نار ، والله ؛ إن كنا مصدقين بهٰذا . . إنا لحمقىٰ ، وإن كنا مكذبين بهٰذا . . إنا لهلكىٰ .

ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز . . جعل عمر يثني عليه ، فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ؛ لو بقي كنتَ تعهد إليه ؟ قال : لا ، قال : ولمَ أنت تثني عليه ؟ قال : أخاف أن يكون زُيِّن في عيني منه ما زُيِّن في عين الوالد من ولده .

وعن وهيب بن الورد قال : اجتمع بنو مروان علىٰ باب عمر بن عبد العزيز ، وجاء عبد الملك ابنه ليدخل ، فقالوا له : إما أن تستأذن لنا ، وإما أن تُبَلِّغ أمير المؤمنين عنا الرسالة ، قال : قولوا ، قالوا : إن من كان قبله من الخلفاء يعرفون لنا موضعنا ، ويعطونا ، وإن أباك قد حرمنا ما في يديه ، قال : فدخل عليه ابنه ، فأخبره عنهم ، فقال : قل لهم : إن أبي يقول لكم : ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال رجل لعمر : أوصني ، قال : أوصيك بتقوى الله عز وجل وإيثاره . . تخفَّ عليك المؤونة ، وتحسُنْ لك من الله المعونة .

وفي رواية أخرىٰ عنه : أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها ؛ فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل .

وبكىٰ يوماً عمر بن عبد العزيز ، فبكت فاطمة ، فبكىٰ أهل الدار ، لا يدري هٰؤلاء ما أبكىٰ هٰؤلاء ، فلما تجلىٰ عنهم العبرُ[1] . . قالت فاطمة : بأبي أنت يا أمير المؤمنين! ممَّ بكيت ؟ قال : ذكرت ـ يا فاطمة ـ منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل ، فريق إلى الجنة ، وفريق إلى السعير ، ثم صرخ وغشي عليه . انتهىٰ [« الحلية » ٥/ ٢٥٤ـ٢٦٩] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : روي أن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كان يرسل البُرُدَ[2] بالسلام إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

---

(١) العبرُ : البكاء بالحزن .

(٢) البُرُد : جمع بريد ، وهو : الرسول .

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه ، فكتب إليه :

أما بعد : فإن الهول الأعظم ، والأمور المفظعات أمامك ، ولا بد لك من مشاهدة ذلك ، إما بالنجاة ، وإما بالعطب .

واعلم : أن من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حَلِمَ غنم ، ومن خاف أمن ، [ومن أمن اعتبر] ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، فإذا زللت . . فارجع ، وإذا ندمت . . فأقلع ، وإذا جهلت . . فسل ، وإذا غضبت . . فأمسك .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلىٰ عدي بن أرطاة :

أما بعد : فإن الدنيا عدوة أولياء الله تعالىٰ ، وعدوة أعداء الله تعالىٰ ، أما أولياؤه . . فغمتهم ، وأما أعداؤه . . فغرتهم .

وكتب أيضاً إلىٰ بعض عماله :

أما بعد : فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد ، فإذا هممت بظلم أحد . . فاذكر قدرة الله عز وجل عليك .

واعلم : أن الله سبحانه وتعالىٰ يأخذ للمظلومين من الظالمين . والسلام . انتهىٰ [« الإحياء » ٤/٥٦] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : وعن ميمون بن مهران قال : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور . . بكىٰ ، ثم أقبل عليَّ ، فقال : يا أبا أيوب ؛ هٰذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أمَا تراهم صرعىٰ قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلاء ، وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلاً ؟! قال : ثم بكىٰ حتىٰ غشي عليه ، ثم أفاق ، فقال : انطلق بنا ، فوالله ؛ ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلىٰ هٰذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله سبحانه وتعالىٰ .

وأراد عمر بن عبد العزيز أن يستعمل رجلاً علىٰ عمل ، فأبىٰ ، فقال له عمر : عزمت عليك ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ؛ وأنا أعزم علىٰ نفسي ألاَّ أفعل ، فقال عمر : أتعصيني ؟ فقال الرجل : إن الله تعالىٰ قال : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ، أفمعصيةً كان ذلك منهن ؟ فأعفاه عمر رحمه الله .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عمر بن الوليد كتاباً فيه : وقسم أبوك لك الخمس كله ، وإنما سهم أبيك كسهم رجل من المسلمين ، وفيه حق الله عز وجل ، وحق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذي القربىٰ ، واليتامىٰ ، والمساكين ، وابن السبيل ، فما أكثر خصماء أبيك يوم القيامة ، وكيف ينجو مَن كثُر خصماؤه ؟ وإظهارك المعازف والمزامير بدعة في الإسلام ، ولقد هممت أن أبعث إليك من يجز جمتك جمة السوء .

ولما قطع عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصَّة ، وأمرهم بالانصراف إلىٰ منازلهم . . تكلَّم في ذلك عنبسة بن سعيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن لنا قرابة ، فقال : لن يتَّسع مالي لكم ، وأما هـٰذا المال . . فإنما حقكم فيه كحق رجل بأقصىٰ برك الغماد[1] لا يمنعه من أخذه . . إلا بُعد مكانه ، والله ؛ إني لأرىٰ أن الأمور لو استحالت حتىٰ يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم . . لنزلت بهم بائقة من عذاب الله عز وجل ، أو لفُعِل بهم .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يجلس إلىٰ قاص العامة بعد الصلاة ، ويرفع يديه إذا رفع .

ودخلت بنت أسامة بن زيد علىٰ عمر بن عبد العزيز ومعها مولاة لها تمسك بيدها ، فقام لها عمر ، ومشىٰ إليها حتىٰ جعل يديها في يده ، ويداه في ثيابه ، ومشىٰ بها حتىٰ أجلسها في مجلسه ، وجلس بين يديها ، وما ترك لها حاجة إلا قضاها .

وولَّىٰ عمر بن عبد العزيز الموصل رجلاً ، فلما قدمها العامل . . وجدها من أكثر البلاد سَرَقاً ونقباً[2] ، فكتب إلىٰ أمير المؤمنين يعلمه بذلك ، ويسأله : هل يأخذ الناس بالظنة ، ويضربهم على التهمة ؟ أو بالبيِّنة وما جرت عليه السُّنة ؟ فكتب إليه عمر أن يأخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السُّنة ، فإن لم يصلحهم الحق . . فلا أصلحهم الله عز وجل ، ففعل العامل ذلك ، قال : فما خرجت من الموصل حتىٰ كانت من أصلح البلاد ، وأقلها سرقاً ونقباً .

وحج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز ، فلما أشرف علىٰ عقبة عسفان . . نظر سليمان إلىٰ عسكره ، فأعجبه ما رأىٰ من حجره وأبنيته ، فقال : كيف ترىٰ ما هـٰهنا

(١) موضع في اليمن .
(٢) السَّرَقُ : بمعنى السرقة ، النقب : ثقب الجدار للسرقة دون دخول فيه ، وذلك لدرء حدِّ السرقة .

يا عمر ؟ قال : أرىٰ ـ يا أمير المؤمنين ـ دنيا يأكل بعضها بعضاً ، أنت المسؤول عنها ، والمأخوذ بما فيها .

وطار غراب من حجرة سليمان وهو ينعب ، وفي منقاره كسرة ، فقال سليمان : تُرىٰ ما يقول هـٰذا الغراب ؟ فقال عمر : أظنه يقول : انظر من أين دخلت هـٰذه الكسرة ، وانظر كيف خرجت ، فقال سليمان : إنك لتجيء بالعجب ، فقال عمر : إن شئت. . أخبرتك بأعجب من هـٰذا ، قال : أخبرني ، قال : أعجب من هـٰذا من عرف الله فعصاه ، وعرف الشيطان فأطاعه ، ورأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأنَّ إليها ، فقال سليمان : غشت[1] علينا ما نحن فيه ، وضرب دابته وسار ، فأقبل عمر حتىٰ نزل عن دابته ، فرأى الناس كل من سبَّق ثقله. . وجده ، فبكىٰ ، فقال سليمان : ما يبكيك ؟ قال : هـٰكذا يوم القيامة ، من قدَّم شيئاً. . قدم عليه ، ومن لم يقدِّم شيئاً. . قدم علىٰ غير شيء .

وعن إياس بن معاوية بن قرَّة قال : ما شبهت عمر بن عبد العزيز إلا برجل صناع حسن الصنعة ، ليس له أداة يعمل بها ، يعني : لا يجد من يعينه .

ومن وصيته لابنه عبد الملك : إني لأعظك بهـٰذا ، وإني لكثير الإسراف علىٰ نفسي ، ولو أن المرء لم يعظ أخاه حتىٰ يُحكِم أمر نفسه ويكمُل في الذي خلق له من عبادة ربه عز وجل. . لتواكل الناس الخير ، ولرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستُحلت المحارم ، وقلَّ الواعظون والساعون لله عز وجل بالنصيحة .

وقال مسلمة بن عبد الملك : دخلت علىٰ عمر بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه لا يدخل عليه أحد ، فجاءت جارية بطبق فيه تمر صيحاني[2] ، وكان يعجبه التمر ، فرفع بكفه منه ، فقال : يا مسلمة ؛ أترىٰ لو أن رجلاً أكل هـٰذا ثم شرب عليه الماء ـ فإن الماء على التمر طيب ـ أكان يجزيه إلى الليل ؟ قلت : لا أدري ، فرفع أكثر منه ، ثم قال : فهـٰذا ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين هـٰذا يكفيه ، حتىٰ ما يبالي ألاَّ يذوق طعاماً غيره ، قال : فعلام ندخل النار ؟ قال مسلمة : فما وقعت مني موعظة موقعها .

وقال رياح : كنت قاعداً عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر الحجاج ، فشتمتُه ، ووقعت فيه ، فقال عمر : مهلاً يا رياح ، إنه بلغني أن الرجل ليظلم ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتىٰ يستوفي حقه ، فيكون للظالم عليه الفضل .

---

(١) أفسدت .

(٢) الصيحاني : ضرب من تمر المدينة ، أسود ، صلب .

وكان يقول : أحسن الظن بصاحبك ما لم تتيقن ، وإذا سمعت كلمة من امرىء مسلم . . فلا تحملها علىٰ شيء من الشر ما وجدت لها محملاً من الخير .

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ؛ إن بيت المال لم يبق فيه إلا اليسير ، قال : فكتب عمر : أن أعط جميع ما فيه ، فإذا لم يبق فيه شيء . . فاكنسه . أو كما قال .

وجاء رجل مستقتل[1] إلىٰ سليمان بن عبد الملك ـ وكان عمر حاضراً ـ فسأله سليمان عن شيء ، فغضب ذلك الرجل من سليمان ، وقال له : يا فاسق ، يابن الفاسق ، فقال سليمان لعمر : ماذا ترىٰ عليه ؟ قال : أرىٰ أن تشتمه كما شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أباك ، فقال سليمان : ليس إلا ؟! ثم أمر بذلك الرجل فضربت عنقه ، وقام سليمان ، وخرج عمر ، فأدركه خالد بن الريان صاحب حرس سليمان ، فقال : يا أبا حفص ؛ تقول لأمير المؤمنين : ما أرىٰ عليه إلا أن تشتمه كما شتمك ، والله ؛ لقد كنت متوقعاً أن يأمرني بضرب عنقك ، فقال له عمر : ولو أمرك . . فعلت ؟ قال : أي والله ؛ ولو أمرني . . لفعلت ، فلما أفضت الخلافة إلىٰ عمر . . جاء خالد بن الريان ، فقام مقام صاحب الحرس ، وكان قبل ذلك علىٰ حرس الوليد وعبد الملك ، فنظر إليه عمر ، وقال : يا خالد ؛ ضع هـٰذا السيف عنك ، وقال : اللهم ؛ إني قد وضعت لك خالد بن الريان ، فلا ترفعه أبداً ، ثم نظر في وجوه الحرس ، فدعا عمرو بن مهاجر الأنصاري ، فقال : يا عمرو ؛ والله لتعلمن أنه ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام ، ولـٰكن قد سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألاَّ يراك أحد ، فرأيتك تحسن الصلاة ، وأنت رجل من الأنصار ، خذ هـٰذا السيف ، فقد وليتك حرسي . [انتهىٰ « الحلية » ٥/٢٦٩ـ٢٨٠] .

زاد في رواية الحافظ ابن عساكر ـ رحمه الله ـ : قال يحيى بن يحيىٰ : فما رأيت شريفاً خمل ذِكره حتىٰ لا يذكر مثل خالد بن الريان ، حتىٰ إن كان الناس ليقولون : ما فعل خالد ؟ أحي هو أو قد مات[2] ؟ لخمول ذِكره بدعوة عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ قدس الله روحه ـ :

وبينما عمر بن عبد العزيز يسير يوماً في سوق حمص . . قام إليه رجل عليه بردان

(١) المستقتل : الذي لا يبالي في الحرب بالموت ؛ لشجاعته .
(٢) في « تاريخ دمشق » (١٦/ ٢٩) .

قِطْرِيَّان[1] ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أمرت من كان مظلوماً أن يأتيك ؟ قال : نعم ، قال : فقد أتاك مظلوم بعيد الدار ، فقال له عمر : أين دارك ؟ قال : عدن ، فقال عمر : والله ؛ إنك لبعيد الدار ، ونزل عن دابته في موضعه ، وقال : ما ظلامتك ؟ قال : ضيعة لي ، وثب عليها واثب ، فانتزعها مني ، فكتب إلىٰ عروة بن محمد يأمره أن يسمع بينته ، فإن ثبت له حق . . دفعه إليه وختم كتابه ، فلما أراد الرجل القيام . . قال له عمر : علىٰ رسلك ، إنك قد أتيتنا من بلد بعيد ، فكم نفد لك زاد ، ونفقت لك راحلة ، وأُخلق لك ثوب ، فحُسِبَ ذلك ، فبلغ أحد عشر ديناراً ، فدفعها عمر إليه .

وجاء كتاب من بعض بني مروان إلىٰ عمر بن عبد العزيز فيه ما أغضبه ، فاستشاط غضباً ، ثم قال : إن لله عز وجل في بني مروان ذبحاً ، وايم الله ؛ لئن كان الذبح علىٰ يدي ، فلما بلغهم ذلك . . كفوا ، وكانوا يعلمون صرامته ، وأنه إن وقع في أمر . . مضىٰ فيه .

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه : ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هـٰذا الأمر ؟ فقال عمر : يا بني ؛ إني أروض الناس رياضة الصَّعب ، فإن أبقاني الله . . مضيت ، وإن عجلت علي منية . . فقد علم الله سبحانه وتعالىٰ نيتي ، إني أخاف إن بادهت[2] الناس بالقوة والقهر . . يلجئوني إلى السيف ، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف .

وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك إلىٰ مزاحم ، فقال : إن لي حاجة إلىٰ أمير المؤمنين عمر ، فاستأذن له ، فأذن له ، فلما دخل . . قال : يا أمير المؤمنين ؛ رد علي قطيعتي التي أخذت مني ، فقال : معاذ الله أن أرد قطيعة أصبحت في الإسلام ، قال : فهـٰذا كتابي ـ وأخرج كتاباً من كمه ـ فقرأه عمر ، فقال : لمن كانت هـٰذه الأرض قبلك ؟ فقال : للفاسق ابن الحجاج ، فقال عمر : فهو أولىٰ بدعواها ، قال : فإنها من بيت مال المسلمين ، قال : فالمسلمون أولىٰ بها ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ رد علي كتابي ، قال : لا أفعل ، لو لم تأتني به . . لم أسألكه ، فأمَّا إذ جئتني به . . فلن ندعك تطلب باطلاً ، قال : فبكى ابن سليمان ، فقال مزاحم : يا أمير المؤمنين ؛ ابن سليمان تصنع به هـٰذا ؟ قال : ويحك يا مزاحم! إنها نفسي أحاول[3] عنها ، وإني لأجد له من الشفقة ما أجد لولدي .

---

(١) نوع من البرود فيها حمرة ، ولها أعلام فيها بعض الخشونة ، لعلها نسبة إلىٰ قَطَر ، وكسرت القاف للنسبة علىٰ غير قياس .

(٢) بادهت : فاجأت ، وبدهه بأمرٍ إذا استقبله به .

(٣) في بعض النسخ : (أجادل) .

ودخل عبد الملك بن عمر علىٰ أبيه يوماً فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن لي إليك حاجة ، فَأَخْلِني ، وعنده مسلمة بن عبد الملك ، فقال له عمر : أَسِرٌّ دون عمك ، فقال : نعم ، فقام مسلمة وخرج ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أنت قائل غداً لربك إذا سألك فقال : رأيتَ بدعةً فلم تمتها ، أو سنةً فلم تحيها ؟ فقال له : يا بني ؛ أشيء قالته لك الرعية ؟ أم رأي رأيته من قبل نفسك ؟ قال : لا والله ؛ ولـٰكن رأي رأيته ، فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولدٍ خيراً ، فوالله ؛ إني لأرجو أن تكون من الأعوان لي على الخير ، يا بني ؛ إن قومك سدوا هـٰذا الباب عقدة عقدة ، وعروة عروة ، ومتىٰ ما أريد مكايدتهم على انتزاع ما في أيديهم . . لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقاً تكثر فيه الدماء ، ووالله ؛ لزوال الدنيا . . أهون عليَّ من أن يهراق في سببي محجمة[1] من دم ، أوما ترضىٰ ألاَّ يأتي علىٰ أبيك يوم . . إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة ، حتىٰ يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير الحاكمين .

وقال عمر لامرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جوهر لم ير مثله ـ أمر لها به أبوها ـ : اختاري ، إما أن تردِّي حليِّك إلىٰ بيت المال ، وإمَّا أن تأذني لي في فراقك ؛ فإني أكره أن أكون أنا وأنت في بيت واحد وعندك هـٰذا الجوهر ، فقالت : أختارك يا أمير المؤمنين عليه وعلىٰ أضعافه لو كان لي ، فَحمِل حتىٰ وضع في بيت المال ، فلما هلك عمر ، واستُخلِف يزيد . . قال لفاطمة : إن شئت . . رددُّته عليك ، قالت : لا أشاء ، طبت به نفساً في حياة عمر ، وأرجع فيه بعد موته ، لا والله ؛ لا كان هـٰذا أبداً ، فلما رأىٰ ذلك . . قسمه بين أهله وولده .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ سالم بن عبد الله ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو .

أما بعد : فإن الله عز وجل ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هـٰذه الأمة من غير مشاورة مني فيها ، ولا طلبة مني لها ، إلا قضاء الرحمـٰن سبحانه وتعالىٰ وقدره ، فأسأل الله تعالىٰ ـ الذي ابتلاني من أمر هـٰذه الأمة بما ابتلاني به ـ أن يعينني علىٰ ما ولاَّني ، وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن مؤازرة ، وأن يرزقني فيهم الرأفة والمعدلة ، فإذا أتاك كتابي هـٰذا . . فابعث

---

(١) المحجمة : قارورة الحجام .

إليَّ بكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسيرته وقضاياه في أهل القبلة وأهل العدل ؛ فإني متبع أثر عمر وسائر سيرته إن أعانني الله علىٰ ذلك . والسلام .

فكتب إليه سالم بن عبد الله رضي الله عنهما : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، من سالم بن عبد الله بن عمر إلىٰ عبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو .

أما بعد : فإن الله تعالىٰ خلق الدنيا لما أراد ، وجعل لها مدة قصيرة ، كأن بين أولها وآخرها ساعة من نهار ، ثم قضىٰ عليها وعلىٰ أهلها بالفناء ، فقال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، لا يقدر منها أهلها علىٰ شيء حتىٰ تفارقهم ويفارقونها ، أنزل بذلك كتابه ، وبعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقدم منه بالوعيد ، وضرب فيه الأمثال ، وأحل الحلال ، وحرم الحرام ، وشرع فيه دينه ، وقصَّ فأحسن القصص ، وجعل دينه في الأولين والآخِرين دِيناً واحداً ، فلم يفرق بين كتبه ، ولم تختلف رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولم يشْقَ أحد من أمره بشيء سعد به أحد ، ولم يسعد أحد من أمره بشيء شقي به أحد .

وإنك اليوم كما كنت قبل ولايتك ، يكفيك من الطعام والشراب والكسوة ما يكفي رجلاً واحداً ، فاجعل ذلك فيما بينك وبين الرب جل جلاله ، الذي توجه إليه شكر النعم ؛ فإنك قد وُلِّيت أمراً عظيماً ، ليس بين الله عز وجل وبين خلقه غيرك ، فإن استطعت أن تغنم نفسك وأهلك وألاَّ تخسر . . فافعل .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقد كان من قبلك رجال عملوا بما عملوا ، وأماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيَوْا ما أحيَوْا من الباطل ، حتىٰ ولد فيه رجال ونشؤوا فيه ، وظنوا أنها السنة ، ولم يسدوا على العباد باب رخاء[1] . . إلا فتح الله عليهم باب بلاء ، فإن استطعت أن تفتح أبواب الرخاء ؛ فإنك لا تفتح منها باباً . . إلا سد عنك باب بلاء ، ولا يمنعنك من نزع عامل أن تقول : لا أجد من يكفيني عملي ؛ فإنك إذا كنت تنزع لله ، وتعمل لله عز وجل . . أتاح الله لك رجالاً ، ورزقت العون من الله عز وجل علىٰ قدر النية ، فإذا تمت نية العبد . . تمَّ عون الله تعالىٰ له ، ومن قصرت نيته . . قصر العون له من الله عز وجل بقدر ذلك ، فإن استطعت أن تأتي يوم القيامة ولا يتبعك أحد بظلم ، ويجيء من كان قبلك وهم غابطون لك

(١) في بعض النسخ : (رجاء في الموضعين) .

لقلة أتباعك ، وأنت غير غابط لهم لكثرة أتباعهم . . فافعل .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنهم قد عاينوا وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرُّون ، وانشقت بطونهم التي كانوا فيها لا يشبعون ، وانفقأت أعينهم التي كانت لا تنقضي لذتها ، واندقت رقابهم في التراب غير موسَّدين ـ بعد ما تعلم من تظاهر[١] الفرش ـ فصاروا جيفاً تحت بطون الأرض ، يودون أن[٢] لو كانوا إلىٰ جنب مسكين يتأذىٰ بريحهم ، بعد الطيب الذي قد أنفقوا عليه ما لا يحصىٰ إسرافاً وبداراً[٣] ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ما أعظم ـ يا عمر ـ وأفظع الذي سيق إليك من أمر هـٰذه الأمة ، وأهل العراق ، فليكونوا من صدرك بمنزلة من لا فقر بك إليه ، ولا غنىٰ بك عنه ؛ فإن عمالهم ظلمة ، قسموا الأموال ، وسفكوا الدماء ، فتفقد أحوالهم أشد الافتقاد يا عمر ، إن فعلت ما أمرتك به . . وجدت راحته علىٰ ظهرك وسمعك وبصرك ، ثم إنك كتبت تسأل أن أبعث إليك بكتب عمر بن الخطاب وسيرته ، وإن عمر رضي الله عنه عمل في غير زمانك ، وكان له مساعد ومعين علىٰ ما يريد من الحق ، فاجهد يا عمر ، وقل كما قال العبد الصالح : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ . والسلام عليك . أو كما قال .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عبد الحميد صاحب الكوفة : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمـٰن ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله عز وجل الذي لا إلـٰه إلا هو .

أما بعد : فإن أهل الكوفة قوم قد أصابهم بلاء[٤] وشدة وجور في أحكام الله تعالىٰ ، وسنن خبيثة سنها عليهم عمال السوء ، وإن قِوامَ هـٰذا الدين العدل والإحسان ، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك أن توطِّنها لطاعة الله عز وجل ؛ فإنه لا قليل من الإثم ، وآمرك أن تنظر في أرضهم ، ولا تحمل خراباً علىٰ عامر ، ولا عامراً علىٰ خراب ، وإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله عز وجل .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ؛ كيف أصبحت ؟ فقال : بطيئاً

---

(١) أي إرداف بعضها فوق بعض .
(٢) في « الحلية » : (لو كانوا إلىٰ جنب مسكين . . لتأذىٰ بريحهم) .
(٣) أي : مسارعة ومبادرة .
(٤) في نسخة : (غلاء) ، وفي أخرىٰ : (جلاء) .

بطيناً ، متلوثاً في الخطايا والذنوب ، أتمنَّىٰ على الله منازل الأبرار ، وأخالف أعمالهم .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما خلقتم للأبد ، وإنما تنقلون من دار إلىٰ دار .

ومر عمر بن عبد العزيز رحمه الله برجل في يده حصاة يلعب بها ، وهو يقول : اللهم ؛ زوجني من الحور العين ، فقام إليه عمر ، وقال : بئس الخاطب أنت ، ألا ألقيت الحصاة ، وأخلصت إلى الله عز وجل في الدعاء ؟!

وقال عمر : يا معشر المستترين ؛ اعلموا : أن عند الله عز وجل مسألة فاضحة ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

وكان عمر بن عبد العزيز واقفاً مع سليمان بعرفة ، فرعدت رعدةٌ من رعد تِهامة ، فوضع سليمان صدره علىٰ مقدم الرحل ، وصرخ منها ، فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ؛ هٰذه جاءت برحمة ، فكيف لو جاءت بسخط ؟! قال : ثم نظر سليمان إلى الناس ، فقال : ما أكثر الناس! فقال عمر : هم خصماؤك يا أمير المؤمنين ، فقال له سليمان : ابتلاك الله بهم .

ودخل عليه شخص يوماً ، فرآه قد نصب ركبتيه ، ووضع يديه عليهما ، وذقنه علىٰ ركبتيه ، كأن عليه حزن هٰذه الأمة كلها ، فقال له : ما لي أراك مغتماً ؟ فقال : وكيف لا أغتم وليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في شرق الأرض وغربها . . إلا ويلزمني أن أؤدي إليه حقه! غير كاتب إلي فيه ، ولا طالبه مني . أو كما قال .

وخرج في جنازة يوماً ، فأتي ببرد كان يلقىٰ للخلفاء يقعدون عليه إذا خرجوا إلىٰ جنازة ، فلما رآه قد ألقي له . . ضربه برجله ، ثم قعد على الأرض ، فقالوا : ما هٰذا ؟! وجاء رجل ، فقام بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ اشتدت بي الحاجة ، وانتهت بي الفاقة ، والله تعالىٰ سائلك عن مقامي هٰذا بين يديك ـ وفي يده قضيب قد اتكأ عليه ـ فقال : أعد عليَّ ما قلت ، فأعاد عليه ، فبكىٰ حتىٰ جرت دموعه على القضيب ، ثم قال : ما عيالك ؟ قال : خمسة ، أنا وامرأتي وثلاثة أولاد لي ، قال : فإنا نفرض لك ولعيالك عشرة دنانير ، ونأمر لك بخمس مئة ، مئتين من مالي وثلاث مئة من مال الله تعالىٰ ، تَبلَّغْ بهما حتىٰ يخرج عطاؤك .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أحسب أن من لم يلِ . . لم يذنب .

واستعمل عاملاً ، فبلغه أنه عمل للحجاج ، فعزله ، فأتاه يعتذر إليه ، وقال : يا أمير

المؤمنين ؛ لم أعمل له إلا قليلاً ، فقال : حسبك من صحبته شر يوم أو بعض يوم .

وقال : **ما طاوعني الناس علىٰ ما أردت من الحق . . حتىٰ بسطت لهم شيئاً من الدنيا** .

وأرسل عمر بن عبد العزيز بأسارىٰ من أسارى الروم ، ففادىٰ بهم أسارىٰ من أسارى المسلمين ، وكان الرسول إذا دخل علىٰ ملك الروم . . لم يبرح حتىٰ يدخل عظماء الروم ، فإذا دخل عظماؤهم . . خرج ، فدخل يوماً ، فوجد ملك الروم جالساً على الأرض ، مكتئباً حزيناً ، فقلت : ما شأن ملك الروم ؟ فقالوا : وما تدري ما حدث ؟! قلت : وما حدث ؟!! قال : مات الرجل الصالح ، قلت : مَنْ ؟ قال : عمر بن عبد العزيز ، ثم قال ملك الروم : إني لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتىٰ بعد عيسى ابن مريم . . لأحياهم عمر بن عبد العزيز ، ثم قال : إني لست أعجب من الراهب أن أَغلق بابه ، ورفض الدنيا ، وترهَّب ، وتعبد ، ولـٰكن أعجب ممن كانت الدنيا تحت قدمه ، فرفضها ثم ترهَّب .

وأرسل مرة غلاماً له يشوي له لحماً ، فعجل الغلام بها ، فقال له : أسرعت بها ، قال : شويتها في نار المطبخ ، وكان للمسلمين مطبخ يغديهم ويعشيهم ، فقال لغلامه : اذهب فكلها يا بني ؛ فإنك رُزقتَها ولم أُرزقْها .

وكان له سفط[1] فيه دَرَّاعَة[2] من شعر وغل ، وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه ، لا يدخل فيه أحد ، فإذا كان في آخر الليل . . فتح ذلك السفط ، ولبس تلك الدراعة ، ووضع الغل في عنقه ، فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتىٰ يطلع الفجر ، ثم يعيده في السفط .

وقيل له : لو اتخذت حرساً في طعامك وشرابك ؛ فإن من كان قبلك يفعله ، فقال : اللهم ؛ إن كنت تعلم أني أخاف شيئاً دون يوم القيامة . . فلا تؤمِّن خوفي .

وعن عمرو بن مهاجر قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : إذا رأيتني قد مِلْتُ عن الحق . . فضع يدك في تلبابي ، ثم هُزَّني ، ثم قل لي : يا عمر ؛ ما تصنع ؟!

وكان لا يحمل على البريد . . إلا في حاجة المسلمين .

وقال : لا أعلمن أنكم بعثتم إلىٰ أحد من أهل عملي بشيء إلا فعلت بكم وفعلت ، قيل له : ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ؟ قال : بلىٰ ، ولـٰكنها لنا ولمن بعدنا رِشوة .

---

(١) السفط : الوعاء الذي يوضع فيه الحوائج الخاصة .

(٢) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

وخطب يوماً فقال : أيها الناس ؛ ما منكم من أحد يبلغنا عنه حاجة . . إلا أحببت أن أسد من حاجته بما قدرت عليه ، وما منكم من أحد لا يسعه ما عندنا . . إلا وددت أنه بُدِىء به ، وبلحمتي الذين يلونني حتىٰ يستوي عيشنا وعيشه ، وايم الله ؛ إني لو أردت غير ذلك من العيش . . لكان اللسان به مني ذلولاً عالماً بأسبابه ، ولـٰكنه قضاء من الله تعالىٰ ، كتاب ناطق ، وسنة عادلة ، يدل فيها علىٰ طاعته ، وينهىٰ فيها عن معصيته ، ثم رفع طرف ردائه ، وبكىٰ حتىٰ شهق ، وأبكى الناس حوله .

وقال في آخر خطبة خطبها : لولا سنة أحييها ، أو بدعة أميتها . . لم أبال ألاَّ أبقىٰ في الدنيا فواقاً[1] .

زاد في رواية : أنه قال وهو على المنبر بعرفة : اللهم ؛ زد في إحسان محسنهم ، وراجع بمسيئهم التوبة ، وحط من وراءهم بالرحمة ، وأومأ بيده إلى الناس ، وقال : ما أنعم الله تعالىٰ علىٰ عبد نعمة ثم انتزعها منه وعوضه عنها الصبر . . إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وكان يدعو ويقول : اللهم ؛ إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك . . فإن رحمتك أهل أن تبلغني ، رحمتك وسعت كل شيء ، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم ، وعملوا في الذي خلقتهم له ، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين .

وأول كلمة قالها عمر بن عبد العزيز على المنبر يوم استخلف ـ بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والصلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : أيها الناس ؛ إني والله ؛ ما سألت في سر ولا علانية هـٰذا الأمر ، فمن كره منكم . . فأمره إليه ، فقام رجل من الأنصار ، فبايعه ، وبايعه الناس .

وقال أبو حازم : قال لي عمر بن عبد العزيز : يا أبا حازم ؛ أناشدك الله إلا حدثتني الحديث الذي سمعتُه منك عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن بين أيديكم عقبة كؤوداً[2] ، لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » .

قال أبو حازم : فلما انتهىٰ إلىٰ هـٰهنا . . بكىٰ أمير المؤمنين بكاء عالياً ، حتىٰ علا نحيبه ،

---

(١) الفواق المراد هنا : الفترة القصيرة ، وتستعمل في الأصل للمقدار بين الضغطة والأخرىٰ علىٰ ضرع الناقة .

(٢) الكؤود : الشاقة .

ثم قال : يا أبا حازم ؛ أفتلومني أن أُضمر نفسي لتلك العقبة لعلّي أنجو منها ، وما أظنُّني منها بناج ، ثم أغمي عليه زماناً ، ثم بكىٰ في إغمائه بكاءً عالياً ، وضحك ضحكاً عالياً ، فلما أفاق من غشيته . . قلت : يا أمير المؤمنين ؛ لقد رأيت منك عجباً ، قال : ورأيتم ما كنت فيه ؟ قلت : نعم ، فقال : أنا أحدثكم ، لما أغمي عليَّ . . رأيت كأن القيامة قد قامت ، وحشر الله الخلائق ، وكانوا عشرين ومئة صف ، أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثمانون صفاً ؛ وسائر الأمم من الموحدين أربعون صفاً ؛ إذ وضع الكرسي ، ونصب الميزان ، ونشرت الدواوين .

ثم نادى المنادي : أين عبد الله ابن أبي قحافة ؟ فإذا شيخ طوال يخضب بالحناء والكتم[1] ، فأخذت الملائكة بضبعيه[2] ، فأوقفوه أمام الله تعالىٰ ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة .

ثم نادى المنادي : أين عمر بن الخطاب ؟ فإذا شيخ طوال يخضب بالحناء بحتاً ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فأوقفوه أمام الله تعالىٰ ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة .

ثم نادى المنادي : أين عثمان بن عفان ؟ فإذا شيخ طوال يصفر لحيته ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فأوقفوه أمام الله تعالىٰ ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة .

ثم نادى المنادي : أين علي بن أبي طالب ؟ فإذا شيخ طوال أبيض الرأس واللحية ، عظيم البطن ، دقيق الساقين ، فأخذت الملائكة بضبعيه ، فأوقفوه أمام الله تعالىٰ ، فحوسب حساباً يسيراً ، ثم أمر به ذات اليمين إلى الجنة .

فلما رأيت الأمر قد قرب مني . . اشتغلت بنفسي ، فلا أدري ما فعل الله بمن كان بعد علي ؛ إذ نادى المنادي : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فقمت ، فوقعت علىٰ وجهي ، ثم قمت ، فوقعت علىٰ وجهي ، ثم قمت ، فوقعت علىٰ وجهي ، وأتاني ملكان ، فأخذا بضبعي ، فأوقفاني أمام الله تعالىٰ ، فسألني عن النقير والقطمير والفتيل[3] ، وعن كل قضية

---

(١) الكَتَمُ : نبت فيه حُمرة يُختضب به .

(٢) الضَّبْعُ : وسط العضد .

(٣) النقير : هي النقرة التي تكون في ظهر النواة ، القطمير : القشرة البيضاء التي تكون على النواة ،الفتيل : ما يكون في شق النواة .

قضيت بها ، حتىٰ ظننت أني لست بناج ، ثم إن ربي عز وجل تفضل عليَّ ، فتداركني منه برحمة ، وأمر بي ذات اليمين إلى الجنة .

فبينا أنا مار مع الملكين الموكلين بي ؛ إذ مررت بجيفة ملقاة علىٰ رماد ، فقلت : ما هـٰذه الجيفة ؟ قالوا : أُدْنُ منه وسَلْهُ . . يخبرك ، فدنوت منه ، فوكزته برجلي ، وقلت له : مَن أنت ؟ فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا عمر بن عبد العزيز ، قال لي : ما فعل الله بك وبأصحابك ؟ قلت : أما أربعة . . فأمر بهم ذات اليمين إلى الجنة ، ثم لا أدري ما فعل الله بمن كان بعد علي ، فقال لي : أنت ما فعل الله بك ؟ قلت له : تفضل عليَّ ربي عز وجل ، وتداركني منه برحمة ، وقد أمر بي ذات اليمين إلى الجنة ، ثم قلت : من أنت ؟ قال : أنا الحجاج ، قلت له : حجاج ؟ أرددها ثلاثاً ، ما فعل الله بك ؟ قال : قدمت علىٰ رب شديد العقاب ، ذي بطش ، منتقم ممن عصاه ، فقتلني بكل قتلة قتلت بها مثلها ، ثم هاأنـٰذا موقوف أنتظر ما ينتظر الموحدون ، إمَّا إلىٰ جنة ، وإمَّا إلىٰ نار .

قال أبو حازم : فأعطيتُ الله تعالىٰ عهداً بعد رؤيا عمر بن عبد العزيز ألاَّ أقطع لأحد من هـٰذه الأمة بنار . [انتهىٰ « الحلية » ٥/ ٢٨٠ـ٣٠١] .

وقال الإمام حجة الإسلام الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : دخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز علىٰ عمر ، فسلمت عليه ، ثم قامت إلىٰ مسجد في بيته ، فصلت فيه ركعتين ، ثم غلبتها عيناها ، فرقدت ، فاستبكت في منامها ، فلما استيقظت . . قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إني رأيت والله عجباً ، فقال : وما ذاك ؟ قالت : رأيت النار وهي تزفر علىٰ أهلها ، ثم جيء بالصراط ، فوضع علىٰ متنها ، فقال : هيه! قالت : فجيء بعبد الملك بن مروان ، فحمل عليه ، فما مضىٰ عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط ، فهوىٰ إلىٰ جهنم ، فقال : هيه! قالت : ثم جيء بالوليد بن عبد الملك ، فحمل عليه ، فما مضىٰ إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط ، فهوىٰ في جهنم ، فقال عمر : هيه! قالت : ثم جيء بسليمان بن عبد الملك ، فما مضىٰ عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط ، فهوىٰ إلىٰ جهنم ، فقال عمر : هيه! قالت : ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين ، فصاح عمر صيحة خر مغشياً عليه ، فقامت إليه ، فجعلت تنادي في أذنه : يا أمير المؤمنين ؛ إني رأيتك والله تمر حتىٰ نجوت ، إني رأيتك والله تمر حتىٰ نجوت ، قال : وهي تنادي وهو يصيح ويفحص[1] برجليه . انتهىٰ [« الإحياء » ٤/١٨٧] .

---

(١) يفحص : يبحث ويحرك التراب .

وقال في « الاكتفاء » : كان عمر بن عبد العزيز إذا صلى العشاء . . دخل منزله ودعا بكُتَّاب العامة ، فلم يزل في أمور المسلمين إلىٰ ثلث الليل ، ثم يأمر بانصرافهم ، ويأمر بإحضار كُتَّاب الخاصة ، فلم يزل معهم في حساب وكتاب إلىٰ ثلث الليل الأوسط ، ثم ينصرفون ، فيقوم إلىٰ مصلاَّه إلى الفجر .

وقال له رجل : لو تفرغت لنا يا أمير المؤمنين ، فقال : وأين الفراغ ؟ ذهب الفراغ ، فلا فراغ إلا عند الله عز وجل .

وعن حماد ابن أبي سلمىٰ : أن عمر بن عبد العزيز قام على المنبر في مسجد دمشق ، ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته : لا طاعة لنا في معصية الله عز وجل .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلىٰ عدي بن أرطاة في كتاب : عليك بأربع ليالٍ من السَّنَةِ ؛ فإن الله ينزل فيهن الرحمة : أول ليلة [من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الفطر ، وليلة النحر[1]] .

ولما كان صغيراً . . بعثه أبوه ـ لما كان أمير مصر ـ إلى المدينة ، فتفقه بها حتىٰ بلغ رتبة الاجتهاد .

وقال سعيد بن المسيِّب : الخلفاء الراشدون المهديون خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز ، قالوا : يا أبا محمد ؛ هـٰذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عرفناه ، فمن عمر بن عبد العزيز ؟ قال : إن عشتم . . ستَرَوه .

وقال سعيد بن المسيب ـ لما ولي عمر بن عبد العزيز ـ للعلماء : اجعلوا نصف دعائكم لأمير المؤمنين ؛ ليسلم لكم دينكم ودنياكم .

ولما ولي . . قال لإياس بن معاوية : دلني علىٰ قوم من العلماء أستعملهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ منهم قوم يعملون للآخرة ، فما يعملون لك ؟ ومنهم قوم يعملون للدنيا ، فما ظنك بهم إذا أمكنتهم منها ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : عليك بأرباب البيوت ، الذين يستحيون لأنسابهم ، ويرجعون إلىٰ أعراقهم فولِّهم .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه :

أما بعد : فإن مدينتنا قد خربت ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمُّها به . . فعل .

---

(١) وقال الشافعي : بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال : في ليلة الجمعة ، وليلة الأضحىٰ ، وليلة الفطر ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان . اهـ « تلخيص الحبير » (٢/ ٨٠) .

فكتب إليه عمر :

أما بعد : فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت ، فإذا قرأت كتابي هـٰذا . فحصنها بالعدل ، ونقِّ طرقها من الظلم ؛ فإنه مَرمَّتُها . والسلام .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي بن أرطاة ـ وكان قد استخلفه على البصرة ـ :

أما بعد : فإنك غررتني بعمامتك السوداء ، وإرسالك طرفها من ورائك ، ومجالستك القراء ، وإنك أظهرت لي الخير ، فأحسنت بك الظن ، وقد أظهر الله تعالىٰ عليَّ ما كنت تكتم . والسلام .

وكتب عدي بن أرطاة إلىٰ عمر بن عبد العزيز :

أما بعد : فإن الناس قد كثروا في الإسلام ، وخِفْتُ أن يقل الخراج ، فكتب إليه عمر : فهمت كتابك ، ووالله ؛ لوددت أن الناس كلهم أسلموا ، وأكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا . انتهىٰ [« الحلية » ٥/٣٠٥] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : وقفت علىٰ سيرة العمرين رضي الله عنهما للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ـ قدس الله روحه ـ فأحببت أن أذكر منها ما ليس في كتابي ـ إن شاء الله ، وبه التوفيق ـ :

قال أبو الفرج : عن محمد بن سعد قال : ولد عمر بن عبد العزيز رحمه الله سنة ثلاث وستين ، وهي السنة التي ماتت فيها ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر بن عبد العزيز . . قال لقَيِّمه : اجمع لي أربع مئة دينار من طيب مالي ؛ فإني أريد أن أتزوج إلىٰ أهل بيت لهم صلاح ، فتزوج من أم عمر بن عبد العزيز .

قال ابن سعد : وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .

أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويكنىٰ : أبا حفص .

وعن نافع قال : كنت أسمع أن عمر كثيراً ما يقول : ليت شعري مَن هـٰذا الذي مِن ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلاً ؟

زاد في رواية أخرىٰ : كما ملئت جَوراً .

وقال صالح بن حسان : أرسل عمر بن عبد العزيز إلىٰ محمد بن كعب القرظي فقال : صف ليَ العدل ، فقال : سألتَ عن أمر حسن ، كن لصغير المسلمين أباً ، ولكبيرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم علىٰ قدر أحسابهم ، ولا تضربنَّ لغضب سوطاً واحداً فتتعدىٰ ، فتكون عند الله عز وجل من العادِين .

وقال محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز : لا تصحب من الأصحاب من خطرك عنده علىٰ قدر قضاء حاجته ، فإذا انقطعت حاجته . . انقطعت أسباب مودته ، واصحب من الأصحاب ذا العلا في الخير ، والأناة في الحق . . يعينك علىٰ نفسك ، ويكفيك مؤونته .

ومن أحاديثه المروية عنه بإسناده : عن أسماء بنت عُمَيْس قالت : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة الكرب ، قال : « إذا نزل بك كرب . . فقولي : الله ربي لا أشرك به شيئاً »[١] ، وفي رواية : « لا شريك له » .

وعن عبادة بن الصامت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل رمضان . . قال : « اللهم ؛ سلمني لرمضان ، وسلم رمضان لي ، وتسلمه مني متقبَّلاً »[٢] .

وعن عمر بن عبد العزيز ، عن تميم الداري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لقي الله بخمس . . لم يحجب عن الجنة : النصح لله عز وجل ، والنصح لكتاب الله ، والنصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنصح لأئمة المسلمين ، والنصح لعامة المسلمين »[٣] .

وعن عمر ابن أبي سلمة بن عبد الرحمـٰن ، عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم قال : من قرأ (قل هو الله أحد) إحدىٰ عشرة مرة ابتغاء وجه الله . . نزع الله الفقر من بين عينيه ، وجعل غناه في قلبه ، وحشا فيه الحكمة .

وعن زيد بن أسلم قال : صلينا مع عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ الظهر ، ثم انصرفنا إلىٰ أنس بن مالك ـ رحمه الله ، وكان شاكياً ـ فلما جلسنا . . قال : أصليتم ؟ قلنا : نعم ، قال : يا جارية ؛ هلمي وضوءاً ، ما صليت خلف إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه بنحوه ابن راهوية (٥/ ٣٣) .
(٢) أخرجه الديلمي (١/ ٤٧١) .
(٣) روى البخاري تعليقاً ، ومسلم (٥٥) : عن تميم الداري : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة » ، قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » .

أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من إمامكم ؛ يعني : عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، قال زيد : وكان عمر يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود .

وعن سفيان قال : مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله حينَ ماتَ ، وما يزداد عاماً بعد عام إلا فضلاً .

وقال أبو الزناد : ولي عمر بن عبد العزيز المدينة في ربيع الأول ، سنة سبع وثمانين ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولاه إياها الوليد بن عبد الملك ، فولىٰ عمر علىٰ قضائها أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم .

ودعا عمر عشرة نفر من فقهاء البلد ـ يعني : المدينة ـ منهم : عروة ، والقاسم ، وسالم[1] ، وقال : إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إن رأيتم أحداً يتعدىٰ ، أو بلغكم عن عامل ظلامة .. فأحرّج بالله علىٰ أحد بلغه ذلك إلا أبلغني ، فجَزَوْه خيراً وافترقوا .

وأراد الوليد بن عبد الملك من عمر بن عبد العزيز أن يخلع سليمان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما بايعنا لكما في عقد واحد ، فكيف نخلعه ونتركك ؟

وعن محمد بن سعيد الدارمي : أنه سمع أباه يذكر أن سليمان بن عبد الملك كان ربما نظر في المرآة فيقول : أنا الملك الشاب ، قال : فنزل مرج دابق ، فمرض مرضه الذي مات فيه ، وفشَت الحمىٰ في أهله وأصحابه ، فدعا جارية بوضوء ، فبينا هي توضئه ؛ إذ سقط الكوز من يدها ، فقال : ما قصتك ؟ قالت : محمومة ، قال : ففلانة ؟ قالت : محمومة ، قال : الحمد لله الذي جعل خليفته في أرضه ليس عنده من يوضئه ، ثم التفت إلىٰ خاله الوليد بن القعقاع العبسي فقال :

قـرِّب وضـوءك يـا وليـد فـإنمـا ... هـٰـذي الحيـاة تعلّـةٌ ومتـاع[2]

فأجابه الوليد :

فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً ... فـالـدهـر فيـه فـرقـةٌ وجمـاعُ

وزاد في رواية : إنه لما نظر في المرآة ـ وكان حسن الوجه ، فأعجبه ما رأىٰ من حاله ،

---

(١) ذكر بقيتهم ابن سعد في « الطبقات » (٥/ ٣٣٤) .

(٢) التعلّة : ما يعلَّلُ به الصبي ليسكت .

وكان علىٰ رأسه وصيفة له ـ قال : أنا الملك الشاب ، فرأىٰ شفتي جاريته تتحركان عند قوله ما قال ، [فقال : ما قلت ؟ قالت : خيراً . قال : فتخبريني ـ وأعاد عليها ـ قالت : قلت :

أنـت نعـم المتـاع لـو كنـت تبقـىٰ ... غيـــر أنْ لا بقـــاء لـــلإنســـان

ثم خرج إلى المسجد ، فخطب الناس ، فسمع أقصىٰ مَن في المسجد صوته ، ثم لم يزل يضعف حتى انصرف محموماً حمىٰ موصولة بمنيته .

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين ، وهو ابن أربعين سنة ، واستخلف عمر بن عبد العزيز .

قال رجاء بن حَيْوَة رحمه الله : لما كان يوم الجمعة . . لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خز ، ونظر في المرآة ، فقال : أنا ـ والله ـ الملك الشاب ، ثم خرج إلى الصلاة يصلي بالناس ، فلم يرجع حتىٰ ثقل ، فلما ثقل . . كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب ـ وهو غلام لم يبلغ ـ قال رجاء : فقلت له : ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف الرجلَ الصالحَ ، فقال : كتابٌ أستخير الله تعالىٰ فيه ، وأنظر ولم أعزم ، فمكث يوماً أو يومين ، ثم خرَّقه ، ثم دعاني ، فقال : داوود بن سليمان ، فما ترىٰ ؟ فقلت : هو غائب بقُسْطَنْطينية ، وأنت لا تدري ، أحي هو ، أم ميت ؟ قال : يا رجاء ؛ فمن ترىٰ ؟ فقلت : أرىٰ رأيك يا أمير المؤمنين ـ وأنا أريد أن أنظر من يذكر ـ فقال : كيف ترىٰ في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : والله ؛ أعلمه فاضلاً خياراً مسلماً ، فقال : هو علىٰ ذلك ، والله ؛ لئن وليته ولم أُوَلِّ أحداً من ولد عبد الملك . . لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم . . إلا أن أجعل أحدهم بعده ، ويزيد بن عبد الملك غائب يومئذٍ على الموسم ، قال : فأَجعَلُ يزيد بن عبد الملك بعده ؛ فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به ، قلت : رأيك ، فكتب بيده :

بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، هـٰذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز : إني قد وليته الخلافة بعدي[1] ، وبعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له ، وأطيعوا ، واتقوا الله ، ولا تختلفوا عليه ، فيُطمَع فيكم .

وختم الكتاب ، وأرسل إلىٰ كعب بن حامز صاحب شرطته أن مُرْ أهل بيتي ،

---

(١) عن ابن سيرين قال : يرحم الله سليمان ؛ افتتح خلافته بإحياء الصلاة ، واختتمها باستخلافه عمر ، وذلك لأن الحجاج وعماله كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها فعزلهم وكتب : إن الصلاة قد أميتت ، فأحيوها بوقتها ، وكان ديناً فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو ، وكان يستعين في أمر الرعية بعمر بن عبد العزيز .

فليجتمعوا ، فجمعهم ، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم : اذهب بكتابي هـٰذا إليهم ، فأخبرهم أنه كتابي ، ومُرْهُم ، فليبايعوا من وليت ، ففعل رجاء ، وقالوا : سمعنا وأطعنا لمن فيه ، وقالوا : ندخل فنسلم علىٰ أمير المؤمنين ، قال : نعم ، فدخلوا ، فقال لهم سليمان : هـٰذا الكتاب ـ وهو يشير لهم ، وهم ينظرون إليه في يد رجاء ـ هـٰذا عهدي ، فاسمعوا له ، وأطيعوا ، وبايعوا لمن سميت في هـٰذا الكتاب ، قال : فبايعوه رجلاً رجلاً ، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء .

قال : فلما تفرقوا . . جاءني عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أبا المقدام ؛ إن سليمان كانت لي به حرمة ومودة ، وكان بي براً ملطفاً ، فأنا أخشىٰ أن يكون قد أسند إلي من هـٰذا الأمر شيئاً ، فأنشدك الله إلا أعلمتني إن كان ذلك حتىٰ أستعفيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها علىٰ ذلك ، فقال رجاء : لا والله ؛ ما أنا بمخبرك حرفاً واحداً ، فذهب غضبان .

قال رجاء : ولقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يا رجاء ؛ لي حرمة ومودة قديمة ، وعندي شكر ، فأعلمني ، أهـٰذا الأمر إليّ ؟ فإن كان إليّ . . علمت ، وإن كان إلىٰ غيري . . تكلمت ، وليس مثلي من ينحّىٰ عنه هـٰذا الأمر ، ولك الله ألاَّ أذكر اسمك أبداً ، فأَبيتُ ، وقلت : والله ؛ لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرَّ إليّ ، فانصرف هشام وهو مؤيس ، وهو يضرب بإحدىٰ يديه على الأخرىٰ ، وهو يقول : فإلىٰ من إذا نُحِّيَتْ عني ؟ والله ؛ إني لعين بني عبد الملك .

قال رجاء : ودخلت علىٰ سليمان وهو يموت ، فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت . . حرفته إلى القبلة ، فجعل يقول وهو يفأق[1] : لم يأن لذلك بعد يا رجاء ، حتىٰ فعلت ذلك مرتين ، فلما كانت الثالثة . . قال : من الآن يا رجاء ، إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فحرفته إلى القبلة ، فمات ، فلما أغمضته . . سجَّيته بقطيفة خضراء ، وأغلقت الباب ، وأرسلَت زوجته تقول لي : كيف أصبح ؟ قلت : نام وقد تغطىٰ ، فنظر رسولها إليه وهو مغطىٰ ، فرجع ، فأخبرها ، فقبِلت .

قال رجاء : وأجلست على الباب من أثق به ، وأوصيته ألاَّ يريم[2] حتىٰ آتيه ، ولا يُدخِلَ على الخليفة أحداً ، فخرجت ، فأرسلت إلىٰ كعب بن حامز ، فجمع أهل بيت أمير

---

(١) فأق : أخذه الفُوَاق أو الفَوَاق ، وهو ما يأخذ المحتضر عند النزع .

(٢) لا يريم : لا يبرح .

المؤمنين ، فاجتمعوا في مسجد دابق[1] ، فقلت : بايعوا ، فقالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرىٰ ؟ فقلت : هـٰذا أمر أمير المؤمنين ، بايعوا علىٰ ما أمر به ولمن سمَّىٰ في هـٰذا الكتاب المختوم ، فبايعوا رجلاً رجلاً ، فلما رأيت أني قد أحكمت الأمر . . قلت : قوموا إلىٰ صاحبكم ، فقد مات ، وقرأت عليهم الكتاب ، فلما انتهيت إلىٰ ذِكْرِ عمر بن عبد العزيز . . نادىٰ هشام : لا نبايعه أبداً ، قال : قلت : أضرب ـ والله ـ عنقك ، قم فبايع ، فقام يجر رجليه .

قال رجاء : وقد أخذت بضبعي عمر ، فأجلسته على المنبر ، وهو يسترجع لِما وقع فيه ، وأما هشام . . فإنه يسترجع لِما أخطأه ، فلما انتهىٰ هشام إلىٰ عمر . . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، حين صار هـٰذا الأمر إليك علىٰ ولد عبد الملك ، فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، حين صار هـٰذا الأمر إليَّ لكراهتي له .

وغُسِّل سليمان ، وكفن ، وصلىٰ عليه عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فلما فرغ من دفنه . . أُتِيَ بمراكب الخلافة ، البراذين والخيل والبغال ، ولكل دابة سائس ، فقال : ما هـٰذا ؟ قالوا : مراكب الخلافة ، قال عمر : دابتي أوفق لي ، فركب بغلته ، وصرف تلك الدواب ، ثم أقبل ، فقيل له : تنزل منزل الخلافة ، فقال : فيه عيال أبي أيوب ، وفي فسطاطي[2] كفاية .

وزاد ابن سعد في طريق آخر : قال رجاء بن حيوة : لما ثقل سليمان . . رآني عمر في الدار أدخل وأخرج ، فقال : يا رجاء ؛ أذكِّرك اللهَ والإسلام أن تذكرني لأمير المؤمنين ، أو تشير بي عليه إن استشارك ، فوالله ؛ ما أقوىٰ علىٰ هـٰذا الأمر ، فانتهرته ، وقلت : إنك لحريص على الخلافة ، أتطمع أن أشير عليه بك ، فاستحيا ، ودخلت ، فقال سليمان : من ترىٰ لهـٰذا الأمر ؟ فقلت : اتق الله ؛ فإنك قادم عليه ، وسائلك عن هـٰذا الأمر ، وما صنعت فيه ، قال : فمن ترىٰ ؟ قلت : عمر بن عبد العزيز .

وفي رواية أخرىٰ : لما فُتح الكتاب وفيه العهد لعمر بن عبد العزيز . . قالوا : أين عمر ؟ فطلبوه ، فما وجدوه ، فإذا هو في مؤخر المسجد ، فأتوه ، فسلموا عليه بالخلافة ، فَعَقِرَ

(١) دابق : قرية قرب حلب ، من أعمال عَزَاز ، عندها مرج معشب كان ينزله الأمويون إذا غزوا الصائفة ، ووقعت فيه موقعة مرج دابق ، بين العثمانيين والمماليك ، والتي علىٰ إثرها دخل العثمانيون بلاد الشام ، ويوجد فيها قبر سليمان بن عبد الملك رحمه الله .
(٢) الفسطاط : بيت يُتَّخذ من الشَّعَر .

به[1] ، فلم يستطع النهوض حتىٰ أخذوا بضبعه ، فدنوا به إلى المنبر ، فلم يقدر على الصعود حتىٰ أصعدوه ، فجلس طويلاً لا يتكلم ، ثم بايعوه ، فجاء منزله ، فجعل يكتب بيده إلى العمال بالأمصار .

وفي رواية : لما رجع منزله . . قال له مولاه : يا أمير المؤمنين ؛ كأنك مهتم ، فقال : لمثل هٰذا الأمر الذي نزل بي اهتممت ؛ إنه ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في مشرق الأرض ولا مغربها . . إلا له قِبَلي حق يحق علي أداؤه إليه ، غير كاتب إلي فيه ، ولا طالبه مني .

وعن سيَّارٍ أبي الحكم ، قال : لما أدخل سليمان بن عبد الملك قبره . . أدخله عمر بن عبد العزيز ، وابن سليمان ، فاضطرب علىٰ أيديهما ، فقال ابنه : عاش ـ والله ـ أبي ، فقال عمر : لا والله ، ولٰكن عوجل أبوك .

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا له عندي حق ، شرقها وغربها .

وعن سليمان بن داوود الخولاني ، أن رجلاً بايع عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فمد يده إليه ، ثم قال : بايعني بلا عهد ولا ميثاق ، تطيعني ما أطعت الله ، فإن عصيت الله . . فلا طاعة لي عليك ، فبايعه .

ولما صعد المنبر . . حمد الله ، وأثنىٰ عليه ، وكان من كلامه أن قال : ألا إني لست بخيركم ، ولٰكني رجل منكم ، غير أن الله جعلني أثقلَكم حِمْلاً ، ثم ذكر حاجته .

وعن حميد بن زنجويه النسائي قال : قال أحمد ٱبن حنبل : يروىٰ في الحديث : « أن الله تبارك وتعالىٰ يبعث علىٰ رأس كل مئة عام من يصحح لهٰذه الأمة دينها »[2] فنظرنا في المئة الأولىٰ ؛ فإذا هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، ونظرنا في المئة الثانية ؛ فنراه الإمام الشافعي رحمه الله .

قالوا : وكان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله جماعة يسمرون عنده ، ويستشيرهم فيما يُرفع إليه من أمور الناس ، وكان بينه وبينهم علامة ، إذا أحب أن يقوموا . . قال : إذا شئتم .

وكان عمر بن عبد العزيز إذا خطب على المنبر فخاف فيه العُجبَ . . قطع ، وإذا كتب

---

(١) عَقِرَ الرجُل : بقي مكانه لم يتقدم أو يتأخر ؛ لفزعٍ أصابه كأنه مقطوع الرجْل .
(٢) أخرجه بنحوه الحاكم (٤/ ٥٦٧) .

كتاباً فخاف فيه العجب . . مزقه ، ويقول : اللهم ؛ إني أعوذ بك من شر نفسي .

وكان عمر بن عبد العزيز يأتي العيدين ماشياً .

وقال عمر بن عبد العزيز : كانت لي نفس تواقة ، فكنت لا أنال شيئاً . . إلا تاقت إلىٰ ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسي الغاية . . تاقت إلى الآخرة .

وقال ميمون بن مهران ـ وكان كاتباً لعمر بن عبد العزيز ـ : مازلت أنا وعمر بن عبد العزيز ننظر في أمور الناس حتىٰ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ ما بال هـٰذه الطَّوامِير[1] التي يُكتب فيها بالقلم الجليل ، ويُمَد فيها وهي من بيت مال المسلمين ؟ فكتب إلى العمال : ألاَّ تكتبوا في طُومَار بقلم جليل ، ولا يمد فيه .

قال : وكانت كتبه شبراً ، ونحو ذلك .

وقال عمر لميمون بن مهران : كيف لي بأعوان علىٰ هـٰذا الأمر أثق بهم وآمَنُهم ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ؛ لا تشغل قلبك بهـٰذا ؛ فإنك سوق ، وإنما يحمل إلىٰ كل سوق ما ينفق فيه ، فإذا عرف الناس منك النصح . . لم يأتوك إلا بالنصح .

وكان يقول : أيها الناس ؛ الحقوا ببلادكم ؛ فإني أذكركم هناك ، وأنساكم عندي ، إلا من ظلمه أمير . . فليس عليه إذن ، فليأتني .

وكان يكتب في المحابس : لا تقيدوا أحداً بقيد يمنع من تمام الصلاة .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلىٰ أهل الموسم :

أما بعد : فإني أشهد الله ، وأبرأ إليه في الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، ويوم الحج الأكبر . . أني بريء من ظلم من ظلمكم ، وعدوان من اعتدىٰ عليكم ، أن أكون أنا أمرت بذلك ، أو رضيت به ، أو تعمدته ، إلا أن يكون ذلك وَهْماً مني ، أو أمراً خفي علي لم أتعمده ، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي إذا عُلم مني الحرص والاجتهاد ، ألا وإنه لا إذن على المظلوم دوني ، ألا وأي عامل من عمالي زل عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة . . فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم ، حتىٰ يراجع الحق ، وهو ذميم ، ألا وإنه لا دُولة بين أغنيائكم ، ولا أثرة علىٰ فقرائكم في شيء من فيئكم ، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصة أو عامة . . فله ما بين مئة دينار إلىٰ ثلاث مئة دينار ،

---

(١) الطوامير : الصُّحف ، والقلم الجليل : العظيم .

علىٰ قدر ما نوىٰ من الحسبة ، وتجشم من المشقة ، فرحم الله امرءاً لم يتعاظمه سفر يحيي الله به حقاً لمن وراءه ، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم . . لرسمت لكم أموراً من الحق أحياها الله لكم ، وأموراً من الباطل أماتها الله سبحانه وتعالىٰ عنكم ، فلا تحمدوا غيره ، ولو وكلني إلىٰ نفسي . . كنت كغيري . والسلام عليكم .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلىٰ صاحب الحجاز : أنُ مُرْ فاضلاً أن يقص على الناس كل ثلاثة أيام مرة ، أو قال : قاصَّكم .

وأرسل عمر بن عبد العزيز رحمه الله يزيد ابن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يُمْجِد يفقهان الناس في البدو ، وأجرىٰ عليهما رزقاً ، فأما يزيد : فقبل الرزق ، وأما الحارث : فأبىٰ أن يقبل ، فأُخبر عمر بن عبد العزيز بذلك ، فكتب عمر : إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً ، وأكثر الله فينا مثل الحارث بن يُمْجِد .

ولما ولي عمر . . جاءه الناس ، فلم يقبل إلا رجلاً فيه خير وتقوىٰ ، فكُلِّم في صديق له ، فقال : تركناه كما تركنا الخز والوشي .

وجاء رجل من أهل أذربيجان إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، فقام بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أذكرك بمقامي هـٰذا مقاماً لا يشغل اللهَ عنك فيه كثرةُ من يخاصم من الخلائق ، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، قال : فبكىٰ عمر بكاء شديداً ، ثم قال : ويحك! اردد علي كلامك هـٰذا ، قال : فجعل يردد عليه وعمر يبكي وينتحب ، ثم قضىٰ حاجته .

وعن رياح [بن عثمان بن حيان] ـ وكان على المدينة ـ قال : ما قدم علينا بريد لعمر بن عبد العزيز من الشام . . إلا بإحياء سُنَّة ، أو قسم مال ، أو أمر فيه خير .

وجاء رجل إلىٰ عمر بن عبد العزيز فقال : إني زرعت زرعاً ، فمرَّ به جيش من أهل الشام فأفسده ، فعوضه منه عشرة آلاف درهم .

وعن زياد قال : أتي إلىٰ عمر بن عبد العزيز بسارق ، فشكا إليه الحاجة ، فعزره ، وأمر له بعطاء .

وعن إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه قال : رأيت أبا بكر ابن حزم يعمل بالليل كعمله بالنهار ؛ لاستحثاث عمر بن عبد العزيز إياه .

وكتب عدي بن أرطاة إلىٰ عمر بن عبد العزيز : **أما بعد** : فإن قِبَلي ناساً من العمال ، قد

اقتطعوا من مال الله مالاً عظيماً ، لست أقدر على استخراجه من أيديهم إلا أن يمسهم شيء من العذاب ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك . . أفعل .

فكتب إليه عمر رحمه الله : أما بعد : فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر ، كأني لك جُنَّة من عذاب الله تعالىٰ ، وكأن رضائي ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر : فمن قامت عليه البينة . . فخذه بما قامت به عليه ، ومن أقرَّ لك بشيء . . فخذه بإقراره ، ومن أنكر . . فاستحلفه بالله عز وجل وخَلِّ سبيله ، فوالله ؛ لأن يلقوا الله تعالىٰ بجناياتهم . . أحبّ إلي من أن ألقى الله تعالىٰ بدمائهم .

وعن إبراهيم بن يزيد : أن عمر بن عبد العزيز خرج علىٰ حلقة من حرسه ـ وقد نهاهم قبل ذلك أن يقوموا له إذا خرج عليهم ـ قال : فوسعوا له ، فجلس .

وبعث عمر بن عبد العزيز بآل أبي عقيل أهل بيت الحجاج إلىٰ صاحب اليمن ، وكتب إليه :

أما بعد : فإني قد بعثت إليك بآل أبي عقيل ، وهم شر بيت في العرب ، ففرقهم في عملك علىٰ قدر هوانهم على الله عز وجل . وعلينا وعليك السلام .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عامل حمص : انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا ، فأعط كل رجل منهم مئة دينار ـ يستعينون بها علىٰ ما هم عليه ـ من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هـٰذا ؛ فإن خير الخير أعجله . والسلام عليك .

وكان عمرو بن قيس(١) وأسد بن وداعة(٢) فيمن أخذها .

وكتب عامل إفريقية إلىٰ عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب . . فكتب إليه : وما علىٰ أحدكم أن يقول إذا أمسىٰ وأصبح : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ، قال : وهي تنفع من البراغيث .

---

(١) عمرو بن قيس بن ثور ، أبو ثور السكوني ، شيخ أهل حمص ، قال إسماعيل بن عياش : أدرك سبعين صحابياً ، وولي إمرة الغزو لعمر بن عبد العزيز ، توفي سنة أربعين ومئة هجرية ، وقيل سنة خمس وعشرين ومئة رحمه الله . انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٣٢٢) .

(٢) أسد بن وداعة أبو العلاء ، من عباد أهل الشام وقرائهم ، قتل سنة ست وثلاثين ومئة هجرية ، رحمه الله تعالىٰ . انظر « مشاهير علماء الأمصار » (١١٣) .

وقال الفضيل بن عياض : بلغني : أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه ، فكتب إليه عمر : يا أخي ؛ أذكرك سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن يُنصَرَف بك من عند الله عز وجل ؛ فيكون آخر العهد ، وانقطاع الرجاء .

فلما قرأ الكتاب . . طوى الأرض حتىٰ قدم علىٰ عمر ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعتَ قلبي بكتابك ، لا أعود إلىٰ ولاية أبداً حتىٰ ألقى الله عز وجل .

وكتب إلىٰ بعض عماله :

أما بعد : فإذا دعتك قدرتك على الناس إلىٰ ظلمهم . . فاذكر قدرة الله عز وجل عليك ، ونفاد ما يأتي إليهم ، وبقاء ما يؤتىٰ إليك .

زاد في رواية :

واعلم : أنك لا تأتي إليهم أمراً . . إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك ، وأن الله سبحانه وتعالىٰ آخذ للمظلوم من الظالم ، فمهما ظلمت من أحدٍ . . فلا تظلمن من لا ينتصر عليك إلا بالله عز وجل . .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ فقهاء العراق أن يأتوه . . فاعتل الحسن بفتق في بطنه وكتب إليه :

يا أمير المؤمنين ؛ إن استقمتَ . . استقاموا ، وإن ملت . . مالوا ، يا أمير المؤمنين ؛ لو أن لك عمر نوح ، وسلطان سليمان ، ويقين إبراهيم ، وحكمة لقمان . . ما كان لك بد من أن تقتحم العقبة ، ومِنْ وراء العقبة الجنة والنار ، مَن أخطأتْه هـٰذه . . دخل هـٰذه . فلما أتاه الكتاب . . أخذه ووضعه علىٰ عينيه ، وقرأه ، وبكىٰ ، وقال : من لي بعمر نوح ، وسلطان سليمان ، ويقين إبراهيم ، وحكمة لقمان ؟ ولو نلت ذلك . . لم يكن لي بد أن أشرب بكأس الأولين .

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز . . دخل عليه سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب وهو مكتئب حزين ، فأقبل علىٰ أحدهما فقال له : عظني ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله سبحانه وتعالىٰ لم يجعل أحداً من خلقه فوقك ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحد من خلقه أطوع له منك ـ زاد في رواية : فلا ترض أن يكون أحد أولىٰ بالشكر منك ـ قال : فبكىٰ عمر رحمه الله حتىٰ غشي عليه ، ثم أفاق ، فقال : هيه يا أبا خالد! لم يرض أن يكون أحد فوقي ، فوالله ؛ لأخافنه خوفاً ، ولأحذرنه حذراً ، ولأرجونه رجاءً ، ولأحبنه محبةً ،

ولأشكرنه شكراً ، ولأحمدنه حمداً . . يكون ذلك كله غاية طاقتي ، ولأجتهدن في العدل ، والنصفة والزهد في فاني الدنيا ، والرغبة في باقي الآخرة ودوامها ، حتىٰ ألقى الله عز وجل ؛ لعلي أنجو مع الناجين ، وأفوز مع الفائزين ، ثم بكىٰ حتىٰ غشي عليه .

وقال له الآخر : اجعل الناس ثلاثاً : الكبير بمنزلة الأب ، والوسط بمنزلة الأخ ، والصغير بمنزلة الولد ، فبرَّ أباك ، وصِلْ أخاك ، واعطف علىٰ ولدك .

وكتب أبو حازم إلىٰ عمر بن عبد العزيز : اتق أن تلق محمداً صلى الله عليه وسلم وأنت بتبليغ الرسالة مصدق ، وهو عليك بسوء الخلافة في أمته شهيد .

وقال خالد بن صفوان : يا أمير المؤمنين ؛ إن قوماً غرهم ستر الله ، وفتنهم حسن الثناء ، فلا يغلبن جهلُ غيرك علمَك ، بل أنت أعلم بنفسك ، فاعمل بما تعرف من نفسك ، أعاذنا الله وإياك أن نكون بستر الله تعالىٰ مغرورين ، وبثناء الناس مفتونين ، وعما افترض علينا متخلفين ، وإلى الهوىٰ مائلين .

وقال عمر بن عبد العزيز لزياد[1] : يا زياد ؛ ما ترىٰ فيما ابتليتُ به من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا تُعمِل نفسك في الوصف ، وأَعمِل نفسك في المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة منك نطقت . . ما بلغت كُنْهَ ما أنت فيه ، ثم قال زياد : يا أمير المؤمنين ؛ أخبرني عن رجل له خصم أَلَدُّ ، ما حاله ؟ قال : سيء الحال ، قال : فإن كانا خصمين أَلَدَّين ؟ قال : ذاك أسوأ لحاله ، قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذلك حين لا يهنيه عيش ، قال : فوالله يا أمير المؤمنين ؛ ما أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا وهو خصم لك ، قال : فبكىٰ عمر حتىٰ تمنيت ألاَّ أكون قلت له .

وعن زياد مولى ابن عياش قال : دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز في ليلة شاتية ، وبين يديه كانون ، وعمر علىٰ كتابه ، فجلست أصطلي ، فلما فرغ من كتابه . . مشىٰ إلي حتىٰ جلس معي على الكانون وهو خليفة .

وعن نعيم قال : قلت لعمر بن عبد العزيز ورأيته قاعداً : يا أمير المؤمنين ؛ ما يقعدك هٰهنا ؟ قال : أنتظر ثيابي تغسل لأصعد بها المنبر ، فقلت : وما هي ؟ قال : قميص وإزار ورداء ، قيمتهن أربعة عشر درهماً .

---

(١) زياد بن أبي زياد ، مولىٰ عبد الله بن عياش ، من مشايخ وقته بدمشق ، كان يدخل علىٰ عمر بن عبد العزيز فيكرمه ، وكان متعبداً منعزلاً ، له دراهم يتقوت منها . انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/٤٥٦ـ٤٥٧) .

وفي رواية أخرىٰ : أَخَّر الجمعة يوماً عن وقته الذي كان يصلي فيه ، فقلت له : أخرت الجمعة عن وقتك ، فقال : إن الغلام ذهب بالثياب ليغسلها ، فحبسها ، فعرفنا أن ليس له غيرها .

وقال إسماعيل بن عياش : قلت لعمرو بن المهاجر صاحب حرس عمر : ما كان يلبس في بيته ؟ قال : جبة سوداء مبطنة .

وكان عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة فاخر الثياب ، يسرف في عطره ، ولقد كان يدخل في عطره حمل القرنفل ، ولقد رأيت العنبر علىٰ لحيته كالملح ، فلما أفضت إليه الخلافة . . ترك ذلك وتبذَّل .

قال : وأخبرني رياح بن عبيدة ، وكان تاجراً من أهل البصرة ، يعامل عمر بن عبد العزيز ، فأمره وهو بالمدينة أن يشتري له جبة خز ، قال : فاشتريتها بعشرة دنانير ، ثم أتيته بها ، فمسها ، وقال : إني لأستخشنها ، فلما ولي الخلافة . . أمرني ، فاشتريت له جبة صوف بدينار ، فأتيته بها ، فجعل يدخل يده فيها ، ويقول : ما ألينها! فقلت : عجباً تستخشن الخز أمسِ ، وتستَلْيِن الصوف اليوم ، قال : تلك حال ، وهـٰذه حال .

وقال عاصم : دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز وعليه ثياب ، فقوَّمتُها بستين درهماً .

وعن نعيم بن سلامة قال : دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز وهو يأكل ثوماً مسلوقاً بزيت وملح .

وقال مالك بن دينار : قال عمر بن عبد العزيز : ما تركت شيئاً من الدنيا . . إلا أعقبني في قلبي ما هو أفضل منه ـ يعني : من الزهد ـ وما أنعم الله علي في ديني أفضل .

وعن أبي أمية غلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال : دخلت يوماً علىٰ مولاتي ، فغدتني عدساً ، فقلت : كل يوم عدساً ؟ قالت : يا بني ؛ هـٰذا طعام مولاك أمير المؤمنين عمر .

وقال أحمد ابن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني وأبا صفوان يتناظران في عمر بن عبد العزيز وأويس القرني ، فقال أبو سليمان لأبي صفوان : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس ، فقال له : ولِمَ ؟ قال : لأن عمر مَلَكَ الدنيا فزهد فيها ، فقال له أبو صفوان : وأويس لو ملكها . . لزهد فيها مثل ما فعل عمر ، فقال أبو سليمان : لا تجعل من جرَّب كَمن لم يجرِّب ، إن من جرت الدنيا علىٰ يديه وليس لها في قلبه موقع . . أفضل ممن لم تجر علىٰ يديه وإن لم يكن لها في قلبه موقع .

وكان في دار عمر بن عبد العزيز درجة فيها لبنة تتحرك ، فكان كلما صعد أو نزل . . ارتاع منها ، فعمد مولىٰ له فشدها بطين ، فلما صعد عمر . . لم يرها ، فسأل عنها ، فقال له مولاه : رأيتك ترتاع منها فشددتها ، فقال له عمر : أعدها إلىٰ حالها ، فإني أعطيت الله عهداً إن وليت هٰذا الأمر . . أن لا أضع لبنة علىٰ لبنة ، ولا آجرة علىٰ آجرة .

وعن حفص بن عمر قال : احتبس عمر بن عبد العزيز غلاماً يحتطب عليه ويلقط له البعر ، فقال له الغلام : الناس كلهم بخير غيري وغيرك ، قال : اذهب فأنت حر .

وقال : ما أعطيت أحداً مالاً . . إلا وأنا أستقلُّه[1] ، وإني لأستحيي من الله تعالىٰ أن أسأله الجنة لأخ من إخواني وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة . . قيل لي : لو كانت الجنة بيدك . . كنت بها أبخل .

وقال نصيب[2] : دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز فقلت له : أنت عالم بانقطاعي إلىٰ أبيك ، فقال : إن ذلك لكذلك ، قلت : فتأذن لي في الإنشاد ، فقال : ما نحن علىٰ حال إنشاد ، فلم أزل أسأله حتىٰ أذن لي ، فأنشدته أبياتاً ، أولها :

أميرَ المؤمنين فدتك نفسي ... ومَن فوق التراب لك الفداءُ[3]

فلما أكملتها . . قال : يا مزاحم ؛ ما عندك من بقية غلتنا بالحجاز ؟ فقال : خمسون درهماً ، فقال : أعطه إياها ، قلت : يا أمير المؤمنين ؛ قد علفت راحلتي بأكثر من هٰذا ، فقال : أعطه ثياب الجمعة ، فأعطاني ثوبين أراهما مصريين .

وكان عمر يعجبه أن يتأدم بالعسل ، فطلب من أهله يوماً عسلاً ، فلم يكن عندهم ، ثم أتوه بعد ذلك بعسل ، فأكل منه ، فأعجبه ، فقال لأهله : من أين لكم هٰذا ؟ قالت امرأته : بعثت مولاي بدينارين علىٰ بغل البريد فاشتراه لي ، قال : أقسمت عليك لما أتيتيني به ، فأتته بعكة فيها عسل ، فباعها بأكثر من ثمنها ، وأعطىٰ زوجته رأس مالها ، وألقى الفاضل في بيت مال المسلمين ، وقال عمر مخاطباً نفسه : يا عمر ؛ أنصَبْتَ دواب المسلمين في شهوتك ؟

واشتهىٰ عمر تفاحاً ، فطلب ، فلم يوجد ، فقام رجل من أهل بيته ، فأهدىٰ إليه تفاحاً ،

---

(١) استقلُّه : أراه قليلاً .

(٢) نصيب : هو أبو محْجن الأسود الشاعر مولىٰ عمر بن عبد العزيز ، مدح عبد الملك بن مروان ، وشعره في الذُّروة ، تنسَّك ، وأقبل علىٰ شأنه وترك التغزل . « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٢٦٦ـ٢٦٧) .

(٣) انظر تمام الأبيات في « تاريخ ابن عساكر » (٦٢/ ٥٦) .

فلما وصل إليه . . قال : ما أطيب ريحه وأحسنه! ارفعه يا غلام ، وأقرىء فلاناً السلام ، وقل له : إن هديتك قد وقعت منا حيث تحب ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ؛ ابن عمك ، ورجل من أهل بيتك ، وقد بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، وكان أبو بكر وعمر يقبلان الهدية ، فقال عمر : إنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما هدية ، وللعمال بعدهم رِشوة .

وكان عمر يوماً ساكتاً وأصحابه يتحدثون ، فقالوا : ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟! قال : كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها ، ثم بكىٰ .

وكان يجمع الفقهاء ليالي ، فيذكرون الموت والقيامة والآخرة ، [ثم يبكون] حتىٰ كأن بين أيديهم جنازة .

وعن عبد الأعلى ابن أبي عبد الله قال : رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم جمعة في ثياب رثة ، ووراءه حبشي يمشي ، فلما انتهىٰ إلى الناس . . رجع الحبشي ، فكان عمر إذا انتهىٰ إلى الرجلين . . قال : هٰكذا رحمكم الله ، حتىٰ صعد المنبر ، فخطب ، فقرأ : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، فلما وصل إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ . . بكىٰ وأبكىٰ أهل المسجد ، حتى ارتجَّ المسجد بالبكاء ، حتىٰ رأيت حيطان المسجد تبكي معه .

وعن أبي زيد قال : رأيت عمر بن عبد العزيز رحمه الله على المنبر ما يستطيع أن يتكلم من شدة البكاء ، ولم يزل عمر يبكي حتىٰ بكى الدم .

زاد في رواية أخرىٰ : قال الأوزاعي : قد بلغنا عن داوود عليه الصلاة والسلام فمن دونه ، فما رأينا أحداً بكى الدم .

وعن مسلمة قال : بكت فاطمة حتىٰ عشي بصرها ، فقلت لها أنا وأخي هشام : ما هٰذا الأمر الذي دمت عليه ؟ أَعَلَىٰ شيء فاتك من الدنيا ؟ فها نحن بين يديك وأموالنا وأهلونا ، فقالت : إنما جزعت لمنظر رأيته منه ، فعلمت أن الذي أوجب له ذلك هول عظيم قد سكن قلبي معرفته ، فقلت : ما الذي رأيتِ ؟ قالت : رأيته ذات ليلة قائماً يصلي ، فأتىٰ علىٰ هٰذه الآية : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ ، فصاح : واسوء صباحاه! ثم وثب ، فسقط ، فجعل يخور ، حتىٰ ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم هدأ ، فظننت أنه قد قضىٰ ، ثم أفاق إفاقة ، فنادىٰ : يا سوء صباحاه! ثم وثب ، فجعل

يجول في الدار ، وجعل يقول : ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، قالت : فلم يزل كذلك حتىٰ طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت ، ثم أتاه الآذن للصلاة ، فوالله ؛ ما ذكرت ليلته تلك . . إلا غلبتني عيناي ، فلم أملك عبرتي .

ولما خرج من المدينة . . قال : يا مزاحم ؛ نخشىٰ أن نكون ممن نَفَتِ المدينة ، أشار بهٰذا إلىٰ قوله صلى الله عليه وسلم في صفة المدينة : « تنفي خبثها »[1] .

وكان عمر بن عبد العزيز يكثر أن يقول : اللهم ؛ سَلِّمْ سَلِّمْ .

وكان يقول : كيف يشبع رجل من الطعام والشراب ، وليس أحد من المشرق والمغرب يظلم بظلامة . . إلا كنت أنا صاحبه ؟

وقال عمر بن عبد العزيز : إني نظرت في أمري وأمر الناس ، فلم أر شيئاً خيراً من الموت ، قال عبد الله : يعني : لفساد الناس وما داخلَهم ، فقال لقاصه محمد بن قيس : ادع لي بالموت ، قال : فأبيت ، فأبىٰ علي ، قال : فدعوت له ، وعمر رافع يديه يؤمن علىٰ دعائي ، وهو يبكي ، وقد حضر ابن له صغير ، فلما رأىٰ عمر يبكي . . بكىٰ ، فقال عمر : وهٰذا معنا ، فدعوت بذلك أيضاً ، قال : يقول محمد بن قيس : واستحييت ، فدعوت لنفسي معهم بالموت ، قال : فعلم الله عز وجل الصدق من عمر ، فلم يلبث إلا قليلاً حتىٰ مات رحمه الله ، ومات ابنه ، وبقي محمد بن قيس بعد ذلك .

وكان يقول في دعائه : اللهم ؛ إن لم أكن أهلاً أن أَبلُغ رحمتك . . فإن رحمتك أهل أن تبلُغني ، رحمتك وسعت كل شيء ، وأنا شيء ، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم به ، وعملوا في الذي له خلقتهم ، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ إن رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم ، وانتهوا عما نهيتهم .

اللهم ؛ وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفقني لما وفقتهم له .

اللهم ؛ أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم ؛ أهلك من كان في هلاكه صلاح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال غالب القطان : أخبرني من رأىٰ عمر بن عبد العزيز واقفاً بعرفة ، وهو يقول ويدعو بأصبعه هٰكذا ـ يعني : يشير بها ـ ويقول :

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٤) ، ومسلم (١٣٨٣) .

اللهم ؛ زد محسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم إحساناً ، وأرجع مسيئهم إلى التوبة .

ثم يقول هٰكذا ، ثم يشير بأصبعه :

اللهم ؛ وحط من أوزارهم برحمتك .

اللهم ؛ سلم لي ديني ، ومُنَّ علي بطاعتك ورضاك ، وترك ما لا يعنيني . يرددها حتىٰ غربت الشمس .

اللهم ؛ إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الشرك ، فاغفر لي ما بينهما .

وكان كلما نظر إلىٰ نعمة من نعم الله سبحانه وتعالىٰ عليه . . يقول : اللهم ؛ إني أعوذ بك أن أبدل نعمة كفراً ، وأن أكفرها بعد معرفتها ، وأن أنساها فلا أثني عليك بها .

وكان يقول : لقد تركتني هٰذه الدعوات وما لي في شيء من الأمور كلها أربٌ . . إلا مواقع قدر الله .

وكان يكثر من الدعاء بهٰذه : اللهم ؛ رضني بقضائك ، وأوزعني شكر نعمائك ، وبارك لي في قضائك وقدرك ، حتىٰ لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت .

وكان يقول : لولا سنة أحييها أو بدعة أميتها . . لم أبال ألاَّ أبقىٰ في الدنيا فواقاً .

وكان يقول : أيم الله ؛ إني لأقول هٰذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، وأستغفر الله وأتوب إليه .

وكان يقول : ليس تقوى الله عز وجل بصيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولٰكن تقوى الله ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً . . فهو خير إلىٰ خير .

وخطب الناس فقال : أيها الناس ؛ لا يبعدن عليكم ولا يطولن يوم القيامة ؛ فإن من وافته منيته . . فقد قامت قيامته .

وقال : أيها الناس ؛ إنما يراد الطبيب للوجع الشديد ، ولا وجع أشد من الجهل ، ولا داء أخبث من الذنوب ، ولا خوف أخوف من الموت ، ثم نزل .

وكتب إلىٰ بعض أصحابه : إن استطعت أن تحيي ليلة النحر . . فإنها ليلة العابدين .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ : لم تكن إضاعتها أن تركوها ، ولـٰكن أضاعوا المواقيت .

وكان يقول : إن الله عز وجل لا يعذب العامة بذنب الخاصة ، ولـٰكن إذا عُمِل المنكرُ جهاراً . . استحقوا العقوبة كلهم .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إن الله سبحانه وتعالىٰ لم ينعم علىٰ عبده نعمة فحمد الله عليها . . إلا كان حمده أفضل من نعمه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۞ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ، وأيُّ نعمة أفضل من دخول الجنة ؟!

وقال عمر بن عبد العزيز : لما أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم عليه وعليهم الصلاة والسلام . . كان أول من سجد له إسرافيل ، فأثابه الله عز وجل أن كتب القرآن في جبهته .

وتذاكروا عند عمر بن عبد العزيز الزهاد ، فقال قائلون : فلان ، وقال قائلون : فلان ، فقال عمر بن عبد العزيز : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقال : ينبغي أن يكون في القاضي خمس خصال : [أن يكون] عالماً فهماً ، عالماً بما مضت عليه السنة ، حليماً ذا أناة ، عفيفاً ، مشاوراً ، فإذا اجتمع ذلك في القاضي . . كان قاضياً ، وإن نقص منهن شيئاً . . كان وصماً فيه .

وقال : ما يسرني لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا ؛ لأنهم لو لم يختلفوا . . لم يكن رخصة .

وكان إذا عرض أمر يكرهه . . يقول : مقدر ما كان وعسىٰ أن يكون فيه خير .

وقال : احذروا المراء ؛ فإنه لا تؤمن فتنته ، ولا تفهم حكمته .

ورویٰ بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لرجل في حاجة أكثر الدعاء فيها ، أُعطيها أو مُنعَها »(١) .

وكان يقول : أيها الناس ؛ قيدوا النعم بالشكر ، والعلم بالكتاب .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٢/ ٥٠) .

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : أخبروني عن أحمق الناس ، قالوا : رجل باع آخرته بدنياه ، فقال عمر : ألا أنبئكم بأحمق منه ؟ قالوا : بلىٰ ، قال : رجل باع آخرته بدنيا غيره .

وقال : الفقه الأكبر . . القناعة ، وكف الأذىٰ .

وتكلم رجل فأحسن ، فقال : هـٰذا ـ والله ـ السحر الحلال .

وقال : وجدت لقاء الرجال تلقيحاً لألبابهم .

وقال عمر : إذا وافق الحق الهوىٰ . . فهو ألذ من الشَّهْد .

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز رحمه الله : قمت في جوف الليل ، فانتبه لي عمر ، فقال : لقد رأيت رؤيا معجبة ، قالت : قلت : جعلت فداك ، فأخبرني بها ، قال : ما كنت لأخبرك بها حتىٰ أُصبِح ، قالت : فلما طلع الفجر . . جاءه آذنه بالصلاة ، فخرج ، فصلىٰ بالناس ، ثم عاد إلىٰ مجلسه ، قالت : فاغتنمت خلوته ، فقلت : أخبرني بالرؤيا التي رأيت ، قال : رأيت فيما يرى النائم : كأني دفعت إلىٰ أرض خضراء واسعة ، كأنها بساط أخضر ، وإذا فيها قصر أبيض كأنه الفضة ، أو كأنه اللبن ، وإذا خارج قد خرج من ذلك القصر يهتف بأعلىٰ صوته : أين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ إذ أقبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر ، فنادىٰ : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل حتىٰ دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر ، فنادىٰ : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل حتىٰ دخل القصر ، ثم خرج آخر ، فنادىٰ : أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل حتىٰ دخل القصر ، ثم خرج آخر ، فنادىٰ : أين علي بن أبي طالب ؟ قال : فأقبل حتىٰ دخل القصر ، ثم إن آخر خرج ، فنادىٰ : أين عمر بن عبد العزيز ؟ فقمت حتىٰ دخلت القصر ، قال : فدُفعت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم حوله ، فقلت في نفسي : أين أجلس ؟ فجلست إلىٰ جنب عمر ، فنظرت ، فإذا أبو بكر عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا بعمر عن يساره صلى الله عليه وسلم ، فتأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر رجل آخر ، فقلت[1] : من هـٰذا الرجل الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر ؟ قال : هـٰذا عيسى ابن مريم ، فسمعت هاتفاً يهتف وبيني وبينه حجاب من نور : يا عمر بن

---

(١) في « سيرة عمر بن عبد العزيز » : (فقلت : أي أبتي لعمر بن الخطاب من هـٰذا الرجل) .

عبد العزيز ؛ تمسك بما أنت عليه ، واثبت علىٰ ما أنت عليه ، قال : ثم كأنه أذن لي بالخروج ، فقمت ، فخرجت من ذلك القصر .

وتناول الوليد بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بلسانه ، فرد عليه عمر ، فغضب الوليد من ذلك غضباً شديداً ، وأمر بعمر ، فعُدِل به إلىٰ بيت فحبس فيه ، قال راشد : فحدثني [أبي زفرُ] مولىٰ مسلمة ، عن مسلمة ، عن أخته فاطمة أن عمر مكث ثلاثاً لا يدخل عليه أحد ، ثم أمر بإخراجه إن وجد حياً ، قالت : فأدركناه وقد زالت رقبته شيئاً ، فلم نزل نعالجه حتىٰ صار إلى العافية ، ثم قلت له يوماً : قد عرفت الوليد وعَجَلَتَهُ ، فلو داريته بعض المداراة ، فقال : أحدثك ـ يا فاطمة ـ حديثاً ، فاكتميه ما دمت حياً ؟ قلت : نعم ، قال : إنه لما حبسني الوليد . . أتاني تلك الليلة آت في منامي ، فقال لي :

ليس للعلم في الجهالة حظ إنما العلم ظُرفُهُ الإغضاءُ[1]

قال : فرفعت طَرْفي إلى القائل ؛ فإذا هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : فسلمت عليه في منامي ، فقال لي : إن الوليد جاهل بالعلم بأمر الله عز وجل مع ما حرمه من ذلك ؛ ليبين فضل نعمة الله عليك في العلم بأمر الله عز وجل علىٰ كثير ممن جهله ؛ فإنه أحرىٰ وأجدر ألاَّ يُتركا جميعاً ، قالت : قال عمر : فوالله ـ يا فاطمة ـ ما أكاد أغضب . . إلا كأني أنظر إلىٰ عبيد الله بن عبد الله يخاطبني تلك المخاطبة .

وعن محمد بن نضر الحارثي ، عن مسلمة بن عبد الملك قال : رأيت عمر بن عبد العزيز في المنام بعد موته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ليت شعري إلىٰ أي الحالات صرت بعد الموت ؟ قال : يا مسلمة ؛ هٰذا أوان فراغي ، والله ؛ ما استرحت . . إلا الآن ، قال : فقلت : فأين أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنا مع أئمة الهدىٰ في جنات عدن .

وعن علي بن حصن قال : شهدت عمر بن عبد العزيز قد تتابعت عليه مصائب ، مات أخ له ، ثم مات مزاحم ، ثم مات ابنه عبد الملك ، فلما مات عبد الملك . . حمد الله ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : لقد دفعته إلى النساء في الخرق ، فمازلت أرىٰ فيه السرور وقرة العين إلىٰ يوم اليأس منه هٰذا اليوم ، فما رأيت فيه أمراً قط أقر لعيني من أمر رأيته فيه اليوم .

زاد في رواية : اللهم ؛ إنك قد علمت ما كان من عونهم ومعونتهم إياي ، فأخذتَهم ، فلم يزدني ذلك إلا حباً ، ولا إلىٰ ما عندك إلا شوقاً ، ثم رجع إلىٰ مجلسه .

---

(١) كذا في « سيرة عمر بن عبد العزيز » ، وفيما لدينا من النسخ : (طرفة الإغضاء) .

وعن سليمان بن أرقم : أن عمر بن عبد العزيز قال لأبي قلابة : إذا غسلته وكفنته. . فآذنّي قبل أن تغطي وجهه ، ففعل ، فنظر إليه ، فقال : رحمك الله ـ يا بني ـ وغفر لك .

زاد في رواية : أنه قال : فاتقوا الله ، واعملوا ليوم : ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ .

وعن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما لي في الأمور هوىٰ سوىٰ مواقع قضاء الله عز وجل فيها .

وفي رواية : ما كنت علىٰ حال من حالات الدنيا فسرني أني علىٰ غيرها .

ومن أولاده : عبد العزيز ، وقد أسند الحديث .

روىٰ عبد العزيز عن صالح بن كيسان ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم خرج من بيته يريد سفراً أو غيره فقال حين خرج : باسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. . إلا رزق خير ذلك المخرج ، وصرف عنه شره »[1] .

وروىٰ عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلىٰ بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم. . رفعتا في عليين »[2] .

وقال عمر[3] : كنت أحب لقاء الزهري ، فرأيته في النوم ، فقلت له : يا أبا بكر ؛ هل من خاصة دعوة ؟ قال : قل : لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، توكلت على الحي الذي لا يموت ، اللهم ؛ إني أسألك العافية ، وأسألك أن تعيذني وذريتي من الشيطان الرجيم .

ومن أولاده : عبد الله ، ولي الكوفة .

وعن أسامة بن زيد ، عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال : جئت إلىٰ أبي وهو خليفة ، فقلت : اكسني ، فقال : اذهب إلىٰ فلان ؛ فإن لي عنده أثواباً ، فخذ منها ما بَدا لك ، قال : فلما جئت إليه. . أخرج إليَّ ثياباً غلاظاً ، فقال : هـٰذا الذي عندي لأمير المؤمنين ، قال : فرجعت إلىٰ أبي وقلت له : هـٰذه الثياب ليست من ثيابي ولا ثياب قومي ، فقال : هـٰذا الذي لنا عند الرجل ، قال : فلما انصرفت. . ناداني فقال : هل لك أن أسلفك

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٦٥) .

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق (٣/ ٧٠) .

(٣) كذا في النسخ ، وفي « سيرة عمر » : (وعن عبد العزيز بن عمر) .

من عطائك مئة درهم ؟ قلت : نعم ، فأسلفني ، فلما خرج عطائي . . حوسبت بها .

وقال عمر بن عبد العزيز للزهري : ما أعلمك تعرض علي شيئاً . . إلا وقد مرَّ علىٰ مسامعي ، إلا أنك أوعىٰ له مني .

وقيل لفاطمة امرأة عمر : ما ترين بَدْءَ مرضه الذي مات فيه ؟ قالت : أرىٰ جل ذلك ـ أو بدأه ـ الخوف .

وعن عبد الحميد بن سهيل قال : رأيت الطبيب قد خرج من عند عمر بن عبد العزيز ، فقلت له : رأيت بوله اليوم ؟ قال : ما ببوله إلا الهم بأمر الناس .

قال ابن سعد : وقال ابن لهيعة : وجدوا في بعض الكتب تقتله خشية الله عز وجل .

وقال محمد بن قيس : أول مرضه : اشتكىٰ لهلال رجب سنة إحدىٰ ومئة ، فكان شكواه عشرين يوماً .

وقال في مرضه ـ وكان قد سقي السم ـ : اللهم ؛ خِر لعمر في لقائك ، قال : فلم يلبث إلا أياماً حتىٰ مات .

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلىٰ ولي العهد من بعده :

بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلىٰ يزيد بن عبد الملك ، السلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـٰه إلا هو .

أما بعد : فإني كتبت إليك وأنا دنف من وجعي ، وقد علمت أني مسؤول عما وليت ، يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة سبحانه وتعالىٰ ، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً ؛ يقول الله تعالىٰ فيما يقول : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ ، فإن رضي عني الرحيم . . فقد أفلحت ونجوت من الهول الطويل ، وإن سخط علي . . فيا ويح نفسي إلىٰ ما أصير! أسأل الله ـ الذي لا إلـٰه إلا هو ـ أن يجيرني من النار برحمته ، وأن يَمُنَّ علي برضوانه والجنة ، وعليك بتقوى الله ، والرعيةَ الرعية ؛ فإنك لن تبقىٰ بعدي إلا قليلاً حتىٰ تلحق باللطيف الخبير . والسلام .

زاد في رواية : إياك أن تدركك الصرعة عند الغِرَّة ، فلا تقال العثرة ، ولا تُمَكَّن من الرجعة ، ولا يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدُم عليه بما اشتغلت به عنه سبحانه وتعالىٰ .

وفي رواية : إن سليمان بن عبد الملك استخلفني وبايع بعدي ليزيد بن عبد الملك ، ولو

كان الذي أنا فيه لاتخاذ أزواج أو جمع أموال . . كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحد من خلقه ، ولـٰكني أخاف حساباً شديداً ، ومساءلةً لطيفةً ، إلا ما أعان الله عليه ، ثم قال : لو كان لي أن أعهد . . ما عدوت أحد رجلين : إسماعيل بن عمرو ، أو القاسم بن محمد .

أما إسماعيل بن عمرو : فإنه ابن سعيد بن العاص ، كان له فضل كثير ، وكان يسكن شرقي المدينة ، علىٰ بضعة عشر ميلاً .

ودخل مسلمة بن عبد الملك علىٰ عمر بن عبد العزيز في مرضه فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ألا توصي ؟ قال : وهل من مال أوصي فيه ؟ فقال مسلمة : هـٰذه مئة ألف أبعث بها إليك فأوصِ فيها ، فقال له عمر : أو غير ذلك يا مسلمة ؟ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : تردها من حيث أخذتها ، فبكىٰ مسلمة وقال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ، لقد ألنت منا قلوباً قاسية ، وزرعت في قلوب الناس لنا مودة ، وأبقيت لنا في الصالحين ذِكراً ، قال مسلمة : فأوصِ إلي ببنيك ، فقال عمر : أوصي بهم إلى الله عز وجل ، الذي نزَّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين .

وقال عمر : لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، فمات لها عمر لعشر ليال بقين من رجب ، سنة إحدىٰ ومئة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهراً ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، ومات بدير سمعان من أرض المعرة من أعمال قنسرين[١] ، وقبره هناك معروف يزار .

وقال يوسف بن ماهك : بينا نحن نسوي التراب علىٰ قبر عمر بن عبد العزيز ؛ إذ سقط علينا رق[٢] من السماء فيه كتاب : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، أمان من الله تعالىٰ لعمر بن عبد العزيز من النار .

وعن خالد الربعي قال : مكتوب في التوراة : إن السماء والأرض تبكي علىٰ عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً .

ولما بلغ الحسنَ رحمه الله موتُ عمر بن عبد العزيز . . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون يا صاحب كل خير .

---

(١) بلدة بالشام في الجنوب الغربي من مدينة حلب ، وإليها ينسب أحد أبواب حلب ، فتحها المسلمون سنة (١٧هـ) ، وتدعى الآن بـ(العيس) .

(٢) الرَّق : ما يكتب فيه ، وهو جلد رقيق .

وعن وهيب بن الورد قال : بلغنا : أن عمر بن عبد العزيز لما توفي . . جاء الفقهاء إلىٰ زوجته يعزونها ، فقالوا لها : جئناك لنعزيك بعمر ؛ فقد غمرت مصيبته الأمة ، فأخبرينا ـ رحمك الله ـ عن عمر كيف كانت حالته في بيته ؛ فإن أعلم الناس بالرجل أهله ، فقالت : والله ؛ ما كان عمر بأكثرهم صلاةً ولا صياماً ، ولـٰكني ـ والله ـ ما رأيت عبداً قط كان أشد خوفاً لله عز وجل من عمر ، والله ؛ إن كان ليكون بالمكان الذي ينتهي إليه سرور الرجل بأهله ، وبيني وبينه لحاف ، يخطر علىٰ قلبه الشيء من أمر الله ، فينتفض كما ينتفض العصفور طائراً إذا وقع في الماء ، ثم ينشج ، ثم يرتفع بكاؤه ، حتىٰ أقول : والله لتخرجن نفسه الساعة ، فأطرح اللحاف عني وعنه ؛ رحمة له وأنا أقول : يا ليتنا كان بيننا وبين هـٰذه الإمارة بُعْدَ المشرقين ، فوالله ؛ ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

ثم روىٰ أبو الفرج ـ رحمه الله ـ بإسناده : أن الخليفة المنصور قال لعبد الرحمـٰن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين : عظني ، قال : بما رأيتُ أو بما سمعتُ ؟ قال : بما رأيت ، قال : مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله وخلف أحد عشر ابناً ، وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً ، كفن منها بخمسة دنانير ، واشتري له موضع قبره بدينارين ، وأصاب كل واحد من ولده تسعة عشر درهماً ، ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابناً ، أصاب كل واحد من تركته ألف ألف .

ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد علىٰ مئة فرس في سبيل الله عز وجل ، ورأيت رجلاً من ولد هشام يُتصدَّق عليه ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم ، ورضي الله عنه ، ونفعنا الله بمحبته ، إنه قريب مجيب . انتهىٰ [« سيرة عمر بن عبد العزيز » ١١/٣٦١] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : وبلغ عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن ابناً له اشترىٰ فصّاً بألف درهم وتختم به ، فكتب إليه : عزيمة مني عليك لَمَا بعت الفص ، وتصدقت بثمنه ، واشتريت فصّاً بدرهم ، ونقشت عليه : رحم الله امرءاً عرف نفسه . والسلام .

وكتب إلىٰ عامله علىٰ فلسطين عبد الله بن عوف : اركب إلى البيت الذي يقال له : المكس[1] ، فاهدمه ، ثم احمله إلى البحر ، وانسفه في اليم نسفاً .

وكتب الحجبة إلىٰ عمر بن عبد العزيز أن يأمر للبيت العتيق بكسوة ، كما كان يفعل مَن

---

(١) هو المكان الذي تجبىٰ إليه الضرائب وما شابهها .

قبله ، فكتب إليهم : إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة ؛ فإنه أولىٰ بذلك .

وقال مبشر : عن نوفل ابن أبي الفرات قال : كنت عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، فكنت أختم علىٰ بيادر أهل الذمة ، فجاءني كتاب عمر بن عبد العزيز ألاَّ تفعل ؛ فإنه بلغني أنها كانت من صنائع الحجاج ، وأنا أكره أن أتأسَّىٰ به .

ولما مات عبد الملك بن عمر . . كتب إلى الأمصار ، ينهىٰ أن يُناح عليه .

وكتب : إن الله عز وجل أحب قبضه ، وأعوذ بالله أن أخالف محبته .

وكتب إلىٰ عدي بن أرطاة : أما بعد : فإنك لن تزال تُعني إلي رجلاً من المسلمين في الحر والبرد ، تسألني عن السُّنَّة ، كأنك إنما تعظمني بذلك ، وايم الله ؛ لحسبك بالحسن ، فإذا أتاك كتابي هـٰذا . . فسل الحسن لي ولك وللمسلمين ، فرحم الله الحسن ؛ فإنه من الإسلام بمنزل ومكان ، ولا تقرئنه كتابي هـٰذا .

وكتب إلىٰ عامل له : الزم الحَق . . ينزلك الحق منازل أهل الحق ، يوم لا يقضىٰ بين الناس إلا بالحق ، ولتخف يداك عن[1] دماء المسلمين ، وبطنك عن أموالهم ، ولسانك عن أعراضهم .

وكان صالح بن عبد الرحمـٰن وصاحب له قد ولاهما عمر شيئاً من أمر العراق ، فكتبا إلىٰ عمر يعرضان له أن الناس لا يصلحهم إلا السيف ، فكتب إليهما : خبيثين من الخبث ، رديين من الرديٰ ، يعرضان لي بدماء المسلمين ، ما أحد من الناس . . إلا ودماؤكما أهون علي من دمه .

وكتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلىٰ عمر بن عبد العزيز ـ وكان عامله على المدينة ـ : إن أشياخاً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ، ولم يبلغوا الشرف من العطاء ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يبلغ بهم الشرف من العطاء . . فعل ذلك ، وإن مَن كان قبلي من أمراء المدينة كان يُجرىٰ عليهم رزق في شمعة ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر لي برزق في شمعة . . فعل ، وإن بني عدي بن النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهدم مسجدهم ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر لهم ببنائه . . فعل ، فأجابه رحمه الله عن الثلاث صحائف بجواب واحد : أما الأشياخ الذين ذكرت من الأنصار . . فإنما الشرف شرف الآخرة ، فلا أعرف ما كتبت إلي في مثل هـٰذا ، وأما الرزق في شمعة . . فلعمري يابن

---

(١) في « الحلية » : (ولتجف يداك من) .

حزم ؛ لطالما مشيتَ إلىٰ مصلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظلام لا يُمشىٰ بين يديك بالشمع ، ولا يوجف خلفك أبناء المهاجرين والأنصار ، فارض لنفسك اليوم ما كنت ترضىٰ به قبل اليوم ، وأما مسجد بني النجار . . فقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا ، ولم أضع حجراً علىٰ حجر ، ولا لبنة علىٰ لبنة ، فإذا أتاك كتابي هـٰذا . . فابنه لهم بلَبِنٍ بناء مقتصداً . والسلام .

وكتب إليه أن يقطع له شيئاً من القراطيس مثل الذي كان يقطعه سليمان ابن عبد الملك لمن كان قبله ، فكتب إليه : قد أقطعت لك دون ما كان يقطع لمن قبلك ، فأدق قلمك ، وقارب بين أسطرك ، واجمع حوائجك ؛ فإني أكره أن أخرج شيئاً من أموال المسلمين فيما لا ينتفعون به .

وقال عمر بن عبد العزيز يوماً : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقرة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض ـ والله ـ جَوراً .

وكتب : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ خاقان وقومه ، ثبت السلام علىٰ أولياء الله سبحانه .

وكتب إلىٰ خُزَّان ـ مُتَوَلِّي ـ بيوت الأموال : إذا أتاكم الضعيف بالدينار ، ولا يَنْفُقُ عنه . . فأبدلوه من بيت المال .

وقال : ادرؤوا الحدود ما استطعتم في كل شبهة ؛ فإن الوالي إن أخطأ في العفو . . خَير من أن يتعدىٰ في العقوبة .

وقام عمر بن عبد العزيز إلىٰ قائلته يوماً ، فجاء رجل بيده طُومَار ، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين ، وخاف الرجل ألاَّ يصل إليه ، فرماه بالطومار ، فالتفت أمير المؤمنين ، فأصابه في وجهه ، فشجه ، فسال الدم علىٰ وجهه وهو في الشمس ، فقرأه ، ولم يلُمْهُ ، وأمر بقضاء حاجته ، وخلىٰ سبيله .

وكتب إلىٰ بعض عماله : أنِ افدِ أسراء المسلمين بمهما أمكن ، وإن أحاط ذلك بجميع مالهم .

وكان يقول : وايم الله ؛ لو أني أعلم أنه يسوغ لي فيما بيني وبين الله تعالىٰ أن أخليكم وأمركم هـٰذا ، وألحق بأهلي . . لفعلت ، ولـٰكني أخاف ألاَّ يسوغ ذلك .

وقال : قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام : إلـٰهي ؛ ما الذي يخلصني من عقابك ،

ويبلغني رضوانك ، وينجيني من سخطك ؟ قال : الاستغفار باللسان ، والندم بالقلب ، والترك بالجوارح .

وقال عمر بن عبد العزيز : ذِكر الله عز وجل حسن عظيم ، والفكر في نعم الله سبحانه وتعالىٰ أفضل العبادة .

وقال عمر لبنيه[1] : كيف أنتم إذا أنا وليت كل رجل منكم جنداً ؟ فقال ابنه : لِمَ تعرض علينا أمراً لا تريد أن تفعله ؟ قال : أترون بساطي هـٰذا ؟ إنه لصائر إلىٰ بِلًىٰ ، وإني أكره أن تُدنِّسوه بخفافكم ، فكيف أرضىٰ لنفسي أن تدنسوا عليَّ ديني ؟!

وكتب إلىٰ عماله : احتبسوا الأشغال عند حضور الصلوات ، فمن أضاعها . . فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشد تضييعاً .

وقال : لولا أخشىٰ أن تكون بدعة . . لحلفت ألاَّ أفرح بشيء من أمر الدنيا أبداً حتىٰ أعلم ما في وجوه رسل ربي لي عند الموت ، وما أحب أن يهون علي الموت ؛ لأنه آخر ما يؤجر عليه المؤمن .

واشترىٰ جارية أعجمية فقالت : أرى الناس فرحين ، ولا أرىٰ هـٰذا يفرح ، فقال : ما تقول لكع ؟ فأخبر بما قالت ، فقال : ويحها! حدثوها أن الفرح في الدار الآخرة .

ولما بلغ محارب بن دثار موتُ عمر بن عبد العزيز . . دعا كاتبه فقال : اكتب ، فكتب : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، فقال : امحه ، فإن الشعر لا يكتب فيه بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، قال : ثم رثاه بأبيات[2] .

وقال رجاء بن حيوة : قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة اثنا عشر درهماً . . .

---

(١) في بعض الروايات : أن المقول لهم بنو مروان ، والله أعلم .

(٢) الأبيات كما ذكرها الحافظ أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٢١) :

لو أعظم الموت خلقاً أن يواقعه ... لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريعة حق قد نعشت لها ... كادت تموت وأخرىٰ منك تنتظر
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي ... على العدول التي تغتالها الحفر
ثلاثة ما رأت عيني لهم شبهاً ... تضم أعظمهم في المسجد الحفر
وأنت تتبعهم لا زلت مجتهداً ... سقيا لها سنن بالحق تقتفر
لو كنت أملك والأقدار غالبة ... تأتي رواحاً وتبياتاً وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه ... بدير سمعان لكن يغلب القدر

فذكر قميصه ، ورداءه ، وقباءه ، وسراويله ، وعمامته ، وقلنسوته ، وخفيه .

وكان يلبس الفرو الغليظ ، وكان سراجه علىٰ ثلاث قصبات فوقهن طين .

وعن رياح بن عبيدة قال : كنت أَتَّجِرُ ، فقال لي عمر بن عبد العزيز : يا رياح ؛ اتخذ لي كساءين ، أحدهما خزاً أتخذه محبساً ، والآخر شعاراً ، قال : ففعلت ، فصنعتهما بالبصرة بأربع مئة أو نحوها ، ثم قدمت بهما ، فأمر بأخذهما ، فلما أصبح . . غدوت عليه ، فقال لي : يا رياح ؛ ما أجود ثوبيك لولا خشونة فيهما! فلما ولي . . قال لي : يا رياح ؛ اتخذ لي من هٰذه الجباب الهروية ، واجعل فيهن قطناً يسيراً ، قال : فاشتريت له ثلاث شقاق ، وقطعت له من الثلاث جبتين ثمنهما اثني عشر درهماً ، ثم أتيته بهما ، فأخذهما ، وقال لي : يا رياح ؛ ما أجود ثوبيك لولا لين فيهما! فذكرت قوله الأول وقوله الآخر . أو كما قال .

وعن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه قال : دخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز وعنده كاتب يكتب ، وشمعة تزهر ، وهو ينظر في أمور المسلمين ، فلما فرغ الكاتب وخرج . . أطفئت الشمعة ، وجيء بسراج إلىٰ عمر ، فدنوت منه ، فرأيت عليه قميصاً فيه رقعة قد طبق ما بين كتفيه ، قال : فنظر في أمري .

وقال له شخص : أبقاك الله يا أمير المؤمنين ما دام البقاء لك خيراً ، فقال : قد فرغ من ذا ، ولٰكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفاك مع الأبرار .

وعُرض عليه مسك[1] ، فلما فاحت رائحته . . جعل عمر كمه علىٰ أنفه ، ثم أمر برفعه ، وقال : إنما يُستمتع من هٰذا برائحته .

وكان عنده سرير النبي صلى الله عليه وسلم ، وعصاه ، وقدح ، وجفنة ، ووسادة حشوها ليف ، وقطيفة ، ورداء ، فكان إذا دخل عليه النفر من قريش . . قال لهم : هٰذا ميراث من أكرمكم الله تعالىٰ به ، وأعزكم به ، وهو سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم . أو كما قال .

وقيل له : جزاك الله عن الإسلام خيراً ، فقال : بل جزى الله الإسلام عني خيراً .

وقال : كانت لي نفس تواقة ، وكنت لا أنال منها شيئاً . . إلا تاقت إلىٰ ما هو أعظم منه ، فلما بلغت نفسي الغاية . . تاقت إلى الآخرة .

---

(١) من بيت مال المسلمين .

وعن رجاء بن حيوة قال : سمرت ليلة عند عمر بن عبد العزيز ، فاعتل السراج ، فذهبت أقوم لأصلحه ، فأمرني عمر بالجلوس ، ثم قام ، فأصلحه ، ثم عاد فجلس ، فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز ، ولؤم بالرجل استخدام ضيفه .

وقال محمد بن كعب : لما استُخلف عمر بن عبد العزيز . . بعث إلي وأنا بـالمدينة ؛ فقدمت عليه ، فلما دخلت عليه . . جعلت أنظر إليه نظراً لا أصرف بصري عنه تعجُّباً ، فقال : يابن كعب ؛ إنك لتنظر إلي نظراً ما كنت تنظره ، قال : قلت : تعجُّباً ، قال : فيم تعجُّبُك ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ؛ تعجُّبي مما حال من لونك ، ونَحِل من جسمك ، ومن خشونة ملبسك ، فقال : كيف لو رأيتني بعد ثلاث ، وقد دليت في حفرتي ، وسالت حدقتاي علىٰ وجنتي ، وسال منخري صديداً ودماً . . كنتَ أشد نَكرة ، ثم قال لي : حدثنا حديثك عن ابن عباس . . . فذكره[1] .

ودخل مسلمة بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنك أفقرت أولادك ، فتركتهم عَيلىٰ لا شيء لهم ، فلو أوصيت بهم إلي أو إلىٰ نظرائي من أهل بيتك ، فقال : أسندوني ، أسندوني ، ثم قال : أمَّا قولك أني أفقرتهم من هـٰذا المال . . فإني ـ والله ـ ما منعتهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم ما ليس لهم ، وأمَّا قولك : لو أوصيت بهم إلي أو إلىٰ نظرائي . . فإن وصيي ووليي فيهم الله ، الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، بَنِيَّ أحد رجلين : إما رجل يتقي الله سبحانه وتعالىٰ . . فسيجعل الله له مخرجاً ، وإما رجل مكب على المعاصي . . فإني لم أكن لأقوِّيه علىٰ معصية الله عز وجل .

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ولداً ، قال : فنظر إليهم ، وذرفت عيناه وبكىٰ ، ثم قال : بنفسي الفتية الذين تركتهم عيلىٰ لا شيء لهم ، بلىٰ بحمد الله قد تركتهم بخير ، أي بَنِيَّ ؛ إنكم لم تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين . . إلا أن لكم عليه حقاً ، أي بَنِيَّ ؛ إن أباكم مَثَّل نفسه بين أمرين ، بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، وبين أن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة . . أحب إلي من أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، قوموا عصمكم الله تعالىٰ .

ولما احتُضِر عمر . . سأل الذي كان يلي نفقته فقال له : كم عندك من المال ؟ فقال : أربعة عشر ديناراً ، قال : فقال : تحتملوني بها من منزل إلىٰ منزل .

---

(١) حديث ابن عباس أخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٠) ، وعبد بن حميد (٢٢٥) .

وقيل لولده بعد موته : كم ترك من الغلة ؟ قال : ترك غلة ست مئة دينار ، ورثناها عنه ، وثلاث مئة ورثناها عن أخينا عبد الملك[1] ، وكنا اثنا عشر ذَكراً وست نسوة ، اقتسمنا ماله علىٰ خمس عشرة .

ولما استعمل جعونة بن الحارث علىٰ مَلَطْيَةَ[2] وغزا . . فأصاب وغنم ، فأرسل ابنه إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، فلما دخل عليه . . أخبره الخبر بما غنم ، فقال عمر : هل أصيب من المسلمين أحد ؟ قال : لا ، إلا رويجل ، فغضب عمر ، وقال : رويجل ؟! رويجل ؟! مرتين ، تجيؤوني بالشاة والبقرة ، ويصاب رجل من المسلمين ؟ لا تلي أنت ولا أبوك عملاً لي ما كنتُ حيّاً .

وكان يقول : لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، فمات لها عمر بن عبد العزيز .

وقال أيوب : نبئت أن عمر ذكر له ذلك الموضع الرابع الذي فيه قبرُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرَّضوا له به ، قالوا : لو دنوت من المدينة ، فقال : لأَن يعذبني الله عز وجل بكل عذاب إلا النار . . أحب إلي من أن يعلم الله تعالىٰ أني أرىٰ نفسي أهلاً لذلك .

وقالت فاطمة امرأة عمر : كنت أسمعه كثيراً يقول : اللهم ؛ أخفِ عليهم موتي ولو ساعة ، فقلت له يوماً : لو خرجتُ عنك ، فقد سهرت يا أمير المؤمنين ؛ لعلك تنام ، فخرجت إلىٰ جانب البيت الذي كان فيه ، فسمعته يقول : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وجعل يرددها ، قالت : ثم أطرق فلبثت ساعة ، ثم قلت لوَصِيف له كان يخدمه : ادخل فانظر ، فدخل ، فنظر ، فصاح ، فدخلت ، فإذا هو قد أقبل بوجهه إلى القبلة ، وغمض عينيه بإحدىٰ يديه ، وضم فاه بالأخرىٰ .

وفي رواية : لما كان في مرضه الذي قبض فيه . . قال : أجلسوني أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : أنا الذي أمرتني فقصرت ، ونهيتني فعصيت ، ولـٰكن لا إلـٰه إلا الله ، ثم رفع رأسه وأَحَدَّ النظر ، فقيل له : إنك لتنظر نظراً شديداً ، فقال : إني لأرىٰ حضَرةً ، ما هم بإنس ولا جن ، ثم قبض .

وعن الأوزاعي قال : شهدت جنازة عمر ، ثم خرجت أريد مدينة قنسرين ، فمررت علىٰ

---

(١) في « الحلية » : (ترك لنا غلة ست مئة دينار ـ كل سنة ثلاث مئة دينار ـ ورثناها عنه ، وثلاث مئة دينار ورثناها عن أخينا عبد الملك) .

(٢) مَلَطْيَة : بلدة من بلاد الروم ، فيها مسجد من بناءِ الصحابة رضوان الله عليهم .

راهب ، فقال : يا هـٰذا ؛ أحسبك شهدت وفاة هـٰذا الرجل الصالح ، قلت له : نعم ، فأرخىٰ عينيه ، فبكىٰ سِجاماً[1] ، فقلت له : ما يبكيك ، ولست من أهل دينه ؟ قال : إني لست عليه أبكي ، ولـٰكن أبكي علىٰ نور كان في الأرض فطفىء بموته .

وعن الأوزاعي قال : قال عمر لجلسائه : من صحبني منكم. . فليصحبني بخمس خصال :

يدلني من العدل إلىٰ ما لا أهتدي له ، ويكون لي على الخير عوناً ، ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ولا يغتاب عندي أحداً ، ويؤدي الأمانة التي حملها مني ومن الناس .

فإذا كان كذلك . . فحيَّهلاً به ، وإلا . . فهو في حرج من صحبتي والدخول عليَّ .

وجاءه رجل فقال له : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وبنو هاشم يشكون إليه الحاجة ، فقال لهم : فأين عمر بن عبد العزيز ؟

وقال الحسن ابن أبي أمية : سمعت أبا أسامة يقول : رأىٰ رجل في منامه علىٰ باب الجنة مكتوباً : براءة من الله العزيز الرحيم لعمر بن عبد العزيز من عذاب يوم أليم .

وفي رواية : بينما نحن نسوي التراب علىٰ قبر عمر بن عبد العزيز ؛ إذ سقط علينا رَق من السماء فيه كتاب فيه : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، أمان من الله تعالىٰ لعمر بن عبد العزيز من النار .

وعن وهيب بن الورد قال : بينا أنا نائم خلف المقام. . رأيت فيما يرى النائم : كأن داخلاً دخل من باب بني شيبة وهو يقول : يا أيها الناس ؛ وُلِّيَ عليكم كتابُ الله ، فقلت : مَن ؟ فأشار إلىٰ ظفره ، فإذا مكتوب (ع م ر) ، فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : أُدنُ يا عمر ، فدنوت ، حتىٰ كدت أن أصافحه ، وإذا كهلان قد اكتنفاه ، فقال : إذا وليت أمر أمتي. . فاعمل في ولايتك مثل ما عمل هـٰذان في ولايتهما ، فقلت : ومَن هـٰذان يارسول الله ؟ قال : هـٰذا أبو بكر وهـٰذا عمر ، وكان بعد ذلك يبكي بكاء شديداً ، ويقول : أنىٰ لي بطريقة هـٰذا وطريقة هـٰذا .

ونال رجل من عمر ، فقيل : ما يمنعك منه ؟ فقال : إن المتقي ملجم .

---

(١) السِّجام : السيلان .

وعن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله قال : كانت العلماء عند عمر تلامذة .

وقال ميمون بن مهران : أتينا عمر بن عبد العزيز . . فظننا أنه يحتاج إلينا ؛ فإذا نحن عنده تلامذة .

وعن مجاهد قال : أتينا عمر نعلِّمه ، فما برحنا حتىٰ تعلمنا منه .

وكان ميمون بن مهران يقول : عمر بن عبد العزيز معلم العلماء .

وقال عمر بن عبد العزيز : قيدوا النعم بالشكر ، وقيدوا العلم بالكتاب .

وقال عمر : إني لأدَع كثيراً من الكلام مخافة المباهاة .

وقال ميمون بن مهران لعمر ليلة : يا أمير المؤمنين ؛ ما بقاؤك علىٰ ما أرىٰ ؟ أما أول الليل : فأنت في حاجات الناس ، وأما وسط الليل : فمع جلسائك ، وآخر الليل : فالله أعلم ما تصير إليه ، قال : فضرب علىٰ كتفي ، وقال : ويحك يا ميمون ؛ إني وجدت لقاء الرجال تلقيحاً لألبابهم .

ودخل مسلمة علىٰ عمر وهو مسجًّىٰ ، فقال : رحمك الله ، لقد أحييت لنا قلوباً ميتة ، وجعلت لنا في الصالحين ذِكراً .

واستُشهد رجل من الشام ، فكان يأتي إلىٰ أبيه كل ليلة جمعة في المنام ، فيحدثه ويستأنس به ، فغاب عنه جمعة ، ثم جاءه في الجمعة الأخرىٰ ، فقال له : يا بني ؛ لقد أحزنتَني ، وشق علي تخلفك ، فقال : إنما شغلني عنك أن الشهداء أُمروا أن يتلقوا عمر بن عبد العزيز ، فتلقيناه ، وذلك عند موت عمر رحمه الله .

وضُرِبَ لعمر فلوس ، وكتب عليها : أَمر عمر بالوفاء والعدل ، فقال : اكسروها واكتبوا : أمر الله بالوفاء والعدل .

ولما سُقي السم . . قيل له : تدارك نفسك ، فقال : والله ؛ لقد عرفت الساعة التي سقيت فيها ، ولو كان شفائي أن أَمَسَّ شحمة أذني . . ما فعلت ، أو أن أوتىٰ بطيب أرفعه إلىٰ أنفي . . ما فعلت .

وقال عمر : ما حسدت الحجاج ـ عدو الله ـ علىٰ شيء . . إلا حبه القرآن ، وإعطائه أهله ، وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم ؛ اغفر لي ؛ فإن عبادك يزعمون أنك لا تفعل .

وجاء رجل إلىٰ هشام بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن عبد الملك أقطع جدي

قطيعة ، فأقرها الوليد وسليمان ، حتىٰ إذا استُخلف عمر رحمه الله . . نزعها مِنِّي ، فقال هشام : أعد مقالتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن عبد الملك أقطع جدي قطيعة ، فأقرها الوليد وسليمان ، حتىٰ إذا استخلف عمر رحمه الله . . نزعها مِنِّي ، فقال : والله ؛ إن فيك لعجباً أنك تذكر من أقطع جدك القطيعة ، ومن أقرَّها ، ولا تترحم عليه ، وتذكر من انتزعها منك فتترحم عليه ، وإنا قد أمضينا ما قد صنع عمر رحمه الله . انتهىٰ [« الحلية » ٥/٣٠٦ـ٣٤٥] .

وقال أبو الفرج ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ : عمر يكنىٰ : أبا حفص ، أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولما أراد عبد العزيز بن مروان أن يتزوج أم عمر . . قال لقيِّمه : اجمع لي أربع مئة دينار من طيب مالي ؛ فإني أريد أن أتزوج من أهل بيت لهم صلاح . فتزوج أم عمر .

وقال سفيان الثوري رحمه الله : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز .

وقال أحمد ابن حنبل : يروىٰ في الحديث : أن الله يبعث علىٰ رأس كل مئة عام من يصحح لهـٰذه الأمة دينها ، فنظرنا في المئة الأولىٰ ؛ فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المئة الثانية . . فنراه الشافعي .

وعن الضحاك بن عثمان قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك . . صُفَّتْ له مراكب سليمان ، فقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، قدموا إلي بغلي .

وفي رواية : أنه سمع للأرض هزة ـ أو رجة ـ فقال : ما هـٰذه ؟ فقيل : هـٰذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين ، قربت إليك لتركبها .

وجاء صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة فقال : تنح عني ما لي ولك ، إنما أنا رجل من المسلمين ، فسار وسار معه الناس حتىٰ دخل المسجد ، فصعِد المنبر ، واجتمع الناس إليه ، فقال : يا أيها الناس ؛ إني قد ابتليت بهـٰذا الأمر من غير رأي مني ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم ، فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضيناك ، فَلِ أمرنا باليُمن والبركة ، فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضي الناس جميعاً . . حمد الله ، وأثنىٰ عليه ، وصلىٰ على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : أوصيكم بتقوى الله . . . إلىٰ أن قال :

إن هٰذه الأمة لم تختلف في ربها ، ولا في نبيها ، ولا في كتابها ، وإنما اختلفوا في الدنانير والدراهم ، والله ؛ لا أعطي أحداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقاً ، ثم رفع صوته حتىٰ أسمع الناس ، فقال :

أيها الناس ؛ من أطاع الله تعالىٰ . . فقد وجبت طاعته ، ومن عصى الله تعالىٰ . . فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله . . فلا طاعة لي عليكم .

ثم نزل ، فدخل داره ، فأمر بالستور فهتكت ، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء فحملت ، وأمر ببيعها وإدخال أثمانها بيت مال المسلمين ، ثم ذهب ليقيل ، فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني ؛ أقيل ، قال : تقيل ولا ترد المظالم ، قال : يا بني ؛ إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان ، فإذا صليت الظهر . . رددت المظالم ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ من أين لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : ادن مني أي بني ، فدنا منه ، فالتزمه ، وقَبَّل بين عينيه ، وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني علىٰ ديني ، فخرج ولم يَقِل ، وأمر مناديه أن ينادي : ألا من كانت له مظلمة . . فليرفعها ، فقام إليه ذِميٌّ من أهل حمص أبيض الرأس واللحية ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أسألك كتاب الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : العباس بن [الوليد] بن عبد الملك غصبني أرضي ، والعباس جالس ، فقال : ما تقول يا عباس ؟ فقال : أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، وكتب لي بها سجله ، فقال عمر : ما تقول يا ذمي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أسألك كتاب الله عز وجل ، فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، قم فاردد عليه يا عباس ضيعته ، فردها عليه ، وجعل لا يدع شيئاً مما كان في يده وفي يد أهل بيته من المظالم . . إلا ردها مظلمة مظلمة ، فلما بلغ الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم . . اجتمعوا ، وقالوا : ما ينبغي لنا أن نقاتل هٰذا الرجل .

ولما بلغ عمر بن الوليد بن عبد الملك سيرة عمر رحمه الله . . كتب إليه : إنك قد أزريتَ علىٰ مَن قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسرت بغير سنتهم ، بغضاً لهم ، وشَيناً[1] لمن بعدهم من أولادهم ، وقطعت ما أمر الله به أن يوصل ؛ إذ عمدت إلىٰ أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً ، ولن تُترَكَ علىٰ هٰذا .

---

(١) الشين : ضد الزين ، وفي « الصفوة » : (شنئاً) ، والشنأ : البغض . .

فلما قرأ كتابه . . كتب إليه : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، من عبد الله عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين إلىٰ عمر بن الوليد ، السلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، أما بعد : فإنه بلغني كتابك ، وسأجيبك بنحو منه ، أما أول شأنك . . فإن كنت ابن الوليد ـ كما زعم ـ فأمك بنانة بنت السكون ، كانت تطوف في سوق حمص وتدخل حوانيتها ، ثم الله عز وجل أعلم بها ، اشتراها ذبيان من فيء المسلمين ، فأهداها لأبيك ، فحملت بك ، فبئس المحمول وبئس المولود ، ثم نشأت ، فكنت جباراً عنيداً ، تزعم أني من الظالمين ؛ لِمَا حرمتك وأهل بيتك فيء الله الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل ، وإنَّ أظلَمَ مني وأَترَكَ لعهد الله سبحانه وتعالىٰ مَن استعملك صبياً سفيهاً علىٰ جند المسلمين ، تحكم فيهم برأيك ، ولم تكن له في ذلك نية إلا حب الوالد ولده ، فويل لك ، وويل لأبيك ، ما أكثر خصماؤكما يوم القيامة! وكيف ينجو والدك من خصمائه ؟! [وإن أظلم مني وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ، ويأخذ المال الحرام] ، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله سبحانه من استعمل قرة بن شريك أعرابياً جافياً علىٰ مصر ، وأذن له في المعازف واللهو والشرب ، ومن جعل لعالية البربرية سهماً في خمس العرب ، فرويداً ابن بنانة ، فلو التقت حلقتا البطان(١) ورُدَّ الفيءُ إلىٰ أهله . . لتفرغت لك ولأهل بيتك ، فوضعتكم علىٰ المحجة البيضاء ، فطالما تركتم الحق ، ومن وراء هـٰذا ما أرجو أن أكون رأيته من بيع رقبتك ، وقسم ثمنك بين اليتامىٰ والمساكين والأرامل ؛ فإن لكلٍّ فيك حقاً . والسلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين ، ولا ينال سلام الله الظالمين .

وكان عمر يقسم تفاح الفيء ، فتناول ابن له تفاحة . . فأخذها من فيه ، فسعىٰ إلىٰ أمه باكياً ، فأرسلت إلى السوق واشترت لابنها تفاحاً ، فلما جاء عمر . . وجد ريح التفاح فقال : يا فاطمة ؛ هل جاءكم شيء من الفيء ؟ قالت : لا ، وأخبرتْه الخبر ، فقال : والله ؛ لما انتزعت التفاحة من ابني . . كأنما نزعتها من قلبي ، ولـٰكن كرهت أن أضيع نصيبي من الله بتفاحة من فيء المسلمين .

ولما مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله . . كان قد أودع عند بعض مواليه سفطاً يكون عنده ، فجاؤوه فقالوا له : نريد السفط الذي أودعك عمر بن عبد العزيز ، فقال لهم : ما لكم فيه خير ، فأبوا حتىٰ دَفعوا ذلك إلىٰ يزيد بن عبد الملك ، فدعا بالسفط ، ودعا بني

---

(١) البِطَان للقتب : الحزامُ الذي يُجعل تحت بطن البعير ، يقال : التقت حلقتا البطان للأمر إذا اشتد .

أمية ، وقال : هٰذا خيركم وصالحكم ، قد وجدنا له سفطاً وديعة ، ففتحوه ، فإذا فيه مقطعات من مسوح كان يلبسها بالليل ، والغل الذي كان يغل به نفسه . أو كما قال .

وعن ابن أبي زياد قال : أرسلني ابن عياش ابن أبي ربيعة إلىٰ عمر بن عبد العزيز في حوائج له ، فدخلت إليه وعنده كاتب يكتب ، فقلت : السلام عليكم ، قال : وعليكم السلام ، ثم انتبهت ، فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : يابن أبي زياد ؛ إنا لسنا نكره الأولى التي قلت ، والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة ، فقال لي : اجلس ، فجلست علىٰ أُسكفَّة الباب[١] ، وهو يقرأ عليه ، وعمر يتنفس الصعداء ، فلما فرغ . . أخرج من كان في البيت حتىٰ وصيفاً كان فيه ، ثم قام يمشي إليَّ ، حتىٰ جلس بين يدي ، ووضع يده علىٰ ركبتي ، ثم قال : يابن أبي زياد ؛ استدفأتَ في مدرعتك هٰذه ـ قال : وكان عليّ مِدْرَعَة من صوف ـ فاسترحت مما نحن فيه ، ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة وحالهم وشأنهم ، فما ترك منهم أحداً . . إلا سألني عنه ، وسألني عن أمور كان قد أمر بها في المدينة ، فأخبرته ، ثم قال : يابن أبي زياد ؛ ألا ترىٰ ما وقعتُ فيه ؟ قال : قلت : أبْشر يا أمير المؤمنين ؛ بعض ما تصنع ؛ فإني لأرجو لك خيراً ، قال : هيهات ، هيهات! ثم بكىٰ حتىٰ جعلت أرثي له ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ بعض ما تصنع ؛ فإني أرجو لك خيراً ، قال : هيهات ، هيهات ، أَشتِم ولا أُشتَم ، وأَضرِب ولا أُضرَب ، وأوذي ولا أُوذَىٰ ، ثم بكىٰ حتىٰ جعلت أرثي له ، فأقمت عنده حتىٰ قضىٰ حوائجي ، ثم أخرج من تحت فراشه عشرين ديناراً ، وقال : استعن بهٰذه ؛ فإنه لو كان لك في الفيء حق . . لأعطيناك حقك ، إنما أنت عبد ، فأبيت أن آخذها ، فقال : إنما هي من نفقتي ، فلم يزل بي حتىٰ أخذتها ، وكتب إلىٰ مولاي يسأله أن يبيعني منه ، فأبىٰ وأعتقني .

ولما ولي الخلافة . . منع قرابته ما كان يجري عليهم ، فأخذ منهم القطائع التي كانت في أيديهم ، فشكوا ذلك إلىٰ عمته ، فدخلت عليه وقالت : إن قرابتك يشكونك ، ويزعمون أنك أخذت منهم خير غيرك ، قال : ما منعتهم حقاً ، ولا أخذت منهم حقاً ، قالت : إني رأيتهم يتكلمون ، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوماً عصيباً ، فقال : كل يوم أخافه دون يوم القيامة . . لا وقاني الله شره ، ثم دعا بدينار وجنب[٢] ومجمرة ، فألقىٰ ذلك الدينار في

---

(١) أُسكفَّةُ الباب : عتبته .

(٢) الجَنْب : القطعة من الشيء تكون معظمه أو شيئاً كثيراً منه ، والمراد هنا : قطعة من الجلد .

النار ، وجعل ينفخ عليه ، حتىٰ إذا احمر . . تناوله بشيء ، فألقاه على الجنب فنش[1] ، ثم قال : يا عمة ؛ أما ترثين لابن أخيك من مثل هـٰذا ، فقامت ، فخرجت علىٰ قرابته ، وقالت لهم : هـٰذا شخص يخاف الله عز وجل ، فاصبروا له . أو كما قال .

وفي رواية : أنها قالت : تتزوجون من بنات عمر بن الخطاب ، ثم تسألون أن يكونوا علىٰ ما أنتم عليه ؟! إنما يكونون علىٰ ما كان عليه جدهم .

أسند عن عدة من الصحابة وكبار التابعين ، وسمع منهم ، فمن الصحابة : عبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأبي[2] سلمة المخزومي ، والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام .

وأرسل الحديث[3] عن القدماء ، منهم : عبادة بن الصامت ، والمغيرة ، وتميم ، وعائشة ، وأم هانىء .

وروىٰ عن خلق كثير من التابعين .

توفي لعشر ليال بقين من رجب ، سنة إحدىٰ ومئة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، وتوفي بدير سمعان ، وقبره هناك ، رحمه الله . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٦٦ـ٧٤] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : ومن مسانيد حديثه : أن أسماء بنت عميس علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول : « الله ربي لا أشرك به شيئاً » .

وعن أبي سلمة : أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه[4] ، قال عمر بن عبد العزيز : قلت للسائب بن يزيد : يا سائب ؛ هل رأيت أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر الرداء أو يرتدي الرداء ، ثم يخرج ؟ قال : نعم ، ثم قال : لو صنع ذلك أحد اليوم . . لقيل إنه مجنون .

---

(١) النشيش : صوت غليان الماء وغيره .

(٢) في النسخ : (عمر ابن أبي سلمة) وهو تصحيف ، والثابت كما في كتب الرجال : أنَّ عمر بن عبد العزيز قد حدث عن أبي سلمة بن عبد الرحمـٰن بن عوف وليس عن ابنه عمر ، وكذا في جميع مواضع الترجمة ، فليتنبه .

(٣) الحديث المرسل : هو ما رواه التابعي صغيراً أو كبيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر من حدثه بذلك .

(٤) أخرجه بنحوه مسلم (٥١٨) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله عز وجل فيها . . إلا خسر عندها يوم القيامة »[1] .

وعن سعد بن أبي وقاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أكل سبع تمرات عجوة مما بين لابتي المدينة حين يصبح . . لم يضره شيء حتىٰ يمسي »[2] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل دين خُلُقاً ، وإن خُلق الإسلام الحياء »[3] .

وعن يزيد بن مورق قال : كنت بالشام وعمر بن عبد العزيز يعطي الناس ، فتقدمت إليه ، فقال لي : ممن أنت ؟ فقلت : من قريش ، قال : من أي قريش ؟ قلت : من بني هاشم ، قال : من أي بني هاشم ؟ فسكتُّ ، فأعاد القول ، قلت : مولىٰ علي ، قال : من علي ؟ فسكتُّ ، فوضع يده علىٰ صدري وقال : أنا ـ والله ـ مولىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم قال : حدَّثني عدة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : أنهم سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من كنت مولاه . . فعلي مولاه »[4] ، ثم قال : يا مزاحم ؛ كم نعطي أمثاله ؟ قال : مئة أو مئتي درهم ، قال : أعطه خمسين ديناراً أو ستين ديناراً ؛ لولايته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم قال : اِلحق ببلدك ، فسيأتيك مثلما يأتي نظراءك . والله أعلم . انتهىٰ [« الحلية » ٥/ ٣٦٠ـ٣٦٤] .

وقال في « الاكتفاء » : روىٰ حماد بن سلمة ، عن يونس بن عبيد : أن رجلاً من الأنصار أتىٰ عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا فلان بن فلان ، قتل جدي يوم بدر ، وقتل أبي يوم أحد ، فجعل يذكر مناقب آبائه ، فنظر عمر إلىٰ عنبسة ، فقال : هـٰذه ـ والله ـ المناقب ، لا مناقبكم .

ووفد عليه رجل من ولد قتادة بن النعمانِ الأنصاري فقال له : مَن الرجل ؟ فقال :

أنا ابن الذي سالت على الخد عينُه ... فردت بكف المصطفىٰ أحسنَ الردِّ
فعـادت كمـا كـانـت لأول أمـرهـا ... فيا حُسنَ ما عين ويا حُسن ما رَدِّ

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٨/ ١٧٥) .
(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٥١٣٠) ، ومسلم (٢٠٤٧) بلفظ : « لم يضره سم حتىٰ يمسي » .
(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١) ، والطبراني في « الصغير » (١/ ٣١) .
(٤) أخرجه أحمد (١/ ١١٨) ، وابن حبان في « الإحسان » (٦٩٣١) .

وكان قتادة قد أصيبت عينه يوم أحد ، وكان حديث عهد بعرس ، فقال : يا رسول الله ؛ إن عندي امرأة أحبها ، وهي إن رأت عيني علىٰ هـٰذه الصورة . . خشيتُ أن تقذرني ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم حدقته بيده الكريمة صلى الله عليه وسلم ، فردها مكانها ، فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظراً ، فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تلك المكارم لا قَعبانِ من لبنٍ شِيْبَا بماء فعادا بَعدُ أبوالاَ[1]

وكانت فاطمة بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما تكثر من الترحم عليه[2] ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : دخلت عليه وهو أمير المدينة ، فأخرج عني كل خصي وحرسي ، حتىٰ لم يبق في البيت غيري وغيره ، ثم قال : يا ابنة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ؛ والله ما علىٰ ظهر الأرض بيت أحب إليَّ منكم ، ولأَنتم أحب إلي من أهل بيتي ، وما ترك لي حاجة إلا قضاها .

وكتب الحسن إليه في موعظة : إنما الزهد باليقين ، واليقين بالتفكر ، والتفكر بالاعتبار ، فإذا أنت تفكرت في الدنيا . . لم تجدها أهلاً أن تمتع بها نفسك ، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا ، فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة . والسلام . رضي الله عنهم أجمعين .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) تثنية قعب والقَعْبُ : قدح ضخم غليظ .

(٢) أي : عمر بن عبد العزيز .

ومنهم الإمام ابنه :

عبد الملك
رضي الله عنهما

قال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : قال عبد الملك لأبيه عمر ـ وكان يُفضَّل علىٰ عمر ـ : يا أبت ؛ أقم الحق ولو ساعة من نهار .

وقال مشيخة أهل الشام : كنا نرىٰ أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة . . ما رأىٰ من ابنه عبد الملك .

وأصاب عبد الملك الطاعون في خلافة أبيه فمات ، وقال قبل موته : والله ؛ ما من أحد أعز عليَّ من والدي عمر ، ولأَن أكون سمعت بموته . . أحب إلي مما صار من الخلافة .

وقال عبد الملك لأبيه : يا أبت ؛ ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل ؟ فوالله ؛ ما كنت أبالي لو غَلَتْ بي وبك القدور في ذلك ، قال : يا بني ؛ إنما أروض الناس رياضة الصعب ، إني لأريد أن أحيي الأمر من العدل ، فأؤخر ذلك حتىٰ أُخرج معه طمعاً من طمع الدنيا ، فيفروا من هـٰذا ، ويسكنوا لهـٰذا .

وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم : كم ترىٰ فيما أصبنا من أموال المسلمين حتىٰ نرده عليهم ؟ قال مزاحم : قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أتدري ما عيالك ؟ قال : نعم ، لهم الله عز وجل ، قال مزاحم : فلما خرجت . . لقيت ابنه عبد الملك ، فأخبرته الخبر ، فقال : بئس الوزير أنت يا مزاحم ، ثم جاء إلىٰ أبيه يستأذن عليه ، فقال الآذن : إنما لأبيك من الليل والنهار هـٰذه الساعة ، قال : لابد من لقائه ، فسمع عمر مقالتهما ، فقال : مَن هـٰذا ؟ قال الآذن : عبد الملك ، قال : ائذن له ، فدخل ، فقال : ما جاء بك هـٰذه الساعة ؟ قال : شيء ذكره لي مزاحم ، قال : نعم ، فما رأيك ؟ قال : أرىٰ أن تمضيه ، قال : إني إذا رحت إلى الصلاة . . أصعد المنبر ، وأرده علىٰ رؤوس الناس ، قال : ومن أين

لك أن تعيش إلى الصلاة ؟ قال : فما أصنع ؟ قال : ترده الساعة ، قال : فخرج ، ونودي في الناس : الصلاة جامعة ، وصعد المنبر ، ورده علىٰ رؤوس الناس .

وفي رواية : نادىٰ مناديه : الصلاة جامعة ، فطلع المنبر ، فحمد الله تعالىٰ ، وأثنىٰ عليه ، وصلىٰ على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد : فإن هٰؤلاء أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها ، وإني قد رأيت ذلك ، وأعلم أنه ليس عليَّ فيه وفي غيره دون الله عز وجل محاسب ، وإني قد بدأت بنفسي وأهل بيتي ، اقرأ يا مزاحم ، فجعل مزاحم يقرأ كتاباً كتاباً ، ثم يأخذه عمر ـ وبيده الجلم[1] ـ فيقطعه ، ثم نودي بالظهر .

ودخل عبد الملك علىٰ أبيه يوماً فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما تقول لربك إذا أتيت وقد تركت حقاً لم تحيه ، وباطلاً لم تمته ، فقال : أُقعد يا بني ، إن أجدادك خدعوا الناس عن الحق ، فانتهت الأمور إلي ، وقد أقبل شرها ، وأدبر خيرها ، ولٰكن أرجو ألاَّ تطلع علي شمس يوم إلا وقد أحييت فيه حقاً ، وأَمَتُّ فيه باطلاً ، حتىٰ يأتيني الموت وأنا علىٰ ذلك إن شاء الله تعالىٰ .

ولما توفي عبد الملك رحمه الله ودفن . . وضعوا عنده خشبتين من زيتون ، إحداهما : عند رأسه ، والأخرىٰ : عند رجليه ، ثم إن أباه وقف وجعل قبره بينه وبين القبلة ، واستمر واقفاً ، وأحاط به الناس ، وقال : رحمك الله يا بني ؛ لقد كنت بارّاً بأبيك ، والله ؛ مازلت منذ وهبك الله لي مسروراً بك ، ولا والله ، ما كنت قط أشد سروراً بك ولا أرجىٰ لحظِّي من الله عز وجل فيك . . من هٰذا اليوم الذي وضعتك في هٰذا المنزل الذي صيرك الله تعالىٰ إليه ، فرحمك الله ، وغفر لك ذنبك ، وجزاك بما هو أهله ، وقبل منك أحسن عملك ، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير من شاهد أو غائب ، رضيتُ بقضاء الله تعالىٰ ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وسلمنا لأمره سبحانه وتعالىٰ ، والحمد لله رب العالمين . ثم انصرف .

زاد في « الاكتفاء » : قال سفيان الثوري رحمه الله : قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك وهو مريض : كيف تجدك ؟ قال : في الموت ، قال : **لأَن تكون في ميزاني . . أحب إلي من أن أكون في ميزانك** ، فقال : **والله يا أبت ؛ لأَن يكون ما تحب . . أحب إلي من أن يكون ما أحب** .

وفي رواية قال : إن عبد الملك أحياه الله ما أحب أن يحييه ، ثم قبضه إليه حين أحب أن

---

(١) الجلم : آلة كالمقص يُجَزُّ بها .

يقبضه ، وهو ـ فيما علمت ـ مغبط بالموت ، نرجو فيه من الله تعالىٰ رجاء حسناً ، وأعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأشياء تخالف محبة الله عز وجل ؛ فإن خلاف ذلك لا ينبغي في بلائه وإحسانه إلي ونعمته عليَّ ، وقد قلت عندما كان من سبيله : الحمد لله ما رجوت به ثواب الله وموعده الصادق من المغفرة إنا لله وإنا إليه راجعون ، ورضيت بقضاء الله سبحانه وتعالىٰ ، ولم أجد في نفسي إلا خيراً ، وأحتسب ما كان من مصيبتي فيه عند الله تعالىٰ ، فالحمد لله علىٰ ما مضىٰ ، وعلىٰ ما بقي ، وعلىٰ كل حال من أمر الدنيا والآخرة .

قالوا : وغضب عمر بن عبد العزيز يوماً ، فاشتد غضبه ، وكان ابنه عبد الملك حاضراً ، فلما سكن غضبه. . قال : يا أمير المؤمنين ؛ أنت في قَدْر نعمة الله عز وجل عليك ، وموضعك الذي وضعك فيه ، وما ولاك الله تعالىٰ من أمر عباده. . يبلغ بك الغضب إلىٰ ما أرىٰ ؟! قال : كيف قلت ؟ قال : فأعاد عليه كلامه ، فقال : يا بني ؛ أما تغضب ؟ فقال : ما يغني عني سعة جوفي. . إن لم أردد فيه الغضب حتىٰ لا يظهر منه شيء أكرهه ؟! انتهىٰ [« الحلية » ٥/٣٥٣ـ٣٥٨] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

زيد بن أسلم التابعي
رضي الله عنه

قال الشيخ محيي الدين النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : زيد بن أسلم القرشي العدوي المدني ، مولىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، التابعي الصالح الفقيه .

روىٰ عن ابن عمر ، وأنس ، وجابر ، وربيعة بن عِباد ـ بكسر العين ـ وسلمة بن الأكوع الصحابيين رضي الله عنهم .

وروىٰ عن أبيه ، وعطاء بن يسار ، وحمران ، وعلي بن الحسين ، وأبي صالح السمان ، وآخرين من التابعين .

وروىٰ عنه الزهري ، ويحيى الأنصاري ، وأيوب السختياني ، ومحمد بن إسحاق التابعيون ، ومالك ، والثوري ، ومَعْمَر ، وخلائق من الأئمة .

قال يحيى بن معين : سمع زيد بن أسلم من ابن عمر ، ولم يسمع جابراً ولا أبا هريرة .

وقال محمد بن سعد : كانت لزيد بن أسلم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ثقة كثير الحديث .

وقال أبو حازم : لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهاً ، أدنىٰ خصلة فينا التواسي بما في أيدينا ، وما رأيت فيه متماريَينِ ولا متنازعَينِ في حديث لا ينفعهما .

وكان أبو حازم يقول لهم : لا يريني الله عز وجل يوم زيد ، وقدمني بين يدي زيد أنه لم يبق أحد أرضىٰ لنفسي وديني غيره ، فأتاه نعي زيد ، فعَقِر ، فما قام ولا شهده .

وكان أبو حازم يقول : اللهم ؛ إنك تعلم أني أنظر إلىٰ زيد فأذكر بالنظر إليه القوةَ علىٰ عبادتك ، فكيف بملاقاته ومحادثته ؟

ومناقبه كثيرة .

توفي بالمدينة ، سنة ست وثلاثين ومئة ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل : ثلاث وأربعين .

وحكى البخاري رحمه الله في « تاريخه » : أن علي بن الحسين رضي الله عنهما كان يجلس إلىٰ زيد بن أسلم ، ويتخطىٰ مجالس قومه ، فقيل له : تتخطىٰ مجالس قومك إلىٰ مولىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : إنما يجلس الرجل إلىٰ من ينفعه في دينه . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٢٠٠] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير
رضي الله عنه

روى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ بإسناده : عن مطرِّف : أنه قال لابن أبي مسلم : ما مدحني أحد قط . . إلا تصاغرَتْ إليَّ نفسي .

وقال : إني لأستلقي من الليل علىٰ فراشي ، فأتدبر القرآن ، وأعرض عملي علىٰ عمل أهل الجنة . . فإذا أعمالهم شديدة ؛ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، أمَّنْ هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ، فلا أراني فيهم ، فأعرض نفسي علىٰ هـٰذه الآية : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ ، فأرى القوم مكذبين ، وأمر بهـٰذه الآية : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، أرجو أن أكون أنا وأنتم ـ يا إخوتاه ـ منهم .

وقال : لو سألنا الله تعالىٰ أن يميتنا من خشيته . . كنا أحقاء بذلك ، وقد علمتُ أن ربي سبحانه وتعالىٰ ليرضىٰ منا بدون ذلك .

وقال : لو أتاني آت من ربي عز وجل فقال لي : أنت مخير في الجنة أو في النار ، أو بين أن تصير تراباً . . لاخترت أن أصير تراباً .

وقال : صلاح القلب بصلاح العمل ، وصلاح العمل بصلاح النية .

ومات ابن لمطرف ، فخرج على الحي وقد رجَّل جُمَّته[1] ، ولبس جبة ، فقيل له : كيف هـٰذا وقد مات ابنك ؟! فقال : أتأمروني أن أستكين للمصيبة ؟ والله ؛ لو أن الدنيا وما فيها لي ، وأخذها الله عز وجل مني ، ووعدني عليها شربة ماء غداً في الآخرة . . ما رأيتها لتلك الشربة أهلاً ، فكيف بالصلاة والهدىٰ والرحمة ؟!

---

(١) الجُمَّة : مجتمع شعر الرأس .

وكان يقول : إن من أحب عباد الله إلىٰ الله تعالىٰ . . الصابر الشكور ، الذي إذا ابتلي . . صبر ، وإذا أعطي . . شكر .

ولبس مطرف الصوف ، وجلس مع المساكين ، فسئل عن ذلك ، فقال : إن أبي كان جباراً ، فأحب أن أتواضع لربي عز وجل لعله أن يخفف عني وعن أبي تجبره .

وقال : **لئن أعافىٰ فأشكر . . أحب إلي من أن أبتلىٰ فأصبر .**

وقال : لئن أبيت نائماً وأصبح نادماً . . أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً .

وقال : **لئن يسألني ربي عز وجل يوم القيامة فيقول : يا مطرّف ؛ ألا فعلت . . أحب إلي من أن يقول : لِمَ فعلت ؟**

وقال : لو حلفت . . لرجوت أن أُبَرَّ : إنه ليس من أحد من الناس . . إلا وهو مقصِّر فيما بينه وبين ربه عز وجل .

وكان إخوان مطرف عنده ، فخاضوا في ذِكر الجنة ، فقال مطرف : لا أدري ما تقولون ، قد حال ذِكر النار بيني وبين الجنة .

وكان يقول : كأن القلوب ليست منا ، وكأن الحديث يُعنىٰ به غيرنا .

وقال : **ما أوتي العبد بعد الإيمان . . أفضل من العقل .**

وقال : عقول الناس علىٰ قدر زمانهم .

وقال : إن العبد إذا استوت سريرته وعلانيته . . قال الله عز وجل : هـٰذا عبدي حقاً .

وكان مطرف إذا كان ليلة الجمعة . . أدلج علىٰ فرسه ، فربما نوَّر له سوطه ، فأدلج ليلة ، فنور له سوطه ، حتىٰ إذا كان عند القبور . . هوَّم[1] علىٰ فرسه ، قال : فرأيت أهل القبور صاحب كل قبر جالساً علىٰ قبره ، فلما رأوني . . قالوا : هـٰذا مطرف يأتي الجمعة ، قال : قلت : أتعلمون عندكم الجمعة ؟ قالوا : نعم ، نعلم ما يقول الطير فيه ، قال : قلت : وما يقول ؟ قال : يقول : سلام سلام من يوم صالح .

وكان إذا دخل بيته . . سبحت معه آنية بيته .

وكان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء ، فطالبه ، فأنكره ، فقال له مطرف : إن كنت كاذباً . . فأماتك الله ـ أو قال له : تعجَّل الله بك ـ قال : فخر ميتاً مكانه ، قال : فاستعدىٰ

---

(١) هوَّم : هزَّ رأسه من النعاس .

أهله زياداً ـ وهو على البصرة ـ فقال لهم زياد : هل ضربه ؟ هل مسَّهُ ؟ قالوا : لا ، فقال زياد : هل هي إلا دعوة رجل صالح وافقت قدراً .

وعن ثابت البناني ورجل آخر : أنهما دخلا علىٰ مطرف وهو مغمىً عليه ، قال : فسطعت منه أنوار ثلاثة ملأته ، نور من رأسه ، ونور من وسطه ، ونور من رجليه وقدميه ، قال : فهالَنا ذلك ، فلما أفاق . . قلنا : كيف أنت يا أبا عبد الله ؟ فقال : صالح إن شاء الله تعالىٰ ، فقلنا : قد رأينا شيئاً هالَنا ، قال : وما هو ؟ قلنا : أنوار سطعت منك ، قال : فنكس رأسه وقال : تلك ﴿الٓمٓ﴾ السجدة ، وقد صُوِّرت لي تشفع لي ، وهـٰذا ثوابها ، جعله الله عز وجل يحرسني . أو كما قال .

وكان شخص ـ يقال له : مورق ـ سجنه الحجاج ، فسأل والده مطرفاً أن يدعو له ، فدعا له وأمَّن الحاضرون علىٰ دعائه ، فلما كان العشي . . خرج الحجاج ، ودخل الناس ، ودخل أبو مورق فيمن دخل ، فقال الحجاج لحرسه : اذهب إلى السجن ، فادفع ابن هـٰذا الشيخ إليه . من غير أن يكلمه فيه أحد من الناس .

وكان من دعاء مطرف : اللهم ؛ إني أعوذ بك من شر السلطان ، ومن شر ما تجري به أقلامهم ، وأعوذ بك أن أقول بحق أطلب به غير طاعتك ورضىٰ وجهك الكريم ـ أو قال : ابتغاء مرضاتك ـ وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك ، وأعوذ بك أن أستعين بشيء من معاصيك علىٰ ضر نزل بي ، وأعوذ بك أن تجعلني عبرة لأحد من خلقك ، وأعوذ بك أن تجعل أحداً أسعد بما علمته مني .

اللهم ؛ لا تخزني فإنك بي عالم ، ولا تعذبني فإنك علي قادر .

وكان يقول : اللهم ؛ إني أستغفرك مما تبت منه إليك ثم عدت فيه ، وأستغفرك مما جعلته لك علىٰ نفسي ثم لم أوف لك به ، وأستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي فيه ما قد علمت .

وكان يقول : اللهم ؛ ارض عنا ، فإن لم ترض عنا . . فاعف عنا ؛ فإن المولىٰ قد يعفو عن عبده وهو غير راض عنه .

وكان يقول : اللهم ؛ تقبل مني صياماً ، اللهم ؛ تقبل مني صلاة ، اللهم ؛ اكتب لي حسنة ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال : نظرت في بدء هـٰذا الأمر ممن هو ؟ فإذا هو من الله تعالىٰ ، قال : قلت : فعلىٰ

من تمامه ؟ فإذا هو على الله عز وجل ، ونظرت ما ملاكه ؟ فإذا ملاكه الدعاء .

وقال : إذا دخلتم على المريض . . فإن استطعتم أن يدعو لكم ؛ فإنه قد حُرِّك .

وقال : أقبح ما طُلِب به الدنيا . . عمل الآخرة .

وقال مطرف : ليُعظِّمْ جلال الله سبحانه وتعالىٰ أن يُذكَر عند الحمار والكلب ، فيقول أحدكم لكلبه أو لشاته : أخزاك الله ، وفعل الله بك .

وغاب ابن لمطرف . . فلبس جبة ، وأخذ عصىً في يده ، وقال : أتمسكن لربي عز وجل ؛ لعله يرحمني ، فيرد علي ولدي .

وقال لبعض إخوانه : إذا كانت لك حاجة إلي . . فاكتبها في ورقة ولا تكلمني بها ؛ فإني أكره أن أرىٰ في وجهك ذل السؤال .

وقال : وجدت الغفلة التي ألقاها الله عز وجل في قلوب الصديقين رحمة رحمهم بها ؛ فإنه لو ألقىٰ في قلوبهم الخوف علىٰ قدر معرفتهم به . . لما هنأهم العيش ، أو لماتوا .

أسند مطرف عن غير واحد من الصحابة ، فمما رواه عن أبيه عبد الله قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[(١)] .

وعن مطرف بن عبد الله ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل العلم أحبُّ إليَّ من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع »[(٢)] . لم يروه متصلاً عن الأعمش . . إلا عبد الله بن عبد القدوس . انتهىٰ [« الحلية » ٢/١٩٨ـ٢١٢] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان مطرِّف يلبَس البرانس والمطارف ، ويركب الخيل ، ويغشى الأمراء غير أنك إذا أفضيت إليه . . أفضيت إلىٰ قرة العين .

وكان يقول : يا إخوتاه ؛ اجتهدوا في العمل ، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله عز وجل وجميل عفوه . . كانت لنا درجات في الجنة ، وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحذر . . لم نقل : ربنا أرجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، قد عملنا فلم ينفعنا ذلك .

وقال : سمعت رجلاً يقول بعرفة : اللهم ؛ لا ترد هـٰذا الجمع من أجلي ، فقال مطرف : هـٰذا العارف بنفسه .

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦) .

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ١٧٠) .

وكان يقول : إن هـٰذا الموت قد أفسد علىٰ أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه .

وقال : لو علمت متىٰ أجلي . . لخشيت علىٰ عقلي ، ولـٰكن الله تعالىٰ مَنَّ علىٰ عباده بالغفلة عن الموت ، ولولا الغفلة . . ما تهنَّأوا العيش ، ولا قامت بينهم الأسواق .

توفي رحمه الله بعد الطاعون الجارف ، لما تولى الحجاج العراق ، وكان سنة سبع وثمانين ، في خلافة الوليد بن عبد الملك . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١١٩ـ١٢٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو العلاء يزيد بن الشخير
أخو مطرف بن الشخير

رضي الله عنهما

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن عمر بن السكن قال : كنت عند سفيان بن عيينة ، فقام إليه رجل ، فقال : يا أبا محمد ؛ أخبرني عن قول مطرف : لأَن أعافىٰ فأشكر . . أحب إلي من أن أُبتلىٰ فأصبر ، أهو أحب إليك أم قول أخيه أبي العلاء : اللهم ؛ رضيت لنفسي ما رضيت لي ؟ قال : فسكت سكتة ، ثم قال : قول مطرف أحب إلي ، فقال الرجل : كيف وقد رضي هـٰذا لنفسه ما رضيه الله عز وجل له ؟! فقال سفيان رحمه الله : إني قرأت القرآن ، فوجدت صفة سليمان عليه الصلاة والسلام مع العافية التي كان فيها : ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ، ووجدت صفة أيوب عليه الصلاة والسلام مع البلاء الذي كان فيه : ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ، فاستوت الصفتان ، وهـٰذا معافىٰ وهـٰذا مبتلىٰ ، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر ، فلما اعتدلا . . كانت العافية مع الشكر أحب إلي من البلاء مع الصبر .

وعن ثابت البناني قال : كان الحسن في مجلس ، فقيل لأبي العلاء يزيد : تكلم ، فقال : أوَهناك أنا ؟! ثم ذكر الكلام ومؤونته وتبعته ، قال ثابت : فأعجبني[1] .

ومما أسند ـ وهو غريب ـ أنه قال : روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في مرض موته . . لم يفتن في قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتىٰ تجيزه من الصراط إلى الجنة »[2] .

وعن يزيد ، عن أبيه عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز

---

(١) قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٩٤) : ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصدٍ ، فإن أعجبه كلامه . . فليصمت ، فإن أعجبه الصمت . . فلينطق ، ولا يَفْتُرْ عن محاسبة نفسه ؛ فإنها تحب الظهور والثناء .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦/ ٥٧) .

وجل ليبتلي العبد بالرزق ؛ لينظر كيف يعمل ، فإن رضي . . بورك له ، وإن لم يرض . . لم يبارك له »[1] وهـٰذا غريب أيضاً . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٢١٢-٢١٣] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان يزيد يقرأ في المصحف حتىٰ يُغشىٰ عليه .

وحدَّث يزيد عن أبيه وغيره ، وتوفي بالبصرة ، سنة إحدىٰ عشرة ومئة . [انتهىٰ « الصفوة » ١٢٦/٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه أيضاً الطبراني في « الأوسط » (٨/ ١٨٩) ، بلفظ : « إن الله ليبتلي العبد لينظر . . . » .

ومنهم الإمام :

صفوان بن مُحْرِز المازني

رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن الحسن ، عن صفوان بن محرز قال : إذا رجعت إلىٰ أهلي وقدموا إليَّ رغيفاً طرد عني الجوع وكوز ماء . . فعلى الدنيا وأهلها العفاء .

وكان إذا قرأ هـٰذه الآية : ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ . . يبكي بكاء شديداً حتىٰ يغمىٰ عليه .

وكان له سَرَبٌ[1] يبكي فيه .

وكان قومه وإخوانه يجتمعون ويتحدثون في أمر الآخرة وأهوال القيامة ، فلا يجدون رقة ، فيقولون : يا صفوان ؛ حدث أصحابك ، قال : فبمجرد ما يقول : الحمد لله . . يرق القوم ، وتسيل دموعهم ، كأنها أفواه المزاود[2] .

وأخذ عبيد الله بن زياد ابنَ أخي صفوان ، فشفع الناس فيه ، حتىٰ لم يبق أحد إلا كلمه فيه ، فلم يقبل ابن زياد ، فقال صفوان : أخطأتم الطريق ؛ لأنكم طلبتم حاجتكم من غير وجهها ، فصلىٰ ودعا ، فَنُبِّه ابن زياد لحاجة صفوان خاصة في الليل ، فقال : عَلَيَّ بابن أخي صفوان ، فجاء الحرس والشرط والنيران ، وفتحت أبواب السجون ، وجيء بابن أخي صفوان إلىٰ ابن زياد ، فقال له : أنت ابن أخي صفوان ؟ قال : نعم ، قال ابن زياد : أطلقوه ؛ فإني قد منعت النوم منذ الليلة ، فأُطلق ، فجاء إلىٰ صفوان ، وأخبره الخبر ، وأنه خلىٰ عنه بلا كفيل ولا شيء .

وعنه قال : كان لداوود عليه الصلاة والسلام يوم يتأوه فيه ، يقول : أوه من عذاب الله! أوه من عذاب الله! أوه من عذاب الله! فذكر صفوان هـٰذا يوماً في مجلسه ، فبكىٰ حتىٰ أغمي عليه ، وقام من مجلسه .

---

(١) السَّرَب : بيت في جوف الأرض .

(٢) المزاود : جمع المزادة ، وهي : الظرف الذي يحمل فيه الماء كالراوية والقربة .

وكان له خص[1] فيه جذع ، فانكسر الجذع ، فقيل له : ألا تصلحه ؟ فقال : دعوه ، إنما أنا أموت غداً .

أسند عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٢١٤ـ٢١٥] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال الحسن : لقيت يوماً أقواماً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم ، ولقد لقيت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق ألاَّ تقبل منكم من سيئاتكم ، ولقد صحبت أقواماً كان أحدهم يأكل على الأرض ، وينام على الأرض ، منهم صفوان بن محرز المازني ، ما زاد علىٰ رغيف حتىٰ فارق الدنيا ، يظل صائماً ، ويفطر علىٰ رغيف ، ويشرب عليه من الماء حتىٰ يروىٰ ، ثم يقوم يصلي إلى الفجر ، فإذا صلى الفجر . . أخذ المصحف ، ووضعه في حجره ، يقرأ حتىٰ يدخل النهار ، ثم يقوم فيصلي حتىٰ ينتصف النهار ، فإذا انتصف النهار . . رمىٰ نفسه على الأرض ، فنام إلى الظهر ، كانت تلك نومته حتىٰ فارق الدنيا ، فإذا صلى الظهر . . قام فصلى العصر ، فإذا صلى العصر . . وضع المصحف في حجره ، فلا يزال يقرأ حتىٰ تصفَرَّ الشمس .

وكان له سَرَب لا يخرج منه إلا إلى الصلاة .

توفي بالبصرة ، في ولاية بشر بن مروان . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/ ١٢٢ـ١٢٣] .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : قال الحسن : دخلنا علىٰ صفوان بن محرز ، وهو في بيت من قصب قد مال عليه ، فقيل : لو أصلحته ؟ فقال : كم من رجل قد مات وهٰذا قائم .

[انتهىٰ « الإحياء » ٤/ ٢٣٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) **الخصُّ** : البيت من القصب .

ومنهم الإمام :

أبو العالية
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : قال أبو العالية[1] : تعلمت القرآن والكتابة ، فما شعر بي أهلي ، ولا رُئِيَ في ثوبي مداد قط .

وقال أبو العالية : زارني عبد الكريم أبو أمية وعليه ثياب من صوف ، فقلت له : هٰذا زي الرهبان ، إن المسلمين إذا تزاوروا . . تجملوا .

وكان إذا جلس إليه أكثر من أربعة . . قام .

وقال : اعمَلْ بالطاعة ، وأَحِبَّ عليها من عمل بها ، واجتنب المعصية ، وعادِ عليها من عمل بها ، فإن شاء الله . . عذبهم ، وإن شاء . . غفر لهم .

وقال : مِن نِعَمِ الله عز وجل عَلَيَّ أن هداني للإسلام ، وعافاني من هٰذه الأهواء .

وقال : ما مسست ذكري بيميني منذ خمسين سنة[2] .

وقال : إني لأرجو ألاَّ يهلك عبد بين نعمتين ، نعمةٍ يحمد الله تعالىٰ عليها ، وذنب يستغفر الله تعالىٰ منه .

وعنه قال : كنا نحدث منذ خمسين سنة أن الرجل إذا مرض . . قال الله لملائكته : اكتبوا لعبدي ما كان يعمل في صحته ، حتىٰ أقبضه أو أخلي سبيله ، وكنا نحدث منذ خمسين سنة أن الأعمال تعرض على الله عز وجل ، فما كان لله عز وجل . . قال : هٰذا لي وأنا أجزي به ، وما كان لغيره . . قال : اطلبوا ثواب هٰذا ممن عملتموه له .

وكان يقول : تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات ؛ فإنه أحفظ لكم ، فإن جبريل عليه الصلاة والسلام كان ينزل بخمس آيات خمس آيات .

---

(١) أبو العالية : رُفَيع بن مِهْران ، الإمام المقرىء الحافظ المفسر .

(٢) في « الحلية » : (منذ ستين سنة أو سبعين سنة) .

وقال في قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال : لا تأخذوا علىٰ ما علَّمتم أجراً ؛ فإنما أجر العلماء والحكماء على الله عز وجل .

وقال : كنت أرحل مسيرة أيام إلىٰ رجل ؛ فإذا وصلت إليه.. فأول ما أتفقد منه أمر صلاته ، فإن وجدته يقيمها ويتمها.. أقمت عنده وسمعت منه ، وإن وجدته يضيِّعها.. رجعت ولم أسمع منه ، وأقول : هو لغير الصَّلاة أضيَع .

وعنه قال : قال لي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : لا تعمل لغير الله تعالىٰ.. فيكلك الله عز وجل إلىٰ من عملت له .

وكان إذا أراد أن يختم القرآن من آخر النهار.. أخَّره إلىٰ أن يمسي ، فإذا أراد أن يختمه من آخر الليل.. أخَّره إلىٰ أن يصبح .

وعن مغيرة قال : أول من أذن وراء النهر أبو العالية .

وقال مهاجر أبو خالد مولىٰ ثقيف : كان أبو العالية جاري ، وكان يقول لي : سلني واكتب عني قبل أن تلتمس العلم عند غيري فلا تجده .

وكان إذا دخل عليه أصحابه.. يُرحِّب بهم ، ثم يقرأ : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

وعن أبي العالية قال : كان يقال : ابتدروا بين خلال الكلام : لا إلـٰه إلا الله .

وعنه قال : قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام لقومه : قدِّسوا الله عز وجل بأصوات حسنة .

وقال : إن الله عز وجل قضىٰ علىٰ نفسه أن من آمن به.. هداه ، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ ، ومن توكل على الله.. كفاه ، وتصديق ذلك : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ ، ومن أقرضه.. جازاه ، وتصديق ذلك من كتاب الله : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ، ومن استجاره من عذابه.. أجاره ، وتصديق ذلك من كتاب الله عز وجل : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ ، والاعتصام الثقة بالله تعالىٰ ، ومن دعاه.. أجابه ، وتصديق ذلك : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ .

وعن سيار أبي المنهال قال : رأيت أبا العالية يتوضأ ، فقلت : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ

﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، قال : ليس المتطهرون من الماء ، ولـٰكن المتطهرون من الذنوب .

وروىٰ أبو العالية عن أبي بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وأُبي بن كعب ، وابن عباس ، وغيرهم من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

فمن أحاديثه : ما رواه عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالىٰ : ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ « أي : بعد الإقرار بالميثاق الأول في صلب آدم عليه الصلاة والسلام » هـٰذا حديث غريب .

وعن أبي العالية ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتىٰ علىٰ وادي الأزرق ، فقال : « كأني أنظر إلىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام وله جؤار إلىٰ ربه عز وجل بالتلبية » ، ثم مرَّ علىٰ ثنية ، فقال : « ما هـٰذه الثنية ؟ » قيل : ثنية كذا وكذا ، قال : « كأني أنظر إلىٰ يونس بن متَّىٰ عليه الصلاة والسلام علىٰ ناقة جعدة حمراء ، خطامها من ليف ، وعليها جبة من صوف »[1] انتهىٰ [« الحلية » ٢/٢١٧-٢٢٣] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : أبو العالية اسمه : رفيع ، أعتقته امرأة من بني رياح .

قال أبو العالية : دخلت المسجد مع مولاتي ، فلما رأت الإمام على المنبر . . أخذت بيدي ، وقالت : اللهم ؛ إني أدَّخره عندك ذخيرة ، فاشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله عز وجل .

وقال أبو العالية : كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ، ثم ينام عنه حتىٰ ينساه .

وقال سيار بن سلامة : دخلت علىٰ أبي العالية في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له : يعافيك الله عز وجل ، فقال : إنَّ أحبَّه إليَّ . . أَحبُّه إلى الله عز وجل .

توفي في شوال ، سنة تسعين ، رحمه الله تعالىٰ . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١١١-١١٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) أخرج مسلم (١٦٦) عن أبي العالية ، عن ابن عباس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بوادي الأزرق فقال : « أي واد هـٰذا ؟ » فقالوا : هـٰذا وادي الأزرق ، قال : « كأني أنظر إلىٰ موسىٰ عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية » ، ثم أتىٰ علىٰ ثنية هرشي ، فقال : « أي ثنية هـٰذه ؟ » قالوا : ثنية هرشي ، قال : « كأني أنظر إلىٰ يونس بن متىٰ عليه السلام علىٰ ناقة حمراء جعدة ، عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبَةٌ ـ ليف ـ وهو يلبي » .

ومنهم الإمام :

بكر بن عبد الله المزني
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال معاوية بن عبد الكريم : سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول يوم الجمعة وأهل المسجد أحفل[1] ما كانوا : لو قيل لي : خذ بيد خير أهل المسجد . . لقلت دلوني علىٰ أنصحهم لعامتهم ؛ فإنه خيرهم ، ولو قيل لي : خذ بيد شرهم . . لقلت : دلوني علىٰ أغشهم لعامتهم ؛ فإنه شرهم ، ولو أن منادياً من السماء قال : لا يدخل الجنة منكم إلا رجل واحد . . لكان ينبغي لكل إنسان أن يجتهد في العبادة لعله أن يكون ذلك الواحد ، ولو قيل : لا يدخل النار منكم إلا رجل واحد . . لكان ينبغي لكل إنسان أن يخشىٰ أن يكون هو ذلك الواحد .

زاد في رواية : وما كنت لأشهد علىٰ خيرهم أنه مؤمن مستكمل الإيمان ؛ إذاً لشهدت أنه من أهل الجنة ، وما كنت لأشهد علىٰ شرهم أنه منافق بريء من الإيمان ؛ إذاً لشهدت أنه من أهل النار ، ولـٰكني أخشىٰ علىٰ محسنهم ، وأرجو لمسيئهم .

وقال : لا يكون الرجل تقياً حتىٰ يكون تقي الطمع ، تقي الغضب .

وكان قد جعل لله عز وجل علىٰ نفسه أنه لا يسمع رجلين يتنازعان في القَدَر . . إلا قام فصلىٰ ركعتين .

وقال : يكفيك من الدنيا ما قَنِعَتْ به نفسك ، وهو : كفٌّ من تمر ، وشربة من ماء ، وظل خباء ، وكلما انفتح عليك من الدنيا شيء . . ازدادت نفسك لها مقتاً .

وكان يدعو أبداً بهـٰذا الدعاء ـ لا يدعه ـ : **اللهم ؛ افتح لنا من خزائن رحمتك رحمة لا تعذبنا بعدها أبداً في الدنيا ولا في الآخرة ، وافتح لنا من رزقك الواسع رزقاً حلالاً طيباً**

---

(١) **الحفلُ** : الجمع من الناس ، وأحفل ما كانوا : أكثر ما كانوا .

لا نفتقر بعده إلىٰ أحد غيرك ، نزداد لك بهما شكراً ، وإليك فاقة وفقراً ، ونستغني بفضلك عمن سواك يا أرحم الراحمين .

وكان إذا رأىٰ شيخاً . . قال : هٰذا خير مِنِّي ، عَبَدَ اللهَ تعالىٰ قبلي ، وإذا رأىٰ شاباً . . قال : هٰذا خير مني ، ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب .

وكان يحذِّر من سوء الظن بالناس ويقول : إنكم إن أصبتم فيما ظننتم أو أخطأتم . . أثمتم ، فينبغي الاحتراز منه علىٰ كل حال .

وقال : إذا رأيت إخوانك من المسلمين يكرمونك . . فقل : هٰذا فضل منهم ، وإن رأيت منهم جفاء . . فقل : هٰذا بذنب أحدثتُه ، فتب إلى الله عز وجل منه .

وكانت كسوة بكر بن عبد الله قيمتها أربعة آلاف درهم ، وكان لا يبرح عن مجالسة الفقراء والمساكين ، وقال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يلبسون لا يعيبون على الذين لا يلبسون ، والذين لا يلبسون لا يعيبون على الذين يلبسون .

وقال : أنا أعيش عيش الأغنياء ، وأموت موت الفقراء ، فمات وعليه دَين . وقال : من يأتي الخطيئة وهو يضحك ثم لا يتوب . . دخل النار وهو يبكي .

وكان مجاب الدعوة .

وأسند عن جماعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٢٢٤-٢٣٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : وقف مطرّف بن الشخير في الموقف وبكر بن عبد الله المزني ، فقال مطرّف : اللهم ؛ لا تردهم من أجلي ، وقال بكر : ما أشرفه من جمع وأعظمه! لولا أني فيهم . رحمهما الله تعالىٰ[1] .

وقال بكر : من مثلك يابن آدم ؟! قد خلي بينك وبين المحراب والماء ، كلما اشتهيت . . دخلت في الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالىٰ ، ليس بينك وبينه ترجمان .

وقال بكر بن عبد الله : إذا رأيتم الرجل موكَّلاً بعيوب الناس ، ناسياً لعيبه . . فاعلموا أنه قد مُكِرَ به .

---

(١) جاء في هامش نسخة : (وفي رواية أخرىٰ : قال لما نظر إلىٰ أهل عرفات : إنهم قد غفر لهم ؛ لولا أني كنت فيهم) .

وقال مسمع بن عاصم : حدثني رجل من آل عاصم قال : رأيت عاصماً بعد موته بسنتين ، فقلت : أليس قد مِتَّ ؟ قال : بلىٰ ، فقلت : فأين أنت ؟ قال : أنا ـ والله ـ في روضة من رياض الجنة ، أنا ونفر من أصحابي ، نجتمع كل ليلة جمعة ، وفي صبيحتها نروح إلىٰ بكر بن عبد الله المزني نزوره ، ونسمع أخباركم ، قلت : أجسامكم وأرواحكم ؟ فقال : بليت الأجسام ، وإنما التلاقي الآن بالأرواح ، إلىٰ أن يُنفخ في الصور ، وتقوم الساعة ، فعندها تعود الأجسام ، فتدخل فيها الأرواح .

توفي سنة ثمان ومئة ، رضي الله عنه . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٣٨-١٣٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

صِلَة بن أَشْيَمَ العدوي

رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : كنيته : أبو الصهباء .

وعن ثابتٍ البناني قال : كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجَبَّانِ[1] ، فيتعبد فيها في ناحية عن القبور ، ويمر في طريقه علىٰ شباب يلعبون ، فيقول لهم : أخبروني عن قوم أرادوا سفراً ، فقطعوا النهار عن الطريق ، وناموا ليلاً ، متىٰ يصلون مقصدهم ؟ فكان يقول لهم ذلك كلما مر بهم ، فقال لهم يوماً هٰذه المقالة ، فتنبه شاب منهم ، وقال : يا قوم ؛ والله ما يعني بهٰذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو ، وبالليل ننام ، ثم إنه اتَّبعَ صلة بن أشيم ، وجعل يتعبد معه حتىٰ مات .

ومات له أخ ، فجاءه شخص وهو يأكل ، فقال : يا أبا الصهباء ؛ إن أخاك مات ، فقال له : هلم فكل ؛ فقد نعي إلي قبل ذلك ، فقال له : والله ؛ ما سبقني إليك أحد من الناس ، فمن نعاه ؟! قال : فقال له : قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ .

وقالت معاذة العدوية امرأته ـ رحمها الله ـ : كان أبو الصهباء يصلي حتىٰ ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً .

وقال جعفر بن زيد : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم ، فنزل الناس عند العشاء ، فقلت : لأرمقن عمله ، فاضطجع ، فالتمس غفلة الناس ، حتىٰ إذا هدأت العيون . . وثب ، فدخل غَيْضة[2] قريباً منه ، ودخلت في أثره ، فتوضأ ، ثم قام يصلي ، وجاء الأسد حتىٰ دنا منه ، قال : فصعدت في شجرة ، قال : فتراه التفت إليه أو عَدَّه كلباً حتىٰ سجد ، فقلت : الآن يفترسه ، فجلس ، ثم سلم ، وقال : أيها السبع ؛ اطلب الرزق

---

(١) **الجَبَّان** : المقبرة .

(٢) **الغيضة** : الموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتف .

من مكان آخر ، فولى الأسد هارباً ، ومازال يصلي إلى الصباح ، فلما كان الصبح . . جلس ، فحمد الله تعالىٰ بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ، ثم قال : اللهم ؛ إني أسألك أن تجيرني من النار ، أَوَمثلي يجترىء أن يسألك الجنة ؟! ثم رجع ، فأصبح كأنه بات على الحشايا[١] .

وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم ، قال : فلما دنونا من أرض العدو . . ذهبت بغلته بثقلها ، فقال الأمير : لا يتأخرن أحد عن العسكر ، وكان صلة يصلي ، فقالوا له : إن الناس قد ذهبوا ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، فقالوا : الناس قد ذهبوا ، فقال : إنهما خفيفتان ، قال : فصلىٰ ودعا ، فقال : اللهم ؛ إني أقسم عليك أن ترد بغلتي بثقلها ، قال : فجاءت حتىٰ وقفت بين يديه ، قال : فلما لقينا العدو . . حمل هو وهشام بن عامر ، فصنعا بهم طعناً وضرباً وقتلاً ، فانكسر العدو ، وقالوا : رجلان من العرب صنعا بنا هـٰذا ؟ فكيف لو قاتلونا كلهم ؟! فأعطوا المسلمين ما أرادوا منهم .

وقال صلة بن أشيم : كنت أسير علىٰ دابة ؛ إذ جعت جوعاً شديداً ، فلم أجد أحداً يبيعني طعاماً ، فبينا أنا أسير ؛ دعوت ربي سبحانه وتعالىٰ واستطعمته ، فلم ألبث إذ سمعت وَجْبَةً[٢] من خلفي ؛ فإذا أنا بمنديل أبيض ، فنزلت عن دابتي وأخذت المنديل ؛ فإذا فيه دَوخلَّة[٣] ملأىٰ رطباً ، فأخذته ، وركبت دابتي ، وأكلت منه حتىٰ شبعت ، وأدركني المساء ، فنزلت إلىٰ راهب في دير له ، فحدثته الحديث ، فاستطعمني من الرطب ، فأطعمته رطبات ، فلم يأكلهن ، ثم فارقته ، وأتيت إليه بعد مدة ؛ فإذا نخلاتٌ حسانٍ يحملن أكثر ما يكون ، فقال لي : إن هـٰذه النخلات رطباتك التي أطعمتني .

ولما كان ليلة بنائه بزوجته معاذة العدوية . . أُدخِل إلى الحمَّام ، ثم أُدخِل عليها في بيت فيه طِيب كثير ، فقام يصلِّي ، فلما رأته يصلِّي . . قامت هي أيضاً تصلِّي ، فلم يزالا يصلِّيان حتىٰ برق الفجر ، فأتاه ابن أخيه ، فقال له : يا عم ؛ أُهديت إليك ابنة عمك ، فقمت تصلي وتركتها ؟ فقال : يابن أخي ؛ إنك أدخلتني أمس بيتاً أذكرتني به النار ، ثم أدخلتني اليوم بيتاً أذكرتني به الجنة ، فما زالت فكرتي فيهما حتىٰ أصبحت .

---

(١) **الحَشَايا** : جمع حَشِيَّة ، وهي : الفراش المحشو .
(٢) **الوَجْبَةُ** : صوت السقوط .
(٣) **الدَّوخَلَّةُ** : ما ينسج من الخوص ويجعل فيه الرطب .

وقال صلة بن الأشيم لامرأته معاذة ـ رحمها الله ـ : ليكن شعارك الموت ، فإذا كنت كذلك . . لا تبالين علىٰ يسير أصبحت من الدنيا أو علىٰ كثير .

وقال الحسن : مات أخ لنا ، فصلينا عليه ، فلما وضع في قبره . . جاء صلة ، ونادىٰ : يا فلان بن فلان :

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا . . فـإنـي لا إخـالُـك نـاجيـا

وقال رجل لصلة : ادع لي ، فقال : رغَّبك الله فيما يبقىٰ ، وزهَّدك فيما يفنىٰ ، ووهب لك اليقين حتىٰ لا تسكن إلا إليه ، ولا تعول إلا عليه سبحانه وتعالىٰ .

وقال ثابت : كان صلة في مغزىٰ له ومعه ابن له ، فقال : أي بني ؛ تقدم فقاتل ، حتىٰ أحتسبك ، فتقدم فقاتل حتىٰ قتل ، ثم تقدم هو ، فقاتل حتىٰ قتل ، فجاء النساء إلى امرأته معاذة العدوية ـ رحمها الله ـ فقالت : إن كنتن جئتن لتُهنِّئْنَنِي . . فمرحباً بكنّ ، وإن كنتنّ جئتنّ لغير ذلك . . فارجعن .

ولقي صلة بن أشيم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم .

وأسند عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقتل شهيداً في أول إمرة الحجاج . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١١٥ـ١١٧] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن ثابت ، عن معاذة قالت : كان أصحاب صِلَةَ إذا التقوا . . عانق بعضهم بعضاً .

وقال صلة : طلبت المال من وجهه ، فأعياني ، إلا رزق يوم بيوم ، فعرفت أنه قد خِيْر لي .

قال الحسن : وايم الله ؛ ما رُزِق رجلٌ رِزْقَ يوم بيوم ، فلم يعلم أنه قد خِيْر له . . إلا غبي الرأي ، أو عاجز . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٢٣٨ـ٢٤١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

العلاء بن زياد

رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان للعلاء بن زياد مال ورقيق ، فأعتق ، وأمسك غلاماً أو اثنين يأكل غلتهما ويتعبد ، وكان كل يوم يأكل رغيفين ، وترك مجالسة الناس ، فلم يكن يجالس أحداً .

وكان يصلي في جماعة ، ثم يرجع إلىٰ أهله ، ويروح إلى الجمعة ، ثم يرجع إلىٰ أهله ، ويشيع الجنائز ، ويعود المرضىٰ ، فقالوا : رحمك الله ، أهلكت نفسك ، لا يسعك هٰذا ، وكلموه وهو ساكت ، فلما فرغوا من كلامهم. . قال : إنما أتذلل لله عز وجل لعله يرحمني .

وقال ابن هلال : دخلت مع الحسن إلى العلاء بن زياد نعوده وقد سله الحزن ، وكانت أخته تندف[1] تحته القطن غدوة وعشية ، فقال له الحسن : كيف أنت يا علاء ؟ فقال : واحزناه على الحزن ، فقال الحسن : قوموا ، فإلىٰ هٰذا ـ والله ـ انتهى الحزن .

وكان العلاء بن زياد يحيي كل ليلة جمعة ، فوجد ليلة فترة ، فقال لامرأته : إني لأجد فترة ، فإذا مضىٰ من الليل كذا وكذا. . فأيقِظيني ، قالت : نعم ، فأتاه آت في منامه ، فأخذ بناصيته ، فقال : يابن زياد ؛ قم فاذكر الله عز وجل. . يذكرك ، قال : فقام ، فمازالت تلك الشعرات التي أُخذ بها قائمة حتىٰ مات .

وعن هشام ، عن العلاء قال : إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار ، فإن شاء الله أن يخرجنا منها. . أخرجنا .

وكان يقول : ليحسبْ أحدكم أنه قد حضر أجله ، فاستقال ربه عز وجل ، فأقاله ، فليعمل بطاعة الله سبحانه وتعالىٰ .

---

(١) تندف القطن : تضربه بخشبة كي يصبح طرياً مريحاً .

وكان زياد العدوي قد بكىٰ حتىٰ عمي ، وبكىٰ بعده ابنه العلاء حتىٰ عشي بصره .

وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ . . أجهشه البكاء .

وقال هشام بن حسان : تجهز رجل من أهل الشام للحج ، فأتاه آت في منامه ، فقال له : ائت العراق ، ثم ائت البصرة ، ثم ائت بني عدي فأت العلاء بن زياد ؛ فإنه رجل رَبْعة أقصم[1] الثنية بسَّام ، فبشِّرْه بالجنة ، قال : هـٰذه رؤيا ليست بشيء ، فلما كانت الليلة الثانية ورقد . . أتاه الآتي وذكر له مثل ذلك ، فلما كانت الليلة الثالثة . . جاءه بوعيد ، فقال : ألا تأتي العراق ، ثم البصرة ، ثم بني عدي ، فتلقى العلاء بن زياد ، فتبشِّره بالجنة ؟! قال : فأصبح ، فأعد جهازه إلى العراق ، فلما خرج من البيوت ؛ فإذا الذي أتاه في منامه يسير بين يديه ، يراه كيفما سار ، فإذا نزل . . فقده ، فلم يزل يراه حتىٰ دخل الكوفة ، ثم فقده ، فتجهز من الكوفة ، فخرج فرآه يسير بين يديه حتىٰ قدم البصرة ، فأتىٰ بني عدي ، فوقف علىٰ باب العلاء ، فسلم ، قال هشام : فخرجت إليه ، فقال لي : أنت العلاء بن زياد ؟ قلت : لا ، انزل رحمك الله ، فتضع رحلك ومتاعك ، قال : لا ، أين العلاء بن زياد ؟ قال : قلت : هو في المسجد ، وكان العلاء يجلس في المسجد يدعو بدعوات ويتحدث ، قال هشام : فأتيت العلاء ، فخفف من حديثه ، وصلىٰ ركعتين ، ثم جاء ، فلما رآه العلاء . . تبسم ، فبدت ثنيته ، فقال : هـٰذا ـ والله ـ صاحبي ، فقال العلاء لهشام : هلا حططت رحْل الرجل ؟ ألا أنزلته ؟ قال : قد قلت له فأبىٰ ، قال له العلاء بن زياد : انزل رحمك الله ، قال : أخْلِني ، فدخل العلاء منزله ، وقال لامرأته : يا أسماء ؛ تحولي إلى البيت الآخر ، فتحولت ، ودخل الرجل ، فبشره برؤياه ، ثم خرج وركب ، فقام العلاء ، فأغلق بابه ، وبكىٰ بكاء شديداً ثلاثة أيام ـ أو قال : سبعة أيام ـ لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً ، ولا يفتح بابه ، قال هشام : فسمعته في خلال كلامه يقول : أنا ؟ أنا ؟ قال : فكنا نهابه ، وخشينا أن يموت ، فأتيت الحسن ، فذكرت له ذلك ، وقلت : لا أراه إلا ميتاً لا يأكل ولا يشرب باكياً ، فجاء الحسن ، فضرب الباب ، وقال : افتح يا أخي ، فلما سمع كلام الحسن . . قام ففتح بابه وبه من الضر شيء الله به عليم ، فكلمه الحسن ، ثم قال : رحمك الله ، ومِن أهل الجنة إن شاء الله ، أفقاتل نفسك أنت ؟!

قال هشام : حدثنا العلاء ـ لي وللحسن ـ بالرؤيا ، وقال : لا تحدثوا بها ما دمت حياً .

---

(١) أقصم : فلان أقصم الثنية : إذا كان منكسرها من النصف .

توفي رحمه الله في ولاية الحجاج على العراق . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/ ١٤٢ـ١٤٤] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : كان العلاء قد قوَّت نفسه برغيف كل يوم ، وكان يصوم حتىٰ يخضر[1] ، ويصلي حتىٰ يسقط ، فدخل عليه أنس بن مالك والحسن ، فقالا : إن الله عز وجل لم يأمرك بهٰذا كله ، فقال : إنما أنا عبد مملوك ، لا أدع من الاستكانة والذلة شيئاً . . إلا جئته .

وعن هشام بن حسان قال : كنت أمشي خلف العلاء بن زياد ، فكان يتوقى الطين ، قال : فدفعه إنسان ، فوقعت رجله في الطين ، قال : فخاضه ، فلما وصل إلى الباب . . وقف وقال : رأيت يا هشام ؟ قلت : نعم ، قال : كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب ، فإذا وقع فيها . . خاضها .

• وقال له قائل : إني رأيت كأنك في الجنة ، فقال : ويحك! أمَا وجد الشيطان أحداً يسخر به غيري وغيرك ؟!

وقال : إنكم في زمان أقلكم الذي ذهب عُشر دينه ، وسيأتي عليكم زمان أقلكم الذي يسلم له عشر دينه .

وأسند عن جماعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين . انتهىٰ [« الحلية » ٢/ ٢٤٣ـ٢٤٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) الخضرة في ألوان الناس : السُّمرة .

ومنهم الإمام :

محمد بن سيرين الأنصاري

رضي الله عنه

مولاهم التابعي الإمام في التفسير والحديث والفقه وعبر الرؤيا ، والمقدم في الزهد والورع .

روىٰ أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : عن عبيد الله[1] ابن أبي بكر ابن أنس ، قال : هٰذه مكاتبة سيرين عندنا : هٰذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه سيرين علىٰ كذا وكذا ألفاً ، وعلىٰ غلامين يعملان عنه .

واسم أم محمد بن سيرين : صفية ، مولاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، طيبها ثلاث من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعين لها ، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدرياً ، منهم : أبي بن كعب يدعو وهم يؤمّنون .

وكان محمد بن سيرين إذا حدَّث . . كأنه يتقي شيئاً ، أو كأنه يحذر شيئاً .

وكانوا إذا ذكروا رجلاً عند ابن سيرين بسبة . . ذكره محمد بأحسن ما يعلم .

وعن طوق بن وهب قال : دخلت على ابن سيرين فقال : كأني أراك شاكياً ، قلت : أجل ، قال : اذهب إلىٰ فلان الطبيب ، ثم قال : اذهب إلىٰ فلان ؛ فإنه أطب منه ، ثم قال : أستغفر الله ، أراني قد اغتبته .

وعن مورق قال : ما رأيت أفقه في ورعه ، ولا أورع في فقهه . . من ابن سيرين .

وقال أبو قلابة : اصرفوه حيث شئتم . . تجدوه أشدكم ورعاً ، وأملككم لنفسه ، ثم قال : وأينا يطيق ما يطيق ابن سيرين ؟! يركب مثل حد السنان .

وعن أبي عوانة قال : رأيت ابن سيرين يمر في السوق ، فيكبر الناس .

---

(١) في المخطوط : (عبد الله) .

وقال خلف : كان محمد بن سيرين قد أعطي هدْياً وسمتاً وخشوعاً ، وكان الناس إذا رأوه . . ذكروا الله ، وكان إذا مشىٰ معه رجل . . وقف وقال : ألك حاجة ؟

وقال : إذا أراد الله بعبد خيراً . . جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه .

وعن ابن عون قال : سمعت ابن سيرين يقول في شيء راجعته فيه : إني لم أقل لك : ليس به بأس ، إنما قلت لك : لا أعلم به بأساً .

وكان إذا سئل عن شيء من الحلال والحرام . . تغير لونه وتبدل ، حتىٰ كأنه ليس بالذي كان .

وعن هشام قال : أوصىٰ أنس بن مالك أن يغسله ابن سيرين وكان محبوساً ؛ فقال : أنا محبوس ، قالوا : قد استأذنَّا الأمير في ذلك ، قال : إن الأمير لم يحبسني ، وإنما حبسني الذي له عليَّ الحق ، فأذن له صاحب الحق ، فخرج فغسله .

ولم يعرض له أمران في دينه . . إلا أخذ بأوثقهما .

وعن هشام : أن ابن سيرين اشترىٰ شيئاً ، فأشرف منه علىٰ ثمانين ألفاً ، فعرض في قلبه منه شيء ، فتركه ، قال هشام : ما هو ـ والله ـ برِبا .

وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، اليوم الذي يفطر فيه يتغدىٰ ولا يتعشىٰ ، ثم يتسحَّر ، ويصبح صائماً .

وكان يدخل السوق نصف النهار يكبِّر ويسبِّح ويذكر الله تعالىٰ ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنها ساعة غفلة .

وكان لا يكلم أمه بلسانه كله ؛ تخشعاً وإكراما لها . انتهىٰ [« الصفوة » ١٣٣ـ١٣٥] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : أولاد سيرين ستة : محمد ، ومعبد ، وأنس ، ويحيىٰ ، وحفصة ، وكريمة ، كلهم رواة ثقات ، وروىٰ محمد عن يحيىٰ عن أنس عن أنس بن مالك حديثاً ، وهـٰذا من المستطرفات ؛ لكونهم ثلاثة إخوة روىٰ بعضهم عن بعض(١) .

وقال ابن عون : كان ابن سيرين يحدث بالحديث علىٰ حروفه .

---

(١) الحديث ذكره ابن الصلاح في النوع الثالث والأربعون من مقدمته ، ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٢١٨/١٤) .

وقال محمد بن سعد : كان ثقة ، مأموناً ، عالياً ، رفيعاً ، فقيهاً ، إماماً ، كثير العلم ، ورعاً .

وعن محمد بن سيرين قال : حججنا ، فدخلنا المدينة علىٰ زيد بن ثابت رضي الله عنه ونحن سبعة من ولد سيرين ، فقال : هـٰذان لأم ، وهـٰذان لأم ، وهـٰذان لأم ، وهـٰذا لأم ، فما أخطأ رضي الله عنه ، وكان معبد أخاه لأمه .

ولما حبس ابن سيرين . . قال له السَّجَّان : إذا كان الليل . . فاذهب إلىٰ أهلك ، وإذا أصبحت . . تعال ، فقال : لا ، والله ؛ لا أعينك علىٰ خيانة السلطان .

قال الخطيب : وكان سبب حبسه أنه اشترىٰ زيتاً بأربعين ألف درهم ، فوجد في زقّ[1] منه فأرة ، فقال : الفأرة كانت في المعصرة ، فصب الزيت كله ، وكان يقول : عيرت رجلاً بشيء من ثلاثين سنة ، أحسبني عوقبت به . انتهىٰ [« التهذيب » ١/٨٢ـ٨٤] .

وقال أبو الفرج : وعن ابن عون قال : دخل رجل على ابن سيرين وهو عند أمه كأنه عليل ، فقال : ما شأن ابن سيرين ؟ أيشتكي شيئاً ؟ قالوا : لا ، لـٰكنه ، هـٰكذا يكون إذا كان عند أمه .

وقال : إن من الظلم البين لأخيك . . أن تذكر شر ما فيه وتكتم خيره .

وقال ابن عون : أرسل ابن هبيرة إلى ابن سيرين ، فأتاه ، فقال له : كيف تركت أهل مصرك ؟ قال : تركتهم والظلم فيهم فاش ، قال ابن عون : كان ابن سيرين يرىٰ أنها شهادة يسأل عنها ، فكرِهَ أن يكتمها .

وكانت لابن سيرين منازل لا يكريها إلا لأهل الذمة ، فقيل له في ذلك ، فقال : لأنه إذا جاء رأس الشهر . . رُعْته ، وإني أكره أن أروع مسلماً .

وعن عبد الله بن السري قال : قال ابن سيرين : إني لأعرف الذنب الذي حمل عَلَيَّ الدَّين ما هو ، وذلك أني قلت لرجل من أربعين سنة : يا مفلس ، فحدثت به أبا سليمان الدَّاراني ، فقال : قَلَّتْ ذنوبهم ، فعرفوا من أين يؤتون ، وكثرت ذنوبي وذنوبك ، فليس ندري من أين نؤتىٰ .

وكان عامة كلام ابن سيرين : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

---

(١) الزِّق : السِّقاء .

وكان له سبعة أوراد يقرؤها بالليل ، فإذا فاته منها شيء . . قرأه بالنهار .

وكان يحيي الليل كله في رمضان .

وكان يجالس أصحابه ويتحدث معهم ، فإذا ذكروا الموت . . تغير لونه واصفرَّ ، وأنكرناه ، كأنه ليس بالذي كان .

وكان إذا سئل عن الرؤيا . . يقول للسائل : اتق الله في اليقظة ، ولا يضرك ما رأيت في النوم .

وعن حبيب بن الشهيد قال : كنت أنا وأيوب السختياني عند عمرو بن دينار ، فحلف أنه ما رأىٰ أحداً أفضل من طاووس ، فقال أيوب : لو رأى ابن سيرين . . لم يحلف .

أسند ابن سيرين عن زيد بن ثابت ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم ، رضي الله عنهم .

وتوفي سنة عشر ومئة ، بعد الحسن بمئة يوم ، وهو ابن نيف وثمانين سنة . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٣٦-١٣٨] .

وقال الحافظ : قال رجل لابن سيرين : إني قد اغتبتك ، فاجعلني في حل ، قال : إني أكره أن أحل ما حرم الله عز وجل .

وسئل مرة عن فتيا ، فأحسن الإجابة فيها ، فقال له رجل : والله يا أبا بكر ؛ لقد أحسنت الفتيا والقول فيها ، قال : وعرَّض الرجل كأنه يقول : ما كانت الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم لتحسن أكثر من هـٰذا ، فقال ابن سيرين بانزعاج : لو أردنا فقههم . . لما أدركته عقولنا . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٢٦٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

ثابت البُناني
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال أنس بن مالك : إن للخير مفاتيح ، وإن ثابتاً البُناني من مفاتيح الخير .

وقال بكر بن عبد الله : من أراد أن ينظر إلىٰ أعبد أهل زمانه . . فلينظر إلىٰ ثابت البُناني .

وكان يقول : لا يسمى الشخص عابداً حتىٰ يجهد نفسه في الصوم والصلاة ؛ لأنهما من لحمه ودمه .

وقال ثابت لحُميدٍ الطويل : هل بلغك يا أبا عبيدة : أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ؟ قال : لا ، قال ثابت : اللهم ؛ إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره . . فأْذَنْ لثابت أن يصلي في قبره .

قال : وكان ثابت يصلي قائماً حتىٰ يعيىٰ ، فإذا أعيىٰ . . جلس ، فيصلي وهو جالس ، ويحتبي في قعوده ، ويقرأ ، فإذا أراد أن يسجد وهو جالس . . فتح حبوته .

وحدثنا شيبان بن جسر عن أبيه قال : أَنَا ـ والله الذي لا إلـٰه إلا هو ـ أدخلت ثابتاً لحده ومعي حميد الطويل ـ أو رجل غيره ـ فلما سوينا عليه اللبن . . سقطت لبنة ، فإذا أنا به يصلي في قبره ، فقلت للذي معي : ألا ترىٰ ؟ قال : اسكت ، فلما سوَّينا عليه وفرغنا . . أتينا ابنته ، فقلنا لها : ما كان عمل ثابت ؟ قالت : وما رأيتم ؟ فأخبرناها ، فقالت : كان يقوم الليل خمسين سنة ، فإذا كان السحر . . قال في دعائه : اللهم ؛ إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره ، فأعطنيها ، فما كان الله ليرد ذلك الدعاء .

وقال : الصلاة خدمة الله في الأرض ، لو علم الله عز وجل شيئاً أفضل من الصلاة . . لما قال : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾ .

وقال : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعمت بها عشرين سنة .

وما ترك سارية من سواري المسجد الجامع . . إلا وقد ختم عندها القرآن وبكىٰ عندها .

واستعان رجل بثابت البُناني على القاضي في حاجة ، فجعل لا يمر بمسجد . . إلا دخل فصلىٰ فيه ، حتى انتهىٰ إلى القاضي وقد ختمت القماطر[(١)] ، فكلموه في حاجة الرجل ، فقضاها .

وكان يقول في دعائه : يا باعث ، يا وارث ؛ لا تدعني فرداً ، وأنت خير الوارثين .

وقال محمد بن ثابت : ذهبت ألقِّن أبي في الموت : لا إلـٰه إلا الله ، فقال : يا بني ؛ دعني ، فإني في وردي السادس أو السابع .

وبكىٰ ثابت حتىٰ كادت عيناه أن تذهب ، فجاؤوا برجل يعالجها ، فقال : أعالجهما علىٰ أن تطيعني ، قال : في أي شيء ؟ قال : لا تبكي ، قال : فما خيرهما إن لم تبكيا ؟ وأبىٰ أن يتعالج[(٢)]

وقال أحمد ابن حنبل : بلغني أن أنس بن مالك قال لثابت البُناني : ما أشبه عينيك بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمازال يبكي حتىٰ عمشت عيناه من أجل ذلك ، حتىٰ لا يقال ما أشبه عينيك .

وقال ثابت : بلغنا أن الله عز وجل أوحىٰ إلىٰ جبريل عليه الصلاة والسلام : يا جبريل ؛ استنسخ[(٣)] حلاوة فلان بن فلان ، قال : فينسخها فيبقىٰ والهاً مكروباً محزوناً ، فيقول :

---

(١) القماطر : جمع قِمَطْر ، وهو : ما تصان فيه الكتب ؛ أي : انتهى الوقت الذي يجلس فيه القاضي للناس .

(٢) قال الإمام الغزالي في « الإحياء » (٤/ ٢٨٣) :
اعلم أن الأسباب المزيلة للمرض تنقسم إلىٰ مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش . . . وإلىٰ موهوم كالكي والرقية ، أما المقطوع . . فليس من التوكل تركه ، بل تركه حرام عند خوف الموت ، وأما الموهوم . . فشرط التوكل تركه . . . ، وأما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء . . ففعله ليس مناقضاً للتوكل بخلاف الموهوم . . . ، وتركه ليس محظوراً بخلاف المقطوع ، بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص .
ثم عدَّد أسباب ترك التداوي فقال : السبب الثالث : أن تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به ـ بالإضافة إلىٰ علته ـ موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل . . . وأكثر مَن تَرَكَ التداوي من العباد والزهاد هـٰذا مستندهم .
ونقل الغزالي عن الإمام أحمد قوله : أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هـٰذا الطريق ترك التداوي مِنْ شرب الدواء وغيره . انتهىٰ باختصار .

(٣) استنسخ : أزِلْ ، والنسخ : الإزالة .

يا جبريل ؛ إني قد بلوته ، فوجدته صادقاً ، فاردد حلاوته ، إني قد بلوته ، فوجدته صادقاً ، وسأمدُّه بالزيادة ، وهو سبحانه وتعالىٰ أعلم بعبده ، وبما يكون منه .

وعن ثابت قال : بلغنا أن المؤمن يوقَف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل ـ وهو أعلم سبحانه وتعالىٰ ـ فيقول له : يا عبدي ؛ أكنت تعبدني فيمن يعبدني ؟ فيقول : يا رب ؛ نعم ، فيقول : أكنت تدعوني فيمن يدعوني ؟ فيقول : يا رب ؛ نعم ، فيقول : أكنت تذكرني فيمن يذكرني ؟ فيقول : أي رب ؛ نعم ، فيقول له : وعزتي وجلالي ما ذكرتني في موطن قط . . إلا ذكرتك فيه ، ولا دعوتني دعوة قط . . إلا استجبتها لك .

ثم قال ثابت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن العبد المسلم لا تُرَدُّ له دعوة ، إما أن تعجل له في الدنيا ، وإما أن تدخر له في الآخرة ، وإما أن يكفر عنه بها خطاياه »[1] .

وقال ثابت : إذا وجل قلبي ، واقشعر جلدي ، وفاضت عيني ، وفتح لي في الدعاء . . فثَمَّ أعلم أنه قد استجيب لي .

وقال : إن أهل ذكر الله سبحانه وتعالىٰ يجلسون إلىٰ ذكر الله عز وجل وعليهم من الآثام أمثال الجبال ، فإذا ذكروا الله تعالىٰ . . يقومون من مجلسهم بعد ذكر الله عز وجل عُطلاً[2] من الذنوب ، ما عليهم منها شيء .

وكان يقول : إذا وضع المؤمن في قبره . . احتوشته أعماله الصالحة .

وكان يقول : إن المؤمن إذا بعث من قبره . . تلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا ، يقولان له : لا تخف ، ولا تحزن ، وأبشر بالجنة التي كنت توعد .

وقال ثابت : كان داوود عليه الصلاة والسلام قد جزأ الليل والنهار ساعات علىٰ أهله ، فلم تكن ساعة من ليل ولا نهار . . إلا وإنسان من آل داوود قائم يصلِّي ، قال : فعمَّهم [الله] في هـٰذه الآية : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ .

وقال : بلغني أنه ما من قوم جلسوا مجلساً فيقومون قبل أن يسألوا الله الجنة ويتعوذوا بالله عزّ وجلّ من النار . . إلا قالت الملائكة : المساكين أغفلوا العظيمتين .

وقال ثابت : كان داوود عليه الصلاة والسلام إذا ذكر عقاب الله عز وجل . . تخلعت أوصاله ، وإذا ذكر رحمة الله سبحانه وتعالىٰ . . رجعت إليه .

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٣/ ١٨) .
(٢) العُطُلُ : الخالي .

وأسند ثابت عن غير واحد من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٣١٨ـ٣٢٩] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان ثابت يصلي في كل يوم ثلاث مئة ركعة ، ثم يقول : مضى العابدون وقطع بي ، وَالَهْفاهُ!

وكان يختم القرآن في اليوم والليلة ، ويصوم الدهر .

وقال حماد : رأيت ثابتاً يبكي حتىٰ تختلف أضلاعه .

وعن هشام قال : ما رأيت قط أصبر علىٰ طول القيام والسهر . . من ثابت ؛ صحبناه مرة من البصرة إلىٰ مكة ، فكنا إن نزلنا ليلاً . . فهو قائم يصلي ، فإذا سرنا . . فهو إما باكياً وإما تالياً ، وكان الذين يمرون بالحضر[١] في الأسحار إذا مروا عند قبر ثابت . . يسمعون قراءة القرآن .

توفي في ولاية خالد بن عبد الله على العراق . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٤٨ـ١٥٠] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : ومما أسنده ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : لما كان يوم أُحد . . حاص[٢] أهل المدينة حيصة ، فخرجت امرأة من الأنصار متحزمة ، فاستُقبِلت بأبيها وابنها وأخيها وزوجها ـ لا أدري أيهم استقبلت به أولاً ـ فلما مرت علىٰ آخرهم . . قالت : من هٰذا ؟ قالوا : أبوك أخوك زوجك ابنك ، وهي تقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : أمامك ، حتىٰ جاءت إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذت بناحية ثوبه ، ثم جعلت تقول : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، لا أبالي ؛ إذ سلمتَ من عطب . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٣٣٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) جاء في بعض النسخ : (بالحصن) ، وفي « الصفوة » : (بالجص) . والمراد موضع دفنه . .

(٢) حاصوا حيصة : جالوا جولة يطلبون الفرار .

ومنهم الإمام :

أبو الخطاب قتادة
رضي الله عنه

روى الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن بكر بن عبد الله المزني قال : من أراد أن ينظر إلىٰ أحفظ أهل زمانه . . فلينظر إلىٰ قتادة ؛ فما أدركنا أحفظ منه .

وعن قتادة قال: لزمت سعيد بن المسيب أربعة أيام يحدثني ، فقال لي يوماً : لِمَ لا تكتب ؟ فهل في يدك شيء مما أحدثك به ؟ قلت : إن شئت حدثتك بما حدثتني به ، قال : فأعدتها عليه ، قال : فبقي ينظر إلي ويقول : أنت أَهْلٌ أن تُحدِّث ، فسل ، فأقبلت أسأله .

وقال قتادة : ما سمعت أذناي قط شيئاً . . إلا وعاه قلبي .

وعن مطر قال : كان قتادة فارس العِلم ، وما زال متعلماً حتىٰ مات .

وقال قتادة : يستحب ألاَّ تُقرأَ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علىٰ طهور .

وقال : لا تَعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ، وإنما اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح ، إذا رأيت عبداً صالحاً يعمل فيما بينه وبين الله عز وجل خيراً . . ففي ذلك فسارع ، وفي ذلك فنافس ما استطعت ، ولا قوة إلا بالله .

وقال : إن الذنب الصغير يجتمع إلىٰ مثله ، فيهلك صاحبه ، إِنَّ أهيَبكم للذنب الصغير . . أورعكم عن الكبير ، ثم قرأ قوله تعالىٰ : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ ، هـٰذا عبد نوى الدنيا ، لها أنفق ، ولها أشخص ، ولها عمل ، ولها نصب وتعب ، وهي نيته وطلبته ، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ، هـٰذا عبد نوى الآخرة ، ولها عمل ، ولها أنفق ، ولها نصب وتعب ، وكانت الآخرة همه وطلبته ونيته .

وكان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان . . ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا جاء العشر الأخير منه . . ختم كل ليلة .

وعن قتادة في قوله عز وجل : ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ : هو كل ما أريد به وجه الله عز وجل[1] .

وعنه قال : إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل . . اشتاق إلىٰ لقاء ربه عز وجل فقال : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .

وقال : من أطاع الله في الدنيا . . حصلت له كرامة الله عز وجل في الآخرة .

وقال قتادة : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه ، وصلاح الناس . . أفضل من عبادة حول كامل .

أسند عن جماعة من الصحابة ، رضوان الله تعالىٰ عليهم .

وروىٰ عن قتادة خلائق من التابعين رحمهم الله جميعاً . انتهىٰ [« الحلية » ٣/٣٣٣ـ٣٤١] .

وقال شيخ الإسلام النووي ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ : قتادة بن دِعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ التابعي ، أجمعوا علىٰ جلالته ، وتوثيقه ، وحفظه ، وإتقانه ، وفضله .

قال سعيد بن المسيب : ما أتانا عراقي أحفظ من قتادة .

وقال شعبة : قال سفيان : وكان في الدنيا مثل قتادة ؟!

ورُوِّينا عن معمر قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : رأيت حمامة التقمت لؤلؤة ، فخرجت منها أعظم مما دخلت ، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة ، فخرجت أصغر مما دخلت ، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة ، فخرجت كما دخلت سواء ، فقال ابن سيرين : الحمامة الأولىٰ : الحسن يسمع الحديث ، فيجوده بمنطقه ، ثم يصل فيه من مواعظه ، والثانية : ابن سيرين ، يشك ، فينقص منه ، والثالثة : قتادة ؛ فهو أحفظ الناس .

وقال ابن سعد : كان قتادة ثقة مأموناً حجة في الحديث .

وقال قتادة : جالست الحسن اثنتي عشرة سنة ، وما قلت برأيي منذ أربعين سنة .

ووفد قتادة على ابن المسيِّب ، فسأله أياماً ، فأكثر ، فقال : أتحفظ كل ما سألتني عنه ؟

---

(١) جاء في هامش نسخة : (وعن قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ قال : أضاع أكبر الضيعة ، أضاع نفسه ، وعسىٰ ـ مع ذلك ـ أن تجده حافظاً لماله مضيعاً لدينه) .

قال : نعم ، سألتك عن كذا ، فقلتَ فيه كذا ، وأعاد عليه جميع ما سأله عنه ، وكان شيئاً كثيراً ، فقال ابن المسيب : ما كنت أظن أن الله عز وجل خلق مثلك .

وذكره أحمد ابن حنبل فأطنب في الثناء عليه ، ونشر من علمه وفقهه ومعرفته بالتفسير والاختلاف ، وغير ذلك ، وقَلَّ من يتقدمه ، وكان أحفظ أهل البصرة ، ولا يسمع شيئاً . . إلا حفظه ، وقرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة ، فحفظها ، وكان من العلماء .

وقال ابن مهدي : قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد .

وقال أبو حاتم : أكبر أصحاب الحسن . . قتادة ، وأَثبتُ أصحاب أنس . . الزهري ، ثم قتادة .

توفي سنة سبع عشرة ، وقيل : ثمان عشرة ومئة ، وهو ابن ست وخمسين ، وقيل : خمس وخمسين سنة ، رضي الله عنهم أجمعين . انتهىٰ [« التهذيب » ٢/٥٧-٥٨] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

محمد بن واسع
رضي الله عنه

قال القشيري ـ رحمه الله ـ : قال بعض العارفين : رأيت كأن القيامة قد قامت ، فقيل : أدخِلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة ، فنظرت أيهما يتقدم ، فتقدم محمد بن واسع ، فسألت عن سبب ذلك ، فقيل : إنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : دخل محمد بن واسع علىٰ قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف ، فقال له قتيبة : ما دعاك إلى الصوف ؟ فسكت ، فقال : أكلمك فلا تجيبني ، فقال : أكره أن أقول زهداً فأزكِّي نفسي ، أو فقراً فأشكو ربي عز وجل .

وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن ، فيأكلون ما يجدون بغير إذن ، وكان الحسن يدخل ، فيرىٰ ذلك ، فيُسر ، ويقول : هٰكذا أدركناهم . انتهىٰ [« الإحياء » ٤/ ٢٣٤] .

وقال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال مالك بن دينار : كان محمد بن واسع من قراء الرحمـٰن .

وعن محمد بن واسع قال : إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله عز وجل . . أقبل الله إليه بقلوب المؤمنين .

وكان يقول في دعائه : اللهم ؛ إني أستغفرك من كل مقام سوء ، ومقعد سوء ، ومدخل سوء ، ومخرج سوء ، وعمل سوء ، ونية سوء . . فاغفر لي وتب عَلَيَّ ، إنك أنت التواب الرحيم .

وقال سليمان التيمي : ما أحد أحب إلي من أن ألقى الله عز وجل بمثل صحيفته من محمد بن واسع .

وقدم من مكة إلى البصرة ، فكان يصلِّي اللَّيل كله في المَحْمِل جالساً ، يومىء برأسه

إيماء ، ويأمر الحادي خلفه فيرفع صوته ؛ لئلا يُعرَف أنه يصلي .

وجاء حوشب إلىٰ مالك بن دينار فقال له : يا أبا يحيىٰ ؛ رأيت البارحة كأن منادياً ينادي يقول : يا أيها الناس ؛ الرحيلَ الرحيل ، فما رأيت أحداً يرحل . . إلا محمد بن واسع ، فصاح مالك وخر مغشياً عليه .

وقال محمد بن واسع : **القرآن بستان العارفين ، فأينما حلوا منه . . حلوا في نزهة .**

وقال : أدركت رجالاً كان الرجل منهم رأسه مع رأس امرأته علىٰ وسادة واحدة ، قد بل ما تحت خده من دموعه عشرين سنة ، لا تشعر به امرأته ، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف ، فتسيل دموعه علىٰ خده لا يشعر به الذي إلىٰ جانبه .

وقال جعفر : كنت إذا وجدت من قلبي قسوة . . نظرت إلىٰ وجه محمد بن واسع نظرة ، وكنت إذا نظرت إليه . . حسبت أن وجهه وجه ثكلىٰ .

وكان إذا قيل له : كيف أصبحت ؟ يقول : ما ظنك برجل يرتحل إلى الله عز وجل كل يوم مرحلة ، ويلقاه بأعمال غير صالحة .

وقال وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله ؛ أين الأبدال من أمتك ؟ فأومأ بيده الكريمة قِبل الشام ، فقلت : يا رسول الله ؛ أمَا بالعراق منهم أحد ؟ قال : « بلىٰ ، محمد بن واسع » .

ولما ثقل محمد بن واسع في مرضه . . كثر الناس عليه في العيادة ، ناس قيام ، وناس قعود ، فلما نظر إليهم . . قال : ما يغني عني هـٰؤلاء غداً إذا أُخذ بناصيتي وقُذف بي في النار ، ثم تلا هـٰذه الآية : ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ ، وقال : يا إخوتاه ؛ أتدرون أين يُذهَب بي ؟ والله الذي لا إلـٰه إلا هو ؛ إلى النار ، أو يعفو الله عز وجل عني .

وقال له شخص : إني لأحبك في الله عز وجل ، قال : أحبك الله الذي أحببتني له ، ثم قال : اللهم ؛ إني أعوذ بك أن أُحَبَّ فيك وأنت لي ماقت أو مبغض .

وقال : لو كان للذنوب ريح . . لما قدر أحد أن يدنو مني من نتن ريحي ؛ لكثرة ذنوبي .

وقال مالك بن دينار : إنما هو طاعة الله عز وجل أو النار ، فقال محمدَ بن واسع : إنما هو عفو الله أو النار .

وطلب مالك بن المنذر ـ وكان عاملاً على البصرة ـ محمدَ بن واسع ، فقال له : اجلس

علىٰ القضاء ، فأبىٰ ، فعاوده ، فأبىٰ ، فقال : تجلس أو أجلدك ثلاث مئة ، فقال : إن تفعل . . فأنت مسلط ، ولا ذل خير من الذل في رضى الله سبحانه وتعالىٰ .

وسأله بعض الأمراء في قَبول شيء ، فأبىٰ ، فقال له : إنك أحمق ، فقال : ما زلت يقال لي هـٰذا مذ كنت صغيراً .

ونظر محمد بن واسع إلى ابن له يَخْطِر بيده[1] ، فقال له : تعال ويحك! أتدري ابن من أنت ؟ أمك اشتريتها بمئتي درهم ، وأما أبوك . . فلا كثَّر الله في المسلمين أضرابه ، أو : نحوه ، أو : مثله .

وقال : إنه ليُعرف فجور الفاجر في وجهه .

وقال : مَن مقت نفسه في ذات الله عز وجلّ . . أمَّنه الله تعالىٰ من مقته .

وكان يصوم الدهر ، ويُخفي ذلك .

وعن عبد العزيز ابن أبي رَوَّادٍ قال : رأيت في يد محمد بن واسع قرحة ، فكأنه علم ما شق عليَّ منها ، فقال : أتدري ماذا لله عز وجل عليَّ في هـٰذه القرحة من نعمة ؟ قال : فسكت ، قال : حيث لم يجعلها علىٰ حدقتي ، ولا علىٰ طرف لساني ، ولا علىٰ طرف ذكري ، قال : فهانت عليَّ قرحته .

وكان محمد بن واسع مع يزيد بن المهلب بخراسان غازياً ، فاستأذنه للحج ، فأذن له ، فقال له : نأمر لك بشيء ؟ قال : تأمر للجيش كله بمثله ؟ قال : لا ، قال : لا حاجة لي به .

ودخل محمد بن واسع رحمه الله علىٰ بلال ابن أبي بردة ، فدعاه إلىٰ طعامه ، فأبىٰ واعتل عليه ، فغضب بلال ، وقال : أراك تكره طعامنا ، فقال : لا تَقُلْ هـٰذا أيها الأمير ، فوالله ؛ إن خياركم أحب إلينا من أبنائنا .

وكان محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم صاحب خراسان في جيش ، وكان الترك قد خرجت إليهم ، فبعث إلى المسجد ينظر مَن فيه ، فقيل له : ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه ، فقال قتيبة : تلك الأصبع أحب إلي من ثلاثين ألف عنان .

---

(١) يخطر بيده : أي يتمايل ويمشي مشية المعجب ، وورد في « السير » (٦/ ١٢١) : (سبب هـٰذا القول : أن رجلاً شكىٰ إلىٰ محمد ابنه بأنه كان يستطيل على الناس) .

وكان يقول : اللهم ؛ إن كان أخلق وجهي كثرة ذنوبي . . فهبني لمن أحببتَ من خلقك .

ولما أريد على القضاء وامتنع . . عاتبته امرأته ، وقالت : لك عيال وأنت محتاج ، فقال لها : ما دمت تريني أصبر على الخل والبقل . . فلا تطمعي في هٰذا مني .

وقسم أمير من أمراء البصرة مالاً علىٰ قراء أهل البصرة ، فأرسل إلىٰ مالك بن دينار ، فقبل ، ولم يقبل محمد بن واسع ، ثم قال له : يا مالك ؛ قبلت جوائز السلطان ؟ فقال : يا أبا بكر ؛ سل جلسائي ، قالوا : اشترىٰ بها رقاباً ، فأعتقهم ، فقال له محمد بن واسع : أنشدك الله أَقلبُك الساعة له علىٰ ما كان عليه قبل أن يرسل إليك الجائزة ؟ قال : اللهم لا ، قال : أتعلم أي شيء دخل عليك ؟! فقال مالك لجلسائه : إن مالكاً حمار ، إنما يَعبُد اللهَ مثلُ محمد بن واسع .

وقال بلال ابن أبي بردة لمحمد بن واسع : ما تقول في القضاء والقدر ؟ قال : أيها الأمير ؛ إن الله عز وجل لا يسأل الناس يوم القيامة عن قضائه وقدره ، وإنما يسألهم عن أعمالهم .

وقال محمد بن واسع : جاءني رجل في حاجة لرجل آخر ، فقال : أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله عز وجل قَبلك ، فإن يأذن الله في قضائها . . قضيتَها وكنتَ محموداً ، وإن لم يأذن الله في قضائها . . لم تقضها وكنتَ معذوراً .

وقال محمد بن واسع ـ رحمه الله ـ : ليس لِملولٍ صديقٌ ، ولا لحاسد غنىٰ ، وإياك أن تشير علىٰ معجب برأيه ؛ فإنه لا يقبل منك .

أسند عن جماعة من الصحابة ، رضوان الله تعالىٰ عليهم . انتهىٰ [« الحلية » ٢/٣٤٥ـ٣٥٤] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : توفي محمد بن واسع رحمه الله سنة عشرين ومئة . انتهىٰ[1] [« الصفوة » ٣/١٥٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) جاء في هامش نسخة : (وعن علي بن الجعد قال : سمعت أبا جعفر يقول : رأىٰ رجل من أهل البصرة وكأن منادياً ينادي من السماء : خير رجل بالبصرة محمد بن واسع).

ومنهم الإمام :

أبو يحيىٰ مالك بن دينار

رضي الله عنه

قال الإمام الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال مالك بن دينار : خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها ، قيل : وما هو يا أبا يحيىٰ ؟ قال : معرفة الله عز وجل .

وقال : ما تنعم المتنعمون بمثل ذِكر الله سبحانه وتعالىٰ .

وقال : إن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن . . طربت قلوبهم إلى الآخرة .

وقال : لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتىٰ يترك زوجته كأنها أرملة ، ويأوي إلىٰ مزابل الكلاب .

وقال : نظرت في أصل كل إثم . . فوجدته حب الدنيا ، فمن ألقىٰ عنه حبها . . استراح .

وقال : رأيت في بعض الكتب : أن الله عز وجل يقول : (إن أهون ما أنا صانع بالعالِم إذا أحب الدنيا . . أن أخرج حلاوة ذِكْري من قلبه) .

وقال : إذا لم يكن في القلب حزن . . خرب ، كما إذا لم يكن في البيت ساكن . . فإنه يخرب .

وقال : لولا أخشىٰ أن تكون بدعة . . لأمرت أني إذا مِتُّ أن أغل ، فأُدفع إلىٰ ربي سبحانه وتعالىٰ مغلولاً ، كما يدفع العبد الآبق إلىٰ مولاه .

وكان في مرض موته يقول : اللهم ؛ إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا فرج .

وكان يصلي العشاء ، ثم يقرب رغيفه ، فيفطر عليه بعد إفطاره بالماء في أول الوقت ، ثم يقوم ، فيصلي ، ويأخذ بلحيته ، ويقول : يا رب ؛ إذا جمعت الأولين والآخرين . . فحرم شيبة مالك بن دينار على النار ، فلا يزال يصلي ويقول ذلك إلى الفجر .

وقال مالك بن دينار : قرأت في الحكمة : (إن الله تعالىٰ يبغض كل حبر[1] سمين) .

وقال : كم من رجل يحب أن يلقىٰ أخاه ويزوره ، فيمنعه من ذلك الشغل والأمر يعرض له ؛ عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها .

ثم يقول مالك : وأنا أسأل الله عز وجل أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبىٰ ، ومستراح العابدين .

وكان يقول : إذا ذُكِرَ الصالحون . . فأُفٍّ لي وتُفْ .

وكان يقول : إن القلب المحب لله عز وجل يحب النَّصَبَ لله سبحانه وتعالىٰ .

وقال : قد اصطلحنا علىٰ حب الدنيا ، فلا يأمر بعضنا بعضاً ، ولا ينهىٰ بعضنا بعضاً ، ولا يذرنا الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ هـٰذا ، فليت شعري أي عذاب ينزل بنا ؟!

وقال : إنكم في زمان قد طُلِبت الدنيا فيه بعمل الآخرة ، فاحذروا أولـٰئك علىٰ أنفسكم ، لا يوقعونكم في شبكاتهم .

وقال : إن البدن إذا سقم . . لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة ، وكذلك القلب إذا علق فيه حب الدنيا . . لم تنجع فيه الموعظة .

وكان يقول : لو أني أعلم أن قلبي يصلح علىٰ كناسة . . لجلست عليها .

وكان يقول : اتقوا السَّحَّارة ؛ فإنها تسحر قلوب العلماء . يعني : الدنيا .

وعنه قال : قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام : يا رب ؛ أين أطلبك ؟ قال : (اطلبني عند المنكسرة قلوبهم) .

وحدثنا الحارث بن نبهان قال : قدمت من مكة ، فأهديت إلىٰ مالك بن دينار ركوة ، قال : فجئت يوماً ، فقال : يا حارث ؛ تعال فخذ تلك الركوة ، فقد شغلت عليَّ قلبي ، جاءني الشيطان فقال لي : يا مالك ؛ إن الركوة قد سرقت ، فقد شغَلَت عليَّ قلبي .

وقال : من تباعد عن زهرة الدنيا . . فذلك الغالب لهواه ، ومن فرح بمدح الباطل . . فقد استمكن الشيطان من قلبه .

---

(١) الحَبْرُ : العالم .

وقال : ينبغي للعالم أن يقتصد في لباسه ، ويفر من ذنوبه إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، ويحوش العباد[1] علىٰ طاعة الله عز وجل .

وقال : إن استطعت أن تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد . . فافعل .

وقال : من غلب شهوة الدنيا . . فذلك الذي يخاف الشيطان من ظله .

وكان رجل من الأغنياء بالبصرة له ابنة نفيسة فائقة في الجمال ، فقال لها أبوها يوماً : قد خطبك بنو هاشم والعرب والموالي ، فأبيتِ ، فمَن تريدين ؟ قالت : ما أريد إلا مالك بن دينار ، هو ـ والله ـ غايتي ، فقال الأب لأخ له : ائت مالك بن دينار ، فأخبره بمكان ابنتي وهواها له ، قال : فأتاه ، وقال له : فلان يقرئك السلام ، ويقول لك : إنك تعلم أني أكثر أهل هـٰذه المدينة مالاً ، وأفشاهم ضيعة ، ولي ابنة نفيسة ، وقد هَوِيَتْك ، فشأنك وهي ، فقال مالك للرجل : عجباً لك يا فلان! أوما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً ؟!

وعن سلام ابن أبي مطيع قال : دخلنا علىٰ مالك ليلاً وهو في بيته بغير سراج ، وفي يده رغيف يكدمه[2] ، فقلنا : أبا يحيىٰ ؛ ألا سراج ؟ ألا شيء تضع عليه خبزك ؟ قال : دعوني ، فوالله ؛ إني لنادم علىٰ ما مضىٰ .

وقال لرجل من أصحابه : إني لأشتهي رغيفاً ليناً بلبن رائب ، فجاءه به ، فجعل يقلبه وينظر إليه ، وقال : اشتهيتك منذ أربعين سنة ، فغلبتك حتىٰ إذا كان اليوم . . تريد أن تغلبني ، إليك عني ، وأبىٰ أن يأكله .

وقال : إنه لتأتي عَلَيَّ السنة لا آكل فيها لحماً ، إلا في يوم الأضحىٰ ؛ فإني آكل من أضحيتي ؛ لما يذكر فيه .

وقال : اشتريت لأهلي طِيباً بدرهم ، وإني لأحاسب نفسي فيه منذ عشرين سنة ، فما أجد لي مخرجاً .

وما كان يملك من الدنيا إلا درهمين ، درهم يتقوت به ، ودرهم يشتري به خوصاً يعمل فيه ، فاشترىٰ بفلسين ملحاً وكان أدمه في جميع سنته .

وكان يأخذ حصاة من المسجد فيقول : وددت أن تكون هـٰذه أجزأتْني عن الدنيا .

وقال مالك : لما وقعت الفتنة . . أتيت الحسن ثلاثة أيام أقول : يا أبا سعيد ؛

---

(١) يحوش العباد : يأخذهم من حواليهم ؛ ليضمهم إلىٰ طاعة الله .

(٢) الكدم : العض بأدنى الفم .

ما تأمرني ؟ فلا يجيبني ، قال : فقلت : يا أبا سعيد ؛ أتيتك ثلاثة أيام أسألك وأنت معلمي فلا تجيبني! والله ؛ لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي ، وأشرب من أفواه الأنهار ، ومن نبات البرية ، حتىٰ يحكم الله بين عباده ، فأرسل الحسن عينيه وبكىٰ وقال : يا مالك ؛ ومن يطيق ما تطيق ؟! لـٰكنا والله ما نطيق هـٰذا .

وقال جعفر : كنت عند مالك بن دينار ، فجاء هشام بن حسان ـ وكان يأتيه هشام كثيراً ـ وسعيد ابن أبي عروبة ، وحوشب ، يطلبون قلوبهم ، فجاء هشام ، فسأل عن أبي يحيىٰ ، فقيل له : عند البقال ، فقال : قوموا بنا إليه ، قال : فحانت منه نظرة إلىٰ هشام ، فقال له : يا هشام ؛ إني أعطي هـٰذا البقَّال كل شهر درهماً ودانقين ، وآخذ منه في كل شهر ستِّين رغيفاً ؛ لكل ليلة رغيفين ، فإذا أصبتهما سخنين . . فهو إدامهما .

وكان يلبس إزاراً من صوف ، وعباءة خفيفة ، فإذا كان الشتاء . . ففروة وعباءة .

وكان يكتب المصاحف ، ولا يأخذ عليها من الأجرة أكثر من عمل يده ، فيعطيه للبقَّال ، وكان يكتب المصحف في كل أربعة أشهر .

ووقع حريق في بيت مالك ، فأخذ المصحف والقطيفة ، فأخرجهما ، فقيل له : يا أبا يحيىٰ ؛ البيت ، فقال : ما فيه إلا السندانة(١) ، ما أبالي أن يحترق .

وفي رواية : جر بطرف كسائه وقال : هلك أصحاب الأثقال .

وكان يقولُ : لولا أن جهالكم كثير . . للبست المسوح(٢) .

وقال : قال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : خشية الله وحب الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا ، ويوِّرثان الصَّبر على المشقّة .

وعنه قال : قال عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : بحق أقول لكم : إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب . . لقليل في طلب الفردوس .

وعن سلام بن مسكين قال : دخلت علىٰ مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه ؛ فإذا البيت فيه سرير أثل(٣) ، مزمول(٤) بالشريط ، وعليه قطعة بوري(٥) ، وتحت رأسه قطعة

---

(١) السندان : ما يطرق الحداد الحديد عليه .
(٢) المسوح : الأكسية المصنوعة من الشعر .
(٣) الأَثْلُ : شجر يشبه الطرفاء ، إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود ، ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٤) مزمول : ملفوف .
(٥) البوري : الحصير المنسوج من القصب .

كساء ، وركوة ، وصاغرة[1] ، فرفع رأسه ، فأخرج من تحت رأسه رغيفين يابسين ، فَبَلَّ الرغيفين بالماء ، حتىٰ إذا ظن أنه قد ابتل . . قال : ناولني الدوخَلَّة ، وإذا دوخَلَّةٌ معلقة يابسة ، فأخرج منها صرَّة ملح ، فقال لي : ادن فكل ، فقلت : يا أبا يحيىٰ ؛ لا أشتهي ، قال : هيهات ، هيهات! أنت ممن غذي بالماء العذب ، فلا تصبر في الماء المالح .

ودعا مالك بن دينار رحمه الله في طريق مكة فقال : إني داع بشيء فأمِّنوا ، ثم قال : اللهم ؛ لا تُدخِل بيت مالك بن دينار من الدنيا قليلاً ولا كثيراً . انتهىٰ[2] [« الحلية » ٢/٣٥٨-٣٨٦] .

---

(١) كذا في النسخ والحلية والصواب بالخاء بدل الغين كما قال الصفدي في « تصحيح التصحيف » ، والصاخرة : إناء من الخزف .

(٢) جاء في هامش نسخة : (وفي كتاب « التوابين » [٢٠٢-٢٠٥] قال : روي عن مالك بن دينار أنه سئل عن سبب توبته ، فقال : كنت شرطياً ، وكنت منهمكاً علىٰ شرب الخمر ، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ، ووقَعَتْ مني أحسن موقع ، فولدت لي بنتاً ، فشغفت بها ، فلما دبت على الأرض . . ازدادت في قلبي حباً ، وأَلِفتني وأَلِفتُها ، قال : فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي . . جاءت إلي ، وجاذبتني عليه ، وأراقته علىٰ ثوبي ، فلما تم لها سنتان . . ماتت ؛ فأكمدني حزنها ، فلما كانت ليلة النصف من شعبان ، وكانت ليلة الجمعة ، بت ثملاً من الخمر ، ولم أُصلِّ فيها عشاء الآخرة ، فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت ، ونفخ في الصور ، وبعثرت القبور ، وحشر الخلائق وأنا معهم ، فسمعت حساً من ورائي ، فالتفت ، فإذا [أنا] بتنين أعظم ما يكون ، أسود أزرق ، قد فتح فاه مسرعاً نحوي ، فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً ، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقلت : أيها الشيخ ؛ أجرني من هـٰذا التنين أجارك الله عز وجل ، فبكىٰ ، وقال لي : أنا ضعيف ، وهـٰذا أقوىٰ مني ، وما أقدر عليه ، ولـٰكن مر وأسرع ، فلعل الله سبحانه وتعالىٰ أن يقيض لك ما ينجيك منه ، فوليت هارباً علىٰ وجهي ، فصعدت علىٰ شَرَف من شُرُف القيامة ، فأشرفت علىٰ طبقات النيران ، فنظرت إلىٰ هولها ، وكدت أهوي فيها من فزع التنين ، فصاح بي صائح : ارجع ، فلست من أهلها ، فاطمأننت إلىٰ قوله ورجعت ، ورجع التنين في طلبي ، فأتيت الشيخ ، فقلت : يا شيخ ؛ سألتك أن تجيرني من هـٰذا التنين ، فلم تفعل ، فبكى الشيخ ، وقال : أنا ضعيف ، ولـٰكن سر إلىٰ هـٰذا الجبل ، فإن فيه ودائع المسلمين ، فإن كان لك فيه وديعة . . فستنصرك ، قال : فنظرت إلىٰ جبل مستدير من فضة ، وفيه طاقات مخرمة ، وستور معلقة ، علىٰ كل خوخة ـ نافذة كبيرة ـ وطاقة مصراعان من الذهب الأحمر ، مفصلة بالياقوت ، مكوكبة بالدُّر ، علىٰ كل مصراع ستر من الحرير ، فلما نظرت إلى الجبل . . هرولت إليه ، والتنين من ورائي ، حتىٰ إذا قربت منه . . صاح بعض الملائكة عليهم السلام : ارفعوا الستور ، وافتحوا المصاريع ، وأشرفوا ، فلعل لهـٰذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه ، قال : ففُتِحت المصاريع ، وأشرفوا عَلَيَّ ، فرأيت أطفالاً كالأقمار ، وقرب التنين مني ، فتحيرت في أمري ، فصاح بعض الأطفال : ويحكم ، أشرفوا كلكم ، فقد قرب منه عدوه ، فأشرفوا فوجاً بعد فوج ، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت عَلَيَّ وبكت ، وقالت : أبي والله ، ثم وثبت في كفة من نور كرَمْية السهم ، حتىٰ صارت عندي ، فمدت يدها الشمال إلىٰ يدي اليمنىٰ ، فتعلقت بها ، ومدت يدها اليمنىٰ إلى التنين ، فولىٰ هارباً ، ثم أجلستني وقعدت في حجري ، وضربت بيدها اليمنىٰ إلىٰ لحيتي ، وقالت : يا أبتِ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ ، =

وقال : بلغني أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه : أجيعوا أنفسكم ، وأَظْمِئُوها وأعروها وأَنصِبوها ؛ لعل قلوبكم ترى الله عز وجل .

وكان يقول : إن الله تعالىٰ إذا أحب عبداً . . انتقصه من دنياه ، فكفَّ عليه ضيعته ، ويقول : لا تبرح من بين يدي ، فيبقىٰ متفرغاً لخدمة ربه سبحانه وتعالىٰ ، وإذا أبغض عبداً . . أوسع له الدنيا ، ويقول : اغرب من بين يدي ، فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا .

وقال : إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البرّ ، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور ، والله سبحانه وتعالىٰ يرىٰ همومكم ، فانظروا كيف تكون همومكم يرحمكم الله .

وقال : لأن أتصدق بتمرة من حلال . . أحب إليَّ من أن أتصدق بمئة ألف درهم من حرام .

وقال : لولا أن يقول الناس جنَّ مالك . . للبست المسوح ، ووضعت الرَّماد علىٰ رأسي أنادي في الناس : من رآني . . فلا يعص الله عز وجل .

وقال : أوحى الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين : قل لقومك : لا يدخلوا مداخل أعدائي ، ولا يطعموا مطاعم أعدائي ، ولا يلبسوا ملابس أعدائي ، ولا يركبوا مراكب أعدائي ؛ فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي .

وقال : كل جليس لا تستفيد منه خيراً . . فاجتنبه .

وقال : في التوراة : إن الله عز وجل يبدد عظام رجل تكلم بين اثنين بهوىٰ ، يوم يجمع الله تعالى الأولين والآخرين .

وقال : منذ عرفت الناس . . لم أفرح بمدحهم ، ولم أكره مذمتهم ، قيل : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأن حامدهم مفرط ، وذامهم مفرط .

= فبكيت ، وقلت : يا بنية ؛ وأنتم تعرفون القرآن ؟ فقالت : يا أبت ؛ نحن أعرف به منكم ، قلت : فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني ، قالت : ذلك عملك السوء قَوَّيتَه ، فأراد أن يغرقك في نار جهنم ، قلت : فأخبريني عن الشيخ الذي رأيته ، قالت : يا أبت ؛ ذلك عملك الصالح أضعفته حتىٰ لم يكن له طاقة بعملك السوء ، فقلت : يا بنية ؛ وما تصنعون في هـٰذا الجبل ؟ قالت : نحن أطفال المسلمين ، قد أُسكنَّا فيه إلىٰ أن تقوم الساعة ، ننتظركم ، فتقدمون علينا ، فنشفع لكم .

قال مالك : فانتبهت فزعاً مرعوباً ، فكسرت الآنية المخالفة ، ونزعت عن ذلك ، وعقدت مع الله عز وجل توبة نصوحاً ، فتاب عَلَيَّ سبحانه وتعالىٰ) .

وقال : إذا تعلم العبد العلم ليعمل به . . كثر علمه ، وإذا تعلم العلم لغيره . . زاده فخراً وخيلاء .

وقيل له : ألا تستسقي ؟ قال : أنتم تستبطئون المطر ، وأنا أستبطىء الحجارة .

ومر تاجر بعَشَّارين[1] فحبسوا عليه سفينته ، فاستشفع بمالك بن دينار ، فقام معه إليهم ، فلما رآه العشارون . . قالوا : يا أبا يحيىٰ ؛ ألا بعثت إلينا ما حاجتك ؟ قال : خلوا سفينة هـٰذا ، قالوا : نعم ، ورأىٰ عندهم كوزاً يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم ، فقالوا : ادع الله لنا يا أبا يحيىٰ ، قال : قولوا للكوز يدعو لكم ، **كيف أدعو لكم وألف واحد يدعو عليكم ؟! أترىٰ يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف ؟!**

وقال مالك : لو أن القوم كلفوا ثمن الصحف التي يكتب فيها ما يتلفظون به . . لأقلوا المنطق .

زاد في رواية : فإذا كانت الصحف من عند ربكم . . أفلا تتقون الله عز وجل وتستحيون منه جل جلاله ؟!

وقال : كان الأبرار يتواصون بثلاث : سجن اللسان ، وكثرة الاستغفار ، والعزلة .

وقال : الخوف على العمل ألاَّ يقبل أشد من العمل .

وقال : يقول الله تعالىٰ : يا عبدي ؛ خيري ينزل إليك ، وشرّك يصعد إليّ ، وأتحبب إليك بالنعم ، وتتبغَّض إلي بالمعاصي ، ولا يزال ملك كريم يعرج إلي منك بعمل قبيح .

وقال : خرج سليمان بن داوود عليهما الصلاة والسلام في موكبه ، فمر ببلبل علىٰ غصن شوك يصيح ويضرب بذَنَبِه فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنه يقول : (قد أصبت اليوم نصف تمرة ، فعلى الدنيا العفاء) .

وقال : ما من خطيب يخطب . . إلا عرضت خطبته علىٰ عمله ، فإن كان صادقاً . . صدق ، وإن كان كاذباً . . قرضت شفتاه بمقراض من نار ، كلما قرضتا . . نبتتا .

وقال : بلغني أن المذكِّر الصادق يوضع علىٰ رأسه تاج المُلك ، ثم يؤمر به إلى الجنة ، فيقول : إلـٰهي ؛ كان أقوام يعينوني في الدنيا علىٰ ما كنت عليه ، وأنت أعلم ، قال : فيأمر الله عز وجل أن يفعل بهم مثله ، ثم يأخذهم ويدخل الجنة .

---

(١) العشَّارين : الذين يقبضون العشر .

وعن غالب القطَّان قال : رأيت مالك بن دينار في المنام كأنه قاعد في مسجده الذي كان يصلي فيه ، وهو يقول بأصبعه هٰكذا : صنفان لا تجالسوهما ؛ لأن مجالستهما مفسدة لقلب كل مسلم : صاحب بدعة قد غلا فيها ، وصاحب دنيا مُتْرَف فيها .

وقال : عرس المتقين يوم القيامة .

وكان يقول : إلٰهي ؛ أنت أصلحت الصالحين ، فاجعلنا صالحين يا أرحم الراحمين .

وقال : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أكب الدنيا علىٰ وجهها ، ثم رفعها الناس بعده ، وإن سيد الخلق محمداً صلى الله عليه وسلم أكبها علىٰ وجهها ، ثم رفعناها بعده ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان عند الموت يقول : لمثل هٰذا اليوم كان دأب أبي يحيىٰ .

وقال : أوحى الله عز وجل إلىٰ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (يا عيسىٰ ؛ عظ نفسك ، فإن اتعظت . . فعظ الناس ، وإلا . . فاستحيي مني) .

وقال : تلقى الرجل وما يلحن حرفاً ، وعلمه[1] وعمله كله لحن .

وقال : أخذ السَّبُعُ صبياً لامرأة ، فتصدقت بلقمة ، فألقاه السَّبُع ، فنوديت : لقمة بلقمة .

ودخل مالك بن دينار علىٰ والي البصرة فقال له : ادع لي ، فقال : مظلوم بالباب يدعو عليك .

وقال بلال ابن أبي بردة يوماً لمالك بن دينار ـ والناس حوله ـ فقال له : يا مالك ؛ أتعرفني ؟ قال : نعم ، أوَّلُك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين ذلك في ثيابك تحمل العذرة ، فقال : صدقت ، أنت تعرفني .

أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك عدة أحاديث ، وروىٰ عن جلة التابعين : عن الحسن ، والقاسم بن محمد ، وسالم ، وغيرهم .

من أحاديثه : عن أنس بن مالك : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خشية الله تعالىٰ رأس كل حكمة ، والورع سيد العمل ، ومن لم يكن له ورع يحجزه عن

(١) في نسخة : (وعلمه) ، وفي « الحلية » : (وعمله) .

معصية الله تعالىٰ إذا خلا بها . . لم يعبأ الله تعالىٰ بعمله »[1] انتهىٰ .

وفي كتاب « التوابين » قال : رأىٰ مالك بن دينار شاباً حسناً بالبصرة ، يأمر ببناء قصر ، وهو يقول : افعلوا كذا وكذا ، فقال مالك لأصحابه : ألا ترون هـٰذا وحسنه وحرصه علىٰ هـٰذا البناء ؟ أريد أن أسأل الله عز وجل أن يخلصه ، فلعله يجعله من شباب الجنة ، ادخلوا بنا إليه ، فدخلنا ، فسلمنا ، فرد السلام ، ولم يعرف مالكاً ، فلما عرَّفوا به . . قام إليه ، فقال : يا سيدي ؛ هل من حاجة ؟ قال : كم عزمت أن تنفق علىٰ هـٰذا القصر ؟ قال : مئة ألف درهم ، قال : ألا تعطيني هـٰذا المال ، فأضعه في حقه ؟ وأضمن لك عند الله عز وجل قصراً خيراً من هـٰذا ، بولدانه وخدمه وقبابه وخِيَمه ، من ياقوتة حمراء ، مرصع بالجواهر ، ترابه الزعفران ، وملاطه[2] المسك ، فيه قصور وأنهار وأشجار وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ؟ فقال الشاب : يا أبا يحيىٰ ؛ أجِّلني الليلة ، وفي غد إن شاء الله عز وجل يكون الجواب .

قال : فبات مالك وهو متفكر في الشاب ، فعند السحر دعا الله تعالىٰ ، وتضرع إليه ، فلما أصبح . . غدَوْا إلى الشاب ، فهش إلىٰ مالك ، وقال له : نعم ، قد أجبت إلىٰ ما تقول ، فاكتب لي كتاب عهد ، فكتب مالك : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، هـٰذا ما ضمن مالك ابن دينار لفلان ابن فلان ، إني ضمنت لك على الله سبحانه وتعالىٰ قصراً بدل قصرك . . . وذكر جميع ما وصف له ، فدفع الشاب المال ، ففرقه مالك في يومه ذلك ، فلما كان بعد أربعين يوماً أو نحوها . . رأىٰ مالك في محرابه كتاباً موضوعاً ، فقرأه ، فإذا في ظهره مكتوب بغير مداد : هـٰذه براءة من الله العزيز العليم لمالك بن دينار ، إنَّا وفينا الشاب القصر الذي ضمنت له ، وزيادة سبعين ضعفاً ، قال : فأخذ الكتاب ، ومضينا معه إلىٰ منزل الشاب ، فإذا هو قد مات بالأمس ، فسألنا عن الوصية ، فقال أهله والذي غسله : إنه أوصىٰ أن يجعل كتاباً في كفنه ، فجعلنا ذلك الكتاب في كفنه ، فقال مالك : أتعرفون الكتاب ؟ قالوا : نعم ، فأخرج مالك الكتاب ، فقال أهله والذي غسله : هـٰذا ـ والله ـ هو الكتاب بعينه ، والذي قبضه سبحانه وتعالىٰ ؛ لقد جعلت هـٰذا الكتاب بين كفنه وبدنه بيدي ، قال : فكثر البكاء ، فقام شاب آخر ، فقال : سيدي أبا يحيىٰ ؛ خذ مئتي ألف درهم ، واضمن لي

(١) أخرجه بنحوه الديلمي (٢/ ١٩٣) .
(٢) طلاؤه .

مثل هـٰذا ، فقال : هيهات! كان ما كان ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . انتهىٰ [٢٤٥_٢٤٧] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن عفا الله عنهما : ذَكَرَ الحافظ أبو نعيم ـ قدس الله روحه ـ نظير هـٰذه الحكاية بعينها في ترجمة محمد بن حبيب العجمي[١] ، وقد ذكرتها في ترجمته رحمه الله . انتهىٰ .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان مالك بن دينار يُرىٰ يوم التروية بالبصرة ، ويوم عرفة بعرفات .

وكان يقول : قولوا لمن لم يكن صادقاً : لا يتعنىٰ[٢] .

وقال بشر : قال رجل لمالك بن دينار : يا مرائي ، فقال : متىٰ عرفت اسمي ؟ ما عرف اسمي غيرك .

ودخل اللصوص إلىٰ بيت مالك بن دينار ، فلم يجدوا في البيت شيئاً ، فلما أرادوا الخروج . . قال لهم مالك : ما عليكم لو صليتم ركعتين .

ولما حضره الموت . . قال : لولا أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد كان قبلي . . لأوصيت أهلي إذا مت أن يقيدوني ، وأن يجمعوا يدي إلىٰ عنقي ، فينطلقوا بي علىٰ تلك الحال حتىٰ أدفن كما يصنع بالعبد الآبق .

وفي رواية أخرىٰ : إذا سألني ربي عز وجل لِمَ فعلت هـٰذا ؟ أقول : أي رب ؛ لم أرض لك نفسي قط .

وقيل لعبد الواحد بن زيد : ما كان سبب موت مالك ؟ قال : أنا كنت سببه ، سألته عن رؤياه لمسلم بن يسار في المنام كيف كانت ، فقصها عَلَيَّ ، وهو أنه قال : رأيت مسلم بن يسار في نومي ، فقلت له : ماذا لقيت من ربك عز وجل ؟ فقال : لقيت أهوالاً وزلازل عظاماً شداداً ، قلت : وماذا كان بعد ذلك ؟ قال : وما تراه يكون من الكريم سبحانه وتعالىٰ ؟! قَبِل منا الحسنات ، وعفا لنا عن السيئات ، وضمن عنا التَّبعات ، فلما قصَّها عَلَيَّ . . انتفض ، وجعل يشهق ، ويضطرب ، حتىٰ قلت : إن كبده قد تقطعت في جوفه ، ثم أفاق ، فحملناه إلىٰ بيته ، فلم يزل مريضاً يعوده إخوانه إلىٰ أن مات ، رحمه الله .

---

(١) ذكرها الحافظ أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ١٥٠_١٥٢) في ترجمة أبي محمد حبيب الفارسي .

(٢) لا يتعب ؛ إذ الصدق أساس ، ومن لا أساس له . . لا بنيان يقيمه .

توفي قبل الطاعون بيسير ، وكان سنة إحدىٰ وثلاثين ومئة . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/١٥٩ـ١٦٦] .

وقال القشيري : مكث مالك بن دينار بالبصرة أربعين سنة ، لم يصح له أن يأكل من تمر البصرة ولا من رطبها ، حتىٰ مات ولم يذقه .

وكان إذا انقضىٰ وقت الرطب . . يقول : يا أهل البصرة ؛ هـٰذا بطني ما نقص منه شيء ، ولا زاد أكلكم فيكم شيئاً ، يفعل ذلك ورعاً . انتهىٰ .

وعن مالك بن دينار قال : رحم الله عبداً قال لنفسه : ألستِ صاحبة كذا ؟ ألست صاحبة كذا ؟ ثم زمَّها[1] ، ثم خطمها ، ثم ألزمها كتاب الله سبحانه وتعالىٰ ، فكان لها قائداً .

وعن عبد السلام قال : سمعت مالكاً يقول لنفسه : إني ـ والله ـ ما أريد بك .

وقال في « لوامع أنوار القلوب » : [إن جاراً له] دخل عليه في مرضه الذي توفي فيه فقال : [أتشتهي شيئاً] ؟ فقال : نعم ، نفسي تنازعني منذ أربعين [سنةً علىٰ] رغيف أبيض ولبن رائب حلو ، [فأحضرها له في] الحال ، فجعل ينظر إليه [ويقول : غلبت] شهوتي عمري ، حتىٰ إذا لم يبق [إلا اليوم تغلبني] ؟! اذهبوا به إلىٰ يتيم فلان [ومات ، ثم رآه] ذلك الجار في النوم ، فسأله [عن حاله] ، فقال له : اسفكوا العبرات ، [وأقيلوا] العثرات ، وأديموا الحساب ، [واهجروا] الشهوات ، ونازعوا [الأهواء في] ترك المنىٰ بالدمع [والمنع] .

وعن مغيرة بن جبير قال : [بت عند مالكٍ ليلةً] ، فرمقته علىٰ غفلة من حيث لا يراني بعد العشاء يجدد الوضوء ، [ويقوم الليل] ، فتارة يفني ليلته في تكرار [آية] ، وتارة يدرج القرآن ، فإذا مر بآية فيها ذكر النار . . قبض علىٰ لحيته وخنقته العبرة وهو يقول بحنين كحنين الثكلىٰ وأنين الولهىٰ : إلـٰهي وسيدي ومولاي ، يا مالك رقي ، ويا سامع نجواي ، ويا راحم شكواي ؛ سبق قولك تفضلاً وامتناناً : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ والمحب لا يعذب حبيبه ؛ فحرم شيبة عبدك مالك بن دينار على النار ، إلـٰهي ؛ قد علمتَ ساكن الجنة مِن ساكن النار ، فأي الرجلين مالك ؟! وأي الدارين دار مالك ؟! ثم لا يزال كذلك إلى الفجر . انتهىٰ [« الرسالة » : ٩١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) جمعها بالزمام ، وهو الرسن ؛ كناية عن سهولة قيادها .

ومنهم الإمام :

أبو عبد الله محمد بن المنكدر

رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : بينما محمد بن المنكدر ذات ليلة يصلي إذ بكىٰ بكاء شديداً ، وغُشي عليه ، فلما أفاق . . سأله أهله عن سبب البكاء ، فاستعجم[١] عليهم ، واستمر باكياً ، فأرسلوا إلىٰ أبي حازم[٢] ، فأخبروه ، فجاء أبو حازم ، فوجده باكياً ، فقال : يا أخي ؛ ما الذي أبكاك ؟ فقد خاف أهلك عليك ، فقال : ذكرت قوله تعالىٰ : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ ، قال : فبكىٰ أبو حازم معه ، واشتد بكاؤهما ، فقال بعض أهله لأبي حازم : جئنا بك لتفرج عنه ، فزدته ؟! فأخبرهم بالذي أبكاهما .

وعن عكرمة ، عن ابن المنكدر : أنه جزع عند الموت ، فقيل له : لِمَ تجزع ؟ فقال : أخشىٰ آية من كتاب الله عز وجل : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ فأنا أخشىٰ من الله عز وجل أن يبدوَ لي ما لم أكن أحتسب .

وكان إذا قام من الليل . . يحمد الله عز وجل ، ويشكره جهراً ، ويرفع صوته عالياً بالذِّكر ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن لي جاراً مبتلىً يرفع صوته بالبلاء ، وأنا أرفع صوتي بالنعمة .

وكان يقول في الليل : كم من عين الآن ساهرة في رزقي .

وقال : كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت .

وجاء صفوان بن سليم إلى ابن المنكدر وهو في الموت ، فقال له : يا أبا عبد الله ؛ كأني أراك قد شق عليك الموت ، قال : فما زال يهون عليه الأمر وينجلي ويشرق وجهه حتىٰ كأن المصابيح في وجهه ، ثم أفاق ، ثم قال له ابن المنكدر : لو ترىٰ ما أنا فيه . . لقرت عينك ، ثم قضىٰ رحمة الله عليه .

---

(١) استعجم : لم يستطع أن يعبر بكلامه من شدة البكاء .

(٢) أبو حازم : سلمة بن دينار ، شيخ المدينة النبوية .

وقال : بلغني أن الجبلين إذا أصبحا . . ينادي أحدهما صاحبه فيقول : هل مرَّ بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فيقول : نعم ، فيقول : لقد أقرَّ الله عينك ، لكن أنا ما مرَّ بي ذاكر اليوم .

وقال : إن الله عز وجل يحفظ العبد المؤمن في ولده وولد ولده ، ويحفظه في دويرته ، وفي دويرات حوله ، فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين أظهرهم .

وبعث ابن المنكدر إلىٰ صفوان بن سليم أربعين ديناراً ، وقال : تتقوىٰ بها علىٰ طاعة الله عز وجل .

وقال : نِعم العون علىٰ طاعة الله عز وجل الغنىٰ .

وقيل له : أي شيء أحب إليك ؟ قال : الإفضال على الإخوان .

زاد في رواية : التقاء الإخوان ، وإدخال السرور عليهم .

وقال : إن من موجبات المغفرة . . إطعام المسكين .

وكان يحج وعليه دَين ، فيقال له في ذلك ، فيقول : الحج أقضىٰ للدَّين .

وكان يحج بالصبيان ، فيقال له في ذلك ، فيقول : أعْرِضهم على الله تبارك وتعالىٰ .

وكان يضع خده على الأرض ، ثم يقول لأمه : قومي ضعي قدمك علىٰ خدي .

وقال : إن في التوراة : (اتق ربك ، وبر والدتك ، وصِل رحمك . . أمد لك في عمرك ، وأيسِّر لك يسرك ، وأصرف عنك عسرك) .

وقال : لما خلقت النار . . فزعت الملائكة فزعاً شديداً ، حتىٰ طارت أفئدتهم ، فلم يزالوا كذلك حتىٰ خلق آدم ، فسكن عنهم بعض ما كانوا يجدون .

وقال : إذا كان يوم القيامة . . يقول الله عز وجل للذين كانوا ينزِّهون أسماعهم وأنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان : ادخلوا في رياض الجنة ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم حمدي وثنائي ، وألاَّ خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقال : قد روي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جعل هموم الدنيا همّاً واحداً . . كفاه الله هَمَّ الدنيا والآخرة »[1] .

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم (٤/ ٣٦٤) .

وقال ابن المنكدر : **سيأتي على الناس زمان لا يخلص فيه . . إلا من دعا كدعاء الغريق** .

وقال : كنت ليلة قبالة المنبر ، فرأيت في جوف الليل إنساناً يدعو عند أسطوانة ، مقنَّع الرأس ، فسمعته يقول : يا رب ؛ إن القحط قد اشتد علىٰ عبادك ، وأنت أعلم بهم يا أرحم الراحمين ، وإني أقسم عليك ـ يا رب ـ إلا أسقيتهم ، فما كان إلا ساعة ؛ وإذا سحابة قد أقبلت ، ثم أرسلها الله عز وجل ـ قال الراوي : وكان قَلَّ أن يخفىٰ على ابن المنكدر من أهل الخير أحد فقال : هـٰذا بالمدينة ولا أعرفه ، فلما سلَّمَ الإمام . . تقنَّع ، وانصرف ، ولم يجلس ، فتبعته حتىٰ دخل دار أنس ، فدخل موضعاً ، فأخرج مفتاحاً ، ثم دخل ، قال : ورجعت ، فلما أضاء النهار . . أتيته ، فإذا أنا أسمع نجراً في بيته ، فسلَّمت ، ثم قلت : أدخل ؟ قال : ادخل ، فإذا هو ينجر أقداحاً يعملها ، فقلت : كيف أصبحت أصلحك الله ؟ قال : فاستكبر هـٰذه الكلمة ، وأعظمه ذلك مني ، فلما رأيت ذلك . . قلت : إني سمعت إقسامك البارحة على الله عز وجل ، يا أخي ؛ هل لك في نفقة تغنيك عن هـٰذا ، وتفرغك لما تريد من الآخرة ؟ فقال : لا ، ولـٰكن أريد غير ذلك ، لا تذكرني لأحد ، ولا تذكر هـٰذا لأحد حتىٰ أموت ، ولا تأتيني يابن المنكدر ؛ فإنك إن جئتني . . شهرتني ، فقلت : إني أحبّ لقاءك ، قال : في المسجد ، وكان فارسيّاً ، فلما خرج ابن المنكدر . . انتقل من تلك الدار ، فلم يدر ابن المنكدر أين ذهب ، فقال أهل تلك الدار : الله بيننا وبين ابن المنكدر ، أخرج عنا الرجل الصالح ، ولم يذكر أمره فيما وقع له معه إلا بعد موته ، رحمة الله تعالىٰ عليهما .

وقال : أودعني رجل مئة دينار ، فقلت له : يا أخي ؛ إن احتجنا إليها . . أنفقناها ، ثم نقضيك ، قال : نعم ، فاحتجنا إليها ، فأنفقناها ، فأتىٰ رسوله ، فقال : إنا احتجنا إليها ، قال : ولم يكن عندي شيء ، فقلت : يا رب ؛ لا تخرب أمانتي وأَدِّها عني ، قال : فخرجت ، فحين أردت أن أدخل ، فإذا رجل أخذ بمنكبي لا أعرفه ، فدفع إلي صرّة ، فإذا فيها مئة دينار ، فأديتها ولم أعلم من أين ذلك ، فلما مات عامر بن عبد الله بن الزبير . . أخبرني رجل أنه بعث بها إليه عامر بن عبد الله بن الزبير وقال : لا تعلمه من أين هي ، ولا مَن أرسلها ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وقال : إن الفقيه يدخل بين الله عز وجل وبين عباده ، فلينظر كيف يدخل .

وقال ابن المنكدر ـ رحمه الله ـ : إن آدم عليه الصلاة والسلام مدة مكثه في الأرض قال :

ما زلت مستَحْيِياً من ربي عز وجل أن أرفع طَرْفي إلىٰ أديم السماء منذ صنعت ما صنعت .

أسند ابن المنكدر عن عدة من الصحابة .

وروىٰ عنه من التابعين جماعة ، رضي الله عنهم أجمعين .

ومن مسانيد حديثه عن جابر : قال : قتل أَبي يوم أحد ، فبلغني ذلك ، فأقبلت ؛ فإذا هو بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مسجًّىً بثوب ، فرفعت الثوب عن وجهه ، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونني ؛ كراهية أن أرىٰ ما به من المثلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد لا ينهاني ، فلما رُفع . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زالت الملائكة حافة بأجنحتها حتىٰ رفع » ، ثم لقيني بعد أيام ، فقال لي : « يا جابر ؛ ألا أبشرك ؟ إن الله تعالىٰ أحيا أباك ، فقال : تمنه ، فقال : أتمنىٰ ـ يا رب ـ أن تعيد روحي وتردني إلىٰ دار الدنيا حتىٰ أُقتل مرة أخرىٰ ، قال : إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون » صحيح متفق عليه[1] .

وعن ابن المنكدر ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طَعَن في خاصرة أبي عبيدة ، فقال : « إن هـٰهنا خويصرة مؤمنة » غريب من حديث محمد وموسىٰ ، تفرد به عصمة .

وعنه عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة . . أُجير من عذاب القبر ، وجاء يوم القيامة عليه طابع الشهداء »[2] غريب .

وعنه عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه »[3] .

وعنه عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، أحد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . . كتب الله له ألفي ألف حسنة ، ومن زاد . . زاده الله »[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٢) ، ومسلم (٢٤٧١) إلىٰ قوله : « حتىٰ رفع » ، وأخرجه بنحوه الحاكم (٢/ ١٣٠) . .

(٢) أخرج عبد الرزاق (٣/ ٢٦٩) : عن ابن شهاب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة . . برىء من فتنة القبر ، وكتب شهيداً » .

(٣) ذكره بهـٰذا السند ابن حجر في « لسان الميزان » (٣/ ١٠١) ، وأخرجه القضاعي (١/ ٣٨٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٣/ ٢٧٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٤) انظر « مجمع الزوائد » (١٠/ ٨٥) ، والحديث فيه عن عبد الله ابن أبي أوفىٰ .

وعنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حمْدانِ عظيمان : الإنسان إذا جاءه ما يكره . . قال : الحمد لله علىٰ كل حال ، وإذا جاءه ما يسُرُّه . . قال : الحمد لله رب العالمين ، الرحمـٰن الرحيم ، الذي بنعمته تتم الصالحات وتثمر » انتهىٰ [« الحلية » ٣/١٤٦ـ١٥٧] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : جاء المنكدر والد محمد إلىٰ عائشة رضي الله عنها يشتكي إليها الحاجة ، فقالت : أول شيء يأتيني . . أبعث به إليك ، فجاءتها عشرة آلاف درهم ، فقالت : ما أسرع ما امتحنت عائشة ، وبعثت بها إليه ، فاشترىٰ منها جارية ، فولدت له محمداً ، وأبا بكر ، وعمر ، فكلهم يُذكَر بالصلاح والعبادة ، ويُحمل عنه الحديث .

وقال سفيان : صلى ابن المنكدر علىٰ رجل ، فقيل له : أتصلي علىٰ فلان ؟ فقال : إني لأستحيي من الله عز وجل أن يعلم مني أني أعتقد أن رحمته تعجز عن أحد من المسلمين .

وقال محمد بن المنكدر : بات أخي عمر يصلي ، وبتُّ أغمز رجل أمي ، وما أحب أن ليلتي بليلته .

توفي بالمدينة ، سنة ثلاثين ـ أو إحدىٰ وثلاثين ـ ومئة ، رضي الله عنه [انتهىٰ « الصفوة » ٢/٨٢ـ٨٥] .

وقال الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : كان محمد بن المنكدر إذا بكىٰ . . مسح وجهه ولحيته بدموعه ، ويقول : بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع[1] [« الإحياء » ٤/١٦٣] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرج ابن ماجه في « سننه » (٢/١٤٠٤) : عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموعٌ وإن كان مثل رأس الذباب من خشية الله ، ثم تصيب شيئاً من حُرِّ وجهه . . إلاَّ حرمه الله على النار » قال في الزوائد : إسناده ضعيف .

ومنهم الإمام :

عمر بن المنكدر

رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : عن ابن عمر ـ رحمه الله ـ قال : قالت أم عمر بن المنكدر لعمر : يا بني ؛ إني أشتهي أن أراك نائماً ، فقال : يا أماه ؛ والله إن الليل ليرِدُ عَلَيَّ فيهولني ، فينقضي عني وما قضيت منه أَرَبي(١) .

وقال سالم أبو بسطام : كان عمر بن المنكدر لا ينام الليل ؛ لكثرة البكاء علىٰ نفسه ، فشق ذلك علىٰ أمه ، فقالت لأخيه محمد : إن الذي يصنع عمر يشق عَلَيَّ ، فلو كلمته في ذلك ، فاستعان عليه بأبي حازم ، فقالا له : إن الذي تصنع بنفسك يشق علىٰ أمك ، قال : وكيف أصنع ؟ إن الليل إذا دخل عَلَيَّ . . هالني ، فأستفتح القرآن ، فينقضي عني وما تنقضي نهمتي منه ، قالا له : فالبكاء ؟! قال : من آية في كتاب الله ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ .

وقال عبد الرحمـٰن بن حفص : أرسل بعض الأمراء إلىٰ عمر بن المنكدر بمال ، فجاء به الرسول ، فوضعه بين يديه ، فجعل ينظر إليه ويبكي ، فجاء أخوه أبو بكر ، فلما رأىٰ أخاه عمر يبكي . . جلس يبكي لبكائه ، ثم جاء محمد ، فجلس يبكي لبكائهما ، فاشتد بكاؤهم جميعاً ، فبكى الرسول أيضاً لبكائهم ، ثم أرسل إلىٰ صاحب المال ، فأخبره بذلك ، فأرسل ربيعة ابن أبي عبد الرحمـٰن يستعلم علم ذلك ، فجاء ربيعة فقال : يا أخي ؛ ما الذي أبكاك من صلة الأمير ؟ قال : إني ـ والله ـ خشيت أن تغلب الدنيا علىٰ قلبي ، فلا يكون للآخرة فيه نصيب ، فذلك الذي أبكاني ، وأمر بالمال فتصدق به علىٰ فقراء أهل المدينة ، فراح ربيعة وأخبر الأمير بذلك ، فبكىٰ ، وقال : هـٰكذا يكون أهل الجنة إن شاء الله تعالىٰ . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٨٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أَرَبي : طلبي .

ومنهم الإمام :

صفوان بن سليم الزهري
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن عبد العزيز ابن أبي حازم قال : عادلني[1] صفوان بن سليم إلىٰ مكة ، فما وضع جنبه في المَحْمِل حتىٰ رجع .

قالوا : وكان في الصيف يصلي في الليل بالبيت ، فإذا كان الشتاء . . صلىٰ في السطح ؛ لئلاّ ينام ، ثم يقول : هـٰذا الجهد من عبدك صفوان ، وأنت أعلم به ، وأنت وفقته .

وكان قد تورمت رجلاه من قيام الليل ، وظهر فيها عروق خضر .

وقال أبو ضمرة أنس بن عياض : رأيت صفوان بن سليم ، ولو قيل له غداً القيامة . . ما كان عنده مزيد علىٰ ما كان عليه من العبادة .

وقال سفيان بن عيينة : آلىٰ صفوان بن سليم ألاَّ يضع جنبه إلى الأرض حتىٰ يلقى الله عز وجل ، فعاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه ، فلما حضره الموت وهو منتصب . . قالت له ابنته وهو في هـٰذه الحال : لو ألقيت نفسك ؟ قال : إذاً ـ يا بنية ـ ما وفيت له بالقول ، فما زال مستنداً حتىٰ خرجت روحه .

وقال ابن أبي حازم : دخلت أنا وأبي نسأل عن حال صفوان بن سليم وهو في مصلاه ، فما زال به أبي حتىٰ ردَّه إلىٰ فراشه ، فأخبرتني مولاته أن ساعة خرجتم مات ، رحمه الله تعالىٰ .

وقال أبو ضمرة أنس بن عياض : انصرف صفوان بن سليم يوم فطر أو أضحىٰ إلىٰ منزله ، ومعه صديق له ، فقرب إليه خبزاً وزيتاً ، فجاء سائل ، فوقف على الباب ، فقام إليه ، فأعطاه ديناراً .

وفي رواية : قام إلىٰ كوة في البيت ، فأخذ منها شيئاً ، ثم خرج إليه ، فأعطاه ، فتبعت

---

(١) عَادَلَ الرجلُ الرجلَ : وازنه في المَحْمِل ؛ ركب معه .

السائل ؛ لأنظر ما أعطاه ، فإذا هو يقول : أعطاه الله أفضل ما أعطىٰ أحداً من خلقه ، وذَكَرَ دعاء مُخلَصاً ، فقلت له : ما الذي أعطاك ؟ قال : أعطاني ديناراً .

وحج ومعه سبعة دنانير ، فاشترىٰ بها بدنة ، فقيل له : ليس معك سوىٰ سبعة دنانير ، تشتري بها بدنة ؟! فقال : إني سمعت قول الله عز وجل : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ .

وقدم سليمان بن عبد الملك المدينة وعمر بن عبد العزيز عامله عليها ، فصلىٰ بالناس الظهر ، وفتح باب المقصورة ، واستند إلى المحراب ، واستقبل الناس بوجهه ، فنظر إلىٰ صفوان بن سليم ، فقال سليمان : يا عمر ؛ مَن هٰذا الرجل ؟ ما رأيت سمْتاً أحسن منه ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ هٰذا صفوان بن سليم ، قال : يا غلام ؛ هات كيساً فيه خمس مئة دينار ، فأتىٰ بكيس فيه خمس مئة دينار ، فقال لخادمه : تَرَىٰ هٰذا الرجل القائم يصلي ـ فوصفه للغلام حتىٰ أثبته ـ ادفع هٰذا المال إليه ، قال : فخرج الغلام بالكيس حتىٰ جلس إلىٰ صفوان ، فلما نظر إليه صفوان . . ركع وسجد ، ثم سلَّم وأقبل عليه ، فقال : ما حاجتك ؟ قال : أمرني أمير المؤمنين ـ وهو ذا ينظر إليك وإليّ ـ أن أدفع إليك هٰذا الكيس ، فيه خمس مئة دينار ، ويقول لك : استعن بهٰذه علىٰ زمانك وعيالك ، فقال صفوان للغلام : لست أنا بالذي أُرْسِلْتَ إليه ، فقال له الغلام : ألست صفوان بن سليم ؟ قال : بلىٰ ، قال : فإليك أُرْسِلْتُ ، فقال صفوان : اذهب فاستثبت ، فإذا استثبت . . فهلم ، فقال الغلام : أمسك الكيس معك حتىٰ أذهب ، قال : لا ، إذا أمسكت . . فقد أخذته ، ولٰكن اذهب فاستثبت ، فولى الغلام ، وأخذ صفوان نعليه وخرج ، فلم يُرَ بالمدينة حتىٰ خرج سليمان منها .

وجاء رجل من أهل الشام فقال : دلوني علىٰ صفوان بن سليم ؛ فإني رأيته دخل الجنة ، فقيل له : بأي شيء ؟ قال : بقميص كساه إنساناً ، فسئل بعض إخوان صفوان عن قصة القميص فقال : خرج من المسجد في ليلة باردة ، فوجد رجلاً عارياً ، فنزع قميصه ، فألبسه إياه .

أسند عن جماعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وسمع من كبار التابعين ، وأخذ عنهم .

وحدث عنه من التابعين جماعة ، منهم : محمد بن المنكدر ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن عجلان ، وزيد بن أسلم .

فمن أحاديثه : عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عين باكية يوم القيامة . . إلا عيناً غضت عن محارم الله تعالىٰ ، وعيناً سهرت في سبيل الله ، وعيناً خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل »[1] غريب من حديث صفوان . انتهىٰ [« الحلية » ٣/١٥٨ـ١٦٣] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان صفوان لا يكاد يخرج من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا أراد أن يخرج . . بكىٰ ، وقال : أخاف ألاَّ أعود إليه .

وقال أبو بكر ابن صدقة : ذُكِرَ لأحمد ابن حنبل صفوان بن سليم ، وقلة حديثه ، وأشياء خولف فيها ، فقال : هـٰذا رجل كان يُستشفىٰ بحديثه ، ويُستنزَل القَطْرُ بذِكره .

توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ومئة . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٩٠ـ٩٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) أخرجه الديلمي (٣/٢٥٦) .

ومنهم الإمام :

عامر بن عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهم أجمعين

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : كان عامر يقف عند موضع الجنائز يدعو ، وعليه قطيفة ، فربما سقطت عنه القطيفة وهو لا يشعر بها .

وفي رواية : قال مالك بن أنس : ربما خرج عامر منصرفاً من العِشاء من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيعرض له الدعاء قبل أن يصل إلىٰ منزله ، فيرفع يديه ، فما يزال كذلك حتىٰ ينادىٰ بالصبح ، فيرجع إلى المسجد ، فيصلي الصبح بوضوء العشاء .

وقال عامر : أقمت سنة بعد موت أبي لا أسال الله عز وجل حاجة لنفسي ، وإنما أسأله لأبي .

وقال سفيان بن عيينة : اشترىٰ عامر نفسه من الله عز وجل ست مرات أو سبع مرات بسبع ديات[1] .

وكان يخرج بالبدرة فيها عشرة آلاف درهم يقسمها ، فما يصلي العشاء ومعه منها درهم .

وسرقت نعلا عامر ، فما انتعل بعدها حتىٰ مات رحمه الله .

أسند عن أبيه ، وعن غيره من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وحدث عن عدة من التابعين . انتهىٰ [« الحلية » ٣/١٦٦ـ١٦٧] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان عامر يتخير العُبَّاد وهم سجود ، أبا حازم ، وصفوان بن سليم ، وسليمان ، وأشباههم ، فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم ، فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ، ولا يشعرون بمكانه ، فيقال له : ما يمنعك أن ترسل بها إليهم ؟ فيقول : أكره أن يتمعر[2] وجه أحدهم إذا نظر إلى الرسول وإذا لقيني .

---

(١) يعني : يتصدق كلَّ مرة بدِيته .
(٢) تمعَّر وجهه : تغيَّر وعَلَتْه صفرة .

وكان إذا شهد جنازة . . وقف على القبر ، فقال : ألا أراك ضيقاً ؟ ألا أراك مظلماً ؟ لئن سلمت . . لأتأهبن لك أهبتك ، فأول شيء تراه عيناه من ماله . . يتقرب به إلىٰ ربه عز وجل ، وكان رقيقه يتعرضون له عند انصرافه من الجنازة ليعتقهم .

وقال مصعب : سمع عامر المؤذن وهو يجود بنفسه ، ومنزله قريب من المسجد ، فقال : خذوا بيدي ، فقيل له : إنك عليل ، وفي هـٰذا الحال ؟ فقال : أسمع داعي الله تعالىٰ فلا أجيبه ؟! فدخل في صلاة المغرب ، فركع مع الإمام ركعة ، ثم مات رضي الله عنه ، سنة أربع وعشرين ومئة[1] . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٧٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) كذا في « السير » (٥/ ٢٢٠) ، « والصفوة » ، و« تهذيب الكمال » (١٤/ ٥٩) ، وفي « النسخ » : (أربع وستين ومئة) .

ومنهم الإمام :

أبو الحسن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب

رضوان الله عليهم

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : يكنىٰ : أبا الحسن الهاشمي .

وكان يدعى العبدَ الصالح ؛ من كثرة عبادته واجتهاده وقيامه الليل(١) .

وكان كريماً حليماً ، إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه . . بعث إليه بمال .

وقال الربيع : لَمَّا حبَس المهدي موسى بن جعفر . . رأىٰ في النوم عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول : يا محمد : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ، قال الربيع : فأرسل إلي ليلاً ، فهالني ، فجئته وإذا هو يقرأ هـٰذه الآية ، وكان أحسن الناس صوتاً ، فقال : عَلَيَّ بموسى بن جعفر ، فجئته به ، فعانقه ، وأجلسه إلىٰ جانبه ، وقال : يا أبا الحسن ؛ رأيتُ علي بن أبي طالب يقرأ عَلَيَّ كذا وكذا ، فتؤمِّنني ألاَّ تخرج عَلَيَّ أو علىٰ أحد من ولدي ، فقال : والله ؛ لا فعلت ذلك ، ولا هو من شأني ، فقال : صدقت ، يا ربيع ؛ أعطه ثلاثة آلاف دينار ، ورُدَّهُ إلىٰ أهله إلى المدينة ، قال الربيع : فأحكمت أمره ليلاً ، فما أصبح . . إلا وهو على الطريق خوف العوائق .

وقال شقيق : خرجت حاجّاً سنة تسع وأربعين ومئة ، فنزلت القادسية ، فبينا أنا أنظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم ؛ رأيت فتىً حسن الوجه ، شديد السمرة ، فوق ثيابه ثوب صوف ، مشتمل بشَمْلة(٢) ، في رجليه نعلان ، وقد جلس منفرداً وحده ، فقلت في نفسي :

---

(١) نقل الذهبي في « السير » (٦/ ٢٧٣) عن أخت موسى الكاظم كلامها في ذلك ، فقالت : كان إذا صلى العَتَمة . . حمد الله ومجده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتىٰ يزول الليل ، فإذا زال الليل . . قام يصلي حتىٰ يصلي الصبح ، ثم يذكر حتىٰ تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحىٰ ، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلىٰ قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي العصر ، ثم يذكر في القبلة حتىٰ يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب إلى العَتَمة .

(٢) **الشَّمْلة** : كساء يُشتمل به ؛ أي : يتلفف به .

هٰذا الفتىٰ من الصوفية ، يريد أن يكون كَلاً على الناس في طريقهم ، والله ؛ لأمضينَّ إليه ، ولأوبِّخنَّه ، فدنوت منه ، فلما رآني مقبلاً . . قال : يا شقيق ؛ ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ ثم تركني ومضىٰ ، فقلت في نفسي : إن هٰذا لأمر عظيم ، قد تكلم بما في نفسي ، ونطق باسمي ، ما هٰذا إلا عبد صالح ، لألحقنه ، ولأسألنه يحاللني ، فأسرعت في أثره ، فلم ألحقه ، وغاب عني ، فلما نزلنا واقصة[1] . . رأيته يصلي ، وأعضاؤه تضطرب ، ودموعه تجري ، فقلت : هٰذا صاحبي ، أمضي إليه وأستحله ، فقعدت حتىٰ جلس ، فأقبلت نحوه ، فلما رآني مقبلاً . . قال : يا شقيق ؛ اتل قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ ، ثم تركني ومضىٰ ، فقلت : إن هٰذا الفتىٰ من الأبدال ، قد تكلم علىٰ سِرِّي مرتين ، فلما نزلنا زبالة[2] ؛ إذ الفتىٰ قائم على البئر ، وبيده ركوة يريد أن يستقي ماء ، فسقطت الركوة من يده في البئر ، وأنا أنظر إليه ، فرأيته قد رمق السماء بطَرْفه ، وسمعته يقول : اللهم ، يا سيدي ؛ أنت تعلم أن مالي سواها ، فلا تعدمنيها . فوالله ؛ لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها ، فمد يده ، وأخذ الركوة ، وملأها ، وتوضأ ، وصلىٰ أربع ركعات ، ثم مال إلىٰ كثيب رمل ، فجعل يقبض بيده ، ويطرح في الركوة ، ويحركه ، ويشرب ، فأقبلت إليه ، وسلمت عليه ، فرد عَلَيَّ السلام ، فقلت : أطعمني من فضل ما أنعم الله تعالىٰ به عليك ، فقال : يا شقيق ، لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة ، فأحسِن ظنك بربك ، ثم ناولني الركوة ، فشربت منها ، فإذا سويق وسكر ، فوالله ؛ ما شربت قط ألذ منه ، ولا أطيب ريحاً ، فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً ، ثم لم أره حتىٰ دخلنا مكة ، فرأيته ليلة إلىٰ جنب قبة الشراب في نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتىٰ ذهب الليل ، فلما رأى الفجر . . جلس في مصلاه يسبح الله عز وجل ويدعو ، ثم قام يصلي الغداة ، وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج ، فتبعته ، وإذا له حاشية وموالي ، وهو علىٰ خلاف ما رأيته في الطريق ، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه ، فقلت لبعض من رأيته يقرب منه : من هٰذا الفتىٰ ؟ فقال : هٰذا موسى بن جعفر ، فقلت : وقد عجبت أن تكون هٰذه العجائب إلا لمثل هٰذا السيد من هٰذا البيت العظيم الطاهر .

وقال أحمد بن إسماعيل : بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد برسالة من الحبس ، كان

---

(١) واقصة : منزل بطريق مكة ، بعد القرعاء ، وقبل العقبة ، ويقال لها واقصة الحزون ، وهي قبل زبالة بمرحلتين .

(٢) زبالة : منزل بطريق مكة ، وهي قرية عامرة ، بها أسواق ، بين واقصة والثعلبية .

منها : إنه لم يَنْقَضِ عني يوم من البلاء.. إلا انقضىٰ عنك معه يوم من الرخاء ، حتىٰ نفضي جميعاً إلىٰ يوم ليس له انقضاء ، يخسر فيه المبطلون .

ولد موسى بن جعفر بالمدينة ، سنة ثمان وعشرين ومئة ، وأقدمه المهدي إلى العراق ، ثم رده إلى المدينة ، فأقام بها إلىٰ أيام الرشيد ، فقدم الرشيد المدينة ، فحمله معه ، وحبسه ببغداد إلىٰ أن توفي بها(١) .

وكانت وفاته لخمس بقين من رجب ، سنة ثلاث وثمانين ومئة ، رضي الله عنه وأرضاه . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/١٠٧ـ١٠٩] .

وقال في « المختار » : موسى الكاظم أحد الأئمة الاثني عشر . [انتهىٰ] .

قال الحافظ الخطيب : روي : أنه دخل موسىٰ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَّل الليل ، فسجد ، وهو يقول : عظم الذنب مني ، فَلْيَحْسُنِ العفو منك ، فجعل يرددها حتىٰ أصبح .

وكان حليماً كريماً ، يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه.. فيبعث إليه بالصرة فيها ألف دينار .

وكان يصر الصرر ثلاث مئة دينار وأربع مئة دينار ، ثم يقسمها بالمدينة .

وحكىٰ عبد الله بن مالك الخزاعي قال : أتاني رسول هارون الرشيد ليلاً ، فراعني ، فلما دخلت عليه.. سلمت ، فسكتَ ساعة ، فطار عقلي ، ثم قال لي : إني رأيت في هٰذه الساعة أنه قد أتاني شخص معه حربة ، فقال : إن خليت عن موسىٰ ، وإلا.. نحرتك بهٰذه الحربة ، اذهب فخَلِّ عنه ، وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقُلْ له : إنه مخير بين المقام عندنا وله كل ما يحب ، وبين المضيّ إلىٰ أهله ، قال : فجئت إليه ، ودفعت إليه المال ، وأبلغته ما قال أمير المؤمنين ، فقال لي : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : « يا موسىٰ ؛ حُبست مظلوماً ، فقل هٰذه الكلمات : **اللهم ، يا سامع كل صوت ، ويا سابق كل فوت ، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت ؛ أسألك بأسمائك الحسنىٰ ، وباسمك الأعظم ، يا حليماً لا يعجل من عصاه ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصىٰ عدداً ؛ فرِّج عني** » ، ثم استيقظت ، فكان ما ترىٰ(٢) انتهىٰ [« تاريخ بغداد » ١٣/٢٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) قيل : مسموماً ، ودفن في مقابر الشونيزية خارج القبة ، وقبره مشهور يزار .

(٢) « وفيات الأعيان » (٥/٣٠٩) .

ومنهم الإمام :

أبو حمزة محمد بن كعب القرظي
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال محمد بن كعب : إذا أراد الله بعبد خيراً . . جعل فيه ثلاث خصال : فقهاً في الدين ، وزهادة في الدنيا ، وبصراً بعيوبه .

وكان يقول : الدنيا دار فناء ومنزل قُلْعَة[1] ، رغبت عنها السعداء ، فأشقى الناس بها أرغبُ الناس فيها ، وأزهدُ الناس فيها . . أسعد الناس بها ، هي المغوية لمن أطاعها ، المهلكة لمن اتبعها ، الخائنة لمن انقاد لها ، عِلمُها جهل ، وغناؤها فقر ، وزيادتها نقصان ، وأيامها دُوَل .

وقال : إن الدنيا لتبكي من رجل ، وتبكي علىٰ رجل : تبكي علىٰ من كان يعمل علىٰ ظهرها بطاعة الله عز وجل ، وتبكي من رجل كان يعمل علىٰ ظهرها بمعصية الله سبحانه وتعالىٰ قد أثقلها ، ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ .

وقال عمرو بن دينار : سألت محمد بن كعب عن هـٰذه الآية الكريمة : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ قال : من يعمل مثقال ذرة من خير من كافر . . يرىٰ ثوابها في نفسه وأهله وماله ، حتىٰ يخرج وليس له من خير ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً من مؤمن . . يرىٰ عقوبتها في نفسه وأهله وماله ، حتىٰ يخرج وليس له من شر .

وقالت أم محمد بن كعب لابنها : يا بني ؛ لولا أني أعرفك صغيراً طيباً ، وكبيراً طيباً . . لظننت أنك أحدثت ذنْباً موبقاً ؛ مما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار ، فقال : يا أماه ؛ وما يؤمِّنُني أن يكون الله عز وجل قد اطلع عَلَيَّ في بعض ذنوبي فمقتني وقال : اذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن توردني علىٰ أمور ، حتىٰ إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي .

---

(١) منزل قُلْعَة : أي تحوُّل وارتحال ، ومنه حديث علي رضي الله عنه : « أحذركم الدنيا ؛ فإنها منزل قلعة » .

وكتب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إلىٰ محمد بن كعب يسأله أن يبيعه غلامه سالماً ، وكان عابداً خيِّراً ، فقال : إني دبَّرتُه ، قال : مُرْهُ فليزُرني ، فأتاه سالم ، فقال له عمر : إني قد ابتليت بما ترىٰ ، وأنا ـ والله ـ أتخوف ألاَّ أنجو ، فقال له سالم : إن كنت كما تقول . . فهـٰذا نجاتك ، وإلا . . فهو الأمر الذي تخاف .

وسئل محمد بن كعب : ما علامة الخذلان ؟ قال : أن يستقبح الرجل ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان يستقبح .

وقال : لأن أتفكر ليلة حتىٰ أصبح في (إذا زلزلت) و(القارعة) فقط . . أحب إلي من أن أَهُذَّ القرآن هَذّاً .

وقال : لو رخص لأحد في ترك الذِّكر . . لرخص لزكرياء عليه الصلاة والسلام ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾ ، ولو رخص لأحد في ترك الذِّكر . . لرخص للذين يقاتلون في سبيل الله ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ : قال : اصبروا علىٰ دينكم ، وصابروا لوعدي الذي وعدتكم ، ورابطوا عدوي ، واتقوا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون إذا لقيتموني .

أسند عن عدة من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين .

وروىٰ عنه من التابعين : محمد بن المنكدر ، وغيره .

فمن أحاديثه : ما رواه عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة . . ما بينه وبين أن يدخل الجنة إلا أن يموت ، فإذا مات . . دخل الجنة »[1] غريب من حديث المغيرة . انتهىٰ [« الحلية » ٣/٢١٣ـ٢٢١] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال محمد بن كعب القرظي : من قرأ القرآن . . مُتِّع بعقله ، وإن بقي مئتي سنة .

وسأله رجل فقال : يا أبا عبد الله ؛ ما تقول في التوبة ، قال : ما أُحسنها ، قال :

---

(١) أخرج الطبراني في « الكبير » (٨/ ١١٤) : عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة . . لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت » .

أفرأيت إن أَعطيت الله عز وجل عهداً ألاَّ أعصيه أبداً ؟ فقال له محمد : فمن حينئذ أعظم منك جرماً ؟! تتألَّىٰ على الله سبحانه وتعالىٰ ألاَّ ينفذ فيك أمره .

توفي سنة سبع عشرة ـ أو ثمان عشرة ـ ومئة .

وقيل : كان يقص علىٰ أصحابه ، فسقط المسجد عليهم ، رحمة الله عليهم أجمعين .

انتهىٰ [« الصفوة » ٢/٧٨ـ٧٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو حازم سلمة بن دينار
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال عون بن عبد الله : ما رأيت أحداً يفرفر[1] الدنيا فرفرة أبي حازم .

وقال أبو حازم : يسيرُ الدنيا يُشغل عن كثير الآخرة ، وإنك لتجد الرجل يشغل نفسه بهَمٍّ غيره ، حتىٰ يكون أشد اهتماماً من صاحب الهم بهَمٍّ نفسه .

وقال : عند تصحيح الضمائر . . تغفر الكبائر ، وإذا عزم العبد علىٰ ترك الآثام . . أتته الحكمة .

وقال : كل نعمة لا تقرب من الله عز وجل . . فهي بلية .

وقال : ينبغي للمؤمن أن يكون حفظه للسانه أشد منه لموضع قدميه .

وقال لابنه : يا بني ؛ لا تقتدِ بمن لا يخاف الله عز وجل بظهر الغيب ، ولا يقف عن العيب ، ولا يصلح عند الشيب .

وقال : لو نادىٰ مناد من السماء : أَمِنَ أهل الأرض من دخول النار . . لكان يحق عليهم الوجل من حضور ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم .

وقال : يا أعرج ؛ يُنادىٰ يوم القيامة : يا أهل خطيئة كذا وكذا ؛ فتقوم معهم ، ثم يُنادىٰ : يا أهل خطيئة كذا وكذا ؛ فتقوم معهم ، فأراك يا أعيرج تقوم مع أهل كل خطيئة .

وقال رجل لأبي حازم : إنك متشدد ، فقال أبو حازم : ومالي لا أتشدد وقد يرصدني أربعة عشر عدواً :

أما أربعة : فشيطان يفتنني ، ومؤمن يحسدني ، وكافر يقاتلني ، ومنافق يبغضني .

وأما العشرة : فالجوع ، والعطش ، والحر ، والبرد ، والعري ، والهرم ، والمرض ، والفقر ، والموت ، والنار .

---

(١) يفرفر : يذم ويحقِّر .

ولا أطيقهن إلا بسلاح تام ، ولا أجد لهن سلاحاً أفضل من التقوىٰ .

وقال : إن الشيطان إذا استمكن من عصمة امرىءٍ . . لم يبال بعد ذلك بما صنع ولو صلىٰ حتىٰ يسقط لِحُرِّ وجهه[1] ، ولم يكده فيما سوىٰ ذلك .

وكان إذا قيل له : ما مالُك ؟ قال : ثقتي بالله تعالىٰ ، وإياسي مما في أيدي الناس .

وقال أبو حازم : نحن لا نريد أن نموت حتىٰ نتوب ، ونحن لا نتوب حتىٰ نموت .

وقال : ما رأيت يقيناً لا شك فيه . . أشبه بشك لا يقين فيه . . من شيء نحن فيه .

وقال : إن كنت تطلب من الدنيا ما يكفيك . . فأدنىٰ ما فيها يُجزيك ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك . . فليس فيها شيء يغنيك .

وقال : نعمة الله فيما زوىٰ عني من الدنيا . . أعظم من نعمته فيما أعطاني منها ، إني رأيته أعطاها قوماً فهلكوا .

وقدم سليمان بن عبد الملك المدينة حاجّاً ، فقال : هل بها أحد أدرك عدة من الصحابة رضي الله عنهم ؟ قالوا : نعم ، أبو حازم ، فأرسل إليه ، فلما أتاه . . قال له : يا أبا حازم ؛ ما هـٰذا الجفاء ؟ قال : أي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين ؟ قال : وجوه الناس أتوني ولم تأتني ، قال : والله ؛ ما عرفتني قبل هـٰذا ، ولا أنا رأيتك ، فأي جفاء رأيت مني ؟! فالتفت سليمان إلى الزهري وقال : أصاب الشيخ ، وأخطأت أنا .

فقال : يا أبا حازم ؛ ما لنا نكره الموت ، قال : لأنكم عمرتم الدنيا وخرَّبتم الآخرة ، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب ، قال : صدقت .

يا أبا حازم ؛ ليت شعري! ما لنا عند الله عز وجل غداً ؟ قال : اعرض عملك علىٰ كتاب الله تعالىٰ ، قال : وأين أجده من كتاب الله سبحانه وتعالىٰ ؟ قال : في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ ، قال سليمان : فأين رحمة الله تعالىٰ ؟ قال أبو حازم : ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، قال سليمان : ليت شعري ، كيف العرض على الله عز وجل ؟ فقال أبو حازم : أما المحسن . . فكالغائب يقدم علىٰ أهله ، وأما المسيء . . فكالآبق يُقدَم به إلىٰ مولاه ، فبكىٰ سليمان حتىٰ علا نحيبه واشتد بكاؤه ، فقال : يا أبا حازم ؛ كيف لنا أن نصلح ؟ قال : تَدَعون عنكم الصَّلَفَ[2] ، وتتمسكون بالمروءة ،

---

(١) في « الحلية » : (لحم وجهه) .

(٢) الصَّلَف : التمدح بماليس عندك ، وقيل أيضاً : قلة الخير .

وتقسمون بالسوية ، وتعدلون في القضية ، قال : وكيف المأخذ من ذلك ؟ قال : تأخذ بحقه ، وتضع بحقه .

قال : يا أبا حازم ؛ من أفضل الخلائق ؟ قال : أهل التقىٰ والمروءة والنُّهىٰ ، قال : فما أعدل العدل ؟ قال : كلمة عدل عند من ترجوه أو تخافه ، قال : فما أسرع الدعاء إجابة ؟ قال : دعاء المحسن للمحسن ، قال : فما أفضل الصدقة ؟ قال : جُهْدٌ من مُقِلٍّ إلىٰ بائس فقير ، لا يتبعها منّاً ولا أذىً ، قال : من أكيس الناس ؟ قال : رجل وفق لطاعة الله عز وجل ، فعمل بها ، ثم دل الناس عليها ، قال : فمن أحمق الخلق ؟ قال : رجل اغتاظ في هوىٰ أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره .

قال : يا أبا حازم ؛ هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : كلا ، قال : ولِمَ ؟ قال : إني أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً ، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا يكون لي منه نصيراً .

قال : يا أبا حازم ؛ ارفع إليَّ حاجتك ، قال : نعم ، تدخلني الجنة ، وتخرجني من النار ، قال : ذاك ليس إليَّ ، قال : فما لي حاجة سواها .

قال : يا أبا حازم ؛ ادع الله عز وجل لي ، قال : نعم ، اللهم ؛ إن كان سليمان من أوليائك . . فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وإن كان من أعدائك . . فخذ بناصيته إلىٰ ما تحب وترضىٰ ، قال سليمان : زدني ، قال : قد أكثرت وأطنبت إن كنت من أهله ، وإن لم تكن من أهله . . فما حاجتك أن ترمي عن قوس ليس لها وَتَرَ ؟!

قال سليمان : يا أبا حازم ؛ ما تقول فيما نحن فيه ؟ فقال : أوتعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : بل نصيحة تلقيها إليَّ ، قال : إن آباءك غصبوا الناس هـٰذا الأمر ، فأخذوه عنوة بالسيف عن غير مشورة ولا اجتماع من الناس ، وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة ، وارتحلوا ، فلو شعرت ما قالوا ، وما قيل لهم ، قال رجل من جلساء سليمان : بئسما قلت ، قال أبو حازم : كذبت ، إن الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

قال : يا أبا حازم ؛ أوصني ، قال : نعم ، سوف أوصيك وأُوجز ، نزِّهِ الله عز وجل ، وعظِّمْه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ، فلما ولىٰ . . قال : يا أبا حازم ؛ هـٰذه مئة دينار أنفقها ولك عندي أمثالها كثير ، فرمىٰ بها .

إليه وقال : والله ؛ ما أرضاها لك ، فكيف أرضاها لنفسي ؟ إني أعيذك بالله أن يكون

سؤالك إياي هزلاً ، وردي عليك بذلاً ، إن موسىٰ عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين . . قال : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ، فسأل ربه ولم يسأل الناس ، ففطنت الجاريتان ولم يفطن الرعاء ، فأتيا أباهما شعيباً عليه الصلاة والسلام فأخبرتاه ، فقال شعيب : ينبغي أن يكون هـٰذا جائعاً ، ثم قال لإحداهما : اذهبي فادعيه ، فلما أتته . . أعظمته وغطت وجهها ، ثم قالت : ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ ، فكره موسىٰ عليه الصلاة والسلام ذلك ، وأراد ألاَّ يتبعها ، ثم لم يجد بُدّاً من أن يتبعها ؛ لأنه كان في أرض مَسْبَعَة[١] وخوف ، فتبعها ، وكانت امرأة ذات عجز ، فكانت الرياح تضرب ثوبها ، فتصف لموسىٰ عجزها ، فيغض مرة ويُعرِض أخرىٰ ، ثم قال : يا أمة الله ؛ كوني خلفي ، ثم دخل إلىٰ شعيب عليه الصلاة والسلام والعَشاء مهيأ ، فقال : كل يا موسىٰ ، قال موسىٰ : لا ، قال شعيب : ألست جائعاً ؟ قال : بلىٰ ، ولـٰكني من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً ، وأخشىٰ أن يكون هـٰذا أجرَ ما سقيتُ لهما ، قال شعيب : لا يا شاب ، ولـٰكنها عادتي وعادة آبائي قرى الضيف وإطعام الطعام ، قال : فجلس ، فأكل . فإن كانت هـٰذه المئة دينار عوضاً عمَّا حدثتك . . فهي حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير ، وإن كانت من مال المسلمين . . فلي فيها شركاء ونظراء ، إن ساويتهم بي ، وإلا . . فلا حاجة لي بها ، إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدىٰ والتقىٰ حيث كانت أمراؤهم يأتون إلىٰ علمائهم رغبة في علمهم ، فلما نكسوا وتعسوا وسقطوا من عين الله عز وجل . . صار علماؤهم يأوون إلىٰ أمرائهم ، فشاركوهم في دنياهم ، واشتركوا معهم في فتنتهم .

قال ابن شهاب : يا أبا حازم ؛ إياي تعني ؟ أَوَ بي تعرِّض ؟ قال : ما إياك أعني ، ولـٰكن هو كما تسمع ، ثم ذهب .

وقال أبو حازم رحمه الله : انظر إلى الذي تحب أن يكون معك في الآخرة . . فقدمه اليوم ، وانظر إلى الذي تكره أن يكون معك في الآخرة . . فاتركه اليوم .

وقال : كل عمل تكره الموت من أجله . . فاتركه ، ثم لا يضرك متىٰ مِتَّ .

وقال : من عرف الدنيا . . لم يفرح فيها برخاء ، ولم يحزن علىٰ بلوىٰ .

وقال : ما في الدنيا شيء يسرك . . إلا وقد ألزق به شيء يسوؤك .

وقال : إني لأعظ ، وما أرىٰ للموعظة موضعاً ، وما أريد بذلك إلا نفسي .

---

(١) أرض مَسْبَعَةٌ : أي ذات سباع .

وقال : خصلتان من تكفل بهما . . أصاب خير الدنيا والآخرة : تركك ما تحب ، واحتمالك ما تكره لما أحبه الله عز وجل .

ولما احتضر . . قيل له : كيف تجدك ؟ قال : بخير ، راجياً لله عز وجل ، حسن الظن به .

وعن سفيان بن عيينة : قال أبو حازم : إني لأستحيي من ربي عز وجل أن أسأله شيئاً ، فأكون كالأجير السوء ، إذا عمل . . طلب أجرة ، ولـٰكن أعمل تعظيماً له .

أسند أبو حازم عن خلائق من الصحابة ، رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين .

ورویٰ عنه من التابعين جماعة . انتهیٰ [« الحلية » ٣/ ٢٣٠-٢٥٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال أبو حازم : ما مضىٰ من الدنيا . . فحلم ، وما بقي . . فأماني .

وقال : لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله عز وجل . . إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد .

وقال : إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه . . فاحذره .

وكان يقص في المسجد ، ويبكي ، ويمسح دموعه علىٰ وجهه ، فقيل له في ذلك ، فقال : بلغني أن النار لا تصيب موضعاً أصابته الدموع من خشية الله تعالىٰ .

وقال سليمان العمري : رأيت أبا جعفر القاري في المنام على الكعبة ، فقلت : أبا جعفر ؟! قال : نعم ، أقرىء إخواني مني السلام ، وأخبرهم أن الله عز وجل جعلني مع الشهداء الأحياء المرزوقين ، وأقرىء أبا حازم السلام ، وقل له : يقول لك أبو جعفر : الكَيْس الكَيْس ؛ فإن الله عز وجل وملائكته يتراؤون مجلسك بالعشيات .

توفي بعد سنة أربعين ومئة . انتهیٰ [« الصفوة » ٢/ ٩٢-٩٨] .

وقال حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي ـ قدس الله روحه ـ : قال رجل لأبي حازم : أوصني ، فقال : كل ما لو جاءك الموت عليه رأيته غنيمة . . فالزمه ، وكل ما لو جاءك الموت عليه رأيته مصيبة . . فاجتنبه . انتهیٰ [« الإحياء » ٤/ ٥٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو عاصم عُبيد بن عُمير
رضي الله عنه

قال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : قال مجاهد : كنا نفخر بفقيهنا ، ونفخر بقاصِّنا ، أما فقيهنا . . فابن عباس ، وأما قاصُّنا . . فعبيد بن عمير[(١)] .

وعن مجاهد : أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل المسجد وعبيد بن عمير يقص ، فقال لقائده : اذهب في نحوه ، فجاء حتىٰ قام علىٰ رأسه ، فقال : يا أبا عاصم ؛ ذكِّر بالله تعالىٰ من ذَكَر الله : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ ، ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ﴾ ، ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ .

وقال عبيد بن عمير : عليكم بالإكثار من ذِكر الله عز وجل ؛ فإنه أحب إلى الله سبحانه وتعالىٰ من إنفاق جبلي ذهب وفضة : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

وقال : آثروا الحياء من الله عز وجل على الحياء من الناس .

وقال : إن مِن صدق الإيمان وبِرِّه أن يخلو الرجل بالمرأة الحسناء ، فيدعها لا يدعها إلا لله عز وجل ، ومِن صدق الإيمان وبِرِّه إسباغ الوضوء في المكاره .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ : إن الأواب هو الذي يتذكر ذنوبه في الخلاء ، فيستغفر الله عز وجل منها .

وكان إذا دخل المسجد وقد غابت الشمس : فإذا سمع النداء . . قال : اللهم ؛ إني أسألك عند إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وقيام دعاتك ، وحضور صلواتك . . أن تغفر لي وترحمني ، وأن تجيرني من النار . وإذا أصبح . . قال مثل ذلك قبل أن يصلي الفجر .

وقال : ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن مضىٰ .

---

(١) الواعظ المفسر ، ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة ، وهو أول من قصَّ علىٰ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وعن عبيد بن عمير في قوله تعالىٰ : ﴿ عُتُلٍّ ﴾ قال : هو القوي الكثير الأكل والشرب ، يوضع في الميزان ، فلا يزن شعيرة ، يدفع المَلَكُ من أولـئك سبعين ألفاً دفعة واحدة في النار .

وقال : يجعل الله تعالىٰ للقبر لساناً ينطق به ، فيقول : يابن آدم ؛ كيف نسيتني ؟ أما علمت أني بيت الأكلة ، وبيت الدود ، وبيت الوحشة ، وبيت الوحدة ؟!

وقال : إنكم مكتوبون عند الله يوم القيامة بأسمائكم وسيماكم وحلاكم ومجالسكم .

وقال : إن أهل القبور ليتلقون الأخبار ممن قد مات عمن بقي ، فيسألونه ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ممن قد مات ؟ فيقول : ألم يأتكم ؟ فيقولون : لا ، فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذُهِب به إلىٰ أمه الهاوية .

وحدثنا غيلان : عن عبيد بن عمير : أنه كان آخىٰ في الله رجلاً ، وأخذ بيده يوماً ، واستقبل به القبلة ، وقال : اللهم ؛ اجعلنا شهداء بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، واجعل محمداً صلى الله عليه وسلم شهيداً علينا بالإيمان ، واجعلنا من الذين سبقت لهم منك الحسنىٰ وزيادة ، ولا تجعلنا من القاسية قلوبهم ، ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم .

أسند عن عدة من الصحابة ، رضوان الله تعالىٰ عليهم .

وأسند عنه من التابعين عدة ، منهم : مجاهد ، وعطاء في آخرين [انتهىٰ « الحلية » ٣/٢٦٧_٢٧٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

مجاهد بن جبير
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال مجاهد : من أعز نفسه . . أذل دينه ، ومن أذل نفسه . . أعز دينه .

وقد عرضت القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث عرضات ، أسأله عن كل آية فيم نزلت وكيف كانت .

وقال : الفقيه : من يخاف الله عز وجل .

وقال : إن العبد إذا أقبل على الله عز وجل بقلبه . . أقبل الله سبحانه وتعالىٰ إليه بقلوب المؤمنين .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ قال : أخلص له إخلاصاً .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال : عن كل شيء من لذة الدنيا .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ قال : الذي يذكر الله عز وجل عند المعاصي .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ قال : الخشوع في الصلاة[1] .

وقال : لا يكون الرجل من الذاكرين الله سبحانه وتعالىٰ حتىٰ يذكر الله تعالىٰ قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

وقال : إن لابن آدم جلساء من الملائكة ، فإذا ذكر المسلم أخاه المسلم بخير . . قالت الملائكة : ولك بمثله ، وإذا ذكره بسوء . . قالت الملائكة : يابن آدم المستور عورته ؛

---

(١) ولا يستبعد كثرة ما نقل عنه في التفسير ؛ فقد قال النووي في « التهذيب » (٨٣/٢) : مجاهد بن جبر ويقال ابن جبير بالتصغير . . واتفق العلماء علىٰ إمامته وجلالته وتوثيقه وهو إمام في الفقه والتفسير والحديث . اهـ

اِربعْ[1] علىٰ نفسك ، واحمد الله عز وجل الذي ستر عيبك .

وقال : ما من يوم يمضي من الدنيا . . إلا قال ذلك اليوم : الحمد لله الذي أخرجني فلا أعود إليها أبداً ، ثم يطوىٰ عليه ، فيختم إلىٰ يوم القيامة حتىٰ يكون الله عز وجل هو الذي يفض خاتمه .

وقال في قوله عز وجل : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ ، قال : الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا .

وقال : صحبت ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وأنا أريد أن أخدمه ، فكان يريد أن يخدمني أكثر .

وقال : ما من يوم . . إلا وهو يقول : يا بن آدم ؛ قد دخلت عليك اليوم ، ولن أرجع إليك بعد اليوم إلىٰ يوم القيامة ، فانظر ماذا تعمل فيَّ وماذا تُوْدِعُني ، ولا ليلة . . إلا قالت كذلك .

وقال : كان بالمدينة أهل بيت ذو حاجة ، عندهم رأس شاة ، فأصابوا شيئاً ، فقالوا : لو بعثنا بهـٰذا الرأس إلىٰ من هو أحوج إليه منا ، فبعثوا به ، فلم يزل يدور بالمدينة حتىٰ رجع إلىٰ أصحابه الذين خرج من عندهم .

وقال : إذا لقي المسلم المسلم فضحك في وجهه . . تحاتَّتْ عنهم الذنوب كما تنثر الريحُ الورقَ اليابس من الشجر .

وقال : ما من مؤمن يموت . . إلا تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً .

وقال : النملة التي كلمت سليمان عليه السلام . . كانت مثل الذئب العظيم .

وقال : كان الغلام من قوم عاد لا يحتلم حتىٰ يبلغ مئتي سنة .

وقال : ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك . . إلا النبي صلى الله عليه وسلم .

أسند عن خلائق من الصحابة ، رضوان الله عليهم .

وحدث عنه جماعة من التابعين وعلماء الأمصار ؛ كعطاء ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار في آخرين . انتهىٰ [« الحلية » ٣/٢٧٩ـ٣٠٠] .

---

(١) اِربع : توقف وانتظر ، ولا تتكلم في عورات الناس .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : مجاهد يكنىٰ : أبا الحجاج ، هو مولىٰ عبد الله بن السائب .

وقال مجاهد : لا تحد النظر إلىٰ أخيك ، ولا تسأله من أين جئت ؟ ولا أين تذهب ؟

وقال : ما من مرضة يمرضها العبد . . إلا ورسول ملك الموت عنده ، حتىٰ إذا كان آخر مرضة يمرضها . . أتاهم ملك الموت ، فيقول : أتاك رسول بعد رسول ، فلم تعبأ به ، وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا .

وقال : يؤمر بالعبد إلى النار ، فيقول : يا رب ؛ ما كان هـٰذا ظني فيك وأنت أعلم ، فيقول الله تعالىٰ وهو سبحانه وتعالىٰ أعلم : ما كان ظنك بي ؟ فيقول : أن تغفر لي ، فيقول : خلوا سبيله .

وقال : إذا أراد أحدكم أن ينام . . فليكن علىٰ طهارة ، ويستقبل القبلة ، ولينم علىٰ يمينه ، وليذكر الله عز وجل ، وليكن آخر كلامه عند منامه : لا إلـٰه إلا الله ؛ فإنها وفاة لا يدري لعلها تكون منيته ، ثم قرأ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ .

توفي سنة اثنتين ومئة ، يوم السبت ، وهو ساجد ، وله ثلاث وثمانون سنة رحمه الله تعالىٰ . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ١٢٣ـ١٢٥] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام فقيه الحرم :

أبو محمد عطاء ابن أبي رباح
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال ابن جريج : كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة .

وعنه قال : كان من أحسن الناس صلاة ، وكان بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة ، فيقرأ مئتي آية من البقرة ، وهو قائم لا يزول منه شيء ، ولا يتحرك .

وقال سفيان بن عيينة : قلت لابن جريج : ما رأيت مصلياً مثلك ، قال : لو رأيت عطاء .

وقال معاذ بن سعد : كنت جالساً عند عطاء ، فحدث بحديث ، فعرض رجل من القوم في حديثه ، فغضب ، وقال : ما هٰذه الأخلاق ؟ وما هٰذه الطبائع ؟ **إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه ، فأريه أني لا أحسن شيئاً منه .**

وقدم ابن عمر رضي الله عنهما مكة ، فسألوه ، فقال : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء ابن أبي رباح ؟

ومر عطاء علىٰ أبي جعفر ، فقال أبو جعفر : ما بقي أحد علىٰ وجه الأرض أعلم بمناسك الحج من هٰذا ؛ [أي] : عطاء[1] .

وكانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس ، وبعده لعطاء ابن أبي رباح .

وعن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحداً يطلب بعلمه ما عند الله إلا ثلاثة : عطاء ، وطاووس ، ومجاهد .

---

(١) نقل الذهبي في « السير » (٥/ ٨٢) عن ابن أبي ليلىٰ قوله : (وكان عالماً بالحج ، وقد حج زيادةً علىٰ سبعين حجة) .

قال عمرو بن دينار : ما رأيت مثل عطاء قط ، ما رأيت عليه قميصاً ، ولا رأيت عليه ثوباً يساوي خمسة دراهم .

وعن الأوزاعي ، عن عطاء قال : كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعجن ، وإن قُصَّتها[1] لتكاد أن تضرب الجفنة .

وقال : من جلس مجلس ذكر . . كفَّر الله عز وجل عنه بذلك المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل ، وإن كان ذلك في سبيل الله سبحانه وتعالىٰ . . كفَّر الله بذلك المجلس سبع مئة من مجالس الباطل ، قيل لعطاء : ما مجالس الذكر ؟ قال : مجالس الحلال والحرام ، كيف يصلي ، وكيف يصوم ، وكيف ينكح ، وكيف يطلق ويبيع ويشتري .

وقال عطاء : ما من عبد مؤمن قال : يا رب ، يا رب ، يا رب (ثلاث مرات) . . إلا نظر الله إليه ، فذكر ذلك للحسن ، فقال : أما تقرؤون القرآن ؟ ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ .

وعن ابن جريج ، عن عطاء قال : النظر إلى العابد عبادة .

وقال عطاء : ما أجمعت عليه الأمة أقوىٰ عندنا من الإسناد .

وقال يحيى بن عبيد : دخلنا علىٰ محمد بن سوقة فقال : ألا أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم ؟ فإنه نفعني ، قال لنا عطاء : يا بن أخي ؛ إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا : آية من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها ، أتنكرون أن عليكم لحافظين كراماً كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ؟! أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره يجد أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟!

وقال عطاء : أفضل ما أُعطي العبادُ : العقلُ عن الله عز وجل ، وهو المعرفةُ بالدين .

أسند عطاء عن خلائق من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، منهم : عمر بن الخطاب[2] ، وابنه عبد الله ، رضي الله عنهما .

---

(١) القُصَّة : شعر مقدم الرأس .

(٢) قال النووي في « التهذيب » (١/٣٣٣) : (ولد في آخر خلافة عثمان بن عفان) ، وكذلك في « تهذيب =

ورویٰ عنه جماعة من التابعين .

فمن أحاديثه : ما رواه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : رآني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أمشي أمام أبي بكر ، فقال : « أتمشي أمام أبي بكر ، وما طلعت الشمس ولا غربت علىٰ أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر ؟! »[1] انتهىٰ [« الحلية » ٣/ ٣١٠ـ٣٢٥] .

وقال أبو الفرج : كان عطاء مولىٰ أبي ميسرة الفهري ، نشأ بمكة .

وقال أحمد ابن حنبل : العلم خزائن الله تعالىٰ يقسمه لمن أحب ، ولو كان يخص بالعلم أحداً . . لكان أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولىٰ ، وكان عطاء ابن أبي رباح عبداً حبشياً ، وكان يزيد ابن أبي حبيب عبداً نوبياً ، وكان الحسن ابن أبي الحسن مولىٰ ، وكان ابن سيرين مولىٰ للأنصار .

وقال إبراهيم الحربي : كان عطاء عبداً أَسْوَدَ لامرأة من مكة ، وكان أنفه كأنه باقلاة[2] .

قال : وجاء سليمان بن عبد الملك إلىٰ عطاء هو وابناه ، فجلسوا إليه وهو يصلي ، فلما فرغ من صلاته . . انفتل إليهم ، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج ، وقد حول قفاه إليهم ، ثم قال سليمان لابنيه : قوما ، فقاما ، فقال : يا بَني ؛ لا تنيا[3] في طلب العلم ؛ فإني لا أنسىٰ ذلنا بين يدي هـٰذا العبد الأسود .

وقال إسماعيل بن أمية : كان عطاء يطيل الصمت ، فإذا تكلم . . يخيل لنا أنه مؤيد .

وقال إبراهيم بن عمر بن كيسان : أدركتهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحاً يصيح ، لا يُفْتِ الناسَ . . إلا عطاء ابن أبي رباح ، فإن لم يكن . . فعبد الله ابن أبي نجيح .

وقال الأوزاعي : ما رأيت أحداً أخشع لله عز وجل من عطاء ، ولا أطول حزناً من يحيى ابن أبي كثير .

وقال عطاء : المجالس بالأمانة .

= الكمال » (٢٠/ ٧٠) فلم يرو عن سيدنا عمر بن الخطاب .

(١) أخرجه بنحوه الديلمي (٥/ ٣٥١) .

(٢) باقلاة : فولة .

(٣) لا تنيا : لا تَفْتُرا . .

وقال ابن أبي ليلىٰ : حج عطاء سبعين حجة ، وعاش مئة سنة ، وتوفي بمكة ، سنة خمس عشرة ومئة . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/١٢٥ـ١٢٧] .

وقال حجة الإسلام الغزالي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : وعن الأصمعي قال : دخل عطاء ابن أبي رباح ـ رحمه الله ـ علىٰ عبد الملك بن مروان ـ وهو جالس علىٰ سريره ، وحواليه الأشراف من كل بطن ، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ـ فلما بصر به . . قام إليه ، وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه ، وقال له : يا أبا محمد ؛ ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ اتق الله في حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعاهده بالعمارة ، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار ؛ فإنك بهم جلست هـٰذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور ؛ فإنهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المؤمنين وسائر أهل ولايتك ؛ فإنك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن علىٰ بابك ، فلا تغفل عنهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فقال له : أفعل إن شاء الله عز وجل ، ثم نهض ، وقام ، فقبض عليه عبد الملك ، وقال : يا أبا محمد ؛ إنما سألتنا حاجة لغيرك ، وقد قضيناها ، فما حاجتك ؟ فقال : ما لي إلىٰ مخلوق حاجة ، ثم خرج ، فقال عبد الملك : هـٰذا ـ وأبيك ـ الشرف .

وروي : أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً : قف على الباب ، فإذا مر بك رجل . . فأدخله عَلَيَّ ، فيحدثني ، فخرج الحاجب ، فوقف على الباب مدة ، فمر به عطاء ابن أبي رباح وهو لا يعرفه ، فقال له : يا شيخ ؛ ادخل إلىٰ أمير المؤمنين ؛ فإنه أمرك بذلك ، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز ، فلما دنا عطاء من الوليد . . قال : السلام عليك يا وليد ، قال : فغضب الوليد علىٰ حاجبه ، فقال له : ويلك! أمرتك أن تدخل إلي رجلاً يحدثني ويسامرني ، فأدخلت إلي رجلاً لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله عز وجل لي ، فقال له حاجبه : ما مر بي غيره ، ثم قال لعطاء : حدثني ، فأقبل عليه عطاء يحدثه ، فكان فيما حدثه عطاء أن قال : بلغنا أن في جهنم وادياً يقال له : هبهب ، أعده الله عز وجل لكل إمام جائر في حكمه ، فصعق الوليد من قوله ، وكان جالساً بين يدي عَتَبَةِ باب المجلس ، فوقع علىٰ قفاه إلىٰ جوف المجلس مغشياً عليه ، فقال عمر لعطاء : قتلت أمير المؤمنين ، فقبض عطاء علىٰ ذراع عمر بن عبد العزيز ، فغمزه غمزة شديدة ، وقال له : يا عمر ؛ إن الأمر جِدٌّ فجِدَّ ، ثم قام عطاء ، وانصرف ، فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي . انتهىٰ [« الإحياء » ٢/٣٤٥] .

وقال مؤلفه محمد بن الحسن ـ عفا الله عنهما ـ : رُوِّينا عن الإمام الحافظ تقي الدين

أبي عمرو ابن الصلاح ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال : رُوِّينا عن الزهري قال : قدمت علىٰ عبد الملك بن مروان فقال : من أين قدمت يا زهري ؟ قلت : من مكة ، قال : فمن خلفت بها يسُود أهلها ؟ قال : قلت : عطاء ابن أبي رباح ، قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي ، قال : وبِمَ سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية ، قال : إن أهل الديانة والرواية من ينبغي أن يسوَّدوا .

قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قال : قلت : طاووس بن كيسان ، قال : فمِن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي ، قال : فبِمَ سادهم ؟ قلت : بما سادهم به عطاء .

قال : إنه لينبغي ، فمن يسود أهل مصر ؟ قال : قلت : يزيد ابن أبي حبيب ، قال : فمِن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي .

قال : فمن يسود أهل الشام ؟ قال : قلت : مكحول ، قال : فمِن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي ، عبد نوبي أعتقته امرأة من هـٰذيل .

قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قال : قلت : ميمون بن مهران ، قال : فمِن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي .

قال : فمن يسود أهل خراسان ؟ قال : قلت : الضحاك بن مزاحم ، قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي .

قال : فمن يسود أهل البصرة ؟ قال : قلت : الحسن ابن أبي الحسن ، قال : فمن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من الموالي .

قال : ويلك! فمَن يسود أهل الكوفة ؟ قال : قلت : إبراهيم النخعي ، قال : فمِن العرب ، أم من الموالي ؟ قال : قلت : من العرب ، قال : ويلك يا زهري! فرَّجت عني ، والله ؛ لتسودن الموالي على العرب ، حتىٰ يُخطَبَ لها على المنابر وإن العرب تحتها ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنما هو أمر الله ودِينه ، من حفظه . . ساد ، ومن ضيعه . . سقط . انتهىٰ .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ـ : رُوِّينا عن سعيد ابن أبي عروبة قال : إذا اجتمع أربعة . . لم أبال من خالفهم : الحسن ، وسعيد بن المسيب ، وإبراهيم ، وعطاء ، هـٰؤلاء أئمة الأمصار .

وقال : ليس في التابعين أحد أكثر اتباعاً للحديث من عطاء .

وعن ربيعة قال : فاق عطاء أهل مكة في الفتوىٰ .

وعن محمد الباقر ـ رحمه الله ـ قال : ما بقي أحد من الناس أعلم بأمر الحج من عطاء .

واتفقوا علىٰ توثيقه ، وجلالته ، وإمامته .

ومن غرائبه : أنه قال : إذا أراد الإنسان سفراً . . فله القصر قبل خروجه ، ووافقه طائفة من أصحاب ابن مسعود ، وخالفه الجمهور ، وقد أوضحته في « شرح مسلم »[1] . انتهىٰ

[« التهذيب » ١/ ٣٣٣ـ٣٣٤] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) انظر « شرح صحيح مسلم » للنووي (٥/ ٢٠٠) .

ومنهم الإمام مولىٰ [آل] المنكدر :

ربيعة ابن أبي عبد الرحمـٰن فَرُّوخ
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : يكنَّىٰ : أبا عثمان ، قال مشيخة أهل المدينة : إن أبا ربيعة خرج في البعوث إلىٰ خراسان أيام بني أمية غازياً ، وربيعة حَمْل في بطن أمه ، وخلف عند أمه ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة ، فنزل عن فرسه ، ودفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة ، فقال له : يا عبد الله ؛ أتهجم عَلَيَّ في منزلي ؟ فقال له : أنت رجل دخلت علىٰ حرمي ، فتكلما في ذلك حتى اجتمع الجيران ، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة ، فأتوا يساعدون ربيعة ، فقال ربيعة : والله ؛ لا فارقتك إلا عند السلطان ، وقال أبوه : لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي ، فلما جاء مالك.. سكت الناس كلهم ، فقال مالك : أيها الشيخ ؛ لك سعة في غير هـٰذه الدار ، فقال الشيخ : هـٰذه الدار داري ، وأنا فَرُّوخ مولىٰ بني فلان ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت ، وقالت : هـٰذا زوجي وهـٰذا ابني ، تركه وأنا حامل به ، فاعتنقا جميعاً وبكيا ، فدخل فروخ المنزل ، وقال : هـٰذا ابني ؟ قالت : نعم ، قال : فأخرجي المال الذي كان عندك ، وهـٰذا معي أربعة آلاف دينار ، فقالت : المال قد دفنته ، وأنا أخرجه بعد أيام ، فخرج ربيعة إلى المسجد ، وجلس في حلقته ، وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وأشراف المدينة ، وأحدق الناس به ، فقالت امرأته : اخرج فصل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرج ، فنظر إلىٰ حلقة وافرة ، فأتاه ، فوقف عليه ، ففرجوا له قليلاً ، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره ، فقال : مَن هـٰذا الرجل ؟ فقالوا : هـٰذا ربيعة ابن أبي عبد الرحمن ، فقال : الحمد لله ، لقد رفع الله ابني ، ثم رجع إلىٰ منزله ، فقال لوالدته : لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل الفقه والعلم عليها ، فقالت أمه : أيما أحب إليك ، ثلاثون ألف دينار ، أو هـٰذا الذي فيه ابنك من العلم ؟ قال : لا ، والله هـٰذا ، قالت : فإني أنفقت المال كله عليه ، قال : والله ؛ ما ضيعته .

قالوا : ومكث ربيعة دهراً طويلاً يصلي الليل والنهار ، وكان يجالس القاسم ، فينطق بلب وعقل ، وكان القاسم إذا سئل عن شيء . . يقول : سلوا هـٰذا ربيعة .

وقال الليث : قال مولىٰ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ربيعة : هو صاحب معضلاتنا ، وعالمنا ، وأفضلنا .

وقال يحيى بن سعيد : ما رأيت أحداً أسد عقلاً من ربيعة الرأي ، قلت : ولا الحسن وابن سيرين ؟ قال : ولا الحسن وابن سيرين .

وقال بكر بن عبد الله : أتينا مالك بن أنس ، فجعل يحدثنا عن ربيعة ، فكنا نستزيده من أحاديث ربيعة ، وكان السفاح قد أقدمه إليه في الأنبار ليوليه القضاء . . فلم يفعل ، وعرض عليه العطاء . . فلم يقبل .

وقال مالك : قال لي ربيعة حين أراد الخروج إلى العراق : إن سمعت أني حدثتهم شيئاً أو أفتيتهم بشيء . . فلا تعدَّني شيئاً ، وكان كما قال ، لما قدمها . . لزم بيته ، فلم يخرج إليهم ، ولم يحدثهم شيئاً حتىٰ رجع .

وقال مالك : لما قدم ربيعة على السفاح . . أمر له بجائزة ، فأبىٰ أن يقبلها ، فأعطاه خمسة آلاف درهم يشتري منها جارية ، فأبىٰ أن يقبلها .

وقال سفيان : كان ربيعة يوماً جالساً ، فغطىٰ رأسه ، ثم اضطجع ، فبكىٰ ، فقيل له في ذلك ، فقال : رياء ظاهر وشهوة خفية .

وقال : لقد رأيت مشيخة أهل المدينة وإن لهم لغدائر[1] ، وعليهم الممصر[2] والمورد ، في أيديهم آثار الحناء ، وفي أيديهم مخاصر[3] في هيئة الفتيان ، ودِين أحدهم أبعد من الثريا إذا أريد علىٰ دِينه .

سمع ربيعة من أنس ، والسائب بن يزيد ، وعامة التابعين من أهل المدينة .

وروىٰ عنه مالك ، والثوري ، وشعبة ، والليث .

وقال أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالىٰ : ربيعة ثقة .

---

(١) الغدائر : الضفائر .

(٢) المُمَصَّر : المصبوغ بالطين الأحمر .

(٣) المخاصر : ما يختصر به الإنسان بيده فيمسكه ؛ من عصا أو عكازة أو مقرعة أو نحوها ، وهي من شعار الملوك . .

توفي بالأنبار ، وقيل : بل رجع إلى المدينة فمات بها سنة ست وثلاثين ومئة .

وقال مالك : ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة ، رضي الله عنهم أجمعين . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٨٧ـ٨٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام مولى ابن عباس :

أبو عبد الله عكرمة
رضي الله عنهم

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : عن عكرمة قال : كان ابن عباس رضي الله عنهما يجعل في رجليَّ الكبل[1] ، ويعلمني القرآن والسنن .

وعن حبيب ابن أبي ثابت قال : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبداً : عطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان علىٰ عكرمة التفسير ، فلم يسألاه عن آية . . إلا فسرها لهما ، فلما نفد ما عندهما . . جعل يقول : آية كذا وكذا نزلت في كذا ، وآية كذا نزلت في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمام ليلاً .

وقال جابر بن زيد : هـٰذا عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أعلم الناس .

وقال الشعبي : ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة .

وهـٰكذا قال قتادة ؛ قال : أعلمهم بالتفسير عكرمة .

وعن أيوب قال : قدم علينا عكرمة ، فاجتمع الناس عليه حتىٰ أصعد فوق ظهر بيت .

وقدم عكرمة علىٰ طاووس ، فحمله علىٰ نجيب[2] ثمنه ستين ديناراً ، وقال : ألا أشتري علم هـٰذا العبد بستين ديناراً ؟

ومات عكرمة وكثيِّر عزَّة في يوم واحد ، فأخرجت جنازتهما ، فقال الناس : مات أفقه الناس وأشعر الناس .

وقال ابن عباس لعكرمة : انطلق فأفت الناس ، فمن سألك عما يعنيه . . فأَفْتِه ، ومن سألك عما لا يعنيه . . فلا تُفْتِه ، فإنك تطرح عني ثلثي مؤونة الناس .

---

(١) الكبل : القيد الضخم .
(٢) النَّجِيب : هو القوي الخفيف السريع من الإبل .

وكان عكرمة إذا حدث في المغازي . . كأنه مشرف عليهم ينظر كيف كانوا يصنعون ويقتتلون .

وقيل لعكرمة : الرجل يدخل الخلاء وفي أصبعه خاتم فيه اسم الله تعالىٰ ، قال : يجعل فصه في باطن كفه ، ثم يقبض عليه .

وقال خالد الحذَّاء : كل شيء قال محمد بن سيرين : نبئت عن ابن عباس . . فهو إنما سمعه من عكرمة ؛ لقيه أيام المختار بالكوفة .

وقال سفيان الثوري رحمه الله : خذوا المناسك عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة .

وقال سفيان الثوري : خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك .

أدرك عكرمة مئين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عكرمة : كانت الخيل التي شغلت سليمان بن داوود عليه الصلاة والسلام عشرين ألفاً ، فعقرها .

وقال عكرمة : لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بعلي رضي الله عنهما . . كان ما جهزت به سرير مزمول بشريط ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وتور من أَقِط[(١)] ، وجاؤوا ببطحاء[(٢)] ، فنثروها في البيت .

وعن عكرمة في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ قال : الدنيا كلها قريب ، وكلها جهالة .

وعن عكرمة قال : قال الله عز وجل ليوسف : (يا يوسف ؛ بعفوك عن إخوتك . . رفعت ذِكرك مع الذاكرين) .

وقال في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ : إنه ما وقع منها شيء . . إلا في عين رجل ، جل الله العظيم الديان ، القادر علىٰ كل شيء .

وعنه أنه قال : من قرأ يٓس . . لم يزل ذلك اليوم في سرور حتىٰ يمسي .

---

(١) **الأَقِطُ** : اللبن المجفف .
(٢) **البطحاء** : الحصى الصغار .

وقال : إن الذين يغرقون في البحر تتقسم لحومهم الحيتان ، ولا يبقىٰ منهم إلا العظام ، فتلقيها الأمواج إلى البر ، فتمكث العظام حيناً حتىٰ تصير نخرة ، فتمر بها الإبل ، فتأكلها ، ثم تبعر ، فيجيء قوم ، فينزلون ذلك المنزل ، ويأخذون ذلك البعر ، فيوقدونه ، ثم تخمد تلك النار ، فتجيء ريح ، فتلقي ذلك الرماد على الأرض ، فإذا جاءت النفخة . . خرج أهل القبور وهـٰؤلاء دفعة واحدة جميعاً ، هم والذين دُسوا في القبور ، وذلك قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ فيخرج أولـٰئك وأهل القبور سواء .

وعنه قال : ما من عبد يقربه الله سبحانه وتعالىٰ للحساب . . إلا قام من عند الله بعفوه .

وقال : لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام : الخُلُق الحسن .

وعنه قال : سعة الشمس : سعة الأرض وزيادة ثلاث مرات ، وسعة القمر سعة الأرض مرة ، وإن الشمس إذا غربت . . دخلت بحراً تحت العرش ، فتسبِّح الله عز وجل ، حتىٰ إذا هي أصبحت . . استعفت ربها من الخروج ، فيقول لها الرب تبارك وتعالىٰ : (ولِمَ ذاك) والرب عز وجل أعلم ، قالت : لأني إذا خرجت . . عُبِدتُ من دونك ، فيقول لها الرب جل جلاله : (اخرجي فليس عليك من ذلك ، حسبهم جهنم ، أبعثها إليهم مع ثلاثة عشر ألف ملك يقودونها حتىٰ يدخلوهم فيها)[1] .

أسند عكرمة عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، منهم : حبر الأمة مولاه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعائشة ، وغيرهم ، رضي الله عنهم أجمعين .

وروىٰ عنه جلة التابعين وقادة الخير ، منهم : طاووس ، وعطاء ابن أبي رباح ، ومجاهد ، وأبو الشعثاء ، في آخرين ممن لا يحصون كثرة من التابعين والأئمة .

ومن أحاديثه عن ابن عباس قال : التفت النبي صلى الله عليه وسلم إلىٰ حراء فقال : « ما يسره أنه لآل محمد ذهباً ينفقه في سبيل الله عز وجل ، يموت يوم يموت وعنده منه دينار ولا درهم » ، قال عكرمة : قال ابن عباس ولقد ترك درعه التي كان يقاتل فيها مرهونة بثلاثين

---

(١) ما ذكر هنا عن حجم الشمس وحجم القمر ربما لايقره العلم الحديث ، وحيث أن الكتاب لايبحث في هـٰذا الفن فإننا لن ندخل في تفصيلات ذلك ، والمهم هو التفكر والاستدلال بها علىٰ وحدة الصانع وكماله جل شأنه ، فسبحان من رفع السماء بغير عمد ، ومد الأرض وجعل فيها رواسي .

صاعاً من شعير ، قال ابن عباس : ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ترك ديناراً ولا درهماً ، وربما أتىٰ علىٰ آل محمد صلى الله عليه وسلم ليال لا يجدون عشاء[١] .

وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير[٢] .

وعنه عن ابن عباس قال : دخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم وهو علىٰ حصير قد أثر في جنبه ، فقال : يا رسول الله ؛ لو اتخذت فراشاً أَوْثر من هٰذا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما لي وللدنيا ؟! ما لي وللدنيا ؟! والذي نفسي بيده ، ما مَثَلي ومَثَل الدنيا . . إلا كراكب سار في يوم صائف ، واستظل تحت شجرة [ساعة] ، ثم راح وتركها »[٣] .

وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « إنه ليس أحد أَمَنَّ عَلَيَّ في نفسه وماله من أبي بكر ابن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً خليلاً . . لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولٰكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر »[٤] .

وقال عكرمة : قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام : إن أهل الشبع في الدنيا . . هم أهل الجوع في الآخرة . هٰذا غريب .

وعن عكرمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عطس . . غطىٰ وجهه بثوبه ، ووضع يده علىٰ حاجبيه[٥]) .

---

(١) روىٰ أحمد (١/ ٣٠٠) : عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم التفت إلىٰ أحد فقال : « والذي نفس محمد بيده ؛ ما يسرني أن أُحداً يحول لآل محمد ذهباً ، أنفقه في سبيل الله ، أموت يوم أموت أدع منه دينارين . . إلا دينارين أعدهما لِدَينٍ » .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٥) .

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٠١) .

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٥) ، وأحمد (١/ ٢٧٠) .
الخَوخَةُ : باب صغير وسط باب كبير نصب حاجزاً بين دارين ، وخوخة سيدنا أبي بكر معروفة يدخل منها الزائرون إلى الحرم .

(٥) أخرج الحاكم (٤/ ٣٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عطس . . غطىٰ وجهه بيده أو بثوبه ، وغض بها صوته) .

ومن غريب حديثه : عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف علىٰ أحد بيمين ، وهو يرىٰ أنه سيبره ، فلم يفعل . . فإنما إثمه على الذي لم يبره »[1] .

وعن عكرمة قال : قالت عائشة رضي الله عنها : ما شبعنا من الأسودين التمر والماء حتىٰ أجلى الله بني النضير ، وأهلك بني قريظة . انتهىٰ [« الحلية » ٣/٣٢٦ـ٣٤٧] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

(١) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (١٠/ ٤١) .
فمن حق المسلم علىٰ أخيه : أن يبرَّه إذا أقسم عليه ؛ لحديث البراء بن عازب الذي رواه البيهقي أيضاً في « الكبرىٰ » (٦/ ٩٤) : « أُمرنا بسبع منها إبرار المُقْسِم » .

ومنهم الإمام :

أبو محمد عمرو بن دينار
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال سفيان بن عيينة : لما مات عطاء . . قال هشام لعمرو بن دينار : اجلس وأفت الناس ، وأُجري عليك رزقاً ، قال : لست أريد أن أفتي الناس ولا تُجري عَلَيَّ رزقاً .

وقالوا لعطاء حين حضرته الوفاة : بمَن توصينا ؟ قال : بعمرو بن دينار .

وقال شعبة : ما رأيت أحداً أثبت من عمرو بن دينار ، لا الحَكَم ، ولا قتادة .

وكان قد جزأ الليل ثلاثاً : ثلثاً ينام ، وثلثاً يحدث ، وثلثاً يصلي .

وقال : ما من ميت يموت . . إلا وروحه في يد ملك الموت تنظر إلىٰ جسده كيف يغسل ، وكيف يكفن ، وكيف يُمشىٰ به ، ويُجلَس في قبره .

زاد في هـٰذا الحديث : يُقال له وهو علىٰ سريره : اسمع ثناء الناس عليك .

وقال : الأواب الحفيظ : الذي لا يقوم من مجلسه . . إلا استغفرَ اللهَ عز وجل ، يقول : اللهم ؛ اغفر لنا ما أصبنا في مجلسنا ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

أسند عمرو بن دينار عن جماعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين . انتهىٰ [« الحلية » ٣/٣٤٨ـ٣٤٩] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

حماد بن زيد
رضي الله عنه

قال شيخ الإسلام في عصره محي الدين النووي ـ قدس الله روحه ـ : هو الإمام البارع ، المجمع علىٰ جلالته ، أبو إسماعيل ، حماد بن زيد بن درهم ، الأزدي ، الجهضمي ، بلبصري ، مولىٰ آل جرير بن حازم .

سمع ثابتاً البُناني ، ومحمد بن سيرين ، وعمرو بن دينار ، وخلائق من التابعين ، وغيرهم.

وروىٰ عنه جماعات من أعلام الأئمة ، منهم : الثوري ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، وابن مهدي ، ويحيى القطان ، ووكيع ، ويزيد بن هارون ، وخلائق .

رُوِّينا عن عبد الرحمـٰن بن مهدي أنه قال : أئمة الناس في زمانهم أربعة : الثوري بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة .

وقال عبيد الله بن الحسن : إنما هما الحمَّادان ، فإذا طلبتم العلم. . فاطلبوه من الحمَّادَين ، يعني : ابن زيد ، وابن سلمة .

وقال يحيى بن مَعين : ليس أحد أتقن من حماد بن زيد .

وقال يحيى بن يحيى النيسابوري : ما رأيت أحداً من الشيوخ أحفظ من حماد بن زيد .

وقال ابن مهدي : ما رأيت أعلم من حماد بن زيد .

وقال حماد : جالست أيوب عشرين سنة .

ولد حماد بن زيد سنة ثمان وتسعين ، وتوفي في رمضان سنة تسع وسبعين ومئة بالبصرة .

وقد ذكر ابن أبي حاتم جملة صالحة من مناقبه رحمه الله[1] . انتهىٰ [« التهذيب » ١/١٦٧ـ١٦٨] .

وقال الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : قال عبد الرحمـٰن بن مهدي : ما رأيت أحداً أعرف بالسنة من حماد بن زيد .

وقال أبو عاصم : مات حماد بن زيد يوم مات ولا أعلم له في الإسلام نظيراً في هيئته ودلّه[2] . أظنه قال : وسمْتِه[3] .

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله :

أيهـــا الطـــالـــب علمـــاً ... إِئـــت حمـــاد بـــن زيـــدِ
واطلـــب العلـــم بحِلـــمٍ ... ثـــم قيِّـــده بقيـــدِ[4]

وروىٰ حماد بن زيد عن أيوب عن يحيى ابن أبي كثير ، عن عبد الله ابن أبي قتادة ، عن أبيه ، أنه كان له دَين علىٰ رجل ، فجاء يتقاضاه ، فتوارىٰ عنه ، ثم لقيه فطالبه ، فقال : ليس عندي شيء ، ولا أجد وفاء ، فقال : أتحلف بالله إنك لا تجد له وفاء ، فقال : والله ؛ ما أجد له وفاء ، فدعا بالكتاب ، فحرقه ، وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أنظر معسراً أو وهب له . . أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله »[5] انتهىٰ [« الحلية » ٦/٢٥٧ـ٢٦٦] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

---

(١) منها : ما نقله ابن أبي حاتم عن ابن مهدي : يقول : لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد .

(٢) الدَّل : قريب المعنىٰ من الهَدْي ، وهما عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة .

(٣) السَّمت : هيئة أهل الخير .

(٤) ويروىٰ أيضاً بدل البيت الثاني قوله :

تَقْتَبِـــس حِكْمـــاً وعِلْمـــاً ... ثـــم قَيِّـــده بِقَيْـــد

(٥) أخرج الحديث والقصة بنحوها مسلم (٣٠٠٦) ، عن أبي اليسر الصحابي رضي الله عنه .

ومنهم الإمام :

حماد بن سلمة
رضي الله عنه

قال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : حمّاد بن سلمة يكنىٰ : أبا سلمة ، وهو مولىٰ لبني تميم ، وهو ابن أخت حميدٍ الطويل .

قال عبد الرحمـٰن بن مهدي : لو قيل لحمّاد بن سلمة بن دينار : إنك تموت غداً . . ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً .

وقال مقاتل بن صالح : دخلت علىٰ حماد بن سلمة ، فلم أر في البيت إلا حصيراً وهو جالس عليه ، ومصحفاً يقرأ فيه ، وجراباً فيه علمه ، ومطهرة يتوضأ منها ، فبينا أنا جالس عنده ؛ دق داق الباب ، فقال : يا فلانة ؛ اخرجي فانظري مَن هـٰذا ، قالت : رسول محمد بن سليمان يستأذن ، قال : قولي له يدخل وحده ، فدخل ، فناوله كتاباً ؛ فإذا فيه : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، من محمد بن سليمان إلىٰ حماد بن سلمة . أما بعد : فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته ، وقعت مسألة ، فأتنا نسألك عنها . والسلام .

فقال لي : اقلب الكتاب ، واكتب : أما بعد : فأنت صبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته ، إنا عهدنا العلماء وهم لا يأتون أحداً ، فإن كانت وقعت لك مسألة . . فأتنا ، واسألنا عما بدا لك ، وإن أتيتني . . فلا تأتني إلا وحدك ، ولا تأتني بخيلك ورجلك(١) ؛ فإني لا أنصحك ولا أنصح نفسي . والسلام .

قال : فبينا أنا عنده ؛ إذ دق داق الباب ، قال : يا فلانة ؛ اخرجي فانظري مَن هـٰذا ، قالت : محمد بن سليمان ، قال : قولي له ليدخلْ وحده ، قال : فدخل ، فسلم ، ثم جلس بين يديه ، وقال له : ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعباً ؟ فقال حماد : سمعت ثابتاً البُناني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن

(١) الخيل : الفرسان ، الرَّجْلُ : المشاة .

العالم إذا أراد بعمله وجه الله عز وجل . . هابه كل شيء ، وإذا أراد به الدنيا . . خاف من كل شيء »[1] .

ثم سأله عن مسألة ، فأجابه ، ثم قال له : هٰذه أربعون ألف درهم تستعين بها علىٰ ما أنت عليه ، قال : اردها علىٰ من ظلمتَه بأخذها منه ، قال : والله ؛ ما أعطيتك إلا مما ورثته ، قال : لا حاجة لي فيها ، ازوها عني وفقك الله وسددك ، قال : فاقسمها علىٰ من ترىٰ ، قال : لا أفعل ، ازوها عني ؛ فإني لا أحب أن أُسأل عنها ، ثم قام فخرج .

وقال موسى بن إسماعيل : لو قلت لكم إني ما رأيت حماد بن سلمة افترَّ ضاحكاً[2] قط . . لصدقت ؛ كان مشغولاً بنفسه ، إما يحدث ، وإما يقرأ ، وإما يسبح ، وإما يصلي ، كان قد قسم ليله ونهاره علىٰ هٰذه الأعمال ، كأنه يبادر أموراً تفوته .

وقال عبد الله : كنت آتي حماد بن سلمة في سوقه ؛ فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين . . شد جونته[3] ، ودفع سفطه ، ولم يبع شيئاً ، فكنت أظن أن ذلك يقوته ، فإذا وجد قوته . . لم يزد عليه شيئاً .

وقال يونس بن محمد : مات حماد بن سلمة في المسجد وهو يصلي .

أسند حماد بن سلمة عن خلائق لا يحصون من التابعين .

وتوفي سنة ثمان وستين ومئة ، رحمه الله .

وقال أبو عبد الله التميمي عن أبيه : رأيت حماد بن سلمة في النوم ، فقلت : ما فعل بك ربك ؟ قال : كل خير ، قلت : بماذا ؟ قال : قال لي سبحانه وتعالىٰ : طالما أكددت نفسك لي وأنصبتها ، فاليوم أطيل راحتك وراحة المتعوبين في الدنيا ، لو يعلمون ما أعددت لهم . أو كما قال . انتهىٰ [« الصفوة » ٣/٢١٣ـ٢١٤] .

وروى الحافظ أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : أن حماد بن سلمة كان يبيع الخُمُرَ ـ التي تتخمر بها النساء ـ فإذا كسب حبة أو حبتين . . شد سفطه ، وأغلق حانوته ، وانصرف .

وقال حمّاد : إن دعاك الأمير ليقرأ عليك (قل هو الله أحد) . فلا تأته .

وقال : من طلب الحديث لغير الله عز وجل . . مُكر به .

---

(١) أخرجه بنحوه الديلمي (٣/ ٧١) .

(٢) افترَّ ضاحكاً : أبدىٰ أسنانه .

(٣) الجونة : شيء يتخذه العطار ليحفظ فيه العطر ، والمراد هنا : الشيء الذي يتخذ فيه المتاع .

وقال : ما كان من شأني أن أحدث أبداً حتىٰ رأيت أيوب السختياني في النوم ، فقال لي : حدِّثْ ؛ فإن الناس يقبلون منك .

وعن أبان بن عبد الرحمـٰن قال : رُئِيَ حماد بن زيد في المنام ، فقيل له : ما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي ، قيل : فما فعل حماد بن سلمة ؟ قال : هيهات! ذاك في أعلىٰ عليين ، رضي الله عنهم . انتهىٰ [« الحلية » ٦/ ٢٥٠_٢٥٢] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

عبد الله بن عبيد بن عمير
رضي الله عنهم

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : كان من كلامه : لا تقنعنّ لنفسك باليسير من الأمر في طاعة الله عز وجل كعمل المهين الدنيّ ، ولكن اجهد ، واجتهد ، وافعل فعل الحريص الحفيّ ، وتواضع لله عز وجل ما استطعت . أو كما قال .

وقال : الهوىٰ قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون(١) ، فإن ونىٰ(٢) قائدها . . لم تستقم لسائقها ، وإن ونىٰ سائقها . . لم تستقم لقائدها ، ولا يصلح هٰذا إلا مع هٰذا حتىٰ يرِدا معاً .

وقال : العلم ضالة المؤمن ، يغدو في طلبه ، فكلما أصاب منه شيئاً . . حواه ، ويطلب إليه غيره .

وقال : لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . قالوا : لو شربت لبناً يا أمير المؤمنين ، فلما شرب اللبن . . خرج من جرحه ، فبكىٰ وأبكىٰ من حوله ، وقال : هٰذا حينٌ لو أن لي ما طلعت عليه الشمس . . لافتديت به من هول المطلع .

وقال عبد الله بن عبيد : بينما الناس يأخذون عطاياهم بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ إذ رفع رأسه ، فنظر إلىٰ رجل في وجهه ضربة ، فسأله عنها ، فأخبره أنها أصابته في غزاة كان فيها ، قال : عدُّوا له ألفاً ، فأعطي ألف درهم ، ثم حوَّل المال ساعة ، ثم قال : عدُّوا له ألفاً أخرىٰ ، فأعطي ألفاً أخرىٰ ، ثم قال ذلك أربع مرات ، كل ذلك يعطيه ألف درهم ، فاستحيا الرجل من كثرة ما أعطي ، فخرج ، فسأل عنه أمير المؤمنين ، فقيل له : إنه استحيا من كثرة ما أعطي ، فخرج ، فقال : أما والله ؛ إنه لو

(١) حرون : لا تنقاد .
(٢) ونىٰ : فتر وقصَّر . .

مكث . . ما زلت أعطيه ما بقي منها درهم ، رجل ضُرِب ضربة في سبيل الله عز وجل حَفَرَتْ وجهه!

وقال الحافظ : قال عبد الله بن عبيد بن عمير : لا ينبغي لمن أخذ بالتقوىٰ ، ووزن بالورع . . أن يذل لصاحب الدنيا .

أسند عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده ، وأرسل عن أبي الدرداء ، وحذيفة ، وغيرهم ، رضي الله عنهم . انتهىٰ [« الحلية » ٣/ ٣٥٤ـ٣٥٦] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : كان عبد الله من أفصح أهل مكة ، وتوفي بها سنة ثلاث عشرة ومئة ، رحمه الله تعالىٰ . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ١٢٧ـ١٢٨] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

ومنهم الإمام :

أبو بكر محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري
رضي الله عنه

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ : قال سفيان بن عيينة : عن عمرو بن دينار ، قال : ما رأيت أحداً أنص للحديث من ابن شهاب .

وقال أيوب : ما رأيت أحداً أعلم من الزهري ، فقيل : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أحداً أعلم من الزهري .

وعن عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ قال : قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : هل تأتون ابن شهاب ؟ قالوا : إنا لنفعل ، قال : فَأْتُوه ؛ فإنه لم يبق أحد أعلم بُسنَّة ماضية منه . وعن مكحول مثله .

وقال سفيان : مات الزهري يوم مات وما علىٰ وجه الأرض أحد أعلم بالسنة منه . انتهىٰ [« الحلية » ٣/ ٣٦٠] .

وقال أبو الفرج ـ رحمه الله ـ : قال مالك : إن هـٰذا الحديث دِينٌ ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، والله ؛ لقد أدركت هـٰهنا ـ وأشار إلىٰ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ سبعين رجلاً ، كلهم يقول : قال فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم آخذ من أحد منهم حرفاً ؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هـٰذا الشأن ، ولقد قدم علينا الزهري وهو شاب ، فازدحمنا علىٰ بابه ؛ لأنه كان من أهل هـٰذا الشأن .

وقال جعفر بن ربيعة : قلت لعراك بن مالك : مَن أفقه أهل المدينة ؟ قال : أما أعلمهم بقضايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأفقهم فقهاً ، وأعلمهم بما مضىٰ من أمر الناس . . فسعيد بن المسيب ، وأما أغزرهم حديثاً . . فعروة بن الزبير ، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبد الله بحراً . . إلا فجرته ، قال عراك : وأعلمهم عندي جميعاً الزهري ؛ لأنه جمع علمهم جميعاً إلىٰ علمه . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٨٠] .

وقال الحافظ : قال صالح بن كيسان : اجتمعت أنا والزهري نطلب العلم ، فقلنا :

نكتب السنن ، فكتبنا ما جاءنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم قال : نكتب ما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم ؛ فإنه سنة ، فقلت أنا : ليس بسنة ، فلا نكتبه ، قال : فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضيعت .

وعن عبد الرزاق ، عن معمر قال : ما رأيت مثل الزهري في وجهه قط ، يعني : الحديث ، ولا مثل حماد ابن أبي سليمان في وجهه قط ، يعني : الرأي .

وقال معمر : كنا نرىٰ أننا قد أكثرنا عن الزهري ، حتىٰ قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزانته ، يقول : من علم الزهري .

وقال الليث : ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، ولا أكثر علماً منه ، ولو سمعتَ ابن شهاب يحدث في الترغيب . . لقلتَ : لا يحسن إلا هـٰذا ، وإن حدث عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وعن أهل الكتاب . . لقلت : لا يحسن إلا هـٰذا ، وإن حدث عن العرب والأنساب . . لقلت : لا يحسن إلا هـٰذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة . . كان حديثه جامعاً .

وقال الليث بن سعد : وضع الطشت بين يدي ابن شهاب ، فتذكر حديثاً ، فلم تزل يده في الطشت[١] حتىٰ طلع الفجر ، حتىٰ صححه .

وقال الزهري : العلم وادٍ ، فإذا هبطتَ وادياً . . فعليك بالتؤدة حتىٰ تخرج منه ؛ فإنك لا تقطع حتىٰ يقطع بك .

وقال الزهري : إن كنت لآتي باب عروة ، فأجلس ثم أنصرف ولا أدخل ، ولو أشاء أن أدخل . . لدخلت ؛ إعظاماً له .

وقال : مست ركبتي ركبة سعيد بن المسيب ثمان سنين .

وقال : خدمت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، حتىٰ إن كان خادمه ليخرج فيقول : مَن بالباب ؟ فتقول الجارية : غلامك الأعمش ، فتظن أني غلامه ، وإن كنت لأخدمه حتىٰ أستقي له وضوءه .

وقال الزهري : مكثت خمساً وأربعين سنة أختلف بين الشام والحجاز ، فما وجدت حديثاً استطرفته .

---

(١) الطشت أو الطست : لفظ فارسي دخل العربية ، بمعنىٰ : وعاء كبير للغسيل .

وقال عبد الوهاب في حديثه : (خمساً وعشرين سنة[(١)]) .

وقال : تبعت سعيد بن المسيب في طلب حديث ثلاثة أيام .

وعن الأوزاعي قال : كنا نأتي العالم ، فما نتعلم من أدبه . . أحب إلينا من علمه .

قال سفيان : كنت أسمع الزهري يقول : حدثني فلان وكان من أوعية العلم ، ولا يقول : كان عالماً .

وعن مالك بن أنس قال : أول من دوَّن العلم : ابن شهاب .

وقال الزهري : كنا نكره الكتاب حتىٰ أكرَهَنا عليه السلطان[(٢)] ، فكرهنا أن نمنعه الناس .

وقال : العلم خزائن ، وتفتحها المسائل .

وقال : يُصطاد العلم بالمسألة كما يصطاد الوحش .

وكان ينزل بالأعراب يعلمهم .

وقال الليث : قال الزهري : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته .

وقال : إنما يُذهب العلمَ : النسيانُ ، وتركُ المذاكرة .

وقال : إن هٰذا العلم إن أخذته بالمكاثرة[(٣)] . . غلبك ولم تظفر منه بشيء ، ولٰكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً . . تظفر به .

وقال : العلم ذَكَرٌ ، لا يحبه إلا الذكور من الرجال .

وعن الوليد بن محمد قال : مررت مع الزهري علىٰ أبي حازم وهو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الزهري : ما لي أرىٰ أحاديث ليس لها خُطُم ولا أزِمَّة . انتهىٰ [« الحلية » ٣/ ٣٦٠ـ٣٦٥] .

وقال أبو الفرج : كان الزهري يعطي من جاءه وسأله ، حتىٰ إذا لم يبق معه شيء . . استلف من أصحابه ، فلا يزالون يسلفونه حتىٰ لم يبق معهم شيء ، فيحلفون له إنه لم يبق معهم شيء ، فيستلف من عبيده ، فيقول : أي فلان ؛ أسلف لي ، وأُضعف لك كما تعلم ، فيسلفونه ، ولا يرىٰ بذلك بأساً ، فربما جاءه السائل فيقول : أبشر ، فسيأتي الله بخير ،

---

(١) أي بدلاً من : (خمساً وأربعين سنة) في كلام الزهري السابق .

(٢) وذلك أن الخليفة هشام بن عبد الملك ألزمه أن يُملي علىٰ بنيه ، عندها أذن للناس أن يكتبوا عنه .

(٣) في بعض النسخ : (بالمكابرة) .

فيقيض الله عز وجل للزهري أحد رجلين : إما رجل يهدي له ما يبيعه ، وإما رجل يبيعه وينظره .

وكان يطعمهم الزُّبد[1] ويسقيهم العسل .

ولد سنة ثمان وخمسين ، في آخر سلطان معاوية ، وأوصىٰ أن يدفن علىٰ قارعة الطريق .

ومات لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، سنة أربع وعشرين ومئة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، رحمه الله . انتهىٰ [« الصفوة » ٢/ ٨١] .

وقال الحافظ : قال الزهري : أَعْيَا الفقهاءَ وأعجزَهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه .

وقال الزهري : ما عُبد الله عز وجل بأفضل من العلم .

وقال : فضل العالم على المجتهد مئة درجة ، ما بين كل درجة خمس مئة سنة .

وقال : لا يوثق بعلم عالم إلا بعمل ، ولا يُرضىٰ بقول عالم إلا برضىٰ[2] .

وقال : إياك وغلول الكتب ، قلت : وما غلولها ؟ قال : حبسها عن أهلها .

وقال : ما صبر أحد على العلم صبري ، وما نشره أحد قط نشري ، وأما عروة ابن الزبير . . فبئر لا تكدره الدلاء ، وأما ابن المسيب . . فانتصب للناس ، فذهب اسمه كل مذهب .

وسأل بعض بني أمية الزهري عن حال سعيد بن المسيب ، فذكره ، وأخبره بحاله ، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقدم الزهري ، فسلم علىٰ سعيد ، فلم يكلمه ولم يرد عليه ، فلما انصرف سعيد . . مشىٰ معه الزهري ، فقال له : لِمَ لَمْ تكلمني ؟ ما بلغك عني ؟ قال : لِمَ ذكرتني لبني مروان ؟

قال الراوي : وصلىٰ رجل خلف الزهري شهراً ، وكان يقرأ في الفجر : (تبارك الذي بيده الملك) ، و : (قل هو الله أحد) .

---

(١) في « الصفوة » و« السير » : (الثريد) .

(٢) عبارة « الحلية » : (لا يوثق الناس بعلم عامل لا يعمل ، ولا يرضىٰ بقول عالم لا يرضىٰ) ، وفي « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٣٤١) : (لا يُرضي الناس قول عالم لا يعمل ، ولا عمل عاملٍ لا يعلم) .

وكان الزهري يتطيب حتىٰ يُشَمَّ المسكُ من سوط دابته .

وما رأينا أحداً كانت الدنانير والدراهم أهونَ عنده من الزهري ، ما كانت عنده إلا مثل البعر .

وقال الزهري : استكثروا من شيء لا تمسه النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المعروف .

أدرك الزهري جماعة من الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وحدث عنهم .

وروىٰ عنه من التابعين جم غفير . انتهىٰ [« الحلية » ٣/ ٣٦٥ـ٣٧٢] .

وقال النووي ـ قدس الله روحه ، ونور ضريحه ـ : الزهري تارة يقال له الزهري ، وتارة ابن شهاب ، وهو تابعي صغير .

روىٰ عنه خلائق من التابعين ، ومن أتباع التابعين ، ومن شيوخه .

رُوِّينا بالإسناد الصحيح : عن عمرو بن دينار قال : ما رأينا أحداً كانت الدنانير والدراهم أهون عنده منه ، إن كانت عنده بمنزلة البعر .

ورُوِّينا عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم قال : قلت لأبي : بِمَ فاقكم الزهري ؟ قال : كان يأتي المجالس من صدرها ، ولا يأتيها من خلفها ، ولا يبقىٰ في المجلس شاب إلا سأله ، ولا كهل إلا سأله ، ولا فتىً إلا سأله ، ثم يأتي الدار من دور الأنصار ، فلا يبقىٰ شاب ، إلا سأله ، ولا كهل إلا سأله ، ولا فتىً إلا سأله ، ولا عجوز إلا سألها ، ولا كهلة إلا سألها ، حتىٰ يحاول ربَّاتِ الحجال .

قال البخاري : قال علي بن المديني : للزهري نحو ألفي حديث .

وقال أحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه : أصح الأسانيد مطلقاً : الزهري ، عن سالم ، عن أبيه .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أصحها : الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم .

وقال علي بن المديني وعمرو ابن الفلاس وغيرهما : أصحها : محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي رضي الله عنه .

وقال يحيى بن معين : أصحها : الأعمش ، عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة ، عن ابن مسعود .

وقال البخاري : أصحها : مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر .

فعلىٰ هٰذا : قال أبو منصور البغدادي : أصحها : الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهم .

والمختار : أنه لا يجزم لإسناد أنه أصحها على الإطلاق ؛ لعسر ذلك .

وقال الشافعي : لولا الزهري . . لذهبت السنن من المدينة .

ومناقبه والثناء عليه أكثر من أن يحصر .

وقال البخاري في « التاريخ » [الكبير ١/ ٢٢٠] : قال لي إبراهيم بن المنذر عن معن ، عن ابن أخي الزهري : إنه أخذ القرآن في ثمانين ليلة .

وهٰذا إسناد في نهاية الصحة ، ومعناه : أن الزهري حفظ القرآن في ثمانين ليلة . انتهىٰ [« التهذيب » ١/ ٩٠-٩١] .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم

* * *

مُحتَوى الكِتَاب

الصحابيات غير الزوجات رضوان الله عليهن ٤٨٣